تاريخ ابن خلدون

المسمّى

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر
ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر

تأليف

عبد الرحمن بن خلدون

٧٣٢-٨٠٨هـ - ١٣٣٢-١٤٠٦م

ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس

الأستاذ خليل شحادة

مراجعة الدكتور

سهيل زكار

طبعة مستكملة ومقارنة مع عدة نسخ
ومخطوطات ومذيلة بحواشي وشروح وتمتاز
بفهارس للموضوعات والأعلام والأماكن الجغرافية

الجزء الثالث

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م



بسم الله الرحمن الرحيم

(كان) لبنيْ عَبْدِ مُنَافَ في قُرَيْش جُمَلٌ من العدد والشرف لا يناهضهم فيها أحد من سائر بطون قريش .وكان فخذاهم بنو أميّة وبنو هاشم حياً جميعاً ينتمون لعبد مناف وينسبون إليه . وقريش تعرف ذلك وتسأل لهم الرياسة عليهم الا أنّ بني أمية كانوا أكثر عدداً من بني هاشم وأوفر رجالاً . والعِزَّةُ إنّما هي بالكثرة ، قال الشاعر :

وإنَّـما العِـزَّةُ للكَـاثِـر

وكان لهم قبيل الإسلام شرف معروف انتهى إلى حرب بن أُمَيّة وكان رئيسهم في حرب الفُجَّار. وحدَّث الإخباريون أنّ قريشاً تواقعوا ذات يوم وحرب هذا مسند ظهره إلى الكعبة فتبادر إليه غلمة منهم ينادون يا عم أدرك قومك، فقام يجرّ إزاره حتى أشرف عليهم من بعض الربا ولوّح بطرف ثوبه إليهم أن تعالوا فبادرت الطائفتان إليه بعد أن كان حمي وطيسهم . (ولما) جاء الإسلام ودهش الناس لما وقع من أمر النبوَّة والوَحْي وتنزل الملائكة ، وما وقع من خوارق الأمور ونسي الناس أمر العَصَبيّة مسلمهم وكافرهم . أمّا المسلمون فنهاهم الإسلام عن أمور الجاهلية كما في الحديث أنَّ الله أذهب عنكم غبية [1] الجاهلية وفخرها لأننا وأنتم بنو آدم وآدم من تراب . وأما المشركون فشغلهم ذلك الأمر

(١) غبية : بالغين المعجمة اي الافتخار بالآباء وغير ذلك من أمور العصبية اهـ .

العظيم عن شأن العصائب وذهلوا عنه حيناً من الدهر . ولذلك لمّا افترق أمر بني أمية وبني هاشم بالإسلام . إنما كان ذلك الافتراق بحصار بني هاشم في الشعب لا غير ولم يقع كبير فتنة لأجل نسيان العصبيات والذهول عنها بالإسلام حتى كانت الهجرة وشرع الجهاد ولم يبق إلاّ العصبية الطبيعية التي لا تفارق وهي بِعِزَّةِ الرجل على أخيه وجاره في القتل والعدوان عليه ، فهذه لا يذهبها شيء ولا هي محظورة بل هي مطلوبة ونافعة في الجهاد والدعاء إلى الدين ألا ترى إلى صَفْوَان بن أُمَيّة وقوله عندما انكشف المسلمون يوم حُنَيْن وهو يومئذ مشرك في المدّة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسلم ، فقال له أخوه : ألا بطل السحر اليوم ؟ فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك . لان يُرِبْني رجل من قريش أحب إليّ من أن يَرِبْني رجل من هُوَازِن . ثم أنّ شرف بني عبد مناف لم يزل في بني عبد شمس وبني هاشم . فلما هلك أبو طالب وهاجر بنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة كذلك . ثم من بعده العبّاس والكثير من بني عبد المطلب وسائر بني هاشم خلا الجوّ حينئذ من مكان بني هاشم بمكّة واستغلظت رياسة بني أمية في قريش . ثم استحكمتها مشيخة قريش من سائر البطون في بَدْر وهلك فيها عظاء بني عبد شمس : عُتْبَةُ وَرَبيعَةُ والوَلِيدُ وعُقْبَةُ بن أبي مَعِيط وغيرهم . فاستقلّ أبو سُفْيان بشرف بني أمية والتقدُّم في قريش ، وكان رئيسهم في أُحُدٍ وقائدهم في الأحزاب وما بعدها . (ولما كان الفتح) قال العبّاس للنبيّ صلى الله عليه وسلم لما أسلم أبو سُفْيان ليلتئذ ، كما هو معروف وكان صديقاً له : يا رسول الله إنّ أبا سُفْيان رجل يحب الفخر فاجعل له ذكراً . فقال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . ثم منّ على قريش بعد أن ملكهم يومئذ وقال : إذهبوا فأنتم الطُّلَقَاءُ وأسلموا . وشكت مشيخة قريش بعد ذلك لأبي بكر ما وجدوه في أنفسهم من التخلّف عن رتب المهاجرين الأوّلين ، وما بلغهم من كلام عمر في تركه شوراهم فاعتذر لهم أبو بكر وقال أدركوا إخوانكم بالجهاد وأنفذهم لحروب الرِدَّة فأحسنوا الغَنَاءَ عن الإسلام وقوّموا الأعْرَاب عن الحيف والميل . ثم جاء عمر فرمي بهم الروم وأرغب قريشاً في النفير إلى الشام فكان معظمهم هنالك واستعمل يزيد بن أبي سفيان على الشام . وطال أمد ولايته إلى أن هلك في طاعون عَمْوَاس سنةَ ثماني عشرة فولّى مكانه أخاه معاوية وأقرّه عثمان من بعد عمر فاتصلت رياستهم على قريش في الإسلام برياستهم قبيل الفتح التي لم تحل صبغتها ولا ينسى عهدها أيام شغل بني هاشم بأمر النبوّة ونبذوا الدنيا من أيديهم بما اعتاضوا عنها من مباشرة الوَحْي وشرف القرب من الله برسوله وما زال الناس يعرفون ذلك لبني أمية . وانظر

مقالة حنظلة بن زياد الكاتب لمحمد بن أبي بكر : إنّ هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف . (ولما هلك عثمان) واختلف الناس على عليّ كانت عساكر عليّ أكثر عدداً لمكان الخلافة والفضل إلاّ أنها من سائر القبائل من رَبِيعَةَ ويَمَنَ وغيرهم،وجموع معاوية إنما هي جند الشام من قريش شوكة مضرو بأسهم نزلوا بثغور الشام منذ الفتح فكانت عصبيته أشدّ وأمضى شوكه ،ثم كسر من جناح عليّ ما كان من أمر الخوارج وشغله بهم إلى أن ملك معاوية وخلع الحسن نفسه واتفقت الجماعة على بيعة معاوية في منتصف سنة إحدى وأربعين عندما نسي الناس شأن النبوّة والخوارق ورجعوا إلى أمر العصبية والتغالب وتعين بنو أمية للغلب على مُضَرو سائر العرب ومعاوية يومئذ كبيرهم . فلم تتعدّه الخلافة ولا ساهمه فيها غيره فاستوت قدمه واستفحل شأنه واستحكمت في أرض مِصْرَ رياسته وتوثق عقده . وأقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السياسة التي لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يداً من أهل الترشيح من ولد فاطمة وبني هاشم وآل الزبير وأمثالهم ويصانع رؤوس العرب وقروم مُضَر بالاغضاءِ والاحتمال والصبر على الأذى والمكروه وكانت غايته في الحلم لا تدرك وعصابته فيها لا تنزع ومرقاته فيها تزلّ عنها الأقدام (ذكر) أنه مازح عَدِيّ بن حاتم يوماً يؤنبه بصحبة عليّ فقال له عَدِيّ : والله إنّ القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا وأنّ السيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت إلينا من الغدر شبراً لندنينّ إليك من الشرّ باعاً وأنّ حزّ الحلقوم وحَشْرَجَة الحيزوم [1] ، لأهون علينا من أن نسمع المساءَة في عليّ فشم السيف يا معاوية يبعث السيف،فقال معاوية هذه كلمات حق فاكتبوها وأقبل عليه ولاطفه وتحادثا وأخباره في الحلم كثيرة .

* (بعث معاوية العمال الى الامصار) *

لما استقلّ معاوية بالخلافة عام عدم الجماعة بعث العمّال إلى الأمصار ، فبعث على الكوفة المُغيرة بن شُعْبَة . ويقال إنه ولّى عليها أوّلا عَبْدَ الله بن عَمْرو بن العَاص فأتاه المغيرة متنصحاً وقال : عمرو بمِصْرَ وابنه بالكوفة فأنت بين نابي أسد فعزله وولّى المغيرة . وبلغ

(١) قوله وحشرجه الخ . قال المجد : والحشرجة الغرغرة عند الموت تردد النفس اهـ . وقوله الحيزوم ، قال المجد ايضاً : وكأمير ، الصدر أو وسطه كالحيزوم فيهما ، جمعه احزمة وحزم اهـ .

ذلك عمراً فقال لمعاوية : يختان المال فلا تقدر على ردّه فعد فاستعمل من يخافك فنصب المُغِيرَة على الصلاة وولّى على الخراج غيره ، وكان على القضاء شُرَيح . (ولما وَلِيَ) المغيرة على الكوفة استعمل كُثَيِّر بن شهاب على الريّ وأقرّه زياد بعده . وكان يغزو الدَّيْلَم ثم بعث على البصرة بِسْر بن أَرْطَأَةَ وكان قد تغلّب عليها حمران بن زيد عند صلح الحسن مع معاوية فبعث بِسْراً عليها فخطب الناس وتعرّض لعليّ . ثم قال : نشدت الله رجلاً يعلم أني صادق أوكاذب ولا صدقني أوكَذَّبَني . فقال أبو بكرة : اللهمّ لا نعلمك إلاّ كاذباً فأمر به فخنق فقام أبو لُؤْلُؤَة الضَبِّيّ فدفع عنه . وكان على فارس من أعمال البصرة زياد بن أبيه وبعث إليه معاوية يطلبه في المال فقال : صُرفت بعضه في وجهه واستودعت بعضه للحاجة إليه وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمه الله فكتب إليه معاوية بالقدوم لينظر في ذلك فامتنع فلما وَلِيَ بِسْرٌ على البصرة جمع عنده أولاد زياد والأكابر عبد الرحمن وعبدالله وعبّاد وكتب إليه لتقدمنّ أولأقتلنّ بنيك فامتنع واعترم بِسْر على قتلهم فأتاه أبو بكرة وكان أخا زياد لأمّه فقال : أخذتهم بلا ذنب وصالح الحسن على أصحاب عليّ حيث كانوا فأمهله بِسْر إلى أن يأتي بكتاب معاوية . ثم قدم أبو بكرة على معاوية وقال : إنّ الناس لم يبايعوكَ على قتل الأطفال وإنّ بِسْراً يريد قتل بني زياد ! فكتب إليه بتخليتهم وجاء إلى البصرة يوم المهاد ولم يبق منه إلاّ ساعة وهم موثقون للقتل فأدركهم وأطلقهم انتهى . (ثم عزل) معاوية بِسْراً عن البصرة وأراد أن يولي عُتْبَة ابن أبي سُفْيَان فقال له ابن عامر : إنّ لي بالبصرة أموالاً وودائع وإن لم تولني عليها ذهبت . فولاه وجعل إليه معها خُرَسَان وسِجِسْتَان وقدمها سنة إحدى وأربعين فولي على خراسان قيس بن الهيثم السَلَمِيّ وكان أهل بَلْخ وبَاذَغِيس وهَرَاة وبوشَلْخ [1] قد نضوا ، فسار إلى بَلْخ وحاصرها حتى سألوا الصلح وراجعوا الطاعة ، وقيل إنّما صالحهم الربيع بن زياد سنة إحدى وخمسين على ما سيأتي (ثم قدم) قيس على إبن عَامِر فضربه وحبسه وولّى مكانه عبدالله بن حازم ، وقدم خُرَاسَان فأرسل إليه أهل هَرَاة وبَاذَغِيس وبوشَلْخ في الأمان والصلح فأجابهم وحمل لابن عامر مالاً انتهى . (ثم ولّى) معاوية سنة إثنتين وأربعين على المدينة مروان بن الحكم وعلى مكّة خالد بن العاص بن هشام . واستقصى مروان عبدالله بن الحَرْث بن نَوْفَل وعزل مَرْوَان عن المدينة سنة تسع وأربعين وولّى مكانه سعيد بن العاص وذلك لثمان سنين من

(١) وفي نسخة اخرى : بوشَنْج .

ولايته . وجعل سعيد على القضاء [1] ابن عبد الرحمن مكان عبدالله بن الحرث ثم عزل معاوية سعيداً سنة أربع وخمسين وردّ إليها مروان .

(قدوم زياد) وكان زياد قد امتنع بفارس بعد مقتل عليّ كما قدّمناه وكان عبد الرحمن ابن أخيه أبي بكرة يلي أمواله بالبصرة ورفع إلى معاوية أنّ زياداً استودع أمواله عبد الرحمن فبعث إلى المُغِيرَة بالكوفة أن ينظر في ذلك فأحضر عبد الرحمن وقال له : إن يكن أبوك أساء إليّ فقد أحسن عمك وأحسن العذر عند معاوية (ثم قدم المُغِيرَة) على معاوية فذكر له ما عنده من الوجل باعتصام زياد بفارس فقال : داهية العرب معه أموال فارس يدبر الحيل فما آمن أن يبايع لرجل من أهل البيت ويعيد الحرب خدعة ، فاستأذنه المغيرة أن يأتيه ويتلطف له ثم أتاه وقال : إنّ معاوية بعثني إليك وقد بايعه الحسن ولم يكن هناك غيره فخذ لنفسك قبل أن يستغني معاوية عنك . قال : أشر عليّ والمستشار مؤتمن فقال أرى أن تشخص إليه وتصل حبلك بحبله وترجع عنه فكتب إليه معاوية بأمانه وخرج زياد من فارس نحو معاوية ومعه المِنْجَابُ بن رَابِدٍ الضَّبِّي وحارثة بن بَدْرٍ الغَدَاني ، واعترضه عبدالله بن حازم في جماعة وقد بعثه ابن عامر ليأتيه به فلما رأى كتاب الأمان تركه وقدم على معاوية فسأله عن أموال فارس فأخبره بما أنفق وبما حمل إلى عليّ وبما بقي عنده مودعا للمسلمين فصدّقه معاوية وقبضه منه . ويقال إنه قال له : أخاف أن تكون مكروباً بي فصالحني فصالحه على ألفي ألف درهم بعث بها إليه واستأذنه في نزول الكوفة فأذن له وكان المغيرة يكرمه ويعظمه وكتب إليه معاوية أن يلزم زياداً وحِجْرَ بن عَدِيّ وسُلَيْمَانَ بن صُرَد وسيف بن رَبْعي وابن الكوّا وابن الحميق بالصلاة في الجماعة فكانوا يحضرون معه الصلوات .

(عمال ابن عامر على الثغور) لما وَلِيَ ابن عامر على البصرة استعمل عبد الرحمن بن سُمْرَةَ على سِجِسْتَان فأتاها وعلى شرطتها عَبَّادُ بن الحُصَيْن ومعه من الأشراف عُمَرُ بن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَرَ وغيره . وكان أهل البلاد قد كفروا ، ففتح أكثرها حتى بلغ كَابُل وحاصرها أشهراً ونصب عليها المجانيق حتى ثلم سورها ولم يقدر المشركون على سد الثَلْمَة . وبات عَبَّاد بن الحُسَيْن عليها يطاعنهم إلى الصبح ، ثم خرجوا من الغد للقتال فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة اهـ . (ثم سار) إلى نَسَفَ فملكها عنوة ثم إلى خَسَكَ فصالحه أهلها

---

(1) بياض بالاصل وقال الطبري : وكان على قضاء المدينة لمروان فيما زعم الواقدي حين عزل عبدالله بن الحارث بن نوفل . فلما ولي سعيد بن العاص عزله عن القضاء واستقضى ابا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف. (ج ٦ ص ١٣٠) .

ثم إلى الرَّجْحِ فقاتلوه وظفر بهم وفتحها اهـ . ثم إلى زَابُلِسْتَانَ (وهي غَزْنَةُ) وأعمالها ففتحها ثم عاد إلى كابُل وقد نكث أهلها ففتحها اهـ . (واستعمل) على ثغر الهند عبدالله بن سِوَارِ العَبْدِيّ ، ويقال بل ولاَّه معاوية من قبله فغزا التِيعَان فأصاب مغنماً ووفد على معاوية وأهدى له من خيولها ، ثم عاد إلى غزوهم فاستنجدوا بالترك وقتلوه ، وكان كريماً في الغاية يقال : لم يكن أحد يوقد النار في عسكره ، وسأل ذات ليلة عن نار رآها فقيل له خبيص يصنع لنفساء فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة أيام . (واستعمل) على خُراسان قَيْسَ بن الهَيْثَم فتغافل بالخراج والهدنة فولى مكانه عبدالله بن حاتم.فخاف قَيْساً وأقبل فزاد إبن عامر غضباً لتضييعه الثغر وبعث مكانه رجلاً من يَشْكُرُ وقيل أَسْلَمَ بن زَرْعَةَ الكِلاَبي(اهـ) .(ثم بعث) عبدالله بن حازم وقيل : إنّ ابن حازم قال لابن عامر : إنَّ قَيْساً لا ينهض بخُراسان وأخاف إنْ لقي قَيْس حرباً أن ينهزم ويفسد خُراسان، فاكتب لي عهداً إن عجز عن عدوٍّ قُمْتُ مَقَامَه . فكتب وخرجت خَارِجَة من طَخَارِسْتَان فأشار ابن حازم عليه أن يتأخر حتى يجتمع عليه الناس فلما سار غير بعيد أخرج ابن حازم عهده وقام بأمر الناس وهزم العدوّ. وبلغ الخبر إلى الأمصار فغضبت أصحاب قَيْس وقالوا خدع صاحبنا ، وشكوا إلى معاوية فاستقدمه فاعتذر فقبل منه ، وقال له أقم في الناس بعذرك ففعل اهـ . (وفي سنة) ثلاث [1] وأربعين توفي عمرو بن العاص بمِصْر فاستعمل معاوية مكانه عبدالله ابنه .

(عزل ابن عامر) وكان ابن عامر حليماً ليِّناً للسفهاء فطرق البصرة الفساد من ذلك . وقال له زياد جرِّد السيف فقال : لا أصلح الناس بفساد نفسي . ثم بعث وفداً من البصرة إلى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة ومنهم إبن الكوّا وهو عبدالله بن أبي أوفى اليَشْكُرِي فلما سألهم معاوية عن الأمصار أجابه ابن الكوّا بعجز ابن عامر وضعفه فقال معاوية : تتكلم على أهل البصرة وهم حضور ! وبلغ ذلك ابن عامر فغضب وولّى على خراسان من أعداء ابن الكوّا عبدالله بن أبي شيخ اليَشْكُري أو طُفَيْل بن عَوْف فسخر منه ابن الكوّا لذلك وقال : وددت أنه ولى كل يَشْكُري من أجل عداوتي . ثم أنّ معاوية استقدم ابن عامر فقدم

(١) قوله وفي سنة ثلاث الخ .. هذا يخالف ما ذكره الميداني في مجمع الأمثال قال : ليس هذا من كيسك ، يضرب لمن يرى منه ما لا يمكن ان يكون هو صاحبه . وأصل هذا ان معاوية لما اراد المبايعة ليزيد دعا عمراً فعرض عليه البيعة له فامتنع فتركه معاوية ولم يستقص عليه . فلما اعتل معاوية العلة التي توفي فيها دعا يزيداً وخلا به وقال له : اذا وضعتم سريري على شفير حفرتي فادخل انت القبر ومر عمراً يدخل معك فاذا دخل فاخرج واخترط سيفك ومره ليبايعك فان فعل والا فادفنه قبلي ففعل ذلك يزيد فبايع عمرو وقال ما هذا من كيسك ولكنه من كيس الموضوع في اللحد فذهبت مثلاً اهـ .

وأقام اياماً فلما ودّعه قال : إنيَ سائلك ثلاثاً قال : هنّ لك ، قال : ترد عليّ عملي ولا تغضب وتهب لي ما لك بعَرَفَة ودُورك بمكّة . قال : قد فعلت . قال : وصلتك رحم ، فقال ابن عامر : وإني سائلك ثلاثاً تردعليَّ عملي بعَرَفَة ولا تحاسب لي عاملاً ولا تتبع لي أثراً وتنكحني إبنتك هنداً . قال : قد فعلت ! ويقال : إنّ معاوية خيّره بين أن يردّه على اتباع أثره وحسابه بما سار إليه أو يعزله ويسوغه ما أصاب فاختار الثالثة فعزله وولّى مكانه الحرث ابن عبدالله الأزدي[1]

(استخلاف زياد) كانت سُمَيَّةُ أم زياد مولاة للحرث بن كِنْـدَة الطبيب وولدت عنده أبا بَكْرَةَ ثم زوَّجها بمولى له وولدت زياداً وكان أبو سفيان قد ذهب إلى الطائف في بعض حاجاته فأصابها بنوع من أَنْكِحَة الجاهلية وولدت زياداً هذا ، ونسبه[2] إلى أبي سفيان وأقرّ لها به ، إلاّ أنه كان بخفية ، ولما شبّ زياد سَمَت به النجابة واستكتبه أبو موسى الأَشْعَرِيّ وهو على البصرة ، واستكفاه عُمَرُ في أمر فحسن منار دينه وحضر عنده يعلمه بما صنع ، فأبلغ ما شاء في الكلام فقال عمرو بن العاص وكان حاضراً لله هذا الغلام ، لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه . قال أبو سفيان وعليّ يسمع : والله إني لأعرف أباه ومن وضعه في رحم أمّه ، فقال له عليّ : اسكت فلو سمع عمر هذا منك كان إليك سريعاً . ثم استعمل عليّ زياداً على فارس فضبطها وكتب إليه معاوية يتهدّده ويعرض له بولادة أبي سفيان إيّاه فقام في الناس فقال : عجباً لمعاوية[3] يخوّفني دين ابن عم الرسول في المهاجرين والأنصار ! وكتب إليه عليّ إني وليّتك وأنا أراك أهلاً وقد كان من أبي سفيان فلتة من آمال الباطل وكذب النفس ، لا توجب ميراثاً ولا نسباً . ومعاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام (هـ). ولما قتل عليّ وصالح زياد معاوية وضع مُصْقِلَةَ بن هُبَيْرَةَ الشَّيْبَاني على معاوية ليعرض له بنسب أبي سفيان ففعل ، ورأى معاوية أن يستميله باستلحاقه فالتمس الشهادةَ بذلك ممن علم لحوق نسبه بأبي سُفْيَان فشهد له رجال من أهل البصرة وألحقه ، وكان أكثر شيعة علي يُنكِرون ذلك وينقمونه على معاوية حتى أخوه أبو بَكْـرَة . (وكتب زياد) إلى عائشة في بعض الأحيان من زياد بن أبي سُفْيَان يستدعي جوابها بهذا النسب ليكون له حجة فكتبت

---

(١) وفي نسخة ثانية : الأسدي والصحيح الازدي .

(٢) مقتضى السياق : ونسبته الى ابي سفيان .

(٣) وفي بعض الروايات : عجباً لابن آكلة الأكباد .

إليه : من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها زياد . وكان عبدالله بن عامر يبغض زياداً وقال يوماً لبعض أصحابه : مَنْ عبد القيس ؟! ابن سُمَيّة يقبّح آثاري ويعترض عُـمَّالي لقد هممت بقسامة من قريش أنّ أبا سفيان لم يرَ سُمَيّة ! فأُخبر زياد بذلك فأخبر به معاوية ، فأمر حاجبه أن يردّه من أقصى الأبواب وشكا ذلك إلى يزيد ، فركب معه فأدخله على معاوية فلما رآه قام من مجلسه ودخل إلى بيته فقال يزيد : نقعد في انتظاره فلم يزالا حتى عدا ابن عامر فيما كان منه من القول ، وقال : إني لا أتكثر بزياد من قلّة ولا أتعزّز به من ذلّة ولكن عرفت حق الله فوضعته موضعه فخرج ابن عامر وترضّى زياداً ورضي له معاوية .

(ولاية زياد البصرة) كان زياد بعد صلح معاوية واستلحاقه نزل الكوفة وكان يتشوّف الامارة عليها . فاستثقل المُغِيرَةُ ذلك منه فاستعفى معاوية من ولاية الكوفة فلم يعفه . فيقال إنه خرج زياد إلى الشام ، ثم إنّ معاوية عزل الحرث بن عبدالله الأزدي عن البصرة وولّى عليها زياداً سنة خمس وأربعين ، وجمع له خراسان وسجستان ثم جمع له السِنْد والبحرين وعُمَان ، وقدم البصرة فخطب خطبته البَـتْرَاءَ وهي معروفة ، وإنما سميّت البتراء لأنه لم يفتحها بالحمد والثناء ، فحذّرهم في خطبته ما كانوا عليه من الإنهماك في الشهوات والاسترسال في الفُسْقِ والضلال ، وانطلاق أيدي السفهاء على الجنايات وانتهاك الحرم وهم يدنون منهم ، فأطال في ذلك عنّفهم ووبّخهم وعرّفهم ما يجب عليهم في الطاعة من المناصحة والانقياد للائمة وقال : لكم عندي ثلاث لا أحتجب عن طالب حاجة ولو طرقني ليلاً ولا أحبس العطاء عن ابانة ولا أحمر البعوث [1] فلما فرغ من خطبته قال له عبدالله بن الأيهم : أشهد أنك أُوتيت الحكمة وفصل الخطاب . قال : كذبت ذاك نبّي الله داود ثم استعمل على شرطته عبدالله بن حُصَيْن وأمره أن يمنع الناس من الولوج بالليل . وكان قد قال في خطبته لا أوتي بمدلج إلاّ سفكت دمه وكان يأمر بقراءة سورة البقرة بعد صلاة العشاء مؤخرة ثم يمهل بقدر ما يبلغ الرجل أقصى البصرة ، ثم يخرج صاحب الشرطة فلا يجد أحداً إلاّ قتله . وكان أوّل من شدّد أمر السلطان وشيّد الملك فجرّد السيف وأخذ بالظنّة وعاقب على الشبهة وخافه السفهاء والذُّعّار وأمن الناس على أنفسهم ومتاعهم حتى كان الشيء يسقط من يد الإنسان فلا يتعرّض له أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه ولا يغلق أحد باباً وأدرّ العطاء واستكثر من الشرط فبلغوا أربعة آلاف [2] وسئل في

(١) وفي نسخة ثانية : عن ابانة ولا اجرّ البعوث .

(٢) يعتبر زياد أول من اعلن الاحكام العرفية في الاسلام .

إصلاح السَابِلَةِ فقال : حتى أصلح المصر . فلما ضبطه أصلح ما وراءه ، وكان يستعين بعدة من الصحابة منهم عِمْرَانُ بن حُصَيْن ولاه قضاء البصرة فاستعفى ، فولى مكانه عبدالله بن فضالةَ الليثي ، ثم أخاه عاصماً ، ثم زرارة بن أوفى وكانت أخته عند زياد ، وكان يستعين بأَنس بن مَالِك وعبد الرحمن بن سُمْرَة وسُمْرَةَ بن جُنْدُب . ويقال : إن زياداً أوّل من سيّر بين يديه بالحِرَاب والعُمُد ، واتخذ الحرس رابطة ، فكان خمسمائة منهم لا يفارقون المسجد ، ثم قسّم ولاية خراسان على أربعة : فولّى على مروأمين ابن أحمد اليَشْكُرِي ، وعلى نيسابور خَلِيد بن عبدالله الحنفي ، وعلى مَرْوِ الرُوذ والعَارِيَات والطالقات قَيْس بن الهَيْثَم ، وعلى هراة وبادَغِيس وبُوشَنْج نافع بن خالد الطائي . ثم إنّ نافعاً بعث إليه بجواد باهر غنمه في بعض وجوهه ، وكانت قوائمه منه ، فأخذ منها قائمة وجعل مكانها أخرى ذهباً وبعث الجواد مع غلامه زيد وكان يتولى أموره فسعى فيه عند زياد بأمر تلك القائمة فعزله وحبسه ، وأغرمه مائة ألف كتب عليه بها كتاباً ، وقيل ثمانمائة ألف . وشفع فيه رجال من الأزد فأطلقه واستعمل مكانه الحكم بن عمرو الغفاريّ وجعل معه رجالاً على الجباية منهم أسلم بن زُرْعَة الكلابيّ . وغزا الحكم طخارستان فغنم غنائم كثيرة . ثم سار سنة سبع وأربعين إلى جبال الغَوْر ، وكانوا قد ارتدّوا ، ففتح وغنم وسبى وعبر النهر في ولايته إلى ما وراءه فملأه غارة . ولما رجع من غزاة الغَوْر مات بمرو واستخلف على عمله أَنس بن أبي أناس[1] بن رُبَيْن فلم يرضه زياد . وكتب إلى خَلِيد بن عبدالله الحنفي بولاية خراسان ، ثم بعث الربيع بن زياد المحاربي في خمسين ألفاً من البصرة والكوفة .

(صوائف الشام) ودخل المسلمون سنة إثنتين وأربعين إلى بلاد الروم فهزموهم وقتلوا جماعة من البطارقة وأثخنوا فيها ثم دخل بِسرُ بن أَرْطَأَة أرضهم سنة ثلاث وأربعين ومشى بها وبلغ القُسْطَنْطِينِيّة . ثم دخل عبد الرحمن بن خالد وكان على حمص فشتّى بهم وغزاهم بِسرُ تلك السنة في البحر . ثم دخل عبد الرحمن إليها سنة ست وأربعين فشتى بها ، وشتى أبو عبد الرحمن السُبَيْعِي على انطاكية ثم دخلوا سنة ثمان وأربعين فشتّى عبد الرحمن بانطاكية أيضاً . ودخل عبدالله بن قيس الفزاري في تلك السنة بالصائفة وغزاهم مالك بن هُبَيْرَةَ اليَشْكُرِيّ في البحر وعُقْبَةُ بن عامر الجُهَنِيّ في البحر أيضاً بأهل مصر وأهل المدينة . ثم دخل مالك بن هبيرة سنة تسع وأربعين فشتىّ بأرض الروم ودخل عبدالله بن كرز الجيلي بالصائفة وشتىّ يزيد بن ثَمَرَةَ الرَهَاوِيّ في بلاد الروم بأهل الشام في البحر

(١) وفي نسخة ثانية : انس بن ابي أياس بن روبين .

وعُقْبَة بن نافع بأهل مصر كذلك (ثم) بعث معاوية سنة خمسين جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم مع سُفْيَان بن عَوْف وندب يزيد إبنه معهم فتثاقل فتركه . ثم بلغ الناس أنّ الغزاة أصابهم جوع ومرض وبلغ معاوية أنّ يزيد أنشد في ذلك :

ما إنْ أُبالي بما لاقت جُمُوعُهُمُ بالفَـدْفَدِ البِيدِ مِنْ حُمَّى ومن شوم
إذا اتطأْتُ على الأنْمَـاطِ مُرْتَفِقاً بِـدَيْرِ مُرَّانَ عِنْـدِي أمُّ كُلْثُوم

وهي امرأته بنت عبدالله بن عامر فحلف ليلحقن بهم فسار في جمع كثير جمعهم إليه معاوية فيهم ابن عبّاس وابن عامر وابن الزُبَيْر وأبو أيوب الأنصاري فأوغلوا في بلاد الروم وبلغوا القُسْطَنْطِينيّة وقاتلوا الروم عليها . فاستشهد أبو أيوب الأنصاري ودفن قريباً من سورها ورجع يزيد والعساكر إلى الشام ثم شتّى فُضَالَةُ بن عُبَيْد بأرض الروم سنة إحدى وخمسين وغزا بِسْرُ بن أَرْطَأة بالصائفة .

(وفاة المغيرة) توفي المغيرة وهو عامل على الكوفة سنة خمسين بالطاعون ، وقيل سنة تسع وأربعين وقيل سنة إحدى وخمسين ، فولّى مكانه معاوية زياداً وجمع له المصرين فسار زياد إليها واستخلف على البصرة سُمْرَة بن جُنْدُب فلما وصل الكوفة خطبهم فحصبوه على المنبر فلما نزل جلس على كرسيّ وأحاط أصحابه بأبواب المسجد يأتونه بالناس يستحلفهم على ذلك ، ومن لم يحلف حبسه فبلغوا ثمانين واتخذ المقصورة من يوم حَبَس . ثم بلغه عن أوفى بن حسين شيء فطلبه ، فهرب ثم أخذه فقتله وقال له عَمَارَة بن عُتْبَة بن أبي مَعيط : إنّ عُمَر بن الحَمْق يجتمع إليه شيعة عليّ فأرسل إليه زياد ونهاه عن الاجتماع عنده . وقال لا أبيح أحداً حتى يخرج عيّ ، وأكثر سُمْرَة بن جُنْدُب اليتامى بالبصرة يقال قتل ثمانية آلاف فأنكر ذلك عليه زياد اهـ .

(كان عمرو بن العاص) قبل وفاته استعمل عُقْبَة بن عامر بن عَبْدِ قَيْس على أفريقية ، وهو ابن خالته انتهى الى لواته[1] ومرانه ، فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى . ثم افتتح سنة إثنتين وأربعين غَدَامِس . وفي السنة التي بعدها ودّان وكورا من كور السودان وأثخن في تلك النواحي ، وكان له فيها جهاد وفتوح . ثم ولاّه معاوية على أفريقية سنة خمسين وبعث إليه عشرة آلاف فارس ، فدخل أفريقية وانضاف إليه مُسْلِمَةُ البربر ، فكبر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد ، لأنهم كانوا إذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا ، فإذا رجعوا عنهم ارتدّوا فرأى أن يتخذ مدينة يعتصم بها

(١) من نواحي الأندلس من أعمال قريش ، ولواته : قبيلة من البربر .

العساكر من البربر فاختط القَيْرَوَان وبنى بها المسجد الجامع ، وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم ، وكان دَوْرُها[1] ثلاثة آلاف باع وستمائة باع ، وكملت في خمس سنين وكان يغزو ويبعث السرايا للإغارة والنهب ، ودخل أكثر البربر في الإسلام واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين . ثم ولّى معاوية على مصر وأفريقية مَسْلَمَةَ بن مُخَلِد الأنصاري واستعمل على أفريقية مولاه أبا المهاجر فأساء عزل عُقْبَة واستخف به فسيّر ابن مُخَلِد الأنصاري عُقْبَة إلى معاوية وشكا إليه فاعتذر له ووعده بردّه إلى عمله ، ثم ولاّه يزيد سنة إثنتين وستين (وذكر) الواقدي : أنّ عُقْبَة وَلِيَ أفريقية سنة ست وأربعين فاختط القَيْرَوَان ثم عزله يزيد سنة إثنتين وستين بأبي المهاجر. فحينئذ قبض على عُقْبَة وضيّق عليه فكتب إليه يزيد يبعثه إليه وأعاده والياً على أفريقية فحبس أبا المهاجر إلى أن قتلهم جميعاً كسلة ملك البرانس من البربر كما نذكر بعد . * (كان المُغِيرَةُ بن شُعْبَة أيام إمارته على الكوفة) كثيراً ما يتعرّض لعليّ في مجالسه وخطبه ، ويترحّم على عثمان ويدعو له فكان حِجْرٌ بن عَدِيّ إذا سمعه يقول : بلاياكم قد أضلّ الله ولعن . ثم يقول أنا أشهد أنَّ من تذمّون أحق بالفضل ، ومن تزكّون أحق بالذم . فبعث له المُغِيرة يقول : يا حِجْرٌ اتقِ غضب السلطان وسطوته ، فإنها تُهْلِكُ أمثالك لا يزيده على ذلك . (ولما كان) آخر إمارته المُغِيرَة قال في بعض أيامه مثل ما كان يقول فصاح به حِجْرٌ ثم قال له : مرلنا بأرزاقنا فقد حبستها منا وأصبحت مولعاً بذم المؤمنين ، وصاح الناس من جوانب المسجد صدق حِجْر فر لنا بأرزاقنا ، فالذي أنت فيه لا يجدي علينا نفعاً . فدخل المغيرة إلى بيته وعذله قومه في جراءة حِجْر عليه يوهن سلطانه ، ويسخط عليه معاوية فقال لا أحب أن آتي بقتل أحد من أهل المصر. وسيأتي بعدي من يصنع معه مثل ذلك فيقتله ثم توفي المغيرة ووَلِيَ زياد فلما قدم خطب الناس وترحم على عثمان ولعن قاتليه . وقال حِجْر ما كان يقول فسكت عنه ورجع إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حَرِيث وبلغه أنّ حجراً يجتمع إليه شيعة عليّ ويعلنون بلعن معاوية والبراءة منهم وأنهم حصبوا عمرو بن حَرِيث فشخص إلى الكوفة حتى دخلها ثم خطب الناس وحِجْر جالس يسمع فتهدّده وقال : لستُ بشيء إن لم أمنع الكوفة من حِجْر وأودعه نكالاً لمن بعده ثم بعث إليه فامتنع من الإجابة فبعث صاحب الشرطة شدّاد بن الهَيْثَم الهلالي إليه جماعة فسبهم

(١) اي محيطها ودورانها .

أصحابه . فجمع زياد أهل الكوفة وتهدّدهم فتبرّؤا فقال : ليدع كل رجل منكم عشيرته الذين عند حِجْر ففعلوا حتى إذا لم يبق معه إلاّ قومه ، قال زياد لصاحب الشرطة : انطلق إليه فأت به طوعاً أو كرهاً فلما جاءه يدعوه امتنع من الإجابة فحمل عليهم وأشار إليه أبوا العَمَرْطَةَ الكِنْدِيَ بأن يلحق بكِنْدَة فمنعوه ، هذا وزياد على المنبر ينتظر ثم غشيهم أصحاب زياد وضرب عمرو بن الحَمْقِ فسقط ودخل في دور الازدِ فاختفى وخرج حِجْر من أبواب كِنْدَة فركب ومعه أبو العَمَرْطَةَ إلى دور قومه واجتمع إليه الناس ولم يأته من كِنْدَة إلاّ قليل ثم أرسل زياد وهو على المنبر مَذْحِج وهَمْدَان ليأتوه بحِجْر ، فلما علم أنهم قصدوه تسرّب من داره إلى النَخْع ونزل على أخي الأشتر . وبلغه أنّ الشرطة تسأل عنه في النَخْع . فأتى الأزد واختفى عند ربيعة بن ناجد ، وأعياهم طلبه فدعا حِجْر محمد بن الأشعث أن يأخذ له أماناً من زياد حتى يبعث به إلى معاوية ، فجاء محمد ومعه جرير بن عبدالله وحِجْر بن يزيد وعبدالله بن الحرث أخو الأشتر فاستأمنوا له زياداً فأجابهم ثم أحضروا حِجْراً فحبسه وطلب أصحابه فخرج عمرو بن الحَمْق إلى الموصل ومعه زُوَاعَة بن شدّاد فاختفى في جبل هناك ورفع أمرهما إلى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ابن أخت معاوية ، ويعرف بابن أُمِّ الحكم فسار إليهما وهرب زُوَاعَة وقبض على عمرو ، وكتب إلى معاوية بذلك فكتب إليه أنه طعن عثمان سبعاً بمَشَاقِص كانت معه فاطعنه كذلك فمات في الأولى والثانية ثم جدّ زياد في طلب أصحاب حِجْر وأتى بقُبَيْصَةَ بن ضُبَيْعَةَ العَبْسِيّ بأمان فحبسه وجاء قَيْس بن عَبّادِ الشِّبْلي برجل من قومه من أصحاب حجر فأحضره زياد وسأله عن عليّ فأثنى عليه فضربه وحبسه . وعاش قَيْس بن عَبّاد حتى قاتل مع ابن الأشعث ، ثم دخل بيته في الكوفة وسعى به إلى الحجّاج فقتله . ثم أرسل زياد إلى عبدالله ابن خليفة الطائي من أصحاب حجر فتوارى وجاء الشُرَطُ فأخذوه ونادت أخته الفرار بقومه فخلصوه فأخذ زياد عدِيّ بن حاتم وهو في المسجد وقال : إئتني بعبدالله وخبره جَهْرَةً فقال : آتيك بابن عمي تقتله ؟ والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه فحبسه ، فنكر ذلك الناس وكلّموه وقالوا تفعل هذا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبير طيء قال : أخرجه على أن يخرج ابن عمه عني فأطلقه وأمر عَدِي عبدالله أن يلحق بجبل طيء فلم يزل هنالك حتى مات وأتى زياد بكَرِيم بن عفيف الخَثْعَمِيّ من أصحاب حِجْر وغيره

ولما جمع منهم إثني عشر في السجن دعا رؤوس الأرباع يومئذ[١] وهم عمرو بن حَرِيث على ربع أهل المدينة ، وخالد بن عَرْفَطَة على ربع تميم وهمدان ، وقيس ابن الوليد على ربع ربيعة وكِنْدَة ، وأبو بُرْدَة بن أبي موسى على ربع مَذْحَج وأَسَد . فشهدوا كلهم أنّ حجراً جمع الجموع وأظهر شتم معاوية ، ودعا إلى حربه وزعم أنّ الأمر لا يصلح إلا في الطالبيين ووثب بالمصر وأخرج العامل وأظهر غدر أبي تراب والترحم عليه ، والبراءة من عدوّه وأهل حربه ، وأنّ النفر الذين معه وهم رؤس أصحابه على مقدّم رأيه ثم استكثر زياد من الشهود فشهد إسحق وموسى إبنا طلحة والمنذر ابن الزُبَيْر وعَمَارَة بن عُقْبَة بن أبي مَعِيط وعمر بن سعد بن أبي وقّاص وغيرهم وفي الشهود شُرَيْح بن الحرث وشُرَيْح بن هانيء ثم استدعى زياد وائل بن حِجْر الحضرمي وكثير ابن شهاب ودفع إليهما حِجْر بن عَدِيّ وأصحابه وهم الأرقم بن عبدالله الكِنْدِيّ وشريك بن شدّاد الحضرمي وصيفي بن فضيل الشيباني وقَبَيْصَة بن ضُبَيْعَة العَبْسِيّ ، وكريم ابن عفيف الخَثْعَمِيّ ، وعَاصِم بن عَوْف البَجْلي وورْقَاء بن سَمِيّ البجلى ، وكرام بن حبّان العَنزِي وعبد الرحمن بن حسّان العَنَزِي ومحرز بن شهاب التميمي وعبدالله بن حَوِيَّةَ السعدي ثم أتبع هؤلاء الإحدى عشر بِعُتْبَةَ بن الأَخْنَس من سعد بن بكر وسعد بن غوات الهَمْدَاني ، وأمرهما أن يسيرا بهم إلى معاوية . ثم لحقهما شُرَيْح بن هانيء ودفع كتابه إلى معاوية بن وائل ولما انتهو إلى مرج غدراء[٢] قريب دمشق تقدّم ابن وائل وكثير إلى معاوية ، فقرأ كتاب شُرَيْح وفيه بلغني أنّ زياداً كتب شهادتي وأني أشهد على حِجْر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، حرام الدم والمال فإن شئت فاقبله أو فدعه ، فقال معاوية : ما أرى هذا إلا أخرج نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج غدراء حتى لحقهم عُتْبَةُ بن الأخنس وسعد بن غوات اللذين ألحقهما زياد بِهما . وجاء عامر بن الأسود العُجَيْلي إلى معاوية فأخبره بوصولها ، فاستوهب يزيد بن أَسَدٍ البَجلي عاصماً وورقاءَ إبني عمه وقد كتب يزيد يزكيهما ويشهد ببراءتهما فأطلقهما معاوية وشفع وائل بن حِجْر في الأرقم وأبو الأعور السَلَمِي في ابن الأخنس وحبيب بن سَلَمَةَ في أخويه فتركهم وسأله مَالِكُ بن هُبَيْرَة السَكُوني

(١) يظهر من سياق المعنى ان العبارة تامة وليس مكان البياض شيء .
(٢) هو مرج عذراء بغوطة دمشق (معجم البلدان) .

في حِجرْ فردّه فغضب وحبس في بيته وبعث معاوية هَدْبَةَ بن فَيّاض القُضَاعِيّ ، والحسين بن عبدالله الكِلابي ، وأبا شريف البَدْري إلى حِجْر وأصحابه ليقتلوا منهم من أمرهم بقتله فأتوهم وعرض عليهم البراءة من عليّ فأبوا وصلّوا عامة ليلتهم ثم قدموا من الغد للقتل وتوضأ حِجْرٌ وصلّى وقال : لولا أن يظنوا بي الجزع من الموت لاستكثرت منها . اللهم إنّا نستعديك على أمشاء أهل الكوفة ، يشهدون علينا ، وأهل الشام يقتلوننا . ثم مشى إليه هَدْبَة بن فَيّاض بالسيف ، فارتعد فقالوا : كيف وأنت زعمت أنك لا تجزع من الموت ؟ فابرأ من صاحبك وندعك . فقال : ومالي لا أجزع وأنا بين القبر والكفن ، والسيف . وإن جزعت من الموت لا أقول ما يسخط الربّ فقتلوه وقتلوا ستة معه وهم شريك بن شدّاد وصيفي بن فَضِيل وقُبَيْصَة بن حنيفة ، ومُحْرِز بن شهاب ، وكرام بن حبان ودفنوهم وصلوا عليهم بعبد الرحمن بن حسّان العَنَزِي[1] وجيء بكريم بن الخثعمي إلى معاوية فطلب منه البراءة من عليّ فسكت واستوهبه سُمْرَة بن عبد الله الخثعمي من معاوية فوهبه له ، على أن لا يدخل الكوفة . فنزل إلى الموصل ثم سأل عبد الرحمن بن حسّان عن عليّ فأثنى خيراً ثم عن عثمان فقال : أوّل من فتح باب الظلم وأغلق باب الحق فردّه إلى زياد ليقتله شر قتلة فدفنه حيًّا وهو سابع القوم . (وأمّا مالك) بن هُبَيْرَة السكوني فلما لم يشفعه معاوية في حجر جمع قومه وسار ليخلصه وأصحابه فلقي القتلة وسألهم فقالوا مات القوم وسار إلى عَدِيّ فتيقن قتلهم فأرسل في إثر القتلة فلم يدركوهم ، وأخبروا معاوية فقال : تلك حرارة يجدها في نفسه وكأني بها قد طفئت . ثم أرسل إليه بمائة ألف وقال : خفت أن يعيد القوم حرباً فيكون على المسلمين أعظم من قتل حجر فطابت نفسه . (ولما بلغ) عائشة خبر حجر وأصحابه ، أرسلت عبد الرحمن بن الحرث إلى معاوية يشفع فيهم فجاء وقد قتلوا فقال لمعاوية :أين غاب عنك حلم أبي سُفْيان ؟ فقال : حيث غاب عليّ مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سُمَيَّة فاحتملت وأسفت عائشة لقتل حجر وكانت تثني عليه . وقيل في سياقة الحديث غير ذلك وهو أنّ زياداً أطال الخطبة في يوم جمعة فتأخرت الصلاة فأنكر حجر ونادى بالصلاة فلم يلتفت إليه . وخشي فَوْت الصلاة فحصبه بكف من الحصباء ، وقام إلى

(١) هذه العبارة غير واضحة وفي الكامل لابن الاثيرج ٣ ص ٤٨٥ «وإني والله إن جزعتُ من القتل لا اقول ما يسخط الرّبّ . فقتلوه وقتلوا ستة . فقال عبد الرحمن بن حسّان العنزي وكريم الخثعمي : ابعثوا بنا الى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته» .

الصلاة فقام الناس معه فخافهم زياد ونزل فصلى . وكتب إلى معاوية وعظّم عليه الأمر ، فكتب إليه أن يبعث به موثقاً في الحديد وبعث من يقبض عليه فكان ما مرّ . ثم قبض عليه وحمله إلى معاوية ، فلما رآه معاوية أمر بقتله فصلى ركعتين وأوصى من حضره من قومه لا تفكوا عني قيدا ولا تغسلوا دماً فإني لاقٍ معاوية غداً على الجادَّة وقتل(اهـ) .(وقالت) عائشة لمعاوية : أين حملك عن حجر؟ قال : لم يحضرني رشيد (اهـ).(وكان) زياد قد ولّى الربيع بن زياد الحارثيّ على خراسان سنة إحدى وخمسين بعد أن هلك حسن بن عمر الغفاري وبعث معه من جند الكوفة والبصرة خمسين ألفاً فيهم بُـرَيْـدَة بن الحصيب ، وأبو بَـرْزَة الأسْلَمِي من الصحابة وغزا بَـلْخ ففتحها صلحاً ، وكانوا انتقضوا بعد صلح الأحمق بن قيس . ثم فتح قَـهَـسْتَـان عنوة واستلحم من كان بناحيتها من التُـرْكِ ، ولم يفلت منهم إلاّ قِيزِل طُرْخَان وقتله قُـتَـيْـبَـة ابن مسلم في ولايته فلما بلغ الربيع بن زياد بخراسان قتل حجر سخط لذلك وقال : لا تزال العرب تقتل بعده صبراً ولو نكروا قتله منعوا أنفسهم من ذلك ، لكنهم أقرّوا فذلوا.ثم دعا بعد صلاة جمعة لأيام من خبره وقال للناس : إني قد مللت الحياة ، واني داع فأمّنوا ثم رفع يديع وقال : اللهمّ إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلاً وأمّن الناس . ثم خرج فما تواترت ثيابه حتى سقط ، فحمل إلى بيته ، واستخلف إبنه عبدالله ومات من يومه . ثم مات ابنه بعده بشهرين واستخلف خَليدَ ابن عبدالله الحنفي وأقرّه زياد .

* (وفاة زياد) * ثم مات زياد في رمضان سنة ثلاث وخمسين بطاعون أصابه في يمينه يقال بدعوة ابن عمر ، وذلك أنّ زياداً كتب إلى معاوية إني ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة فاشغلها بالحجاز ، فكتب له عهده بذلك ، وخاف أهل الحجاز وأتوا عبدالله بن عمر يدعو لهم الله أن يكفيهم ذلك فاستقبل القبلة ودعا معهم وكان من دعائه : اللهمَّ اكفناه ، ثم كان الطاعون فأصيب في يمينه فأشير عليه بقطعها فاستدعى شُرَيْحاً القاضي فاستشاره فقال إن يكن الأجل فرغ فتلقى الله أجذم[1]

---

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ٣ ص ٤٩٤ «فقال له شريح : إني أخشى أن يكون الأجل قددنا فتلقى الله أجذمَ وقد قطعت يدك كراهية لقائه» «وفي مروج الذهب ما يؤخذ منه تسويده وعباراته وانه شاور شريحاً في قطعها ، فقال له : لك رزق مقسوم ، وأجل معلوم ، وإني اكره ان كانت لك مدة ان تعيش أجذم ، وإن حم أجلك أن تلق ربك مقطوع اليد . فإذا سألك لِمَ قطعتها ؟ قلت بغضاً للقائك وفراراً من قضائك اهـ . » ج ٣ ص ٢٧ .

كراهية في لقائه وإلاّ فتعيش أقطع ، ويعيّر ولدك فقال : لا أبيت والطاعون في لحاف واحد ، واعتزم على قطعها فلما نظر إلى النار والمكاوي جزع وتركه ، وقيل تركه لإشارة شريح وعذل الناس شريحاً في ذلك فقال : المستشار مؤتمن . ولما حضرته الوفاة قال له ابنه : قد هيأت لكفنك ستين ثوباً فقال : يا بني قددنا لأبيك لباس خير من لباسه . ثم مات ودفن بالتَّوْسَةِ قرب الكوفة ، وكان يلبس القميص ويرقعه ، ولما مات استخلف على الكوفة عبدالله بن خالد بن أُسَيْد وكان خليفته على البصرة عبدالله بن عمر بن غَيْلان وعزل بعد ذلك عبدالله بن خالد عن الكوفة وولّى عليها الضحّاك بن قَيْس .

* (ولاية عبيد الله بن زياد على خراسان ثم على البصرة) *

ولما قدم إبنه عبيد الله على معاوية وهو ابن خمس وعشرين سنة قال : من استعمل أبوك على المصرين ؟ فأخبره فقال : لو استعملك لاستعملتك . فقال عبيد الله : أنشدك الله أن يقول لي أحد بعدك لو استعملك أبوك وعمك استعملتك . فولاّه خراسان ووصّاه فكان من وصيته : إتقِ الله ولا تُؤثِرَنّ على تقواه شيأً ، فإنّ في تقواه عِوَضاً وقِ عرضك من أن تدنسه ، وإن أعطيتَ عهداً فأوفِ به ، ولا تتبعنّ كثيراً بقليل ، ولا يخرجن منك أمر حتى تبرمَه فإذا خرج فلا يردنّ عليك . وإذا لقيت عدوّك فكبِّر أكبر من معك ، وقاسمهم على كتاب الله ، ولا تطمعنّ أحداً في غير حقه ، ولا تؤيسنّ أحداً من حق هو له . ثم ودّعه فسار إلى خراسان أوّل سنة أربع وخمسين ، وقدم إليها أسْلَمُ بن زُرْعَةَ الكِلاَبي ، ثم قدم فقطع النهر إلى جبال بُخارَى على الإبل ففتح رامينَ ونَسَفَ وَسْكَنْد ولقيه الترك فهزمهم وكان مع ملكهم امرأته خاتون ، فأعجلوها عن لبس خفيها ، فأصاب المسلمون أحدهما وقوّم بمائتي ألف درهم . وكان عُبَيْدُالله ذلك اليوم يحمل عليهم وهو يطعن حتى يغيب عن أصحابه ثم يرفع رايته تقطر دماً . وكان هذا الزحف من زحوف خراسان المعدودة ، وكانت أربعة منها للأحْنَف بن قَيْس بِقَهَسْتَانَ والمَرِعَات وزحف لعبدالله بن حازم قضى فيه جموع فاران وأقام عبيدالله والياً على خراسان سنتين وولاه معاوية سنة خمس وخمسين على البصرة . وذلك أنّ ابن غَيْلان خطب وهو أمير على البصرة ، فحصبه رجل من بني ضَبَّة فقطع يده فأتاه بنو ضبة يسألونه الكتاب إلى معاوية بالاعتذار

عنه ، وأنه قطع على أمر لم يصح ، مخافة أن يعاقبهم معاوية جميعاً فكتب لهم وسار ابن غَيْلاَن إلى معاوية رأس السنة وأوفاه الضَبّيُّون بالكتاب ، فادّعوا أنّ ابن غَيْلان قطع صاحبهم ظلماً فلما قرأ معاوية الكتاب قال : أمّا القَوْدُ من عمّالي فلا سبيل إليه ، ولكن أدي صاحبكم من بيت المال وعزل عبدالله بن غَيْلاَن عن البصرة ، واستعمل عليها عبيدالله بن زياد ، فسار إليها عبيدالله وولّى على خراسان أسْلَم بن زرعة الكِلابي فلم يغز ولم يفتح .

* (العهد ليزيد) *

ذكر الطبري بسنده قال : قدم المغيرة على معاوية فشكا إليه الضعف ، فاستعفاه فأعفاه وأراد أن يولّي سعيد بن العاص وقال أصحاب المغيرة للمغيرة : إنّ معاوية قلاك ، فقال لهم : رويداً ونهض إلى يزيد وعرض له بالبيعة . وقال ذهب أعيان الصحابة وكبراء قريش وورادوا أسنانهم ، وإنما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وسياسةً ، وما أدري ما يمنع أمير المؤمنين من العهد لك فأدّى ذلك يزيد إلى أبيه واستدعاه وفاوضه في ذلك . فقال : قد رأيت ما كان من الاختلاف وسفك الدماء بعد عثمان وفي يزيد منك خلف ، فاعهد له يكون كهفاً للناس بعدك فلا تكون فتنة ولا يسفك دم وأنا أكفيك الكوفة ويكفيك ابن زياد البصرة فردّ معاوية المغيرة إلى الكوفة ، وأمره أن يعمل في بيعة يزيد فقدم الكوفة وذاكر من يرجع إليه من شيعة بني أمية فأجابوه ، وأوفد منهم جماعة مع إبنه موسى فدعاه إلى عقد البيعة ليزيد . فقال : أوَقد رضيتموه؟ قالوا : نعم ! نحن ومَنْ وراءَنا . فقال : ننظر ما قدمتم له ويقضي الله أمره ، والأناة خير من العجلة ثم كتب إلى زياد يستنيره بفكر[1] .

وكف عن هدم دار سعيد وكتب سعيد إلى معاوية يعذله في إدخال الظعينة بين قرابته ويقول لو لم تكن بني أب واحد لكانت قرابتنا ما جمعنا الله عليه من نصرة الخليفة المظلوم يجب عليك أن تدعي ذلك فاعتذر له معاوية وتنصّل . وقدم سعيد عليه وسأله عن مروان فأثنى خيراً فلما كان سنة سبع وخمسين عزل مروان وولّى مكانه الوليد بن عُتْبَة بن أبي سُفْيَان وقيل سنة ثمان[2] .

(١) بياض بالاصل وفي تاريخ الطبري «حدثني الحارث قال : حدثنا علي عن مسلمة ،قال : لما اراد معاوية=

(٢) هذا المقطع غير منسجم مع العنوان : العهد ليزيد ، فهو يتكلم عن عزل سعيد بن العاص وتولية مروان بن الحكم مكانه ، وأمره مروان بهدم دار سعيد والقصة مذكورة في مكان سابق من هذا الكتاب .

٥٠٦ — ٥١١ — طبعة دار صادر ١٩٦٥

=ان يبايع ليزيد كتب الى زياد يستشيره . فبعث زياد إلى عبيد ابن كعب النميري فقال : ان لكل مستبشر ثقة ولكل سر مستودع وان الناس قد أبدعت من خصلتان : اذاعة السر واخراج النصيحة إلى غير أهلها . وليس موضع السر إلا أحد رجلين : رجل آخره يرجو ثواباً ، ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه ، وقد عجمتها منك فاحمدت الذي قبلك . وقد دعوتك لأمر اتهمت عليه بطون الصحف . ان أمير المؤمنين كتب إلي يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد وهو يتخوف نفرة الناس ويرجو مطابقتهم ويستشيرني وعلاقة أمر الاسلام وضمانه عظيم . ويزيد صاحب رسلة وتهاون ، مع ما قد أولع به من الصيد ، فالق أمير المؤمنين مؤدياً عني ، فأخبره عن فعلات يزيد ، فقل له : رويدك بالأمر ، فأقمن ان يتم لك ولا تعجل . فان دركاً في تأخير خير من تعجيل عاقبته الفوت .

فقال عبيد له افلا غير هذا ؟ قال ما هو؟ قال :لا تفسد على معاوية رأيه ولا تمقت اليه ابنه ، وألقى أنا يزيد سراً من معاوية فأخبره عنك ان امير المؤمنين كتب اليك يستشيرك في بيعته ، وأنك تخاف خلاف الناس لهنات ينقمونها عليه ، وانك ترى له ترك ما ينقم عليه ، فيستحكم لأمير المؤمنين الحجة على الناس ويسهل لك ما تريد . فتكون قد نصحت يزيد وأرضيت أمير المؤمنين ، فسلمت مما تخاف من علاقة أمر الأمة .

فقال زياد : رميت الأمر بحجره ، اشخص على بركة الله ، فان أصبت فما لا ينكر وان يكن خطأ فغير مستغش وابعد بك انشاء الله من الخطأ . قال تقول بما ترى ويقضي الله بغيب ما يعلم ، فقدم على يزيد فذاكره ذلك . وكتب زياد الى معاوية يأمره بالتؤدة وان لا يعجل فقبل ذلك معاوية ، وكف يزيد عن كثير مما كان يصنع ، ثم قدم عبيد على زياد فاقطعه قطيعة » . الطبري ج ٦ ص ١٦٩ — ١٧٠ .

وورد في الكامل لابن الاثير بعد ذكر الرواية المذكورة أعلاه عن الطبري بفارق قليل : ج ٣ ص ٥٠٧ .

« فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد فأرسل الى عبدالله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها ، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر : هذا اراد ان ديني عندي إذن لرخيص وامتنع ، ثم كتب معاوية بعد ذلك الى مروان بن الحكم : إني قد كبرت سني ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي . وقد رأيت ان اتخير لهم من يقوم بعدي ، وقد كرهت ان اقطع امراً دون مشورة من عندك ، فاعرض ذلك عليهم واعلمني بالذي يردون عليك . فقام مروان بالناس فأخبرهم به . فقال الناس : أصاب ووفق ، وقد أحببنا ان يتخير لنا فلا يألو .

فكتب مروان الى معاوية بذلك ، فأعاد اليه الجواب يذكر يزيد ، فقام مروان فيهم وقال : ان امير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل ، وقد استخلف ابنه يزيد بعده . فقام عبد الرحمن بن ابي بكر فقال : كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ، ما الخيار أردتما لأمة محمد ، ولكنكم تريدون ان تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل . فقال مروان : هذا الذي أنزل الله فيه « والذي قال لوالديه أف لكما » الآية . فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء حجاب وقالت : يا مروان يا مروان ! فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه فقالت : أنت القائل لعبد الرحمن أنه نزل فيه القرآن ؟ كذبت والله وما هو به ولكنه فلان بن فلان ولكنك أنت فضض من لعنة نبي الله .

وقام الحسين بن عليّ فأنكر ذلك ، وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير . فكتب مروان بذلك إلى معاوية ، وكان معاوية قد كتب الى عماله بتقريظ يزيد ووصفه وان يوفدوا اليه الوفود من الأمصار...

ثم ذكر الوفود التي وفدت على معاوية ويزيد وذكر كلام المتكلمين بهذا الشأن . وسفر معاوية الى المدينة ثم الى مكة الى ان قال ص ٥١٠ : ثم أقبل معاوية على ابن الزبير فقال : هات لعمري انك خطيبهم فقال : نعم نخيرك بين ثلاث خصال . قال اعرضهن قال : تصنع كما صنع رسول الله (ص) أو كما صنع أبو بكر أوكما صنع عمر . قال معاوية : ما صنعوا ؟ قال : قبض رسول الله (ص) ولم يستخلف=

=أحداً فارتضى الناس ابا بكر. قال : ليس فيكم مثل ابي بكر وأخاف الاختلاف قالوا : صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر فانه عهد الى رجل من قاصية قريش ليس من بني ابيه فاستخلفه ، وان شئت فاصنع كما صنع عمر ، جعل الامر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه .
قال معاوية : هل عندك غير هذا ؟ قال لا ! ثم قال : فانتم ! قالوا : قولنا قوله . قال : فاني قد أحببت ان اتقدم اليكم انه قد اعذر من انذر ، أني كنت أخطب فيكم فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس ، فأحمل ذلك وأصفح واني قائم بمقالة ، فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم بكلمة في مقامي هذا لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه ، فلا يبقين رجل إلا على نفسه . ثم دعا صاحب حرسه في حضرتهم فقال : أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف ، فان ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما . ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
ان هؤلاء الرهط من المسلمين وخيارهم لا يبتز أمر دونهم ولا يقضى إلا عن مشورتهم وأنهم رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله . فبايع الناس ، وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر ، ثم ركب رواحله وانصرف الى المدينة .
فلقي الناس أولئك النفر فقالوا لهم : زعمتم انكم لا تبايعون فلم رضيتم وأعطيتم وبايعتم ؟ قالوا : والله ما فعلنا . فقالوا : ما منعكم ان تردوا على الرجل . قالوا : كادنا وخفنا القتل . وبايعه أهل المدينة ثم انصرف الى الشام» ص ٥١١

عزل الضحاك عن الكوفة وولاية ابن أمّ الحكم ثم النعمان بن بشير

عزل معاوية الضحاك عن الكوفة سنة ثمان وخمسين وولى مكانه عبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان الثقفي وهو ابن أمّ الحكم أخت معاوية فخرجت عليه الخوارج الذين كان المغيرة حبسهم في بيعة المُسْتَوْرِد بن عَلْقَمَة ، وخرجوا من سجنه بعد موته فاجتمعوا على حَيَّان بن ضَبْيَان السَلَمِيّ ومعاذ بن جرير الطائي ، فسيّر إليهم عبد الرحمن الجيش من الكوفة فقتلوا أجمعين كما يذكر في أخبار الخوارج . ثم إنّ أهل الكوفة نقلوا عن عبد الرحمن سوء سيرته ، فعزله معاوية عنهم وولّى مكانه النعمان بن بشير . وقال : أوليك خيراً من الكوفة ، فولّاه مِصْرَ ، وكان عليها معاوية بن خديج السَكُوني ، وسار إلى مصر فاستقبله معاوية على مرحلتين منها ، وقال : إرجع إلى حالك لا تسر فينا سيرتك في إخواننا أهل الكوفة فرجع إلى معاوية وأقام معاوية بن خديج في عمله .

(ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان) وفي سنة تسع وخمسين قدم عبد الرحمن بن زياد وافداً على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين أما لنا حق ؟ قال : بلى ! فماذا قال توليني ؟ قال : بالكوفة النعمان بن بشير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالبصرة وخراسان عبيد الله أخوك ، وبسجستان عبّاد أخوك ولا أرى ما يشبهك إلاّ أن أشركك في عمل عبيد الله فإن عمله واسع يحتمل الشركة فولاّه خراسان فسار إليها ، وقدّم بين يديه قَيْس بن الهيثم السَلَميّ ، فأخذ أَسْلَمَ بن زُرعة وحبسه . ثم قدم عبد الرحمن فأغرمه ثلثمائة ألف درهم وأقام بخراسان وكان مُتَضَعِّفاً لم يُقرّ قط . وقدم على يزيد بين يدي قتل الحسين ، فاستخلف على خراسان قَيْسَ بن الهيْثم . فقال له يزيد : كم معك من مال خراسان ؟ قال عشرون ألف درهم فخيّره بين أخذها بالحساب وردّه إلى عمله أو تسويغه إياها وعزله ، على أن يعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم ، فاختار تسويغها والعزل . وبعث إلى إبن جعفر بألف ألف وقال نصفها من يزيد ونصفها مني . ثم إنّ أهل البصرة وفدوا مع عبيد الله بن زياد على معاوية فأذن له على منازلهم ودخل الأحنف آخرهم وكان هيأ المنزلة من عبيد الله فرحب به معاوية وأجلسه معه على سريره . ثم تكلم القوم وأثنوا على عبيد الله وسكت الأحنف ، فقال معاوية : تكلم يا أبا بحر فقال أخشى خلاف القوم ، فقال : انهضوا فقد عزلت عنكم عبيد الله واطلبوا والياً ترضونه ، فطفق القوم يختلفون إلى رجال بني أمية وأشراف الشام ، وقعد الأحنف في منزله ، ثم أحضرهم معاوية وقال : من اخترتم فسمّى كل فريق رجلاً والأحنف ساكت . فقال معاوية : تكلم يا أبا بحر فقال : إن ولّيت علينا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحداً ، وإن ولّيت من غيرهم ينظر في ذلك قال : فإني قد أعدته عليكم ، ثم أوصاه بالأحنف وقبّح رأيه في مباعدته ولما هاجت الفتنة لم يعزله غير الأحنف ثم أخذ على وفد البصرة البيعة لابنه يزيد معهم .

(بقية الصوائف) دخل بسْرٌ بن أَرْطَاة سنة إثنتين وخمسين أرض الروم وشتّى بها وقيل رجع ونزل هنالك سُفْيَان بن عَوْف الأزدِيّ فشتىّ بها وتوفي هنالك اهـ . وغزا بالصائفة محمد بن عبد الله الثقفيّ ، ثم دخل عبد الرحمن ابن أمّ الحكم سنة ثلاث وخمسين إلى أرض الروم وشتىّ بها وافتتحت في هذه السنة رودس ، فتحها جُنَادَةَ بن أبي أميّة الأَزْدِيّ ونزلها المسلمون على حذر من الروم ، ثم كانوا يعترضونه في البحر

ويأخذون سفنه ، وكان معاوية يدركهم بالعطاء حتى خافهم الروم ثم نقلهم يزيد في ولايته . ثم دخل سنة أربع وخمسين الى بلاد الروم محمد بن مالك وشتى بها وغزا بالصائفة[1] ابن يزيد السَلَمِيّ ، وفتح المسلمون جزيرة أَرْوَى قرب القُسطَنطِينيّة ومقدمهم جُنَادَة بن أبي أمية ، فملكوها سبع سنين ونقلهم يزيد في ولايته وفي سنة خمس وخمسين كان شتّى سفيان بن عوف بأرض الروم ، وقيل عُمَر بن محرِز وقيل عبد الله بن قَيس . وفي سنة ست وخمسين كان شتّى جُنادَة بن أبي أُميّة ، وقيل عبد الرحمن بن مسعود ، وقيل غزا في البحر يزيد ابن سمرَة . وفي البرّ عِياضُ بن الحرث . وفي سنة سبع وخمسين كان شتّى عبد الله بن قيس بأرض الروم . وغزا مالك بن عبد الله الخثْعميّ في البرّ ، وعمر بن يزيد الجهَنيّ في البحر . وفي سنة ثمان وخمسين كان شتّى عُمَر بن مُرّة الجَهَنيّ بأرض الروم ، وغزا في البحر جُنَادَة بن أميّة . وفتح المسلمون في هذه السنة حصْن كَفَخ من بلاد الروم ، وعليهم عُميرٌ بن الحَبَاب السَلَميّ صعد سورها وقاتل عليه وحده حتى انكشف الروم وفتحه . وفي سنة ستين غزا مالك بن عبد الله سُوَيَّة وملك جُنادَة بن أبي أمية رودُس وهدم مدينتها .

(وفاة معاوية) وتوفي معاوية سنة ستين وكان خطب الناس قبل موته وقال : إني كزرع مستحصد وقد طالت إمارتي عليكم حتى مللتكم ومللتموني ، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي ولن يأتيكم بعدي إلا من أنا خير منه ، كما أنّ من كان قبلي خير مني . وقد قيل من أحب لقاء الله أحبّ الله لقاءه . اللهمّ إني قد أحببت لقاءك فاحبب لقائي وبارك لي . فلم يمض إلا قليل حتى ازداد به مرضه فدعا إبنه يزيد وقال : يا بنيّ إني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الأمور وأخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد . وإني لا أخاف عليك أن ينازعك هذا الأمر الذي انتسب لك إلا أربعة نفر من قريش : الحسين بن عليّ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزُبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر . فأمّا ابن عمر فرجل قد وقذته العبادة ، وإذا لم يبق غيره بايعك . وأمّا الحسين فإنّ أهل العراق لم يدعوه حتى يخرجوه ، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه ، فإنّ له رحماً ما مثله وحقاً

(١) بياض في الاصل وفي الطبري ج ٣ ص ١٦٤ : «ففيها كان مشتى محمد بن مالك أرض الروم وصائفة معن بن يزيد السلمي» .

عظيماً . وأمّا ابن أبي بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيأ صنع مثله وليس له هِمّة إلاّ في النساء . وأمّا الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك روغان الثعلب واذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها بك وقدرت عليه فقطعه إرْباً إرْباً . هذا حديث الطبري عن هاشم وله عن هاشم من طريق آخر قال : لما حضرت وفاة معاوية سنة ستين كان يزيد غائبا فدعا بالضحّاك بن قيس الفهريّ وكان صاحب شرطته ، ومُسْلِم بن عُتْبَة المُزْنيّ فقال : أبلغا يزيد وصيتي ، انظر أهل الحجاز فإنهم أهلك فأكرم من قدم إليك منهم وتعاهد من غاب . وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل ، فإن عزل عامل أخف من أن يشهر عليك مائة ألف سيف . وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك ، وإن رابك شيء من عدوّك فانتصر بهم ، فإذا أصبتم فاردد أهل الشآم إلى بلادهم ، فإنهم إن قاموا بغير بلادهم تغيّرت أخلاقهم ولست أخاف عليك من قريش إلاّ ثلاثاً ولم يذكر في هذا الطريق عبد الرحمن بن أبي بكر . وقال في ابن عمر : قد وقذه الدين فليس ملتمساً شيأً قبلك وقال في الحسين : ولو أني صاحبه عفوت عنه . وأنا أرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه . وقال في ابن الزبير : اذا شخص إليك فالبد له إلا أن يلتمس منك صلحاً فاقبل واحقن دماء قومك ما استطعت .

(وتوفي في منتصف رجب) ويقال جمادي لتسع عشرة سنة وأشهر من ولايته وكان على خاتمه عبد الله بن مُحْصِن الحِمْيَرِيّ وهو أوّل من اتخذ ديوان الخاتم ، وكان سببه أنه أمر لعُمر بن الزُبَيْر بمائة ألف درهم ، وكتب له بذلك إلى زياد بالعراق ، ففض عمر الكتاب وصيّر المائة مائتين ، فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية ، وأخذ عمر بردّها وحبسه فأدّاها عنه أخوه عبد الله فأحدث عند ذلك ديوان الخاتم ، وحزم الكتب ولم تكن تحزم وكان على شرطته قَيْس بن همْزَة الهمدَاني ، فعزله ابن بيْدِ بن عمرالعدْويّ ،وكان على حرسه المختار من مواليه . وقيل أبو المحارى مالك مولى حُمَيْرَة وهو أوّل من اتخذ الحرس . وعلى حجابه مولاه سعد ، وكان كاتبه وصاحب أمره سرْجون بن منصور الرومي ، وعلى القضاء فضالة بن عبدالله الأنصاري وبعده أبو دُوَيْس عائذ بن عبد الله الخوْلانيّ .

* (بيعة يزيد) *

بويع يزيد بعد موت أبيه وعلى المدينة الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان ، وعلى مكة عمر

ابن سعيد بن العاص ، وعلى البصرة عُبَيْدالله بن زياد ، وعلى الكوفة النُعْمانُ بن بشير . ولم يكن همّه إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته ، فكتب إلى الوليد بموت معاوية ، وأن يأخذ حسيناً وابن عمر وابن الزبير بالبيعة من غير رخصة فلما قرأ مروان الكتاب بنعي معاوية ، استرجع وترحم ، واستشار الوليد في أمر أولئك النفر ، فأشار عليه أن يحضرهم لوقته فإن بايعوا وإلا قتلتهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، فيثب كل رجل منهم في ناحية ، إلاّ ابن عمر فإنه لا يحب القتال ، ولا يحب الولاية ، إلا أن يرفع إليه الأمر . فبعث الوليد لوقته عبد الله بن عمروبن عثمان وهو غلام حدث ، فجاء إلى الحسين وابن الزبير في المسجد في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس وقال : أجيبا الأمير فقالا : لا تنصرف إلا أن نأتيه ، ثم حدّثا فيما بعث إليهما ، فلم يعلموا ما وقع . وجمع الحسين فتيانه وأهل بيته وسار اليه فأجلسهم بالباب ، وقال إنّ دعوتكم أو سمعتم صوتي عاليا فادخلوا بأجمعكم . ثم دخل فسلّم ومروان عنده فشكرهما على الصلة بعد القطيعة ، ودعا لهما بإصلاح ذات البين فأقرأه الوليد الكتاب بنعي معاوية ودعاه إلى البيعة ، فاسترجع وترحم وقال : مثلي لا يبايع سراً ولا يكتفى بها مني ، فإذا ظهرت إلى الناس ودعوتهم كان أمرنا واحداً وكنت أوّل مجيب فقال الوليد وكان يحب المسالمة : انصرف . فقال مروان : لا يقدر منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينك وبينهم ، ألزمه البيعة وإلا اضرب عنقه . فوثب الحسين وقال أنت تقتلني أو هو ! كذبت والله ! وانصرف إلى منزله . وأخذ مروان في عذل الوليد . فقال : يا مروان والله ما أحب أنّ لي ما طلعت الشمس من مال الدنيا وملكها ، وأني قتلت الحسين إن قال لا أبايع . واما ابن الزبير فاختفى في داره وجمع أصحابه ، وألح الوليد في طلبه ، وبعث مواليه فشتموه وهدّدوه ، وأقاموا ببابه في طلبه ، فبعث ابن الزبير أخاه جعفرا يلاطف الوليد ويشكو ما أصابه من الذعر ، ويعده بالحضور من الغداة ، وأن يصرف رسله من بابه ، فبعث إليهم وانصرفوا . وخرج ابن الزبير من ليلته مع أخيه جعفر وحدهما ، وأخذا طريق الفرع إلى مكة فسرح الرحالة في طلبه فلم يدركوه ورجعوا وتشاغلوا بذلك عن الحسين سائر يومه . ثم أرسل إلى الحسين يدعوه فقال : أصبحوا وترون وفري . وسار في الليلة الثانية ببنيه وإخوته وبني أخيه إلا محمد بن الحنفية ، وكان قدْ نصحه وقال تنحّ عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت ، وابعث دعاتك إلى الناس ، فإن أجابوك فاحمد الله ، وإن

اجتمعوا على غيرك فلم يضرّ بذلك دينك ولا عقلك ، ولم تذهب به مروأتك ولا فضلك ، وأنا أخاف أن تأتي مصراً أو قوماً فيختلفون عليك ، فتكون الأوّل إساءة . فإذاً خير الأمّة نفساً وأباً أضيعها ذماراً وأذلها . قال له الحسين : فإني ذاهب قال : إنزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك ، وإن فاتت بك لحقت بالرمال وشعب الجبال . ومن بلد إلى آخر حتى ننظر مصير أمر الناس ، وتعرف الرأي فقال يا أخي نصحت وأشفقت ! ولحق بمكة . وبعث الوليد إلى ابن عمر ليبايع فقال : أنا أبايع أمام الناس ، وقيل ابن عمر وابن عبّاس كانا بمكة ، ورجعا إلى المدينة فلقيا الحسين وابن الزبير وأخبراهما بموت معاوية وبيعة يزيد . فقال ابن عمر : لا تفرّقا جماعة المسلمين ، وقدم هو وابن عبّاس المدينة وبايعا عنه بيعة الناس ولما دخل ابن الزبير مكة وعليها عمر بن سعيد قال : أنا عائذ بالبيت ، ولم يكن يصلي ولا يقف معهم ويقف هو وأصحابه ناحية .

* (عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد) *

ولما بلغ الخبر إلى يزيد بصنيع الوليد بن عُتبَة في أمر هؤلاء النفر ، عزله عن المدينة واستعمل عليها عمر بن سعيد الأشرق فقدمها في رمضان واستعمل على شرطته عمر ابن الزبير بالمدينة لما كان بينه وبين أخيه من البغضاء ، وأحضر نفراً من شيعة الزبير بالمدينة فضربهم من الأربعين إلى الخمسين إلى الستين ، منهم المنذر بن الزبير وابنه محمد ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وعثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام ومحمد ابن عمار بن ياسر وغيرهم . ثم جهّز البعوث إلى مكة سبعمائة أو نحوها ، وقال لعمر بن الزبير : من نبعث إلى أخيك ؟ فقال : لا تجد رجلاً أنكى له مني . فجهز معه سبعمائة مقاتل فيهم أُنَيس بن عمرو الأسْلَمِي . وعذله مروان بن الحكم في غزو مكة وقال له : إتق الله ولا تحلّ حرمة البيت فقال : والله لنغزونه في جوف الكعبة وجاء أبو شُرَيْح الخُزاعيّ إلى عمر بن سعيد فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار ، ثم عادت كحرمتها بالأمس . فقال له عمر : نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ . وقيل إنّ يزيد كتب إلى عمر بن سعيد أن يبعث عمر بن الزبير بالجيش إلى أخيه ، فبعثه في ألفي مقاتل وعلى مقدّمته أنيس . فنزل أنيس بذي طُوى ونزل عمر بالأبْطح وبعث إلى أخيه أن برَّ يمين

يزيد ، فإنه حلف أن لا يقبل بيعة إلاّ أن يؤتى بك في جامعه فلا يضرب الناس بعضهم بعضاً ، فإنك في بلد حرام . فأرسل عبدالله بن الزبير من اجتمع له من أهل مكة مع عبدالله بن صَفْوَان فهزموا أنيساً بذي طُوى وقتل أنيس في الهزيمة وتخلّف عن عمر بن الزبير أصحابه فدخل دار ابن علقمة وأجاره عبدة بن الزبير. وقال لأخيه : قد أجرته فأنكر ذلك عليه . وقيل : إنّ صفْوان قال لعبدالله بن الزبير : أكفني أخاك أنا أكفيك أنيس بن عمرو، وسار إلى أنيس فهزمه وقتله . وسار مصعب بن عبد الرحمن إلى عمر فتفرّق عنه أصحابه ، وأجاره أخوه عبدة ، فلم يجز أخوه عبدالله جواره وضربه بكل من ضربه بالمدينة وحبسه بسجن عارم ومات تحت السياط .

* (مسير الحسين إلى الكوفة ومقتله) *

ولما خرج الحسين إلى مكة لقيه عبدالله بن مطيع وسأله أين تريد ؟ فقال : مكة وأستخير الله فيما بعد ، فنصحه أن لا يقرب الكوفة ، وذكره قتلهم أباه وخذلانهم أخاه ، وأن يقيم بمكة لا يفارق الحرم حتى يتداعى إليه الناس . ورجع عنه وترك الحسين بمكّة فأقام والناس يختلفون إليه ، وابن الزبير في جانب الكعبة يصلي ويطوف عامة النهار ، ويأتي الحسين فيمن يأتي ويعلم أنّ أهل الحجاز لا يلقون إليه مع الحسين . ولما بلغ أهل الكوفة بيعة يزيد ولحاق الحسين بمكة اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صُرَد وكتبوا إليه عن نفر منهم سليمان والمسيب بن محمد ، ورفَاعة بن شدّاد ، وحبيب ابن مُظَاهِر وغيرهم يستدعونه وأنهم لم يبايعوا للنُعمان ، ولا يجتمعون معه في جمعة ولا عيد ، ولو جئتنا أخرجناه وبعثوا بالكتاب مع عبدالله بن سِبع الهمداني ، وعبدالله بن وال ثم كتبوا إليه ثانياً بعد ليلتين نحو مائة وخمسين صحيفة ، ثم ثالثا يستحثونه للحاق بهم كتب له بذلك شيث بن رَبْعيّ وحِجَاز بن ابجر ويزيد بن الحرث ويزيد بن رُوَيْم وعُرْوَة بن قيس وعُمر بن الحجّاج الزُبَيْدِي ومحمد بن عُمَيْر التميمي فأجابهم الحسين : فهمت ما قصصتم وقد بعثت إليكم ابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل ، يكتب إليّ بأمركم ورأيكم ، فإن اجتمع ملؤكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم عليكم قريبا . ولعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب ، القائم بالقِسط ، الدين بدين الحق . وسار مسلم فدخل المدينة وصلى في المسجد وودّع أهله واستأجر دليلين من قَيْس فضلاّ الطريق وعطش القوم فمات الدليلان بعد أن أشارا

إليهم بموضع الماء ، فانتهوا إليه وشربوا ونجوا فتطيّر مسلم من ذلك ، وكتب إلى الحسين يستعفيه . فكتب إليه خشيت أن لا يكون حملك على ذلك إلاّ الجبن ، فامض لوجهك والسلام . وسار مسلم فدخل الكوفة أوّل ذي الحجة من سنة ستين ، واختلف إليه الشيعة وقرأ عليهم كتاب الحسين ، فبكوا ووعدوه النصر وعلم مكانه النُعمَان بن بشير أمير الكوفة وكان حليما يجنح إلى المسالمة ، فخطب وحذّر الناس الفتنة . وقال : لا أقاتل من لا يقاتلني ولا آخذ بالظِنّة والتهمة ، ولكن إن نكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم فوالله لأضربنّكم بسيفي ما دام قائمته بيدي ، ولو لم يكن لي ناصر فقال له بعض حلفاء بني أمية : لا يصلح ما ترى إلا الغشم ، وهذا الذي أنت عليه مع عدوّك رأي المستضعفين فقال : أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب اليّ من أن أكون من الأعزين في معصية الله . ثم تركه فكتب عبدالله بن مسلم وعمارة بن الوليد وعمارة بن سعد بن أبي وقّاص إلى يزيد بالخبر ، وتضعف النعمان وضعفه فابعث إلى الكوفة رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل عملك في عدوّك فأشار عليه سرجون[1]

---

(١) هنا بياض بالاصل نحو ثلاث ورقات . وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٢ وما بعدها (طبعة دار صادر) : « فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون مولى معاوية فأقرأه الكتب ، واستشاره فيمن يوليه الكوفة ، وكان يزيد عاتباً على عبيدالله بن زياد ، فقال له سرجون : أرأيت لو نشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه ؟ قال : نعم ! قال : فاخرج عهد عبيدالله على الكوفة . فقال : هذا رأي معاوية ، ومات وقد أمر بهذا الكتاب . فأخذ برأيه . وجمع الكوفة والبصرة لعبيدالله وكتب إليه بعهده وسيره اليه مع مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة ، فأمره بطلب مسلم بن عقيل وبقتله أو نفيه . فلما وصل كتابه إلى عبيدالله أمر بالتجهّز ليبرز من الغد . وكان الحسين قد كتب إلى أهل البصرة نسخة واحدة إلى الاشراف يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ... ص ٢٣ » .

وجاء في الطبري ج ٦ ص ٢٠٠ (طبعة مصر) : « وقد كان حسين كتب إلى أهل البصرة كتاباً . قال هشام ، قال أبو مخنف : حدثني الصقعب بن زهير عن أبي عثمان النهديّ قال : كتب حسين مع مولى لهم يقال له سليمان وكتب بنسخة إلى رؤوس الاخماس بالبصرة والى الاشراف . فكتب إلى مالك بن مُسمعَ البكري والى الاحنف بن قيس والى المنذر بن الجارود والى مسعود بن عمرو والى قيس بن الهيثم والى عمر بن عبدالله بن معمر . فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع اشرافها وهذا نصه : « أما بعد فان الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه ، واكرمه بنبوته واختاره لرسالته . ثم قبضه الله اليه . وقد نصح لعباده وبلغ ما ارسل به صلى الله عليه وسلم .

وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة . وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه . وقد أحسنوا وأصلحوا وتحرّوا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم . وقد بعثت رسولي اليكم بهذا الكتاب وانا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه (ص) . فان السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت ، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله . »

مسير الحسين إلى الكوفة ووقعة كربلاء :
انها وقعة عظيمة ، وهي ضمن الاوراق البيضاء في هذا الكتاب ، تاريخ العبر للعلامة ابن خلدون .
ذكرها الطبري باسهاب في الجزء السادس من ص (١٩٤) إلى ص (٢٧١) .
وذكرها ابن الأثير في تاريخ الكامل في ج ٤ ص ٣٧ وما بعدها إلى ص ٩٤ وقد اثبتنا هنا عن هذه الوقعة ما ورد في تاريخ المختصر في أخبار البشر لابي الفداء صاحب حماه ج ٢ . ص ١٠٤ — ١٠٧ طبعة بيروت . »
ومن أراد زيادة الاسهاب فليرجع الى التواريخ المطولة .

ذكر مسير الحسين إلى الكوفة
كما ورد بتاريخ ابو الفداء

وورد على الحسين مكاتبات يحثونه على المسير اليهم ليبايعوه ، وكان العامل عليها النعمان ابن بشير الانصاري ، فارسل الحسين إلى الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليأخذ البيعة عليهم ، فوصل إلى الكوفة وبايعه بها ، قيل ثلاثون الفاً ، وقيل ثمانية وعشرون الف نفس ، وبلغ يزيد عن النعمان بن بشير ما لا يرضيه ، فولى على الكوفة عبيدالله بن زياد وكان والياً على البصرة فقدم الكوفة ورأى ما الناس عليه ، فخطبهم وحثهم على طاعة يزيد بن معاوية ، واستمر مع مسلم بن عقيل من كان بايعه للحسين ، وحصروا عبيدالله بن زياد بقصره ، ولم يكن مع عبيدالله في القصر أكثر من ثلاثين رجلا ، ثم ان عبيدالله أمر أصحابه ان يشرفوا من القصر ويمنوا أهل الطاعة ويخذلوا أهل المعصية ، حتى ان المرأة ليأتي ابنها وأخاها فتقول انصرف ان الناس يكفونك ، فتفرق الناس عن مسلم ، ولم يبق مع مسلم غير ثلاثين رجلاً ، فانهزم واستتر ، ونادى منادي عبيدالله بن زياد من أتى بمسلم بن عقيل فله ديته ، فأمسك مسلم واحضر اليه ، ولما حضر مسلم بين يدي عبيدالله شتمه وشتم الحسين وعليا وضرب عنقه في تلك الساعة ، ورميت جيفته من القصر ، ثم أحضر هانيء بن عروة وكان ممن أخذ البيعة للحسين فضرب عنقه أيضا ، وبعث برأسيهما الى يزيد بن معاوية ، وكان مقتل مسلم بن عقيل لثمان مضين من ذي الحجة سنة ستين ، واخذ الحسين وهو بمكة في التوجه الى العراق ، وكان عبدالله بن عباس يكره ذهاب الحسين إلى العراق خوفاً عليه ، وقال للحسين يا ابن العم إني أخاف عليك أهل العراق ، فانهم قوم أهل غدر ، وأقم بهذا البلد فانك سيد أهل الحجاز ، وان أبيت الا أن تخرج فسر الى اليمن ، فان بها شيعة لابيك وبها حصون وشعاب ، فقال الحسين يا ابن العم اني أعلم والله أنك ناصح مشفق ، ولقد أزمعت واجمعت ، ثم خرج ابن عباس من عنده وخرج الحسين من مكة يوم التروية سنة ستين ، واجتمع عليه جمايع من العرب ، ثم لما بلغه مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وتخاذل الناس عنه ، اعلم الحسين من معه بذلك ، وقال من أحب أن ينصرف فلينصرف ، فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً ، ولما وصل الحسين الى مكان يقال له سراف ، وصل اليه الحر صاحب شرطة عبيدالله بن زياد في الفي فارس ، حتى وقفوا مقابل الحسين في حر الظهيرة ، فقال لهم الحسين ما أتيت الا بكتبكم فان رجعتم رجعت من هنا ، فقال له صاحب شرطة ابن زياد انا أمرنا ان لا نفارقك حتى نوصلك الكوفة بين يدي عبيدالله بن زياد ، فقال الحسين : الموت اهون من ذلك ، وما زالوا عليه حتى سار مع صاحب شرطة ابن زياد (ثم دخلت سنة احدى وستين) .

ذكر مقتل الحسين
كما ورد في تاريخ ابو الفداء

ولما سار الحسين مع الحر ورد كتاب من عبيدالله بن زياد الى الحر يأمره ان ينزل الحسين ومن معه على غير ماء ، فأنزلهم في الموضع المعروف بكربلا ، وذلك يوم الخميس ثاني المحرم من هذه السنة أي سنة

احدى وستين ، ولما كان من الغد قدم من الكوفة عمر بن سعد ابن أبي وقاص بأربعة آلاف فارس ، أرسله ابن زياد لحرب الحسين ، فسأله الحسين في أن يمكن اما من العود من حيث أتى ، واما ان يجهز الى يزيد بن معاوية ، واما ان يمكن أن يلحق بالثغور ، فكتب عمر الى ابن زياد يسأل أن يجاب الحسين الى أحد هذه الأمور ، فاغتاظ ابن زياد فقال لا ولا كرامة ، فأرسل مع شمر بن ذي الجوشن الى عمر بن سعد ، اما ان تقاتل الحسين وتقتله وتطأ الخيل جثته ، واما ان تعتزل ويكون الامير على الجيش شمر ، فقال عمر بن سعد بل اقاتله ، ونهض عشية الخميس تاسع المحرم من هذه السنة ، والحسين جالس امام بيته بعد صلاة العصر . فلما قرب الجيش منه سألهم مع أخيه العباس ان يمهلوه الى الغد ، وانه يجيبهم الى ما يختارونه فأجابوه إلى ذلك . وقال الحسين لأصحابه اني قد أذنت لكم فانطلقوا في هذا الليل وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم ، فقال اخوه العباس لم نفعل ذلك لنبقى بعدك ؟ لا أرانا الله ذلك أبداً ! ثم تكلم اخوته وبنو أخيه وبنو عبدالله بن جعفر في نحو ذلك ، وكان الحسين وأصحابه يصلون الليل كله ويدعون ، فلما أصبحوا ركب عمر بن سعد في اصحابه وذلك يوم عاشوراء من المذكورة ، وعبى الحسين اصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً . ثم حملوا على الحسين وأصحابه واستمر القتال الى وقت الظهر من ذلك اليوم ، فصلى الحسين وأصحابه صلاة الخوف . واشتد بالحسين العطش ، فتقدم ليشرب فرمي بسهم فوقع في فمه . ونادى شمر : ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ، فضربه زرعة بن شريك على كتفه ، وضربه آخر على عاتقه ، وطعنه سنان بن أنس النخعي بالرمح ، فوقع فنزل اليه فذبحه واحتز رأسه . وقيل ان الذي نزل واحتز رأسه هو شمر المذكور ، وجاء به الى عمر بن سعد ، فأمر عمر بن سعد جماعة فوطئوا صدر الحسين وظهره بخيولهم . ثم بعث بالرؤوس والنساء والاطفال الى عبيدالله بن زياد فجعل ابن زياد يقرع فم الحسين بقضيب في يده ، فقال له زيد بن أرقم ارفع هذا القضيب فوالذي لا اله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله (ص) على هاتين الشفتين . ثم بكى ، وروي انه قتل مع الحسين من اولاد علي أربعة هم العباس وجعفر ومحمد وأبو بكر ومحمد ، ومن أولاد الحسين أربعة ، وقتل عدة من اولاد عبدالله بن جعفر ومن اولاد عقيل . ثم بعث ابن زياد بالرؤوس وبالنساء والأطفال . ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم ، وأن يبعث معهم أميناً يوصلهم الى المدينة ، فجهزهم الى المدينة ، ولما وصلوا اليها لقيهم نساء بني هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل بن أبي طالب وهي تبكي وتقول :

ماذا تقولون ان قال النبي لكم	ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي	منهم اسارى وصرعى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم	ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

(واختلف) في موضع الحسين فقيل جهز الى المدينة ودفن عند امه . وقيل دفن عند باب الفراديس ، وقيل ان خلفاء مصر نقلوا من عسقلان رأساً الى القاهرة ودفنوه بها وبنوا عليه مشهداً يعرف بمشهد الحسين ، وقد اختلف في عمره والصحيح انه خمس وخمسون سنة وأشهر . وقيل حج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً ، وكان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة (وأما) عبدالله بن الزبير فانه استمر بمكة ممتنعاً عن الدخول في طاعة يزيد بن معاوية .

* (مسيرة المختار الى الكوفة وأخذها من ابن المطيع بعد وقعة كربلاء) *

مضى إبراهيم الى المختار وأخبره الخبر وبعثوا في الشيعة ونادوا بثأر الحسين ، ومضى

إبراهيم إلى النَخَع فاستركبهم وسار بهم في المدينة ليلاً وهو يتجنب المواضع التي فيها الأمراء ثم لقي بعضهم فهزمهم ، ثم آخرين كذلك ثم رجع إلى المختار فوجد شيث بن رَبْعَيّ وحجاز بن أَبْجَرَ العِجْلي يقاتلانه فهزمهما ، وحاشب بن المطيع فأشار إليه بجمع الناس والنهوض إلى القوم قبل فوليّ أمرهم فركب واجتمع الناس وتوافى إلى المختار نحو أربعة آلاف من الشيعة وبعث ابن مطيع شيث بن ربعي في ثلاثة آلاف ، وربع بن إياس في أربعة آلاف فسرّح إليهم المختار إبراهيم بن الاشتر لراشد في ستمائة فارس وستمائة راجل ونعيم بن هُبيْرة لشيث في ثلثمائة فارس وستمائة راجل واقتتلوا من بعد صلاة الصبح . وقتل نعيم فوهن المختار لقتله وظهر شيث وأصحابه عليهم وقاتل إبراهيم بن الأشتر راشد بن إياس فقتله ، وانهزم أصحابه وركبهم الفشل . وبعث ابن المطيع جيشاً كثيفاً فهزمهم ، ثم حمل على شيث فهزمه، وبعث المختار فمنعه الرماة من دخول الكوفة . ورجع المنهزمون إلى ابن مطيع فدهش فشجعه عُمَرَ ابن الحجّاج الزُبَيْديّ وقال له : اخرج واندب الناس ففعل . وقام في الناس ووبخهم على هزيمتهم وندبهم ثم بعث عمر بن الحجاج في ألفين وشِمّر بن ذي الجَوْشَن في ألفين ونوْفَل بن مُسَاحِق في خمسة آلاف . ووقف هو بكتائبه . واختلف على القصر شيث بن ربعي فحمل ابن الأشتر على ابن مساحق فهزمه وأسره ، ثم منّ عليه ودخل ابن مطيع القصر وحاصره إبراهيم بن الأشتر ثلاثاً ومعه يزيد بن أنس وأحمد بن شَمِيط ، ولما اشتدّ الحصار على ابن مطيع ، أشار عليه شيث بن ربعي بأن يستأمن للمختار ، ويلحق بابن الزبير وله ما يعده . فخرج عنهم مساء ونزل دار أبي موسى واستأمن القوم للمختار فدخل القصر وغدا على الناس في المسجد فخطبهم ، ودعاهم إلى بيعة ابن الحنفية ، فبايعه أشراف الكوفة على الكتاب والسنة ، واللطف بأهل البيت ، ووعدهم بحسن السيرة وبلغه أنّ ابن مطيع في دار أبي موسى فبعث إليه بمائة ألف درهم وقال يجهز بهذه . وكان ابن مطيع قد فرّق بيوت الأموال على الناس ، وسار ابن مطيع إلى وجهه وملك الكوفة ، وجعل على شرطته عبدالله بن كامل ، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة ، وجعل الأشراف جلساءه ، وعقد لعبدالله بن الحرث بن الأشتر على أرمينية ، ولمحمد بن عُمير بن عطارد على أذربيجان ، ولعبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، ولاسحق بن مسعود على المدائن ، ولسعد بن حذيفة ابن اليمان على حُلوان . وأمره بقتال الأكراد وإصلاح السابلة . وولى شُرَيْحاً على

القضاء ثم طعنت فيه الشيعة بأنه شهد على حِجْر بن عَدِيّ ، ولم يبلغ عن هانىء بن عُرْوَة رسالته إلى قومه وأنّ علياً غرمه وأنه عثماني[1] . وسمع ذلك هو فتمارض فجعل مكانه عبدالله بن عُتبَة بن مسعود ثم مرض فولىّ مكانه عبدالله بن مالك الطائيّ .

* (مسيرة ابن زياد الى المختار وخلافة أهل الكوفة عليه) *

كان مروان بن الحكم لما استوثق له الشآم بعث جيشين أحدهما إلى الحجاز مع جيش ابن دلْجةَ القَينيّ وقِدْ شَاتَة ومقْتَلَه[2] . والآخر إلى العراق مع عبيدالله بن زياد فكان من أمره وأمر التوّابين من الشيعة ما تقدّم وأقام محاصراً لِزُفِر بن الحرث بقرقيسيا ، وهو مع قومه قيس على طاعة ابن الزبير ، فاشتغل بهم عن العراق سنة أو نحوها . ثم توفي مروان ووليَ بعده عبد الملك فأقرّه على ولايته وأمره بالجدّ ويئس من أمر زُفَر وقَيْس ، فنهض إلى الموصل فخرج عنها عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إلى تكْريت ، وكتب إلى المختار بالخبر ، فبعث يزيد بن أنس الأسَديّ في ثلاثة آلاف إلى الموصل ، فسار إليها على المدائن وسرّح ابن زياد للقائه ربيعة بن المختار الغنَويّ في ثلاثة آلاف فالتقيا ببابل وعَبىّ يزيد أصحابه وهو راكب على حمار وحرّضهم ، وقال : إن مت فأميركم ورقاء بن عازب الأسَدِيّ وإن هلك فعبدالله بن ضمْرة الفزاري ، وإن هلك فسعد الخثعميّ . ثم اقتتلوا يوم عرفة وانهزم أهل الشآم وقتل ربيعة ، وسار الفلّ غير بعيد فلقيهم عبدالله بن حملة الخثعميّ قد سرحه ابن زياد في ثلاثة آلاف فردّ المنهزمين وعاد القتال يوم الأضحى ، فانهزم أهل الشام وأثخن فيهم أهل الكوفة بالقتل والنهب ، وأسروا منهم ثلثمائة فقتلوهم . وهلك يزيد بن أنس من آخر يومه وقام بأمرهم ورقاء بن عازب خليفته ، وهاب لقاء ابن زياد بعد يزيد ، وقال : نرجع بموت أميرنا قبل أن يتجرأ علينا أهل الشام بذلك . وانصرف الناس وتقدّم الخبر إلى الكوفة فأرجف الناس بالمختار وأشيع أنّ يزيد قتل وسرّ المختار رجوع العسكر فسرّح إبراهيم بن الأشتر في سبعة آلاف وضم إليه جيش يزيد ثم تأخر ابن زياد فسار لذلك . ثم اجتمع أشراف الكوفة عند شيث بن رَبعي وكان شيخهم جاهلياً اسلامياً ، وشكوا من سيرة المختار وإيثاره الموالي عليهم ، ودعوه إلى الوثوب به . فقال : حتى ألقاه وأعذر إليه ، ثم ذهب إليه وذكر له جميع ما نكروه فوعده

---

(١) نسبة الى عثمان بن عفان .

(٢) لم نعثر في المراجع التي بين ايدينا على هذه الأسماء .

الرجوع إلى مرادهم ، وذكر له شأن الموالي وشركتهم في الفيء فقال : إن أعطيتموني عهدكم على قتال بني أمية وابن الزبير تركتهم فقال : اخرج إليهم بذلك وخرج فلم يرجع . واجتمع رأيهم على قتاله وهم شيث بن رَبَعي ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعد بن قيس وشِمْر بن ذي الجوشن وكعب بن أبي كعب النَخَعيّ ، وعبد الرحمن بن مُخنِف الأزديّ . وقد كان ابن مخنف أشار عليهم بأن يمهلوه لقدوم أهل الشآم وأهل البصرة فيكفونكم أمره قبل أن يقاتلكم بمواليكم وشجعانكم وهم عليكم أشدّ ، فأبوا من رأيه وقالوا : لا تفسد جماعتنا . ثم خرجوا وشهروا السلاح وقالوا للمختار : اعتزلنا فإنّ ابن الحنفية لم يبعثك . قال : نبعث إليه الرسل مني ومنكم ، وأخذ يعللهم بأمثال هذه المراجعات وكفّ أصحابه عن قتالهم ينتظر وصول إبراهيم بن الأشتر ، وقد بعث إليه بالرجوع فجاء فرأى القوم مجتمعين ورِفاعَة بن شدّاد البجليّ[1] يصلي بهم . فلما وصل إبراهيم عبَّأ المختار أصحابه وسرح بين يديه أحمد ابن شميط البجليّ وعبدالله بن كامل الشادي فانهزم أصحابهما وصبرا ومدّهما المختار بالفرسان والرجال فوجا بعد فوج ، وسار ابن الأشتر الى مصر وفيهم شيث ابن رَبَعيّ فقاتلوه فهزمهم فاشتدّ ابن كامل على اليمن ورجع رفاعة بن شدّاد أمامهم إلى المختار فقاتل معه حتى قتل من أهل اليمن عبدالله بن سعيد بن قيس ، والفرات ابن زخر بن قيس ، وعمر بن مخنف ، وخرج أخوه عبد الرحمن فمات وانهزم أهل اليمن هزيمة قبيحة وأسر من الوادعيين خمسمائة أسير فقتل المختار كل من شهد قتل الحسين منهم فكانوا نصفهم وأطلق الباقين ونادى المختار الأمان إلا من شهد في دماء أهل البيت وفرّ عمر بن الحَجّاج الزُبَيْدِي ،وكان أشدّ من حضر قتل الحسين ، فلم يوقف له على خبر وقيل أدركه أصحاب المختار فأخذوا رأسه ، وبعث في طلب شِمْر بن ذي الجوْشن ، فقتل طالبه وانتهى إلى قرية الكلبانية فارتاح يظنّ أنه نجا . واذا في قرية أخرى بازائه أبو عمرةَ صاحب المختار ، بعثه مَسْلَحَةً بينه وبين أهل البصرة ، فنمي إليه خبره فركب إليه فقتله وألقى شلوه للكلاب وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً أكثرهم من اليمن ، وكان آخر سنة ست وستين ، وخرج أشراف الناس إلى البصرة وتتبع المختار قتلة الحسين ودلّ على عبيدالله بن أسد الجهنيّ ومالك بن نسيْر الكنديّ . وحمل ابن مالك المحاربيّ بالقادسية فأحضرهم وقتلهم . ثم أحضر زياد بن مالك

(١) وفي نسخة ثانية : الجبيلي .

الضَبَعِيّ وعمران بن خالد العَنْزِيّ وعبد الرحمن بن أبي حَشْكَارَة البَجَلي ، وعبدالله ابن قيس الخَوْلاَنِيّ ، وكانوا نهبوا من الورث الذي كان مع الحسين فقتلهم وأحضر عبدالله أو عبد الرحمن بن طلحة وعبدالله بن وهيب الهَمَدَاني ابن عم الأعشى فقتلهم . وأحضر عثمان بن خالد الجهني وأبا أسماء بشر بن سميط القابسيّ ، وكانا مشتركين في قتل عبد الرحمن بن عقيل وفي سلبه ، فقتلها وحرقها بالنار . وبحث عن خولي بن يزيد الأصبحيّ صاحب رأس الحسين ، فجيء برأسه وحرق بالنار . ثم قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص بعد أن كان أخذ له الأمان منه عبدالله بن أبي جعدة ابن هميرة فبعث أبا عمرة فجاءه برأسه وابنه حفص عنده فقال : تعرف هذا ؟ قال : نعم ! ولا خير في العيش بعده فقتله . ويقال : إن الذي بعث المختار على قتلة الحسين أنّ يزيد بن شراحيل الأنصاري قدم على محمد بن الحنفية ، فقال له ابن الحنفية : يزعم المختار أنه لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسي يحدّثونه فلما سمع المختار ذلك تتبعهم بالقتل وبعث برأس عمر وابنه إلى ابن الحنفية ، وكتب إليه أنه قتل من قدر عليه وهو في طلب الباقين ثم أحضر حكيم بن طُفَيْل الطائي ، وكان رمى الحسين بسهم ، وأصاب سلب العباس ابنه . وجاء عديٌّ بن حاتم يشفع فيه فقتله ابن كامل والشيعة قبل أن يصل حذراً من قبول المختار شفاعته . وبحث عن مرّة بن منقذ بن عبد القيس قاتل علي بن الحسين فدافع عن نفسه ونجا إلى مصعب بن الزبير وقد شلَّت يده بضربة وبحث عن زيد وفاد الحسين[1] قاتل عبدالله بن مسلم بن عقيل رماه بسهمين وقد وضع كفه على جبهته يتقي النبل فأثبت كفه في جبهته وقتله بالأخرى فخرج بالسيف يدافع . فقال ابن كامل : ارموه بالحجارة فرموه حتى سقط وأحرقوه حياً . وطلب سنان بن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين فلحق بالبصرة . وطلب عمر بن صُبيح الصدائي فقتله طعناً بالرماح ، وأرسل في طلب محمد بن الأشعث وهو في قريته عند القادسيّة فهرب إلى مصعب وهدم المختار داره . وطلب آخرين كذلك من المتهمين بأمر الحسين فلحقوا بمصعب وهدم دورهم .

(١) كذا في الاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٤٣ : «وبعث المختار الى زيد بن رقاد الجُنُبِيّ او الحبّاني» .

* (شأن المختار مع ابن الزبير) *

كان على البصرة الحرث بن أبي ربيعة وهو القَبّاع عاملاً لابن الزبير. وعلى شرطته عَبّاد بن حسين وعلى المقاتلة قَيْس بن الهَيْثَم. وجاء المُثَنّى بن مَخْرَمَة العَبْدِيّ وكان ممن شهد مع سليمان بن صُرَد، ورجع فبايع للمختار وبعثه إلى البصرة يدعو له بها فأجابه كثير من الناس، وعسكر لحرب القَبّاع. فسرّح إليه عَبّاد بن حسين وقيس بن الهيثم في العساكر فانهزم المُثَنّى إلى قومه عبد القيس، وأرسل القَبّاع عسكراً يأتونه به فجاءه زياد بن عمر العَتَكِيّ فقال له: لتردنّ خيلك عن إخواننا أو لَنُقَاتِلَنَّهُم فأرسل الأحنف بن قيس وأصلح الأمر على أن يخرج المُثَنّى عنهم فسار إلى الكوفة. وقد كان المختار لما أخرج ابن مطيع من البصرة كتب إلى ابن الزبير يخادعه ليتمّ أمره في الدعاءِ لأهل البيت، وطلب المختار في الوفاءِ بما وعده به من الولاية، فأراد ابن الزبير أن يتبين الصحيح من أمره، فولّى عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام على الكوفة، وأعلمه بطاعة المختار وبعثه إليها وجاء الخبر إلى المختار، فبعث زائدة بن قُدَامَة في خمسمائة فارس، وأعطاه سبعين ألف درهم، وقال: إدفعها إلى عمر فهي ضعف ما أنفق، وأمره بالانصراف بعد تمكث، فإن أبى فأره الخيل فكان كذلك. ولما رأى عمر الخيل أخذ المال وسار نحو البصرة، واجتمع هو وابن مطيع في امارة القَبّاع قبل وثوب ابن مَخْرَمَة. وقيل إنّ المختار كتب إلى ابن الزبير: إني اتخذت الكوفة داراً فإن سوّغتني ذلك وأعطيتني مائة ألف درهم سرت إلى الشام وكفيتك مروان، فمنعه من ذلك فأقام المختار بطاعته ويوادعه ليتفرّغ لأهل الشام ثم بعث عَبْدُ الملك بن مروانُ عَبْدَ الملك بن الحرث ابن الحكم بن أبي العاص إلى وادي القرى فكتب المختار إلى ابن الزبير يعرض عليه المدد فأجابه أن يعجل بانفاذ الجيش إلى جند عبد الملك بوادي القرى فسرّح شرحبيل ابن دوس الهمداني في ثلاثة آلاف أكريم[1] من الموالي وأمره أن يأتي المدينة ويكاتبه بذلك، واتهمه ابن الزبير فبعث من مكّة عبّاس بن سهل بن سعد في ألفين وأمره أن يستنفر العرب وإن رأى من جيش المختار خلافاً ناجزهم وأهلكهم. فلقيهم عبّاس

(١) كذا في الاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٤٧: فدعا المختار شُرَحْبيل بن وَرس الهمداني فسيّره في ثلاثة آلاف اكثرهم من الموالي ...»

بالرَقيم وهم على تعبية فقال : سيروا بنا إلى العدوّ الذي بوادي القرى . فقال ابن دوس : إنما أمرني المختار أن آتي المدينة ففطن عبّاس لما يريد فأتاهم بالعلوفة والزاد وتخيّر ألفاً من أصحابه وحمل عليهم فقتل ابن دوس وسبعين معه من شجعان قومه وأمن الباقين فرجعوا للكوفة ، ومات أكثرهم في الطريق . وكتب المختار إلى ابن الحنفية يشكو ابن الزبير ، ويوهمه أنه بعث الجيش في طاعته ، ففعل بهم ابن الزبير ما فعل . ويستأذنه في بعث الجيوش إلى المدينة ويبعث ابن الحنفية عليهم رجلاً من قبله فيفهم الناس أني في طاعتك ، فكتب إليه ابن الحنفية قد عرفت قصدك ووفاءك بحقي وأحبّ الأمر إليّ الطاعة ، فأطع الله وتجنب دماء المسلمين . فلو أردت القتال لوجدت الناس إليّ سراعا والأعوان كثيراً لكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله وهو خيرا الحاكمين . (ثم دعا ابن الزبير) محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته إلى البيعة فامتنع وبعث إليه ابن الزبير وأغلظ عليه وعليهم ، فاستكانوا وصبروا فتركهم . فلما استولى المختار على الكوفة وأظهر الشيعة دعوة ابن الحنفية خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرِضَا به ، فاعتزم عليهم في البيعة ، وتوعدهم بالقتل ، وحبسهم بزمزم ، وضرب لهم أَجلاً وكتب ابن الحنفية إلى المختار بذلك فأخبر الشيعة وندبهم وبعث أمراء منهم في نحو ثلثمائة ، عليهم أبو عبدالله الجَدَلي وبعث لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم وساروا إلى مكّة فدخلوا المسجد الحرام وبأيديهم الخشب كراهة إشهار السيوف في الحرم وطفقوا ينادون بثأر الحسين ، حتى انتهوا إلى زمزم وأخرج ابن الحنفية وكان قد بقي من أجله يومان ، واستأذنوه في قتال ابن الزبير . فقال : لا أستحلّ القتال في الحرم ثم جاء باقي الجند وخافهم ابن الزبير وخرج ابن الحنفية إلى شِعْب عليّ واجتمع له أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال . (ولما قتل المختار) واستوثق أمر ابن الزبير بعث إليهم في البيعة فخافه على نفسه وكتب لعبد الملك فأذن له أن يقدم الشام حتى يستقيم أمر الناس ووعده بالإحسان . وخرج ابن الحنفية وأصحابه إلى الشام . ولما وصل مِديَن لقيه خبر مهلك عمر بن سعيد فندم وأقام بأيْـلَـةَ ، وظهر في الناس فضله وعبادته وزهده وكتب له عبد الملك أن يبايعه فرجع إلى مكة ونزل شِعْب أبي طالب ، فأخرجه ابن الزبير فسار إلى الطائف ، وعذل ابن عبّاس ابن الزبير على شأنه ، ثم خرج عنه ولحق بالطائف ومات هنالك وصلى عليه ابن الحنفية وعاش إلى أن أدرك حصار الحجّاج لابن الزبير . (ولما قتل

ابن الزبير) بايع لعبد الملك وكتب عبد الملك إلى الحجّاج بتعظيم حقه وبسط أمله ، ثم قدم إلى الشام وطلب من عبد الملك أن يرفع حكم الحجّاج عنه ففعل ، وقيل إنّ ابن الزبير بعث إلى ابن عبّاس وابن الحنفية في البيعة حتى يجتمع الناس على إمام ، فإنّ في هذه فتنة فحبس ابن الحنفية في زمزم وضيق على ابن عبّاس في منزله وأراد إحراقهما فأرسل المختار جيشه كما تقدّم ونفس عنهما ولما قتل المختار قوى ابن الزبير عليهما فخرجا إلى الطائف .

* (مقتل ابن زياد) *

ولما فرغ المختار من قتال أهل الكوفة آخر سنة ست وستين بعث إبراهيم بن الأشتر لقتال ابن زياد وبعث معه وجوه أصحابه وفرسانهم وشيعته وأوصاه ، وبعث معه بالكرسي الذي كان يستنصر به وهو كرسيّ قد غشاه بالذهب وقال للشيعة : هذا فيكم مثل التابوت في بني اسرائيل ، فكبر شأنه وعظم . وقاتل ابن زياد فكان له الظهور وافتتن به الشيعة ، ويقال : إنه كرسي عليّ بن أبي طالب ، وإنّ المختار أخذه من والد جُـعْـدَةَ بن هُـبَيْـرَة ، وكانت أمّه أمّ هانيء بنت أبي طالب فهو ابن أخت عليّ . ثم أسرع إبراهيم بن الأشتر في السير وأوغل في أرض الموصل ، وكان ابن زياد قد ملكها كما مرّ. فلما دخل إبراهيم أرض الموصل عَبّى أصحابه ، ولما بلغ نهر الحارم بعث على مقدمته الطُـفَـيْـل بن لقيط النخعي ، ونزل ابن زياد قريباً من النهر وكانت قيس مطبقة على بني مروان عند المرج ، وجند عبد الملك يومئذ[1]

فلقي عمير بن الحباب السَلَمِي إبراهيم بن الأشتر وأوعده أن ينهزم بالميسرة ، وأشار عليه بالمشاجرة ورأى عند ابن الأشتر ميلاً إلى المطاولة فثناه عن ذلك وقال : إنهم

---

(١) بياض بالاصل : وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٦١ : فسار ابراهيم وخلّف أرض العراق وأوغل في أرض الموصل وجعل على مقدمته الطُفَيْل بن لَقيط النّخَعِيّ ، وكان شجاعاً . فلما دنا ابن زياد عبّأ أصحابه ولم يَسِرْ إلاّ على تعبية واجتماع ، إلا أنه يبعث الطفيل على الطلائع حتى يبلغ نهر خازر من بلد الموصل فنزل بقرية بارشيا . واقبل ابن زياد اليه حتى نزل إليه حتى نزل قريباً منهم على شاطىء الخازر . وارسل عُمير بن الحُباب السلمي وهو من أصحاب ابن زياد ، الى ابن الأشتر أن إلقَني ، وكانت قيس كلها مضطفنة على ابن مروان وقصة مَرْج راهط وجند عبد الملك يومئذ كلب ... » وفي الطرى ج ٧ ص ١٤٢ : «وجاء عبدالله بن زياد حتى نزل قريباً منهم على شاطىء خازر ، وأرسل عمير بن الحباب السلمي الى ابن الأشتر : اني معك وانا اريد الليلة لقاءك فأرسل إليه ابن الاشتر ان القني اذا شئت . وكانت قيس كلها بالجزيرة ، فهم أهل خلاف لمروان وآل مروان ، وجند مروان يومئذ كلب وصاحبهم بجدل ، فأتاه عمير ليلاً فبايعه » .

ميلوا[1] منكم رعباً وإن طاولتهم اجترؤا عليكم قال : وبذاك أوصاني صاحبي . ثم عبّى أصحابه في السَحَرَ الأوّل ، ونزل يمشي ويحرّض الناس حتى أشرف على القوم وجاءه عبدالله بن زهير السلولي بأنهم خرجوا على دهش وفشل وابن الأشتر يحرّض أصحابه ويذكّرهم أفعال ابن زياد وأبيه . ثم التقى الجمعان وحمل الحُـصَيْن بن نُـمَيْر من ميمنة أهل الشام على ميسرة إبراهيم فقتل علي بن مالك الخَـثْـعَـمِـيّ ، ثم أخذ الراية فرد بن علي فقتل ، وانهزمت الميسرة ، فأخذ الراية عبدالله بن وَرْقَاء بن جَـنَـادَة السلولي ورجع بالمنهزمين إلى الميسرة كما كانوا . وحملت ميمنة إبراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عُـمَـيْر بن الحباب كما وعدهم فمنعته الأنفة من ذلك وقاتل قتالاً شديداً . وقصد ابن الأشتر قلب العسكر وسواده الأعظم ، فاقتتلوا أشدّ قتال حتى كانت أصوات الضرب بالحديد كاصوات القصارين ، وابراهيم يقول لصاحب رايته : إنغمس برايتك فيهم . ثم حملوا حملة رجل واحد فانهزم أصحاب ابن زياد . وقال ابن الأشتر إني قتلت رجلاً تحت راية منفردة شممت منه رائحة المسك وضربته بسيفي فقصمته نصفين فالتمسوه فإذا هو ابن زياد فأخذت رأسه وأحرقت جثته . وحمل شَرِيك بن جَدِير التَـغْـلَبِي على الحُـصَيْن بن نُـمَـيْر فاعتقله وجاء أصحابه فقتلوا الحُـصَيْن . ويقال إنّ الذي قتل ابن زياد هو ابن جَدِير هذا ، وقتل شرحبيل بن ذي الكلاع وادّعى قتله سُـفْـيَـان بن يزيد الأزدي وورقاء بن عازب الأزدي ، وعبيدالله بن زهير السلمي واتبع أصحاب ابن الأشتر المنهزمين فغرق في النهر أكبر ممن قتل ، وغنموا جميع ما في العسكر وطرأ ابن الأشتر بالبشارة إلى المختار فأتته بالمدائن وأنفذ ابن الأشتر عمّاله إلى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن على نَصِيبين ، وغلب على سِنْـجَار ودارا وما والاهما من أرض الجزيرة . وولّى زُفَـرَ بن الحرث قيس[2] وحاتم بن النُـعْـمَـان البَاهِلِيّ حَـرّان والرهاء وشِمْشَاط وعُـمَـيْر بن الحَـبَـاب السَـلَـمِـي كَـفَـرْتوبي وطُورَ عَـبْـدِين وأقام بالموصل وأنفذ رؤوس عبيدالله وقوّاده إلى المختار .

---

(١) لا معنى للميل هنا ولعلها ملئوا .

(٢) « قال في المشترك : قيس بفتح القاف وسكون الثناة من تحت وفي آخرها سين مهملة . وقال في اللباب : كيش بكسر الكاف وسكون الثناة التحتية وفي آخرها شين معجمة ، وجزيرة كيش بين الهند والبصرة . وبهذه الجزيرة مغاص لؤلؤ وبها نخيل محدث واشجار جبلية وشرب اهلها من الآبار اهـ من ابي الفداء » .

* (مسير مصعب الى المختار وقتله اياه) *

كان ابن الزبير في أوّل سنة سبع وستين أو آخر ست عزل الحرث بن ربيعة وهو القَبّـاع ووَلّى مكانه أخاه مصعباً فقدم البصرة وصعد المنبر وجاء الحرث فأجلسه مصعب تحته بدرجة ثم خطب وقرأ الآيات من أوّل القصص ونزل ولحق به أشراف الكوفة حتى قربوا من المختار ، ودخل عليه شيث بن رَبَـعي وهو ينادي واغوثاه ! ثم قدم محمد ابن الأشعث بعده واستوثقوه إلى المسير وبعث إلى المُـهَلَّب بن أبي صُـفْـرَة وهو عامله على فارس ليحضر معه قتال المختار فأبطأ وأغفل فأرسل إليه محمد بن الأشعث بكتابه ، فقال المهلب : ما وجد مصعب بريداً غيرك ؟ فقال : ما أنا ببريد ولكن غلبنا عبيدنا على أبنائنا وحرمنا فأقبل معه المُـهَلّب بالجموع والأموال وعسكر مصعب عند الجسر فأرسل عبد الرحمن بن مخنف إلى الكوفة سرًّا ليثبط الناس عن المختار ويدعو إلى ابن الزبير وسار على التعبية وبعث في مقدمته عَبّـاد بن الحُـصَيْن الحَبْـطِي التميمي وعلى ميمنته عمر بن عبيدالله بن مَـعْـمَرِ ، وعلى ميسرته المُـهَلّب وبلغ الخبر المختار فقام في أصحابه ، وقرّبهم إلى الخروج مع ابن شُـمَـيْط وعسكر محمد في أعفر وبعث رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر مع ابن شميط وأصحابه فثبتوا وحمل المُـهَلّب من الميسرة على ابن كامل فثبت ثم كرّ المهلب وحمل حملة منكرة وصبر ابن كامل قليلاً وانهزموا وحمل الناس جميعاً على ابن شميط فانهزم وقتل واستمرّ القتل في الرجالة وبعث مصعب عبّاداً فقتل كل أسير أخذه . وتقدّم محمد بن الأشعث في خيل من أهل الكوفة فلم يدركوا منهزماً إلاّ قتلوه . ولما فرغ مُـصْـعَـبُ منهم أقبل فقطع الفرات من موضع واسط وحملوا الضعفاء وأثقالهم في السفن ثم خرجوا إلى نهر الفرات وسار إلى الكوفة . ولما بلغ المختار خبر الهزيمة ومن قتل من أصحابه وأنّ مصعباً أقبل إليه في البرّ والبحر سار إلى مجتمع الأنهار نهر الجزيرة والمسلحين والقادسية ونهر يسر فسكّر الفرات فذهب ماؤه في الانهار . وبقيت سفن أهل البصرة في الطين فخرجوا إلى السكر وأزالوه وقصدوا الكوفة . وسار المختار ونزل حر وراء بعد أن حَصّن القصر وأدخل عدّة الحصار ، وأقبل مصعب وعلى ميمنته المُـهَلّب ، وعلى ميسرته عُـمَر بن عبيدالله ، وعلى الخيل عَبّـاد بن الحُـصَيْن ، وجعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد الكندي ، وعلى ميسرته سعيد بن منقذ

الهَمْدَاني وعلى الخيل عُمَر بن عبيدالله النهدي . ونزل محمد بن الأشعث فيمن هرب من أهل الكوفة بين العسكرين . ولما التقى الجمعان اقتتلوا ساعة وحمل عبدالله ابن جُعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ المخزوميّ على من بازائه فحطّم أصحاب المختار حطمة منكرة وكشفوهم ، وحمل مالك بن عمر النهدي في الرجالة عند المساء على ابن الأشعث حملة منكرة فقتل ابن الأشعث وعامّة أصحابه ، وقتل عبيدالله بن عليّ بن أبي طالب وقاتل المختار. ثم افترق الناس ودخل القصر وسار مصعب من الغد فنزل السَبْخَةَ وقطع عنهم الميرة وكان الناس يأتونهم بالقليل من الطعام والشراب خفية ففطن مصعب لذلك فمنعه وأصابهم العطش فكانوا يصبون العسل في الآبار ويشربون . ثم إنّ المختار أشار على أصحابه بالاستماته فتَحَنَّطَ وتَطَيَّب وخرج في عشرين رجلاً منهم السائب بن مَسْلَك الأشْعَرِي فعذله فقال : ويحك يا أحمق وثب ابن الزبير بالحجاز ، ووثب نجدة باليمامة ، وابن مروان بالشام فكنت كأحدهم إلاّ أني طلبت بثأر أهل البيت إذ نامت عقد العرب ، فقاتل على حسبك إن لم يكن لك نيَّة . ثم تقدّم فقاتل حتى قتل على يد رجلين من بني حنيفة أخوين طَرْفَةَ وطَرّاف إبني عبدالله بن دَجاجَة . وكان عبدالله بن جُعْدَة بن هُبَيْرَة لما رأى عزم المختار على الاستماتة تدلى من القصر ، واختفى عند بعض إخوانه ، ثم بعث الذين بقوا بالقصر إلى مصعب ونزلوا على حكمه فقتلهم أجمعين وأشار عليه المُهَلّب باستبقائهم ، فاعترضه أشراف أهل الكوفة ، ورجع إلى رأيهم . ثم أمر بكف المختار ابن أبي عبيد فقطعت وسمّرت إلى جانب المسجد فلم ينزعها من هنالك إلا الحجّاج . وقتل زوجه عُمْرَةُ بنت النعمان بن بشير زعمت أنّ المختار[1] فاستأذن أخاه عبدالله وقتلها . ثم كتب مصعب إلى ابراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته ، ووعده بولاية أعنة الخيل وما غلب عليه من المغربة . وكتب إليه عبد الملك بولاية العراق ، واختلف عليه أصحابه فجنح إلى مصعب خشية مما أصاب ابن زياد وأشراف أهل الشام وكتب إلى مصعب بالإجابة وسار إليه فبعث على عمله بالموصل والجزيرة وأرمينية وأذرَبَيْجان المُهَلّب بن أبي صُفْرَةَ . وقيل إنّ المختار إنما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة وإنه بعث على مقدّمته أحمد بن

(١) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٧٥ : «وقالت عمرة : رحمه الله كان عبداً لله صالحاً ، فحبسها ، وكتب الى اخيه عبدالله بن الزبير انها تزعم انه نبي فأمر بقتلها ، فقتلت ليلاً بين الكوفة والحيرة ، قتلها بعض الشرط ...» .

شُمَيْط ، وبعث مصعب عَبّاد الحَبَطِيّ ومعه عبيدالله بن عليّ بن أبي طالب ، وتراضوا ليلاً ، فناجزهم المختار من ليلته وانكشف أصحاب مصعب إلى عسكرهم واشتدّ القتال وقتل من أصحاب مصعب جماعة منهم محمد بن الأشعث فلما أصبح المختار وجد أصحابه قد توغلوا في أصحاب مصعب وليس عنده أحد فانصرف ودخل قصر الكوفة وفقد أصحابه فلحقوا به ، ودخل القصر معه ثمانية آلاف منهم . وأقبل مصعب فحاصرهم أربعة أشهر يقاتلهم بالسيوف كل يوم حتى قتل ، وطلب الذين في القصر الأمان من مصعب ونزلوا على حكمه فقتلهم جميعاً ، وكانوا ستة آلاف رجل . ولما ملك مصعب الكوفة بعث عبدالله بن الزبير ابنه حمزة على البصرة مكان مصعب فأساء السيرة وقصر بالأشراف ففزعوا إلى مالك بن مُسْمِع ، فخرج إلى الجسر وبعث إلى حمزة أن إلحق بأبيك . وكتب الأحنف إلى أبيه أن يعزله عنهم ويعيد لهم مصعباً ففعل وخرج حمزة بالأموال فعرض له مالك بن مُسْمِع وقال : لا ندعك تخرج باعطياتنا فضمن له عمر بن عبيدالله العطاء فكفّ عنه . وقيل إن عبيدالله بن الزبير إنّما ردّ مصعباً إلى البصرة عند وفادته عليه بعد سنة من قتل المختار . ولماردّه إلى البصرة استعمل عمر بن عبيدالله بن معمر على فارس وولاّه حرب الأزارقة . وكان المُـهَلّب على حربهم أيام مصعب وحمزة ، فلما ردّ مصعباً أراد أن يولّي المهلب الموصل والجزيرة وأرمينية ليكون بينه وبين عبد الملك فاستقدمه واستخلف على عمله المغيرة . فلما قدم البصرة عزله مصعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس واستعمل عليها عمر بن عبيد الله بن مَـعْـمَر فكان له في حروبهم ما نذكره في أخبار الخوارج .

* (خلاف عمر بن سعيد الاشرف ومقتله) *

كان عبد الملك بعد رجوعه من قِـنَّسرِين أقام بدمشق زماناً ، ثم سار لقتال زفر[1] بن الحرث الكلابي بقرقيسيا ، واستخلف على دمشق عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي ابن أخته ، وسار معه عمر بن سعيد . فلما بلغ بطنان انتقض عمر وأسرى ليلاً إلى دمشق ، وهرب ابن أم الحكم عنها فدخلها عمر وهدم داره ، واجتمع إليه الناس

(١) هو زفر بن الحارث الذي ذكره الاخطل بقوله :

بني اميـــــة اني نـــــاصح لكم   فلا يبيتن فيكم آمنـــــاً زفر

فخطبهم ووعدهم وجاء عبد الملك على أثره فحاصره بدمشق ووقع بينهما القتال أياماً ثم اصطلحا وكتب بينهما كتاباً وأمّنه عبد الملك فخرج إليه عمر ودخل عبد الملك دمشق فأقام أربعة أيام ثم بعث إلى عمر ليأتيه ، فقال له عبدالله بن يزيد بن معاوية وهو صهره وكان عنده : لا تأتيه[1] فإني أخشى عليك منه فقال : والله لو كنت نائماً ما أيقظني ! ووعد الرسول بالرواح إليه ، ثم أتى بالعشي ولبس درعه تحت القباء ، ومضى في مائة من مواليه وقد جمع عبد الملك عنده بني مروان وحسّان بن بن نجد الكلبي وقُبَيْصَة بن ذُؤَيْب الخُزَاعي وأذن لعمر فدخل . ولم يزل أصحابه يجلسون عند كل باب حتى بلغوا قاعة الدار وما معه إلا غلام واحد ونظر إلى عبد الملك والجماعة حوله فأحسّ بالشرّ وقال للغلام : إنطلق إلى أخي يحيى وقل له يأتيني ، فلم يفهم عنه وأعاد عليه فيجيبه الغلام لبيك وهو لا يفهم فقال له : أغرب عني . ثم أذن عبد الملك لحسّان وقُبَيْصَة فلقيا عمر ، ودخل فأجلسه معه على السرير وحادثه زمناً ، ثم أمر بنزع السيف عنه فأنكر ذلك عمر وقال : اتق الله يا أمير المؤمنين ! فقال له عبد الملك أتطمع أن تجلس معي متقلداً سيفك ؟ فأخذ عنه السيف ، ثم قال له عبد الملك : يا أبا أمية إنك حين خلعتني حلفت بيمين إنْ أنا رأيتك بحيث أقدر عليك أن أجعلك في جامعة ، فقال بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! وما عسيت أن أصنع بأبي أمية ؟ فقال بنو مروان : أبرّ قسم أمير المؤمنين يا أبا أمية فقال عمر : قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين فأخرج من تحت فراشه جامعة وأمر غلاماً فجمعه فيها وسأله أن لا[2] يخرجه على رؤس الناس فقال أمكراً عند الموت ؟ ثم جذبه جذبة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته ثم سأل الإبقاء فقال عبد الملك : والله لو علمت أنك تبقى إن أبقيت عليك وتصلح قريش لأبقيتك ، ولكن لا يجتمع رجلان مثلنا في بلد فشتمه عمر وخرج عبد الملك إلى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز بقتله . فلما قام إليه بالسيف ذكره الرحم ، فامسك عنه وجلس ورجع عبد الملك من الصلاة وغلقت الأبواب ، فغلظ لعبد العزيز ثم تناول عُمَرَ فذبحه بيده وقيل أمر غلامه بن الزغير فقتله وفقد الناس عمر مع عبد الملك حين خرج إلى الصلاة فأقبل أخوه يحيى في أصحابه وعبيده وكانوا ألفاً ، ومعه حميد بن الحرث وحُرَيْث وزُهَيْر

---

(١) الاصح ان يقول : لا تأته .

(٢) اللام هنا زائدة ، وكانت نية عمران يرى اعوانه ما هو فيه ، فيهبوا لنجدته .

ابن الأبرد فهتفوا باسمه ثم كسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف ، وخرج الوليد بن عبد الملك واقتتلوا ساعة ثم خرج عبد الرحمن ابن أمّ الحكم الثَّقَفِيّ بالرأس فألقاه إلى الناس وألقى اليهم عبد العزيز بن مروان بدر الأموال فانتهبوها وافترقوا . ثم خرج عبد الملك إلى الناس وسأل عن الوليد فأخبر بجراحته وأتى بيحيى ابن سعيد وأخيه عَنْبَسَة فحبسها وحبس بني عمر بن سعيد ثم أخرجهم جميعاً وألحقهم بمصعب ، حتى حضروا عنده بعد قتل مصعب فأمنهم ووصلهم . وكان بنو عمر أربعة أمية وسعد[1] واسمعيل ومحمّد . ولما حضروا عنده ، قال : أنتم أهل بيت ترون لكم على جميع قومكم فضلاً لن يجعله الله لكم ، والذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثاً بل كان قديماً في أنفس أوّليكم على أوّلينا في الجاهلية فقال سعيد : يا أمير المؤمنين تعدّ علينا أمراً كان في الجاهلية والاسلام قد هدم ذلك ووعد جنّةً وحذر ناراً . وأمّا عمر فهو إبن عمك وقد وصل إلى الله وأنت أعلم بما صنعت ، وإن أحد ثنا|به فبطن الأرض خير لنا من ظهرها فرق لهم عبد الملك وقال : أبوكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله واخترت قتله على قتلتي ، وأمّا أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم وأحسن حالتهم . وقيل إنّ عمر إنما كان خلفه وقتله حين سار عبد الملك لقتال مصعب طلبه أن يجعل له العهد بعده كما فعل أبوه فلم يجبه إلى ذلك ، فرجع إلى دمشق فعصى وامتنع بها وكان قتله سنة تسعة وستين .

* (مسير عبد الملك الى العراق ومقتل مصعب) *

ولما صفا الشام لعبد الملك اعتزم على غزو العراق واتته الكتب من أشرافهم يدعونه ، فاستمهله أصحابه فأبى ، وسار نحو العراق وبلغ مصعباً سيره فأرسل إلى المُهَلّب بن أبي صُفْرَة وهو بفارس في قتال الخوارج يستشيره وقد كان عزل عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر عن فارس وحرب الخوارج ، وولّى مكانه المُهَلّب وذلك حين استخلف على الكوفة . وجاء خالد بن عبيدالله بن خالد بن أسيد على البصرة مختفيا ، وأعيد لعبد الملك عند مالك ابن مسمع في بكر بن وائل والأزد ، وأمدّ عبد الملك بعبيدالله ابن زياد بن ضَبْيَان وحازبهم عمر بن عبيدالله بن مَعْمَر ثم صالحهم على أن يخرجوا خالداً فأخرجوه وجاء مصعب وقد طمع أن يدرك خالداً فوجده قد خرج

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٣٠٢ : سعيد .

فسخط على ابن مَعْمَر وسبّ أصحابه وضربهم وهدم دورهم وحلقهم وهدم دار مالك بن مسمع واستباحها . وعزل ابن مَعْمَر عن فارس وولّى المُهَلّب وخرج إلى الكوفة فلم يزل بها حتى سار للقاء عبد الملك وكان معه الأحنف فتوفي بالكوفة ولما بعث عن المهلب ليسير معه أهل البصرة إلا أن يكون المُهَلّب على قتال الخوارج ردّه وقال له المُهَلّب إنّ أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم فلا يتعدّى ثم بعث مصعب عن إبراهيم بن الأشتر وكان على الموصل والجزيرة فجعله في مقدمته وسار حتى عسكر في معسكره ، وسار عبد الملك وعلى مقدمته أخوه محمد ابن مروان ، وخالد بن عبيدالله بن خالد بن أسيد ، فنزلوا قريباً من قرقيسيا . وحضر زُفَر ابن الحرث الكِلاَبي ، ثم صالحه وبعث زفر معه الهُذَيْل ابنه في عسكر وسار معه فنزل بمسكن قريباً من مسكن مصعب وفرّ الهذيل بن زُفَر فلحق بمصعب . وكتب عبد الملك إلى أهل العراق وكتبوا إليه وكلهم بشرط أصفهان وأتى ابن الأشتر بكتاب مختوما[1] إلى مصعب فقرأه ، فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق فأخبره مصعب بما فيه وقال مثل هذا الايرغب عنه فقال إبراهيم ما كنت لأتقلد الغدر والخيانة ولقد كتب عبد الملك لأصحابك كلهم مثل هذا فأطعن واقتلهم أو احبسهم في أضيق محبس ، فأبى عليه مصعب وأضمر أهل العراق الغدر بمصعب . وعذلهم قيس بن الهيثم منهم في طاعة أهل الشام فأعرضوا عنه . ولما تدانى العسكران بعث عبد الملك إلى مصعب بقول ، فقال : نجعل الأمر شورى فقال مصعب : ليس بيننا إلاّ السيف فقدّم عبد الملك أخاه محمداً وقدّم مصعب إبراهيم بن الأشتر وأمدّه بالجيش ، فأزال محمداً عن موقفه ، وأمدّه عبد الملك بعبيدالله بن يزيد فاشتدّ القتال وقتل من أصحاب مصعب بن عمر البَاهِليّ والدقُتَيْبَة ، وأمدّ مصعب إبراهيم بعتّاب بن ورقاء فساء ذلك إبراهيم ونكره . وقال أوصيته لا يمدّني بعتاب وأمثاله وكان قد بايع لعبد الملك فجر الهزيمة على إبراهيم وقتله وحمل رأسه إلى عبد الملك . وتقدّم أهل الشام فقاتل مصعب ودعا رؤس العراق إلى القتال فاعتذروا وتثاقلوا فدنا محمد بن مروان من مصعب وناداه بالأمان وأشعره بأهل العراق فأعرض عنه ، فنادى إبنه عيسى بن مصعب فأذن له أبوه في لقائه فجاءه وبذل له الأمان وأخبر أباه فقال : أتظنهم يعرفون لك ذلك ؟ فإن أحببت فافعل قال : لا يتحدّث نساء قريش

---

(١) مختوم هي مضاف اليه والاصح بكتابٍ مختومٍ .

أني رغبت بنفسي عنك . قال : فاذهب إلى عمك بمكّة فأخبره بصنيع أهل العراق ودعني ، فـإني مَقْتُولٌ . فقـال : لا أخبر قريشاً عنك أبـداً ، ولكـن إلحق أنت بالبصرة فإنهم على الطاعة أو بأمير المؤمنين بمكّة فقال : لا يتحدّث قريش أني فررت . ثم قال لعيسى : تقدّم يا بني أحتسبك فتقدّم في ناس فقتل وقتلوا . وألح عبد الملك في قبول أمانه فأبـى ودخل سرادقه فتحفظ ورمى السرادق وخرج فقاتل ودعاه عبيدالله بن زياد بن ضَبْيَان فشتمه وحمل عليه وضربه فجرحه . وخذل أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة أنفس ، وأثخنته الجراحة فرجع إليه عبيدالله بن زياد ابن ضُبْيَان فقتله وجاء برأسه إلى عبد الملك فأمر له بألف دينار فلم يأخذها . وقال : إنما قتلته بثأر أخي . وكان قطع الطريق فقتله صاحب شرطته وقيل : إنّ الذي قتله زائدة بن قَدَامَة الثَقَفِي من أصحاب المختار وأخذ عبيدالله رأسه وأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدفنا بدار الجاثليق عند نهر رَحْبِيل وكان ذلك سنة إحدى وسبعين . ثم دعا عبد الملك جند العراق إلى البيعة فبايعوه وسار إلى الكوفة فأقام بالنُخَيْلَة أربعين يوماً وخطب الناس فوعد المحسن ، وطلب يحيى بن سعيد من جَعْفَةَ وكانوا أخواله فأحضروه فأمّنه وولّى أخاه بِشْرَ بن مروان على الكوفة ومحمد بن نُمَيْرٍ على هَمَدَان ويزيد بن ورقاء بن رُوَيْم على الري ولم يف لهم بأصبهان كما شرطوا عليه ، وكان عبدالله بن يزيد بن أسد والد خالد القِسْري ، ويحيى بن معتوق الهَمَدَاني قد لجئا إلى علي بن عبدالله بن عبّاس ولجأ هُذَيْل بن زُفَر بن الحرث وعمر بن يزيد الحكمي إلى خالد بن يزيد فأمنهم عبد الملك وصنع عمر بن حريث لعبد الملك طعاماً فأخبره بالخَوَرْنَقِ وأَذِنَ للناس عامة فدخلوا ، وجاء عمر بن حريث فأجلسه معه على سريره وطعم الناس . ثم طاف مع عمر بن حريث على القصر يسأله عن مساكنه ومعالمه ولما بلغ عبدالله بن حازم مسير مصعب لقتال عبد الملك قال : أمعه عمر بن مَعْمَر؟ قيل : هو على فارس . قال : فالمهلب قيل : في قتال الخوارج ، قال : فعَبّاد بن الحسين؟ قيل على البصرة . قال : وأنا بخراسان !

خُـذيني فَجُرِّيني جهـاراً وأَنْشِدِي   بِلَحْمِ امرىءٍ لم يَشْهَدِ اليَوْمَ ناصره

ثم بعث عبد الملك برأس مصعب إلى الكوفة ، ثم إلى الشام فنصب بدمشق وأرادوا التطاوف[1] به فمنعت من ذلك زوجة عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن

---

(١) لعله يقصد التطواف ، والفعل طاف .

معاوية فغسلته ودفنته . وانتهى قتل مصعب إلى المُـهَـلّب وهو يحارب الأزارقة فبايع الناس لعبد الملك بن مروان ولما جاء خبر مصعب لعبدالله بن الزبير خطب الناس فقال : الحمدلله الذي له الخلق والأمر يؤتي المُـلْـكَ من يشاء ، ويَـنْـزِعُ الملك ممن يشاء ، ويُعِزُّ من يشاء ، ويذلّ من يشاء ، ألا وإنه لم يذلّ الله من كان الحق معه وإن كان الناس عليه طرّاً . وقد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب فالذي أفرحنا منه أنّ قتله شهادة وأمّا الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم عبد من عبيدالله وعون من أعواني ألا وإنّ أهل العراق ، أهل الغدر والنفاق سلّموه وباعوه بأقل الثمن فإن[1] فوالله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص والله ما قتل رجل منهم في الجاهلية ولا في الاسلام ولا نموت إلاّ طعناً بالرماح وتحت ظلال السيوف . ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه ، فإنْ تُقْبِل لا آخذها أخذ البَطِر ، وإن تُدْبِرْ لم أبك عليها بكاء الضَرِع المُهِين . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . (ولما بلغ الخبر) إلى البصرة تنازع ولايتها حمدان بن أَبان وعبدالله بن أبي بَكْرَةَ واستعان حمدان بعبدالله ابن الأهْتم عليها ، وكانت له منزلة عند بني أمية ، فلما تمهّد الأمر بالعراق لعبد الملك بعد مصعب ولّى على البصرة خالد بن عبدالله بن أسَيْد ، فاستخلف عليها عبيدالله ابن أبي بكرة ، فقدم على حمدان وعزله حتى جاء خالد ، ثم عزل خالداً سنة ثلاث وسبعين وولّى مكانه على البصرة أخاه بشْراً وجمع له المصرين وسار بشر إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمر بن حُـرَيْثَ وولّى عبد الملك على الجزيرة وأرمينية بعد قتل مصعب أخاه محمد بن مروان سنة ثلاث وستين ، فغزا الروم ومزّقهم بعد أن كان هادن ملك الروم أيام الفتنة على ألف دينار يدفعها إليه في كل يوم .

* (أمر زفر بن الحرث بقرقيسيا) *

قد ذكرنا في وقعة راهط مسير بن زفر إلى قرقيسيا واجتماع قيس عليه وأقام بها يدعو لابن الزبير ولما ولي عبد الملك كتب إلى أَبان بن عُـقْـبَـة بن أبي مَعِيط ، وهو على

(١) بياض بالأصل وفي كتاب الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٣٣٥ : «فإن يقتل فَـمَـهْ ! والله ما نموت على مضاجعنا ...» .

حمص بالمسير إلى زُفَر، فسار وعلى مقدمته عبدالله بن رُمَيْث العَلائي فعاجله عبدالله بالحرب وقتل من أصحابه نحو ثلثمائة ثم أقبل أبان فواقع زُفَر، وقيل ابنه وكِيع بن زفر وأوهنـه. ثم سار إليـه عبـد الملك إلى قرقيسيا قبـل مسيره إلى مصعب فحاصره ونصب عليه المجانيق وقال: كلب لعبد الملك لا تخلط معنا القَيْسِيَّة، فإنهم ينهزمون إذا التقينا مع زُفَر ففعل. واشتدّ حصارهم وكان زُفَر يقاتلهم في كل غداة وأمر ابنه الهُذَيْل يوماً أن يحمل زفر حتى يضرب فسطاط عبد الملك ففعل وقطع بعض أَطْنَابِهِ، ثم بعث عبد الملك أخاه بالأمان لزفر وابنه الهُذَيْل على أنفسهما ومن معهما وأنّ لهم ما أحبوا فأجاب الهُذَيْل وأدخل أباه في ذلك. وقال: عبد الملك لنا خير من ابن الزبير فأجاب على أن له الخيار في بيعته سنة. وأن ينزل حيث شاء ولا يعين على ابن الزبير وبينما الرسل تختلف بينهم إذ قيل لعبد الملك قد هدم من المدينة أربعة أبراج، فترك الصلح وزحف إليهم، فكشفوا أصحابه إلى عسكرهم ورجع إلى الصلح واستقرّ بينهم على الأمان ووضع الدماء والأموال. وأن لا يبايع لعبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة التي له في عنقه، وأن يدفع إليه مال نفسه في أصحابه وتأخر زُفَر عن لقاء عبد الملك خوفاً من فعلته بعمر بن سعيد. فأرسل إليه بقضيب النبيّ صلى الله عليه وسلم فجاء إليه وأجلسه عبد الملك معه على سريره وزوّج إبنه مسلمة الرباب بنت زُفَر وسار عبد الملك إلى قتال مصعب فبعث زُفَر ابنه الهُذَيْل معه بعسكر ولما قارب مصعباً هرب إليه وقاتل مع ابن الأشتر حتى إذا اقتتلوا اختفى الهُذَيْلُ في الكوفة حتى أمّنه عبد الملك كما مرّ.

* (مقتل ابن حازم بخراسان وولاية بكير بن وشاح عليها) *

قد تقدّم لنا خلاف بني تميم على ابن حازم بخراسان وأنهم كانوا على ثلاث فرق، وكف فرقتين منهم. وبقي يقاتل الفرقة الثالثة من نيسابور وعليهم بِجَير[1] بن ورقاء الصُرَيْميّ فلما قتل مصعب بعث عبد الملك إلى حازم يدعوه إلى البيعة ويطعمه خراسان سبع سنين. وبعث الكتاب مع رجل من بني عامر بن صَعْصَعَة. فقال ابن حازم: لولا الفتنة بين سُلَيْم وعَامِر ولكن كُلْ كتابك فأكله وكان بُكَيْر بن وشّاح[2] التميمي خليفة بن حازم على مرو، فكتب إليه عبد الملك بعهده على

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٣٤٥ : بَحِير: «بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة».
(٢) وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٣٤٥ : وسّاج.

خراسان ورغّبه بالمطامع إن انتهى ، فخلع ابن الزبير ودعا إلى عبد الملك وأجابه أهل مرو وبلغ ابن حازم فخاف أن يأتيه بُكَيْر ويجتمع عليه أهل مرو وأهل نيسابور فترك بجيراً وارتحل عنه إلى مرو ويزيد ابنه يترمّد[١] فأتبعه بجير ولحقه قريباً من مرو واقتتلوا فقتل ابن حازم . طعنه بجير وآخران معه فصرعوه وقعد أحدهم على صدره فقطع رأسه وبعث بجير البشير بذلك إلى عبد الملك وترك الرأس وجاء بكير بن وشاح في أهل مرو وأراد إنفاذ الرأس إلى عبد الملك وأنه الذي قتل ابن حازم وأقام في ولاية خراسان . وقيل إنّ ذلك إنمّا كان بعد قتل ابن الزبير وأنّ عبد الملك أنفذ رأسه إلى ابن حازم ودعاه إلى البيعة فغسل الرأس وكفّنه وبعثه إلى ابن الزبير بالمدينة وكان من شأنه مع الرسول ومع بجير وبكيرما ذكرناه[٢] .

(كان) عبد الملك لما بويع بالشام بعث إلى المدينة عُرْوَةَ بن أُنيف في ستة آلاف من أهل الشأم وأمره أن يسكن بالعَرَصَة ولا يدخل المدينة وعامل ابن الزبير يومئذ على المدينة الحَرْثُ بن حَاطِب بن الحرث بن مَعْمَر الجَمَحِي ، فهرب الحرث وأقام ابن أُنيف شهراً يصلي بالناس الجمعة بالمدينة ويعود الى معسكره ثم رجع ابن أُنيف إلى الشام ورجع الحرث إلى المدينة وبعث ابن الزبير بن خالد الدَوْرَقي على خَيْبَر وفَدَك . ثم بعث عبد الملك إلى الحجاز عبد الملك بن الحرث بن الحكم في أربعة آلاف فنزل وادي القرى ، وبعث سرية إلى سليمان بخَيْبَر وهرب وأدركوه فقتلوه ومن معه وأقاموا بخيبر وعليهم ابن القَمْقَام وذكر لعبد الملك ذلك فاغتمّ وقال قتلوا رجلاً صالحاً بغير ذنب . ثم عزل ابن الزبير الحرث بن حاطب عن المدينة وولّى مكانه جابر بن الاسود بن عوف الزُهَري فبعث جابر إلى خيبر أبا بكر بن أبي قيس في ستمائة فانهزم ابن القمقام وأصحابه أمامه وقتلوا صبراً . ثم بعث عبد الملك طارق بن عمر مولى عثمان ، وأمره أن ينزل بين أيلة ووادي القرى ، ويعمل كما يعمل عمال ابن الزبير من الانتشار ، وليسدّ خللاً إن ظهر له بالحجاز ، فبعث طارق خيلاً إلى أبي بكير بخيبر واقتتلوا فأصيب أبو بكير في مائتين من أصحابه وكتب ابن الزبير إلى القَبّاع وهو

(١) كذا بالاصل وفي الكامل لابن الاثيرج ٤ ص ٣٤٥ : ويزيد ابنه بِتِرْمِذ .

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثيرج ٤ ص ٣٤٦ : «فغسل الرأس وكفنه وبعثه الى اهله بالمدينة واطعم الرسول الكتاب ، وقال : لولا أنك رسول لقتلتك . وقيل : بل قطع يديه ورجليه وقتله وحلف ان لا يطيع عبد الملك ابداً .

عامله على البصرة يستمدّه ألفي فارس إلى المدينة فبعثهم القُبّاع وأمر ابن الزبير جابر ابن الأسود أن يسيّرهم إلى قتال طارق ففعل ولقيهم طارق فهزمهم وقتل مقدمهم ، وقتل من أصحابه خلقاً وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم ، ورجع إلى وادى القرى . ثم عزل ابن الزبير جابراً عن المدينة واستعمل طلحة بن عبدالله بن عَوْف ، وهو طلحة النَدّاء وذلك سنة سبعين . فلم يزل على المدينة حتى أخرجه طارق ولما قتل عبد الملك مصعباً ودخل الكوفة وبعث منها الحجّاج بن يوسف الثقفي في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال ابن الزبير ، وكتب معه بالأمان لابن الزبير ومن معه إن أطاعوا فسار في جمادى سنة إثنتين وسبعين ، فلم يتعرّض للمدينة ونزل الطائف . وكان يبعث الخيل إلى عَرَفَة ويلقاهم هناك خيل ابن الزبير فينهزمون دائماً وتعود خيل الحجاج بالظفر . ثم كتب الحجّاج إلى عبد الملك يخبره بضعف ابن الزبير وتفرّق أصحابه ويستأذنه في دخول الحرم لحصار ابن الزبير ويستمدّه ، فكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللحاق بالحجّاج فقدم المدينة في ذي القعدة سنة إثنتين وسبعين ، وأخرج عنها طلحة النَدّاء عامل ابن الزبير ، وولّى مكانه رجلاً من أهل الشام وسار إلى الحجّاج بمكّة في خمسة آلاف . ولما قَدِم الحجّاج مكّة أحرم بحجه ونزل بئر ميمون وحج بالناس ولم يطف ولا سعى ، وحصر ابن الزبير عن عَرَفَة فنحر بدنة بمكّة ولم يمنع الحاج من الطواف والسعي. ثم نصب الحجّاج المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة وكان ابن عمر قد حجّ تلك السنة فبعث إلى الحجّاج بالكف عن المنجنيق لأجل الطائفين ففعل ، ونادى منادي الحجّاج عند الإفَاضَة انصرفوا فإنّا نعود بالحجارة على ابن الزبير ، ورمى بالمنجنيق على الكعبة وألحت الصواعق عليهم في يومين وقتلت من أصحاب الشام رجالاً فذعروا . فقال لهم الحجّاج لا شك فهذه صواعق تهامة وإنّ الفتح قد حضر فأبشروا . ثم أصابت الصواعق من أصحاب ابن الزبير فسرى عن أهل الشام فكانت الحجارة تقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي فلا ينصرف ولم يزل القتال بينهم ، وغلت الأسعار وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح ابن الزبير فرسه وقسّم لحمها في أصحابه وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمدُّ من الذرة بعشرين وبيوت ابن الزبير مملوأة قمحاً وشعيراً وذرةً وتمراً ولا ينفق منها إلا ما يمسك الرمق ، يقوّي بها نفوس أصحابه . ثم أجهدهم الحصار وبعث الحجّاج إلى أصحاب ابن الزبير بالأمان فخرج إليه منهم نحو عشرة آلاف ، وافترق الناس عنه

وكان ممن فارقه إبناه حمزة وحبيب ، وأقام إبنه الزبير حتى قتل معه . وحرّض الناسَ الحجّاجُ وقال : قد ترون قلّة أصحاب ابن الزبير وما هم فيه من الجهد والضيق فتقدّموا واملؤا ما بين الحجون والأبواء فدخل ابن الزبير على أمّه أسماء وقال يا أمَّه قد خذلني الناس حتى ولدي والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟ فقالت له : أنت أعلم بنفسك إن كنت على حق وتدعو إليه فامض له فقد قتل عليه أصحابك . ولا تمكن من رقبتك وقد بلغت بها علمين بين بني أميّة . وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ومن قتل معك وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فليس هذا فعل الأحرار ولا أهل الدين فقال : يا أمّه أخاف أن يمثّلوا بي ويصلبوني فقالت : يا بني الشاة إذا ذبحت لا تتألم بالسلخ . فامضِ على بصيرتك واستعن بالله فقبّل رأسها وقال هذا رأيي والذي خرجت به داعياً إلى يومي هذا ، وما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة وما أخرجني إلاّ الغضب لله وأن تستحلّ حرماته ، ولكن أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتيني[1] بصيرة وإني يا أمّه في يومي هذا مقتول فلا يشتدّ حزنك وسلّمي لأمر الله ، فإنّ إبنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عمد بفاحشة ولم يَجُر ولم يغدر ولم يظلم ولم يقر على الظلم ، ولم يكن آثر عندى من رضا الله تعالى . اللهمّ لا أقر هذا تزكية لنفسي لكن تعزية لأمي حتى تسلو عني فقالت : إني لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً إن تقدّمتني احتسبتك وإن ظفرت سررت بظفرك . ثم قالت : أخرج حتى أنظر ما يصير أمرك جزاك الله خيراً . قال : فلا تدعي الدعاء لي ، فدعت له وودّعها وودّعته ولما عانقته للوداع وقعت يدها على الدرع فقالت : ما هذا صنيع من يريد ما تريد ! فقال : ما لبستها إلا لأشدّ منك فقالت : إنه لا يشدّ مني فنزعها وقالت له إلبس ثيابك مشمرة ثم خرج فحمل على أهل الشام حملة منكرة فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه وأشار عليه بعضهم بالفرار فقال : بئس الشيخ إذن أنا في الإسلام إذا واقعت قوماً فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم وامتلأت أبواب المسجد بأهل الشام والحجّاج وطارق بناحية الأبطح إلى المَـرْوَة وابن الزبير يحمل على هؤلاء وعلى هؤلاء وينادي أبا صَـفْوَان لعبدالله بن صفوان بن أميّة بن خلف فيجيبه من جانب المعترك ولما رأى الحجّاج إحجام الناس عن ابن الزبير غضب وترجل وحمل إلى صاحب الراية بين يديه فتقدّم ابن الزبير

(١) الاصح ان يقول زدتني .

إليهم وكشفهم عنه ورجع فصلّى ركعتين عند المقام وحملوا على صاحب الراية فقتلوه عند باب بني شيبة وأخذوا الراية ثم قاتلهم وابن مَطِيع معه حتى قتل ويقال أصابته بجراحة فمات منها بعد أيام . ويقال : إنه قال : لأصحابه يوم قتل : يا آل الزبير أَوَطِبْتُم لي نفساً عن أنفسكم كأهل بيتٍ من العرب اصطلمنا في الله ؟ فلا يرعكم وقع السيوف فإن ألم الدواء في الجرح أشدّ من ألم وقعها ، صونوا سيوفكم بما تصونون وجوهكم وغضوا أبصاركم عن البَارِقَة وليشغل كل امرىءٍ قِرْنَه ولا تسألوا عني ، ومن كان سائلاً فإني في الرعيل الأوّل ثم حمل حتى بلغ الحجون فأصابته حجارة في وجه فأرغش [1] لها ودمى وجهه . ثم قاتل قتالاً شديداً وقتل في جمادى الآخر سنة ثلاث وسبعين وحمل رأسه إلى الحجّاج فسجد ، وكبّر أهل الشام وثار الحجّاج وطارق حتى وقفا عليه ، وبعث الحجّاج برأسه ورأس عبدالله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى عبد الملك وصلب جثته مُنَكَّسَةً على ثنية الحجون اليمنى . وبعثت إليه أسماء في دفنه فأبى ، وكتب إليه عبد الملك يلومه على ذلك فخلّى بينها وبينه ولما قتل عبدالله ركب أخوه عروة وسبق الحجّاج إلى عبد الملك فرحّب به وأجلسه على سريره ، وجرى ذكر عبدالله فقال عروة : إنه كان ! فقال عبد الملك : وما فعل؟ قال : قتل فخرّ ساجداً . ثم أخبره عروة أنّ الحجاج صلبه فاستوهب جثته لأمّه فقال : نعم ، وكتب إلى الحَجّاج ينكر عليه صلبه فبعث بجثته إلى أمّه وصلّى عليه عروة ودفنه وماتت أمّه بعده قريباً . ولما فرغ الحجّاج من ابن الزبير دخل إلى مكّة فبايعه أهلها لعبد الملك وأمر بكنس المسجد من الحجارة والدم وسار إلى المدينة وكانت من عمله فأقام بها شهرين وأساء إلى أهلها وقال : أنتم قتلة عثمان وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأهل الذمّة ، منهم جابر بن عبدالله وأنس بن مالك وسهل بن سعد ثم عاد إلى مكة ونقلت عنه في ذم المدينة أقوال قبيحة أمره فيها إلى الله ،وقيل إنّ ولاية الحجّاج المدينة وما دخل منها كانت سنة أربع وسبعين وإنّ عبد الملك عزل عنها طارقاً واستعمله . ثم هدم الحجّاج بناء الكعبة الذي بناه ابن الزبير وأخرج الحجر منه وأعاده إلى البناء الذي أقرّه عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم . ولم يصدّق ابن الزبير في الحديث الذي رواه عن عائشة . فلمّا صحّ عنده بعد ذلك قال وددت أني تركته وما تحمل .

---

(١) وفي الكامل ج ٤ ص ٣٥٦ : فأرعش .

* (ولاية المهلب حرب الأزارقة) *

ولما عزل عبد الملك خالد بن عبدالله عن البصرة واستعمل مكانه أخاه بِشْرَ بن مروان وجمع له المصرين أمره أن يبعث المُـهَـلّب إلى حرب الأزارقة فيمن ينتخبه من أهل البصرة ويتركه وراءه في الحرب ، وأن يبعث من أهل الكوفة رجلاً شريفاً معروفاً بالبأس والنجدة في جيش كثيف إلى المهلب ، فيتبعوا الخوارج حتى يهلكوهم . فأرسل المُـهَـلّب جَدِيعْ بن سعيد بن قُـبَـيْـصَـة ينتخب الناس من الديوان . وشق على بِشْرٍ أنّ امرأة المهلب جاءت من عند عبد الملك ، فغص به ودعا عبد الرحمن بن مُخْنَف فأعلمه منزلته عنده وقال : إني أوليك جيش الكوفة بحرب الأزارقة فكن عند حسن ظني بك ثم أخذ يغريه بالمُـهَـلّب وأن لا يقبل رأيه ولا مشورته ، فأظهر له الوفاق وسار إلى المهلب فنزلوا رَامَـهُـرمُزَ ولقِي بها الخوارج فحدق[1] عليه على ميل من المُـهلب حيث يتراءى العسكران . ثم أتاهم نعي بِشر بن مروان لعشر ليال من مقدمهم وأنه استخلف على البصرة خالد بن عبدالله بن خالد فافترق الناس من أهل المصرين إلى بلادهم ، ونزلوا الأهواز وكتب إليهم خالد بن عبدالله يتهدّدهم ويحذّرهم عقوبة عبد الملك إن لم يرجعوا إلى المهلب فلم يلتفتوا إليه ومضوا إلى الكوفة واستأذنوا عمر بن حريث في الدخول ولم يأذن لهم فدخلوا وأضربوا عن إذنه .

* (ولاية أسد بن عبدالله على خراسان) *

ولما ولي بكير بن وشّاح على خراسان اختلف عليه بطون تميم وأقاموا في العصبية له وعليه سنتين ، وخاف أهل خراسان أن تفسد البلاد ويقهرهم العدوّ فكتبوا إلى عبد الملك بذلك وانها لا تصلح إلاّ على رجل من قريش واستشار أصحابه فقال له أمية بن عبيدالله بن خالد بن أسيد : نزكيهم برجل منك فقال : لولا انهزامك عن أبي فديك كنت لها فاعتذر وحلف أنّ الناس خذلوه ولم يجد مقاتلاً فانحزت بالعصبة التي بقيت من المسلمين عن الهلكة ، وقد كتب إليك خالد بن عبدالله بعذري وقد علمه الناس ، فولاّه خراسان . (ولما) سمع بكير بن شاّح بمسيره بعث ، الى بُـجَـيْر بن وَرْقَاء وهو في حبسه كما مرّ فأبى وأشار عليه بعض أصحابه أن يقبل مخافة القتل فقبل

(١) لعلها تكون خندق .

وصالح بكير أو بعث إليه بكير بأربعين ألفاً على أن لا يقاتله فلما قارب أُمَيّة نيسابور إليه بجير وعرّفه عن أمور خراسان وما يحسن به طاعة أهلها.وحذّره غدر بكير وجاء معه إلى مرو فلم يعرض أمية لبكير ولا لعمّاله وعرض عليه شرطته فأبى.وقال : لا أحمل الجزية اليوم وقد كانت تحمل إليّ بالأمس وأراد أن يولّيه بعض النواحي من خراسان فحذّره بجير منه . ثم ولّى أمية ابنه عبدالله على سجستان فنزل بَسْتَا . وغزا رَتْبِيل الذي مِلَكَ على الترك بعد المقتول الأوّل وكان هائباً للمسلمين فراسلهم في الصلح وبعث ألف ألف وبعث بهدايا ورقيق فأبى عبدالله من قبولها وطلب الزيادة فجلا رَتْبِيل عن البلاد حتى أوغل فيها عبدالله . ثم أخذ عليه الشعاب والمضايق حتى سأل منه الصلح وأن يخلي عينه عن المسلمين فشرط رَتْبِيل عليه ثلثمائة ألف درهم والعهد بأن لا يغزو بلادهم فأعطاه ذلك وبلغ الخبر بذلك عبد الملك فعزله .

* (ولاية الحجاج العراق) *

ثم ولّى عبد الملك الحجّاج بن يوسف على الكوفة والبصرة سنة خمسة وسبعين وأرسل إليه وهو بالمدينة يأمره بالمسير إلى العراق فسار على النجب في إثني عشر راكباً حتى قدم الكوفة في شهر رمضان . وقد كان بِشْرٌ بعث المُهَلَّبَ إلى الخوارج فدخل المسجد وصعد المنبر وقال : عليّ بالناس فظنّوه من بعض الخوارج فهموا به ، حتى تناول عُمَيْر بن ضابي البُرْجُمِي الحصباء وأراد أن يحصبه ، فلما تكلم جعل الحصباء يسقط من يديه وهو لا يشعر به . ثم حضر الناس فكشف الحجّاج عن وجهه وخطب خطبته المعروفة . ذكرها الناس وأحسن من أوردها المُبَرَّدُ في الكامل يتهدّد فيها أهل الكوفة ويتوعدهم عن التخلّف عن المُهَلّب . ثم نزل وحضر الناس عنده للعطاء واللحاق بالمهلّب فقام إليه عُمَيْرُ ابن ضابي وقال : أنا شيخ كبير عليل وابني هذا أشدّ مني فقال : هذا خير لنا منك قال : ومن أنت ؟ قال عُمَيْرُ بن ضابي قال : الذي غزا عثمان في داره ؟ قال : نعم . فقال : يا عدوا الله[1] إلى عثمان بدلاً . قال : إنه حبس أبي وكان شيخاً كبيراً . فقال : إني لا أحب حياتك إنّ في قتلك صلاح المصرين ، وأمر به فقتل ونهب ماله . وقيل إنّ عنبسه بن سعيد بن العاص هو الذي أغرى به الحجّاج حين دخل عليه . ثم أمر الحجاج مناديه فنادى ألا

(١) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٤ ص ٣٧٨ : «قال : يا عدو الله أفلا إلى عثمان بعثت بدلاً ؟»

إنّ ابن ضابي تخلّف بعد ثالثة من النداء فأمرنا بقتله ، وذمة الله بريئة ممن بات الليلة من جند المُهلّب فتساءل الناس إلى المُهلّب وهو بدار هُرْمُزَ وجاءه العرفاء فأخذوا كتبه بموافاة العسكر ثم بعث الحجّاج على البصرة الحكم بن أيوب الثقفِيّ وأمره أن يشتدّ على خالد بن عبدالله ، وبلغه الخبر فقسّم في أهل البصرة ألف ألف وخرج عنها . ويقال إن الحجّاج أوّل من عاقب على التخلّف عن البعوث بالقتل قال الشعبيّ : كان الرجل إذا أخلّ بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمرو عثمان وعليّ تنزع عمامته ويقام بين الناس ، فلما ولي مُصْعَبُ أضاف إليه حلق الرؤس واللحى ، فلما وَلِيَ بِشْرٌ أضاف إليه تعليق الرجل بمسمارين في يده في حائط فيخرق المسمار ان يده وربما مات.فلما جاء الحجّاج ترك ذلك كله وجعل عقوبة من تخلّى بمكانه من الثغر أو البعث القتل . ثم ولّى الحجاج على السند سعيد بن أَسْلَم بن زُرْعَة فخرج عليه معاوية ابن الحرث الكلابي العلاقي وأخوه ، فغلباه على البلاد وقتلاه فأرسل الحجّاج مجاعة ابن سعيد التميمي مكانه فغلب على الثغر وغزا وفتح فتوحات بمكران لسنة من ولايته .

* (وقوع أهل البصرة بالحجاج) *

ثم خرج الحجّاج من الكوفة واستخلف عليها عُرْوَةَ بن المغيرة بن شعبة وسار إلى البصرة وقدمها وخطب كما خطب بالكوفة وتوعد على القعود عن المهلب كما توعد فأتاه شريك بن عمرو اليشكري وكان به فتق فاعتذر به وبأنّ بِشْر بن مروان قبل عذره بذلك وأحضر عطاءه لِيُرَدّ لبيت المال فضرب الحجاج عنقه وتتابع الناس مزدحمين إلى المهلب ثم سار حتى كان بينه وبين المُهَلّب ثمانية عشر فرسخاً . وأقام يشدّ ظهره وقال : يا أهل المصرين هذا والله مكانكم حتى يهلك الله الخوارج . ثم قطع لهم الزيادة التي زادها مصعب في الأعطية وكانت مائة مائة وقال : لسنا نجيزها.فقال عبدالله بن الجارود : إنما هي زيادة عبد الملك وقد أجازها أخوه بِشْر بأمره ، فانتهره الحجّاج فقال : إني لك ناصح وإنه قول من ورائي فكث الحجّاج أشهراً لا يذكر الزيادة ثم أعاد القول فيها فردّ عليه ابن الجارود مثل الرّد الأوّل . فقال له مَصْقَلَة بن كَرِب العَبْدِي سمعاً وطاعة للأمير فيما أحببنا وكرهنا وليس لنا أن نردّ عليه . فانتهره ابن الجارود وشتمه وأتى الوجوه إلى عبدالله بن حكيم بن زياد المُجَاشِعِيّ وقالوا : إنّ هذا الرجل مجمع على نقص هذه الزيادة وإنّا نبايعك على إخراجه من العراق .

ونكتب إلى عبد الملك أن يولّي علينا غيره وإلاّ خلعناه وهو يخافنا ما دامت الخوارج في العراق ، فبايعوه سرّاً وتعاهدوا وبلغ الحجّاج أمرهم فاحتاط وجدّ . ثم خرجوا في ربيع سنة ستة وسبعين وركب عبدالله بن الجارود في عبد قيس على راياتهم ولم يبق مع الحجّاج إلا خاصته وأهل بيته وبعث الحَجاج يستدعيه فأفحش في القول لرسوله ، وصرّح بخلع الحجّاج فقال له الرسول : تهلك قومك وعشيرتك ! وأبلغه تهديد الحجاج إياه فضُرِبَ وأُخْرِج وقال : لولا أنك رسول لقتلتك . ثم زحف ابن الجارود في الناس حتى غشى فسطاطه فنهبوا ما فيه من المتاع وأخذوا زجاجته وانصرفوا عنها . فكان رأيهم أن يخرجوه ولا يقتلوه . وقال الغَضْبَان بن أبي القَبَعْثَري الشَيْبَاني لابن الجارود : لا ترجع عنه وحرضه على معالجته فقال إلى الغداة ، وكان مع الحجّاج عثمان بن قطن وزياد لا ترجع عنه وحرضه على معالجته فقال إلى الغداة ، وكان مع الحجّاج عثمان بن قطن وزياد بن عمر العتكي صاحب الشرطة بالبصرة ، فاستشارهما فأشار زياد بأن يستأمن القوم ويلحق بأمير المؤمنين وأشار عثمان بالثبات ولو كان دونه الموت . وقال : لا تخرج إلى أمير المؤمنين من العراق بعد أن رقّاك الى ما رقّاك وفعلت ما فعلت بابن الزبير والحجاز فقبل رأي عثمان وحقد على زياد في إشارته وجاءه عامر بن مسمع يقول : قد أخذ لك الأمان من الناس فجعل الحجّاج يغالطه رافعاً صوته عليه ليسمع الناس ويقول والله لا آمنهم حتى تؤتوني بالهُذَيْل بن عِمْرَان وعبدالله بن حكيم . ثم أرسل إلى عبيد بن كعب الفِهْرِي أن إئتني فامنعني ، فقال له : إن أتيتني منعتك فأبى وبعث إلى محمد بن عُمَيْر بن عَطَارِد وعبدالله بن حكيم بمثل ذلك ، وأجابوه مثله . ثم إنّ عَبَّادَ بن الحُصَيْن الجَفْطِيّ مرّ بابن الجارود والهُذَيْل وعبدالله بن حكيم يتناجون فطلب الدخول معهم فأبوا وغضب وسار إلى الحجّاج وجاءه قُتَيْبَةُ بن مُسْلِم في بني أعْصُرَ لِلْحَمِيّة القُتَيْبيّة . ثم جاءه سَبْرَة بن عليّ الكلابي وسعيد بن أسلم الكلابي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي ، فثابت إليه نفسه وعلم أنه قد امتنع. وأرسل إليه مُسَمِعُ بن مَالِك بن مُسْمِع : إن شئت أتيتك وإن شئت أقمت وثبطت عنك ، فأجابه أن أقم فلما أصبح إذا حوله ستة آلاف وقال ابن الجارود لعبدالله بن زياد بن ضُبْيَان ما الرأي ؟ قال تركته أمس ولم يبق إلاّ الصبر ثم تراجعوا وعبّى ابن الجارود وأصحابه على ميمنة الهُذَيْل وعلى ميسرته سعيد بن أسلم ، وحمل ابن الجارود حتى حاصر أصحاب

الحجّاج وعطف الحجّاج عليه فقارب ابن الجارود أن يظفر . ثم أصابه سهم غَرِبٌ فوقع ميتاً ونادى منادي الحجّاج بأمان الناس إلا الهُذَيْل وابن حكيم وأمر أن لا يتبع المنهزمين ، ولحق ابن ضبيان بعمار فهلك هنالك . وبعث الحجّاج برأس ابن الجارود ورأس ثمانية عشر من أصحابه إلى الملك ونصبت ليراها الخوارج فيتأسوا من الاختلاف وحبس الحجاج عبيد بن كعب ومحمد بن عمير لا متناعهما من الإتيان إليه وحبس ابن القَبَعْثَري لتحريضه عليه ، فأطلقه عبد الملك وكان فيمن قتل مع ابن الجارود عبدالله بن أنس بن مالك فقال الحجاج : لا أرى أنساً يعين عليّ ودخل البصرة وأخذ ماله . وجاءه أنس فأساء عليه وأفحش في كلمة في شتمه وكتب أنس إلى عبد الملك يشكوه فكتب عبد الملك إلى الحجّاج يشتمه ويغلظ عليه في التهديد على ما فعل بأنس . « وأن تجيء إلى منزله وتتنصل إليه وإلاّ نبعث من يضرب ظهرك ويهتك سترك » . قالوا وجعل الحجّاج في قراءته يتغير ويرتعد وجبينه يرشح عَرَقاً . ثم جاء إلى أنس بن مالك واعتذر إليه . وفي عقب هذه الواقعة خرج الزنج بفرات البصرة ، وقد كانوا خرجوا قبل ذلك أيام مصعب ولم يكونوا بالكثير وأفسدوا الثمار والزروع . ثم جمع لهم خالد بن عبدالله فافترقوا قبل أن ينال مِنهم وقتل بعضهم وصلبه . فلما كانت هذه الواقعة قدّموا عليهم رجلاً منهم إسمه رياح ويلقب بشير زنجي أي أسد الزنج وأفسدوا فلما فرغ الحجّاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمر صاحب الشرطة أن يبعث إليهم من يقاتلهم وبعث إبنه حفصاً في جيش فقتلوه وانهزم أصحابه فبعث جيشاً فهزم الزنج وأبادهم .

* (مقتل ابن مخنف وحرب الخوارج) *

كان المهلب وعبد الرحمن بن مخنف واقفين للخوارج برَامَهُرْمُز فلما أمدّهم الحجّاج بالعساكر من الكوفة والبصرة تأخر الخوارج من رَامَهُرْمُز إلى كَازِرُون وأتبعهم العساكر حتى نزلوا بهم . وخندق المُهَلّب على نفسه ، وقال ابن مخنف وأصحابه خدمنا[1] سيوفنا . فبيتهم الخوارج وأصابوا الغِرَّةَ في ابن مخنف فقاتل هو وأصحابه حتى قتلوا ، هكذا حديث أهل البصرة ، وأمّا أهل الكوفة فذكروا أنهم لما ناهضوا

(١) ولعلها خندقنا سيوفنا ، لأن خدمنا ليس لها معنى هنا . اي انهم يحمون أنفسهم بسيوفهم وليس بالخندق حولهم .

الخوارج اشتدّ القتال بينهم ومال الخوارج على المهلب فاضطروه إلى معسكره وأمدّه عبد الرحمن بالخيل والرجال ، ولما رأى الخوارج مدده تركوا من يشغل المُـهَـلّب وقصدوا عبد الرحمن فقاتلوه وانكشفوا عنه ، وصبر في سبعين من قومه فثابوا إلى عتاب بن ورقاء ، وقد أمره الحجّاج أن يسمع للمُـهَـلّب فثقل ذلك عليه ، فلم يحسن بينهما العشرة وكان يتراءف في الكلام ، وربما أغلظ له المهلب . فأرسل عتاب إلى الحجّاج يسأله القعود ، وكان حرب الخوارج وشبيب قد اتسع عليه ، فصادفا منه ذلك مرقعا[1] واستقدمه وأمره أن يترك العسكر مع المُـهَـلّب فولّى المهلب عليهم ابنه حبيباً ، وأقام يقاتلهم بنيسابور نحواً من سنة وتحركت الخوارج على الحجّاج من لدن سنة ستة وسبعين إلى سنة ثمان وشغل بحربهم وأوّل من خرج منهم صالح بن سرّح من بني تميم بعث إليه العساكر فقتل فولّوا عليهم شبيباً واتبعه كثير من بني شيبان وبعث إليهم الحجّاج العساكر مع الحرث بن عُـمَـيْرة ثم مع سفيان الخَـثْـعَمِـي ثم انحدر ابن سعيد فهزموها وأقبل شبيب إلى الكوفة فحاربهم الحجّاج وامتنع ثم سرّح عليه العساكر وبعث في أثرهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهزموهم . ثم بعث عتّاب بن ورقاء وزُهْـرَة بن حَوِيّةَ مدداً لهم فانهزموا وقتل عتاب وزهرة ثم قتل شبيب واختلف الخوارج بينهم وقتل منهم جماعة كما يذكر ذلك كله في أخبارهم .

* (ضرب السكة الاسلامية) *

كان عبد الملك كتب في صدر كتابه إلى الروم : قل هو الله أحد وذكر النبيّ مع التاريخ ، فنكر ذلك ملك الروم وقال : اتركوه وإلاّ ذكرنا نبيكم في دنانيرنا بما تكرهونه فعظم ذلك عليه واستشار الناس فأشار عليه خالد بن يزيد بضرب السكة وترك دنانيرهم ففعل . ثم نقش الحجّاج فيها قل هو الله أحد فكره الناس ذلك لأنه قد يمسّها غير الطاهر . ثم بالغ في تخليص الذهب والفضة من الغش وزاد ابن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك عليه . ثم زاد خالد القِسْرِيّ عليهم في ذلك أيام هشام ثم أفرط يوسف بن عمر من بعدهم في المبالغة وامتحان العيار وضرب عليه فكانت الهُـبَـيْـرِيّـة والخَالِدِيّة واليوسُفِيَّـة أجود نقود بني أمية . ثم أمر المنصور أن لا يقبل في الخراج غيرها وسميت النقود الأولى مكروهة إمّا لعدم جودتها أو لما نقش عليها الحجّاج

(١) لا معنى للكلمة مرقعاً ولعلها : وصادف منه ذلك موقعاً .

وكرهه . وكانت دراهم العجم مختلفة بالصغر والكبر . فكان منها مثقال وزن عشرين قيراطاً واثني عشر وعشرة قراريط وهي أنصاف المثاقيل فجمعوا قراريط الأنصاف الثلاثة فكانت إثنين وأربعين فجعلوا ثلثها وهو إثنا عشر قيراطاً وزن الدرهم العربي فكانت كل عشرة دراهم تزن مثاقيل . وقيل إنّ مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبدالله والأصح أنّ عبد الملك أوّل من ضرب السكة في الاسلام .

* (مقتل بكير بن وشاح [1] بخراسان) *

قد تقدّم لنا عزل بكير عن خراسان وولاية أمية بن عُبَيْدِالله بن خالد بن أُسَيد سنة اربع وسبعين وأنّ بكيرا أقام في سلطان أمية بخراسان وكان يكرمه ويدعوه لولاية ما شاء من أعمال خراسان . فلا يجيب . وأنه ولّاه طخارستان . وتجهز لها فيه بُحَيْر بن ورقاء فمنعه . ثم أمره بالتجهّز لغزو ما وراء النهر . فحذره منه بُحَيْر فردّه فغضب بُكَيْر . ثم تجهز أمية لغزو غارا . وموسى بن عبدالله بن حازم لِتَرْمُذ واستخلف ابنه على خراسان . فلما أراد قطع النهر قال لبكير : إرجع إلى مرو فأكفنيها فقد وليتكها . وقم بأمر ابن حازم فإني أخشى أن لا يضبطها . فانتخب من وثق به من أصحابه ورجع ، وأشار عليه صاحبه عَتّابْ بأن يحرق السفن ويرجع إلى مرو فيخلع أُمَيّة ، ووافقه الأحنف بن عبدالله العَنْبَرِي على ذلك فقال لهم بُكَيْر : أخشى على من معي . قالوا نأتيك من أهل مرو بمن تشاء . قال : يهلك المسلمون . قال ناد في الناس برفع الخراج فيكونون معك . قال فيهلك أُمَيّة وأصحابه . قال لهم عِدَدٌ وعَدَدٌ يقاتلون عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين فأحرق بكير السفن ورجع إلى مرو فخلع أمية وحبس إبنه وبلغ الخبر أمية فصالح أهل الشام بُخَارَى ورجع وأمر باتخاذ السفن وعبر وجاءه موسى بن عبدالله بن حازم من [2] مدداً له وبعث شماس بن ورقاء في ثمانمائة في مقدمته فبيته بكير وهزمه . فبعث مكانه ثابت بن عطية فهزمه . ثم التقى أمية وبكير فاقتتلوا أياماً . ثم انهزم بكير إلى مرو وحاصره أمية أياماً حتى سأل الصلح على ولاية ما شاء من خراسان . وأن يقضي عنه أربعمائة ألف دينه ، ويصل أصحابه

---

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٤٤٣ : بكير بن وسّاج .

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل الابن الاثير ج ٤ ص ٤٤٥ « واتاه موسى بن عبدالله بن حازم ، وارسل اميه شماس بن دثار في ثمانمائة وسار إليه بكير فبيته وهزمه » .

ولا يقبل فيه سعاية بُجَيْر فتمَّ الصلح ودخل أمية مدينة مرو وأعاد بكيراً إلى ما كان عليه من الكرامة وأعطى عتاب العدابي عشرين ألفاً وعزل بُـجَيْر عن شرطته بعطا بن أبي السائب . وقيل إنّ بكيراً لم يصحب أمية إلى النهر وإنما استخلفه على مرو فلما عبر أمية النهر خلع وفعل ما فعل . ثم أنّ بجيراً سعى بأمية بأنّ بكيراً دعاه إلى الخلاف وشهد عليه جماعة من أصحابه ، وأنّ معه إبني أخيه فقبض عليه أمية وقتله وقتل معه إبني أخيه وذلك سنة سبع وسبعين . ثم عبر النهر لغزو بَـلْخ فحصره الترك حتى جهد هو وعسكره وأشرفوا على الهلاك ثم نجوا ورجعوا إلى مرو .

* (مقتل بجير بن زياد) (١)

ولما قُتِل بكير بسعاية بُـجَيْر بن ورقاء تعاقد بنو سَعْد بن عَوْف من تميم وهم عشيرته على الطلب بدمه وخرج فتى منهم من البادية إسمه شَمَرْدَلُ وقدم خراسان ووقف يوماً على بُـجَيْر فطعنه فصرعه ولم يمت وقُتِل شَـمَرْدَلُ وجاء مكانه صَـعْـصَـعَة بن حَرْب العَوْفي ومضى إلى سجستان وجاور قرابة بُـجَيْر مدّة وانتسب إلى خَـنَـفِـيّـة ثم قال لهم : إنّ لي بخراسان ميراثاً فاكتبوا إلى بجير يعينني ، فكتبوا له وجاء إليه وأخبره بنسبه وميراثه ، وأقام عنده شهراً يحضر باب المُـهَـلّب وقد أنس به وأمن غائلته ، وجاء صَـعْـصَـعَـة يوماً وهو عند المهلب في قميص ورداء ودنا ليكلمه فطعنه ومات من الغد وقال صَـعْـصَـعَـة فمنعته مُـقَـاعِسُ وقالوا أخذ بثأره فحمل المهلب دم صَـعْـصَـعَـة وجعل دم بُـجَيْر ببكير وقيل إنّ المهلب بعثه إلى بجير فقتله والله أعلم وكان ذلك سنة إحدى وثمانين .

* (ولاية الحجاج على خراسان وسجستان) *

وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أمية بن عبدالله عن خراسان وسِجستان وضمها إلى الحجّاج بن يوسف فبعث المُـهَـلّب بن أبي صُـفْـرَةَ على خراسان وقد كان فرغ من حرب الأزارقة فاستدعاه وأجلسه معه على السرير ، وأحسن إلى أهل البلاد من أصحابه وزادهم وبعث عُـبَـيْـدالله بن أبي بكرة على سِـجستان فأما المهلب فقدّم إبنه حبيباً إلى خراسان فلم يعرض لأمية ولا لعمّاله حتى قَدِمَ أبوه المهلب بعد سنة من

---

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٤٥٧ : بَحِير بن ورقاء .

ولايته ، وسار في خمسة آلاف وقطع النهر الغربي وما وراء النهر ، وعلى مقدمته أبو الأدهم الرُّمَّاني في ثلاثة آلاف ، فنزل على كَشّ وجاءه ابن عمر الخَتْن يستنجده على ابن عمه ، فبعث معه ابنه يزيد ، فبيّت ابن العم عساكر الخَتْن وقتل الملك وجاءه صَرّ يريد قلعتهم حتى صالحوا بما رضي ، ورجع . وبعث المهلب ابنه حبيباً في أربعة آلاف ووافى صاحب بخارى في أربعين ألفاً . وكبس بعض جنده في قرية فقتلهم وأحرقها ورجع إلى أبيه . وأقام المهلب يحاصر كش سنتين حتى صالحوه على فدية وأما عبدالله بن أبي بكرة فأقام بسجستان ورَتْبيل على صلحه يؤدّي الخراج . ثم امتنع فأمر الحجاج ابن أبي بكرة فغزوه واستباحوا بلاده ، فسار في أهل المصرين وعلى أهل الكوفة شُرَيْح بن هانىء من أصحاب علي ، فدخل بلاد رَتْبيل وتوغّل فيها حتى كانوا على ثمانيَة عشر فرسخاً من مدينتهم وأثخن واستباح وخرّب القرى والحصون . ثم أخذ الترك عليهم القرى والشعاب حتى ظنوا الهلكة فصالحهم عبيدالله على الخروج من أرضهم ، على أن يعطيهم سبعمائة ألف درهم . ونكر ذلك عليه شُرَيْح وأبى إلا القتال وحرّض الناس ورجع وقتل حين ، قتل في ناس من أصحابه ونجا الباقون وخرجوا من بلاد رَتْبِيل ، ولقيهم الناس بالأطعمة فكانوا يموتون إذا شبعوا . فجعلوا يطعمونهم السمن قليلاً قليلاً حتى استمرّوا وكتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في غزو بلاد رَتْبِيل فأذن له فجهّز عشرين ألف فارس من الكوفة وعشرين ألفاً من البصرة واختار أهل الغنى والشجاعة ، وأزاح عللهم وأنفق فيهم ألفي ألف سوى أُعْطِياتِهم ، وأخذهم بالخيل الرائعة والسلاح الكامل . وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وكان يبغضه ويقول أريد قتله . ويخبر الشعبي بذلك عبد الرحمن فيقول أنا أزيله عن سلطانه ، فلما بعثه على ذلك الجيش تنصح أخوه اسمعيل للحجّاج وقال لا تبعثه فإني أخشى خلافه . فقال هو أهيب لي من أن يخالف أمري . وسار عبد الرحمن في الجيش وقدم سجستان واستنفرهم وحذر العقوبة لمن يتعدّى وساروا جميعاً إلى بلاد رَتْبِيل وبذل الخراج فلم يقبل منه ودخل بلاده فحواها شيأً فشيئاً وبعث عمّاله عليها ورجع المصالح بالنواحي والأرصاد على العقاب والشعاب ، وامتلأت أيدي الناس من الغنائم ، ومنع من التوغل في البلاد إلى قابل .
وقد قيل في بعث عبد الرحمن بن الأشعث غير هذا وهو أن الحجّاج كان قد أنزل هَمْيَان بن عَدِيّ السدِّي مسلحة بكرمان إن احتاج إليه عامل السِند وسِجستان ،

فمضى هَمْيَان فبعث الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث فهزمه وقام بموضعه . ثم مات عبدالله بن أبي بكرة فولاّه الحجاج مكانه وجهّز إليه هذا الجيش وكان يسمى جيش الطواويس لحسن زيهم .

* (أخبار ابن الاشعث ومقتله) *

ولما وصل كتاب ابن الأشعث إلى الحجاج كتب إليه يوبّخه على القعود عن التوغل ويأمره بالمضيّ لما أمره به من هدم حصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم . وأعاد عليه الكتاب بذلك ثانياً وثالثاً وقال له : إن مضيت وإلاّ فأخوك اسحق أمير الناس . فجمع عبد الرحمن الناس وردّ الرأي عليهم وقال : قد كنّا عزمنا جميعاً على ترك التوغل في بلد العدوّ ورأينا رأياً وكتبت بذلك إلى الحجّاج وهذا كتابه يستعجزني ويستضعفني ويأمرني بالتوغل بكم وأنا رجل منكم ، فثار الناس وقالوا : لا نسمع ولا نطيع للحجّاج . وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة الكِنَانيّ : اخلعوا عدّو الله الحجّاج وبايعوا الأمير عبد الرحمن فتنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا . وقال عبد المؤمن بن شيث بن رَبْعي : إنصرفوا إلى عدوّ الله الحجّاج فانفوه عن بلادكم ووثب الناس إلى عبد الرحمن على خلع الحجاج ونفيه من العراق وعلى النصرة له ولم يذكر عبد الملك . وصالح عبد الرحمن رَتْبيل على أنه إن ظهر فلا خراج على رَتْبيل ما بقي من الدهر ، وإن هزم منعه ممن يريده . وجعل عبد الرحمن على سَبْت عَيّاض بن هَمْيَان الشَيْبَاني وعلى رُومِجَ عبدالله بن عامر التميمي ، وعلى كَرْمَان حَرْثَةَ بن عمر التميمي . ثم سار إلى العراق في جموعه وأعشى هَمْدَان بين يديه يجري بمدحه وذمّ الحجّاج . وعلى مقدمته عَطِيَّةُ بن عُمَيْر العَيْرَني . ولما بلغ فارس بدا للناس في أمر عبد الملك وقالوا إذا خلعنا الحجّاج فقد خلعناه فخلعه الناس وبايعوا عبد الرحمن على السنة وعلى جهاد أهل الضلالة والمخلين وخلعهم . وكتب الحجّاج إلى عبد الملك يخبره ويستمدّه وكتب المُهَلّب إلى الحجّاج بأن لا يعترض أهل العراق حتى يسقطوا إلى أهليهم ، فنكر كتابه واتهمه . وجنّدَ عبد الملك الجند إلى الحجّاج فساروا إليه متتابعين ، وسار الحجّاج من البصرة فنزل تَسْتُر وبعث مقدمة خيلٍ فهزمهم أصحاب عبد الرحمن بعد قتال شديد وقتل منهم جمعاً كثيراً وذلك في أضحى إحدى وثمانين ، وأجفل الحجّاج إلى البصرة ، ثم تأخرّ عنها إلى الغاوية

وراجع كتاب المهلب فعلم نصيحته . ودخل عبد الرحمن البصرة فبايعه أهلها وسائر نواحيها لأنّ الحجّاج كان اشتد على الناس في الخراج ، وأمر من دخل الأمصار أن يرجع إلى القرى ، يستوفي الجزية ، فنكر ذلك الناس وجعل أهل القرى يبكون منه ، فلما قدم عبد الرحمن بايعوه على حرب الحجّاج وخلع عبد الملك . ثم اشتدّ القتال بينهم في المحرّم سنة إثنتين وثمانين ، وتزاحفوا على حرب الحجّاج وخلع عبد الملك . وانهزم أهل العراق وقصدوا الكوفة وانهزم منهم خلق كثير . وفشا القتل في القرى فقتل منهم عُـقْـبَـةَ بن الغافر الأزدي في جماعة استلحموا معه ، وقتل الحجّاج بعد الهزيمة منهم عشرة آلاف وكان هذا اليوم يسمّى يوم الزَاوِيَـة . واجتمع من بقي بالبصرة على عبد الرحمن ابن عبّاس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وبايعوه ، فقاتل بهم الحجّاج خمس ليال ثم لحق بابن الأشعث بالكوفة ربيعة طائفة من أهل البصرة . ولما جاء عبد الرحمن الكوفة وخليفة الحجّاج عليها عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبدالله الحَـضْـرَمِي وثب بع مـطَـرَ بن نَاجِيَـة من بني تميم مع أهل الكوفة ، فاستولى على القصر وأخرجه . فلما وصل ابن الأشعث لقيه أهل الكوفة واحتف به هَـمْـدان وجاء إلى القصر فمنعه مطر فصعد الناس القصر وأخذوه فحبسه عبد الرحمن وملك الكوفة . ثم إنّ الحجّاج استعمل على البصرة الحَـكَم بن أيوب الثَـقَفِي ورجع إلى الكوفة فنزل دُوَيْـرِ فِـيرَةَ ، ونزل عبد الرحمن دير الجَـمَاجم واجتمع إلى كل واحد أمداده وخندق على نفسه وبعث عبد الملك إبنه عبدالله وأخاه محمداً في جند كثيف وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجّاج ويجرى عليهم أعطياتهم كأهل الشام ، وينزل عبد الرحمن إلى أيّ بلد شاء عاملاً لعبد الملك . فوجم الحجّاج لذلك وكتب إلى عبد الملك : إنّ هذا ممن يزيدهم جراءة وذكّره بقضية عثمان وسعيد بن العاص . فأبى عبد الملك من رأيه وعرض عبدالله ومحمد بن مروان ما جاء به عبد الملك وتشاور أهل العراق بينهم وأشار عليهم عبد الرحمن بقبول ذلك . وأن العزّة لهم على عبد الملك لا تزول ، فتواثبوا مِن كل جانب منكرين لذلك ومجدّدين الخلع . وتقدّمهم في ذلك عبدالله بن دُوَاب السَلَمِيّ وعُـمَـيْر بن تيحانَ ، ثم برزوا للقتال وجعل الحجّاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللّـخْمِيّ ، وعلى الخيل سُفْـيَـان بن الأَبْـرَد الكلبي ، وعلى الرجّالة عبدالله بن حبيب الحَكَمِيّ . وجعل عبد الرحمن على ميمنته الحجّاج بن

حارثة الخَثْعَمِيّ ، وعلى ميسرته الأبرد بن قُرَّة التميمي ، وعلى خيله عبد الرحمن ابن العبّاس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، وعلى رجّالته محمد بن سعد بن أبي وقّاص ، وعلى مجنبته عبدالله بن رَزْم الحُرْشِي ، وعلى القرى[1] جَبَلَةُ بن زَحْر بن قَيْس الجُعْفِيّ وفيهم سعيد بن جُبَيْر وعامر الشعبي وأبو البُحْتَري الطَائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى . ثم أقاموا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون بقية سنتهم ، وكتيبة القرى معروفة بالصبر يحملون عليها فلا تنتقص . فعبّى الحجّاج ثلاث كتائب مع الجرّاح بن عبدالله الحكمي وحملوا على القرى ثلاث حملات وجبلة يحرّض القرى ويبيتهم والشعبي وسعيد بن جبير كذلك . ثم حملوا على الكتائب ففرّقوها وأزالوها عن مكانها وتأخر جبلة عنهم ليكون لهم فئة يرجعون إليه ، وأبصره الوليد بن نجيب الكلبيّ فقصده في جماعة من أهل الشام وقتله وجيءَ برأسه إلى الحجّاج وقدموا عليهم مكانه وظهر القتل في القرى . ثم اقتتلوا بعد ذلك ما يزيد على مائة يوم كثر فيها القتلى والمبارزة . ثم اقتتلوا يوماً في منتصف جمادى الآخرة وحمل سُفْيَان بن الأبرد في ميمنة الحجاج على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الأبرد بن قرّة من غير قتّال فتقوّضت صفوف الميمنة ، وركبهم أصحاب الحجّاج ، ثم انهزم عبد الرحمن وأصحابه . ومضى الحجّاج إلى الكوفة ومحمد بن مروان إلى الموصل وعبدالله بن عبد الملك إلى الشام . وأخذ الحجّاج الناس على أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر ، وقتل من أبى ودعا بكُمَيْل بن زياد صاحب عليّ فقتله لاقتصاصه . ثم أقام بالكوفة شهراً وأنزل أهل الشام في بيوت أهل الكوفة ، ولحق ابن الأشعث بالبصرة فاجتمع إليه جموع المنهزمين ومعه عبيدالله بن عبد الرحمن بن سُمْرَةَ ولحق به محمد بن سعد بن أبي وقّاص بالمدائن ، وسار نحو الحجّاج ومعه بَسْطَام بن مَصْقَلَة بن هُبَيْرَة الشَيْبَاني كان قدم عليه قبل الهزيمة من الري وكان انتقض بها ثم غلب عليها ولحق بعبد الرحمن فكان معه وبايع عبد الرحمن خلق كثير على الموت ، ونزل مسكن وخندق عليه وعلى أصحابه والحجّاج قبالتهم وقاتلهم خالد بن جرير بن عبدالله وكان قدم من خراسان في بعث الكوفة ، فقاتلهم خمسة عشر يوماً من شعبان أشدّ قتال ، وقتل زياد بن غنيم القيني . وكان عليٌّ صَالَحَ الحجّاج فهدّ منهم ثم أبى بكر القتال . وحل بَسْطَام بن مَصْقَلَة بن هُبَيْرَة في أربعة آلاف من فرسان الكوفة والبصرة ، كسروا جفون

---

(١) اي القرّاء .

سيوفهم وحملوا على أهل الشام فكشفوهم مراراً وأحاط بهم الرماة ولحقوا فقتلوا . وحمل عبد الملك بن المُـهَلّب على أصحاب عبد الرحمن فكشفوهم . ثم حمل أصحاب الحجّاج من كل جانب فانهزم عبد الرحمن وأصحابه وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه ، وأبو البحتري الطائي ومعلّى بن الأشعث نحو سجستان ويقال إنّ بعض الأعراب جاء إلى الحجّاج فدلّه على طريق من وراء معسكر ابن الأشعث فبعث معه أربعة آلاف جاؤا من ورائه ، وأصبح الحجّاج فقاتله واستطرد له حتى نهب معسكره وأقبلت السرية من الليل إلى معسكر ابن الأشعث وكان الغرق منهم أكثر من القتلى ، وجاء الحجاج إلى المعسكر فقتل من وجد فيه وكان عدّة القتلى أربعة آلاف منهم : عبد الله بن شدّاد بن الهادي وبَسْطَام بن مَصْـقَـلَـة وعمر بن ربيعة الرقاشي وبِشْر بن المنذر بن الجارود وغيرهم . (ولما سار) ابن الأشعث إلى سِجِسْتَان أتبعه الحجاج بالعساكر ، وعليهم عمارة بن تميم اللخمي ، ومعهم محمد بن الحجّاج فأدركوه بالسوس فقاتلوه وانهزم إلى سابور واجتمع إليه الأكراد وقاتلوا العساكر قتالاً شديداً فهزم ، وخرج عمارة ولحق ابن الأشعث بكرمان فلقيه عامله بها وهيأ له النزول فنزل . ثم رحل إلى زَرَنْج فمنعه عامله من الدخول ، فحاصرها أياماً ثم سار إلى بَسْت وعليها من قبله عَـيّـاض بن هَـمْـيَـان بن هشام السَلوبِيّ الشَـيْـبَـاني ، ثم استغفله فأوثقه . وكان رَتْبِيل ملك الترك قد سار ليستقبله ، ونزل على بَسْت وتهدّد عَـيّـاضاً فأطلقه ، وحمل رَتْبِيل إلى بلاده وأنزله عنده . واجتمع المنهزمون فاتفقوا على قصد خراسان لينموا بعشائرهم وقصدوا للصلاة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث ، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث يستقدمونه فقدم عليهم وثناهم عن قصد خراسان مخافة من سطوة يزيد بن المُـهَـلّب وأن يجتمع أهل الشام وأهل خراسان فأبوا وقالوا بل يكثر بها تابعنا . فسار معهم إلى هَـرَاة فهرب عنهم عبيدالله بن عبد الرحمن بن سَـمُـرَة فخشي الانتقاض وقال : إنما أتيتكم وأمركم جميعاً وأنا الآن منصرف إلى صاحبي الذي جئت من عنده يعني رَتْبِـيل . ورجع عنهم في قليل وبقي معظم العسكر مع عبد الرحمن بن العبّاس بسجستان ، فجمع بابن الأشعث وسار إلى خراسان في عشرين ألفاً ونزل هراة ولقوا الرقاد فقتلوه . وبعث إليه يزيد بن المهلب بالرحلة من البلاد ، فقال إنما نزلنا لنستريح ونرتحل ، ثم أخذ في الجباية وسار نحوه يزيد بن المهلب والتقوا فافترق أصحاب عبد الرحمن عنه ، وصبرت معه طائفة

ثم انهزموا وأمر يزيد بالكف عنهم وغنم ما في عسكرهم وأسر جماعة منهم فيهم محمد بن سعد بن أبي وقّاص وعمر بن موسى بن عبدالله بن مَعْمَر وعبّاس بن الأسود بن عوف والهَلْقَام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة ، وفيروز وأبوا العلج مولى عبيدالله بن مَعْمَر وسوار بن مروان وعبدالله بن طلحة الطلحات ، وعبدالله بن فُضَالَة الزَهْرَاني الأزدي . ولحق عبد الرحمن بن العبّاس بالسِند وأتى ابن سُمْرَة إلى مرو وانصرف يزيد إلى مرو . وبعث بالأسرى إلى الحجّاج مع سَيْدَة بن نَجْدَة ، وقال له أخوه حبيب : ألا تبعث عبد الرحمن بن طلحة ؟ فإنّ له عندنا يَدَيْن ، وقد ودى عن المهلب أبوه طلحة مائة ألف ، فتركه وترك عبدالله بن فضالة لأنه من الازد . وبعث الباقين وقدموا عليه بمكان واسط قبل بنائها فدعا بفيروز وقال : ما أخرجك مع هؤلاء وليس بينك وبينهم نسب ؟ قال : فتنة عمّت الناس ! قال : أكتب أموالك فكتب ألفي ألف وأكثر. فقال للحجاج : وأنا آمن على دمي ؟ قال : لا والله لتؤدّينها ثم أقتلك . قال : لا تجمع مالي ودمي وأمر به فنحي . ثم أحضر محمد بن سعد بن أبي وقّاص فوبّخه طويلاً ثم أمر به فقتل ثم دعا بعمر بن موسى فوبخه ولاطفه في العذر فلم يقبل ثم أمر به فقتل . ثم أحضر الهَلْقَام بن نعيم فوبخه . وقال : ابن الأشعث طلب الممالك فالذي طلبت أنت ؟ قال : أن توليني العراق مكانك فأمر به فقتل . ثم أحضر عبدالله بن عامر فعذله في عبدالله يزيد بن المهلب لأنه أطلق قومه من الأسر وقاد نحوه مطراً ، فأطرق الحجّاج ، ثم قال : ما أنت وذاك ؟ ثم أمر به فقتل فلم يزل في نفسه من يزيد حتى عزله . ثم أمر بفيروز فعذب ولما أحس بالموت قال أظهروني للناس ليردّوا عليّ ودائعي فلما ظهر نادى من كان لي عنده شيء فهو في حل فأمر به فقتل . وأمر بقتل عمر بن فهر الكِندي وكان شريفاً ، وأحضر أعشى هَمْدَان واستنشده قصيدته بين الأثلج وبين قيس ، وفيها تحريض ابن الأشعث وأصحابه فقال : ليست هذه وإنما التي بين الأثلج وبين قيس بارق على رويّ الدال . فأنشده فلما بلغ قوله بخٍ بخٍ للوالدة وللمولود . قال : والله لا تبخبخ بعدها أبداً وقتل . (وسأل الحجاج) عن الشعبي فقال له يزيد بن أبي مسلم إنه لحق بالري فكتب إلى قُتَيْبَة بن مسلم وهو عامله على الري بإرسال الشعبي . فقدم على الحجّاج سنة ثلاث وثمانين ، وكان ابن أبي مسلم له صديقاً فأشار عليه بحسن الأعتذار فلما دخل على الحجّاج سلّم عليه بالأمرة وقال : وأيم الله لا أقول إلا الحق

قد والله حرّضنا وجهدنا فما كنا أقوياء فَجَرَة ، ولا أتقياء بَرَرَة ، وقد نصرك الله وظفرت فإن سطوت فبذنوبنا وإن عفوت فبحلمك والحجة لك علينا . فقال الحجاج : هذا والله أحب اليّ ممن يقول ما شهدت ولا فعلت وسيفه يقطر من دمائنا . ثم أمّنه وانصرف . (ولما ظفر الحجّاج) بابن الأشعث وهزمه لحق كثير من المنهزمين بعمر بن الصلت وقد كان غلب على الري في تلك الفتنة . فلما اجتمعوا أرادوا أن يحظوا عند الحجاج ويمحوا عن أنفسهم ذنب الجمَاجِم فأشاروا على عمر بخلع الحجّاج فامتنع فدسوا عليه أباه فأجاب . ولما سار قتيبة إلى الري خرجوا مع عمر لقتاله ثم غدروا به فانهزم ، ولحق بطبرستان وأقرّه الأصْبَهْبَد وأحسن اليه ، وأرادوا الوثوب على الأصْبَهْبَد فشاور أباه وقال : قد علمت الأعاجم أني أشرف منه فمنعه أبوه ودخل قتيبة الري وكتب الحجّاج إلى الأصْبَهْبَد أن يبعث بهم أو برؤسهم ففعل ذلك : (ولما انصرف) عبد الرحمن بن الأشعث من هَرَاة الى رَتْبِيل قال له علقمة ابن عمر الازدي : لا أدخل معك دار الحرب لأنّ رَتْبِيل إن دخل إليه الحجَاج فيك وفي أصحابك قتلكم أو أسلمكم إليه ، ونحن خمسمائة قد تبايعنا على أن نتحصن بمدينة حتى نأمن أو نموت كراماً وقدم عليهم مودود البصري ، وزحف إليهم عمارة بن تميم اللخمي وحاصرهم حتى استأمنوا فخرجوا إليه وقلاهم وتتابعت كتب الحجّاج إلى رَتْبِيل في عبد الرحمن يرهبه ويرغبه . وكان عبيد بن سَمِيع التميمي من أصحاب ابن الأشعث وكان رسوله إلى رَتْبِيل أوّلاً فأنس به رَتْبِيل وزحف عليه وأغرى القاسم بن الأشعث أخاه عبد الرحمن بقتله فخافه وزير لرَتْبِيل أخذ العهد من الحجّاج وإسلام عبد الرحمن إليه على أن يكف عن أرضه سبع سنين فأجابه رَتْبِيل وخرج إلى عمارة سرًّا . وكتب عمارة إلى الحجّاج بذلك فأجاب وكتب له بالكفّ عنه عشر سنين ، وبعث إليه رَتْبِيل برأس عبد الرحمن وقيل مات بالسل فقطع رأسه وبعث به ، وقيل أرسله مقيّداً مع ثلاثين من أهل بيته إلى عمارة فألقى عبد الرحمَن نفسه من سطح القصر فمات ، فبعث عمارة برأسه وذلك سنة أربع أو خمس وثمانين .

قد كنا قدمنا حصار المهلب مدينة كَشّ من وراء النهر فأقام عليها سنتين ، وكان استخلف على خراسان إبنه المُغِيرَة فمات سنة إثنتين وثمانين ، فجزع عليه وبعث إبنه يزيد إلى مرو ومكنه في سبعين فارساً ، ولقيهم في مفازة نَسَفٍ جمعٌ من الترك يقاربون الخمسمائة فقاتلوهم قتالاً شديداً يطلبون ما في أيديهم والمغيرة يمتنع حتى أعطى بعض

أصحابه لبعضهم شيئاً من المتاع والسلاح ، ولحقوا بهم ولحق يزيد بمرو . ثم سأل أهل كَشّ من المهلب الصلح على مال يعطونه ، فاسترهن منهم رهناً من أبنائهم في ذلك ، وانفتل المُـهَـلّب وخلّف حَرِيث بن قطنة مولى خُـزَاعَـة ليأخذ الفدية ويردّ الرهن ، فلما صار بِبَـلّخ كتب إليه : لا تخل الرهن وإن قبضت الفدية حتى تقدم أرض بَـلْـخ لئلا يغيروا عليك فأقرأ صاحب كَشّ كتابه وقال : إن عجلت أعطيتك الرهن ، وأقول له جاء الكتاب بعد إعطائه . فعجّل صاحب كَشّ بالفدية وأخذ الرهن وعرض له الترك كما عرضوا ليزيد وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى ، ففدوهم فرداً فرداً وأطلقهم . ولما وصل إلى المُـهَـلّب ضربه ثلاثين سوطاً عقوبة على مخالفة كتابه في الرهن . فحلف حريث بن قطنة ليقتلنّ المهلب ، وخاف ثابتاً أن كان ذلك المسير إليه فبعث إليه المهلب أخاه ثابت بن قطنة يلاطفه فأبى وحلف ليقتلن المهلب ، وخاف ثابت إن كان ذلك أن يقتلوا جميعاً فأشار عليه باللحاق بموسى بن عبدالله بن حازم ، فلحق به في ثلثمائة من أصحابهما . (ثم هلك المُـهَـلّب) واستخلف ابنه يزيد ، وأوصى إبنه حبيباً بالصلاة وأوصى وُلْـدَه جميعاً بالإجتماع والإلفة ، ثم قال : أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فانها تنسىءُ في الأجل وتثري المال وتكثر العدد وأنها كم عن القطيعة ، فإنها تعقب النار والذلة والقلة ، وعليكم بالطاعة والجماعة ولتكن فعالكم أفضل من مقالكم واتقوا الجواب وزلة اللسان فإنّ الرجل تزلّ قدمه فينعش ويزلّ لسانه فيهلك واعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له . وآثروا الجود على البخل وأحبوا العرف واصنعوا المعروف ، فإنّ الرجل من العرب تعده العدة فيموت فكيف بالصنيعة عنده . وعليكم في الحرب بالتؤدة والمكيدة فإنها أنفع من الشجاعة ، وإذا كان اللقاءُ نزل القضاءُ وإن أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل أتى الأمر من وجهه فظفر ، وإن لم يظفر قيل ما فرّط ولا ضيّع ولكن القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن وتعلم السنن وآداب الصالحين وإياكم وكثرة الكلام في مجالسكم . ثم مات وذلك سنة إثنتين وثمانين . (ويقال) إنه لما حثّهم على الإلفة والاجتماع أحضر سهاماً محزومة فقال : أتكسرون هذه مجتمعة ؟ قالوا : لا . قال : فتكسرونها مفترقة ؟ قالوا : نعم . قال : فهكذا الجماعة . واستولى يزيد على خراسان بعد أبيه وكتب له الحجّاج بالعهد عليها ثم وضع العيون على بَـيْـزَك حتى بلغه خروجه عن قلعته فسار إليها وحاصرها ففتحها وغنم ما كان فيها من الأموال والذخائر ، وكانت

من أحصن القلاع . وكان بَيْزَك إذا أشرف عليها يسجد لها . ولما فتحها كتب إلى الحجّاج بالفتح وكان كاتبه يَعْمُر العَدْوَاني حليف هُذَيْل فكتب : إنّا لقينا العدوّ فمنحنا الله أكنافهم فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤس الجبال ومهامه الأودية وأهضام الغيطان وأفناء الأنهار . فقال الحجّاج : من يكتب ليزيد ؟ قيل : يحيى بن يَعْمُر . فكتب بحمله على البريد فلما جاءه قال : أين ولدت ؟ قال : بالأهواز قال : فمن أين هذه الفصاحة ؟ قال : حفظت من أولاد أبي وكان فصيحاً قال : يلحن عنبسة بن سعيد ؟ قال : نعم كثيراً . قال ففلان ؟ قال : نعم . قال : فأنا ؟ قال : تلحن خفيفاً تجعل أنّ موضع إنّ وإنّ موضع أنّ . قال : أجلتك ثلاثاً وإن وجدتك بأرض العراق قتلتك فرجع إلى خراسان .

* (بناء الحجاج مدينة واسط) *

كان الحجاج يُنزل أهل الشام على أهل الكوفة فضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان سنة ثلاث وثمانين ، وعسكروا قريباً من الكوفة حتى يستتموا ، ورجع منهم ذات ليلة فتى حديث عهد بعرس بابنة عمه فطرق بيته ودق الباب فلم يفتح له إلاّ بعد هنيهة وإذا سكران من أهل الشام فشكت إليه إبنة عمه مراودته إيّاها . فقال لها : ائذني له فأذنت له ، وجاء فقتله الفتى وخرج إلى العسكر وقال : إبعثي إلى الشاميين وارفعي إليهم صاحبهم فأحضروها عند الحجّاج فأخبرته . فقال : صدقت ! وقال للشاميين لا قَوَد له ولا عقل فإنه قتيل الله إلى النار . ثم نادى مناديه لا ينزل أحد على أحد وبعث الروّاد فارتادوا له مكان واسط ووجد هناك راهباً ينظف بقعته من النجاسات فقال : ما هذه ؟ قال : نجد في كتبنا أنه ينشأ ههنا مسجد للعبادة . فاختط الحجاج مدينة واسط هنالك وبنى المسجد في تلك البقعة .

* (عزل يزيد عن خراسان) *

يقال إنّ الحجّاج وفد إلى عبد الملك ومرّ في طريقه براهب قيل له إنّ عنده علماً من الحدثان فقال : هل تجدون في كتابكم ما أنتم فيه ؟ قال : نعم فقال : مُسَمًّى أو موصوفاً ؟ قال : موصوفاً . قال : فما تجدون صفة ملكنا ؟ قال : صفته كذا . قال ثم من ؟ قال : آخر اسمه الوليد . قال : ثم من ؟ قال : آخر اسمه ثقفي . قال فمن تجد

بعدي قال رجل يدعى يزيد . قال أتعرف صفته قال لا أعرف صفته إلا أنه يغدر غدرة فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب ووجل منه وقدم على عبد الملك . ثم عاد إلى خراسان وكتب إلى عبد الملك يذمّ يزيد وآل المهلب وأنهم زُبَيْرِيّة فكتب إليه إنّ وفاءهم لآل الزبير يدعوهم إلى الوفاء لي فكتب إليه الحجّاج يخوّفه غدرهم وما يقول الراهب فكتب إليه عبد الملك إنك أكثرت في يزيد فانظر من تولّي مكانه فسمّى له قتيبة بن مسلم فكتب له أن يوليه . وكره الحجاج أن يكاتبه بالعزل فاستقدمه وأمره أن يستخلف أخاه المفضل واستشار يزيد حُصَيْن بن المُنْذِر الرَقَاشِيّ فقال له : أقم واعتل وكاتب عبد الملك فإنه حسن الرأي فيك نحن أهل بيت بورك لنا في الطاعة وأنا أكره الخلاف . وأخذ يتجهز وأبطأ فكتب الحجّاج إلى المفضل بولاية خراسان واستلحاق يزيد . فقال : إنه لا يضرّك بعدي وإنما ولاّك مخافة أن امتنع وخرج يزيد في ربيع سنة خمس وثمانين . ثم عزل المفضل لتسعة أشهر من ولايته وولى قتيبة بن مسلم وقيل سبب عزل اليزيد أنّ الحجاج أذل العراق كلهم إلاّ آل المهلب وكان يستقدم يزيد فيعتل عليه بالعدا[1] والحروب وقيل كتب إليه أن يغزو خوارزم فاعتذر إليه بأنها قليلة السَلَب شديدة الكَلَف . ثم استقدمه بعد ذلك فقال إنيّ أغزو خوارزم فكتب الحجّاج لا تغزها فغزاها وأصاب سبياً وصالحه أهلها وانفتل في الشتاء . وأصاب الناس البرد فتدثروا بلباس الأسرى فبقوا عرايا وقتلهم المفضل . ولما وَلِي المفضل خراسان غزا باذَغِيس ففتحها وأصاب مغنماً فقسمه ثم غزا شومان فغنم وقسّم ما أصابه .

* (مقتل موسى بن حازم) *

كان عبدالله بن حازم لما قتل بني تميم بخراسان وافترقوا عليه فخرج إلى نيسابور ، وخاف بنو تميم على ثقله بمرو فقال لابنه موسى : اقطع نهر بَلْخ حتى نلتجىء إلى بعض الملوك أو إلى حصن نقيم فيه . فسار موسى عن مرو في مائتين وعشرين فارساً واجتمع إليه شبه الأربعمائة وقوم من بني سليم وأتى قم فقاتله أهلها فظفر بهم وأصاب منهم مالاً ، وقطع النهر . وسأل صاحب بخارى أن يأوي إليه فأبى وخافه ، وبعث إليه بصلة فسار عنه وعرض نفسه على ملوك الترك فأبوا خشية منه ، وأتى سمرقند فأذن

(١) لعلها العدى ومعناها الاعداء .

له ملكها طرخون ملك الصُغْدِ في المقام فأقام وبلغه قتل أبيه عبدالله بن حازم ولم يزل مقيماً بسمرقند . وبارز بعض أصحابه يوماً بعض الصُغْد فقتله فأخرجه طرخون عنه فأتى كَشّ فنزلها ولم يطق صاحبها مدافعته واستجاش عليه بطرخون . فخرج موسى للقائه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس فاقتتلوا إلى الليل ودسّ موسى بعض أصحابه إلى طرخون يخوّفه عاقبة أمره وأنّ كل من يأتي خراسان يطالبه بدمه فقال : يرتحل عن كَشّ ؟ قال له : نعم ! وكفّ حتى ارتحل وأتى تِرْمُذ ، فنزل إلى جانب حصن بها مشرف على النهر ، وأبى ملك تِرْمُذَ من تمليكه الحصن فأقام هنالك ولاطف الملك وتودّد له وصار يتصيد معه . وصنع له الملك يوماً طعاماً وأحضره في مائة من أصحابه ليأكلوا ، فلما طعموا امتنعوا من الذهاب . وقال موسى هذا الحصن إمّا بيتي أو قبري وقاتلهم فقتل منهم عدّة واستولى على الحصن وأخرج ملك تِرْمُذَ ولم يتعرّض له ولا لأصحابه . ولحق به جمع من أصحاب أبيه فقوي بهم ، وكان يغير على ما حوله . ولما وَلِيَ أمية خراسان سار لغزوه وخالفه بُكَيْر كما تقدّم . ثم بعث إليه بعد صلحه مع بُكَيْر الجيوش مع رجل من خُزَاعة وحاصروه . وعاود ملك تِرْمُذ إستنصاره بالترك في جمع كثير ونزلوا عليه من جانب آخر . وكان يقاتل العرب أوّل النهار والترك آخره ثلاثة أشهر . ثم بيّت الترك ليلة فهزمهم وحوى عسكرهم بما فيه من المال والسلاح ولم يهلك من أصحابه إلا ستة عشر رجلاً . وأصبح الخُزَاعِي والعرب وقد خافوا مثلها . وغدا عمر بن خالد بن حُصَيْن الكِلاَبِي على موسى بن حازم وكان صاحبه فقال : إنّا لا نظفر إلاّ بمكيدة فاضربني وخلني ، فضربه خمسين سوطاً فلحق بالخُزَاعِي وقال : إنّ ابن حازم إتهمني بعصبيتكم وأني عين لكم فأمّنه الخُزَاعِي وأقام عنده . ودخل عليه يوماً وهو خال فقال له : لا ينبغي أن تكون بغير سلاح . فرفع طرف فراشه وأراه سيفاً منتضى تحته فضربه عمر حتى قتله ولحق بموسى . وتفرّق الجيش واستأمن بعضهم موسى . ولما وَلِيَ المُهَلّب على خراسان قال لبنيه : إياكم وموسى فإنه إن مات جاء على خراسان أمير من قَيْس . ثم لحق به حُرَيْث وثابت ابنا قُطْنَة الخُزَاعِي فكانا معه . ولما وَلِي يزيد أخذ أموالهما وحرمهما ، وقتل أخاهما للأم الحَرْث بن مُعَقّد ، فسار ثابت إلى طرخون صريخاً ، وكان محبباً إلى الترك فغضب له طرخون . وجمع له نيزك وملك الصغد وأهل بخارى والصاغان ، فقدموا مع ثابت إلى موسى وقد اجتمع عليه فلّ عبد الرحمن بن عبّاس من هَرَاةَ وفلّ ابن

الأشعث من العراق ومن كابل . فكان معه نحو ثمانية آلاف فقال له ثابت وحريث : سِرْبنا في هذا العسكر مع الترك ، فنخرج يزيد من خراسان ونوليك ، فحذّر موسى أن يغلباه على خراسان ، ونصحه بعض أصحابه في ذلك فقال لهما : إن أخرجنا يزيد قدم عامل المدينة عبد الملك ، ولكنا نخرج عمال يزيد من وراء النهر ويكون لنا ، فأخرجوهم وانصرف طرخون والترك . وقوي أمر العرب بِتِرْمُذ وجبوا الأموال واستبد ثابت وحريث على موسى وأغراه أصحابه بهما فهم بقتلهما ، واذا بجموع العَجَم قد خرجت إليهم من الهَيَاطِلَة والتُبَّتِ والتُرْك فخرج موسى فيمن معه للقتال . ووقف ملك الترك على ما قيل في عشرة آلاف ، فحمل عليهم حريث بن قَطْنَةَ حتى أزالهم عن موضعهم ، وأصيب بسهم في وجهه وتحاجزوا ثم بيّتهم موسى فانهزموا وقتل من التُرْك خلقٌ كثير ومات منهم قليل . ومات حريث بعد يومين ورجع موسى بالظفر والغنيمة . وقال له أصحابه : قد كُفِينَا أمر حريث فاكفنا أمر ثابت فأبى . وبلغ ثابتاً بعض ما كانوا يخوضون فيه ودسّ محمد بن عبدالله الخُزَاعِي عليهم على أنه من سبي الباسيان ولا يحسن العربية ، فاتصل بموسى وكان ينقل إلى ثابت خبر أصحابه فقال لهم ليلة : قد أكثرتم عليّ فعلى أيّ وجه تقتلونه ولا أغدر به ؟ فقال له أخوه نوح : إذا أتاك غداً عد لنا به إلى بعض الدور فقتلناه قبل أن يصل إليك . فقال والله : إنه لهلاككم وجاء الغلام إلى ثابت بالخبر فخرج من ليلته في عشرين فارساً وأصبحوا ففقدوه وفقدوا الغلام فعلموا أنه كان عيناً . ونزل ثابت بحشور واجتمع إليه خلق كثير من العرب والعجم . وسار إليه موسى وقاتله ، فحصر ثابتاً بالمدينة . وأتاه طرخون مدداً فرجع موسى إلى تِرْمُذَ . ثم اجتمع ثابت وطرخون وأهل بخارى ونسف وأهل كش في ثمانين ألفاً . فحاصروا موسى بِتِرْمُذ حتى جهد أصحابه . وقال يزيد بن هُذَيْل والله لأقتلن ثابتاً أو أموت . فاستأمن إليه وحذّره بعض أصحابه منه فأخذ إبنيه قُدَامَة والضَحّاك رهناً وأقام يزيد يتلمّس غِرَّة ثابت . ومات ابن الزياد والقصير الخُزَاعي فخرج إليه ثابت يعزيه وهو بغير سلاح فضربه يزيد على رأسه وهرب وأخذ طرخون قُدَامَة والضَحّاك إبني يزيد فقتلهما . وهلك ثابت لسبعة أيام وقام مكانه من أصحابه ظهير[1] وضعف أمرهم وبيّتهم موسى ليلاً في

(١) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٤ ص ٥١١ : «واخذ طرخون قدامة والضحّاك ابني يزيد فقتلهما ، وعاش ثابت سبعة ايام ومات . وقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون ، وقام ظهير بأمر أصحاب ثابت ، فقاما قياماً ضعيفاً وانتشر أمرهم وأجمع موسى على بياتهم ...»

ثلثمائة فبعث إليه طرخون كف أصحابك فإنّا نرحل الغداة . فرجع وارتحل طرخون والعجم جميعاً . ولما وَلِيَ المفضل خراسان بعث عثمان بن مسعود في جيش إلى موسى ابن حازم وكتب إلى مُدْرِك بن المهلب في بَلْخ بالمسير معه ، فعبر النهر في خمسة عشر ألفاً ، وكتب إلى رَتْبِيل وإلى طرخون أن يكونوا مع عثمان . فحاصروا موسى بن حازم فضيّقوا عليه شهرين ، وقد خندق عثمان على معسكره حذر البيات فقال موسى لأصحابه : اخرجوا بنا مستميتين واقصدوا الترك فخرجوا وخلّف النَضْر ابن أخيه سليمان في المدينة وقال له : إن أنا قتلت فملك المدينة لمُدْرِك بن المُهَلّب دون عثمان وجعل ثلث أصحابه بازاء عثمان وقال لا تقاتلوه إلا إن قاتلكم وقصد طرخون وأصحابه وصدقوهم القتال ، فانهزم طرخون وأُخِذوا وحجزت الترك والصغد بينهم وبين الحصن فقاتلهم فعقروا فرسه وأردفه مولى له فبصر به عثمان حين وثب فعرفه فقصده وعقروا به الفرس وقتلوه ، وقتل خلق كثير من العرب وتولى قتل موسى واصل العَنْبَرِيّ ونادى منادي عثمان بكفّ القتل وبالأسر وبعث النَضْرُ بن سليمان إلى مُدْرِك ابن المهلب فسلّم إليه مدينة تِرْمُذ وسلّمها مُدْرِك إلى عثمان وكتب المفضل إلى الحجّاج بقتل موسى فلم يسرّه لأنه من قيس وكان قتل موسى (١) سنة خمس وثمانين لخمس عشرة سنة من تغلبه على تِرْمُذ .

* (البيعة للوليد بالعهد) *

وكان عبد الملك يروم خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد والبيعة لابنه الوليد ، وكان قُبَيْصَة ينهاه عن ذلك ويقول : لعلّ الموت يأتيه وتدفع العار عن نفسك وجاءه روح بن زنباع (٢) ليلة وكان عنده عظيماً ففاوضه في ذلك فقال : لو فعلته ما انتطح فيه عنزان . فقال : نصلح إن شاءالله . وأقام روح عنده ودخل عليهما قُبَيْصَة بن ذُؤَيب من جنح

(١) رحمه الله لو أبقي في حصنه ليكون سداً بينهم وبين طوائف الأمم المجاورة له لكان خيراً لهم وللاسلام ، فقد فجعوا الاسلام بقتله ، كما فجعوه بقتل قتيبة بن مسلم المباهلي . فاني أظن انه لم يأت في صدر الاسلام عند قيام الدولة الأموية مثلها . يعرف ذلك من نظر في وقائعها وحروبها . «من خط الشيخ العطّار»

(٢) روح بن زنباع قالت فيه زوجته :

بُكى الخز من روح وانكر جلده وعجّت عجيجاً من جزام المطارف

وهذا البيت اورده السنوسي في شرح الكبرى ، واختلفت نسخ الشراح والحواشي فيه فمن قائل عون وآخر عوف والصحيح روح . وله ترجمة في كتاب الاغاني . ولزوجته قائلة البيت قصة ظريفة رحمها الله تعالى اهـ . من خط الشيخ العطار» .

الليل وهما نائمان وكان لا يحجب عنه وإليه الخاتم والسكة فأخبره بموت عبد العزيز أخيه .
فقال روح : كفانا الله ما نريد ثم ضم مِصْر إلى إبنه عبدالله بن عبد الملك وولاّه عليها .
ويقال : إنّ الحجاج كتب إلى عبد الملك يزيّن له بيعة الوليد فكتب إلى عبد العزيز إني رأيت أن يصير الأمر إلى ابن أخيك ، فكتب له أن تجعل الأمر له من بيعة فكتب له إني أرى في أبي بكر ما ترى في الوليد . فكتب له عبد الملك أن يحمل خراج مصر فكتب إليه عبد العزيز إني وإياك يا أمير المؤمنين قد أشرفنا على عمر أهل بيتنا ولا ندري أينا يأتيه الموت فلا تفسد عليّ بقية عمري فرّق له عبد الملك وتركه . (ولما) بلغ الخبر بموت عبد العزيز عبد الملك أمر الناس بالبيعة لابنه الوليد وسليمان ، وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان . وكان على المدينة هشام بن إسمعيل المخزومي فدعا الناس إلى البيعة فأجابوا وأبى سعيد بن المُسَيَّب فضربه ضرباً مبرحاً وطاف به وحبسه . وكتب عبد الملك إلى هشام يلومه ويقول : إنّ سعيداً ليس عنده شقاق ولانفاق ولا خلاف وقد كان ابن المُسَيَّب امتنع من بيعة ابن الزبير فضربه جابر بن الأسود عامل المدينة لابن الزبير ستين سوطاً ، وكتب إليه ابن الزبير يلومه .
وقيل إنّ بيعة الوليد وسليمان كانت سنة أربع وثمانين والأوّل أصح . وقيل قدم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مِصْر فلما فارقه وصّاه عبد الملك فقال : أبسط بشرك وألن كنفك وآثر الرفق في الأمور فهو أبلغ لك ، وانظر حاجبك وليكن من خير أهلك فإنه وجهك ولسانك . ولا يقفنّ أحدٌ ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو تردّه ، فإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك وتثبت في قلوبهم محبتك ، وإذا انتهى إليك مشكل فاستظهر عليه بالمشورة فإنها تفتح مغاليق الأمور المبهمة واعلم أنّ لك نصف الرأي ولأخيك نصفه ولن يهلك امرؤ عن مشورة وإذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فإنك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردّها بعد إصابتها .

* (وفاة عبد الملك وبيعة الوليد) *

ثم توفي عبد الملك منتصف شوّال سنة ست وثمانين وأوصى إلى بنيه فقال : أوصيكم بتقوى الله فإنها أزين حلية وأحصن كهف ، ليعطف الكبير منكم على الصغير ، وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فإنه نابكم الذي عنه تفترّون ، ومجنكم الذي عنه ترمون وأكرموا الحجّاج فإنه الذي وطّأ لكم المنابر ، ودوّخ لكم البلاد ، وأذلّ لكم مغنى الأعداء . وكونوا بني أم بَرَرَة لا تدب بينكم العقارب . وكونوا في الحرب أحراراً فإنّ القتال لا يقرّب مَنِيّة وكونوا

للمعروف مناراً فإنّ المعروف يبقى أجره وذخره وذكره ، وضعوا معروفكم عند ذوي الأحساب فإنه لصون له ، واشكر[1] لما يؤتي إليهم منه ، وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فإن استقالوا فاقيلوا ، وإن عادوا فانتقموا . (ولما دفن عبد الملك) قال الوليد : إنّا لله وإنّا إليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة . فكان أوّل من عزّى نفسه وهنّأها . ثم قام عبدالله بن هـمّـام السامولي وهو يقول :

اللهُ أَعْطَاكَ التي لافَوْقَهَا ... وَقَدْ أَرَادَ المُلْحِدُونَ عَوْقَهَا
عَنْكَ وَيَأْبَى اللهُ إلاّ سَوْقَهَا ... إِلَيْكَ حَتى قَلَّدُوكَ طَوْقَهَا

وبايعه ثم بايعه الناس بعده وقيل إنّ الوليد صعد المنبر فحمدالله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس لا مقدّم لما أخّره الله ولا مؤخر لما قدّمه الله وقد كان من قضاءالله وسابق علمه ، وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه الموت وقد صار إلى منازل الأبرار ووَلِيّ هذه الأمّة بالذي يحق لله عليه في الشدّة على المذنب واللين لأهل الحق والفضل ، وإقامة ما أقام الله من منازل الإسلام وإعلائه من حج البيت وغزو الثغور وشن الغارة على أعداء الله فلم يكن عاجزاً ولا مُفَرِّطاً . أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإنّ الشيطان مع المنفرد . أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه ثم نزل .

* (ولاية قتيبة بن مسلم خراسان وأخباره) *

قدم قُتَيْبَة[2] خراسان أميراً عن الحجّاج سنة ستة وثمانين فعرض الجند وحثّ على الجِهَاد وسار غازياً وجعل على الحرب بمرو[3] أياس بن عبدالله بن عمرو ، وعلى الخراج عثمان بن السعدي وتلقاه دهاقين البَلْخ والطالقان وساروا معه . ولما عبر النهر تلقّاه ملك الصغانيان بهداياه . وكان ملك أَخْرُونَ وشومان يسيء جواره فدعاه إلى بلاده وسلّمها إليه . وسار قُتَيْبَة إلى أخْرُونَ وشومان وهو من طخارستان فصالحه ملكها على فدية أدّاها إليه . وقبضها ثم انصرف إلى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ، ففتح بعد

(١) لعلها واشكروا حسب مقتضى السياق لأنه يخاطب اولاده .
(٢) هذا فحل الدولة الأموية كما ان الحجاج فرعونها ، كتبه الشيخ العطار .
(٣) مرو احدى قواعد اقليم خراسان الاربع وهي مرو وهراة وبلخ ونيسابور كتبه الشيخ العطار ايضاً .

رجوع قتيبة كاشان وأُوْرَشْت من فَرْغَانَة ، ثم أَخْسِيكَتَ مدينة فرغانة القديمة ، وكان معه ابن يسّار وأبلى في هذه الغزاة . وقيل إنّ قُتَيْبَة قدم خراسان سنة خمس وثمانين وكان من ذلك السبي امرأة بَرْمَك . وكان بَرْمَك على النُوبَهَار ، فصارت لعبدالله بن مسلم أخي قُتَيْبَة فوقع عليها وعلقت منه بخالد ، ثم صالح أهل بَلْخ وأمر قُتَيْبَة بردّ السبي ، فألحق عبدالله به حملها . ثم ردّت إلى برمك . وذكر أنّ ولد عبدالله بن مسلم إدّعوه ورفعوا أمرهم إلى المهدي وهو بالري ، فقال لهم بعض قرابتهم إنكم إن استلحقتموه لا بدّ لكم أن تزوّجوه ، فتركوه ولما صالح قُتَيْبَة ملك شومان[1] كتب إلى بترك طرخان صاحب باذغيس فيمن عنده من أسرى المسلمين هدّدهم فبعث بهم إليه . ثم كتب إليه يستقدمه على الأمان فخشي وتثاقل ، ثم قدم وصالح لأهل باذغيس على أن لا يدخلها قُتَيْبَة ثم غزا بِيكَنْدَاد في مدائن بُخَارى إلى النهر سنة سبع وثمانين . فلما نزل بهم استجاشوا بالصُغْد وبمن حولهم من الترك . وساروا إليه في جموع عظيمة ، وأخذوا عليه الطرق . فانقطعت الأخبار والرسل ما بينه وبين المسلمين شهرين ، ثم هزمهم بعض الأيام وأثخن فيهم بالقتل والأسر وجاء إلى السور ليهدمه ، فسألوا الصلح فصالحهم واستعمل عليهم وسار عنهم غير بعيد. فقتلوا العامل ومن معه فرجع إليهم وهدم سورهم وقتل المقاتلة وسبى الذُرِّيَّة وغنم من السلاح وآنية الذهب والفضة ما لم يصيبوا مثله . ثم غزا سنة ثمان وثمانين بلد نُومَكَثْت فصالحوه وسار إلى رَامِسَةَ فصالحوه أيضاً ، فانصرف وزحف أيضاً إليه التُرْكُ والصُغْدُ وأهل فرغانة في مائتي ألف وملكهم كُورْبَغَابُور إبن أخت ملك الصين ، واعترضوا مقدمته وعليها أخوه عبد الرحمن فقاتلهم حتى جاء قُتَيْبَة وكان ينزل معه ، فأبلى مع المسلمين ثم انهزم التركُ وجموعهم ، ورجع قُتَيْبَة إلى مرو. ثم أمره الحجّاج سنة تسع وثمانين وبخارى ، وملكها وَرْدَان خُذَاه فعبر النهر من زمّ ولقيه الصُغْد وأهل كَشّ ونسف بالمفازة وقاتلوه فهزمهم ومضى إلى بخارى فنزل عن يمين وَرْدَان ولم يظفر منه بشيء ورجع إلى مرو.

* (عمارة المسجد) *

كان الوليد عزل هشام بن إسمعيل المخزومي عن المدينة سنة سبع وثمانين لأربع سنين من ولايته ، وولّى عليها عمر بن عبد العزيز فقدمها ونزل دار مروان ودعا عشرة من فقهاء المدينة

(١) وفي نسخة ثانية سومرن .

فيهم الفقهاء السبعة المعروفون ، فجعلهم أهل مشورته لا يقطع أمراً دونهم وأمرهم أن يبلغوه الحاجات والظلامات فشكروه وجزوه خيراً . ودعا له الناس ثم كتب إليه سنة ثمان[1] أن يدخل حجر أمّهات المؤمنين في المسجد ويشتري ما في نواحيه حتى يجعله مائتي ذراع في مثلها ، وقدّم القبلة ومن أبى أن يعطيك ملكه فقومه قيمة عدل وادفع إليه الثمن واهدم عليه الملك ، ولك في عمر وعثمان إسوة . فأعطاه أهل الأملاك ما أحب منها بأثمانها وبعث الوليد إلى ملك الروم أنه يريد بناء المسجد فبعث إليه ملك الروم بمائة ألف مثقال من الذهب ومائة من الفَعَلة وأربعين حملاً من الفسيفساء[2] وبعث بذلك كله إلى عمر بن عبد العزيز واستكثر معهم من فعلة الشام وشرع عمر في عمارته اهـ ووَلّى الوليد في سنة تسع وثمانين على مكّة خالد بن عبدالله القِسْرِيّ .

* (فتح السند) *

كان الحجّاج قد ولّى على ثغر السِند ابن عمه محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل ، وجهّز معه ستة آلاف مقاتل ونزل مكران ، فأقام بها أياماً ثم أتى فيريوز ففتحها ثم أرْمَايل ثم سار إلى الدَيبل وكان به بَدّ[3] عظيم في وسط المدينة على رأسه دقل عظيم وعليه راية فإذا هبت الريح دارت فأطافت بالمدينة والبد صنم مركوز في بناء والدقل منارة عليه وكل ما يعبد فهو عندهم بَدّ . فحاصر الدَبيل ورماهم بالمنجنيق فكسر الدقل فتطيّروا بذلك ثم خرجوا إليه فهزمهم وتسنّم الناس الأسوار ففتحت عنوة وأنزل فيها أربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها إلى النَيْرُوز . وقد كانوا بعثوا إلى الحجّاج وصالحوه فلقوا محمداً بالميرة وأدخلوه مدينتهم وسار عنها وجعل لا يمرّ بمدينة من مدائن السِنْد إلا فتحها حتى بلغ نهر مَـهْـرَان ، واستعد ملك السِند لمحاربته وإسمه دَاهِر بن صَـصَـة ثم عقد الجسر على النهر وعبر فقاتله دَاهِر وهو على الفيل وحوله الفيلة . ثم اشتدّ القتال وترجّل دَاهِر فقاتل حتى قتل وانهزم الكُـفّـار واستلحمهم المسلمون ولحقت امرأة داهر بمدينة رارو فساروا إليها وخافته ، فأحرقت نفسها وجواريها . وملك المدينة ولحق الفلّ بمدينة بَـدْهَـمْـتَـابَاد العتيقة على فرسخين من مكان المنصورة وهي يومئذ غَـيْـضَـة ، ففتحها عنوة واستلحم من وجد بها

(١) اي سنة ثمان وثمانين .

(٢) قوله الفسيفاء حي أحجار صغيرة ملونة اهـ . من خط الشيخ العطار .

(٣) بد : صنم كبير .

وخرّبها . ثم استولى على مدائن السِنْد واحدة واحدة وقطع نهر سَاسِل إلى الملقاد فحاصرها وقطع الماء فنزلوا على حكمه ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وقتل سَدَنَةَ البلد وهم ستة آلاف وأصابوا في البلد ذهباً كثيراً في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية كانت الأموال تهدى إليه من البلدان ويحجون إليه ويحلقون شعرهم عنده ويزعمون أنه هو أيوب فاستكمل فتح السند وبعث من الخمس بمائة وعشرين ألف ألف وكانت النفقة نصفها .

* (فتح الطالقان وسمرقند وغزوكش ونسف والشاش وفرغانة وصلح خوارزم) *

قد تقدّم أن قتيبة غزا بخارى سنة تسع وثمانين ، وانصرف عنها ولم يظفر . وبعث إليه الحجّاج سنة تسعين يوبخه على الانصراف عنها ويأمره بالعود فسار إليها ومعه نَيْزَكُ طُرْخَان صاحب باذغيس ، وحاصرها واستجاش ملكها وردان اخذاه[1] بمن حوله من الصُغْدِ والتُرْكِ . فلما جاء مددهم خرجوا إلى المسلمين وكانت الأزد في المقدّمة فانهزموا حتى جازوا عسكر المسلمين ثم رجعوا وزحفت العساكر حتى ردّوا الترك إلى موقفهم . ثم زحف بنو تميم وقاتلوا الترك حتى خالطوهم في مواقفهم وأزالوهم عنها وكان بين المسلمين وبينهم نهر لم يتجاسر أحد على عبوره إلا بنو تميم ، فلما زالوا عن مواقفهم عبر الناس واتبعوهم وأثخنوا فيهم بالقتل ، وخرج خاقان وابنه وفتح الله على المسلمين وكتب بذلك إلى الحجّاج ولما استوت الهزيمة جاء طرخون ملك الصُغْد ومعه فارسان ودنا من عسكر قُتَيْبَة يطلب الصلح على فدية يؤدّيها فأجابه قُتَيْبَة وعقد له ورجع قُتَبَة ومعه نَيْزَك وقد خافه لما رأى من الفتوح ، فاستأذنه في الرجوع وهو بآمُدَ ، فرجع يريد طَخَارِسْتَان وأسرع السير وبعث قُتَيْبَة إلى المغيرة بن عبدالله يأمره بحبسه وتبعه المغيرة فلم يدركه وأظهر نَيْزَك الخلع ودعا لذلك الأصبهند[2] ملك بِلْخ . وباذان ملك مرّ والروذ وملك الطَالِقَان وملك القاربات وملك الجَوْزَجَان فأجابوه ، وتوعدوا[3] لغزو قُتَيْبَة . وكتب إلى كاتب شاه يستظهر به وبعث إليه بأثقاله وأمواله واستأذنه في الاتيان إن اضطر إلى ذلك . وكان جَيْفُونَةُ ملك

---

(١) ورد اسمه سابقا وردان خذاه .

(٢) هو الأصبهبذ كما مرّ اسمه في مكان سابق .

(٣) لعلها تواعدوا حسب مقتضى السياق اي اتفقوا على موعد ، اما التوعد اي التهديد فلا معنى لها هنا .

طخارستان نيزك ينزل عنده ، فاستضعفه وقبض عليه وقيّده خشية من خلافه وأخرج عامل قُتَيْبَة من بلده . وبلغ قُتَيْبَة وخبرهم قبل الشتاء وقد تفرّق الجند فبعث أخاه عبد الرحمن بن مسلم في إثني عشر ألف إلى البروقان ، وقال : أقم بها ولا تحدث شيئاً ، فإذا انقضى الشتاء تقدّم إلى طخارستان وأنا قريب منك . ولما انصرم الشتاء استقدم قتيبة الجنود من نيسابور وغيرها فقدموا ، فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد دخل معهم في الخلع ففتحها وقتل من أهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ في مثلها ، واستخلف عليها أخاه محمد بن مسلم ، وسار إلى القَارِيَات فخرج إليه ملكها مطيعاً واستعمل عليها وسار إلى الجَوْزَجَان فلقيه أهلها بالطاعة ، وهرب ملكها إلى الجبال واستعمل عليها عامر بن ملك الحماس . ثم أتى بَلْخ وتلقاه أهلها بالطاعة وسار يتبع أخاه عبد الرحمن إلى شعب حمله ، ومضى نَيْزَك إلى بغلان وخلف المقاتلة على فم الشعب ولا يهتدي إلى مدخل ، ومضايقوه يمنعونه . ووضع أثقاله في قلعة من وراء الشعب ، وأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على فم الشعب ولا يهتدى إلى مدخل ، حتى دلّه عليه بعض العجم هنالك على طريق سرَّبَ منه الرجال إلى القلعة فقتلوهم ، وهرب من بقي منهم ومضى إلى سَمَنْجَان ثم إلى نَيْزَك ، وقدّم أخاه عبد الرحمن وارتحل نيزك إلى وادي فرغانة ، وبعث أثقاله وأمواله إلى كابل شاه ، ومضى إلى السكون فتحصّن به ولم يكن له إلا مَسْلَكٌ واحد صعب على الدواب فحاصره قُتَيْبَة شهرين حتى جهدوا وأصابهم جهد الجُدَرِي وقرب فصل الشتاء فدعا قُتَيْبَة بعض خواصه ممن كان يصادق نَيْزَك فقال : إنطلق إليه وأثن عليه بغير أمان وإن أعياك فأمنه وإن جئت دونه صلبتك . فمضى الرجل وأشار عليه بلقائه وأنه عازم على أن يشق هنالك ، فقال : أخشاه فقال له : لا يخلِّصُك إلا إتيانك ، تنصّح له بذلك وبأنه يخشى عليه من غدر أصحابه الذين معه . ولم يزل يفتل له[1] في الذروة والغارب ، وهو يمتنع حتى قال له : إنه قد أمّنك . فأشار عليه أصحابه بالقبول لعلمهم بصدقه وخرج معه نَيْزَك ومعهم جَيْفُونَة ملك طخارستان الذي كان قيّده حتى انتهوا إلى الشعب وهناك خيل أكمنه الرجل ما كان فيه وكتب إلى الحجّاج يستأذنه في قتل نيزك فوافاه كتابه لأربعين يوماً بقتله فقتله وقتل معه صول طرخان خليفة جيفونة وابن أخي نيزك ومن أصحابه

(١) «قوله يفتل له ... هو مثل من امثال العرب يضرب في الخداع والماكرة اهـ . من الميداني» .

سبعمائة وصلبهم وبعث برأسه إلى الحجاج وأطلق جيفونة وبعث به إلى الوليد ثم رجع إلى مرو. وأرسل إليه ملك الجَوْزَجَان يستأمنه فأمّنه على أن يأتيه فطلب الرهن فأعطاه. وقدم ثم رجع فمات بالطالقان وذلك سنة إحدى وتسعين. ثم سار إلى شومان فحاصرها، وقد كان ملكها طرد عامل قُتَيْبَة من عنده، فبعث إليه بعد مرجعه من هذه الغزاة أن يؤدّي ما كان صالح عليه، فقتل الرسول، فسار إليه قتيبة وبعث له صالح أخو قُتَيْبَة وكان صديقه ينصحه في مراجعة الطاعة فأبى، فحاصره قُتَيْبَة ونصب عليه المجانيق فهدم الحصن وجمع الملك ما في الحصن من مال وجوهر ورمى به في بئر لا يدرك قعره، ثم استمات وخرج فقاتل حتى قتل وأخذ قُتَيْبَة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرّية ثم بعث أخاه عبد الرحمن إلى الصُغْد وملكهم طَرْخَون فأعطى ما كان صالح عليه قُتَيْبَة. وسار قُتَيْبَة إلى كَشّ ونسف فصالحوه. ورجع ولقي أخاه ببخارى وساروا إلى مرو. (ولما رجع) عن الصُغْد، حبس الصُغْد ملكهم طرخون لإعطائه الجزية وولّوا عليهم غورك فقتل طرخون نفسه ثم غزا في سنة إثنتين وتسعين إلى سجستان يريد رَتْبِيل فصالحه وانصرف. وكان ملك خوارزم قد غلبه أخوه خَرْزَاد على أمره وكان أصغر منه وعاث في الرعية وأخذ أموالهم وأهليهم فكتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلّمها إليه على أن يمكنه من أخيه ومن عصاه من دونهم، فأجابه قتيبة ولم يطلع الملك أحداً من مرازبته على ذلك وتجهز قُتَيْبَة سنة ثلاث وتسعين وأظهر غزو الصُغْد، فأقبل أهل خوارزم على شأنهم ولم يحتفلوا بغزوه، وإذا به قد نزل هزارسب قريباً منهم، وجاء أصحاب خوارزم شاه إليه فدعوه للقتال فقال: ليس لنا به طاقة ولكن نصالحه على شيء نعطيه كما فعل غيرنا، فوافقوه. وسار إلى مدينة الفِيد من وراء النهر، وهذا حصن بلاده وصالحه بعشرة آلاف رأس وعين ومتاع وأن يعينه على خام جِرد وقيل على مائة ألف رأس[1]. وبعث قُتَيْبَة أخاه عبد الرحمن إلى خَام جِرُد وهو عدو لخوارزم شاه فقاتله وقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه، وأسر منهم أربعة آلاف فقتلهم وسلّم قُتَيْبَة إلى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفه من أمرائه فقتلهم، ودفع أموالهم إلى قُتَيْبَة. ولما قبض قُتَيْبَة أموالهم أشار عليه المُحْشَرُ بن مُخَازِم

---

(١) قوله على مائة الف رأس لعله ممن يأخذ منهم خراجاً، والا فمن العبيد استرقاق هذا العدد وأخذه منهم. وماذا يصنعون بهذا العدد وأي طعام يكفيهم كل يوم. من خط الشيخ العطار.

السَلَمِيّ بغزو الصُغْد وهم آمنون على مسافة عشرة أيام . فقال أكتم ذلك فقدّم أخاه في الفرسان والرماة ، وبعثوا بالأثقال إلى مَرْو ، وخطب قُتَيْبَة الناس وحثّهم على الصُغْد وذكّرهم الضغائن فيهم . ثم سار فأتى الصغد بعد ثلاث من وصول أخيه ، فحاصرهم بسمرقند شهراً واستجاشوا ملك الشاش وأخشاد[1] خاقان وفرغانة فانتخبوا أهل النجدة من ابناء الملوك والمرازبة والأساورة وولّوا عليهم ابن خاقان وجاؤا إلى المسلمين ، فانتخب قُتَيْبَة من عسكره ستمائة فارس ، وبعث بهم أخاه صالحاً لإعتراضهم . في طريقهم ، فلقوهم بالليل وقاتلوهم أشدّ قتال ، فهزموهم وقتلوهم وقتلوا ابن خاقان ولم يفلت منهم إلا القليل وغنموا ما معهم ، ونصب قُتَيْبَة المجانيق فرماهم بها وثلم السور واشتدّ في قتالهم ، وحمل الناس عليهم إلى أن بلغوا الثلمة . ثم صالحوه على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال ، في كل عام ، وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ، وأن يُمَكّنوه من بناء مسجد بالمدينة ويخلوها حتى يدخل فيصلّي فيه . فلما فعل ذلك ودخل المدينة أكرههم على إقامة جند فيها وقيل إنه شرط عليهم الأصنام وما في بيوت النار فأعطوه فأخذ الحلية وأحرق الأصنام وجمع من بقايا مساميرها وكانت ذهباً خمسين ألف مثقال . وبعث بجارية من سبيها من ولد يَزْدَجَرْد إلى الحجّاج ، فأرسلها الحجّاج إلى الوليد وولدت له يزيد . ثم قال فورك لقتيبة إنتقل عنّا فانتقل وبعث إلى الحجاج بالفتح . ثم رجع إلى مَرْو واستعمل على سمرقند إياس ابن عبدالله على حربها ، وعبيدالله بن أبي عبيدالله مولى مسلم على خراجها ، فاستضعف أهل خوارزم إياساً وجمعوا له فبعث قُتَيْبَة عبدالله عاملاً على سمرقند وأمره أن يضرب إياساً وحبايا السطي مائة مائة ويخلعها . فلما قرب عبدالله من خوارزم مع المغيرة بن عبدالله فبلغهم ذلك وخشي ملكهم من أبناء الذين كان قتلهم ففرّ إلى بلاد الترك . وجاء المغيرة فقتل وسبى وصالحه الباقون على الجزية ، ورجع إلى قتيبة فولاّه على نيسابور ثم غزا قُتَيْبَة سنة أربع وتسعين إلى ما وراء النهر وفرض البعث على أهل بخارى وكَشّ ونَسَفَ وخوارزم ، فسار منهم عشرون ألف مقاتل فبعثهم إلى الشاش وسار هو إلى خَجَنْدَةَ فجمعوا له واقتتلوا مراراً كان الظفر فيها للمسلمين . وفتح الجند الذين ساروا إلى الشاش مدينة الشاش وأحرقوها ورجعوا إلى قُتَيْبَة وهو على كشان

---

(١) قوله واخشاد لعله اخشيد فرغانه لأن ملك فرغانة يقال له الاخشيد من خط الشيخ العطار .

مدينة فرغانة وانصرف إلى مَرْو ثم بعث الحجّاج إليه جيشاً من العراق وأمره بغزو الشاش فسار لذلك وبلغه موت الحجّاج فرجعوا إلى مرو .

* (خبر يزيد بن المهلب واخوته) *

كان الحجاج قد حبس يزيد وإخوته سنة ست وثمانين وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان فأقاموا في محبسهم إلى سنة تسعين . وبلغه أنّ الأكراد غلبوا على فارس فعسكر قريباً من البصرة للبعث وأخرج معه بني المهلب وجعلهم في فسطاط قريباً منه ورتّب عليهم الحرس من أهل الشام . ثم طلب منهم ستة آلاف ألف ، وأمر بعذابهم وبكت أختهم هند بنت المهلب زوجة الحجاج فطلقها . ثم كفّ عنهم وجعل يستأدبهم وبعثوا إلى أخيهم مروان وكان على البصرة أن يعدّ لهم خيلاً وكان حبيب منهم يعذب بالبصرة فصنع يزيد للحرس طعاماً كثيراً وأمر لهم بشراب فأقاموا يتعاقرون واستغفلهم يزيد والمفضل وعبد الملك وخرجوا ولم يفطنوا لهم . ورفع الحرس خبرهم إلى الحجّاج فخشيهم على خراسان وبعث البريد إلى قُتَيْبَة يخبرهم ليحذرهم ، وكان يزيد قد ركب السفن إلى البطائح واستقبلته الخيل المعدّة له هناك ، وساروا إلى الشام على السماوة ومعهم دليل من كلب ونمى خبرهم إلى الحجّاج فبعث إلى الوليد بذلك . وقدموا إلى فلسطين فنزلوا على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي وكان كريماً على سليمان فأخبره بحالهم وأنهم استجاروا به من الحجاج ، فقال : إئتني بهم فقد أجرتهم . وكتب الحجّاج إلى الوليد أنّ بني المهلب خانوا مال الله وهربوا مني فلحقوا بسليمان . فسكن ما به لأنه كان خشيهم على خراسان كما خشيهم الحجّاج وكان غضباً للمال الذي ذهبوا به فكتب سليمان إلى الوليد أنّ يزيد عندي وقد أمّنته ، وكان الحجّاج أغرمه ستة آلاف ألف فأدّ نصفها وأنا أؤدّي النصف . فكتب الوليد لا أؤمنه حتى تبعث به ، فكتب سليمان لأجيئنّ معه ، فكتب الوليد إذن لا أؤمنه . فقال يزيد لسليمان : لا يتشاءم الناس بي لكما فاكتب معي وتلطف ما أطقت ، فأرسله وأرسل معه إبنه أيوب وكان الوليد أمر أن يبعث مقيداً . فقال سليمان لابنه : أدخل على عمك أنت ويزيد في سلسلة . فقال : الوليد لما رأى ذلك لقد بلغنا من سليمان . ثم دفع أيوب كتاب أبيع بالشفاعة وضمان المال عن يزيد فقرأه الوليد واستعطفه أيوب في ذمّة أبيه وجواره ، وتكلم يزيد واعتذر فأمّنه الوليد ورجع إلى سليمان وكتب الوليد إلى الحجاج

بالكفّ عنهم فكف عن حبيب وأبي عبسة وكانا عنده وأقام يزيد عند سليمان يهدي إليه الهدايا ويصنع له الأطعمة .

ولاية خالد القسري على مكة واخراج سعيد بن جبير عنها ومقتله

ولما كان في سنة ثلاث وتسعين كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد يقص عليه أفعال الحجّاج بالعراق وما هم فيه من ظلمه وعدوانه ، فبلغ بذلك الحجّاج فكتب إلى الوليد : إنّ كثيراً من المرّاق وأهل الشقاق قد انجلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة ومنعهم عمر وأصابه من ذلك وهن . فولّى الوليد على مكّة خالد بن عبدالله القِسْرِي[1] وعثمان بن حَيّان بإشارة الحجّاج ، وعزل عمر عن الحجاز وذلك في شعبان من السنة . ولما قدم خالد مكة أُخرج من كان بها من أهل العراق كرها وتهدّد من أنزل عراقياً أو أجّره داراً وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز يلجأ إلى مكة والمدينة كل من خلف الحجّاج فيأمن . وكان منهم سعيد بن جبير هارباً من الحجّاج وكان قد جعله على عطاء الجند الذين وجههم مع عبد الرحمن بن الأشعث إلى قتال رَتْبِيل فلما خرج عبد الرحمن كان سعيد فيمن خلع فكان معه إلى أن هزم وسار الى بلاد رتبيل . فلحق سعيد بأصبهان ، وكتب الحجاج فيه إلى عاملها فتحرّج من ذلك ودسّ إلى سعيد فسار إلى أذربيجان. ثم طال عليه المقام فخرج إلى مكة فكان بها مع ناس أمثاله من طلبة الحجاج يستخفون بأسمائهم . فلما قدم خالد بن عبدالله مكّة أمره الوليد بحمل أهل العراق إلى الحجاج فأخذ سعيد بن جبير ومجاهداً وطلق بن حبيب ، وبعث بهم إلى الحجّاج فمات طلق في الطريق وجيء بالآخرين إلى الكوفة وأدخلا على الحجاج . فلما رأى سعيداً شتم خالداً القِسْرِي على إرساله وقال : لقد كنت أعرف أنه بمكّة وأعرف البيت الذي كان فيه ، ثم أقبل على سعيد وقال : ألم أشركك في أمانتي ؟ ألم أستعملك ؟ ثم تفعل بعدد أياديه عنده . فقال : بلى ! قال : فما أخرجك على قتالي ؟ أنا امرؤ من المسلمين أخطىء مرّة وأصيب أخرى . ثم استمرّ في محاورته فقال : إنما كانت بيعة في عنقي فغضب الحجاج وقال : ألم آخذ بيعتك لعبد الملك بمكّة بعد مقتل ابن الزبير؟ ثم جددت له البيعة بالكوفة فأخذت بيعتك

(١) خالد هذا من جبابرة امراء الدولة المروانية على شاكلة الحجاج اهـ . من خط الشيخ العطار.

ثانياً؟ قال : بلى ! قال : فنكثت بيعتين لأمير المؤمنين ، وتُوفي بواحدة للفاعل بن الفاعل ، والله لأقتلنك . فقال : إني لسعيد كما سمتني أمي فضربت عنقه فهلل رأسه ثلاثاً أفصح منها بمرّة . ويقال : إن عقل الحجاج التبس يومئذ وجعل يقول : قيودنا قيودنا فظنوها قيود سعيد بن جبير ، فأخذوها من رجليه وقطعوا عليها ساقيه ، وكان إذا نام يرى سعيد بن جبير في منامه آخذاً بمجامع ثوبه يقول : يا عدوّ الله فيم قتلتني ؟ فينتبه مرعوباً يقول : ما لي ولسعيد بن جبير .

* (وفاة الحجاج) *

وتوفي الحجاج في شوّال خمس وتسعين لعشرين سنة من ولايته العراق ، ولما حضرته الوفاة استخلف على ولايته إبنه عبدالله وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كَبْشَةَ وعلى خراجها يزيد بن أبي مسلم ، فأقرّهم الوليد بعد وفاته . وكتب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجهدك وجهادك أعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي تحب ، فأتمم مغازيك وانتظر ثواب ربّك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأني أنظر إلى بلادك والثغر الذي أنت فيه ولم يغير الوليد أحداً من عمّال الحجاج .

* (أخبار محمد بن القاسم بالسند) *

كان محمد بن القاسم بالملتَان وأتاه خبر وفاة الحجاج هنالك فرجع إلى الدور والثغور[1] وكان قد فتحها . ثم جهّزه الناس إلى السلماس مع حبيب فأعطوا الطاعة وسالمه أهل شُرُسْت[2] وهي مغزى أهل البصرة وأهلها يقطعون في البحر . ثم سار في العسكر إلى[3] فخرج إليه دوهر فقاتله محمد وهزمه وقتله . ونزل أهل المدينة على حكمه فقتل وسبا ولم يزل عاملاً على السِند إلى أن وَلِيَ سليمان بن عبد الملك فعزله وولّى يزيد بن أبي كَبْشَةَ السَكْسَكيّ على السند مكانه فقيّده يزيد وبعث به إلى العراق فحبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط وعذبه في رجال من قرابة الحجّاج على

(١) وفي الكامل ج ٤ ص ٥٨٨ : فرجع الى الدور والبغرور وكان قد فتحها ، وفي بعض النسخ الثغور والثغرور .

(٢) وفي الكامل لابن الاثير : سرشت .

(٣) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٥٨٨ : ثم الى محمد الكيرج فخرج اليه دوهر .

قتلهم . وكان الحجاج قتل أخاه آدم على رأي الخوارج ومات يزيد بن أبي كَبْشَة لثمان عشرة ليلة من مقدمه . فولى سليمان على السند حبيب بن المُهلّب فقدمها وقد رجع ملوك السند إلى ممالكهم ورجع حبشة بن داهر إلى برهما باذ[١] فنزل حبيب على شاطىء مهران وأعطاه أهل الروم الطاعة ، وحارب فظفر ، ثم أسلم الملوك لما كتب عمر بن عبد العزيز إلى الإسلام على أن يملكهم وهم أسوة المسلمين فيما لهم وعليهم ، فأسلم حبشة والملوك وتسمّوا بأسماء العرب وكان عمرو بن مسلم الباهليّ عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند وظفر . ثم ولّى الجُنيْد بن عبد الرحمن على السند أيام هشام بن عبد الملك ، فأتى شط مهران ، ومنعه حبشة بن داهر العبور وقال : إني قد أعملت وولاّني الرجل الصالح ولست آمنك فأعطاه الرهن ثم ردّها حبشة وكفر وحارب فحاربه الجُنيْد في السفن وأسره ثم قتله . وهرب صَصّه بن داهر إلى العراق شاكياً لغدر الجنيْد فلم يزل يؤنسّه حتى جاءه فقتله . ثم غزا الجُنيْد الكيرجَ من آخر الهند وكانوا نقضوا فاتخذ كباشا[٢] زاحفة ثم صك بها سور المدينة فثلمها ودخل فقتل وسبى وغنم ، وبعث العمّال إلى المرمد والمعدل[٣] ودَهْنج[٤] وبعث جيشاً الى أرين فأغاروا عليها وأحرقوا ربضها وحصل عنده سوى ما حمل أربعون ألف ألف وحمل مثلها . وولّى تميم بن زيد الضبـيّ[٥] فضعف ووهن ومات قريبا من الدَّيْبُل . وفي أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند وتركوا مراكزهم . ثم ولي الحكم بن سوّام[٦] الكلبي وقد كفر أهل الهند الا أهل قصّة ، فبنى مدينة سمّاها المحفوظة وجعلها مأوى المسلمين ، وكان معه عمر بن محمد بن القاسم وكان يفوّض إليه عظائم الأمور وأغزاه عن المحفوظة . فلما قدم وقد ظهر أمره فبنى مدينة وسماها المنصورة وهي التي كانت أمراء السند ينزلونها واستخلص ما كان غلب عليه العدّو ، ورضي الناس بولايته . ثم قتل الحكم وضعفت الدولة الأموية عن الهند وتأتي أخبار السند في دولة المأمون .

---

(١) ووفي الكامل لابن الاثير : ورجع جيشبه بن ذاهر الى برهمنا باذ .

(٢) ليس المراد بالكباش ههنا الغنم ، وانما هي آلة من خشب وحديد يجرونها بنوع من الخيل فتدق الحائط فينهدم . وقد بطلت هذه الآلة كالمنجنيق لما حدثت الآلات النارية من المدافع وغيرها ، كبطلان النبال فليس الآن من الآلات القديمة الا السيف والرماح قليلة اهـ . من خط الشيخ العطار .

(٣) وفي الكامل لابن الاثيرج ٤ ص ٥٩٠ :

(٤) وفي نسخة اخرى : وهـج .

(٥) وفي الكامل لابن الاثيرج ٤ ص ٥٩٠ : تميم بن زيد القينيّ .

(٦) وفي الكامل لابن الاثير : الحكم بن عوّام الكلبي .

* (فتح مدينة كاشغر) *

أجمع قتيبة لغزو مدينة كاشغر سنة ست وتسعين وهي أدنى مدائن الصين فسار لذلك وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعها بسمرقند وعبر النهر ، وجعل على المجاز مسلحة[1] يمنعون الراجع من العسكر إلا بإذنه ! وبعث مقدمه إلى كاشغر فغنموا وسبوا وختم أعناق السبي . وأوغل حتى قارب الصين فكتب إليه ملك الصين يستدعي من أشراف العرب من يخبره عنهم وعن دينهم فانتخب قُتيبة عشرة من العرب كان منهم هُبَيْرة بن شَمَرّجَ الكتابيّ . وامر لهم بعدة حسنة ومتاع من الخزّ والوشي وخيول أربعة وقال لهم : أعلموه أني حالف أني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم . ولما قدموا على ملك الصين دعاهم في اليوم الأوّل فدخلوا وعليهم الغلائل والأردية ، وقد تطيبوا ولبسوا النعال . فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن حضره ، وقالوا بعد انصرافهم هؤلاء نسوان . فلبسوا الوشي والمطارف وعمائم الخز وغدوا عليه فلم يكلموهم وقالوا هذه أقرب إلى هيئة الرجال ثم دعاهم الثالثة فلبسوا سلاحهم وعلى رؤسهم البيضات والمغافر وتوشحوا السيوف واعتقلوا الرماح ونكبوا القِسيّ فهالهم منظرهم ثم انصرفوا وركبوا فتطاردوا فعجب القوم منهم . ثم دعا زعيمهم هُبيْرةَ بن شمرْج فسأله لم خالفوا في زيّهم فقال : أمّا الأوّل فإنّا نساء في أهلنا وأما الثاني فزيُّنا عند أمرائنا ، وأما الثالث فزينا لعدوّنا . فاستحسن ذلك ، ثم قال له : قد رأيتم عظم ملكي وأنه ليس أحد يمنعكم مني ، وقد عرفت قلّتكم فقولوا لصاحبكم ينصرف وإلاّ بعثت من يهلككم . فقال هُبيْرة كيف نكون في قلة وأول خيلنا في بلادك وآخرها في منابت الزيتون . وأما القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه ، ولنا آجال إذا حضرت فلن نتعدّاها وقد حلف صاحبنا أنه لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويأخذ جزيتكم قال الملك : فإنا نخرجه من يمينه ، نبعث له بتراب من أرضنا فيطؤه ، ويقبض أبناءنا فيختمهم وبهدية ترضيه ، ثم أجازهم فأحسن . وقدموا على قُتيبة فقبل الجزية ووطىء التراب وختم الغلمان وردّهم ثم انصرف من غداته . وأوفد هُبيرة إلى الوليد ، وبلغه وهو في الفرات موت الوليد .

(١) المسلحة : جماعة من العسكر يقفون في الطريق للحاجة اليهم اهـ . من خط الشيخ العطار .

* (وفاة الوليد وبيعة سليمان) *

ثم توفي الوليد في منتصف جمادي الأخيرة من سنة ست وتسعين وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان من أفضل خلفاء بني أمية وبنى المساجد الثلاثة : مسجد المدينة ، ومسجد القدس ومسجد دمشق . ولما أراد بناء مسجد دمشق كانت في موضعه كنيسة فهدمها وبناها مسجدا وشكوا ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال : نردّ عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فإنها خارج المدينة مما فتح عنوة ونبنيها مسجدا فتركوا ذلك . وفتح في ولايته الأندلس وكاشغر والهند ، وكان يتخذ الضياع وكان متواضعاً يمرّ بالبقّال فيسأله بكم حزمة البقل ؟ ويسعّر عليه وكان يختم القرآن في ثلاث وفي رمضان في يومين وكان أراد أن يخلع أخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز ، فأبى سليمان فكتب إلى عمّاله ودعا الناس إلى ذلك فلم يجبه إلا الحجّاج وقُتيبة وبعض خواصه . واستقدم سليمان ثم استبطأه فأجمع السير إليه ليخلعه فمات دون ذلك . ولما مات بويع سليمان من يومه وهو بالرملة فعزل عثمان بن حيّان من المدينة آخر رمضان ، وولّى عليها أبا بكر ابن محمد بن عمر بن حزم ، وعزل ولاة الحجاج عن العراق فولّى يزيد بن المهلّب على المصرين وعزل عنهما يزيد بن أبي مسلم . فبعث يزيد أخاه زياداً على عمان وأمر سليمان يزيد بن المهلب بنكبة آل أبي العُقَيْل قوم الحجاج وبني أبيه وبسط أصناف العذاب عليهم ، فولّى على ذلك عبد الملك بن المُهلّب .

* (مقتل قتيبة بن مسلم) *

ولما ولي سليمان خافه قتيبة لما قدّمناه من موافقته الوليد على خلعه فخشي أن يولّي يزيد ابن المهلب خراسان فأجمع خلعه وكتب إليه لئن لم تقرّني على ما كنت عليه وتؤمّني لأخلعنك ولأملأنّها عليك خيلاً ورجْلاً فامّنه وكتب له العهد على خراسان وبعث إليه رسوله بذلك ، فبعث الرسول وهو بحلوان أنه قد خلع وكان هو بعد بعثة الكتاب إلى سليمان قد اشتدّ وجله وأشار عليه أخوه عبدالله بالمعاجلة ، فدعا الناس إلى الخلع وذكرهم بوائقه وسوء ولاية من تقدّمه فلم يجبه أحد ، فغضب وشتمهم وعدّد وقالبهم قبيلة قبيلة وأثنى على نفسه بالأب والبلد والمعشر . فغضب الناس وكرهوا خلع سليمان وأجمعوا على خلع قُتيبة وخلافه وعذل قتيبة أصحابه فيما كان منه فقال : لما لم تجيبوني

غضبت فلم أدرما قلت . وجاء الأزد إلى حُضين بن المنذر « بالضاد المعجمة » فقالوا : كيف ترى هذا يدعو إلى فساد الدين ويشتمنا فعرف مغزاهم فقال : إنّ مضر بخراسان كثير وتميم أكثرهم وهم شوكتها ولا يرضون بغيرهم فيصيبوا قتيبة ولا أرى لها إلا وكيعاً . وكان وكيع موثقاً من قتيبة بعزله وولاية ضِرَار بن حُصَين الضَبِيّ مكانه . وقال حيّان النبطيّ مولى بن شيبان ليس لها غير وكيع،ومشى الناس بعضهم إلى بعض سرّا وتولى كبر ذلك حيّان ونمي خبره إلى قتيبة فأمر بقتله إذا دخل عليه ، وتنصح بعض خدم قتيبة بذلك إلى حيّان فلما دعاه تمارض ، واجتمع الناس إلى وكيع وبايعوه . فمن أهل البصرة والعالية من المقاتلة تسعة آلاف ، ومن بكر سبعة آلاف رئيسهم حضين بن المنذر ، ومن تميم عشرة آلاف عليهم ابن زخر ومن الموالي سبعة آلاف عليهم حيّان النبطيّ وقيل من الديلم ، وسُمي نبطيّا للكنته . وشرط على وكيع أن يحوّل له الجانب الشرقي من نهر بلخ فقبل ، وفشا الخبر وبلغ قتيبة فدسّ ضرار بن سيان الضبي[1] إلى وكيع فبايعه ، وجاء إلى قتيبة بالخبر فأرسل قتيبة إلى وكيع فاعتذر بالمرض . فقال لصاحب شرطته : إئتني به وإن أبى إئتني برأسه فلما جاء إلى وكيع ركب ونادى في الناس فأتوه أرسالاً . واجتمع إلى قتيبة أهل بيته وخواصهِ وثقاته وبنوعمه ، وأمر فنودي في الناس قبيلة قبيلة ، وأجابوه بالجفوة . يقول : أين بنو فلان ؟ فيقولون : حيث وضعتهم فنادى بأذكركم الله والرحم ، فقالوا : أنت قطعتها ! فنادى لكم العتبى ، فقالوا : إنّا لنا الله إذا فدعا ببِرْذَوْنٍ ليركبه فمنعه ورمحه فعاد إلى سريره وجاء حيّان النبطي في العجم ، فأمره عبدالله أخو قتيبة أن يحمل على القوم ، فاعتذر وقال لإبنه : إذا لقيتني حولت قلنسوتي فمل بالأعاجم إلى وكيع ، ثم حوّلها وسار بهم ورمى صالح أخو قتيبة بسهم فحمل إلى أخيه . ثم تهايج الناس وجاء إلى عبد الرحمن أخي قتيبة الغوغاءُ ونحوهم فأحرقوا آرِيّاً[2] فيه إبل قتيبة ودوابه . ثم زحفوا به حتى بلغوا فسطاطه فقطعوا أطنابه وجرح جراحات كثيرة ثم قطعوا رأسه وقتل معه إخوته عبد الرحمن وعبدالله وصالح وحصين وعبد الكريم ومسلم وإبنه كثير ، وقيل قتل عبد الكريم بقزوين ، فكان عدّة من قتل من أهله أحد عشر رجلاً ، ونجا أخوه عمر مع أخواله من تميم . ثم صعد وكيع المنبر وأنشد الشعر في الثناء على نفسه وفعله والذم من قتيبة ووعد بحسن السيرة وطلب رأس قتيبة وخاتمه من الأزد

---

(١) وفي الكامل لابن الاثيرج ٤ ص ١٥ : ضرار بن سنان الضبي .

(٢) الآري : محبس الدابة أو حبل تشد به : جمعها اواري واوار.

وهدّدهم عليه فجاؤا به فبعثه إلى سليمان . ووفىّ وكيع لحيّان النبطيّ بما ضمن له .

* (ولاية يزيد بن المهلب خراسان) *

كان يزيد بن المهلّب لما ولاه سليمان العراق على الحرب والصلاة والخراج استكره أن يحيف على الناس في الخراج فتلحقه المذمة كما لحقت الحجاج ويخرب العراق ، وإن قصّر عن ذلك لم يقبل منه فرغب من سليمان أن يعفيه من الخراج وأشار عليه بصالح ابن عبد الرحمن مولى تميم فولاه سليمان الخراج وبعثه قبل يزيد فلما جاء صالح إلى يزيد ضَيَّقَ عليه صالح ، وكان يزيد يُطعِمُ على ألف خوان فاستكثرها صالح فقال : اكتب ثمنها عليّ وغير ذلك وضجر يزيد وجاء خبر خراسان ومقتل قُتيبة فطمع يزيد في ولايتها ودسّ عبدالله بن الأهْتَم على سليمان أن يوليّه خراسان ولا يشعر بطلبته بذلك . وسيّره على البريد فقال له سليمان : إنّ يزيد إليّ بذكر عملك بالعراق ! فقال : نعم بها وُلِدْتُ وبها نَشأتُ . ثم استشاره فيمن يوليه خراسان ولم يزل سليمان بذكر الناس وهو يردّهم ، ثم حذّره من وكيع وغدره قال : فَسّمِ أنت ! قال شريطة الكمال الإجازة ممن أشير به ، وإذا علم يكره ذلك . ثم قال : هو يزيد بن المهلب فقال سليمان : العراق أحب إليه ، فقال ابن الأهتم : قد عملت ولكن نُكْرِهُهْ فيستخلف على العراق ويسير إلى خراسان ، فكتب عهد يزيد على خراسَان وبعثه مع ابن الأهتم فلما جاءه بعث إبنه مخاداً على خراسان ثم سار بعده واستخلف على واسط الجرّاح بن عبدالله الحكَميّ وعلى البصرة ابن عبدالله بن هلال الكِلابي ، وعلى الكوفة حرْمَلَة بن عيد اللَمغـمِيّ . ثم عزله لأشهر بشير بن حيّان النَهْدِي ، فكانت قيس تطلب بثأر قتيبة وتزعم أنه لم يخلع . فأوصى سليمان يزيد إن أقامت قيس بيّنة أنه لم يخلع أن يقَيد به من وكيع .

* (أخبار الصوائف[1] وحصار قسطنطينية) *

كانت الصوائف تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية وحدوث الفتن واشتدّت الفتن أيام عبد الملك اجتمعت الروم واستجاشوا على أهل الشام فصالح عبد الملك صاحب قسطنطينية على أن يؤدّي إليه كل يوم جمعة ألف دينار خشية منه على المسلمين ونظراً

(١) الصوائف هي الجيوش التي كانت تجهز في اوان الصيف لسد الثغور وحرب الكفار ، استمر ذلك من صدر الاسلام الى اواخر الدولة العباسية اهـ . من خط الشيخ العطار .

لهم ، وذلك سنة سبعين لعشر سنين من وفاة معاوية . ثم لما قتل مُصْعَب وسكنت الفتنة بعث الجيوش سنة إحدى وسبعين في الصائفة . فدخل فافتتح قيسَارِيّة ، ثم ولّى على الجزيرة وأرمينية أخاه محمد بن مروان سنة ثلاث وسبعين فدخل في الصائفة إلى بلاد الروم فهزمهم ، ودخل عثمان بن الوليد من ناحية أرمينية في أربعة آلاف ولقيه الروم في ستين ألفاً فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والأسر. ثم غزا محمد بن مروان سنة أربع وسبعين فبلغ أنبُولِيَة وغزا في السنة بعدها في الصائفة من طريق مرعش ، فدوّخ بلادهم وخرج الروم في السنة بعدها إلى العتيق فغزاهم من ناحية مرعش ثانية ، ثم غزاهم سنة ست وسبعين من ناحية مَلْطِيَة ودخل في الصائفة سنة سبع وسبعين الوليد ابن عبد الملك فأثخن فيهم ورجع وجاء الروم سنة تسع وسبعين فأصابوا من أهل أنطاكية وظفروا بهم فبعث عبد الملك سنة إحدى وثمانين إبنه عبيدالله بالعسكر ففتح قاليقلا . ثم غزا محمد بن مروان سنة إثنتين وثمانين أرمينية وهزمهم ، فسألوه الصلح فصالحهم وولّى عليهم أبا شيخ بن عبدالله فغدروه وقتلوه فغزاهم سنة خمس وثمانين وصاف فيها وشتى ثم غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ودوّخها ، ورجع وعاد إليها سنة سبع وثمانين . فأثخن فيهم بناحية المُصَيْصَةِ وفتح حصوناً كثيرة . منها حصن بُولَقَ والأخْزَم وبولُس وقَمْقِيم . وقتل من المُسْتَقرِبَة ألف مقاتل وسبى أهاليهم . ثم غزا بلاد الروم سنة تسع وثمانين مسلمة بن عبد الملك والعبّاس بن الوليد ، فافتتح مسلمة حصن سورية وافتتح العبّاس أردولية ، ولقي جمعاً من الروم فهزمهم . وقيل إنّ مسلمة قصد عَمُورِيّة فلقي بها جمعاً من الروم فهزمهم . وافتتح هِرَقْلَة وقُمُولِيّة وغزا العبّاس الصائفة من ناحية البَلَدَنْدُونِ . وغزا مسلمة بن عبد الملك الترك سنة تسع وثمانين من ناحية أذَرْبَيْجَان ففتح حصوناً ومدائن هناك . ثم غزا سنة تسعين ففتح الحصون الخمس التي بسورية . وغزا العبّاس حتى بلغ أرْدُنَّ وسورية . وفي سنة إحدى وتسعين غزا عبد العزيز بن الوليد في الصائفة مع مسلمة بن عبد الملك وكان الوليد قد ولّى مسلمة على الجزيرة وأرمينية وعزل عمه محمد بن مروان عنها ، فغزا التُرْك من ناحية أذربيجان حتى الباب وفتح مدائن وحصوناً ، ثم غزا سنة إثنتين وتسعين بعدها ففتح ثلاثة حصون وجلا أهل سَرْسَنَّة إلى بلاد الروم ثم غزا العبّاس بن الوليد سنة ثلاث بعدها بلاد الروم ففتح سُبَيْطِلَة ، وغزا مروان بن الوليد فبلغ خَنْجَرَةَ . وغزا مسلمة ففتح ماشيَة وحصن الحديد وغزالة من ناحية مَلْطِيَةَ . وغزا

العبّاس بن الوليد سنة أربع وتسعين ففتح انطاكية . وغزا عبد العزيز بن الوليد ففتح غزالة وبلغ الوليد بن هشام المُعَيْطيّ مروج الحمام ، ويزيد بن أبي كَبْشَة أرض سورية . وفي سنة خمس وتسعين غزا العبّاس الروم ففتح هِرَقْلَةَ . وفي سنة سبع وتسعين غزا مسلمة أرض الرضاخِيّة وفتح الحصن الذي فتحه الرَّصاع ، وغزا عمر بن هُبَيْرة أرض الروم في البحر فشتّىّ بها ، وبعث سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية وبعث إبنه داود على الصائفة ففتح حصن المِرَاةِ ، وفي سنة ثمان وتسعين مات ملك الروم ، فجاء القُون إلى سليمان فأخبره وضمن له فتح الروم ، وسار سليمان إلى وَابِقَ وبعث الجيوش مع أخيه مسلمة ، ولما دنا من القُسْطَنطِينيّة أمر أهل المعسكر أن يحمل كل واحد مدّين من الطعام ويلقوه في معسكرهم فصار أمثال الجبال واتخذ البيوت من الخشب وأمر الناس بالزراعة وصاف وشتىّ وهم يأكلون من زراعتهم وطعامهم الذي استاقوه مُدّخَراً . ثم جهد أهل القسطنطينية الحصار ، وسألوا الصلح على الجزية ديناراً على الرأس ، فلم يقبل مسلمة وبعث الروم إلى ألْقُون إن صرفت عنّا المسلمين ملّكناك فقال لمسلمة : لو أحرقت هذا الزرع علم الروم أنك قصدتهم بالقتال فنأخذهم باليدوهم الآن يظنون مع بقاء الزرع أنك تطاولهم ، فأحرق الزرع فقوي الروم وغدر ألقُون وأصبح محارباً ، وأصاب الناس الجوع فأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وسليمان مقيم بوابق وحال الشتاء بينهم وبينه فلم يقدر أن يمدّهم حتى مات وأغارت بِرْجَانُ على مسلمة وهو في قلّة فهزمهم وفتح مدينتهم . وغزا في هذه السنة الوليد بن هشام فأثخن في بلاد الروم . وغزا داود بن سليمان سنة ثمان وتسعين ففتح حِصْن المِرَاةِ مما يلي مَلْطِيَةَ . وفي سنة تسع وتسعين بعث عمر بن عبد العزيز مسلمة وهو بأرض الروم وأمدّه بالنفول بالمسلمين وبعث إليه بالخيل والدواب ، وحث الناس على معونتهم ثم أمر عمر بن عبد العزيز أهل طريدة بالجلاء عنها إلى مَلْطِيَةَ وخرّبها . وكان عبدالله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين وفرض على أهل الجزيرة مَسْلَحَةً تكون عندهم إلى فصل الشتاء ، وكانت متوغلة في أرض الروم فخرّبها عمر ، وولىّ على مَلْطِيَةَ جَعُونَةَ بن الحرث من بني عامر بن صَعْصَعَة . وأغزى عمر سنة مائة من الهجرة بالصائفة الوليد بن هشام المعيطي وعمر ابن قيس الكِنْدي .

* (فتح جرجان وطبرستان) *

كان يزيد بن المهلب يريد فتحها لما أنهما كانتا للكفار ، وتوسطتا بين فارس وخراسان ولم يصبهما الفتح . وكان يقول وهو في جوار سليمان بالشام إذا قُصّت عليه أخبار قتيبة وما يفعله بخراسان وما وراء النهر ، ما فعلت جَرْجَانُ التي قطعت الطريق وأفسدت يُوسَس ونيسابور وليست هذه الفتوح بشيءٍ والشأن في جَرْجَان . فلما ولاّه سليمان خراسان سار إليها في مائة ألف من أهل العراق والشام وخراسان سوى الموالي والمُتَطَوِّعَة ، ولم تكن جَرْجَان يومئذ مدينة إنما هي جبال ومَخَارِم يقوم الرجل على باب منها فيمنعه فابتدأ بقُهِسْتَان فحاصرها وبها طائفة من الترك فكانوا يخرجون فيقاتلون وينهزمون في كل يوم ويدخلون حصنهم ولم يزل على ذلك حتى بعث إليه دهقان يَتَسْتَاذِن[1] يسأل في الصلح ويُسَلّم المدينة وما فيها فصالحه وأخذ ما فيها من الأموال والكنوز والسبي ما لا يحصى ، وقتل أربعة عشر ألفاً من الترك ، وكتب إلى سليمان بذلك . ثم سار إلى جَرْجَان وكان سعيد بن العاصي قد صالحهم على الجزية مائة ألف في السنة فكانوا أحياناً يجبون مائة وأحياناً مائتين وأحيانا ثلثمائة ، وربما أعطوا ذلك وربما منعوا ، ثم كفروا ولم يعطوا خراجاً ، ولم يأت جَرْجَان بعد سعيد أحدٌ ، ومنعوا الطريق إلى خراسان على[2] فكان الناس يسلكون على فارس وسَلْمَاس . ثم فتح قتيبة طريق قُومس وبقي أمر جرجان حتى جاء يزيد فصالحوه . ولما فتح يزيد قُهِسْتَان وجرجان طمع في طبرستان فاستعمل عبدالله بن مَعْمَر اليَشْكُرِيّ على ساسان وقُهِسْتَان ، وخلف معه أربعة آلاف فارس ، وسار إلى أدنى جرجان من جهة طبرستان ونزل بآمد . ونسا[3] راشد بن عمر في أربعة آلاف . ودخل بلاد طبرستان فسأل صاحبها الأصْبَهبَذ في الصلح ، وأن يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها ، ووجه أخاه عُيَيْنَة من وجه وابنه خالد بن يزيد من وجه ، وإذا اجتمعا فعُيَيْنَة على الناس واستجاش الأصْبَهبَذ أهل جيلان والدَّيْلَم والتقوا فانهزم

---

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٠ : «فارسل صول ، دهقان مُهستان ، الى يزيد يطلب منه ان يصالحه ويؤمنه على نفسه واهله وماله ليدفع اليه المدينة بما فيها ، فصالحه ووفّى له» .

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٠ : «ولم يأت جرجان بعد سعيد احد ، ومنعوا ذلك الطريق ، فلم يكن يسلك طريق خراسان احد إلاّ على فارس» .

(٣) وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٠ : واستعمل على ايذوسا راشد بن عمرو

المشركون ، واتبعهم المسلمون إلى الشّعْب وصعد المشركون في الجبل فامتنعوا على المسلمين وصعد أبو عيينة بمن معه خلفهم فهزمهم المشركون في الوعر فكفّوا وكاتب الأصْبهْبَذ أهل جرْجَان ومقدَّمهم المرزبان أن يبيتوا للمسلمين عندهم ليقطعوا المادّة عن يزيد والطرق بينه وبين جرْجَان ووعدهم بالمكافأة على ذلك فساروا بالمسلمين وهم غارّون ، وقتل عبدالله بن مَعْمَر وجميع من معه ولم ينج أحد وكتبوا إلى الأصْبَهْبَذ بأخذ المضايق والطرق ، وبلغ ذلك يزيد وأصحابه فعظم عليهم وهالهم ، وفزع يزيد إلى حيّان النبطيّ وكان قد غرّمه مائتي ألف درهم بسبب أنه كتب إلى ابنه مخلد كتاباً فبدأ بنفسه . فقال له : لا يمنعك ما كان مني إليك من نصيحة المسلمين ، وقد علمت ما جاءنا من جرْجَان فاعمل في الصلح . فأتى حيّان الأصُبَهْبَذ ومت إليه بنسب العجم وتنصّل له وفتل له في الذروة والغارب حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة وِقْر[1] زعفران أو قيمته من العين ، وأربعمائة رجل على يد كل رجل منهم ترس وطَيْلَسَان وجام من فضة وخرقة حرير وكسوة ، فأرسل يزيد لقبض ذلك ورجع . اهـ .(وقيل) في سبب مسير يزيد إلى جرجان أنّ صولاً[2] التركي كان على قُهِسْتان والبُحَيْرَة ، جزيرة في البحر على خمسة فراسخ من قُهِسْتَان ، وهما من جرْجَان مما يلي خوارزم وكان يغير على فيروز بن قولقول مرزبان جرجان وأشار فيروز بنصيب من بلاده ، فسار فيروز إلى يزيد هارباً منه وأخذ صول جرْجَان وأشار فيروز على يزيد أن يكتب إلى الأصْبَهْبَذ ويرغبه في العطاء إن هو حبس صولاً بجرجان حتى يحاصر بها ، ليكون ذلك وسيلة إلى معاكسته وخروجه عن جرْجَان فيتمكن يزيد منه فكتب إلى الأصْبَهْبَذ وبعث بالكتاب إلى صول فخرج من حينه إلى البحيرة وبلغ يزيد الخبر فسار إلى جرجان ومعه فيروز واستخلف على خراسان إبنه مخلداً . وعلى سَمَرْقَنْد وكَشّ ونَسَفَ وبُخَارَى إبنه معاوية وعلى طَخَارِسْتَان ابن قُبَيْصَة بن المُهَلّب ، وأتى جرْجَان فلم يمنعه دونها أحد ودخلها ثم سار منها إلى البحير وحصر صولا بها شهراً حتى سأل الصلح على نفسه وماله وثلثمائة ويَسَلّم إليه البحيرة فأجابه

---

(١) الوقر : الحمل الثقيل . واكثر ما يستعمل في حمل الحمار والبغل . اما حمل الحمل فيسمى الوسق .

(٢) قبوله صول هو اسم ملك من ملوك الترك وقول بعض العرب :
ما اقدر الله ان يدني على شحط من داره الحزن فن داره صول أي داره دار صول اهـ . من خط الشيخ العطار .

يزيد وخرج صول عن البحيرة وقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً وأمر إدريس بن حنظلة العمى أن يحصي ما في البحيرة ليعطى الجند فلم يقدر. وكان فيها من الحنطة والشعير والأرزّ والسمسم والعسل شيء كثير ومن الذهب والفضة كذلك ولما صالح يزيد أُصْبَهْبَذ طبرستان كما قدّمناه سار إلى جرْجَان وعاهد الله إن ظفر بهم ليطحننّ القمح على سائل دمائهم ويأكل منه فحاصرهم سبعة أشهر وهم يخرجون إليه فيقاتلونه ويرجعون وكانوا متمنعين[1] في الجبل والأوعار وقصد رجل من عجم خراسان فأتبع [2] بخلا في الجبل وانتهى إلى معسكرهم وعرف الطريق إليه ودلّ الأدِلّة على معالمه ، وأتى يزيد فأخبره فانتخب ثلثمائة رجل مع ابنه خالد وضم إليه جَهْمَ بن ذَخْر وبعثه وذلك الرجل يدل به ، وواعده أن يناهضهم العصر من الغداة ولما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطرمت النيران ونظر العدّو إلى النار فهالهم وحاموا للقتال آمنين خلفهم فناشبهم يزيد إلى العصر وإذا بالتكبير من ورائهم فهربوا إلى حصنهم وأتبعهم المسلمون فأعطوا ما بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد فقتل المقاتلة وسبى الذرّية وقاد منهم إثني عشر ألفاً إلى وادي جرجان ، ومكّن أهل الثأر منهم حتى استلحموهم وجرى الماء على الدم وعليه الارحاء فطحن وخبز وأكل وقتل منهم أربعين ألفاً وبنى مدينة جرْجَان ولم تكن بنيت قبل ورجع إلى خراسان وولّى على جرجان جَهْم بن ذَخْر الجُعْفَيّ ولما قتل مقاتلهم صلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره .

* (وفاة سليمان وبيعة عمر بن عبد العزيز) *

ثم توفي سليمان بدابق من أرض قِنَّسْرين من سنة تسعة وتسعين في صفر منها ، وقد كان في مرضه أراد أن يعهد إلى ولده داود ، ثم استصغره وقال له كاتبه رجاء بن حيوة إبنك غائب عنك بقسطنطينية ولا يعرف حياته من موته فعدل إلى عمر بن عبد العزيز وقال له : إني والله لأعلم أنها تكون فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده ، وكان عبد الملك قد جعل ذلك له وكتب بعد البسملة هذا كتاب من عبدالله بن سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز : إني قد وليتك الخلافة من بعدي

(١) الاصح ان يقول ممتنعين .
(٢) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٥ ص ٣٤ : فبيناهم على ذلك اذ خرج رجل من عجم خراسان يتصيد ، وقيل رجل من طيء فأبصر وعلاً في الجبل فتبعه .

ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ، ولا تختلفوا فيطمع فيكم وختم الكتاب ثم أمر كعب بن جابر العبسي صاحب الشرطة أن يجمع أهل بيته ، وأمر رجاء بن حيوة أن يدفع لهم كتابه وقال : أخبرهم أنه كتابي فليبايعوا من ولّيت فيه فبايعوه رجلاً رجلاً وتفرّقوا وأتى عمر إلى رجاء يستعمله ويناشده الله والمودّة يستعفي من ذلك فأبى وجاءه هشام أيضاً يستعمله ليطلب حقه في الأمر فأبى ، فانصرف أسفاً أن يخرج من بني عبد الملك ثم مات سليمان وجمع رجاء أهل بيته فقرأ عليهم الكتاب فلما ذكر عمر قال هشام : والله لانبايعه أبداً فقال له رجاء : والله نضرب عنقك فقام أسفاً يجرّ رجليه حتى جاء إلى عمر بن عبد العزيز وقد أجلسه رجاء على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه ، فبايعه واتبعه الباقون ودفن سليمان وصلى عليه عمر بن عبد العزيز والوليد كان غائباً عن موت سليمان ولم يعلم بيعة عمر فعقد لواء ودعا لنفسه وجاء إلى دمشق . ثم بلغه عهد سليمان فجاء إلى عمر واعتذر إليه وقال : بلغني أنّ سليمان لم يعهد فخفت على الأموال أن تنهب فقال : عمر لوقمت بالأمر لقعدت في بيتي ولم أنازعك فقال عبد العزيز : والله لا أحب لهذا الأمرِ غيرك وأوّل ما بدأ به عمر لما استقرّت البيعة له أنه ردّما كان لفاطمة بنت عبد الملك زوجته من المال والحلى والجوهر إلى بيت المال وقال : لا أجتمع أنا وأنت وهو في بيت واحد فردّته جميعه ولما ولّى أخوها يزيد من بعد ردّه عليها فأبت وقالت : ما كنت أعطيه حيًّا أعطيه ميتاً[1] ففرَّقه يزيد على أهله وكان بنو أمية يسبّون عليًّا فكتب عمر إلى الآفاق بترك ذلك ، وكتب إلى مسملة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول بالمسلمين .

* (عزل يزيد بن المهلب وحبسه والولاية على عماله) *

ولما استقرّت البيعة لعمر كتب في سنة مائة إلى يزيد بن المهلب أن يستخلف على عماله ويقدم فاستخلف مخلداً إبنه وقدم من خراسان وقد كان عمر ولّى على البصرة عَديّ ابن أرطاة الفَزَارِيّ وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب وضم إليه أبا الزِنْاد ، فكتب إلى عَدِي بن أرطاة موسى أن يقبض على يزيد بن المهلب ويبعثه مقيداً ، فلما نزل يزيد واسط وركب السفن يريد البصرة بعث عليّ بن

(١) الجملة غير مفهومة حسب مقتضى السياق وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٤٢ : «ما كنت اطيعه حيًّا واعصيه ميتاً .»

أرطاة موسى بن الرُحَـيْبَة الحِمْيَرِيّ فلقيه في نهر معقل عند الجسر فقيّده وبعث به إلى عمر ، وكان عمر يبغضه ويقول إنه مراء وأهل بيته جبابرة فلما طالبه بالأموال التي كتب بها إلى سليمان من خمس جَرْجَان قال : إنما كتبت لأسمع الناس ، وعلمت أنّ سليمان لم يكن ليأخذني بذلك . فقال له عمر : إتق الله وهذه حقوق المسلمين لا يسعني تركها ثم حبسه بحصن حلب وبعث الجرّاح بن عبد الله الحَكَـمِيّ والياً على خراسان مكانه . وانصرف يزيد بن يزيد فقدم على عمر واستعطفه لأبيه وقال له : يا أمير المؤمنين إن كانت له بيّنة فخذبها وإلا فاستحلفه وإلا فصالحه أو فصالحني على ما تسأل فأبى عمر من ذلك وشكر من مخلد ما فعل ، ثم ألبس يزيد جبة صوف وحمله على جمل وسيّره إلى دَهْلَك وَمَرَّ يزيد على الناس وهو ينادي بعشيرة وبالنكير لما فعل به فدخل سلامة بن نعيم الخَوْلاني على عمر وقال : أردد يزيد إلى محبسه لئلا ينتزعه قومه ، فإنهم قد غضبوا ، فرده إلى أن كان من أمر فزارة ما يذكر .

* (ولاية عبد الرحمن بن نعيم القشيرى على خراسان) *

ولما عزل يزيد عن خراسان وكان عامل جَرْجَان جَـهْـمُ بن ذُخرْ الجُـعْفيّ فأرسل عامل العراق على جَرْجَان عاملاً مكانه ، فحبسه جَـهْم وقيّده فلما جاء الجرّاح إلى خراسان أطلق أهل جرجان عاملهم ، ونكر الجرّاح على جَـهْم ما فعل وقال : لولا قرابتك مني ما سوغتك هذا ! يعني أنّ جهماً وجعفاً معا إبنا سعد العشيرة . ثم بعث في الغزو وأوفد على عمر وفداً فكلّم فيه بعضهم عمر بأنه يعرّي الموالي بلا عطاء ولا رزق ويؤاخذ من أسلم من أهل الذمّة بالخراج . ثم عرّض بأنه سيف من سيوف الحجّاج قد علم بالظلم والعدوان . فكتب عمر إلى الجرّاح انظر من صلى قبلك فخل عنه الجزية فسارع الناس إلى الاسلام فراراً من الجزية فامتحنهم بالختان وكتب إلى عمر بذلك فكتب إليه عمران ! الله بعث محمداً داعياً ولم يبعثه خاتناً واستقدم الجرّاح وقال : إحمل معك أبا مُـخْلد واستخلف على حرب خراسان عبد الرحمن ابن نعيم القُشَيْرِي ولما قدم على عمر قال : متى خرجت ؟ قال : في شهر رمضان . قال : صدق من وصفك بالجفاء ، ألا أقمت حتى تقطر ثم تسافر . ثم سأل عمر أبا مُـخْلِد عن عبد الرحمن بن عبدالله فقال يكافيء الأكِفّاء ويعادي الأعداء ويقدم إن وجد ما يساعده ، قال : فعبد الرحمن بن نعيم ؟ قال : يحب العافية وتأتيه ! قال :

هو أحب إليّ فولاّه الصلاة والحرب ، وولّى عبد الرحمن القُشَيْري الخراج فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى قتل يزيد بن المهَلّب . ووليَ مسلمة فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف وظهر من أيام الجرّاح بخراسان دعاة بني العبّاس فيمن بعثه محمد بن علي بن عبدالله بن العبّاس إلى الآفاق حسبما يذكر في أخبار الدولة العبّاسية .

* (وفاة عمر بن عبد العزيز وبيعة يزيد) *

ثم توفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان ودفن بها السنتين وخمسة أشهر من ولايته ولأربعين من عمره وكان يدعى أشَجّ بني أمية رمحته دابة وهو غلام فشجّته . ولما مات وَليَ بعده يزيد بن عبد الملك بعهد سليمان كما تقدّم وقيل لعمر حين احتضر : أكتب إلى يزيد فأوصه بالأمّة فقال : بماذا أوصيه ؟ إنه من بني عبد الملك ! ثم كتب أمّا بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة ، ولا تقدر على الرجعة ، إنك تترك ما أترك لمن لا يحمدك وتصير إلى من لا يعذرك والسلام . ولما وَليَ يزيد عزل أبا بكر بن محمد بن عمر بن حزم عن المدينة وولّى عليها عبد الرحمن بن الضَحّاك بن قيس الفِهْرِي وغير كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز وكان من ذلك شأن خراج اليمن فإنّ محمدا أخا الحجّاج جعل عليهم خراجاً مجدّداً وأزال ذلك عمر إلى العشر أو نصف العشر وقال : لئن يأتيني من اليمن حبة ذرة أحب إليّ من تقرير هذه الوظيفة فلما وَليَ يزيد أعادها وقال لعامله خذها منهم ولو صاروا حَرَضاً وهلك عمّه محمد بن مروان فولّى مكانه على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية عمّه الآخر مَسْلَمَةَ بن عبد الملك .

* (احتيال يزيد بن المهلب مقتله) *

قد تقدّم لنا حبس يزيد بن المهلب فلم يزل محبوساً حتى اشتدّ مرض عمر بن عبد العزيز فعمل في الهرب مخافة يزيد بن عبد الملك لأنّ زوجته بنت أخي الحجّاج وكان سليمان أمر ابن المهلب بعذاب قرابة الحجاج كلهم فنقلهم من البلقاء وفيهم زوجة يزيد وعذّبها وجاءه يزيد بن عبد الملك إلى منزله شافعاً فلم يشفعه فضمن حمل ما قرّر عليها فلم يقبل فتهدّده فقال له ابن المهلب الئن وليت أنت لأرمينّك بمائة ألف

سيف ، فحمل يزيد بن عبد الملك عنها مائة ألف دينار . ولما اشتدّ مرض عمر خاف من ذلك وأرسل إلى مواليه أن يغدوا له بالإبل والخيل في مكان عَيَّنَهُ لهم وبعث إلى عامل حلب باشفاقه من يزيد ، وبذل له المال وإلى الحرس الذين يحفظونه فخلّى سبيله ، وأتى إلى دوابه فركبها ولحق بالبصرة . وكتب إلى عمر : إني والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك . ولكن خفت أن يقتلني يزيد شرّ قتله فقرأ عمر الكتاب وبه رمق فقال : اللهمّ إن كان ابن المهلب يريد بالمسلمين سوءاً فألحقه به وهضه فقد هاض . انتهى . ولما بويع ليزيد بن عبد الملك كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة وإلى عديّ بن أرطاة بالبصرة بهربه والتحرّر منه وأبى عَدِيّ أن يأخذ المهلب بالبصرة فحبس المُفَضَّلُ حبيباً ومروان إبني المهلب ، وبعث عبد الحميد من الكوفة جنداً عليهم هشام بن ساحِق بن عامر فأتوا العُذَيْب ومرّ بيزيد عليهم فوق القَطْقَطَانَة فلم يقدموا عليه . ومضى نحو البصرة وقد جمع عدِيّ بن إرطأة أهل البصرة وخندق عليها وبعث على خيلها المُغيرَة بن عبدالله بن أبي عقيل وجاء يزيد على أصحابه الذين معه وانضم إليه أخوه محمد فيمن اجتمع إليه من قومهم . وبعث عدِيّ بن أرطاة على كل خمس من أخماس البصرة رجالاً : فعلى الأزد المُغيَرة بن زياد بن عمر العَتْكِيّ ، وعلى تميم مُحْرِز بن حمدان السَعْدِيّ ، وعلى بَكْرَة نوح بن شَيْبَان بن مالك بن مُسْمِع ، وعلى عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود ، وعلى أهل العالية عبد الأعلى بن عبدالله بن عامر ، وهم قريش وكنانة والأزد وبُجَيْلَة وخَثْعَم وقَيْس عَيْلان ومُزَيْنَة فلم يعرضوا ليزيد وأقبل فانزل . انتهى . واختلف الناس إليه وأرسل إلى عَدِيّ أن يطلق له إخوته فينزل به البصرة ، ويخرج حتى يأخذ لنفسه من يزيد ، وبعث حميد إبن أخيه عبد الملك بن المهلب يستأمن له من يزيد بن عبد الملك فأجاره خالد القِسْرِي وعمر بن يزيد الحَكَمِي بأمان يزيد له ولأهله وقد كان بعد منصرف حميد فرّق في الناس قطع الذهب والفضة فانثالوا عليه ، وعَدِيّ يعطي درهمين درهمين ثم تناجزوا الحرب وحمل أصحاب يزيد على أصحاب عَدِيّ فانهزموا ودنا يزيد من القصر ، وخرج عدِيّ بنفسه فانهزم أصحابه . وخاف إخوة يزيد وهم في الحبس أن يقتلوا قبل وصوله فأغلق الباب وامتنعوا فجاءهم الحرس يعالجون فأجفلهم الناس عنه فخلّوا عنهم وانطلقوا إلى أخيهم . ونزل يزيد دار مسلم بن زياد إلى جنب القصر وتسوّر القصر بالسلالم وفتحه وأتى بعدِيّ بن أرطاة فحبسه . وهرب رؤس

البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر إلى الكوفة والشام وخرج المغيرة بن زياد بن عمر العتكيّ إلى الشام فلقي خالداً القِسْرِي وعمر بن يزيد وقد جاؤا بأمان يزيد بن المهلب مع حميد بن أخيه فأخبرهما بظهور يزيد على البصرة وحبسه عدياً فرجعا إلى وعد لهما فلم يقبلا ، وقبض عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة على خالد بن يزيد ابن المهلب وحمّاد بن ذَخْرْ ، وحملها وسيرهما إلى الشام فحبسهما يزيد حتى هلكا بالسجن وبعث يزيد بن عبد الملك إلى أهل الكوفة يثني عليهم ويمنيهم الزيادة وجهز أخاه مَسْلَمة وابن أخيه العبّاس بن الوليد إلى العراق في سبعين ألف مقاتل أو ثمانين من أهل الشام والجزيرة ، فقدموا الكوفة ونزلوا النُـخَـيْلَة . وتكلم العبّاس يوماً ببعض الكلام فأساء عليه حيّان النبَطِيّ بالكَشّة الأعجمية ولما سمع ابن المهلب بوصول مسلمة وأهل الشام فخطب الناس وشجّعهم للقائهم وهوّن عليهم أمرهم وأخبرهم أن أكثرهم له واستوثق له أهل البصرة وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان وبعث إلى خراسان مُدْرِكَ بن المهلب وعليها عبد الرحمن بن نعيم وبعث بنو تميم ليمنعوه ولقيه الأزد على رأس المغارة فقالوا : ارجع عنّا حتى نرى مآل أمركم . ثم خطب يزيد الناس يدعوهم إلى الكتاب والسنة ويحثهم على الجهاد وأنّ جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد التُرْك والدَيْلم ونكر ذلك الحسن البَصْرِيّ والنضر بن أنس بن مالك وتابعهما الناس في النكير . وسار يزيد من البصرة إلى واسط واستخلف عليها أخاه مروان بن المهلب وأقام بواسط أياماً ثم خرج منها سنة إثنتين ومائة واستخلف عليها أمان معونة وقدّم أخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة فاستقبله ابن الوليد بسور له فاقتتلوا وانهزم عبد الملك وعاد إلى يزيد وأقبل مسلمة على شاطىء الفرات إلى الأنهار فعقد الجسر وعبر وسار حتى نزل على يزيد بن المهلب وفزع إليه ناس من أهل الكوفة وكان عسكره مائة وعشرين[1] وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنُـخَـيْلَة وشق المياه وجعل الأرصاد على أهل الكوفة أن يفزعوا إلى يزيد بن المُـهَلّب ، وبعث بعثاً إلى مسلمة مع صَبْرَة بن عبد الرحمن بن مُخَنِف فعزل مسلمة بن عبد الحميد عن الكوفة واستعمل عليها محمد بن عمر بن الوليد بن عُـقْبَة . ثم أراد يزيد بن المُـهَلّب أن يبعث أخاه محمد بالعساكر يبيّتون مسلمة فأبى عليه أصحابه وقالوا : قد وعدناهم بالكتاب والسنة ووعدوا بالإجابة فلا نغدرهم فقال يزيد : ويحكم تصدّقونهم إنهم

---

(١) أي مائة وعشرين الفاً .

يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم إليه والله ما في بني مروان أمكر ولا أبعد غوراً من هذه الجرادة الصغرى يعني مسلمة . وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحثّ الناس على اللحاق بيزيد أخيه والحسن البَصْرِيّ يثبطهم ويتهدّده فلم يكف ثم طلب الذين يجتمعون إليه فافترقوا فأقام مسلمة بن عبد الملك يطاول يزيد بن المهلب ثمانية أيام ثم خرج يوم الجمعة منتصف صفر فعبّى أصحابه وعبّى العبّاس بن الوليد كذلك والتقوا ، واشتدّ القتال وأمر مسلمة فأحرق الجسر فسطع دخانه فلما رآه أصحاب يزيد انهزموا واعترضهم يزيد يضرب في وجوههم حتى كثروا عليه فرجع وترجّل في أصحابه وقيل له : قتل أخوك حبيب فقال : لا خير في العيش بعده ولا بعد الهزيمة . ثم استمات ودلف إلى مسلمة لا يريد غيره فعطف عليه أهل الشام فقتلوه هو وأصحابه ، وفيهم أخوه محمد وبعث مسلمة برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد ابن الوليد بن عُقْبَة وقيل إن الذي قتله الهُذَيْل بن زُفَر بن الحرْث الكِلابي وأنف أن ينزل فيأخذ رأسه فأخذه غيره وكان المفضل بن المهلب يقاتل في ناحية المعترك وما علم بقتل يزيد فبقي ساعة كذلك يكرّ ويفرّ حتى أخبر بقتل إخوته فافترق الناس عنه ، ومضى إلى واسط وجاء أهل الشام إلى عسكر يزيد فقاتلهم أبو رُؤْبَة رأس الطائفة المُرْجِئَة ومعه جماعة منهم صدق ، فقاتلوا ساعة من النهار ثم انصرفوا وأسر مسلمة ثلثمائة أسير حبسهم بالكوفة . وجاء كتاب يزيد إلى محمد بن عمر بن الوليد بقتلهم فأمر العريان بن الهَيْثَم صاحب الشرطة بذلك وبدأ بثمانين من بني تميم فقتلهم . ثم جاء كتاب يزيد بإعفائهم فتركهم وأقبل مسلمة فنزل الحيرة وجاء الخبر بقتل يزيد إلى واسط فقتل إبنه معاوية عَدِيّ بن أرطاة ومحمداً إبنه ومالكاً وعبد الملك إبنا مُسْمِع في ثلاثين ورجع إلى البصرة بالمال والخزائن واجتمع بعمّه المُفَضّل وأهل بيتهم ، وتجهزوا للركوب في البحر وركبوا إلى قَنْدَابيل وبها وداع بن حميد الأزدي ولاّه عليها يزيد بن المهلب ملجأ لأهل بيته إن وقع بهم ذلك فركبوا البحر بعيالهم وأموالهم إلى جبال كَرْمان فنزلوا بها واجتمع إليهم الفلّ من كل جانب . وبعث مسلمة مدرك بن ضَبٍّ الكلبي في طلبهم فقاتلهم وقتل من أصحاب المفضل النُعْمَان بن ابراهيم ومحمد بن اسحق بن محمد بن الأشعث وأسر ابن صول قُهِسْتان ، وهرب عثمان بن اسحق بن محمد بن الأشعث فقتل وحمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة ورجع ناس من أصحاب بني المهلب فاستأمنوا وأمّنهم مسلمة منهم مالك بن ابراهيم بن الأشتر والورد

ابن عبدالله بن حبيب السَعْدِي التميمي ومضى إلى آل المهلب ومن معهم بِقَنْدَابيل فمنعهم وَداعِ بن حميد من دخولها وخرج معهم لقتال عدوّهم وكان مسلمة قد ردّ مدرك بن ضبّ بعد هزيمتهم في جبال كَرْمان وبعث في أثرهم هلال بن أحْوَرَ التميمي فلحقهم بِقَنْدَابيل فتبعوا لقتاله ! وبعث هلال راية أمان فمال إليه وداع بن حميد وعبد الملك بن هلال وافترق الناس عن آل المهلب ثم استقدموا فاستأمنوا فقتلهم عن آخرهم : المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب ، ومعاوية بن يزيد بن المهلب والمنهال بن أبي عُيَيْنَة بن المهلب وعمر بن يزيد بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب برتبيل[1] ملك الترك وبعث هلال بن أحْوَر برؤوسهم وسبيهم وأسراهم إلى مسلمة بالحيرة فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك فسيّرهم يزيد إلى العبّاس بن الوليد في حلب فنصب الرؤس وأراد مسلمة أن يبتاع الذرّية فاشتراهم الجرّاح بن عبدالله الحكميّ بمائة ألف وخلّى سبيلهم . ولم يأخذ مسلمة من الجرّاح شيئاً ولما قدم بالأسرى على يزيد بن عبد الملك وكانوا ثلاثة عشر أمر يزيد فقتلوا وكلهم من ولد المهلب واستأمنت هند بنت المهلب لأخيها عُيَيْنَة إلى يزيد بن عبد الملك فأمّنه وأقام عمر وعثمان عند رَتْبيل حتى أمنّها أسد بن عبدالله القِسْرِي وقدما عليه بخراسان .

* (ولاية مسلمة على العراق وخراسان) *

ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب بني المهلب ولّاه يزيد بن عبد الملك على العراق وجمع له ولاية البصرة والكوفة وخراسان فأقرّ على الكوفة محمد بن عمر بن الوليد وكان قدْ قام بأمر البصرة بعد بني المهلب شبيب بن الحرث التميمي فبعث عليها مسلمة عبد الرحمن بن سليم الكلبي وعلى شرطتها عمر بن يزيد التميمي وأراد عبد الرحمن أن يقتل شيعة بن المهلب بالبصرة فعزله وولّى على البصرة عبد الملك بن بِشْر ابن مروان . وأقرّ عمر بن يزيد على الشرطة واستعمل مسلمة على خراسان صهره على[2] سعيد بنَ عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أبي العبّاس

(١) الظاهر من سياق المعنى ان عبارة سقطت اثناء النسخ وفي الكامل لابن الاثيرج ٥ ص ٨٦ : «وحملت رؤوسهم وفي اذن كل واحد رقعه فيها اسمه إلاّ ابا عيينه بن المهلب وعمر بن يزيد بن المهلب وعثمان بن المفضل ، فانهم لحقوا برتبيل» .

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٥ ص ٩٠ : «واستعمل مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن ابي العاص بن امية» .

ويلقب سعيد خذينة . دخل عليه بعض العرب بخراسان وعليه ثياب مصبغة وحوله مرافق مصبغة ، وسئل عنه لما خرج فقال : خذينة وهي الدهقانة ربة البيت . ولمّا ولاّه على خراسان سار إليها فاستعمل شُعْبَة بن ظَهِير النَهْشَلِيّ على سَمَرقَنْد فسار إليها وقدم الصُغْد وكان أهلها كفروا أيام عبد الرحمن بن نعيم ، ثم عادوا إلى الصلح فوبّخ ساكنها من العرب وغيرهم بالجبن فاعتذروا بأمر أميرهم عليّ بن حبيب العَبْدِيّ . ثم حبس سعيد عمّال عبد الرحمن بن عبدالله وأطلقهم ، ثم حبس عمّال يزيد بن المهلب رفع لهم أنهم اختانوا الأموال فعذبهم فمات بعضهم في العذاب وبقي بعضهم بالسجن حتى غزاهم التُرك والصُغْد فأطلقهم .

* (العهد لهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد) *

لما بعث يزيد بن عبد الملك الجيوش إلى يزيد بن المهلب مع مسلمة أخيه والعبّاس بن أخيه الوليد قال له العباس : إنا نخاف أن يرجف أهل العراق بموتك ويبث[1] ذلك في أعضادنا وأشار عليه بالعهد لعبد العزيز أخيه بن الوليد وبلغ ذلك مسلمة فجاءه وقال : أخوك أحق فإنّ إبنك لم يبلغ وأشار عليه بأخيه هشام وابنه الوليد من بعده . والوليد ابن إحدى عشرة سنة فبايع لهما كذلك ثم بلغ ابنه الوليد فكان إذا رآه يقول الله بيني وبين من قدّم هشاماً عليك .

* (غزوة الترك) *

لما وَلِيَ سعيد خراسان استضعفه الناس وسمّوه خُذَيْنَة واستعمل شعبة على سمرقند ثم عزله كما مرّ وولّى مكانه عثمان بن عبدالله بن مُطَرِّف بن الشِخِّير فطمعت الترك ، وبعثهم خاقان إلى الصُغْد ، وعلى التُرْك كورصول وأقبلوا حتى نزلوا قصر البَاهِلِيّ وفيه مائة أهل بيت بذراريهم . وكتبوا إلى عثمان بسَمَرْقَنْد وخافوا أن يبطىء المَدَد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة . وندب عثمان الناس فانتدب المُسَيَّب بن بِشْر الرِيَاحِيّ ومعه أربعة آلاف من سائر القبائل . فقال لهم المسَيَّبُ : من أراد الغزو والصبر على الموت فليتقدّم فرجع عنه ألف ، وقالها بعد فرسخ فرجع ألف آخر ، ثم أعادها ثالثة بعد فرسخ فاعتزله ألف . وسار حتى كان

(١) بث الخبر اي أذاعه ونشره وليس لها معنى هنا . ولعلها يفت من اعضادنا اي يوهن فوقنا .

على فرسخين من العدوّ فأخبره بعض الدهاقين بقتل الرهائن وميعادهم غداً . وقال أصحابي ثلثمائة مقاتل وهم معكم فبعث المسيب إلى القصر رجلين عَجَمِيًّا وعربيًّا يأتيانه بالخبر ، فجاؤا في ليلة مظلمة وقد أجرت الترك الماء بدائر القصر لئلا يصل إليه أحد فصاح بهما فقالا له اسكت وادع لنا فلاناً . فأعلماه قرب العسكر وسألا هل عندكم امتناع غداً ؟ فقال : لها نحن مستميتون . فرجعا إلى المسيب فأخبراه فعزم على تبييت الترك وبايعه أصحابه على الموت وساروا يومهم إلى الليل . ولما أمسى حثّهم على الصبر وقال : ليكن شِعَاركم يا محمد ولا تتبعوا مُوَلِيًّا واعقروا الدواب فإنه أشدّ عليهم ، وليست بكم قلّة فإنّ سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنته ، وان كثر أهله . ثم دنوا من العسكر في السحر وثار الترك وخالطهم المسلمون وعقروا الدواب وترجّل المسيب في أصحاب له فقاتلوا قتالاً شديداً وقتل عظيم من عظماء الترك فانهزموا ونادى منادي المسيب لا تتبعوهم واقصدوا القَصْر واحملوا من فيه ، ولا تحملوا من متاعهم إلاّ المال ومن حمل إمرأة أو صبياً أو ضعيفاً حِسْبَةً فأجره على الله وإلا فله أربعون درهماً . وحملوا من في القصر إلى سمرقند ورجع الترك من الغد فلم يروا في القصر أحداً . ورأوا قتلاهم فقالوا : لم يكن الذين جاؤنا بالأمس .

* (غزو الصغد) *

ولما كان من انتقاض الصُغْد إعانتهم الترك على المسلمين ما ذكرنا تجهّز سعيد لغزوهم وعبر النهر فلقيه الترك وطائفة من الصغد فهزمهم المسلمون . ونهاهم سعيد عن اتباعهم وقال هم جباية أمير المؤمنون فانكفوا عنهم . ثم سار المسلمون إلى وادٍ بينهم وبين المرج فقطعه بعض العسكر وقد أكمن لهم الترك فخرجوا عليهم وانهزم المسلمون إلى الوادي وقيل بل كان المنهزمون مَسْلَحَة للمسلمين وكان فيمن قتل شعبة بن ظهر[١] في خمسين رجلاً . وجاء الأمير والناسُ فانهزم العدوّ وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا وسبوا ردّ السبي وعاقب السرية فثقل سعيد على الناس وضعفوه ولما رجع من هذه الغزاة وكان سورة بن الأبجر قد قال لحيّان النبطيّ يوم أمر سعيد بالكف عن الصُغْد وأنهم جباية أمير المؤمنين[٢] فقال : سورة إرجع عنهم يا حيّان فقال : عقيرة

(١) وقد مرّ اسمه في السابق بن ظهير .
(٢) قوله جباية أمير المؤمنين معناه : أنه يأخذ منهم المال ، في استئصالهم ضياع له اهـ . من خط الشيخ العطار .

الله لا أدعها . فقال انصرف يا نَبَطِيّ . قال : أنبط الله وجهك فحقدها عليه سورة وأغرى به سعيد خُذَيْنَة وقال : إنه أفسد خراسان على قُتَيْبَة ويثب عليك ويتحصّن ببعض القلاع فقال له سعيد : لا يسمع هذا منك أحد ، ثم حاول عليه وسقاه لبناً قد ألقى فيه ذهباً مسحوقا . ثم ركض والناس معه أربعة فراسخ فعاش حيّان من بعدها ليالي قلائل ومات .

* (ولاية ابن هبيرة على العراق وخراسان) *

كان مسلمة لما وَلِيَ على هذه الأعمال لم يدفع من الخراج شيئاً واستحيا يزيده من عزله فكتب إليه بالقدوم وأن يستخلف على عمله وسار لذلك سنة ثلاث وأربعمائة ، فلقيه عمر بن هُبَيْرَةَ بالطريق على دواب البريد ، وقال : وجّهني أمير المؤمنين لحيازة أموال بني المهلب فارتاب لذلك ، وقال له بعض أصحابه : كيف يبعث ابن هُبَيْرَةَ من عند الجزيرة لمثل هذا الغرض ؟ ثم أتاه أنّ ابن هُبَيْرَةَ عزل عمّاله . وكان عمر بن هُبَيْرَةَ من النجابة بمكان ، وكان الحجّاج يبعثه في البعوث ، وهو ممن سار لقتال مُطَرِّف بن المغيرة حين خلع ويقال إنه الذي قتله ، وجاء برأسه ، فسيره الحجّاج إلى عبد الملك فاقطعه قرية قريبة من دمشق . ثم بعثه إلى كروم ابن مُرْثِد الفزاري ليخلّص منه مالاً فارتاب وأخذ المال ولحق بعبد الملك عائذاً به من الحجّاج وقال قتلت ابن عمه ولست آمنه على نفسي ، فأجاره عبد الملك ، وكتب الحجّاج إليه فيه فقال:أمسك عنه وعظّم شأنه عبد الملك وبنوه واستعمله عمر بن عبد العزيز على الروم من ناحية أرمينية وأثخن فيهم وأسر سبعمائة منهم وقتلهم . واستخدم أيام يزيد لمحبوبته حَبَّابة [1] فسعت له في ولاية العراق ، فولاّه يزيد مكان أخيه مسلمة . ولمّا وَلِيَ قدم عليه المجْشَرُ بن مُزَاحِمٍ السَلَمِيّ ، وعبدالله بن عمر الليثي في وفد فشكوا من سعيد وحذيفة عاملهم وهو صهر مسلمة فعزله وولى مكانه على خراسان سعيد بن عمر الحُرَيْشي من بني الحُرَيْش بن كعب بن ربيعة بن عامِرِ بن صَعْصَعَة ، فسار خُذَيْنَة عن خراسان وقدم سعيد فلم يعرض لعماله . ولما قدم على خراسان كان الناس بازاءِ العدوّ وقد نكثوا ، فحثّهم على الجهاد وخاف الصُغْد منه بما كانوا أعانوا التُرْك أيام خُذَيْنَة ، فقال لهم ملكهم : احملوا له خراج ما مضى واضمنوا خراج ما يأتي

(١) حبّابه هذه جارية أحبها يزيد حبّا تجاوز به الحد وضرب به المثل ، اهـ . من خط الشيخ العطار .

والعمارة والغزو معه ، وأعطوه الرهن بذلك . فأبوا إلاّ أن يستجيروا بملك فَرْغَانَة وخرجوا من بلادهم إلى خَجَنْدَةَ وسألوا الجوار وأن ينزلوا شِعْبَ عصام . فقال : أمهلونا عشرين يوماً أو أربعين لنخليه لكم وليس لكم عليّ جوار قبل دخولكم إيّاه .

ثم غزاهم الحُرَيْش سنة أربع ومائة فقطع النهر وترك قصر الريح على فرسخين من الدَّنُوسِيَّة ، وأتاه ابن عم ملك فَرْغَانَة يغريه بأهل الصُغْد وأنهم بِخَجَنْدَةَ ، ولم يدخلوا جواره بعد ، فبعث معه عبد الرحمن القِسْرِيّ في عسكر ، وجاء في أثره حتى نزلوا على خَجَنْدَةَ ، وخرج أهل صُغْد لقتالهم فانهزموا ، وقد كانوا حفروا خندقاً وغطّوه بالتراب ليسقط فيه المسلمون عند القتال . فلما انهزموا ذلك اليوم أخطأهم الطريق وأسقطهم الله في ذلك الخندق . ثم حاصرهم الْحَرَيْشيّ ، ونصب عليهم المجانيق وأرسلوا إلى ملك فَرْغَانَة ليجيرهم ، فقال : قد شرطت عليكم أن لا جوار قبل الأجل الذي بيني وبينكم . فسألوا الصلح من الحُرَيْشي على أن يردّوا ما في أيديهم من سبي العرب ، ويعطوا ما كسر من الخراج ولا يتخلف أحد منهم بخَجَنْدَةَ ، وإن أحدثوا حدثاً استبيحت دماؤهم . فقبل منهم وخرجوا من خَجَنْدَةَ ونزلوا في العسكر على كل من يعرفه . وبلغ الحُرَيْشي أنهم قتلوا إمرأة فقتل قاتلها ، فخرج قبيل منهم فاعترض الناس وقتل جماعة . وقتل الصُغْد من أسرى المسلمين مائة وخمسين ، ولقي الناس منهم عنفاً ثم أحاطوا بهم وهم يقاتلون بالخشب ليس لهم سلاح فقتلوا عن آخرهم ثلاثة آلاف أو سبعة آلاف . وكتب الحُرَيْشيّ إلى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب لعُمَر بن هُبَيْرَة فأحفظه ذلك ثم سَرَّحَ الحُرَيْشيّ سليمان بن أبي السُرى إلى حصن يطيف به وراء الصُغْد ومعه خَوَارِزم شاه وملك أُجْرُون وسومان . فسار سليمان وعلى مقدمته المُسَيَّبُ بن بِشْر الرياحي ، ولقيه أهل الحصن فهزمهم ثم حاصرهم فسألوا الصلح على أن لا يعرض لسبيهم ويسلموا القلعة بما فيها فقبل . وبعث إلى الحُرَيْشيّ فقبضه[1] وبعث من قبضه . وسار الحُرَيْشيّ إلى كَشّ ونَسْف حرباً وخراجاً سليمان بن أبي السريّ واستنزل مكانه آخر اسمه قَشْقَري من حصنه على الأمان وجاء به إلى مَرْو فشنقه وصلبه .

(١) مقتضى السياق فقبله وبعث من قبضه .

* (ولاية الجرّاح على أرمينية وفتح بلنجر) *

ولما سار ابن هُبَيْرَة على الجزيرة وأرمينية تشبب البَـهْرَاني فحفل لهم الخَـزَر وهم التركمان واستجاشوا بالقَـفْجَاق وغيرهم من أنواع الترك ، ولقوا المسلمين بمرج الحجارة فهزموهم واحتوى التركمان على عسكرهم وغنموا ما فيه . وقدم المنهزمون على يزيد بن عبد الملك فولّى على أرمينية الجَـرَّاحَ بن عبدالله الحـكَـمِيّ وأمدّه بجيش كثيف وسار لغزو الخَـزَر فعادوا للباب والأبواب . ونزل الجرّاح بردعة فأراح بها قليلاً ، ثم سار نحوهم وعبر نهر الكرّ وأشاع الإقامة ليرجع بذلك عيونهم إليهم ثم أسرى من ليلته وأجدّ السير إلى مدينة الباب فدخلها وبثّ السرايا للنهب والغارة . وزحف إليه التركمان وعليهم ابن ملكهم فلقيهم عند نهر الزمان واشتد القتال بينهم ، ثم انهزم التركمان وكثر القتل فيهم ، وغنم المسلمون ما معهم وساروا حتى نزلوا على الحصن ، ونزل أهلها على الأمان فقتلهم . ثم سار إلى مدينة بَرْغوا[1] فحاصرها ستة أيام ، ثم نزلوا على الأمان ونقلهم[2] ثم ساروا إلى بَـلَـنْجَر وقاتلهم التركمان دونها فانهزموا وافتتح الحصن عنوة . وغنم المسلمون جميع ما فيه فأصاب الفارس ثلثمائة دينار وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً . ثم إن الجرّاح رجّع حصن بَلَنْجَر إلى صاحبه وردّ عليه أهله وماله ، على أن يكون عيناً للمسلمين على الكفّار . ثم نزل على حصن الوبيد[3] وكان به أربعون ألف بيت من الترك فصالحوا الجرّاح على مال أعطوه إياه . ثم تجمع الترك والتركمان وأخذوا الطرق على المسلمين فأقام في رستاق سبى وكتب إلى يزيد بالفتح وطلب المدد وكان ذلك آخر عمر يزيد وبعث هشام بعد ذلك إليه بالمدد وأقرّه على العمل .

* (ولاية عبد الواحد القسرى على المدينة ومكة) *

كان عبد الرحمن بن الضحّاك عاملاً على الحجاز منذ أيام عمر بن عبد العزيز وأقام عليها ثلاث سنين ثم حدثته نفسه خطبة فاطمة بنت الحسين فامتنعت فهدّدها بأن يجلد إبنها في الخمر وهو عبدالله بن الحسن المُـثَنّى . وكان على ديوان المدينة عامل من أهل الشام يسمّى ابن هُرْمُز . ولما رفع حسابه وأراد السير إلى يزيد جاء ليودّع فاطمة ، فقالت : أخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحّاك وما يتعرّض لي . ثم بعث

---

(١) وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١١٢ : برغوا

(٢) وفي نسخة اخرى : فقتلهم .

(٣) وفي الكامل ج ٥ ص ١١٢ : الوبندر

رسولها بكتابها إلى يزيد يخبره . وقدم ابن هُرْمُز على يزيد فبينما هو يحدثه عن المدينة قال الحاجب : بالباب رسول فاطمة بنت الحسين ، فذكر ابن هُرْمُز ما حملته . فنزل عن فراشه وقال عندك مثل هذا وما تخبرني به ! فاعتذر بالنسيان . فأدخل يزيد الرسول وقرأ الكتاب وجعل ينكث الأرض بخيزارنة ويقول : لقد اجترأ ابن الضحّاك هل من رجل يسمعني صوته في العذاب قيل له عبد الواحد بن عبدالله القِسْرِي فكتب إليه بيده قد وليتك المدينة فانهض إليها واعزل ابن الضحّاك وغرمه أربعين ألف دينار ، وعذبّه حتى أسمع وأنا على فراشي . وجاء البريد بالكتاب إليه ولم يدخل على ابن الضحّاك فأحضر البريد ودس إليه بألف دينار فأخبره الخبر فسار ابن الضحّاك الى مسلمة بن عبد الملك واستجار به وسأل مسملة فيه يزيد فقال : والله لا أعفيه أبداً فردّه مسلمة إلى عبد الواحد بالمدينة فعذّبه ولقي شرّا ، ولبس جبة صوف يسأل الناس وكان قد آذى الأنصار فذمّوه وكان قدوم القِسْرِي في شوّال سنة أربع ومائة وأحسن السيرة فأحبّه الناس وكان يستشير القاسم بن محمد وسالم بن عبدالله .

* (عزل الحريشي وولاية مسلم الكلبي على خراسان) *

كان سعيد الحُرَيْشي عاملاً على خراسان لابن هُبَيْرَة كما ذكرنا وكان يستخف به ويكاتب الخليفة دونه ويكنيه أبا المُثَنّى . وبعث من عيونه من يأتيه بخبره فبلغه أعظم مما سمع فعزله وعذّبه حتى أدّى الأموال،وعزم على قتله ثم كف عنه . وولّى ابن هُبَيْرَة على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرْعَة الكِلاَبي ، ولما جاء إلى خراسان حبسه وقيّده وعذّبه كما قلنا . فلما هرب ابن هُبَيْرَة بعد ذلك عن العراق أرسل خالد القِسْرِي في طلبه الحُرَيْشي فأدركه على الفرات وقال لابن هُبَيْرَة ما ظنك بي قال : إنك لا تدفع رجلاً من قومك إلى رجل من قِسْر قال : هو ذاك ثم انصرف وتركه .

* (وفاة يزيد وبيعة هشام) *

ثم توفي يزيد بن عبد الملك في شعبان سنة خمس ومائة لأربع سنين من خلافته وولّى بعده أخوه هشام بعهده إليه بذلك كما مرّ ، وكان بحمص فجاءه الخبر بذلك فعزل عمر ابن هُبَيْرَة عن العراق وولّى مكانه خالد بن عبدالله القِسْرِي فسار الى العراق من يومه.

* (غزو مسلم الترك) *

غزا مسلم بن سعيد الترك سنة خمسة ومائة فعبر النهر وعاث في بلادهم ولم يفتح شيئاً وقفل فأتبعه الترك ولحقوه على النهر فعبر بالناس ولم ينالوا منه . ثم غزا بقية السنة وحاصر أفْشِين حتى صالحوه على ستة آلاف رأس ، ثم دفعوا إليه القلعة . ثم غزا سنة ست ومائة ، وتباطأ عنه الناس ، وكان ممن تباطأ البُخْتُرِي بن دِرْهَم ، فردّ مسلم نصر بن سيّار إلى بَلْخ وأمره أن يخرج الناس إليه ، وعلى بَلْخ عمر بن قُتَيْبَة أخو مسلم ، فجاء نصر وأحرق باب البُخْتُرِي وزياد بن طريف البَاهِلِيّ . ثم منعهم عمر من دخول بَلْخ وقد قطع سعيد النهر ، ونزل نصر بن سيّار البَرْوَقان وأتاه جند الصَّلاَضِيَان ، وتجمعت ربيعة والأزد بالبَرْوَقَان على نصف فرسخ من نَصْر وخرجت مُضَر إلى نَصْر ، وخرج عمر بن مسلم إلى ربيعة والأزد وتوافقوا وسفر الناس بينهما في الصلح وانصرف نصر . ثم حمل البُخْتُرِي وعمر بن مسلم على نَصْر فكرّ عليهم فقتل منهم ثمانية عشر وهزمهم وأتى بعمر بن مسلم والبُخْتُرِيّ وزياد بن طَرِيف فضربهم مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وألبسهم المسوح . وقيل إنّ سبب تعزير عمر بن مسلم إنهزام تميم عنه وقيل انهزام ربيعة والأزد ثم أمنهم نصر بعد ذلك وأمرهم أن يلحقوا بمسلم بن سعيد . ولما قطع مسلم النهر ولحقه من لحق من أصحابه سار الى بُخَارَى فلحقه بها كتاب خالد بن عبدالله القِسْرِي بولايته وبأمره بإتمام غزاته ، فسار إلى فَرْغَانَة وبلغه أنّ خاقان قد أقبل إليه فارتحل . ولحقه خاقان بعد ثلاثة مراحل لقي فيها طائفة من المسلمين فأصابهم . ثم أطاف بالعسكر وقاتل المسلمين ، وقتل المُسَيّب بن بِشْر الرِياحيّ والبَرّاءُ من فرسان المُهَلَّب وأخو غورك وثار الناس في وجوههم فأخرجوهم من العسكر ورحل مسلم بالناس ثمانية أيام والترك مطيفون بهم بعد أن أمر بإحراق ما ثقل من الأمتعة ، فأحرقوا ما قيمته ألف ألف . وأصبحوا في التاسع قريب النهر دونه أهل فَرْغَانَة والشَاش . فأمر مسلم الناس أن يخرطوا سيوفهم ويحملوا فافرج أهل فَرْغَانَة والشَاش عن النهر ، ونزل مسلم بعسكره ثم عبر من الغد ، واتبعهم ابن خاقان . فكان حميد بن عبدالله على الساقة من وراء النهر وهو مُثْخَن بالجراحة . فبعث إلى مسلم بالانتظار وعطف على التُرْك فقاتلهم وأسر قائدهم وقائد الصَغْد ثم أصابه سهم فمات . وأتوا خُجَنْدَةُ وقد أصابتهم مجاعة وجهد ولقيهم هنالك كتاب

أسد بن عبدالله القِسْرِي أخي خالد بولايته على خراسان واستخلافه عبد الرحمن بن نعيم . فقرأ مسلم الكتاب وقال سمعاً وطاعة .

* (ولاية أسد القسري على خراسان) *

ولما غزا خالد بن عبدالله خراسان استخلف عليها أخاه أسد بن عبدالله فقدم ومسلم ابن سعيد بفَرْغَانَة فلما رجع وأتى النهي ليقطعه منعه الأشهب بن عبدالله التميمي وكان على السفن بآمد[1] حتى عرفه أنه الأمير فأذن له . ثم عبر أسد النهر ونزل بالمرج وعلى سَمَرْقَنْد هانيء بن هانيء ، فخرج بالناس وتلقى أسداً وأدخله سَمَرْقَنْد وبعث أسد إلى عبد الرحمن بن نعيم بالولاية على العسكر فقفل بالناس إلى سَمَرْقَنْد . ثم عزل أسداً عنها وولّى مكانه الحسن بن أبي العَمَرَّطَة الكِنْدِيّ ثم قدم مسلم بن سعيد بن عبدالله بخراسان فكان يكرّمه ومرّ بابن هُبَيْرَة وهو يروم الهرب وأسلم على يديه . ثم غزا الغور وهي جبال هَرَاة فوضع أهلها أثقالهم في الكهوف ولم يكن إليهم طريق فاتخذ التوابيت ووضع فيها الرجال ودلّاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه ثم قطع كماق النهر وجاءه خاقان ولم يكن بينهما قتال وقيل عاد مهزوماً من الجسر. ثم سار إلى عوبرين وقاتلها وأبلى نَصْر بن سيّار ومسلم بن أحْوَزْ وانهزم المشركون وحوى المسلمون عسكرهم بما فيه .

* (ولاية أشرس على العراق) *

كان أسد بن عبدالله في ولايته على خراسان يتعصّب حتى أفسد الناس وضرب نصر ابن سيّار بالسياط وعبد الرحمن بن نعيم وسَوْرَة بن أبْجَر والبُخْتُرِيّ بن أبي دِرْهَم ، وعامر بن مالك الحَمَاني وحَلَقَهُم وسيّرهم إلى أخيه ، وكتب إليه أنهم أرادوا الوثوب بي فلامه خالد وعنّفه وقال : هلاّ بعثت برؤوسهم ؟ وخطب أسد يوماً فلعن أهل خراسان . فكتب هشام بن عبد الملك إلى خالد اعزل أخاك فعزله في رمضان سنة تسع وولّى مكانه الحَكَمَ بن عَوَانَةَ الكَلْبي فقعد عن الصائفة تلك السنة فاستعمل هشام على خراسان أشرس بن عبدالله السلمي وأمره أن يراجع خالداً فكان خيراً ففرح به أهل خراسان .

(١) وفي الكامل ج ٥ ص ١٣١ : بآمل

* (عزل أشرس) *

أرسل أشرس إلى سَمَرْقَنْد سنة عشر ومائة أبا الصَيْدَا صالح بن ظَرِيف مولى بني ضُبَّة والربيع بن عِمْران التميمي إلى سَمَرْقَنْد وغيرها مما وراء النهر يدعوهم الى الإسلام ، على أن توضع عنهم الجزية ، وعليها الحسن بن العَمَرَّطَة الكِنْدِيُ على حربها وخراجها ، فدعاهم لذلك وأسلموا . وكتب غورك إلى الأشرس أنّ الجرّاح قد انكسر ، فكتب أشرس إلى ابن العَمَرَّطَة : بلغني أنّ أهل الصُغْد واشباههم لم يسلموا رغبة ، وإنما أسلموا نفوراً من الجزية فانظر من اختتن وأقام الفرائض ، وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه . ثم عزل ابن العَمَرَّطَة عن الخراج وولّى عليها ابن هانيء ومنعهم أبو الصيدا أخذ الجزية ممن أسلم ، وكتب هانيء إلى أشرس بأنهم أسلموا وبنوا المساجد فكتب إليه وإلى العُمَّال أن يعيدوا الجزية على من كانت عليه ولو أسلم ، فامتنعوا واعتزلوا في سبعة آلاف على فراسخ من سَمَرْقَنْد وخرج معهم أبو الصيدا وربيع بن عِمْرَان والهيثم الشيباني وأبو فاطمة الأزدي وعامر بن قُشَيْر وبشير الجُحْدُري وبيان العَنْبَرِي واسمعيل بن عُقْبَة لينصروهم . وبلغ الخبر إلى أشرس فعزل ابن العَمَرَّطَة عن الحرب وولّى مكانه المجشر بن مُزَاحم السلمي وعُمَيْرَة بن سعد الشَيْبَانِي ، فكتب المجشر إلى أبي الصيدا يستقدمه هو وأصحابه فقدم ومعه ثابت قَطْنَة فحبسها وسيرهما إلى أشرس ، واجتماع الباقون وولّوا عليهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئاً فكتب أشرس ووضع عنهم الخراج فرجعوا وضعف أمرهم وتتبعوا فحبسوا كلهم وألَحّ هانيء في الخراج واستخف بفعل العجم والدهاقين . وأقيموا في العقوبات وحرقت ثيابهم ، وألقيت مناطقهم في أعناقهم وأخذت الجزية ممن أسلم . فكفرت الصُغْد وبُخارى ، واستجاشوا بالترك وخرج أشرس غازياً فنزل آمد وأقام أشهراً وقدم قَطَن بن قُتَيْبَة بن مسلم في عشرة آلاف فعبر النهر ولقي الترك وأهل الصُغْد وبُخَارى ومعهم خاقان ، فحصروا قطناً في خندقه . وأغار الترك على سرح المسلمين ، وأطلق أشرس ثابت قَطَنَة بكفالة عبدالله بن بَسْطَام بن مسعود بن عمرو وبعثه معه في خيل ، فاستقدمه من أيدي الترك ما أخذوه ثم عبر أشرس بالناس ولحق بقَطَن ولقيهم العدوّ فانهزموا أمامهم وسار أشرس بالناس حتى جاء بيكند فحاصرها المسلمون ، وقطع أهل البلد عنهم الماء ، وأصابهم العطش فرحلوا إلى المدينة

واعترضهم دونها العدوّ فقاتلوهم قتالاً شديداً وأبلى الحرث بن شُرَيْح وقَطَن بن قُتَيْبَة بلاءً شديداً وأزالوا الترك عن الماء فقتل يومئذ ثابت قَطَنة وصخر بن مسلم بن النُعمان العبدي ، وعبد الملك بن دثار الباهلي وغيرهم وحمل قَطَن بن قُتَيْبَة في جماعة تعاقدوا على الموت ، فانهزم العدّو واتبعهم المسلمون يقتلونهم إلى الليل . ثم رجع أشرس إلى بخارى وجهز عليها عسكراً يحاصرونها وعليهم الحرث بن شُرَيْح الأزدي ثم حاصر خاقان مدينة كَمَرْجَةَ من خراسان وبها جمع من المسلمين . وقطعوا القنطرة وأتاهم ابن جسر وابن يَزْدَجَرْد وقال : إنّ خاقان جاء يردّ عليّ منكبي وأنا آخذ لكم الأمان فشتموه وأتاهم يَزْغِري في مائتين وكان داهية ، وكان خاقان لا يخالفه . فطلب رجلاً يكلمه فجاءه يزيد بن سعد الباهلي فرغّبه باضعاف العطاء والإحسان على النزول و يسيرون معهم ، فلاطفه ورجع إلى أصحابه وقال هؤلاء يدعونكم لقتال المسلمين ، فأبوا وأمر خاقان فألقى الحطب الرطب في الخندق ليقطعه ، وألقى المسلمون البهائم ليأكلوها ويحشوا جلودها ترابا ويملؤا بها الخندق . وأرسل الله سبحانه سحابة فاحتمل السيل ما في الخندق الى النهر الأعظم ورمى المسلمون بالسهام فأصيب يزغري بسهم ومات من ليلته فقتلوا جميع من عندهم من الاسرى والرهن . ولم يزالوا كذلك حتى نزلت جيوش المسلمين فَرْغَانَة فجرّدوا عليهم واشتدّ قتالهم وصالحهم المسلمون على أن يسلموا لهم كَمَرْجَة و يرحلوا عليها إلى سمرْقَنْد والدَنُوسِيّة وتراهنوا على ذلك وتأخر خاقان حتى يخرجوا وخلف معهم كورصول ليبلغهم إلى مأمنهم فارتحلوا حتى بلغو الدنوسية وأطلقوا الرهن وكان مدّة الحصار ستين يوماً .

* (عزل أشرس عن خراسان وولاية الجنيد) *

وفي سنة إحدى عشرة ومائة عزل هشام أشرس بن عبدالله عن خراسان وولّى مكانه الجُنَيْد بن عبد الرحمن بن عمر بن الحرث بن خارجة بن سِنان بن أبي حارثة المُرِيّ أهدى إلى أمّ حكيم بنت يحيي بن الحَكَمْ امرأة هشام قلادة فيها جواهر فأعجبت هشاماً فأهدى له أخرى مثلها فولاّهُ خراسان وحمله على البريد فقدم خراسان في خمسمائة ووجد الخَطّاب ابن مُحْرِز السَلَمي خليفة أشرس على خراسان فسار الجُنَيْد إلى ما وراء النهر ومعه الخطاب واستخلف على مرو المجشر بن مُزَاحِم

السلمي وعلى بَلْخ سَوْرَة بن أبجر التميمي . وبعث إلى أشرس وهو يقاتل أهل بخاري والصُغْد أن يبعث إليه بسرية مخافة أن يعترضه العدّو ، فبعث إليه أشرس عامر بن مالك الحابي فعرض له الترك والصغد فقاتلوهم ثم استداروا وراء معسكر الترك وحمل المسلمون عليهم من أمامهم فانهزم الترك ولحق عامر بالجُنَيْد فأقبل معه وعلى مقدمته عَمَارَة بن حُزَيْمُ واعترضه الترك فهزمهم . وزحف اليه خاقان بنواحي سَمَرْقَنْد وَقطَن ابن قُتَيْبَة على ساقته ، فهزم خاقان وأسر ابن أخيه وبعث به إلى هشام ، ورجع إلى مَرْو ظافراً . واستعمل قَطَن بن قُتَيْبَة على بخارى والوليد بن القعقاع العبسي على هَرَاة وحبيب بن مُرّة العبسي على شرطته ومسلم بن عبد الرحمن الباهلي على بَلْخ وعليها نَصْر بن سيّار فبعث مسلم إلى نصر وجيء به في قميص دون سراويل ، فقال شيخ مُضَر جئتم به على هذه الحالة ؟ فعزل الجُنَيْد مسلماً عن بَلْخ وأوفد وفداً إلى هشام يخبر غزاته .

* (مقتل الجرّاح الحكمي) *

قد كان تقدّم لنا دخوله إلى بلاد الخزر سنة أربع ومائة وانهزامهم أمامه وأنه أثخن فيهم وملك بَلَنْجَر وردّها على صاحبها وأدركه الشتاء فأقام هنالك . وأنّ هشاماً أقرّه على عمله ثم ولاّه أرمينية فدخل بلاد التُركُمان من ناحية تَفْليس سنة إحدى عشرة ففتح مدينتهم البيضاء وانصرف ظافراً. فاجتمع الخَزَر والترك من ناحية اللاف ، وزحف إليهم الجرّاح سنة إثنتي عشرة ولقيهم بمرج أرْدَبيل ، فاقتتلوا أشدّ قتال ، وتكاثر العدوّ عليه فاستشهد ومن معه وقد كان استخلف أخاه الحجّاج على أرمينية ولما قتل طمع الخَزَر وهم التركمان وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل ، وقيل كان قتله بِبَلَنْجَر . ولما بلغ الخبر هشاماً دعا سعيد الحَرَيْشيّ فقال : بلغني أنّ الجرّاح انهزم ! قال : الجرّاح أعرف بالله من أن ينهزم ولكن قتل فابعثني على أربعين من دواب البريد وابعث إليّ كل يوم أربعين رجلاً مدداً واكتب إلى أمراء الأجناد يواسوني ففعل وسار الحَرَيْشيّ فلا يمرّ بمدينة إلا ويستنهض أهلها فيجيبه من أراد الجهاد . ووصل مدينة أَزور فلقيه جماعة من أصحاب الجرّاح فردّهم معه ووصل إلى خِلاَط فحاصرها وفتحها وقسّم غنائمها . ثم سار عنها يفتح القلاع والحصون إلى بَرُوعَة فنزلها وابن خاقان يومئذ بأذْرَبَيْجَان يحاصر مدينة ورثان منها ويعيث في نواحيها ، وبعث الحَرَيْشيّ إلى

أهل ورثان يخبرهم بوصوله فأخرج العدوّ عنهم ووصل إليهم الحُرَيْشيّ . ثم اتبع العدوّ إلى أَرْدَبِيل وجاءه بعض عيونه بأنَّ عشرة آلاف من عسكرهم على أربعة فراسخ منه ومعهم خمسة آلاف بيت من المسلمين أسارى وسبايا ، فبيتهم وقتلهم أجمعين ولم ينج منهم أحد واستنقذ المسلمين منهم . وسار إلى بَاجَرْوَان فجاءه عين آخر ودله على جمع منهم فسار إليهم واستلحمهم أجمعين واستنقذ من معهم من المسلمين ، وكان فيهم أهل الجرّاح وولده فحملهم إلى بَاجَرْوَان . ثم زحف إليهم جموع الخَزَر مع ابن ملكهم والتقوا بأرض زَرَنْد ، واشتدّ القتال والسبي من معسكر الكفّار فبكى المسلمون رحمة لهم وصدقوا الحملة ، فانهزم الكفّار واتبعهم المسلمون إلى نهر أَرْس وغنموا ما كان معهم من الأموال واستنقذوا الأسرى والسبايا وحملوهم إلى بَاجَرْوَان . ثم تناصر الخَزَر في ملكهم ورجعوا فنزلوا نهر البَيْلَقَان واقتتلوا قتالاً شديداً . ثم انهزموا فكان من غرق أكثر ممن قتل وجمع الحُرَيْشيّ الغنائم وعاد إلى بَاجَرْوَان فقسّمها وكتب إلى هشام بالفتح . واستقدمه وولّى أخاه مسلمة على أرمينية وأذْرَبِيجَان .

* (وقعة الشعب بين الجنيد وخاقان) *

وخرج الجُنَيْدُ سنة إثنتي عشرة ومائة من خراسان غازياً إلى طخارستان وبعث إليها عمارة ابن حُرَيْم في ثمانية عشر ألفاً ، وبعث ابراهيم بن سام الليثي في عشرة آلاف إلى وجه آخر وحاشتك الترك[1] وزحف بهم خاقان إلى سَمَرْقَنْد وعليها سَوْرَة بن أبجر فكتب إلى الهند مستغيثاً فأمر الجُنَيْد بعبور النهر فقال له المجشر بن مُزَاحم السلمي وابن بَسْطَام الأزدي : إن الترك ليسوا كغيرهم وقد مزقت جندك فسلّم ابن عبد الرحمن بالنَبْرَاود والبُخْتُرِي بهَرَاة وعمارة بن حزيم بطخارستان ولا تعبر النهر في أقل من خمسين الفاً . فاستقدم عمارة وأمهل فقال : أخي على سَوْرَة وعبر الجُنَيْد فنزل كَشّ وتأهب للسير . وغوّر الترك الآبار في طريق كَشّ وسار الجُنَيْدُ على التعبية واعترضه خاقان ومعه أهل الصُغْد وفَرْغَانَة والشاش ، وحملوا على مقدّمته ، وعليها عثمان بن عبدالله بن الشَخّير فرجعوا والترك في أتباعهم ثم حملوا على المدينة وأمدّهم الجُنَيْدُ

---

(١) العبارة غير واضحة والاسماء مختلفة عن بعض المراجع وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٦٢ : «فوجه عمارة بن حُرَيْم الى طخارستان في ثمانية عشر الفا ، ووجه ابراهيم بن بسّام الليثي في عشرة الاف الى وجه آخر ، وجاشت الترك .....»

بَنَصْر بن سيّار وشدّوا على العدوّ وقتل أعياناً منهم وأقبل الجُنَيْد على الميمنة وأقبل تحت راية الأزد فقال له صاحب الراية : ما قصدت كرامتنا لكن علمت أنّا لا نصل إليك ومنا عين تطرف . فصبروا وقاتلوا حتى كلّت سيوفهم وقطع عبيدهم الخشب فقاتلوا بها حتى أدركهم الملل وتعانقوا ثم تحاجزوا وهلك من الأزد في ذلك المعترك نحو من ثمانين فيهم عبدالله بن بَسْطَام ومحمد بن عبدالله بن جَوْدَان والحسين بن شيخ ويزيد ابن المفضّل الحرّاني . وبين الناس كذلك إذ طلعت أوائل عسكر خاقان فنادى منادي الجُنَيْد بالنزول فترجلوا ، وخندق كل كائن على رجاله . وقصد خاقان جهة بكر بن وائل وعليهم زياد بن الحرث فحملت بكر عليهم فأفرجوا واشتد القتال ، وأشار أصحاب الجُنَيْد عليه بأن يبعث إلى سَوْرَة بن أبجر من سَمَرْقَنْد ليتقدّم الترك إليه ليكون لهم شغل به عن الجُنَيْد وأصحابه ، فكتب يستقدمه فاعتذر فأعاد عليه وتهدّده وقال : أخرج وسر مع النهر لا تفارقه فلما خرج هو استبعد طريق النهر واستخلف على سَمَرْقَنْد موسى بن أسود الحنظلي وسار محمد في اثني عشر ألفاً حتى إذا بقي بينه وبين الجُنَيْد وعساكره فرسخ لقيه خاقان عند الصباح وحال بينهم وبين الماء واضرم النار في اليبس حواليهم فاستماتوا وحملوا وانكشفت الترك وأظلم الجوّ بالعجاج . وكان من وراء الترك لهب سقط فيه جميع العدوّ والمسلمون وسقط سَوْرَة فاندقت فخذه ثم عطف الترك فقتلوا المسلمين ولم يبق منهم إلا القليل وانحاش بالناس المهلب بن زياد والعجمي في سمائة أو ألف ، ومعه قريش بن عبدالله العبدي إلى رَسْتَاق المِرْغَاب ، وقاتلوا بعض قصوره فأصيب المهلب وولّوا عليهم الرَّحْبَ بن خالد . وجاءهم الاسكيد صاحب نسف وغورك ملك الصُغْد فنزلوا معه إلى خاقان فلم يجز أمان غورك وقتلهم ولم ينج منهم أحد . ثم خرج الجُنَيْد من الشعب قاصداً سمَرْقَنْد وأشار عليه مجشر بن مزاحم بالنزول فنزل ووافقته جموع الترك فجال الناس جولة وصبر المسلمون وقاتل العبيد وانهزم العدوّ ومضى الجُنَيْد إلى سَمَرْقَنْد فحمل العيالات إلى مَرْو وأقام بالصُغْد أربعة أشهر وكان صاحب الرأي بخراسان في الحرب المجشّر بن مُزَاحم السلمي وعبد الرحمن ابن صبح المخزومي وعبيدالله بن حبيب الهِجْرِي . ولما انصرفت الترك بعث الجُنَيْد نهار بن تَوْسِعَة بن تيم الله وزميل بن سُوَيْد بن شَيْم بالخبر وتحامل فيه على سَوْرَة بن أبجر بما عصاه من مفارقة النهر حتى نال العدوّ منه فكتب إليه هشام قد بعث إليك من المدد عشرة آلاف من البصرة ومثلها من الكوفة وثلاثون ألف رمح ومثلها سيفاً . وأقام

الجنيد بسَمَرْقَنْد وسار خاقان إلى بخاري وعليها قَطَن بن قُتَيْبَة بن مسلم فخاف عليه من الترك واستشار عبدالله بن أبي عبدالله مولى بن سليم بعد أن اختلف عليه أصحابه فاشترط عليه أن لا يخالفه فأشار بحمل العيالات من سمرقند فقدّمهم واستخلف بسمرقند عثمان بن عبدالله بن الشَخِيّر في أربعمائة فارس وأربعمائة راجل ووفرّ أعطياتهم وسار العيادات في مقدمته حتى[1] من الضيق ودنا من الطواويس . فأقبل إليه خاقان بكير ميمنية[2] أوّل رمضان سنة إثنتى عشرة ، واقتتلوا قليلاً ، ثم رجع الترك وارتحل من الغد ، فاعترضه الترك ثانياً وقتل مسلم بن أحْوَز بعض عظمائهم فرجعوا من الطواويس . ثم دخل الجنيد بالمسلمين بخارى وقدمت الجنود من البصرة والكوفة فسرّح الجُنَيْد معهم حَوْرَثَة بن زيد العَنبَرِي فيمن انتدب معه .

* (ولاية عاصم على خراسان وعزل الجنيد) *

بلغ هشاماً سنة ست عشرة أن الجُنَيْد بن عبد الرحمن عامل خراسان تزوّج بنت يزيد بن المهلّب فغضب لذلك وعزله وولّى مكانه عاصم بن عبدالله بن يزيد الهلالي وكان الجنيد قد مرض بالاستسقاء . فقال هشام لعاصم : إن أدركته وبه رمق فأزهق نفسه فلما قدم عاصم وجده قد مات وكانت بينهما عداوة فحبس عمارة بن حزيم وكان الجنيد استخلفه وهو ابن عذبة فعذّبه عاصم وعذّب عمال الجُنَيْد .

* (ولاية مروان بن محمد على أرمينية وأذربيجان) *

لما عاد مسلمة من غزو الخَزَر وهم التركمان إلى بلاد المسلمين وكان في عسكره مروان بن محمد بن مروان ، فخرج مختفياً عنه إلى هشام وشكا له من مسلمة وتخاذله عن الغزو وما أدخل بذلك على المسلمين من الوهم . وبعث إلى العدوّ بالحرب وأقام شهراً حتى استعدّوا وحشدوا ودخل بلادهم فلم يكن له فيهم نكاية وقصد أراد السلامة ورغب إليه بالغزو إليهم لينتقم منهم ، وأن يمدّه بمائة وعشرين ألف مقاتل ويكتم عليه .

---

(١) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ١٦٩ : «حتى خرجوا من الأماكن المخوفه ووثامن الطواويس .

(٢) وفي الكامل ج ٥ ص ١٦٩ : بكر مينية .

فأجابه لذلك وولاّه على أرمينية . فسار إليها وجاءه المدد من الشام والعراق والجزيرة . فأظهر أنه يريد غزو اللان وبعث الى ملك الخَزَر في المهادنة فأجاب . وأرسل رسله لتقرير الصلح فأمسكهم مروان إلى أن تجهّز وودّعهم وسار على أقرب الطرق فوافاهم ورأى ملك الخَزَر أنّ اللقاء على تلك الحال غرر فتأخر إلى أقصى بلاده . ودخل مروان فأوغل فيها وخرّب وغنم وسبى إلى آخرها . ودخل بلاد ملك السرير وفتح قلاعها وصالحوه على ألف رأس نصفها غلمان ونصفها جواري ومائة ألف مد تحمل إلى الباب . وصالحه أهل تومان على مائة رأس نصفين وعشرين ألف مد . ثم دخل أرض وردكران فصالحوه . ثم أتى حِمْرِين وافتتح حصنهم ، ثم أتى سَبْدَان فافتتحها صلحاً ، ثم نزل صاحب اللكز في قلعته وقد امتنع من أداء الوظيفة ، فخرج يريد ملك الخَزَر فأصيب بسهم ومات وصالح أهل اللكز مروان ، وأدخل عامله وسار مروان إلى قلعة سروان فأطاعوا ، وسار إلى الرُودَانِيَّة فأوقع بهم ورجع .

* (خلع الحرث بن شريح[(١)] بخراسان) *

كان الحرث هذا عظيم الأزد بخراسان فخلع سنة ست عشرة ولبس السواد ، ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيّه والبيعة للرضا على ما كان عليه دعاة بني العبّاس هناك . وأقبل الى الغاربات[(٢)] وجاءته رسل عاصم مقاتل بن حيّان النَبَطيّ والخَطّاب بن مُحْرِز السلمّي فحبسهما وفرّوا[(٣)] من السجن إلى عاصم بدم الحرث وغدره . وسار الحرث من الغاربات إلى بَلْخ وعليها نَصْر بن سَيّار والتُخَيْبيّ ، فلقياه في عشرة آلاف وهو في أربعة فهزمهم ، ومَلَكَ بَلْخ واستعمل عليها سليمان بن عبدالله بن حازم . وسار إلى الجُوزجان[(٤)] عليها ثم سار إلى مروَ ونمي إلى عاصم أنّ أهل مرو يكاتبونه فاستوثق منهم بالقسامة وخرج وعسرك قريباً من مرو ، وقطع الجسور وأقبل الحرث في ستين ألفاً ومعه فرسان الأزد وتميم ودهاقين الجوزجان والغاربات ، وملك الطالقان وأصلحوا القناطر ثم نزع محمد بن المُثَنّى في ألفين من الأزد وحمّاد بن عامر

---

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ١٨٣ : الحرث بن سُرَيْج :
(٢) وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ١٨٣ : الغارياب
(٣) الأصح أن يقول وفرّا .
(٤) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨٣ : «وسار الى الجوزجان فغلب عليها وعلى الطالقان ومرو الروذ .»

الجابي في مثلها من بني تميم إلى عاصم ، ولحقوا به . ثم اقتتلوا فانهزم الحرث وغرق كثير من أصحابه في نهر مرو وقتلوا قتلاً ذريعاً . وكان ممن غرق حازم. ولما قطع الحرث نهر مرو ضرب رواقه واجتمع إليه بها ثلاثة آلاف فارس وكفّ عاصم عنهم .

* (ولاية أسد القسرى الثانية بخراسان) *

كتب عاصم إلى هشام سنة سبع عشرة أنّ خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى العراق ليكون مددها قريب الغوث ، فضم هشام خراسان إلى خالد بن عبدالله القِسْرِي وكتب إليه : إبعث أخاك يصلح ما أفسد فبعث خالد أخاه أسداً فسار على مقدمته محمد بن مالك الهَمْدَانيّ . (ولما بلغ عاصم) الخبر راود الحرث بن شُرَيْح على الصلح وأن يكتبا جميعاً إلى هشام يسألانه الكتاب والسنة ، فإن أبى اجتمعا وأبى بعض أهل خراسان ذلك فانتقض بينهما واقتتلا ، فانهزم الحرث وأسر من أصحابه كثير قتلهم عاصم . وبعث بالفتح إلى هشام مع محمد بن مسلم العَنْبَرِيّ فلقيه أسد بالري وجاء إلى خراسان فبعث عاصماً وطلبه بمائة ألف درهم ، وأطلق عمارة بن حُزَيْم وعمّال الجُنَيْد . ولم يكن لعاصم بخراسان الأمرو ونيسابور وكانت مرو الروذ للحرث ، وواصل لخالد بن عبيدالله الهِجْرِي على مثل رأي الحرث . فبعث أسد عبد الرحمن بن نعيم في أهل الكوفة والشام إلى الحرث ، وسار هو بالناس إلى آمدُ . فخرج إليه زياد القُرَشيّ مولى حيّان النَبَطي في العسكر ، فهزمهم أسد وحاصرهم حتى سألوا الأمان ، واستعمل عليهم يحيي بن نعيم بن هُبَيْرة الشَيْبَانيّ ، وسار إلى بَلْخ ، وقد بايعوا سليمان بن عبدالله بن حازم . فسار حتى قدمها ثم سار منها إلى تِرْمِذ والحرث محاصر لها ، وأعجزه وصول المدد إليها فخرج إلى بَلْخ ، وخرج أهل تِرْمِذ فهزموا الحرث وقتلوا أكثر أصحابه . ثم سار أسد إلى سَمَرْقَنْد ومرّ بحصن زمّ وبه أصحاب الحرث فبعث إليهم وقال : إنما نكرتم منا سوء السيرة ولم يبلغ ذلك النساء واستحلال الفروج ولا مظاهرة المشركين على مثل سَمَرْقَنْد وأعطاه الأمان على تسليم سمرقند . وهدّده إن قاتل بأنه لا يؤمنه أبداً . فخرج إلى الأمان وسار معه إلى سَمَرْقَنْد فأنزلهم على الأمان ثم رجع أسد إلى بَلْخ وسرّح جديعاً الكرماني إلى القلعة التي فيها ثقل الحرث وأصحابه في طخارستان . فحاصرها وفتحها وقتل مقاتلهم ومنهم بنو بزري من ثعلب أصحاب الحرث . وباع سبيهم في سوق بَلْخ وانتقض على الحرث

أربعمائة وخمسون من أصحابه بالقلعة ، ورئيسهم جرير بن ميمون القاضي . فقال لهم الحرث : إن كنتم مفارقيّ ولا بدّ فاطلبوا الأمان ، وإن طلبتموه بعد رحيلي لا يعطونه لكم ، فأبوا إلاّ أن ارتحل ، فبعثوا بالأمان فلم يجبهم إليه . وسرّح جُدَيْعَة الكرمانيّ في ستة آلاف فحصرهم حتى نزلوا على حكمه وحمل خمسين منهم إلى أسد فيهم ابن ميمون القاضي . فقتلهم وكتب إلى الكرماني بإهلاك الباقين واتخذ أسد مدينة بَلْخ داراً ونقل إليها الدواوين . ثم غزا طخارستان وأرض حبونة[1] فغنم وسبى .

* (مقتل خاقان) *

ولما كانت سنة تسع عشرة غزا أسد بن عبدالله بلاد الخُتّلِ فافتتح منها قلاعاً وامتلأت أيدي العسكر من السبي والشاء وكتب بن السائحي[2] صاحب البلاد يستجيش خاقان على العرب ، ويضعفهم له فتجهز وخفف من الأَزْوِدَة استعجالاً للعرب فلما أحس به ابن السائحيّ بعث بالنذير إلى أسد فلم يصدّقه ، فأعاد عليه إني الذي استمددت خاقان لأنك معرّت البلاد ، ولا أريد أن يظفر بك خشية من معاداة العرب واستطالة خاقان عليّ ، فصدّقه حينئذ أسد وبعث الأثقال مع إبراهيم بن عاصم العُقَيْلِيّ ، الذي كان وَلِيَ سِجِسْتَان ، وبعث معه المشيخة كُثَيِّر بن أميّة ، وأبا سفيان بن كُثَيِّر الخُزَاعي وفضيل بن حَيَّان المَـهْرِي وغيرهم وأمدّهما بجند آخر . وجاء في أثرهم فانتهى إلى نهر بَلْخ وقد قطعه إبراهيم بن عاصم بالسبي والأثقال ، فخاض النهر من ثلاثة وعشرين موضعاً ، وحمل الناس شياههم حتى حمل هو شاة فما استكمل العبور حتى طلعت عليهم الترك وعلى المسلمة الأزد وتميم . فحمل خاقان عليهم فانكشفوا فرجع أسد إلى عسكره وخندق . وظنوا أنّ خاقان لا يقطع النهر فقطع النهر إليهم وقاتله المسلمون في معسكرهم وباتوا والترك محيطون بهم فلما أصبحوا لم يروا منهم أحداً فعلموا أنهم اتبعوا الأثقال والسبي ، واستعلموا علمها من الطلائع ، فشاور أسد الناس فأشاروا بالمقام وأشار نصر بن سيّار باتباعهم يخلص الأثقال ويقطع شقة لا بد من قطعها ، فوافقه أسد وطيّر النذير إلى إبراهيم بن عاصم . وصبح خاقان للأثقال وقد خندقوا عليهم فأمر أهل الصُغْد بقتلهم فهزمتهم مسلحة المسلمين فصعد

(١) وفي الكامل لابن الاثيرة ج ٥ ص ١٩٨ : حبوية . وفي نسخ اخرى : حبوية .
(٢) وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٢٠٠ : انسايجي .

على تلّ حتى رأى المسلمين من خلفهم . وأمر الترك أن يأتوهم من هنالك ففعلوا وخالطوهم في معسكرهم وقتلوا صاغان خُذَاه وأصحابه وأحسوا بالهلاك وإذا بالغبار قد رهج والترك يتنحّون قليلاً قليلاً . وجاء أسد ووقف على التلّ الذي كان عليه خاقان وخرج إليه بقية الناس وجاءته امرأة صاغان خُذَاه معولة فأعول معها ، ومضى خاقان يقود أسرى المسلمين في الآفاق ويسوق الإبل الموقورة والجواري وأراد أهل العسكر قتالهم فمنعهم أسد ونادى رجل من عسكر خاقان وهو من أصحاب الحرث بن شُرَيْح يعيّر أسداً ويحرّضه ويقول : قد كان لك عن الخُتّل مندوحة وهي أرض آبائي وأجدادي ، قد كانت ما رأيت ، ولعلّ الله ينتقم منك . ومضى أسد إلى بَلْخ فعسكر في مرجها حتى جاء الشتاء ، فدخل البلد وشتّى فيها . وكان الحرث بن شُرَيْح بناحية طخارستان فانضم إلى خاقان وأغراه بغزو خراسان وزحفوا إلى بَلْخ . وخرج أسد يوم الأضحى فخطب الناس وعرّفهم بأن الحرث بن شُرَيْح استجلب الطاغية ليطفيء نور الله ويبدّل دينهم ، وحرّضهم على الإستنصار بالله وقال أقرب ما يكون العبد لله ساجداً . ثم سجد وسجد الناس وأخلصوا الدعاء وخرج للقائهم وقد استمدّ خاقان من وراء النهر ، وأهل طخارستان وحبونة في ثلاثين ألفاً وجاء الخبر إلى أسد وأشار بعض الناس بالتحصّن منهم بمدينة بَلْخ. واستمدّ خالد وهشام. وأبى الأسد إلاّ اللقاء ، فخرج واستخلف على بَلْخ الكرماني بن علي ، وعهد إليه أنه لا يدع أحداً يخرج من المدينة . واعتزم نصر بن سيّار والقاسم بن نجيب وغيرهم على الخروج فأذن لهم وصلّى بالناس ركعتين وطوّل . ثم دعا وأمر الناس بالدعاء ونزل من وراء القنطرة ينتظر من تخلف ، ثم بدا له وارتحل فلقي طليعة خاقان وأسر قائدهم وسار حتى نزل على فرسخين من الجوزجان ثم أصبحوا وقد تراءى الجمعان وأنزل أسد الناس ثم تهيأ للحرب ومعه الجوزجان (اهـ) . وحملت الترك على الميسرة فانهزموا إلى رواق أسد ، فشدت عليهم الأسد وبنو تميم والجوزجان من الميمنة فانكشفوا إلى خاقان وقد انهزم والحرث معه واتبعهم الناس ثلاثة فراسخ يقتلونهم واستاقوا مائة وخمسين ألفاً من الشاه ودواب كثيرة . وسلك خاقان غير الجادّة والحرث بن شُرَيْح [1] ولقيهم أسد عند الطريق . وسلك الجوزجان بعثمان بن عبدالله بن الشخِّير طريقاً ،

(١) بياض بالأصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٢٠٥ : واخذ هاقان طريقاً في الجبل والحرث يحميه وسار منهزماً .»

يعرفها حتى نزلوا على خاقان وهو آمن ، فتركو الأبنية والقدور تغلي وبناء العرب والموالي والعسكر مشحون من آنية الفِضّة ، وركب خاقان والحرث يمانع عنه . وأعجلوا إمرأة خاقان عن الركوب فقتلها الخصيّ الموكل بها . وبعث أسد بجوار الترك دهاقين خراسان يفادون بها أسراهم ، وأقام خمسة ايام وانصرف إلى بَلْخ لتاسعة من خروجه . ونزل الجوزجان وخاقان هارب أمامه . وانتهى خاقان إلى جَوْنَة الطَخَارِيّ ، فنزل عليه ، وانصرف أسد إلى بَلْخ ، وأقام خاقان عند جَوْنَة حتى أصلح آلته ، وسار وسبيه بها فأخذه جَدْكَاوُش أبو فَشَيْنَ فأهدى إليه وأتحفه وحمل أصحابه يتخذ بذلك عنده يداً . ثم وصل خاقان بلاده وأخذ في الاستعداد في الحرب ومحاصرة سَمَرْقَنْد وحمل الحرث وابن شُرَيْح وأصحابه على خمسة آلاف برذون . ولاعب خاقان بالنَرْدِ كُوْرْصُول يوماً فغمزه كُوْرْصُول فأنف وتشاجر ، فصك كُوْرْصُول يد خاقان ، فحلف خاقان ليكسرنّ يده فتنحّى وجمع . ثم بيّت خاقان فقتله وافترق الترك وحملوه وتركوه بالعراء فحمله بعض عظمائهم ودفنه . وكان أسد بعث بالفتح من بَلْخ إلى خالد بن عبدالله فأخبره وبعث به إلى هشام فلم يصدّقه ، ثم بعده القاسم بن نجيب بقتل خاقان ، فحثّت قيس أسداً وخالداً ، وقالوا لهشام : استقدم مُقَاتِل بن حيّان . فكتب بذلك إلى خالد ، فأرسل إلى أسد أن يبعث به فَقَدِمَ على هشام والأبرش وزيره جالس عنده ، فقصّ عليه الخبر فسرّ بذلك وقال لمقاتل : ما حاجتك ؟ قال يزيد بن المُهَلّب أخذ من حيّان أبي مائة ألف درهم بغير حق ، فأمر بردّها عليّ . فاستحلفه وكتب له بردها ، وقسّمها مُقَاتِل بين ورثة حيّان . ثم غزا أسد الخُتّل بعد مقتل خاقان ، وقدم مصعب بن عُمَر الخُزَاعِيّ إليها فسار إلى حصن بدرطرخان فاستأمن له أن يلقي أسداً فأمنه وبعث إلى أسد فسأل أن يقبل منه ألف درهم ، وراوده على ذلك فأبى أسد وردّه إلى مصعب ليردّه إلى حصنه ، فقال له مسلمة بن أبي عبدالله وهو من الموالي : إن أمير المؤمنين سيندم على حبسه . ثم أقبل أسد بالناس ووعد له المُجَشّر بن مُزَاحِم بدرطرخان أو قبول ما عرض ، فندم أسد وأرسل إلى مصعب يسأل عنه فوجده مقيماً عند مسلمة ، فجيء به وقطعت يده . ثم أمر رجلاً من الأزد كان بدرطرخان قتل أباه فضرب عنقه وغلب على القلعة . وبعث العساكر في بلاد الخُتّل فامتلأت أيديهم من الغنائم والسبي وامتنع ولد بدرطرخان

وأمواله في قلعة فوق بلدهم صغيرة فلم يوصل[١] إليهم .

* (وفاة أسد) *

وفي ربيع الأوّل سنة عشرين توفي ابن عبدا القِسْرِي بمدينة بَلْخ واستخلف جعفر بن حَـنْظَلَة النَـهْـرَوَانِيّ فعمل أربعة أشهر ثم جاء عهد نَصْر بن سيّار بالعمل في رجب .

* (ولاية يوسف بن عمر الثقفي على العراق وعزل خالد) *

وفي هذه السنة عزل هشام خالداً عن أعماله جميعها بسعاية أبي المثنّى وحسّان النَبَطِيّ وكانا يتوليان ضياع هشام بالعراق ، فنقلا على خالد وأمر الأشْدَق بالنهوض على الضياع وأنهى ذلك حسّان بعد أبي المُـثنّى ، وأنّ غلته في السنة ثلاثة عشر ألف ألف فوقرت في نفس هشام . وأشار عليه بلال بن أبي بُرْدَة والعريان بن الهَيْثم أن يعرض أملاكه على هشام ويضمنون له الرضا فلم يجبهم . ثم شكا من خالد بعض آل عمر والأشدق بأنه أغلظ له في القول بمجلسه ، فكتب إليه هشام يوبّخه ويأمره بأن يمشي ساعياً على قدميه إلى بابه ويترضاه ونميت عنه من هذا أقوال كثيرة وأنه يستقل ولاية العراق ، فكتب إليه هشام : يا ابن أم خالد بلغني أنك تقول ما ولاية العراق لي بشرف ، يا ابن اللخناء كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً وأنت من بجيلة القليلة الذليلة ؟ أمّا والله إني لأظنّ أنّ أوّل من يأتيك صَقرٌ من قريش يشدّ يديك إلى عنقك . ثم كتب إلى يوسف بن عمر الثَـقَفِي وهو باليمن يأمره أن يقدم في ثلاثين من أصحابه إلى العراق فقد ولاّه ذلك . فسار إلى الكوفة ونزل قريباً منها وقد ختن طارق خليفة خالد بالكوفة ولده وأهدى إليه وصيفاً ووصيفة سوى الأموال والثياب ومرّ يوسف وأصحابه ببعض أهل العراق فسألوهم فعرضوا وظنّوهم خوارج ، وركب يوسف الى دور ثقيف فكتموا ، ثم جمع يوسف بالمسجد من كان هنالك من مُضَر ودخل مع الفجر فصلى ، وأرسل إلى خالد وطارق فأخذهما . وقيل إنّ خالداً كان بواسط وكتب إليه بالخبر بعض أصحابه من دمشق ، فركب إلى خالد وأخبره بالخبر وقال : إركب إلى أمير المؤمنين واعتذر إليه قال : لا أفعل بغير إذن قال : فترسلني أستأذنه قال : لا . قال : فاضمن له جميع ما انكسر في هذه السنين وآتيك بعهده

(١) الأصح ان يقول : لم يصل اليهم .

وهي مائة ألف ألف قال : والله ما أجد عشرة آلاف ألف قال : أتحملها أنا وفلان وفلان . قال : لا أعطي شيئاً وأعود فيه فقال طارق : إنما نقيك ونقي أنفسنا بأموالنا ونستبقي الدنيا وتبقى النعمة عليك وعلينا خير من أن يجيء من يطالبنا بالأموال وهي عند الكوفة فنقتل ويأكلون الأموال فأبى خالد من ذلك كله فودعه طارق ومضى وبكى ورجع إلى الكوفة . وخرج خالد إلى الحِمَّة وجاء كتاب هشام بخطه إلى يوسف بولاية العراق وأن يأخذ ابن النَصْرَانيّة يعني خالداً وعمّاله فيعذّبهم ، فأخذ الأولاد وسار من يومه واستخلف على اليمن إبنه الصَلت وقدم في جمادى الأخيرة سنة عشرين ومائة فنزل النجف وأرسل مولى كيسان فجاء بطارق ولقيه بالحيرة فضربه ضرباً مبّرحاً ودخل الكوفة . وبعث عثمان عطاء بن مُقْدِم إلى خالد بالحُمَّة فقدم عليه وحبسه وصالحه عنه أُبان بن الوليد وأصحابه على سبعة آلاف ألف . وقيل أخذ منه مائة ألف وكانت ولايته العراق خمس عشرة سنة ولما وَلِيَ يوسف نزلت الذلّة بالعراق في العرب وصار الحكم فيه إلى أهل الذمّة .

* (ولاية نصر بن سيار خراسان وغزوه وصلح الصغد) *

ولما مات أسد بن عبدالله ولّى هشام على خراسان نَصْر بن سيّار وبعث إليه عهده على عبد الكريم بن سليط الحَنَفِيّ ، وقد كان جعفر بن حنظلة لما استخلفه أسد عند موته عرض على نَصْر أن يولّيه بخارى فقال له : البُحْتُرِيّ بن مُجَاهِد مولى بني شيبان لا تقبل فإنك شيخ مُضَر بخراسان ، وكان عهدك قد جاء على خراسان كلها فكان كذلك ولما وَلِيَ نَصْر استعمل على بَلْخ مسلم بن عبد الرحمن وعلى مَرْو الروذ وشاح ابن بُكَيْر بن وشاح ، وعلى هَرَاة الحرث بن عبدالله بن الحَشْرَج ، وعلى نيسابور زياد بن الرحمن القِسْرِيّ ، وعلى خَوَارَزْم أبا حَفْص عليّ بن حَقْنَة ، وعلى الصُغْد قَطَن بن قُتَيْبَة.وبقي أربع سنين لا يستعمل في خراسان إلاّ مُضَرِيًّا فعمرت عمارةً لم تعمر مثلها ، وأحسن الولاية والجباية . وكان وصول العهد إليه بالولاية في رجب سنة عشرين فغزا غزوات أوّلها إلى ما وراء النهر من نحو باب الحديد . وسار إليها من بَلخ ورجع إلى مَرْو فوضع الجزية على من أسلم من أهل الذمّة وجعلها على من كان يخفف عنه منهم وانتهى عددهم ثلاثين ألفاً من الصنفين وضعت عن هؤلاء وجعلت على هؤلاء . ثم غزا الثانية إلى سَمَرْقَنْد ، ثم الثالثة إلى الشاش سار إليها من

مَرْو ومعه ملك بخارى وأهل سمرقند وكشّ ونَسْف في عشرين ألفاً . وجاء إلى نهر الشاش فحال بينه وبين عبوره كُورْصُول ، عسكر نصر في ليلة ظلماء ، ونادى نصر لا يخرج أحد وخرج عاصم بن عُمَيْر في جند سَمَرْقَنْد ، فجاولته خيل الترك ليلاً وفيهم كُورْصُول فأسره عاصم وجاء به إلى نصر فقتله وصلبه على شاطىء النهر فحزنت الترك لقتله وأحرقوا أبنيته وقطعوا آذانهم وشعورهم وأذناب خيولهم . وأمر نصر بإحراق عظامه لئلا يحملوها بعد رجوعه . ثم سار إلى فَرْغَانَة فسبى منها ألف رأس ، وكتب إليه يوسف بن عِمْرَان ليسير إلى الحرث بن شُرَيْح في الشاش ويخرّب بلادهم ويسبيهم . فسار لذلك وجعل على مقدّمته يحيى بن حُضَيْن وجاء بهم إلى الحرث وقاتلهم وقتل عظيماً من عظماء الترك وانهزموا . وجاء ملك الشاش في الصلح والهدنة والرهن واشترط نصر عليه اخراج الحرث بن شُرَيْح من بلده فأخرجه إلى فاراب . واستعمل على الشاش يَنْزِل ابن صالح مولى عمرو بن العاص . ثم سار إلى أرض فَرْغَانَة وبعث أمّه في إتمام الصلح ، فجاءت لذلك وأكرمها نصر وعقد لها ورجعت . وكان الصُغْد لما قتل خاقان طمعوا في الرجعة إلى بلادهم ، فلما وَلِيَ نَصْر بعث إليهم في ذلك وأعطوه ما سألوه من الشروط ، وكان أهل خراسان قد نكروا شروطهم ، وكان منها أن لا يعاقب من ارتدّ عن الإسلام إليهم ولا يؤخذ منهم أسرى إلا ببينة وحكم وعاب الناس ذلك على نصر لما أمضاه لهم . فقال : لو عاينتم شكوتهم في المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم . وأرسل إلى هشام في ذلك فأمضاه وذلك سنة ثلاث وعشرين .

* (ظهور زيد بن علي ومقتله) *

ظهر زيد بن عليّ بالكوفة خارجاً على هشام داعياً للكتاب والسُنّة وإلى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، والعدل في قسمة الفيء وردّ المظالم وأفعال الخير ونصر أهل البيت . واختلف في سبب خروجه فقيل : إنّ يوسف ابن عمران لما كتب في خالد القِسْرِيّ كتب إلى هشام أنه شيعة لأهل البيت ، وأنه ابتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار وردّ عليه الأمن ، وأنه أودع زيداً وأصحابه الوافدين عليه مالاً ، فكان زيد قد قدم على خالد بالعراق هو ومحمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب ، وداود بن علي بن عبدالله بن عبّاس فأجازهم ورجعوا إلى المدينة

فبعث هشام عنهم وسألهم فأقرّوا بالجائزة وحلفوا على ما سوى ذلك وأنّ خالداً لم يودعهم شيئاً فصدّقهم هشام وبعثهم إلى يوسف فقاتلوا خالداً وصدّقهم الآخر، وعادوا إلى المدينة ونزلوا القادسية. وراسل أهل الكوفة زيداً فعاد إليهم، وقيل في سبب ذلك، إنّ زيداً إختصم مع ابن عمه جعفر ابن الحسن المُثَنّى في وقف عليّ، ثم مات جعفر فخاصم أخوه عبدالله زيداً وكانا يحضران عند عامل خالد بن عبد الملك بن الحرث، فوقعت بينهما في مجلسه مشاتمة وأنكر زيد من خالد إطالته للخصومة وأن يستمع لمثل هذا فأغلظ له زيد وسار إلى هشام فحجبه، ثم أذن له بعد حين فحاوره طويلاً ثم عرض له بأنه ينكر الخلاف وتنقصه. ثم قال له: أخرج؟ قال: نعم ثم لا أكون إلا بحيث تكره! فسار إلى الكوفة وقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب: ناشدتك الله إلحق بأهلك ولا تأت الكوفة وذكّره بفعلهم مع جدّه وجدّه يستعظم ما وقع به. وأقبل الكوفة فأقام بها مستخفياً ينتقل في المنازل واختلف إليه الشيعة وبايعه جماعة منهم: مَسْلَمَةَ بن كَهِيل ونَصْر بن خُزَيْمَةَ العَبْسِي ومعاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري وناس من وجوه أهل الكوفة يذكر لهم دعوته. ثم يقول: أتبايعون على ذلك؟ فيقولون: نعم فيضع يده على أيديهم ويقول عهدالله عليك وميثاقه وذمّته وذمّة نبيه بيقين تتبعني ولا تقاتلني مع عدوّي ولتنصحنّ لي في السر والعلانية. فإذا قال نعم وضع يده على يده ثم قال: اللهمّ اشهد فبايعه خمسة عشر ألفاً وقيل أربعون. وأمرهم بالاستعداد وشاع أمره في الناس وقيل: إنه أقام في الكوفة ظاهراً ومعه داود بن عليّ ابن عبدالله بن عبّاس لما جاؤا لمقاتلة خالد فاختلف إليه الشيعة، وكانت البيعة. وبلغ الخبر الى يوسف بن عمران فأخرجه من الكوفة ولحق الشيعة بالقادسية أو الغلبية وعذله داود بن عليّ في الرجوع معه وذكره حال جدّه الحسين فقالت الشيعة لزيد: هذا إنما يريد الأمر لنفسه ولأهل بيته فرجع معهم ومضى داود إلى المدينة. ولما أتى الكوفة جاءه مَسْلَمَةَ بن كَهِيل فصدّه عن ذلك وقال أهل الكوفة لا يعوّلون لك. وقد كان مع جدّك منهم أضعاف من معك ولم تعاوله، وكان أعزّ عليهم منك على هؤلاء فقال له: قد بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وعنقهم. قال: فتأذن لي أن أخرج من هذا البلد فلا آمن أن يحدث حدث وأنا لا أهلك نفسي، فخرج لليمامة وكتب عبدالله بن الحسن المُثَنّى إلى زيد يعذله ويصدّه فلم يصغ إليه وتزوّج نساء بالكوفة وكان يختلف إليهنّ والناس يبايعونه، ثم أمر

أصحابه يتجهّزون.ونمى الخبر إلى يوسف بن عمر فطلبه وخاف فتعجّل الخروج وكان يوسف بالحيرة وعلى الكوفة الحَكَم بن الصَّلْت وعلى شرطته عمر بن عبد الرحمن من القاهرة ومعه عُبَيْدالله بن عبّاس الكِنْدِي في ناس من أهل الشام . ولما علم الشيعة أنّ يوسف يبحث عن زيد جاء إليه جماعة منهم فقالوا : ما تقول في الشيخين ؟ فقال زيد : رحمهما الله وغفر لهما ، وما سمعت أهل بيتي يذكرونهما إلا بخير . وغاية ما أقول أنا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس فدفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك الكفر ، وقد عدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنّة . قال : فإذا كان أولئك لم يظلموك فلِمَ تدعو إلى قتالهم ؟ فقال : إنّ هؤلاء ظلموا المسلمين أجمعين فإنا ندعوهم إلى الكتاب والسنّة وأن نحيي السنن.ونطفيء البدع ، فإن أجبتم سعدتم وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل . ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا : سبق الإمام الحق يعنون محمداً الباقر ، وأنّ جعفراً ابنه إمامنا بعده ، فسمّاهم زيد الرافِضَة ويقال إنما سمّاهم الرافضة حيث فارقوه ثم بعث يوسف بن عمر إلى الحكم بأن يجمع أهل الكوفة في المسجد فجمعوا وطلبوا زيداً في دار معاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة فخرج منها ليلاً واجتمع إليه ناس من الشيعة وأشعلوا النيران ونادوا يا منصور حتى طلع الفجر ، وأصبح جعفر بن أبي العباس الكِنْدِي فلقي إثنين من أصحاب زيد يناديان بشعاره فقتل واحداً وأتى بالآخر إلى الحَكَم فقتله ، وأغلق أبواب المسجد على الناس وبعث إلى يوسف بالخبر فسار من الحيرة وقدم الرَّيَّاف بن سَلَمَة الأراشِنِي في ألفين خيالة وثلثمائة ماشية . وافتقد زيد الناس فقيل إنهم في الجامع محصورون ، ولم يجد معه إلا مائتين وعشرين . وخرج صاحب الشرطة في خيله فلقي نَصْر بن خُزَيْمَة العَبْسي من أصحاب زيد ذاهباً إليه فحمل عليه نَصْر وأصحابه فقتلوه وحمل زيد على أهل الشام فهزمهم وانتهى إلى دار أنس بن عمر الأزدي ممن بايعه وناداه فلم يخرج إليه . ثم سار زيد إلى الكناسة فحمل على أهل الشام فهزمهم ثم دخل الكوفة ، والرايات في اتباعه فلما رأى زيد خذلان الناس قال لنصر بن خزيمة : أفعلتموها حسينية ؟ قال : أمّا أنا فوالله لأموتنّ معك وإنّ الناس بالمسجد فامض بِنا إليهم فجاء الى المسجد ينادي بالناس بالخروج إليه فرماه أهل الشام بالحجارة من فوق المسجد فانصرفوا عند المساء . وأرسل يوسف بن عمر من الغد العبّاس ابن سعد المزني في أهل الشام فجاءه في دار الزرق وقد كان أوى إليها عند المساء ، فلقيه زيد بن ثابت فاقتتلوا فقتل نصر .

ثم حملوا على أصحاب العبّاس فهزمهم زيد وأصحابه وعبأهم يوسف بن عمر من العشيّ ثم سرّحهم فكشفهم أصحاب زيد ولم يثبت خيلهم لخيله . وبعث إليهم يوسف بن عمر بالقادسية واشتدّ القتال وقتل معاوية بن زيد ثم رُمِيَ زيد عند المساء بسهم أثبته فرجع أصحابه وأهل الشام يظنون أنهم تحاجزوا ولما نزع النصل من جبهته مات فدفنوه وأجروا عليه الماء وأصبح الحكم يوم الجمعة يتبع الجرحى من الدور ودلّه بعض الموالي على قبر زيد فاستخرجه وقطع رأسه وبعث بها إلى يوسف بالحيرة ، فبعثه إلى هشام فنصبه على باب دمشق وأمر يوسف الحَكَم أن يصلب زيداً بالكناسة ونَصْر ابن خُزَيْـمة ومعاوية بن اسحق ويحرسهم فلما وَلِيَ الوليد أمر باحراقهم واستجار يحيي ابن زيد بعبد الملك بن شبر بن مروان فأجاره حتى سكن المطلب ثم سار إلى خراسان في نفر من الزيدية .

* (ظهور أبي مسلم بالدعوة العباسية) *

كان أهل الدعوة العباسية بخراسان يكتمون أمرهم منذ بعث محمد بن عَلِيّ بن عبدالله بن عبّاس دُعَاتَـه إلى الآفاق سنة مائة من الهجرة أيام عمر بن عبد العزيز ، لمّا مرّ أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحَـنَفِـيَّة ذاهباً وجائياً من الشام من عند سليمان بن عبد الملك فمرض عنده بالحُـمَـيْـمَـةِ من أعمال البلقاء وهلك هنالك وأوصى له بالأمر . وكان أبو هاشم قد علّم شيعته بالعراق وخراسان وأنّ الأمر صائر في ولد محمد بن علي بن عبدالله بن عبّاس . فلما مات أبو هاشم قصدت الشيعة محمداً وبايعوه سرًّا وبعث دعاته منهم إلى الآفاق وكان الذي بعث إلى العراق مَسِيرَة بن والي خراسان محمد بن خُـبَـيْـش ، وأمّا عَكْـرَمَـة السرّاج وهو أبو محمد الصادق وحيّان العطّار خال ابراهيم بن سَـلَـمَـة فجاؤا إلى خراسان ودعوا إليه سرًّا وأجابهم الناس وجاؤا بكتب من أجاب إلى مسيرة اهـ . فبعث بها إلى محمد واختار أبو محمد الصادق إثني عشر رجلاً من أهل الدعوة فجعلهم نقباء عليهم وهم : سليمان بن كُـثَـيِّـر الخُزَاعِي ولاهِزُ بن قَـرَيْط التميمي ، وأبو النَـجْم عِمْـرَان بن اسمعيل مولى أبي مَعِيط ومالِك بن الهَـيْـثَم الخُزَاعي ، وطلحة بن زريق الخزاعي ، وأبو حَـمْـزَة بن عمر ابن أَعْـيُـن مَوْلى خُزَاعَـةَ وأخوه عيسى ، وأبو علي شِبْـلَـةُ بن طُـهْـمَـان الهَـرَوَي مولى بني حنيفة . واختار بعده سبعين رجلاً وكتب إليه محمد بن علي كتاباً يكون لهم مثالاً

يقتدون به في الدعوة ، وأقاموا على ذلك ثم بعث ميسرة رُسُلَه من العراق سنة إثنتين ومائة في ولاية سعيد خُذَيْنَة ، وخلافة يزيد بن عبد الملك . وسعى بهم إلى سعيد فقالوا نحن تجار فضمنهم قوم من ربيعة واليمن فأطلقهم وولد محمد ابنه عبدالله السفّاح سنة أربع ومائة ، وجاء إليه أبو محمد الصادق في جماعة من دعاة خراسان فأخرجه لهم ابن خمسة عشر يوماً قال : هذا صاحبكم الذي يتمّ الأمر على يده ، فقبلوا أطرافه وانصرفوا . ثم دخل معهم في الدعوة بُكَيْر بن هامان جاء من السِند مع الجُنَيْد بن عبد الرحمن فلما عزل قدم الكوفة ولقي أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن حُبَيْش وعَمَّار العِبَادي خال الوليد الأزرق دعاه إلى خراسان في ولاية أسد القِسْرِي أيام هشام ووشى بهم إليه فقطع أيدي من ظفر به منهم وصلبه وأقبل عمّار إلى بكير بن هامان فأخبره فكتب إلى محمد بن علي بذلك فأجابه : الحمدلله الذي صدق دعوتكم ومقالتكم وقد بقيت منكم قتلى ستعدّ . ثم كان أوّل من قدّم محمد بن علي إلى خراسان أبو محمد زِياد مولى هَمَذَان بعثه محمد بن عليّ سنة تسعة في ولاية أسد أيام هشام وقال له : انزل في اليمن وتلطّف لمُضَر ونهاه عن الغالب النيسابورى شيعة بني فاطمة . فشتّى زياد بمَرْو ثم سعى به إلى أسد فاعتذر بالتجارة ، ثم عاد إلى أمره ، فأحضره أسد وقتله في عشرة من أهل الكوفة ثم جاء بعدهم إلى خراسان رجل من أهل الكوفة إسمه كُثَيِّر ونزل على أبي الشحم وأقام يدعو سنتين أو ثلاثة ، ثم أخذ أسد بن عبدالله في ولايته الثانية سنة سبع عشرة . أخذ سليمان بن كُثَيِّر ومالك بن الهَيْثَم وموسى بن كَعْب ولاهِز بن قِريط بثلثمائة سوط وشهد حسن ابن زيد الأزدى ببراءتهم فأطلقهم . ثم بعث بكير بن هامان سنة ثماني عشرة عمّار بن زيد على شيعتهم بخراسان فنزل مَرْو وتسمّى بخراش وأطاعه الناس . ثم نزل دعوتهم بدعوة الحزمية[1] فأباح النساء وقال : إنّ الصوم إنما هو عن ذكر الإمام وأشار إلى إخفاء إسمه والصلاة الدعاء له ، والحج القصد إليه وكان خراش هذا نَصْرَانِيًّا بالكوفة وأتبعه على مقالته مالك بن الهَيْثَم والحُرَيْش بن سليم . وظهر أسد على خبره وبلغ الخبر بذلك إلى محمد بن عليّ فنكر عليهم قبولهم من خِرَاش وقطع مراسلتهم فقدم عليه ابن كُثَيِّر منهم يستعلم خبره ويستعطفه على ما وقع منهم ، وكتب معه إليهم كتاباً مختوماً لم يجدوا فيه غير البسملة ، فعلموا مخالفة خِرَاش لأمره وعظم

(١) وفي نسخة ثانية الخرّميّة .

عليهم . ثم بعث محمد بن بكير بن بان وكتب معه بكذب خِرَاش فلم يصدّقوه فجاء إلى محمد وبعث معه عُصِيا مُضَبَّبَةً بعضها بالحديد وبعضها بالنحاس ودفع إلى كل رجل عصا فعلموا أنهم قد خالفوا السيرة فتابوا ورجعوا وتوفي محمد بن علي سنة أربع وعشرين وعهد إبنه ابراهيم بالأمر وأوصى الدعاة بذلك ، وكانوا يسمّونه الإمام .
وجاء بكير بن هامان إلى خراسان بنعيه والدعاء لإبراهيم الإمام سنة ست وعشرين ومائة ، ونزل مَرْو ودفع إلى الشيعة والنقباء كتابه بالوصية والسيرة فقبلوه ، ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقاتهم فقدم بها بكير على إبراهيم . ثم بعث إليهم أبا مسلم سنة أربع وعشرين وقد اختلف في أوّليته اختلافاً كثيراً وفي سبب اتصاله بإبراهيم الإمام أو أبيه محمد فقيل : كان من وُلْدِ بَزْرَ جَمْهَر ، ولد بأصْبَهَان وأوصى به أبوه إلى عيسى بن موسى السَرّاج ، فحمله إلى الكوفة ابن سبع سنين ونشأ بها واتصل بإبراهيم الإمام وكان اسم أبي مسلم إبراهيم بن عثمان بن بَشّار فسمّاه إبراهيم الإمام عبد الرحمن وزوجة أبيه أبي النجم عمران ابن سمعيل من الشيعة فبنى بها بخراسان وزوّج إبنته من مُحْرِز بن إبراهيم فلم يعقب . وإبنته أسماء من فَهْم بن مُحْرِز فأعقبت فاطمة وهي التي يذكرها الحَزْمِيْة[1] .
وقيل في اتصاله بإبراهيم الإمان أنّ أبا مسلم كان مع موسى السَرّاج وتعلم منه صناعة السروج وكان يتجهّز فيها بأصبهان والجبال والجزيرة والموصل واتصل بعاصم بن يونس العِجْلِيّ صاحب عيسى السراج وإبني أخيه عيسى وإدريس ابني معقل ، وإدريس هو جد أبي دُلَف ونمى إلى يوسف بن عمران العجلي من دعاة بني العباس فحبسهم مع عمال خالد القِسْري . وكان أبو مسلم معهم في السجن بخدمتهم وقبل منهم الدعوة وقيل لم يتصل بهم من عيسى السَرّاج وإنما كان من ضياع بني العِجْلي بأصبهان أو الجبل . وتوجه سليمان بن كُثَيِّر ومالك بن الهَيْثَم ولاهز بن قَرِيط وقُحْطُبَة بن شبيب من خراسان يريدون إبراهيم الإمام بمكّة ، فمرّوا بعاصم بن يونس وعيسى وإدريس إبني معقل العجلي بمكانهم من الحبس فرأوا معهم أبا مسلم فأعجبهم وأخذوه ولقوا إبراهيم الإمام بمكّة فأعجبه فأخذه . وكان يخدمه ثم قدم النقباء بعد ذلك على إبراهيم الإمام يطلبون أن يوجّه من قبله إلى خراسان فبعث معه أبا مسلم . فلما تمكن ونوى أمره ادعى أنه من ولد سليط بن عبدالله بن عبّاس وكان من أولية هذا الخبر أنّ

---

(١) وفي نسخة ثانية الخرّمية .

جارية لعبدالله بن العبّاس ولدت لغير رشدة[1] فحدّها واستعبد وليدها وسمّاه سَلِيطاً فنشأ واختص بالوليد . وادّعى أنّ عبدالله بن عبّاس أقرّ بأنه ابنه وأقام البينة على ذلك وخاصم عليّ بن عبدالله في الميراث وأذاه . وكان في صحابته عُـمَـرُ الدَنُّ من ولد أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليها سَلِيط بالخبر ، فاستعدت الوليد على عليّ فأنكر وحلف ، فنبشوا في البستان فوجدوه . فأمر الوليد بعليّ فضرب ليدلّه على عُمَر الدَنّ . ثم شفع فيه عَـبَّـاد بن زياد فأخرج إلى الحُـمَـيْـمَـة . ولما وَلِيَ سليمان ردّه إلى دمشق وقيل : إنّ أبا مسلم كان عبداً للعجليين ، وابن بكير بن هامان كان كاتباً لعمّال بعض السِنْد وقدم الكوفة فكان دعاة بني العباس فحبسوا وبكير معهم . وكان العجليون في الحبس ، وأبو مسلم العبسي بن معقل. فدعاهم بكير إلى رأيه فأجابوه ، واستحسن الغلام فاشتراه من عيسى بن معقل بأربعمائة درهم وبعث به إلى إبراهيم الإمام ، فدفعه إبراهيم إلى موسى السَرّاج من الشيعة . فسمع منه وحفظ وصار يتردّد إلى خراسان . وقيل كان لبعض أهل هَرَاة وابتاعه منه إبراهيم الإمام ، ومكث عنده سنين وكان يتردّد بكتبه إلى خراسان ثم بعثه أميراً على الشيعة وكتب إليهم بالطاعة له ، والى أبي سَـلَـمَـة الخَـلاّل داعيهم بالكوفة يأمره بإنفاذهِ إلى خراسان فنزل على سليمان بن كُـثَـيّر وكان من أمره ما يذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى . ثم جاء سليمان بن كُـثَـيّر ولاَهِز بن قُـرَيْـط وقُـحْـطُـبَـة إلى مكّة سنة سبع وعشرين بعشرين ألف دينار للإمام إبراهيم ومائتى ألف درهم ومسك ومتاع كثير ومعهم أبو مسلم وقالوا : هذا مولاك وكتب بكير بن هامان إلى الإمام بأنه أوصى بأمر الشيعة بعده لأبي سَـلَـمَـة حفص بن سليمان الخَـلاّل وهو رضى فكتب إليه إبراهيم بالقيام بأمر أصحابه وكتب إلى أهل خراسان بذلك فقبلوه وصدّقوه وبعثوا بخمس أموالهم ونفقة الشيعة للإمام ابراهيم . ثم بعث إبراهيم في سنة ثمان وعشرين مولاه أبا مسلم إلى خراسان وكتب له : إني قد أمرته بأمري فاسمعوا له وأطيعوا . وقد أمّرته على خراسان وما غلبت عليه فارتابوا من قوله ووفدوا على إبراهيم الإمام من قابل مكّة وذكر له أبو مسلم أنهم لم يقبلوه . فقال لهم : قد عرضت عليكم الأمر فأبيتم من قبوله ، وكان عرضه على سليمان بن كُـثَـيّر ثم على إبراهيم بن مَـسْـلَـمَـةَ فأبوا . وإني قد أجمع رأيي على أبي مسلم وهو منّا أهل البيت فاسمعوا له وأطيعوا . وقال لأبي مسلم : إنزل في أهل

---

(١) الرشدة ضد الزنية ويقال : ولد لرشدة اي شرعي ، وولد لغير رشدة اي ابن زني . (قاموس) .

اليمن وأكرمهم . فإنّ بهم يتمّ الأمر وآتهم البيعة . وأمّا مُضَر فهم العدوّ والغريب ، واقتل من شككت فيه وإن قدرت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل وارجع إلى سليمان بن كُثَيِّر واكتف به مني وسرّحه معهم فساروا إلى خراسان .

* (وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الوليد بن يزيد) *

توفي هشام بن عبد الملك بالرصافة في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة لعشرين سنة من خلافته ووَلِيَ بعده الوليد إبن أخيه يزيد بعهد يزيد بذلك كما مرّ ، وكان الوليد متلاعباً وله مجون وشراب وندمان ، وأراد هشام خلعه فلم يمكنه . وكان يضرب من يأخذه في صحبته ، فخرج الوليد في ناس من خاصته ومواليه وخلف كاتبه عَيّاض بن مسلم ليكاتبه بالأحوال فضربه هشام وحبسه . ولم يزل الوليد مقيماً بالبرية حتى مات هشام ، وجاءه مولى أبي محمد السُفْيَاني على البريد بكتاب سالم ابن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل بالخبر فسأل عن كاتبه عَيّاض فقال : لم يزل محبوساً حتى مات هشام ، فأرسل إلى الخزّاق أن يحتفظوا بما في أيديهم حتى منعوا هشاماً من شيء طلبه . ثم خرج بعد موته من الحبس وختم أبواب الخزائن ثم كتب الوليد من وقته إلى عمه العبّاس بن عبد الملك أن يأتي الرصافة فيحصي ما فيها من أموال هشام وولده وعمّاله وخدمه إلاّ مسلمة بن هشام فإنه كان يراجع أباه في الرفق بالوليد ، فانتهى العبّاس لما أمر به الوليد . ثم استعمل الوليد العمّال وكتب إلى الآفاق بأخذ البيعة فجاءته بيعتهم وكتب مروان ببيعته واستأذن في القدوم . ثم عقد الوليد من سنته لإبنيه الحكم وعثمان بعده وجعلها وليي عهده وكتب بذلك إلى العراق وخراسان .

* (ولاية نصر للوليد على خراسان) *

وكتب الوليد في سنته إلى نَصْر بن سَيّار بولاية خراسان وأفرده بها ، ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فاشترى منه نَصْراً وعمّاله فردّ إليه الوليد خراسان . وكتب يوسف إلى نَصْر بالقدوم ويحمل معه الهدايا والأموال وعياله جميعاً وكتب له الوليد بأن يتّخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضه ويجمع له البراذين الغرّة[1] ويجمع بذلك إليه في

(١) الغرّة لا تتناسب مع معنى الجملة ولعلها الفرة جمع فارة ويقال للبرذون والبغل والحمار فاره اذا كان سيوراً .

وجوه أهل خراسان ، واستحثه رسول يوسف فأجازه . ثم سار واستخلف على خراسان عِصْمَة بن عبدالله الأسدي وعلى شاش موسى بن وَرْقَاء وعلى سَمَرْقَنْد حَسّان بن[1] من أهل الصُغَانيان وعلى آمُد مُقَاتِل بن عليّ الصُغْدِيّ . وأسرّ إليهم أن يداخلوا الترك في المسير إلى خراسان ليرجع إليهم وبيناهو في طريقه إلى العراق ببيهق لقيه مولى لبني ليث ، وأخبره بقتل الوليد والفتنة بالشام وأنّ منصور بن جُمْهُور قَدِم العراق وهرب يوسف بن عمر فرجع بالناس .

* (مقتل يحيى بن زياد) *

كان يحيى بن زياد سار بعد قتل أبيه وسكون الطلب عنه كما مرّ فأقام عنه الحُرَيْش ابن عمر ومروان في بَلْخ ولما وَلِيَ الوليد كتب إلى نصر بأن يأخذه من عند الحُرَيْش فأحضر الحُرَيْش وطالبه بيحيى، فأنكر ، فضربه ستمائة سوط ، فجاء ابنه قُرَيْش ودلّه على يحيى فحبسه وكتب إلى الوليد فأمره أن يخلي سبيله وسبيل أصحابه فأطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد فسار وأقام بسَرْخَس فكتب نصر إلى عبدالله بن قيس بن عَبّاد يخرجه عنها فأخرجه إلى بَيْهَق وخاف يحيى بن يوسف بن عمر فسار إلى نيسابور وبها عمر ابن زُرَارَة ، وكان مع يحيى سبعون رجلاً ولقوا دواب وأدركهم الاعياء فأخذوها بالثمن . وكتب عمر بن زُرَارَة بذلك إلى نصر فكتب إليه يأمره بحربهم ، فحاربهم في عشرة آلاف فهزموه وقتلوه ، ومروا بَهَراة فلم يعرضوا لها وسرّح نَصْرُ بن سَيّار مسلم بن أحْوَر المازني إليهم فلحقهم بالجوزجان فقاتلهم قتالاً شديداً وأصيب يحيى بسهم في جبهته فمات . وقتل أصحابه جميعاً وبعثوا برأسه إلى الوليد وصلب بالجُوزَجَان . وكتب الوليد إلى يوسف بن عمر بأن يحرق شلوزيد ، فأحرقه وذراه في الفرات ولم يزل يحيى مصلوباً بالجوزجان حتى استولى أبو مسلم على خراسان فدفنه ونظر في الديوان اسماء من حضر لقتله فمن كان حيًّا قتله ومن كان ميتا خلفه في أهله بسوء .

* (مقتل خالد بن عبدالله القسرى) *

قد تقدّم لنا ولاية يوسف بن عمر على العراق وأنه حبس خالداً أصحاب العراق

(١) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٢٧٠ : «وحسّان من أهل الصغانيان بسمرقند» وفي الطبري ج ٨ ص ٢٩٩ : وحسان من أهل صغانيان الاسدي سمرقند . »

وخراسان قِبَلَه[1] فأقام بحبسه في الحيرة ثمانية عشر شهراً مع أخيه إسمعيل وابنه يزيد ابن خالد والمنذر ابن أخيه أسد واستأذن هشاماً في عذابه فأذن له على أنه إن هلك قتل يوسف به فعذبه . ثم أمر هشام بإطلاقه سنة إحدى وعشرين ، فأتى إلى قرية بازاء الرصافة فأقام بها ، حتى خرج زيد وقتل وانقضى أمره ، فسعى يوسف بخالد عند هشام بأنه الذي داخل زيداً في الخروج ، فردّ هشام سعايته ووبّخ رسوله وقال : لسنا نتهم خالداً في طاعة . وسار خالد إلى الصائفة وأنزل أهله دمشق وعليها كلثوم بن عَيّاض القُشَيْرِيّ ، وكان يبغض خالداً . فظهر في دمشق حريق في ليال ، فكتب كلثوم إلى هشام بأنّ موالي خالد يريدون الوثوب إلى بيت المال ويتطرّقون إلى ذلك بالحريق كل ليلة في البلد. فكتب إليه هشام بحبس الكبير منهم والصغير والموالي فحبسهم . ثم ظهر على صاحب الحريق وأصحابه . وكتب بهم الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج ولم يذكر فيهم أحداً من آل خالد ومواليه فكتب هشام إلى كلثوم يوبّخه ويأمره بإطلاق آل خالد وترك الموالي فشفع فيهم خالد عند مقدمه من الصائفة ، فلما قدم دخل منزله وأذّن للناس فاجتمعوا ببابه فوبّخهم وقال : إنّ هشاماً يسوقهنّ إلى الحبس كل يوم . ثم قال خرجت غازياً سامعاً مطيعاً فحبس أهلي مع أهل الجرائم كما يفعل بالمشركين . ولم يغير ذلك أحد منكم ، أخفتم القتل؟أخافكم الله . والله ليكفنّ عني هشام أو لاعودن إلى عراقيّ الهوى شاميّ الدار حجازي الأصل يعني محمد بن علي بن عبدالله بن عبّاس . وبلغ ذلك هشاماً فقال : خرف أبو الهيثم . ثم تتابعت كتب يوسف بن عمر إلى هشام بطلب يزيد بن خالد فأرسل إلى كلثوم بإنفاذه إليه فهرب يزيد فطلبه كلثوم من خالد وحبسه فيه فكتب إليه هشام بتخليته ووبّخه اهـ .
ولما وَلِيَ الوليد بن يزيد استقدم خالداً وقال أين ابنك ؟ قال : هرب من هشام وكنّا نراه عندك حتى استخلفك الله فلم نره وطلبناه ببلاد قومه من الشراة فقال : ولكن خلفته طلباً للفتنة فقال : إنّا أهل بيت طاعة . فقال : لتأتيني به أو لازهقنّ ، نفسك فقال : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه فأمر الوليد بضربه . ولما قدم يوسف بن عمر من العراق بالأموال اشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف فقال له الوليد : إنّ

---

(١) العبارة هنا مبهمة وغير واضحة وفي الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٥ ص ٢٧٦ «ثم سار يوسف الى الحيرة واخذ خالداً فحبسه بها تمام ثمانية عشر شهراً مع أخيه اسماعيل وابنه يزيد ...»

يوسف يشتريك بكذا فاضمنها الي قبل أن أدفعك إليه . فقال : ما عهدت العرب تباع ! والله لو سألتني عوداً ما ضمنته . فدفعه إلى يوسف فألبسه عباءة وحمله على غير وطاء وعذبه عذاباً شديداً وهو لا يكلمه . ثم حمله إلى الكوفة فاشتدّ في عذابه ثم قتله ودفنه في عباءة يقال : إنه قتله بشيء وضعه على وجهه . وقيل وضع على رجليه الأعواد وقام عليها الرجال حتى تكسرت قدماه . وذلك في المحرّم سنة ستة وعشرين ومائة .

* (مقتل الوليد وبيعة يزيد) *

ولما وَلِيَ الوليد لم يُقْلِع عما كان عليه من الهوى والمجون . حتى نسب إليه في ذلك كثير من الشنائع مثل رمية المصحف بالسهام حين استفتح فوقع على قوله : « وخاب كل جبّار عنيد » وينشدون له في ذلك بيتين تركتها لشناعة مغزاهما[1] . ولقد ساءت القالة فيه كثيراً، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا : إنها من شناعات الأعداء الصقوها به . قال المدائني : دخل ابن الغَمْر بن يزيد على الرشيد فسأله : ممن أنت ؟ فقال : من قريش . قال : من أيها ؟ فوجم ، فقال : قل وأنت آمِنٌ ولو أنّك مروان فقال : أنا ابن الغَمْر بن يزيد . فقال : رحم الله الوليد ولعن يزيد الناقِصَ ، فإنه قتل خليفة مُجْمَعاً عليه ،إرفع حوائجك فرفعها وقضاها . وقال شبيب بن شَبَّة : كنا جلوساً عند المهدي فذكر الوليد فقال المهدي : كان زنديقاً فقام ابن عُلاَثَة الفقيه[2] فقال : يا أمير المؤمنين إنّ الله عزّ وجلّ أعدل من أن يولي خلافة النبوّة وأمر الأمّة زنديقاً لقد أخبرني عنه من كان يشهده في ملاعبه وشربه ويراه في طهارته وصلاته فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه المصبية المصبغة. ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب بيض نظيفة فيلبسها ويشتغل بربه . أترى هذا فَعْل مَنْ لا يؤمن بالله ؟ فقال المهدى : بَارك الله عليك يا ابن عُلاَثَة ، وإنما كان الرجل محسوداً في خلاله ومزاحماً بكبار عشيرة بيته من بني عمومته مع لهو كان يصاحبه ، أوجد لهم به السبيل على نفسه . وكان من خلاله قرض الشعر الوثيق ونظم الكلام

---

(١) تهددني بجبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد
اذا مـــا جئت ربك يوم حشد فقـــل : يـــا رب خزقني الوليـــد

(٢) وفي الكامل لابن الاثيرج ٥ ص ٢٩١ : ابو عُلاثة الفقيه .

البليغ .قال يوماً لهشام يعزّيه في مَسْلَمَة أخيه : إنّ عقبى من بقي لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مَسْلَمَة الصيد لمن رمى ، واختلّ الثغر فهوى . وعلى أثر من سَلَف ، يمضي من خَلَف ، فتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى . فأعرض هشام وسكت القوم . وامّا حكاية مقتله فإنه لما تعرّض له بنو عمه ونالوا من عرضه أخذ في مكافأتهم . فضرب سليمان بن عمه هشام مائة سوط وحلقه وغرّبه إلى معان من أرض الشام ، فحبسه إلى آخر دولته وحبس أخاه يزيد بن هشام ، وفرّق بين ابن الوليد وبين امرأته ، وحبس عدّةً من وُلْد الوليد ، فرموه بالفسق والكفر واستباحة نساء أبيه . وخوّفوا بني أمية منه بأنه اتخذ ميتة جامعة لهم[1] وطعنوا عليه في تولية إبنيه الحكم وعُثْمَان العهد مع صغرهما . وكان أشدّهم عليه في ذلك يزيد بن الوليد لأنه كان يتنسّك فكان الناس إلى قوله أميل . ثم فسدت اليمانة عليه بما كان منه لخالد القسري . وقالوا : إنما حبسه ونكبه لامتناعه من بيعة ولديه . ثم فسدت عليه قُضَاعَة وكان اليمن وقُضَاعَة أكثر جند الشام . واستعظموا منه ما كان من بيعة خالد ليوسف ابن عمر ، وصنعوا على لسان الوليد قصيدة معيرة اليَمَنِيّة بشأن خالد . فازداد واختفى . وأتوا إلى يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة . وشاور عمر بن زيد الحَكَمِي فقال : شاور أخاك العبّاس وإلا فأظهر أنه قد بايعك ، فإنّ الناس له أطوع . فشاور العبّاس فنهاه عن ذلك فلم ينته ، ودعا الناس سرًّا وكان بالبادية . وبلغ الخبر مروان بأرمينية فكتب إلى سعيد بن عبد الملك يعظّم عليه الأمر ويحذره الفتنة ويذكر له أمر يزيد ، فأعظم ذلك سعيد وبعث بالكتاب إلى العبّاس فتهدّد أخاه يزيد فكتمه فصدّقه . ولما اجتمع ليزيد أمره أقبل إلى دمشق لأربع ليال متنكراً ، معه سبعة نفر على الحمر . ودخل دمشق ليلاً وقد بايع له أكثر أهلها سرًّا وأهل المزّة . وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجّاج فاستوباها فنزل قطنا ، واستخلف عليها إبنه محمداً وعلى شرطته أبو العاج كُثَيِّر بن عبدالله السَلَمِيّ . ونمى الخبر إليهما فكذّباه وتواعد يزيد مع أصحابه بعد المغرب بباب الفراديس . ثم دخلوا المسجد فصلوا العتمة ، ولما قضوا الصلاة جاء حرس المسجد لإخراجهم فوثبوا عليهم ، ومضى يزيد بن عَنْبَسَة إلى يزيد بن الوليد فجاء به إلى المسجد في زهاء مائتين وخمسين ، وطرقوا باب المقصورة فأدخلهم الخادم فأخذوا أبا العاج وهو سكران

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٢٨٠ : وقد اتخذ مائة جامعة لبني أمية .

وخزان [1] بيت المال . وبعث عن محمد بن عبد الملك فأخذه وأخذوا سلاحاً كثيراً كان بالمسجد ، وأصبح الناس من الغد من النواحي القريبة متسائلين للبيعة أهل المزّة والسكاسك وأهل دارا وعيسى بن شَيْب التَغْلَبِيّ في أهل دَرْهَة وحَرَسْتا ، وحَمِيد بن حَبِيب اللّخْمِيّ في أهل دُمّرّعْران ، وأهل حُرْش والحُدَيْثة ودَرِير كاورَبعِيّ بن هشام الحَرثي في جماعة من عَزٍّ وسلامان . ويعقوب بن عُمَيْر بن هانىء العَبْسِي وجُهَيْنَة ومواليهم . ثم بعث عبد الرحمن بن مصادي في مائتي فارس ، فجاء بعبد الملك بن محمد بن الحجّاج من قصره على الأمان . ثم جهّز يزيد الجيش الى الوليد بمكانه من البادية مع عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك ، ومنصور بن جُمْهُور وقد كان الوليد لما بلغه الخبر بعث عبدالله بن يزيد بن معاوية إلى دمشق فأقام بطريقه قليلاً ، ثم بايع ليزيد وأشار على الوليد أصحابه أن يلحق بحمص فيتحصّن بها . قال له ذلك يزيد بن خالد بن يزيد ، وخالفه عبدالله بن عَنْبَسَة وقال : ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره وحرمه قبل أن يقاتل فسار إلى قصر النعمان ابن بشير ، ومعه أربعون من وُلْد الضَحّاك وغيره . وجاء كتاب العبّاس بن الوليد بأنه قادم عليه ، وقاتلهم عبا العزيز ومنصور بعد أن بعث إليهم زياد بن حُصَيْن الكلبي يدعوهم إلى الكتاب والسُنّة . فقتله أصحاب الوليد واشتدّ القتال بينهم وبعث عبد العزيز بن منصور بن جُمْهُور لاعتراض العبّاس بن الوليد أن يأتي بالوليد ، فجاء به كرهاً إلى عبد العزيز وأرسل الوليد إلى عبد العزيز بخمسين ألف دينار وولاية حمص ما بقي على أن ينصرف عنه فأبى. ثم قاتل قتالاً شديداً حتى سمع النداء بقتله وسبّه من جوانب الحومة ، فدخل القصر فأغلق الباب وطلب الكلام من أعلى القصر ، فكلّمه يزيد بن عَنْبَسَة السَكْسَكِي فذكّره بحرمه وفعله فيهم فقال ابن عنبسة : إنّا ما ننقم عليك في أنفسنا ، وإنما ننقم عليك في انتهاك ما حرّم الله ، وشرب الخمر ونكاح أمّهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله . قال : حسبك الله يا أخا السكاسك ! فلَعَمْرِي لقد أكثرت وأغرقت ، وإنّ فيما أحل الله سعة عما ذكرت . ثم رجع إلى الدار فجلس يقرأ في المصحف وقال : يوم كيوم عثمان فتسوّروا عليه وأخذ يزيد بن عنبسة بيده يقيه لا يريد قتله ، وإذا بمنصور بن جُمْهور في جماعة معه ضربوه واجتزوا رأسه فساروا به إلى يزيد فأمر بنصبه ، فتلطّف له يزيد بن فروة مولى

---

(١) لعلها خزائن بيت المال .

بني مرّة في المنع من ذلك ، وقال : هذا ابن عمك وخليفة وإنما تنصب رؤوس الخوارج ولا آمن أن يتعصب له أهل بيته . فلم يجبه ، وأطافه بدمشق على رمح ثم دفع إلى أخيه سليمان بن يزيد وكان معهم عليه وكان قتله آخر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين لسنتين وثلاثة أشهر من بيعته . ولما قتل خطب الناس يزيد فذمّه وثلبه وأنهَ إنما قتله من أجل ذلك . ثم وعدهم بحسن الظفر والاقتصار عن النفقة في غير حاجاتهم وسدّ الثغور والعدل في العطاء والأرزاق ورفع الحجاب وإلاّ فلكم ما شئتم من الخلع . وكان يسمى الناقص لأنه نقص الزيادة التي زادها الوليد في أعطيات الناس وهي عشرة عشرة . وردّ العطاء كما كان أيام هشام وبايع لأخيه ابراهيم بالعهد ومن بعده لعبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك حمله على ذلك أصحابه القدرية لمرض طرقه[1] .

ولما قتل الوليد وكان قد حبس سليمان ابن عمّه هشام بعمان ، خرج سليمان من الحبس وأخذ ما كان هناك من الأموال ونقله إلى دمشق . ثم بلغ مقتله إلى حِمْصَ وأنّ العبّاس بن الوليد أعان على قتله فانتقضوا وهدموا دار العبّاس وسبوها ، وطلبوه فلحق بأخيه يزيد . وكاتبوا الأجناد في الطلب بدم يزيد وأمّروا عليهم مروان بن عبدالله بن عبد الملك ومعاوية بن يزيد بن حُصَيْن بن نُمَيْر وراسلهم يزيد فطردوا رسوله فبعث أخاه مسروراً في الجيش فنزل حوّارين . ثم جاء سليمان بن هشام من[2] فردّ عليه ما أخذ الوليد من أموالهم ، وبعث على الجيش وأمر أخاه مسروراً بالطاعة . واعتزم أهل حمص على المسير إلى دمشق فقال لهم مروان : ليس من الرأي أن تتركوا خلفكم هذا الجيش وإنما نقاتله قبل ، فيكون ما بعده أهون علينا . فقال لهم السميط بن ثابت[3]: إنما يريد خلافكم وإنما هواه مع يزيد والقدرية ، فقتلوه وولّوا عليهم محمداً السُفْيَانِي وقصدوا دمشق ، فاعترضهم ابن

---

(١) بياض بالاصل وفي تاريخ الطبري ج ٩ ص ٢٢ : «شتم مروان بن محمد يزيد بن الوليد فقال : الناقص بن الوليد فسمّاه الناقص ، فسمّاه الناس الناقص لذلك ، وفي هذه السنة اضطرب حبل بني مروان وهاجت الفتنة ، فكان من ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد ما قتل الوليد بن يزيد بعمان» راجع الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٢٩٣ : «فنزلوا حوّارين ثم قدم على يزيد سليمانُ بن هشام ، فردّ عليه يزيد ما كان الوليد أخذه من اموالهم ...» وفي الطبري ج ٩ ص ٢٣ عبارة واحدة وهي «ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام» .

(٣) وفي الكامل ج ٥ ص ٢٩٣ : السمط بن ثابت

هشام بغَـدْرا [١] فقاتلهم قتالاً شديداً وبعث يزيد عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك في ثلاثة آلاف إلى ثَـنِيّـة العِقَـابِ وهشام بن مضـاد في ألف وخمسمائة إلى عَـقَبَـة السَـلاَمِيّـة . وبينما سالم يقاتلهم إذ أقبلت عساكر من ثَـنِيّـة العيقَاب فانهزم أهل حِمْص ، ونادى يزيد بن خالد بن عبدالله القِسْرِيّ : الله الله على قومك يا سليمان . فكفّ الناس عنهم وبايعوا ليزيد . وأخذ أبا محمد السُفْيَـانِي ويزيد بن خالد ابن يزيد وبعثهما إلى يزيد فحبسها اهـ. واستعمل على حِمْص مُعَاوِيَـة بن يزيد بن الحُـصَيْن وكان لما قتل الوليد وثب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطردوه وتولّى منهم سعيد وضِبْعان إبنا رَوْح . وكان وُلْدُ سليمان ينزلون فلسطين فأحضروا يزيد بن سليمان وولوّه عليهم . وبلغ ذلك أهل الأزدن فولّوا عليهم محمد بن عبد الملك . وبعث يزيد سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حِمْص الذين كانوا مع السُفْيَـاني على ثمانين ألفاً ، وبعث إلى إبني رَوْح بالإحسان والولاية ، فرجعا بأهل فلسطين . وقدّم سليمان عسكراً من خمسة آلاف إلى طبرية فنهبوا القرى والضياع وخشي أهل طبرية على مَنْ وراءهم ، فانتهبوا يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ، ونزلوا بمنازلهم ، فافترقت جموع الأردن وفلسطين وسار سليمان بن هشام ولحقه أهل الأردن فبايعوا ليزيد وسار إلى طبرية والرَمْلَـة وأخذ على أهلها البيعة ليزيد وولّى على فلسطين ضِبْعان بن رَوْح وعلى الأردن إبراهيم بن الوليد .

ولاية منصور بن جمهور على العراق ثم ولاية عبدالله بن عمر

لما وَلِيَ يزيد استعمل مَنْصُور بن جُـمْـهُور على العراق وخراسان ولم يكن من أهل الدين ، وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانيّـة ، وحنقاً على يوسف بقتله خالد القِسْرِي . ولما بلغ يوسف قتل الوليد ارتاب في أمره ، وحبس اليمانيّة لما تجتمع المضريّـة عليه . فلم ير عندهم ما يحب فاطلق اليمانية . وأقبل منصور وكتب من عين البَـقَر [٢] إلى قوّاد الشام في الحيرة بأخذ يوسف وعمّاله ، فأظهر يوسف الطاعة ولما قرب منصور

(١) وفي الكامل ج ٥ ص ٢٩٣ : عذراء .
(٢) وفي الكامل ج ٥ ص ٢٩٤ : عين التمر .

دخل دار عمر ابن محمد بن سعيد بن العاص ولحق منها بالشام سرًّا وبعث يزيد بن الوليد خمسين فارساً لتلقّيه . فلما أحسّ بهم هرب واختفى ، ووجد بين النساء فأخذوه وجاؤا به إلى يزيد فحبسه مع إبني الوليد ، حتى قتلهم مولى ليزيد بن خالد القِسْري .

ولما دخل منصور بن جمهور الكوفة لأيام خلت من رجب أفاض العطاء وأطلق من كان في السجون من العمّال وأهل الخراج ، واستعمل أخاه على الري وخراسان ، فسار لذلك فامتنع نصر بن سيّار من تسليم خراسان له . ثم عزل يزيد منصور بن جُمْهُور لشهرين من ولايته ، وولّى على العراق عبدالله بن عمر بن عبد العزيز وقال : سر إلى أهل العراق فإنّ أهله يميلون إلى أبيك . فسار وانقاد له أهل الشام وسلّم إليه منصور العمل ، وانصرف إلى الشام وبعث عبدالله العمّال على الجهات واستعمل عمر بن الغَضْبَان بن القَبَعْثَرا على الشرطة وخراج السواد والمحاسبات وكتب إلى نَصْر بن سيّار بعهده على خراسان .

* (انتقاض أهل اليمامة) *

ولما قتل الوليد كان عليّ بن المهاجر على اليمامة عاملاً ليوسف بن عمر فجمع له المُهَيْر بن سليمان بن هلال من بني الدول بن خولة[1] . وسار إليه وهو في قصره بِقَاع هَجَر فالتقوا وانهزم عليّ وقتل ناس من أصحابه ، وهرب إلى المدينة وملك المُهَيْر اليمامة ثم مات . واستخلف عليها عبدالله بن النعمان من بني قيس بن ثعلبة . من الدول فبعث المُنْدَلِب[2] بن إدريس الحنفي على الفَلَج قرية من قرى بني عامر بن صَعْصَعَة فجمع له بني كعب بن ربيعة بن عامر وبني عُمَيْر فقتلوا المندلب وأكثر أصحابه . فجمع عبدالله ابن النعمان جموعاً من حنيفة وغيرها وغزا الفَلَج وهزم بني عَقِيل وبني بشير وبني جُعْدَة وقتل أكثرهم . ثم اجتمعوا ومعهم نُمَيْر فلقوا بعض حنيفة بالصحراء فقتلوهم وسلبوا نساءهم ، ثم جمع عمر بن الوازع الحنفي الجموع وقال لست بدون عبدالله بن النعمان وهذه فترة من السلطان . وأغار وامتلأت يداه من الغنائم وأقبل ومن معه وأقبلت بنو عَامِر والتقوا فانهزم بنو حنيفة ومات أكثرهم من العطش . ورجع بنو عامر بالأسرى والنساء ولحق عمر بن الوازع باليمامة ثم جمع

---

(١) وفي الكامل لابن الاثيرج ٥ ص ٢٩٨ : «المهير بن سلمى بن هلال ، أحد بني الدول بن حنيفة .»
(٢) وفي الكامل لابن الاثير : المندلث بن ادريس الحنفي .

عبيدالله بن مسلم الحنفي جمعاً وأغار على قُشَيْر وعَكْل فقتل منهم عشرين وسمّى المُثَنّى بن يزيد بن عمر بن هُبَيْرة والياً على اليمامة من قبل أبيه حتى وَلِيَ العراق لمروان فتعرّض المُثَنّى لبني عامر وضرب عدّة من بني حنيفة وحلقهم . ثم سكنت البلاد ولم يزل عبيدالله بن مسلم الحنفي مستخفياً حتى قدم كسرى بن عبيدالله الهاشمي والياً على العامّة لبني العبّاس ودلّ عليه فقتله .

* (اختلاف أهل خراسان) *

ولما قتل الوليد وقدم على نصر عهد خراسان من عبدالله بن عمر بن عبد العزيز صاحب العراق ، انتقض عليه جَدِيع بن عليّ الكَرْمَانِي وهو أزدي . وإنما سمي الكرماني لأنه ولد بكَرْمَان وقال لأصحابه : هذه فتنة فانظروا لأموركم رجلاً . فقالوا له : أنت ! وولّوه . وكان الكَرْمَاني قد أحسن إلى نَصْر في ولاية أسد بن عبدالله ، فلما وَلِيَ نصر عزله عن الرياسة بغيره فتباعد ما بينهما . وأكثر على نَصْر أصحابه في أمر الكَرْمَاني ، فاعتزم على حبسه ، وأرسل صاحب حرسه ليأتي به . وأراد الأزد أن يخلّصوه فأبى ، وجاء إلى نصر يعدّد عليه أياديه قِبَلَه من مراجعة يوسف بن عمر في قتله ، والغرامة عنه ، وتقديم إبنه للرياسة . ثم قال : فبدلت ذلك بالإجماع على الفتنة ، فأخذ يعتذر ويتنصّل ، وأصحاب نصر يتحاملون عليه مثل مسلم بن أحْوَر وعِصْمَة بن عبدالله الأسدي . ثم ضربه وحبسه آخر رمضان سنة ست وعشرين . ثم نقب السجن واجتمع له ثلاثة آلاف ، وكانت الأزد قد بايعوا عبد الملك بن حَرْمَلَة على الكتاب والسنّة . فلما جاء الكَرْمَاني قدّمه عبد الملك ثم عسكر نَصْر على باب مَرْو الرُوذ ، واجتمع إليه الناس ، وبعث سالم بن أحْوَر في الجموع إلى الكَرْمَاني وسفر الناس بينهما على أن يؤمّنه نَصْر ولا يحبسه . وأجاب نصر إلى ذلك وجاء الكَرْمَاني إليه وأمره بلزوم بيته . ثم بلغه عن نَصْر شيء فعاد إلى حاله ، وكلّموه فيه فأمّنه ، وجاء إليه وأعطى أصحابه عشرة عشرة . فلما عزل جُمْهُور عن العراق ووَلِيَ عبدالله بن عمر بن عبد العزيز خطب نَصْر قدّام بن جمهور وأثنى على عبدالله ، فغضب الكَرْمَاني لابن الجمهور وعاد لجمع المال واتخاذ السلاح . وكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمائة ويصلّي خارج المقصورة ، ويدخل فيسلّم ولا يجلس . ثم أظهر الخلاف وبعث إليه نَصْرُ سَالِمَ بن أحْوَر فأفحش في

صرفه وسفر بيْنهما الناس في الصلح على أن يخرج الكرماني من خراسان وتجهّز للخروج إلى جَرْجَان .

* (أمان الحرث بن شريح وخروجه من دار الحرث) *

لما وقعت الفتنة بخراسان بين نَصْر والكَرْمَاني خاف نصر أن يستظهر الكرماني عليه بالحرث بن شُرَيْح ، وكان مقيماً ببلاد الترك منذ إثنتي عشرة سنة كما مرّ ، فأرسل مقاتل بن حيّـان النَبَطِي يراوده على الخروج من بلاد الترك ، بخلاف ما يقتضي له الأمان من يزيد بن الوليدْ وبعث خالد بن زياد البَدِيّ التُرْمُذِيّ وخالد بن عمرة مولى بني عامر لاقتضاء الأمان له من يزيد ، فكتب له الأمان وأمر نَصْراً أن يردّ عليه ما أخذ له ، وأمر عبدالله بن عمر بن عبد العزيز عامل الكوفة أن يكتب لهما بذلك أيضاً . ولما وصل إلى نَصْر بعث إلى الحرث بذلك فلقيه الرسول راجعاً مع مُقَاتِل بن حيّان وأصحابه ووصل سنة سبع وعشرين في جمادى الأخيرة وأنزله نَصْر بمَرْو ، وردّ عليه ما أخذ له ، وأجرى عليه كل يوم خمسين درهماً وأطلق أهله وولده . وعرض عليه أن يولّيه ويعطيه مائة ألف دينار فلم يقبل . وقال : لست من الدنيا واللذات في شيء ، وإنما أسأل كتاب الله والعمل بالسنة وبذلك أساعدك على عدوّك ، وإنما خرجت من البلاد منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجور فكيف تريدني عليه ؟ وبعث إلى الكَرْمَاني : إن عمل نَصْر بالكتاب عضدته في أمر الله ولا أعتبك إن ضمنت لي القيام بالعدل والسنّة . ثم دعا قبائل تميم فأجاب منهم ومن غيرهم كثير واجتمع إليه ثلاثة آلاف وأقام على ذلك .

* (انتقاض مروان لما قتل الوليد) *

كان مروان بن محمد بن مروان على أرمينية وكان على الجزيرة عَبْدَة بن رياح العَبَادِيّ . وكان الوليد قد بعث بالصائفة أخاه فبعث معه مروان إبنه عبد الملك . فلما انصرفوا من الصائفة لقيهم بِجَرْزَان حين مقتل الوليد ، وسار عَبْدَة عن الجزيرة . فوثب عبد الملك بالجزيرة وجَرْزَان فضبطها ، وكتب إلى أبيه بأرمينية يستحثه ، فسار طالباً بدم الوليد بعد أن أرسل إلى الثغور من يضبطها . وكان معه ثابت بن نعيم الجُذَامي من أهل فلسطين ، وكان صاحب فتنة . وكان هشام قد حبسه على إفساد

الجند بأفريقية عند مقتل كُلْثُوم بن عَـيَّاض . وشفع فيه مروان فأطلقاه واتخذا عنده يداً . فلما سار من أرمينية داخل ثابت أهل الشام في العود إلى الشام من وجه الفرات واجتمع له الكبير من جند مروان وناهضه القتال . ثم غلبهم وانقادوا له وحبس ثابت بن نعيم وأولاده . ثم أطلقهم من حرّان إلى الشام وجمع نَـيِّـفاً وعشرين ألفاً من الجزيرة ليسير بهم إلى يزيد ، وكتب إليه يشترط ما كان عبد الملك ولّى أباه محمداً من الجزيرة والموصل وأذربيجان ، فأعطاه يزيد ولاية ذلك وبايع له مروان وانصرف .

* (وفاة يزيد وبيعة أخيه ابراهيم) *

ثم توفي يزيد آخر سنة ست وعشرين لخمسة أشهر من ولايته . ويقال إنه كان قدرياً وبايعوا لأخيه إبراهيم من بعده ، إلا أنه انتقض عليه الناس ولم يتم له الأمر وكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالأمارة وأقام على ذلك نحواً من ثلاثة أشهر ثم خلعه مروان ابن محمد على ما يذكر وهلك سنة إثنتين وثلاثين[1] .

* (مسير مروان الى الشام) *

ولما توفي يزيد ووَلِـيَ أخوه إبراهيم وكان مضعفاً ، انتقض عليه مروان لوقته ، وسار إلى دمشق . فلما انتهى إلى قِنسِرين وكان عليها بِشْرُ بن الوليد عاملاً لأخيه يزيد ومعه أخوهما مسرور ، ودعاهم مروان إلى بيعته ومال إليه يزيد بن عمر بن هُـبَـيْـرَة ، وخرج بِشْر للقاء مروان فلما تراءى الجمعان مال ابن هُـبَـيْـرَة وقيس إلى مروان وأسلموا بِشراً ومسروراً فأخذهما مروان وحبسهما ، وسار بأهل قِنَّسْرين ومن معه إلى حمص ، وكانوا امتنعوا من بيعة إبراهيم . فوظه إليهم عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك في جند أهل دمشق . فكان يحاصرهم . فلما دخل مروان رحل عبد العزيز عنهم ، وبايعوا مروان وخرج للقائه سليمان بن هشام في مائة وعشرين ألفاً ومروان في ثمانين فدعاهم إلى الصلح وترك الطلب بدم الوليد على أن يطلقوا إبنيه الحكَم وعثمان وليي عهده فأبوا وقاتلوه . وسرّب عسكراً جاؤوهم من خلفهم فانهزموا ، وأثخن فيهم أهل حمص فقتلوا

(١) اي سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً وأسروا مثلها . ورجع مروان بالفلّ وأخذ عليهم البيعة للحَكَم وعثمان ابني الوليد وحبس يزيد بن العَقّار والوليد بن مصاد الكَلْبِيَّيْن فهلكا في حبسه . وكان ممن شهد قتل الوليد ابن الحجّاج وهرب يزيد بن خالد القِسْري إلى دمَشق فاجتمع له مع إبراهيم وعبد العزيز بن الحجّاج وتشاوروا في قتل الحَكَم وعُثْمَان ، خشية أن يطلقهما مروان فيثأرا بأبيهما . وولوا ذلك يزيد بن خالد فبعث مولاه أبا الأسد فقتلهما وأخرج يوسف ابن عمر فقتله ، واعتصم أبو محمد السُفْيَاني ببيت في الحبس فلم يطيقوا فتحة ، وأعجلهم خيل مروان فدخل دمشق وأتى بأبي الوليد ويوسف بن عمر مقتولين فدفنهما ، وأتى بأبي عمر السُفْيَاني في قيوده فسلّم عليه بالخلافة وقال : إنّ ولي العهد جعلها لك . ثم بايعه وسمع الناس فبايعوه وكان أوّلهم بيعة معاوية بن يزيد بن حُصَيْن بن نُمَيْر وأهل حِمْص . ثم رجع مروان إلى خراسان واستأمن له إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام وقدما عليه ، وكان قدوم سليمان من تَدْمُر بمن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذَكْوَانِيَّة فبايعوا لمروان .

* (انتقاض الناس على مروان) *

ولما رجع إلى خراسان راسل ثابت بن نعيم من فلسطين أهل حمص في الخلاف على مروان فأجابوه وبعثوا إلى مَنْ كان بِتَدْمُر ممن طلب وجاء الأصبغ بن دُؤالة الكلبيّ وأولاده ، ومعاوية السَّكْسَكِيّ فارس أهل الشام وغيرها في ألف من فرسانهم ، ودخلوا حمص لليلة الفطر من سنة سبعة وعشرين وزحف مروان في العساكر من حرّان ومعه إبراهيم المخلوع وسليمان بن هشام ، ونزل عليهم ثالث يوم الفطر ، وقد سدّوا أبوابهم فنادى مناديه : ما دعاكم إلى النكث ؟ قالوا لم ننكث ونحن على الطاعة . ودخل عمر الوضّاح في ثلاثة آلاف فقاتله المحتشدون هنالك للخلاف وخرجوا من الباب الآخر وجفل مروان في اتباعهم وعلا الباب . فقتل منهم نحو خمسمائة وصلبهم وهدم من سورها علوه وأفلت الأصبغ بن دؤالة وابنه قُرافِصة . ثم بلغ مروان وهو بحمص خلاف أهل الغوطة وأنهم ولّوا عليهم يزيد بن خالد القِسْري وحاصروا دمشق وأميرها زامل بن عمر ، فبعث مروان إليهم ابا الورد بن الكَوْثَر بن زُفَر بن الحرث ، وعمر بن الوضّاح في عشرة آلاف . فلما دنوا من دمشق حملوا عليهم ، وخرج إليهم من كان بالمدينة فهزموهم وقتلوا يزيد بن خالد وبعثوا برأسه إلى مروان وأحرقوا المزّة

وقرى البرامة . ثم خرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين وحاصر طبرية وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحَكَم . فبعث مروان إليه أبا الورد ، فلما قرب منه خرج أهل طبرية عليه فهزموه ولقيه أبو الورد منهزماً فهزمه أخرى ، وافترق أصحابه وأسر ثلاثة من ولده وبعث بهم إلى مروان. وتغيب ثابت وولّى مروان على فلسطين الرُّمَاحِسَ بن عبد العزيز الكنانيّ فظفر بثابت بعد شهرين وبعث به إلى مروان موثقاً فقطعه وأولاده الثلاثة ، وبعثهم إلى دمشق فصلبوه . ثم بايع لابنيه عبدالله وعبيدالله وزوجهما بنتي هشام ، ثم سار إلى تِرْمُذ[1] من دير ايوب وكانوا قد غوروا المياه فاستعمل المزاد والقرب والإبل وبعث وزيره الأبرش الكلبّي إليهم وأجابوا إلى الطاعة . وهرب نفر منهم إلى البلد وهدم الأبرش سورها ورجع بمن أطاع إلى مروان . ثم بعث مروان يزيد ابن عمر بن هُبَيْرَة إلى العراق لقتال الضحّاك الشَّيْبَانيّ الخارجي بالكوفة وأمدّه ببعوث أهل الشام ونزل قَرْقِيسيا ليقدّم ابن هُبَيْرَة لقتال الضحّاك . وكان سليمان بن هشام قد استأذنه بالمقام في الرَصَافَة أياماً ويلحق به فرجعت طائفة عظيمة من أهل الشام الذين بعثهم مروان مع ابن هُبَيِّرَة فأقاموا بالرصافة ودعوا سليمان بن هشام بالبيعة فأجاب ، وسار معهم إلى قِنَّسْرِين فعسكر بها ، وكاتب أهل الشام فأتوه من كل وجه . وبلغ الخبر مروان فكتب إلى ابن هُبَيْرَة بالمقام ورجع من قرقيسيا إلى سليمان فقاتله فهزمه ، واستباح معسكره وأثخن فيهم وقتل أسراهم ، وقتل إبراهيم أكبر ولد سليمان وخالد بن هشام المخزومي جا[2] أبيه فيما ينيف على ثلاثين ألفاً وهرب سليمان إلى حمص في الفل فعسكر بها وبنى ما كان تهدم من سورها . وسار مروان إليه فلما قرب منه بيّته جماعة من أصحاب سليمان تبايعوا على الموت . وكان على احتراس وتعبية فترك القتال بالليل وكمنوا له في طريقه من الغد فقاتلهم إلى آخر النهار ، وقتل منهم نحواً من ستمائة وجاؤا إلى سليمان فلحق بتدمر وخلف أخاه سعيداً بحمص وحاصره مروان عشرة أشهر ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقاً حتى استأمنوا

---

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٣٠ : وكان مروان بدير ايوب فبايع لابنيه عبيدالله وعبدالله وزوجهما ابنتي هشام بن عبد الملك وجمع كذلك بني امية . واستقام له الشام ما خلا تدمر ... وكانوا قد عوّروا المياه فاستعمل المزاد والقرب والابل ... »

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص : وقتل ابراهيم بن سليمان اكبر ولده . وخالد بن هشام المخزوميّ خال هشام بن عبد الملك . وادّعى كثير من الأسراء للجند انهم عبيد . فكف عن قتلهم وامر ببيعهم فيمن يزيد مع من اصيب من عسكرهم ومضى سليمان حتى انتهى الى حمص ... »

له وأمكنوه من سعيد بن هشام وآخرين شرطهم عليهم . ثم سار لقتال الضحّاك الخارجيّ بالكوفة . وقيل إنّ سليمان بن هشام لما انهزم بقِنّسْرِين لحق بعبدالله ابن عمر بن عبد العزيز بالعراق ، وسار معه إلى الضحّاك فبايعوه وكان النضر بن سعيد قد وَلِيَ العراق ، فلما اجتمعوا على قتاله سار نحو مروان فاعترضه بالقادسية جنود الضحّاك من الكوفة مع ابن مَلْحَان فقتله النضر . وولّى الضحّاك مكانه بالكوفة المُثَنّى بن عِمْران وسار الضحّاك إلى الموصل وأقبل ابن هُبَيْرَة إلى الكوفة فنزل بعيد التمر[1] وسار إليه المُثَنّى فهزمه ابن هُبَيْرَة وقتله وعدّة من قوّاد الضحّاك.وانهزم الخوارج ومعهم منصور بن جُمْهُور ثم جاؤا إلى الكوفة واحتشدوا وساروا للقاء ابن هُبَيْرَة فهزمهم ثانية ، ودخل الكوفة وسار إلى واسط وأرسل الضحّاك عُبَيْدَةَ بن سَوَار التَغْلَبيّ لقتاله ، فنزل الصَّرَاة وقاتله ابن هُبَيْرَة هنالك فانهزمت الخوارج كما يأتي في أخبارهم .

* (ظهور عبدالله بن معاوية) *

كان عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر قدم على عبدالله بن عمر بن عبد العزيز الكوفة في إخوانه وولده ، فأكرمهم عبدالله وأجرى عليهم ثلثمائة درهم في كل يوم وأقاموا كذلك . ولما بويع إبراهيم بن الوليد بعد أخيه واضطرب الشام وسار مروان إلى دمشق ، حبس عبدالله بن عمر عبدالله بن معاوية عنده ، وزاد في رزقه بعده لمروان يبايعه ويقاتله[2] . فلما ظفر مروان بابراهيم سار إسمعيل بن عبدالله القِسْري إلى الكوفة وقاتله عبدالله بن عمر ثم خاف إسمعيل أن يفتضح فكفوا خبرهم فوقعت العصبية بين الناس من إيثار عبدالله بن عمر بعضاً من مُضَر وربيعة بالعطاء دون غيرهم ، فثارت

(١) اسمها عين التمر وقد مر ذكرها في مكان سابق وقد ذكرها ابن خلدون عين البقر وعين التمر اسمها الصحيح وما تزال الى الآف تعرف بهذا الاسم وهي تقع الى الجنوب الغربي من كربلاء ويسمونها شفاثة ايضاً » .

(٢) العبارة هنا غير واضحة وفي الطبري ج ٨ ص ٤٩ : فاحتبس عبدالله بن عمر عبدالله ابن معاوية عنده وزاده فيما كان يجري عليه واعده لمروان بن محمد ان هو ظفر بابراهيم بن الوليد ليبايع له ويقاتل به مروان . » .

ربيعة فبعث إليهم أخاه عاصماً ملقياً بيده فاستحيوا ورجعوا وأفاض[١] في رؤوس الناس يستميلهم . فاستنفر الناس واجتمعت الشيعة إلى عبدالله بن معاوية فبايعوه وأدخلوه قصر الكوفة وأخرجوا منه عاصم بن عمر فلحق بأخيه بالحيرة وبايع الكوفيون ابن معاوية ومنهم منصور بن جُمْهُور وإسمعيل أخو خالد القِسْرِي وعمر بن العطاء ، وجاءته البيعة من المدائن وجمع الناس وخرج إلى عبدالله بن عمر بالحيرة ، فسرّح للقائه مولاه . ثم خرج في أثره وتلاقيا ونزع منصور بن جُمْهُور وإسمعيل أخو خالد القِسْرِي وعمر بن العطاء . وجاءته البيعة من ابن عمر ولحقوا بالحيرة وانهزم ابن معاوية إلى الكوفة . وكان عمر بن الغَضْبَان قد حمل على ميمنة ابن عمر فكشفها وانهزم أصحابه من ورائه ، فرجع إلى الكوفة وأقام مع ابن معاوية في القصر ، ومعهم ربيعة والزيدية على أفواه السكك يقاتلون ابن عمر . ثم أخذ ربيعة الأمان لابن معاوية ولأنفسهم وللزيدية ، وسار ابن معاوية إلى المدائن وتبعه قوم من أهل الكوفة فتغلب بهم على حُلْوَان والجبل وهَمْذَان وأصْبَهَان والري إلى أن كان من خبره ما نذكره .

* (غلبة الكرماني على مرو وقتله الحرث بن شريح) *

لما وَلِيَ مروان وولّى على العراق يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة كتب يزيد إلى نَصْر بعهده على خراسان فبايع لمروان بن محمد فارتاب الحرث وقال : ليس لي أمان من مروان وخرج فعسكر وطلب من نَصْر أن يجعل الأمر شورى فأبى ، وقرأ جَهْم بن صَفْوَان مولى راسِب وهو رأس الجَهْمِيّة سيرته وما يدعو إليه على الناس ، فرضوا وكثر جمعه . وأرسل إلى نَصْر في عزل سالم بن أحْوَز عن الشرطة ، وتغيير العمّال . فتقرّر الأمر بينهما على أن يردوا ذلك إلى رجال أربعة : مُقَاتِل بن سليمان ومُقَاتِل بن حيّان بتعيين نَصْر والمُغِيرَة بن شعبة الجُهْضِمي[٢] ومعاذ بن جَبَلَة بتعيين الحرث .

(١) بياض بالاصل وفي الطبري ج ٨ ص ٥٠ : «وبلغ الخبر ابن عمر فارسل إليهم اخاه عاصماً فاتاهم وهم بدير هند قد اجتمعوا وحشدوا فالقى نفسه بينهم وقال : هذه يدي لكم فاحكموا فاستحيوا وعظموا عاصماً وتشكروا له ، واقبل على صاحبيهم فسكتا وكفّا ، فلما امسى ابن عمر ارسل من تحت ليلته الى عمر بن الغضبان بمائة ألف فقسمها في قومه بني همام وارسل الى ثمامة بن حوشب بمائة ألف . فقسمها في قومه وأرسل الى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف والى عثمان بن الخيبري بعشرة الآف» .

(٢) وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٤٢ : المغيرة بن شعبة الجهضمي .

وأمر نصر أن يكتب بولاية سَمَرْقَنْد وطَخارِسْتان لمن يرضاه هؤلاء الأربعة . وكان الحرث يقول إنه صاحب السور وإنه يهدم سور دمشق ويزيل ملك بني أمية فأرسل إليه نَصْر : إن كان ما تقوله حقاً فتعال نسير إلى دمشق ، وإلا فقد أهلكت عشيرتك . فقال الحرث : هو حق لكن لا تبايعني عليه أصحابي . قال : فكيف تهلك عشرين ألفاً من ربيعة واليمن ؟ ثم عرض عليه ولاية ما وراء النهر ويعطيه ثلثمائة ألف فلم يقبل . فقال له : فابدأ بالكَرْمَانِيّ فاقتله وأنا في طاعتك. ثم اتفقا على تحكيم جَهْم ومُقَاتِل ، فاحتكما بأن يعزله نَصْر ويكون الأمر شورى . فأبى نَصْر فخالفه الحرث ، وقدم على نصر جمع من أهل خراسان حين سمعوا بالفتنة منهم عَاصِم بن عُمَيْر الضُرَيْمِي وأبو الذَّيَّال الناجي ومسلم بن عبد الرحمن وغيرهم . فكانوا معه وأمر الحرث أن يقرأ سيرته في الأسواق والمساجد ، وأتاه الناس وقرئت على باب نَصْر . فضرب غلمان نَصْر قارئها فنادى بهم وتجهّزوا للحرب . ونقب الحرث سور مَرْو من الليل ودخل بالنهار فاقتتلوا وقتل جَهْم بن مسعود الناجي وأعين مولى حيّان ونهبوا منزل مسلم بن أحْوَر ، فركب سالم حين أصبح فقاتل الحرث وهزمه ، وجاء إلى عسكره فقتل كاتبه وبعث نَصْر إلى الكَرْمَانِيّ وكان في الأزدو ربيعة وكان موافقاً للحرث لما قدّمناه ، فجاءه نصر على الأمان وحادثهم وأغلظوا له في القول فارتاب ومضى ، وقتل من أصحابه جَهْم بن صَفْوَان . ثم بعث الحرث إبنه حاتماً إلى الكَرْمَانِيّ يستجيشه فقال له أصحابه : دع عدويك يضطربان ، ثم ضرب بعد يومين وناوش القتال أصحاب نَصْر فهزمهم ، وصرع تميم بن نَصْر ومسلم بن أحْوَر وخرج نَصْر من مَرْو من الغد فقاتلهم ثلاثة أيام وانهزم الكَرْمَانِيّ وأصحابه ونادى مناد يا معشر ربيعة واليمن إنّ أبا سيّار قتل فانهزمت مُضَر ونَصْر وترجل إبنه تميم فقاتل وأرسل إليه الحرث إني كافّ عنك فإنّ اليمانية يُعَيِّرونني بانهزامكم ، فاجعل أصحابك إزاء الكَرْمَانيّ ، ولما انهزم نَصْر غلب الكَرْمَانِيّ على مَرْو ونهب الأموال فأنكر ذلك عليه الحرث ، ثم اعتزل عن الحرث بِشْر بن جُرْمُوز الضَبّي في خمسة آلاف وقال : إنما كنا نقاتل معك طلباً للعدل ، فأمّا إن اتبعت الكَرْمَاني للعصبية فنحن لا نقاتل فدعا الحرث الكَرْمَاني إلى الشورى فأبى ، فانتقل الحرث عنه وأقاموا أياماً . ثم ثلم الحرث السور ودخل البلد وقاتله الكرمانيّ قتالاً شديداً فهزمه وقتله وأخاه سوادة . واستولى الكرمانيّ على مَرْو وقيل إنّ الكَرْمَانِيّ خرج مع الحرث لقتال

بِشْر بن جُرْمُوز ثم ندم الحرث على اتباع الكرماني وأتى عسكر بشر فأقام معهم وبعث إلى مُضَر من عسكر الكرماني فساروا إليهم وكانوا يقتتلون كل يوم ويرجعون إلى خنادقهم ثم نقب الحرث بعد أيام سور مَرْو ودخلها وتبعه الكرماني واقتتلوا فقتل الحرث وأخاه وبِشْر بن جُرْمُوز وجماعة من بني تميم وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة فانهزم الباقون وصفت مَرْو لليمن وهدموا دور المُضَرِيَّة .

* (ظهور الدعوة العباسية بخراسان) *

قد ذكرنا أَنّ أبا مسلم كان يتردّد إلى الإمام من خراسان ثم استدعاه سنة تسعة وعشرين ليسأله عن الناس فسار في سبعين من النقباء مؤدين بالحج ومر بِنَسَا فاستدعى أسيداً فأخبره بأن كتب الإمام جاءت إليه مع الأزهر بن شعيب وعبد الملك بن سعيد ، ودفع إليه الكتب ثم لقيه بقَوْمِس كتاب الإمام إليه وإلى سليمان بن كُثَيِّر إني قد بعثت إليك براية النَصْر فارجع من حيث يلقاك كتابي ووجّه قُحْطُبَة إلى الإمام بما معه من الأموال والعروض وجاء أبو مسلم إلى مرو وأعطى كتاب الإمام لسليمان بن كُثَيِّر وفيه الأمر بإظهار الدعوة ، فنصبوا أبا مسلم وقالوا رجل من أهل البيت ودعوا إلى طاعة بني العبّاس وكتبوا إلى الدعاة بإظهار الأمر ، وترك أبو مسلم بقرية من قرى مَرْو في شعبان من سنة تسع وعشرين ثم بثوا الدعاة في طخارِسْتان ومَرْو الرود والطَالَقان وخوارزم ، وأنهم إن أعجلهم عدوّهم دون الوقت عاجلوه وجرّدوا السيوف للجهاد ، ومن شغله العدوّ عن الوقت فلا حرج عليه أن يظهر بعد الوقت . ثم سار أبو مسلم فنزل على سليمان بن كُثَيِّر الخُزَاعي آخر رمضان ونَصْر بن سَيّار يقاتل الكَرْمَاني وشيبان فعقد اللواء الذي بعث به الإمام إليه وكان يدعى الظلّ على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً . ثم عقد الراية التي بعثها معه وتسمى السحاب وهو يتلو : أُذِنَ للذين يقاتلون الآية . ولبسوا السواد هو وسليمان بن كُثَيِّر وأخوه سليمان ومواليه ومن أجاب الدعوة من أهل تلك القرى وأوقدوا النيران ليلتهم لشيعتهم في خرقان فأصبحوا عنده ثم قدم عليه أهل السَقَادِم مع أبي الوضّاح في سبعمائة راجل . وقدم من الدعاة أبو العبّاس المَرْوَزِي وحَصِنَ أبو مسلم بسُفَيْدَنْج ورَمَّها وحضر عيد الفطر ، فصلى سليمان بن كُثَيِّر وخطب على المنبر في العسكر وبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة . وكبر في الأولى ست تكبيرات وفي الثانية خمساً خلاف ما كان بنو أمية

يفعلون . وكل ذلك مما سنّه لهم الإمام وأبوه . ثم انصرفوا من الصلاة مع الشيعة فطمعوا وكان أبو مسلم وهو في الخندق إذا كتب نَصْر بن سيار يبدأ بإسمه فلما قوى بمن اجتمع إليه كتب إلى نصر وبدأ بنفسه وقال : (أمّا بعد) فإنّ الله تباركت أسماؤه عَيّر قوماً في القرآن فقال : «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير (إلى) ولن تجد لسُنّة الله تحويلاً فاستعظم الكتاب وبعث مولاه يزيد لمحاربة ابي مسلم لثمانية عشر شهراً من ظهوره فبعث إليه أبو مسلم مالك بن الهَيْثَم الخُزَاعِي فدعاه إلى الرِضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلّم فاستكبروا فقاتلهم مالك وهو في مائتين يوماً بكماله . وقدم على أبي مسلم صالح بن سليمان الضَبِيّ وإبراهيم بن يزيد وزياد بن عيسى فسرّحهم إلى مَالِك فقوي مالك بهم ، وقاتلوا القوم فحمل عبدالله الطائي على يزيد مولى نصر فأسره ، وانهزم أصحابه وأرسله الطائي إلى أبي مسلم ومعه رؤوس القتلى فأحسن أبو مسلم إلى يزيد وعالجه ، ولما اندملت جراحه قال : إن شئت أقمت عندنا وإلا رجعتَ إلى مولاك سالماً بعد أن تعاهدنا على أن لا تحاربنا ولا تكذب علينا فرجع إلى مولاه . وتفرس نَصْر أنه عاهدهم فقال : والله هو ما ظننت وقد استحلفوني أن لا أكذب عليهم وأنهم الله يصلون الصلاة لوقتها بأذان وإقامة ويتلون القرآن ويذكرون الله كثيراً ويدعون إلى ولاية آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أحسب أمرهم إلا سيعلو ولولا أنك مولاي لأقمت عندهم . وكان الناس يرجفون عنهم بعبادة الأوثان واستحلال الحرام . ثم غلب حازم بن خُزَيْمة على مَرْو الروذ وقتل عامل نَصْر بها وكان من بني تميم من الشيعة وأراد بنو تميم منعه فقال : أنا منكم فإن ظفرت فهي لكم وإن قتلت كفيتم أمري فنزل قرية زاها . ثم تغلب على أهلها فقتل بِشْر بن جعفر السُغْدِي عامل نَصْر عليها أوائل ذي القعدة ، وبعث بالفتح إلى أبي مسلم مع إبنه خُزَيْمَة بن حَازِم . وقيل في أمر أبي مسلم غير هذا وأنّ إبراهيم الإمام أزوج أبا مسلم لما بعثه خراسان بابنه أبي النّجْم وكتب إلى النُقَبَاء بطاعته . وكان أبو مسلم من سواد الكوفة فهزما فانتهى[1] لادريس بن مَعْقِل العِجْلِيّ ثم سار إلى ولاية محمد بن علي ، ثم إبنه إبراهيم ، ثم للأئمة من ولاية[2] من ولده وقدم خراسان وهو حديث

---

(١) المعنى غير واضح وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٦١ : «وكان ابو مسلم من أهل خُطَرْنية من سواد الكوفة وكان قهرماناً لإدريس بن معقل العجلي .»

(٢) الظاهر من المعنى ان «من ولاية زائدة» ولا لزوم لوجودها .

السن واستصغره سليمان بن كُثَيِّر فردّه وكان أبو داود خالد بن إبراهيم غائباً وراء النهر ، فلما جاء إلى مرو أقرأه كتاب الإمام وسألهم عن أبي مسلم فأخبروه أنّ سليمان بن كُثَيِّر ردّه لحداثة سِنّه وأنه لا يقدر على الأمر ، فنخاف على أنفسنا وعلى من يدعوه فقال لهم أبو داود : إنّ الله بعث نبيّه صلى الله عليه وسلم إلى جميع خلقه ، وأنزل عليه كتابه بشرائعه وأنبأه بما كان وما يكون وخلف علمه رحمة لأمته وعمله إنما هو عند عترته وأهل بيته وهم معدن العلم وورثة الرسول فيما علمه الله أتشكون في شيء من ذلك ؟ قالوا : لا . قال : فقد شككتم والرجل لم يبعثه إليكم حتى علم أهليته لما يقوم به فبعثوا عن أبي مسلم وردّوه من قومس بقول أبي داود وولوه أمرهم وأطاعوه ولم تزل في نفس أبي مسلم من سليمان بن كُثَيِّر . ثم بعث الدعاة ودخل الناس في الدعوة أفواجاً واستدعاه الإمام سنة تسع وعشرين أن يوافيه بالمرسوم ليأمره في إظهار الدعوة وأن يقدم معه قُحْطُبَة بن شبيب ويحمل ما اجتمع عنده من الأموال فسار في جماعة من النقباء والشيعة فلقيه كتاب الإمام بقومس يأمره بالرجوع وإظهار الدعوة بخراسان ، وبعث قحطبة بالمال وأنّ قحطبة سار إلى جَرْجَان . واستدعى خالد بن بَرْمَك وأبا عون فقدما بما عندهما من مال الشيعة فسار به نحو الإمام .

* (مقتل الكرمانى) *

قد ذكرنا من قبل أنّ الكرماني قتل الحرث بن شُرَيْح فخلصت له مَرْو وتنحيّ نصر عنها ثم بعث نَصْر سالم بن أحْوَر في رابطته وفرسانه إلى مَرْو فوجد يحيي بن نعيم الشّيباني في ألف رجل من ربيعة ومحمد بن المُثَنّى في سبعمائة من الأزد وأبو الحسن ابن الشيخ في ألف منهم والحربي السُغْدِي[1] في ألف من اليمن . فتلاحى سالم وابن المُثَنّى وشتم سالم الكرماني فقاتلوه فهزموه وقتل من أصحابه نحو مائة . فبعث نَصْر بعده عِصْمَة بن عبدالله الأسَدِيّ فكان بينهم مثل ما كان أوّلاً ، فقاتلهم محمد السُغْدِي ، فانهزم السُغْدِي وقتل من أصحابه أربعمائة . ورجع إلى نَصْر فبعث مالك بن عُمَر التميميّ فاقتتلوا كذلك وانهزم مالك وقتل من أصحابه سبعمائة ومن أصحاب الكرماني ثلثمائة . ولما استيقن أبو مسلم أن كِلا الفريقين قد أثخن صاحبه وأنه لا مدد لهم جعل يكتب إلى شيبان الخارجي يذمّ اليمانية تارةً ومُضَر أخرى ويوصي

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٦٣ : الجَرْجِيّ السعدي .

الرسول بكتاب مُضَر أن يتعرّض لليمانيّة ليقرؤا ذمّ مُضَر والرسول بكتاب اليمانيّة أن يتعرّض لمُضَر ليقرؤا ذمّ اليمانيّة حتى صار هوى الفريقين معه ثم كتب إلى نَصْر بن سيّار والكرماني : أنّ الإمام أوصاني بكم ولا أعد ورأيه فيكم . ثم كتب يستدعي الشيعة أسد بن عبدالله الخُزَاعي بنَسَا ومُقَاتِل بن حكيم بن غَزْوَان وكانوا أوّل من سَوَّدَ ونادوا يا محمد يا منصور! ثم سَوَّدَ أهل أبي وَرْد ومَرْو الروذ وقرى مَرْو فاستدعاهم أبو مسلم وأقبل فنزل بين خندق الكرماني وخندق نَصْر وهابه الفريقان وبعث إلى الكرماني إني معك وقبل فانضم أبو مسلم إليه ، وكتب نصر بن سيّار إلى الكرماني يحذّره منه ويشير عليه بدخول مَرْو ليصالحه فدخل ثم خرج من الغد ، وأرسل إلى نصر في إتمام الصلح في مائتي فارس ، فرأى نَصْرُ فيه غِرَّة فبعث إليه ثلثمائة فارس فقتلوه . وسار إبنه إلى أبي مسلم وقاتلوا نَصْر بن سَيّار حتى أخرجوه من دار الأمارة إلى بعض الدور . ودخل أبو مسلم مَرْو فبايعه عليّ بن الكرماني ، وقال له أبو مسلم أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمري . وكان نصر حين نزل أبو مسلم بين خندقه وخندق الكرماني ورأى قوّته كتب إلى مروان بن محمد يعلمه بخروجه وكثرة من معه ودعائه لإبراهيم بن محمد :

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ جَمْرٍ * ويُوشِكُ أنْ يكونَ لها ضِرَامُ
فإنّ النارَ بالعودَيْنِ تَذْكو * وإنّ الحَرْب أوّلُها الكَلاَمُ
فإنْ لَمْ تُطْفِؤها يُخْرِجُوها * مُسَجَّرَةٌ يَشِيبُ لَهَا الغُلاَمُ
أقولُ مِنَ التَعَجُّبِ ليتَ شِعْري * أأيْقَاظٌ أُمَيّةُ أمْ نِيَامُ
فإنْ يَكُ قَوْمُنَا أضْحَوْا نِيَاماً * فَقُلْ قُومُوا فَقَدْ حَانَ القِيَامُ
تَعَزِّي عَنْ رِجَالِكِ ثُمّ قُولي * على الإسْلاَمِ والعَرَبِ السَلاَمُ .

فوجده مشتغلا بحرب الضحّاك بن قَيْس فكتب إليه الشاهد يرى مالا يرى الغائب فاحثهم التلول قِبَلَك . فقال نصر : أمّا صاحبكم فقد أعلمكم أنه لا نَصْر عنده . وصادف وصول كتاب نصر إلى مَرْوَان عثورهم على كتاب من إبراهيم الإمام لأبي مسلم يوبّخه حيث لم ينتهز الفرصة من نَصْر والكرماني إذ أمكنته ويأمره أن لا يدع بخراسان متكلّماً بالعربية . فلما قرأ الكتاب بعث إلى عامله بالبلقاء أن يسير إلى الحيسة(١) فيبعث إليه بإبراهيم بن محمد مشدود الوثاق فحبسه مروان .

---

(١) وفي الكامل ج ٥ ص ٣٦٦ : الى الحميمة .

* (اجتماع أهل خراسان على قتل أبي مسلم) *

لما أظهر أبو مسلم أمره سارع إليه الناس ، وكان أهل مرو يأتونه ولا يمنعهم نصر ، وكان الكرماني وشيبان الخارجي لا يكرهان أمر أبي مسلم لأنه دعا إلى خلع مَرْوَان وكان أبو مسلم ليس له حرس ولا حجّاب ولا غِلْظَةُ الملك ، فكان الناس يأنسون به لذلك ، وأرسل نصر إلى شيبان الخارجي في الصلح ليتفرّغ لقتال أبي مسلم ، إمّا أن يكون معه أو يكفّ عنه ، ثم نعود إلى ما كنا فيه فهمّ شيبان بذلك ، وكتب أبو مسلم إلى الكرمانيّ فحرّضه على منع شيبان من ذلك فدخل عليه وثناه عنه ثم بعث أبو مسلم النَضْر بن نعيم الضبي إلى هراة فملكها وطرد عنها عيسى بن عَقِيل بن مَعْقِل الليثي عامل نَصْر. فجاء يحيي بن نعيم بن هبيرة الشيباني إلى الكرماني وشيبان وأغراهما بمصالحة نَصْر وقال : إن صالحتم نصراً قاتله أبو مسلم وترككم لأنّ أمر خراسان لمُضَرْ وإن لم تصالحوه صالحه وقاتلكم فقدّموا نصر قبلكم . فأرسل شيبان إلى نصر في الموادعة فأجلب وجاء مسلم بن أحْوَر بكتب الموادعة فكتبوها وبعث أبو مسلم إلى شيبان في موادعة ثلاثة أشهر فقال ابن الكرمانيّ إذا ما صالحت نصراً إنما صالحه شيبان وأنا موتور بأبي ثم عاود القتال وقعد شيبان عن نَصْرِه وقال : لا يحلّ الغدر فاستنصر ابن الكرمانيّ بأبي مسلم فأقبل حتى نزل الماخران لإثنتين وأربعين يوماً من نزوله يُسْفَيَدَنْج وخندق على معسكره وجعل له بابين وعلى شرطته مالك بن الهَيْثَم وعلى الحرس أبا اسحق خالد بن عثمان ، وعلى ديوان الجند أبا صالح كامل بن المُظَفّر وعلى الرسائل أسلم بن صبيح وعلى القضاء القاسم بن مُجَاشِع النقيب وكان القاسم يصلي بأبي مسلم ويقرأ القصص بعد العصر فيذكر فضل بني هاشم وسالف بني أميّة ولما نزل أبو مسلم الماخران أرسل إلى ابن الكرمانيّ بأنه معه فطلب لقاءه فجاءه أبو مسلم وأقام عنده يومين ثم رجع وذلك أوّل المحرّم سنة ثلاثين[1] ثم عرض الجند وأمر كامل ابن مظفّر بكتب أسمائهم وأنسابهم في دفتر فبلغت عدّته سبعة آلاف ثم إن القبائل من ربيعة ومُضَر واليمن توادعوا على وضع الحرب والاجتماع على قتال أبي مسلمْ فعظم ذلك عليه وتحوّل عن الماخران لأربعة أشهر من نزولها لأنها كانت

---

(١) اي سنة ثلاثين ومائة .

تحت الماء وخشي أن يقطع فتحوّل إلى طَبَسِينَ وخندق بها ، وخندق نَصْـرُ بن سيّار على نهر عياض وأنزل عمّاله بالبلاد ، فأنزل أبا الدَّيال في جنده لطوسان فآذوا أهلها وعسفوهم وكان أكثرهم مع أبي مسلم في خندق فسير إليهم جنداً فقاتلوه فهزموه وأسروا من أصحابه ثلاثين ، فأطلقهم أبو مسلم ثم بعث مُحْرِز بن إبراهيم في جمعٍ من الشيعة ليقطع مادّة نصر من مَـرْو الروذ وبَلْخ وطَـخَارِسْتَان فخندق بين نَصْر وبين هذه البلاد ، واجتمع إليه ألف رجل وقطع المادة عن نصر.

* (مقتل عبدالله بن معاوية) *

قد تقدّم لنا أنّ عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بويع بالكوفة وغلبه عليها عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ولحق بالمدائن وجاءه ناس من أهل الكوفة وغيرها فسار إلى الجبال وغلب عليها وعلى حُـلْوَان وقُومِس وأصْبَـهَـان والريّ وأقام بأصبهان وكان محارب بن موسى مولى بني يَشْكُرُ عظيم القدر بفارس فجاء الى دار الأمارة بأَصْطَـخْر وطرد عامل عبدالله بن عمر عنها ، وبايع الناس لعبدالله بن معاوية. ثم سار إلى كرمان فأغار عليها وانضم إليه قوّاد من أهل الشام فسار إلى سالم بن المُسَيَّب عامل عبدالله ابن عمر على شيراز فقتله سنة ثمان وعشرين . ثم سار محارب إلى أصبهان وحوّل عبدالله ابن معاوية إلى أَصْطَخْر بعد أن استعمل على الجبال أخاه الحسن بن مُعاوية ، وأتى إلى أَصْطَخْر فنزل بها وأتاه بنو هاشم وغيرهم ، وجبى المال وبعث العمّال . وكان معه منصور بن جُـمْـهُور وسليمان بن هشام ، وأتاه شيبان بن عبد العزيز الخارجي ثم أتاه أبو جعفر المنصور وعبدالله ابن أخيه عيسى . ولما قدم يزيد بن عمر بن هُبَيْـرَة على العراق أرسل نباتة بن حَـنْـظَـلَـة الكلابي على الأهواز وأن يقاتل عبدالله بن معاوية ، وبلغ سليمان بن حبيب وهو بالأهواز فسرّح داود بن حاتم للقاء نباتة ، وهرب سليمان من الأهواز إلى نيسابور وقد غلب الأكراد عليها فطردهم عنها ، وبايع لابن معاوية ، فبعث أخاه يزيد بن معاوية عليها . ثم إنّ مُـحَـارِب بن موسى فارق عبدالله بن معاوية وجمع ، وقصد نيسابور فقاتله يزيد بن معاوية وهزمه ، فأتى كرمان وأقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث فصار معه ثم نافره ، فقتله ابن الأشعث وأربعة وعشرين إبناً له . ثم بعث يزيد بن هُـبَيْرَة بعد نَـبَـاتَـة بن حَـنْـظَـلَـة إبنه داود ابن يزيد في العساكر إلى عبدالله بن معاوية ، وعلى مقدّمته داود بن ضَـبَـارَة . وبعث

مَعْنَ بن زَائِدَة من وجه آخر ، فقاتلوا عبدالله بن معاوية وهزموه وأسروا وقتلوا ، وهرب منصور بن جُمْهُور إلى السِنْد وعبد الرحمن بن يزيد إلى عمان وعمر بن سُهَيْل بن عبد العزيز بن مروان إلى مِصْرَ ، وبعثوا بالأسرى إلى ابن هُبَيْرَة فأطلقهم ومضى ابن معاوية عن فارس إلى خراسان . وسار مَعْنُ بن زَائِدَة في طلب منصور بن جُمْهُور وكان فيمن أسر مع عبدالله بن معاوية عبدالله بن علي بن عبدالله ابن عبّاس ، شفع فيه حرب ابن قَطَن من أخواله بني هلال ، فوهبه له ضَبَارَة وغاب عبدالله بن معاوية عن ابن ضَبَارة ، ورمى أصحابه باللواطَة ، فبعث إلى ابن هُبَيْرَة ليخبره ، وسار ابن ضَبَارَة في طلب عبدالله بن معاوية إلى شيراز فحاصره بها حتى خرج منها هارباً ومعه أخوه الحسن ويزيد وجماعة من أصحابه ، فسلك المفازة على كرمان إلى خراسان طمعاً في أبي مسلم لأنه كان يدعو إلى الرضا من آل محمد ، وقد استولى على خراسان فوصل إلى نواحي هَرَاة وعليها مَالِك فقال له : انتسب نعرفك . فانتسب له فقال : أمّا عبدالله وجعفر فمن أسماء آل الرسول وأمّا معاوية فلا نعرفه في أسمائهم . قال : إنّ جدّي كان عند معاوية حين ولد أبي فبعث إليه مائة ألف على أن يسمي إبنه باسمه فقال : لقد اشتريتم الأسماء الخبيثة بالثمن اليسير[١] فلا نرى لك حقاً فيما تدعو إليه ثم بعث بخبره إلى أبي مسلم فأمره بالقبض عليه وعلى من معه فحبسهم . ثم كتب إليه بإطلاق أخويه الحسن ويزيد وقتل عبدالله فوضع الفراش على وجهه فمات[٢] .

لما تعاقد نصرو ابن الكرماني وقبائل ربيعة واليمن ومُضَر على قتال أبي مسلم عظم على الشيعة ، وجمع أبو مسلم أصحابه ودسّ سليمان بن كُثَيّر إلى ابن الكرماني يذكّره بثأر أبيه من نَصْر فانتقضوا ، فبعث نصر إلى أبي مسلم بموافقة مُضَر وبعث إليه أصحاب ابن الكرماني وهم ربيعة واليمن بمثل ذلك . واستدعى وفد الفريقين ليختار الركون إلى أحدهما وأحضر الشيعة لذلك وأخبرهم بأنّ مُضَر أصحاب مروان وعمّاله وشيعته وقبله[٣] يحيى بن زيد . فلما حضر الوفد تكلم سليمان بن كُثَيّر ، ويزيد بن شقيق

---

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٧٣ : «لقد اشتريتم الاسم الخبيث بالثمن اليسير .

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٧٣ : فأمر من وضع فراشاً على وجهه فمات واخرج فصُلّي عليه ودفن ، وقبره بَهَرَاة معروف يزار ، رحمه الله . »

(٣) وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٧٨ : قتله يحيى بن زيد .

السَلَمِّي بمثل ذلك وبأن نصر بن سيّار عامل مروان ويسمّيه أمير المؤمنين وينفّذ أوامره فليس على هدى ، وإنما يختار عليّ بن الكرماني وأصحابه ووافق السبعون من الشيعة على ذلك وانصرف الوفد ورجع أبو مسلم من أَبْيَن إلى الماخران وأمر الشيعة ببناء المساكن وأمن من فتنة العرب ثم أرسل إليه علي بن الكرماني أن يدخل مَرْو من ناحيته ليدخل هو وقومه من الناحية الأخرى ، فلم يطمئن لذلك أبو مسلم وقال : ناشبهم الحرب من قبل فناشب ابن الكرمانيّ نصر بن سيّار الحرب ودخل مرو من ناحيته وبعث أبو مسلم بعض النقباء . فدخل معه ثم سار وعلى مقدمته أُسَيْد بن عبدالله الخُزَاعِيّ ، وعلى ميمنته مالك بن الهَيْثَم وعلى ميسرته القاسم بن مُجَاشِع . فدخل مرو والفريقان يقتتلان ، ومضى إلى قصر الأمارة وهو يتلو : ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها . وأمر الفريقين بالانصراف فانصرفوا إلى معسكرهم وصفت له مرو ، وأمر بأخذ البيعة من الجند ، وتولى أخذها أبو منصور طَلْحَة بن زُرَيْق أحد النقباء الذين اختارهم محمد بن علي من الشيعة حين بعث دعاته إلى خراسان سنة ثلاث وأربع ، وكانوا إثني عشر رجلاً . فمن خُزَاعَة سليمان بن كُثَيِّر ومالِك بن الهَيْثَم وزياد بن صالح وطلحة بن زُرَيْق وعمر بن أعين . ومن طيء قُحْطُبَة بن شبيب بن خالد سعدان . ومن تميم أبو عُيَيْنَة موسى بن كعب ولاهِز ابن قُرَيْط والقاسم بن مُجَاشِع وأسلم بن سلام ومن بكر بن وائل أبو داود خالد بن إبراهيم الشِّيْبَانِيّ وأبو علي الهروي ، ويقال شبل بن طَهْمَان وكان عمر بن أعين مكان موسى بن كَعْب وأبو النَّجْم إسمعيل بن عمران مكان أبي علي الهَرَوِي وهو ختن أبي مسلم . ولم يكن أحد من النقباء ووالده غير أبي منصور طلحة بن زُرَيْق بن سعد وهو أبو زينب الخُزَاعِي ، وكان قد شهد حرب ابن الأشعث وصحب المُهَلّب وغزا معه . وكان أبو مسلم يشاوره في الأمور . وكان نصّ البيعة : أبايعكم على كتاب الله وسُنّة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليكم بذلك عهدالله وميثاقه والطلاق والعتاق ، والمشي إلى بيت الله الحرام ، وعلى أن لا تسألوا رزقاً ولا طمعاً حتى تبدأكم به ولاتكم ، وذلك سنة ثلاثين ومائة . ثم أرسل أبو مسلم لاهِز بن قُرَيْط في جماعة إلى نَصْر بن سَيّار يدعو إلى البيعة ، وعلم نصر أن أمره قد استقام ولا طاقة له بأصحابه ، فوعده بأنه يأتيه يبايعه من الغد ، وأرسل أصحابه بالخروج من ليلتهم إلى مكان يأمنون فيه . فقال

أسلم بن أحْوَز لا يتهيأ لنا الليلة . فلما أصبح[١] أبو مسلم كتابه وأعاد لاهِز بن قُرَيْط إلى نصر يستحثه فأجاب وأقام لوضوئه ، فقال لاهِز : إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك . فخرج نصر عند المساء من خلف حجرته ومعه إبنه تميم والحَكَم بن غيلة النُمَيْري وامرأته المَرْزَبَانَة وانطلقوا هراباً . واستبطأه لاهِز فدخل المنزل فلم يجده وبلغ أبا مسلم هربه فجاء إلى معسكره وقبض على أصحابه منهم سالم ابن أحْوَز صاحب شرطته والبُخْتُري كاتبه ، وإبنان له ويونس بن عبد ربه ومحمد ابن قَطَن وغيرهم . وسار أبو مسلم وابن الكرماني في طلبه ليلتهما فأدركا إمرأته قد خلفها وسار فرجعوا إلى مرو. وبلغ نصر من سَرْخَس فأقام بطوس خمس عشرة ليلة . ثم جاء نيسابور فأقام بها وتعاقد ابن الكرماني مع أبي مسلم على رأيه . ثم بعث إلى شيبان الحروري يدعوه إلى البيعة فقال شيبان : بل أنت تبايعني[٢] واستنصر بابن الكرماني فأبى عليه ، وسار شيبان إلى سَرْخَس واجتمع له جمع من بَكْر بن وائل وبعث إليه أبو مسلم في الكفّ فسجن الرسل . فكتب إلى بسّام بن إبراهيم مولى بني ليث المُكَنّى بأبي وَرْد أن يسير إليه فقاتله وقتله وقتل بكر بن وائل الرسل الذين كانوا عنده . وقيل إنّ أبا مسلم إنما وجه إلى شيبان عسكراً من عنده عليهم خُزَيْمَة بن حَازم وبسّام بن إبراهيم . ثم بعث أبو مسلم كعباً من النقباء إلى أبْيُورْدَ فافتتحها ، ثم أبا داود خالد بن إبراهيم من النقباء إلى بَلْخ وبها زياد بن عبد الرحمن القُشَيْرِيّ فجمع له أهل بَلْخ وتِرْمِذ وجند طَخَارِسْتان ونزل الجَوْزَجان ، ولقيهم أبو داود فهزمهم وملك مدينة بلخ . وساروا إلى تِرْمِذ فكتب أبو مسلم إلى أبي داود يستقدمه وبعث مكانه على بَلْخ يحيى بن نُعَيْم أبا المَيْلا فداخله زياد بن عبد الرحمن في الخلاف على أبي مسلم ، واجتمع لذلك زياد ومسلم بن عبد الرحمن البَاهِلِيّ ، وعيسى بن زُرْعَة السَلَمِيّ وأهل بَلْخ وتِرْمُذ وملوك طخارستان وما وراء النهر ونزلوا على فرسخ من بَلْخ وخرج إليهم يحيى بن نُعَيْم بمن معه . واتفقت كلمة مُضَر وربيعة واليمن ومن معهم من العجم على قتال المُسَوِّدَةِ وولّوا عليهم مُقَاتِل بن

---

(١) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٨١ : « فلما كان الغد عبّأ ابو مسلم أصحابه وكتائبه الى بعد الظهر واعاد الى نصر لاهِز بن قريظ وجماعة معه » .

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٨٣ : « فقال شيبان : أنا ادعوك الى بيعتي . فارسل اليه ابو مسلم أن لم تدخل في امرنا فارتحل عن منزلك الذي انت به ..

حيّان النَبَطِيّ مخافة أن يتنافسوا . وبعث أبو مسلم أبا داود إليهم فأقبل بعساكره حتى اجتمعوا على نهر السَرْخسَان(١) واقتتلوا . وكان زياد وأصحابه قد خلفوا أبا سعيد القُرَشِي مَسْلَحَةً وراءهم خشية أن يؤتوا من خلفهم وكانت راياته سوداً وأغفلوا ذلك . فلما اشتدّ القتال زحف أبو سعيد في أصحابه لمددهم فظنّوه كميناً للمُسَوِّدة فانهزموا وسقطوا في النهر ، وحوى أبو داود معسكرهم بما فيه وملك بَلْخ . ومضى زياد ويحيى ومن معهما إلى تِرْمِذ وكتب أبو مسلم يستقدم أبا داود وبعث النَضْرَ بن صَبِيح المزني على بَلْخ . ولما قدم أبو داود أشار على أبي مسلم بالتفرقة بين عليّ وعثمان إبني الكرماني . فبعث عثمان على بَلْخ وقدمها فاستخلف الفَرَافِصَة بن ظَهير العَبْسِي وسار هو والنَضْر بن صَبِيح إلى مَرْو الروذ وجاء مسلم بن عبد الرحمن البَاهِلِيّ من تِرْمِذ في المُضَرِيَّة ، فاستولى على بَلْخ ورجع إليه عثمان والنَضْر فهربوا من ليلتهم ولم يعن النَضْر في طَلَبهم وقاتلهم عثمان ناحية عنه فانهزم ، ورجع أبو داود إلى بَلْخ وسار أبو مسلم إلى نيسابور ومعه علي بن الكرماني وقد اتفق مع أبي داود على قتال إبني الكرماني فقتل أبو داود عثمان في بَلْخ وقتل أبو مسلم عليًّا في طريقه إلى نيسابور .

* (مسير قحطبة للفتح) *

وفي سنة ثلاثين قدم قَحْطَبَة بن شبيب على أبي مسلم من عند الإمام إبراهيم وقد عقد له لواء على محاربة العدوّ فبعثه أبو مسلم في مقدمته وضمّ إليه العساكر وجعل إليه التولية والعزل ، وأمر الجنود بطاعته . وقد كان حين غلب على خراسان بعث العمّال على البلاد فبعث ساعي بن النُعمَان الأزدي على سَمَرْقَنْد وأبا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان ومحمد بن الأشعث الخُزَاعِي على طَبْسين وجعل مالك بن الهَيْثَم على شرطته . وبعث قَحْطَبَة الى طوس ومعه عدّة من القوّاد : أبو عَوْن عبد الملك بن يزيد وخالد بن بَرْمَك وعثمان بن نهيك ، وحازم بن خُزَيْمة وغيرهم فهزم أهل طوس وأفحش في قتلهم ، ثم بعث أبو مسلم القَاسِمَ بن مُجَاشِع إلى نَيْسَابور على طريق الحَجَّة ، وكتب إلى قَحْطَبَة بقتال تميم ابن نصر بالسوْدَقَان ،

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٨٤ : نهر السرجنان .

ومعه الثاني بن سُوَيْد وأصحاب شيبان ، وأمدّه بعشرة آلاف مع عليّ بن مَعْقِل فزحف إليهم ودعاهم بدعوته وقاتلهم ، فقتل تميم بن نصر وجماعة عظيمة من أصحابه ، يقال بلغوا ثلاثين ألفاً واستبيح معسكرهم وتحصّن الباقي بالمدينة فاقتحمها عليهم ، وخلّف خالد بن بَرْمَك على قبض الغنائم ، وسار إلى نيسابور فهرب منها نَصْرُ بن سَيّار الى قَومِس ثم تفرّق عنه أصحابه فسار إلى نباتَة بن حَنْظَلَة بجَرْجَان وكان يزيد بن هُبَيْرَة بعثه مدداً لنصر ، فأتى فارس وأصبهان ثم سار إلى الريّ ، ثم إلى جَرْجَان وقدم قحطبة نيسابور فأقام بها رَمَضَان وشَوّال وارتحل إلى جرْجَان ، وجعل إبنه الحسن على مقدمته وانتهى إلى جرجان وأهل الشام بها مع نَبَاتَة فهابهم أهل خراسان فخطبهم قُحْطُبَة وأخبرهم أنّ الإمام أخبره أنهم يلقوته مثل هذه العدد فينصرونه عليهم . ثم تقدّم للقتال وعلى ميمنته ابنه الحسن فانهزم أهل الشام وقتل نَبَاتَةَ في عشرة آلاف منهم وبعث برأسه إلى أبي مسلم ، وذلك في ذي الحجة من السنة وملك قُحْطُبَة جَرْجَان . ثم بلغه أنّ أهل جَرْجَان يرومون الخروج عليه فاستعرضهم وقتل منهم نحواً من ثلاثين ألفاً وسار نَصْر من قَوْمِس إلى خُوَار الري وعليها أبو بكر العَقِيليّ وكتب إلى ابن هُبَيْرَة بواسِط يستمدّه فحبس رسله . فكتب مروان إلى ابن هُبَيْرَة فجهزْ ابن هُبَيْرَة جيشاً كثيفاً إلى نصر وعليهم ابن عطيف .

* (هلاك نصر بن سَيار) *

ثم بعث قحطبة ابنه الحسن إلى محاصرة نَصْر في خُوار الري في محرّم سنة إحدى وثلاثين ، وبعث إليه المدد مع أبي كامل وأبي القاسم مُحْرِز بن إبراهيم وأبي العبّاس المَرْوَزِيّ . ولما تقاربوا نزع أبو كامل إلى نَصْر فكان معه وهرب جُنْد قُحْطُبَة وأصحاب نصر أصابهم شيء من متاعهم فبعثه نصر إلى ابن هُبَيْرَة فاعترضه ابن عطيف بالري فأخذه فغاضبه نصر فأقام ابن عطيف بالري وسار نصر إلى الري وعليها حبيب بن يزيد النَهْشَلِيّ . فلما قدمها سار ابن عطيف إلى هَمْذَان وكان فيها مالك ابن أدهَم بن مُحْرِز البَاهِلِي ، فعدل ابن عطيف عنها إلى أصْبَهَان وبها عامر بن

ضُبَارَة ، وقدم نصر الري فأقام بها يومين ومرض وارتحل . فلما بلغ نهاوة[1] مات لإثني عشر من ربيع الأوّل من اسنة ودخل أصحابه همذان .

استيلاء قحطبة على الريّ

ولما مات نصر بن سيّار بعث الحسن بن قحطبة خُزَيْمَة بن حَازِم إلى سَمْنَان وأقبل قحطبة من جَرْجَان وقدم زياد بن زُرَارَة القُشَيْري وقد كان قدم على طاعة أبي مسلم واعتزم على اللحاق بابن ضُبَارَة ، فبعث قُحْطُبَة في أثره المُسَيَّب بن زُهَيْر الضَبِيّ فهزمه ، وقتل عامة من مع ابن معاوية ورجع ، ولحق قُحْطُبَة ابنه الحسن إلى الريّ فخرج عنها حبيب بن يزيد النَهْشَلِيّ وأهل الشام ، ودخلها الحسن في صفر ثم لحق به أبوه وكتب بالخبر إلى أبي مسلم . وقد أكثر أهل الريّ إلى بني أمية فأخذ أبو مسلم أملاكهم ولم يردّها عليهم إلا السفاح بعد حين فأقام قحطبة بالريّ وكتب أبو مسلم إلى أصْبَهْبَذ طَبَرَسْتَان بالطاعة واداء الخراج فأجاب ، وكتب إلى المَصْمَغَان صاحب دَنْبَاوَنْد وكبير الدَيْلَم بمثل ذلك فأفحش في الردّ . فكتب أبو مسلم إلى موسى بن كعب أن يسير إليه من الري فسار ولم يتمكن منه لضيق بلاده وكان الدَيْلَم يقاتلونه كل يوم ، فكثر فيهم الجراح والقتل ، ومنعهم الميرة فأصابهم الجوع فرجع موسى إلى الري ولم يزل المَصْمَغَان مُتَمَنِّعاً إلى أيام المنصور فأغزاه حمّاد بن عمر في جيش كثيف ، ففتح دَنْبَاوَنْد . ولما ورد كتاب قُحْطُبَة على أبي مسلم ارتحل عن مَرْو ونزل نيسابور ثم سير قُحْطُبَة إبنه الحسن بعد نزوله الريّ بثلاث ليالٍ ، فسار عنها مالك بن أدْهَم وأهل الشام وخراسان إلى نَهَاوَنْد ونزل على أربعة فراسخ من المدينة ، وأمدّه قُحْطُبَة بأبي الجَهْم بن عَطِيّة مولى باهِلَة في سبعمائة وأقام محاصراً لها .

استيلاء قحطبة على اصبهان ومقتل ابن ضبارة وفتح نهاوند وشهرزور

قد تقدّم لنا أنّ ابن هُبَيْرَة بعث إبنه داود يزيد لقتال عبدالله بن معاوية باصْطَخْر ،

(١) وفي نسخة أخرى نهاوند . وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٩٦ : « فلما بلغ ساوة مات » .

وبعث معه عَامِر بن ضُبَارة فهزموه واتبعوه إلى كرمان سنة تسع وعشرين ، فلما بلغ ابن هُبَيْرَة مقتل نَبَاتَة بجَرْجَان سنة ثلاثين ، كتب إلى إبنه داود ضُبَارة بالمسير إلى قَحْطُبَة فسار من كرمان في خمسين ألفاً ونزلوا أصبهان وبعث إليهم قحطبة جماعة من القوّاد عليهم مُقَاتِل بن حَكِيم الكَعْبِيّ فنزلوا قُمّ وسار قحطبة إلى نَهَاوَنْد مدداً لولده الحسن الذي حاصرهم فبعث مُقَاتِلاً بذلك قحطبة ، فسار حتى لحقه ، وزحفوا للقاء داود ابن ضُبَارَة وهم في مائة ألف وقحطبة في عشرين ألفاً . وحمل قحطبة وأصحابه فانهزم ابن ضُبَارَة وقتل واحتووا على ما كان في معسكرهم مما لا يعبّر عنه من الأصناف وذلك في رجب . وطيّر قحطبة بالخبر إلى إبنه الحسن وسار إلى أصبهان فأقام بها عشرين ليلة ، وقدم على إبنه فحاصروا نَهَاوَنْد ثلاثة أشهر إلى آخر شوّال ، ونصبوا عليهم المجانيق وبعث بالأمان إلى من كان في نهاوند من أهل خراسان فلم يقبلوا ، فبعث إلى أهل الشام فقالوا أشغل عنا أهل المدينة بالقتال نفتح لك المدينة من ناحيتنا ، ففعلوا ، وخرجوا إليه جميعاً فقتلوا أهل خراسان فيهم أبو كامل وحاتم بن شُرَيْح وابن نَصْر بن سيّار وعاصِم بن عُمَيْر وعليّ بن عَقِيل وبَيْهَس . وكان قحطبة لما جاء إلى نهاوند بعث إبنه الحسن إلى جهات حُلْوَان وعليها عبدالله بن العلاء الكِنْدِيّ فتركها وهرب . ثم بعث قحطبة عبد الملك بن يزيد ومالك بن طرا في أربعة آلاف إلى شَهْرَزُور وبها عثمان بن سُفْيَان على مقدمته عبدالله بن محمد فقاتلوا عثمان آخر ذي الحجة فانهزم وقتل . وملك أبو عَوْن بلاد الموصل . وقيل إنّ عثمان هرب إلى عبدالله بن مَرْوَان وغنم أبو عَوْن عسكره وقتل أصحابه ، وبعث إليه قحطبة بالمدد وكان مروان بن محمد بِحَرّان فسار في أهل الشام والجزيرة والموصل ونزل الزاب الأكبر وأتوا شَهْرَزور إلى المحرّم سنة إثنتين وثلاثين .

حرب سفاح بن هبيرة مع قحطبة ومقتلها وفتح الكوفة

ولما قدم على يزيد بن هُبَيْرَة إبنه داود منهزماً من حُلْوَان خرج يزيد للقاء قحطبة في مدد لا يحصى ، وكان مروان أمدّه بحَوْثَرَة بن سُهَيْل الباهِلِيّ ، فسار معه حتى نزل حُلْوَان واحتفر الخندق الذي كانت فارس احتفرته أيام الواقعة . وأقام وأقبل

قحطبة إلى حُلْوَان ثم عبر دجلة إلى الأنبار فرجع ابن هُبَيْرَة مبادراً إلى الكوفة وقدم إليها حَوْثَرَة في خمسة عشر ألفاً وعبر قحطبة الفرات من الأنبار لثمانٍ من المحرّم سنة إثنتين وثلاثين ، وابن هُبَيْرَة معسكر على فم الفرات وعلى ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة ، ومعه حَوْثَرَة وفَلٌّ ابن ضُبَارَة . وأشار عليه أصحابه أن يدع الكوفة ويقصد هو خراسان فيتبعه قحطبة فأبى إلا البدار إلى الكوفة ، وعبر إليها دجلة من المدائن ، وعلى مقدمته حَوْثَرَة والفريقان يسيران على جانب الفرات . وقال قحطبة لأصحابه إنّ الإمام أخبرني بأنّ وقعة تكون بهذا المكان والنصر لنا ، ثم دلّوه على مخاضة فعبر منها ، وقاتل حَوْثَرَة وابن نَبَاتَة فانهزم أهل الشام ، وفعد قحطبة وشهد مُقَاتِلُ العِلِّي بأنّ قحطبة عهد لإبنه الحسن بعده ، فبايع جميع الناس لأخيه الحسن ، وكان في سرية فبعثوا عنه وولّوه ووجد قحطبة في جدول هو وحرب بن كَمّ ابن أحْوَز وقيل : إنّ قحطبة لما عبر الفرات وقاتل ضربه مَعْنُ بن زَائِدَة فسقط وأوصى إذا مات أن يلقى في الماء . ثم انهزم ابن نَبَاتَة وأهل الشام ومات قُحْطُبَة وأوصى بأمر الشيعة إلى أبي مَسْلَمَة الخَلاّل بالكوفة وزير آل محمد . ولما انهزم ابن نَبَاتَة وحَوْثَرَة لحقوا بابن هُبَيْرَة فانهزم إلى واسط واستولى الحسن ابن قحطبة على ما في معسكرهم . وبلغ الخبر إلى الكوفة فثار بها محمد بن خالد القِسْرِي بدعوة الشيعة خرج ليلة عاشوراء وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثيّ وعلى شرطته عبد الرحمن بن بشير العِجْلي وسار إلى[1] فهرب زياد ومن معه من أهل الشام ودخل القصر ورجع إليه حَوْثَرَة[2] وعن محمد عامة من معه ولزم القصر . ثم جاء قوم من بَجِيلَة من أصحاب حَوْثَرَة فدخلوا في الدعوة ثم آخرون من كِنَانَة ، ثم آخرون من نجدل[3] فارتحل حوثرة نحوه[4] وكتب محمد إلى قحطبة

(١) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٤٠٥ : «وسار محمد الى القصر ، فارتحل زياد ومن معه من أهل الشام ، ودخل محمد القصر.»

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٤٠٥ : وسمع حوثرة الخبر فسار نحو الكوفة فتفرّق عنه محمد عامة مَنْ معه .»

(٣) وفي نسخة أخرى بجدل وفي الكامل ج ٥ ص ٤٠٥ : من آل بَحْدَلْ .

(٤) لبياض بالاصل وفي الكامل ج ٥ ص ٤٠٥ : «ثم جاءت خيل اعظم منها مع رجل من آل بحدل فلما رأى ذلك حوثرة من صنع اصحابه ارتحل نحو واسط بمن معه .»

وهو لم يعلم بهلاكه فقرأه الحسن على الناس وارتحل نحو الكوفة فصبحها الرابعة من مسيرة وقيل إنّ الحسن بن قحطبة سار إلى الكوفة بعد قتل ابن هُـبَيْـرَة وعليها عبد الرحمن بن بشير العِجْلِي فهرب عنها وسبق محمد بن خالد وخرج في احد عشر رجلاً فلقي الحسن ودخل معه وأتوا إلى أبي مَسْلَـمَـة فاستخرجوه من بني مسلمة وعسكر بالنُـخَيْـلَة ، ثم نزل حمام أعْيُن . وبعث الحسن بن قُـحْـطُـبَـة إلى وَاسِط لقتال ابن هُـبَيْرَة وبايع الناس أبا مَسْلَـمَـة حَـفْص ابن سليمان الخَـلَاّل وزير آل محمد واستعمل محمد بن خالد القِسْرِي على الكوفة وكان يسمّى الأمير ، حتى ظهر أبو العبّاس السفّاح وبعث حميد بن قحطبة إلى المدائن في قواد والمُسَيَّب بن هُـبَيْـرَة وخالد بن مرمل[1] ، إلى دير فناء وشراحيل إلى عير[2] وبسّام بن ابراهيم بن بسّام إلى الأهواز ، وبها عبد الرحمن بن عمر بن هُـبَيْـرَة فقاتله بسّام وانهزم إلى البصرة وعليها مُسْلِم بن قُـتَـيْـبَـة البَاهِـلِيّ عاملاً لأخيه . وبعث بسّام في أثره سُفْـيَـان ابن معاوية بن يزيد بن المهلّب والياً على البصرة ، فجمع سالمٌ قيساً ومُضَر وبني أمية وجاء قائد من قواد ابن هُـبَيْـرَة في ألفي رجل ، وجمع سُـفْـيَـان اليمانيّـة وحلفاءهم من ربيعة واقتتلوا في صفر . وقتل ابن سُـفْـيَـان واسمه معاوية فانهزم لذلك . ثم جاء إلى سالم أربعة آلاف مدداً من عند مروان فقاتل الأزد واستباحهم ولم يزل بالبصرة حتى قتل ابن هُـبَيْـرَة فهرب عنها واجتمع وُلْد الحرث بن عبد المطّلب إلى محمد بن جعفر فولّوه أياماً حتى قدم أبو مالك عبدالله بن أسيد الخُـزَاعي من قبل أبي مسلم . فلما بويع أبو العباس السفّاح ولاّها سُـفْـيَـان بن معاوية .

* (بيعة السفاح) *

قد كنا قدمنا خبر الدعاة وقبض مروان على إبراهيم بن محمد وأنه حبسه بحرّان وكان نعى نفسه إلى أهل بيته وأمرهم باللحاق بالكوفة وأوصى على أخيه أبي العبّاس عبدالله ابن الحرثية . فسار أبو العبّاس ومعه أهل بيته وفي إخوته أبو جعفر المنصور وعبد الوهاب ومحمد ابن أخيه إبراهيم وعيسى ابن أخيه موسى ومن أعمامه داود وعيسى وصالح

---

(١) هو خالد بن برمك .

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٤٠٦ : « وبعث المسيب بن زهير وخالد بن برمك الى دير مُـنّى ، وبعث المهلّبيّ وشراحيل الى عين التمر . »

وإسمعيل وعبدالله وعبد الصمد بنو علي بن عبدالله بن عبّاس ، وموسى ابن عمه داود ويحيى بن جعفر بن تمام بن العبّاس ، فقدموا الكوفة في صفر وأبو سَلَمَة والشيعة على حمام أعْيُن بظاهر الكوفة وأنزلهم أبو سَلَمَةَ دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني أَوْد ، وكتم أمرهم عن جميع القوّاد والشيعة أربعين ليلة ، وأراد فيما زعموا أن يحوّل الأمر إلى أبي طالب . وسأله أبو الجَهْم من الشيعة وغيره فيقول : لا تعجلوا ليس هذا وقته . ولقي أبو حميد محمد بن إبراهيم ذات يوم خادم إبراهيم الإمام وهو سابق الخَوَارِزْمِيّ فسأله عن الإمام فقال : قتل إبراهيم وأوصى إلى أخيه أبي العبّاس وها هو بالكوفة ومعه أهل بيته . فسأله في اللقاء فقال : حتى أستأذن وواعده من الغد في ذلك المكان ، وجاء أبو حميد إلى أبي الجَهْم فأخبره وكان في عسكر ابي سَلَمَة فقال له : تلطف في لقائهم . فجاء إلى موعد سابق ومضى معه ودخل عليهم فسأل عن الخليفة فقال داود ابن علي : هذا إمامكم وخليفتكم يشير إلى أبي العبّاس . فسلّم عليه بالخلافة وعزّاه بإبراهيم الإمام ، ورجع ومعه خادم من خدمهم إلى أبي الجَهْم فأخبره عن منزلهم وأنّ أبا العبّاس أرسل إلى أبي سَلَمَة أن يبعث إليه كِرَاء الرَوَاحِل التي جاؤا إليها ، فلم يبعث إليهم شيئاً فمشى أبو الجَهْم وأبو الحميد والخادم إلى موسى بن كَعْب وأخبروه بالأمر وبعثوا إلى الإمام مائتي دينار مع خادمه . واتفق رأي القوّاد على لقاء الإمام فنهض موسى بن كَعْب وأبو الجَهْم عبد الحميد بن رَبعي وسَلَمَة بن محمد وعبدالله الطائي واسحق بن إبراهيم وشراحيل وأبو حميد وعبدالله ابن بسّام ومحمد بن إبراهيم ومحمد بن حُصَيْن وسليمان بن الأسود فدخلوا على أبي العبّاس فسلّموا عليه بالخلافة وعزّوه في ابراهيم . ورجع موسى بن كَعب وأبو الجَهْم وخلفوا الباقين عند الإمام وأوصوهم إن جاء أبو سَلَمَة لا يدخلنّ إلاّ وحده وبلغه الخبر فجاء ودخل وحده كما حدوا له وسلم على أبي العباس بالخلافة وأمره بالعود إلى معسكره وأصبح الناس يوم الجمعة لإثنتي عشرة خلت من ربيع الأوّل فلبسوا الصُفَاح واصطفّوا للخروج إلى أبي العبّاس وأتوه بالدواب له ولمن معه من أهل بيته ، وأركبوهم إلى دار الإمارة . ثم رجع إلى المسجد فخطب وصلى بالناس وبايعوه ثم صعد المنبر ثانية فقام في أعلاه وصعد عمه داود فقام دونه وخطب خطبته البليغة المشهورة وذكر حقهم في الأمر وميراثهم له ، وزاد الناس في أعطياتهم ، وكان موعوكاً فاشتد عليه الوعك فحبس على المنبر وقام عمّه داود على أعلى المراقي فخطب

مثله وذمّ سيرة بني أمية وعاهد الناس على إقامته الكتاب والسُّنّة وسيرة النبي . ثم اعتذر عن عود السفّاح بعد الصلاة إلى المنبر وأنه أراد أن لا يخلط كلام الجمعة بغيرها ، وإنما قطعه عن إتمام الكلام شدّة الوعك فأدعوا الله له بالعافية . ثم بالغ في ذم مَرْوَان وشكر شيعتهم من أهل خراسان وأنّ الكوفة منزلهم لا يتخلون عنها وأنه ما صعد هذا المنبر خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلا عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وأمير المؤمنين عبدالله بن محمد وأشار إلى السفّاح وأنّ هذا الأمر فينا ليس بخارج عنّا حتى نسلمه لعيسى بن مريم . ثم نزل أبو العبّاس وداود أمامه حتى دخل القصر وأجلس أخاه أبا جعفر في المسجد يأخذ البيعة على الناس حتى جنّ الليل . وخرج أبو العبّاس إلى عسكر أبي سَلَمَة ونزل معه في حجرته بينهما ستر . وحاجب السفّاح يومئذ عبدالله بن بسّام واستخلف على الكوفة عمه داود وبعث عمه عبدالله إلى أبي عَوْن بن يزيد بشَهْرَزُور وبعث ابن أخيه موسى إلى الحسن ابن قُحْطُبَة وهو يحاصر ابن هُبَيْرَة بوَاسِط وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العبّاس إلى أحمد ابن قُحْطُبَة بالمدائن وبعث أبا اليَقْظَان عثمان بن عُرْوَة بن محمد بن عمار بن ياسرإلى بسّام إبراهيم بن بسّام بالأهوَاز ، وبعث سَلَمَة بن عمر بن عثمان بن مالك ابن الطوّاف وأقام السفّاح بالعسكر شهراً ثم ارتحل فنزل قصر الإمارة من المدينة الهاشمية . وقد قيل إنّ داود بن عليّ وابنه موسى لم يكونا بالشام عند مسير بني العبّاس إلى الكوفة وإنهما لقياهم بدَوْمَة الجَنْدَل فعرفا خبرهم وقال لهم داود : كيف تأتون الكوفة ومروان بن محمد في حَرّان في أهل الشام والجزيرة فطلّ على العراق ويزيد بن هُبَيْرَة بالعراق ؟ فقال : يا عم من أحب الحياء ذلّ فرجع داود وابنه معه .

* (مقتل ابراهيم بن الامام) *

قد تقدّم لنا أنّ مروان حبسه بحرّان وحبس سعيد بن هشام بن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان والعبّاس بن الوليد بن عبد الملك وعبدالله بن عمر بن عبد العزيز وأبا محمد السُّفْيَاني فهلك منهم في السجن من وباء وقع بحرّان : العبّاس بن الوليد وإبراهيم بن الإمام وعبدالله بن عمر . وخرج سعيد بن هشام ومن معه من المحبوسين بعد أن قتلوا صاحب السجن فقتلهم الغوغاء من أهل حرّان وكان فيمن قتلوه شراحيل بن مَسْلَمَة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر الثعلبي وبطريق أرمينية وإسمه كوشان

وتخلف أبو محمد السُفْيَاني في الحبس لم يستحلّ الخروج منه . ولما قدم مروان منهزماً منّ الزاب حل عنه فيمن بقي وقيل إنّ شراحيل بن مَسْلَمَة كان محبوساً مع إبراهيم وكانا يتزاوران ويتهاديان ، فدسّ في بعض الأيام إلى إبراهيم بن الإمام بلبن مسموم على لسان شراحيل فاستطلق بطنه . وقيل إنّ شراحيل قال : إنا لله وإنا إليه راجعون احتيل والله عليه ، وأصبح ميتاً من ليلته .

* (هزيمة مروان بالزاب ومقتله بمصر) *

قد ذكرنا أنّ قحطبة أرسل أبا عَوْن عبد الملك بن يزيد الأزدى إلى شَهْرَزُور فقتل عثمان بن سُفْيَان وأقام بناحية الموصل وأنّ مروان بن محمد سار إليه من حرّان في مائة وعشرين ألفاً وسار أبو عون إلى الزاب ووجه أبو سَلَمَة عُيَيْنَة بن موسى والمِنْهَال بن قَبَّان[1] واسحق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف مدداً له . فلما بويع أبو العباس وبعث مَسْلَمَة بن محمد في ألفين وعبدالله الطائيّ في ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن رَبْعي الطائي في ألفين ودراس بن فضلة[2] في خمسمائة كلهم مدداً لأبي عَوْن ، ثم ندب أهل بيته إلى المسير إلى أبي عَوْن ، فانتدب عبدالله بن عليّ فسار وقدم على أبي عَوْن فتحوّل له عن سرادقه بما فيه ثم أمر عُيَيْنَة بن موسى بخمسة آلاف تعبر النهر من الزاب أوّل جمادى الأخير سنة إثنتين وثلاثين وقاتل عساكر مروان إلى المساء ورجع ففقد مروان الجسر من الغد وقدم ابنه عبدالله وعبر فبعث عبدالله بن عليّ المخارق بن غفّار في أربعة نحو عبدالله بن مروان فسرّح ابن مروان الوليد بن معاوية بن مروان بن الحَكَم ، فانهزم أصحاب المُخَارِق وأسر هو وجيء به إلى مروان مع رؤوس القتلى ، فقال : أنت المخارق ؟ قال : لا . قال : فتعرفه في هذه الرؤوس ؟ قال : نعم . قال : هوذا فخلّى سبيله وقيل بل أنكر أن يكون في الرؤوس فخلّى سبيله وعاجلهم عبدالله بن عليّ بالحرب قبل أن يفشوا الخبر وعلى ميمنته أبو عَوْن وعلى ميسرته الوليد بن مُعَاوِيَة وكان عسكره نحواً من عشرين ألفاً ، وقيل إثني عشر وأرسل مروان إليه في الموادعة فأبى وحمل الوليد بن معاوية بن مروان

(١) المنهال بن فتّال : ابن الاثير ج ٥ ص ٤١٦ .
(٢) وداس بن نضلة : ابن الاثير ج ٥ ص ٤١٦ .

وهو صهر مروان على إبنته ، فقاتل أبا عَوْن حتى انهزم إلى عبدالله بن علي فأمر الناس فارتحلوا ومشى قدماً ينادي يا لتارات إبراهيم وبالأشعار يا محمد يا منصور . وأمر مروان القبائل بأن يحملوا فتخاذلوا واعتذروا حتى صاحب شرطته . ثم ظهر له الخلل فأباح الأموال للناس على أن يقاتلوا فأخذوها من غير قتال . فبعث ابنه عبدالله يصدّهم عن ذلك فتبادروا بالفرار وانهزموا وقطع مروان الجسر وكان من غرق أكثر ممن قتل . وغرق إبراهيم بن الوليد المخلوع وقيل بل قتله عبدالله بن علي بالشام وممن قتل يحيى بن علي ابن هشام وكان ذلك في جمادى الأخيرة سنة إثنتين وثلاثين ، وأقام عبدالله في عسكره سبعة أيام واجتاز عسكر مروان بما فيه وكتب بالفتح إلى أبي العبّاس السفّاح ، وسار مروان منهزماً إلى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمر التَغْلَبي وابن خُزَيْمَة الأسدي ، فقطعا الجسر ومنعاه العبور إليهم وقيل هذا أمير المؤمنين فتجاهلوا وقالوا أمير المؤمنين لا يفرّ . ثم أسمعوه الشتم والقبائح فسار إلى حرّان وبها أبان ابن أخيه ، وسار إلى حِمْص وجاء عبدالله إلى حرّان فلقيه أبو مسعود فأمنه ولقي الجزيرة . ولما بلغ مروان حِمْص أقام بها ثلاثاً وارتحل فاتبعه أهلها لينهبوه فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم ، وسار إلى دمشق وعليها الوليد ابن عمه فأوصاه بقتال عدوّه . وسار إلى فلسطين فنزل نهر أبي فُطْرُس وقد غلب على فلسطين الحَكَم بن ضَبْعَان الجُذَامي ، فأرسل إلى عبدالله ابن يزيد بن رَوْح بن زِنْبَاع الجُذَامِي فأجاره ، ثم سار عبدالله بن عليّ في أثره من حرّان بعد أن هدم الدار التي حبس فيها أخوه الإمام إبراهيم . وانتهى إلى قنج[1] فأطاعه أهلها وقدم عليه أخوه عبد الصمد بعثه السفاح مدداً في ثمانية آلاف وافترق قوّاد الشيعة على أبواب دمشق فحاصروها أياماً ثم دخلوها عنوة لخمس من رمضان واقتتلوا بها كثيراً وقتل عاملها الوليد بن معاوية وأقام عبدالله بدمشق خمس عشرة ليلة وارتحل يريد فلسطين فأجفل مروان إلى العريش ، وجاء عبدالله فنزل نهر أبي فُطْرُس ووصله هناك كتاب السفّاح بأن يبعث صالح بن عليّ في طلب مروان . فسار صالح في ذي القعدة وعلى مقدمته أبو عَوْن وعَامِر بن إسمعيل الحارثي فأجفل مروان إلى النيل ثم إلى الصعيد ونزل صالح الفسطاط وتقدّمت عساكره فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا منهم ودلوهم على مكانه ببوصير فسار إليه أبو عَوْن وبيته هنالك خوفاً من أن

---

(١) منبج : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٢٥ .

يفضحه الصبح فانهزم مروان وطعن فسقط في آخر ذي الحجة الحرام وقطع رأسه ، وبعث به طليعة أبي عون إليه . فبعثه إلى السفّاح وهرب عبدالله وعبيدالله إبنا مروان إلى أرض الحبشة وقاتلوهم فقتل عبيدالله ونجا عبدالله وبقي إلى أيام المهدي فأخذه عامل فلسطين وسجنه المهدي . وكان طليعة أبي عَوْن عامر بن إسمعيل الحارثي فوجد نساء مروان وبناته في كنيسة بوصير قد وكل بهنّ خادماً يقتلهنّ بعده بهنّ صالح ولما دخلن عليه سألنه في الإبقاء فلا مهنّ على قتالهم عند بني أمية . ثم عفا عنهنّ وحملهنّ إلى حرّان يبكين . وكان مروان يلقب بالحمار لحرنه في مواطن الحرب . وكان أعداؤه ويلقبونه الجُعْدِي نسبة إلى الجُعْد بن درهم كان يقول بخلق القرآن ويتزندق . وأمر هشام خالد القِسْري بقتله فقتله . ثم تتبعوا بني أميه بالقتل ودخل أسَدِيفُ[1] يوماً على السفّاح وعنده سلمان بن هشام وقد أمّنه والده فقال :

لا يغرّنك ما ترى من رِجَال * إنّ بين الضلوع داءً دَوِيّا
فَضَعِ السيفَ وارْفَعِ السَّوْطَ حتى * لا ترى فَوقَ ظَهرِهَا أَمَوِيّا

فأمر السفاح بسلمان فقتل . ودخل شبل بن عبدالله مولى بني هاشم على عبدالله بن علي وعنده ثمانون أو تسعون من بني أمية يأكلون على مائدته فقال :

أصْبحَ المُلْكُ في ثَبَاتِ الأسَاسِ * بالبَهَالِيلِ مِنْ بَني العَبّاسِ
طَلَبُوا أمْرَ هَاشِمٍ فَنعَوْنَا * بَعْدَ مَيْلٍ مِنَ الزمَانِ وَبَاسِ
لا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثَاراً * فَاقْطَعَنْ كلّ رِقْلَةٍ وَغِرَاسِ
فلنا أظْهَرَ التَوَدُّدُ مِنْهَا * وَبِهَا مِنْكُم كَحَزِّ المَوَاسي
فَلَقَدْ غَاضَنِي وَغَاضَ سِوَائي * قُرْبُهُمْ مِنْ نَمَارِقٍ وكَرَاسِي
* أنْزِلُوهَا بِحَيْثُ أنْزَلَهَا الله بِدَارِ الهَوَانِ والإتْعَاسِ
وَاذْكُرُوا مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وَزَيْداً * وَقَتيلاً بِجَانِبِ المِهْرَاسِ
وَالقَتِيلَ الذي بِحَرّانَ أَضْحَى * ثَاوِياً رَهْنَ غُرْبَةٍ وَنُعَاسِ

فأمر بهم عبدالله فشدخوا بالعُمُدِ ، وبسط من فوقهم الأنطاع فأكل الطعام عليهم وأنينهم يسمع حتى ماتوا ، وذلك بنهرابي فُطْرُس وكان فيمن قتل : محمد بن عبد الملك بن مروان والمُعِزُّ بن يزيد وعبد الواحد بن سلمان وسعيد بن عبد الملك وأبو

---

(١) سديف : ابن الاثيرج ٥ ص ٤٢٩ .

عبيـدة بن الوليـد بن عبـد الملك . وقيـل : إنّ إبراهيم المخلوع قتـل معهم ، وقيل إنّ أسديفاً هو الذي أنشد هذا الشعر للسفّاح وأنه الذي قتلهم . ثم قَتَلَ سُلَيْمَانُ بن علي بن عبدالله بن العبّاس بالبصرة جماعة من بني أمية فأمر بأشلائهم في الطرق فأكلتهم الكلاب ، وقيل إنّ عبدالله بن علي أمر بنبش قبور الخلفاء من بني أمية فلم يجدوا في القبور إلاّ شبه الرماد وخيطاً في قبر معاوية وجمجمة في قبر عبد الملك . وربّما وجد فيها بعض الأعضاء الاهشام بن عبد الملك فإنه وجد كما هو لم يُبْلَ ، فضربه بالسوط ثم صلبه وحرقه وذرّاه في الريح ، والله أعلم بصحّة ذلك . ثم تتبعوا بني أمية بالقتل فلم يفلت منهم إلا الرُضَعاء أو من هرب إلى الأنْدَلُسِ مثل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام وغيره ممن تبعه من قرابته كما يذكر في أخبارهم .

* (بقية الصوائف في الدولة الاموية) *

قد انتهينا بالصوائف إلى آخر أيام عمر بن عبد العزيز وفي سنة إثنتين ومائة أيام اليزيد غزا عمر بن هُبَيْرَة الروم من ناحية أرمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلي العراق ، فهزمهم وأسر منهم خلقاً وقتل منهم سبعمائة أسير . وغزا العبّاس بن الوليد الروم أيضا ففتحها لسنة . ثم غزا سنة ثلاث بعدها فافتتح مدينة رَسْلَة . ثم غزا الجرّاح الحَكَمِيّ أيام هشام سنة خمس فبلغ وراء بَلَنْجَر وغنم ، وغزا في هذه السنة سعيد بن عبد الملك أرض الروم وبعث ألف مقاتل في سرية فهلكوا جميعاً . وغزا فيها مروان بن محمد بالصائفة اليمنى ، ففتح مدينة قريبة من أرض الزَوْكَخِ . ثم غزا سعيد بن عبد الملك بالصائفة أيام هشام سنة ست . ثم غزا مَسْلَمَةَ بن عبد الملك الروم من الجزيرة وهو والٍ عليها ففتح قيسَارِيَّة . وغزا إبراهيم بن هشام ففتح حصناً[1] . وغزا معاوية بن هشام في البحر قُبْرُس ، وغزا سنة تسع ففتح حِصناً آخر يقال له طَبْسَة[2] . وغزا سنة عشر بالصائفة عبدالله بن عُقْبَة الفِهْرِيّ ، وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن خَديج . وغزا بالصائفة اليسرى سنة إحدى عشرة معاوية بن هشام وبالصائفة اليمنى سعيد بن هشام وفي البحر عبدالله بن أبي مَرْيَم . وافتتح معاوية في

(١) فتح حصناً من حصون الروم
(٢) طبية : ابن الاثيرج ٥ ص ١٤٥

صائفة ثلاث عشرة مدينة خَرْشَفَة[١] . وغزا سنة ثلاث عشرة عبدالله البطّال ، فانهزم فثبت عبد الوهّاب من أصحابه فقُتل . ودخل معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مَرْعش . ثم غزا سنة أربع عشرة بالصائفة اليسرى وأصحاب ربض أفرق[٢] . والتقى عبدالله البطّال مع قُسْطَنطِين ، فهزمه البطّال وأسره . وغزا سليمان بن هشام بالصائفة اليسرى[٣] فبلغ قِيساريّة ، وهزم مسلمة بن عبد الملك خاقان وباب الباب[٤] . وغزا معاوية بن هشام بالصائفة سنة خمس عشرة وغزا سفيان بن هشام بالصائفة اليسرى سنة سبع عشرة . وسليمان بن هشام بالصائفة اليمنى من ناحية الجزيرة ، وفرّق السَّرَايا في أرض الروم وبعث فيها مروان بن محمد من أرمينية[٥] فافتتحوا من أرض اللان آهلها أخذها قومانساه صلحاً ، وغزا معاوية وسليمان أيضاً أرض الروم سنة ثماني عشرة . وغزا فيها مروان بن محمد من أرمينة ودخل أرض وَارْقِيس[٦] ، فهرب وارقيس إلى الحرور[٧] ونازل حصنه فحاصره . وقتل وارقيس بعض من اجتاز به وبعث برأسه إلى مروان ونزل أهل الحصن على حكمه فقتل وسبى . وغزا سنة تسع عشرة مروان بن محمد من أرمينية ومرّ ببلاد اللاّن إلى بلاد الخَزَر على بَلَنجَر وسَمَنْدَر وانتهى إلى خاقان فهرب خاقان منه . وغزا سليمان بن هشام سنة عشرين بالصائفة فافتتح سَنْدَرَة وغزا إسحقُ بن مسلم العقيلي قومانساه[٨] وافتتح قلاعه وخرب أرضه . وغزا مروان من أرمينية سنة إحدى وعشرين وأفنى[٩] قلعة بيت السرير فقتل وسبى ، ثم قلعة أخرى كذلك ودخل عزسك[١٠] وهو حصن الملك فهرب منه الملك ودخل

---

(١) خرشنة : ابن الاثير ج ٥ ص ١٧١

(٢) العبارة غير واضحة وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٧٩ : «وفي هذه السنة (أي سنة اربع عشرة ومائة) غزا معاوية بن هشام بالصائفة اليسرى فأصاب ربض أقرف .»

(٣) بالصائفة اليمني «المرجع السابق» .

(٤) هزم خاقان وأحكم ما هناك وبنى الباب : ابن الاثير ج ١٧٩

(٥) بياض بالأصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ١٨٦ : «وفيها بعث مروان بن محمد وهو على أرمينية ، بعثين وافتتح احدهما حصوناً ثلاثة من اللاّن ، ونزل الآخر على تومانشاه فنزل أهلها على الصلح .»

(٦) أرض ورنيس : ابن الاثير ج ٥ ص ١٩٨

(٧) الخزر : ابن الاثير ج ٥ ص ١٩٨

(٨) وغزا اسحق بن سلم العقيلي تومانشاه : ابن الاثير ج ٥ ص ٢٢٨

(٩) لعلها اتى قلعة بيت السرير

(١٠) غوميك : ابن الاثير ج ٥ ص ٢٤٠

حصناً له يسمى جرج [1] فيه سرير الذهب فنازله مروان حتى صالحه على ألف فارس كل سنة ومائة ألف مدنى [2] ثم دخل أرض أرزق ونصران [3] فصالحه ملكها . ثم أرض تومان كذلك . ثم ارض حمدين [4] فأخرب بلاده وحصر حصنا له شهراً حتى صالحه ثم أرض مسداد [5] ففتحها على صلح ثم نزل كيلان [6] فصالحه أهل طبرستان وكيلان [7] وكل هذه الولايات على شاطىء البحر من أرمينية إلى طبرستان . وغزا مسلمة بن هشام الروم في هذه السنة فافتتح بها مطامير وفي سنة إثنتين وعشرين بعدها قتل البطّال وإسمه عبدالله بن الحسين الأنطاكي وكان كثير الغزو في بلاد الروم والإغارة عليهم . وقدّمه مسلمة على عشرة آلاف فارس فكان يغزو بلادِ الروم إلى أن قتل هذه السنة . وفي سنة أربعة وعشرين غزا سليمان بن هشام بالصائفة على عهد أبيه فلقي أليون ملك الروم فهزمه وغنم . وفي سنة خمسة وعشرين خرجت الروم إلى حصن زنطره [8] وكان افتتحه حبيب بن مسلمة الفِهْرِي وخزينة [9] الروم وبني بناء غير محكم فأخربوه ثانية أيام مروان . ثم بناه الرشيد وطرقه الروم أيام المأمون فشعبوه فأمر ببنائه وتحصينه ثم طرقوه أيام المعتصم وخبره معروف . وفي هذه السنة غزا الوليد بن يزيد بالصائفة أخاه العمر وبعث الأسود بن بلال المحاربي [10] بالجيش في البحر إلى قبرس ليجير أهلها بين الشام والروم فافترقوا فريقين ، وغزا أيام مروان سنة ثلاثين بالصائفة الوليد بن هشام ونزل العمق وبنى حصن مَرْعَش

---

(١) خيزج : ابن الاثيرج ٥ ص ٢٤٠

(٢) مُدْي : ابن الاثيرج ٥ ص ٢٤٠

(٣) ازر وبطران : ابن الاثيرج ٥ ص ٢٤٠

(٤) حمزين : ابن الاثيرج ٥ ص ٢٤٠

(٥) مداز : ابن الاثيرج ٥ ص ٢٤٠

(٦) كيران : ابن الاثيرج ٥ ص ٢٤٠

(٧) فصالحه أهل طبرسران وفيلان : المرجع السابق

(٨) زبطرة : ابن الاثيرج ٥ ص ٢٧٤

(٩) حسب مقتضى السياق : واضربته الروم

(١٠) اغزى الوليد اخاه الغمر بن يزيد وأمّر على جيوش البحر الأسود بن بلال المحاذيّ : ابن الاثير ج ٥ ص ٢٧٤ .

* (عمال بني أمية على النواحي) *

استعمل معاوية أوّل خلافته سنة أربعين عبدالله بن عمرو بن العاص على الكوفة ثم عزله واستعمل المغيرة بن شعبة على الصلاة واستعمل [1] على الخراج وكان على النقباء بها شُرَيْح وكان حمران بن أبان قد وثب على البصرة عندما صالح الحسن معاوية فبعث معاوية بشر بن أرطأة على البصرة وأمدّه فقتل أولاد زياد بن أبيه، وكان عاملاً على فارس لعليّ بن أبي طالب، فقدم البصرة وقد ذكرنا خبره مع بني زياد فيما قبل. ثم ولّى على البصرة عبدالله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس وضم إليه خراسان وسجستان فجعل على شرطته حبيب بن شهاب وعلى القضاء عُـمَيْرة بن تَـبْرى، وقد تقدّم لنا أخبار قيس في خراسان وكان عمرو بن العاص على مصر كما تقدّم، فولّى سنة إحدى وأربعين من قبله على أفريقية عُقْـبَة بن نافع بن عبد قيس، وهو ابن خالته فانتهى إلى لواتَةَ ومُزاتَةَ فأطاعوه ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى. ثم افتتح سنة إثنتين وأربعين بعدها غَذامِس وقتل وسبى وافتتح سنة ثلاثة وأربعين بعدها بلد ودّان وولّى معاوية بالمدينة سنة إثنتين وأربعين مروان بن الحكم فاستقضى عبدالله بن الحرث بن نوفل، وولّى معاوية على مكّة في هذه السنة خالد بن العاص ابن هشام، وكان على أرمينية حبيب بن مسلمة الفِهْريّ وولاه عليها معاوية ومات سنة إثنتين وأربعين فولى مكانه[2]

واستعمل ابن عامر في هذه السنة على ثغر الهند عبدالله بن سِوار العَبْدِي ويقال ولاّه معاوية وعزل ابن عامر في هذه السنة قيس بن الهيثم عن خراسان وولّىّ مكانه الحرث ابن عبدالله بن حازم. ثم عزل معاوية عبدالله بن عامر عن البصرة سنة أربع وأربعين وولّىّ مكانه الحرث بن عبدالله الأزدي، ثم عزله لأربعة أشهر وولّىّ أخاه زياداً سنة

(١) بياض بالاصل: يذكر ابن الاثير في كتاب الكامل ج ٣ ص ٤١٣ خبر تولية عمرو بن العاص الكوفة وعزله عنها بدسيسة المغيرة ثم تولية المغيرة الكوفة وعزله عن الخراج واستعماله على الصلاة فقط بتحذير من عمرو بن العاص. ولم يذكر ابن الاثير من تولى أمر الخراج. وكذلك الطبري لم يذكر خبر عزله عن الخراج ج ٦ ص ٩٨.

(٢) بياض بالاصل: وفي الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٤٢٥ خبر وفاة محمد بن مسلمه بالمدينة ولم يذكر من وَليَ مكانه. وكذلك الطبري لم يذكر وفاته ولا من تولى بعده أمر أرمينية.

خمس وأربعين ، فولىّ على خراسان الحكَم بن عمر الغِفَاريّ . وجعل معه على الخراج أسلم بن زرعة الكلابى . ثم مات الحكَم فولىّ خُلَيْد بن عبدالله الحَنَفيّ سنة سبعة وأربعين ثم ولّى على خراسان سنة ثمان بعدها غالب بن فُضَالة الليثيّ . وتولى عمرو بن العاص سنة تسعة وأربعين فولّى مكانه سعيد بن العاص . فعزل عبدالله بن الحرث عن القضاء واستقضى أبا سَلَمَة بن عبد الرحمن وفي سنة خمسين توفي المغيرة بن شعبة فضم الكوفة إلى أخيه زياد ، فجاء إليها واستخلف على البصرة سُمْرَة ابن جُنْدُب ، وكان يقسم السنة بين المصريين في الإقامة نصفاً بنصف وفي سنة خمسين هذه اقتطع معاوية أفريقية عن معاوية بن خديج بمصر وولىّ عُقْبَة بن نافع الفِهْرِيّ وكان مقيماً ببَرْقَة وَزُوَيْلَة من وقت فتحها أيام عمرو بن العاص ، فأمدّه بعشرة آلاف فسار إليها وانضاف إليه من أسلم من البربر ، ودوّخ البلاد وبنى بالقيروان ، وأنزل عساكر المسلمين ثم استعمل معاوية على مصر وأفريقية مولاه أبا المهاجر ، فاساء عزل عُقْبَة ، وجاء عقبة إلى الشام فاعتذر إليه معاوية ووعده بعمله ومات معاوية فولاّه يزيد سنة إثنتين وستين . وذكر الواقدي أن عُقْبَة ولي سنة إثنتين وستين واستعمل أبا المهاجر فَوَلِيَ الأمصار ، فحبس عُقْبَة وضيّق عليه وأمره يزيد بإطلاقه فوفد عُقْبَة فأعاده إلى عمله . فحبس أبا المهاجر وخرج غازياً وأثخن حتى قتله كُسَيْلَة كما يأتي في أخباره وفي سنة إحدى وخمسين ولّى زياد على خراسان الربيع بن زياد الحرث مكان خُلَيْد بن عبدالله الحنفي وفي سنة ثلاث وخمسين توفي زياد واستخلف على البصرة سُمْرَة بن جُنْدُب وعلى الكوفة عبدالله بن خالد بن أسيد . ثم ولىّ الضحاك بن قيس سنة خمس بعدها وفي هذه السنة مات الربيع بن زياد عامل خراسان قبل موت زياد واستخلفه ابنه عبدالله ومات لشهرين واستخلف خُلَيْد بن يربوع الحنفي وكان على صفا بَيْرُوز الدَّيْلَمِيّ من قبل معاوية فمات سنة ثلاث وخمسين وفي سنة أربع وخمسين عزل معاوية عن المدينة سعيد بن العاص وردّ إليها مروان بن الحكَم ثم عزله سنة سبعة وولىّ مكانه الوليد بن عُقْبَة بن أبي سفيان وعزل سنة تسعة وخمسين عن البصرة ابن جُنْدُب وولىّ مكانه عبدالله بن عمر بن غَـيْلان ، وولىّ على خراسان عبيدالله بن زياد ثم ولاّه سنة خمس بعدها على البصرة مكان بن غَـيْلان ثم ولىّ على خراسان سنة ستة وخمسين سعيد بن عثمان بن عفّان وفي سنة ثمانية وخمسين عزل معاوية عن الكوفة الضحّاك بن قيس واستعمل مكانه ابن أمّ الحكَمْ وهي

أخته ، وهو عبد الرحمن بن عثمان الثَّقَفي ، وطرده أهل الكوفة فولاّه مِصْر فردّه معاوية بن خَدِيج وولىّ مكانه على الكوفة سنة تسعة وخمسين النُعْمَان بن بشير وولىّ فيها على خراسان عبد الرحمن بن زياد فقدم إليها قيس بن الهَيْثَم السَلَميّ فحبس أسْلَم بن زُرْعَة فأغرمه ثلثمائة ألف درهم . ثم مات معاوية سنة ستين وولاته على النواحي من ذكرناه وعلى سجستان عبّاد بن زياد وعلى كَرْمان شَرِيك بن الأعور وعزل يزيد لأوّل ولايته الوليد بن عُقْبَة عن المدينة والحجاز وولاّها عمر بن سعيد الأشدق ثم عزله سنة إحدى وستين ، وردّ الوليد بن عُقْبَة وولىّ على خراسان سالم بن زياد ، فبعث سالم إليها الحرث بن معاوية الحرثي وبعث أخاه يزيد إلى سجستان وكان بها أخوهما عبّاد فخرج عنهما . وقاتل يزيد أهل كَابُل فهزموه ، فبعث مسلم على سجستان طَلْحَةَ الطَلْحَات ، وهو طَلْحَة بن عبدالله بن خَلَف الخُزَاعِيّ فبقي سنة ، وبعث سنة إثنتين وستين عُقْبَة بن نَافِع إلى أفريقية فحبس أبا المهاجر ، واستخلف على القيروان زُهَيْر بن قَيْس البَلَوِي كما نذكر في اخباره . وتوفي في هذه السنة مَسْلمة بن مُخَلِد الأنْصَاريّ أمير مصر . ثم هلك يزيد سنة أربع وستين واستخلف على أهل العراق عبيدالله بن زياد . وولىّ أهل البصرة عليهم عبدالله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطّلب ويلقب بَبَّة ، وهرب ابن زياد إلى الشام . وجاء إلى الكوفة عامر بن مسعود من قبل ابن الزبير وبلغه خلاف أهل الري وعليهم الفَرُّخَان فبعث عليهم محمد بن عُمَيْر بن عَطَارِد بن حَاجب فهزموه ، فبعث عتّاب بن وَرْقَاء فهزمهم . ثم بويع مروان وسار إلى مِصْر فملكها من يد عبد الرحمن بن حَجَّام القُرَشيّ داعية ابن الزبير وولىّ عليها عمر بن سعيد . ثم بعثه للقاء مُصْعَب بن الزبير لما بعثه أخوه عبدالله إلى الشام ، وولّى على مِصْر ابنه عبد العزيز فلم يزل عليها والياً إلى أن هلك لسنة خمسة وثمانين ، فولىّ عبد الملك عليها ابنه عبدالله بن عبد الملك . وخلع أهل خراسان بعد يزيد سالم بن زياد واستخلف المُهَلّب بن أبي صُفْرَة ، ثم ولىّ مسلم عبدالله بن حَازِم فاستبدّ بخراسان إلى حين . ثم خرج أهل الكوفة عُمَر بن حُرَيْث خليفة بن زياد وبايعوا لابن الزبير وقدم المختار بن أبي عبيد أميراً على الكوفة

من قبله بعد ستة أشهر من مهلك يزيد ،وامتنع شُرَيح من القضاء أيام الفتنة [١]

واستعمل ابن الزبير على المدينة أخاه مصعباً سنة خمس وستين مكان أخيه عبدالله وثار بنو تميم بخراسان على عبدالله بن حازِم فغلبه عليها بُكَيْر بن وَشّاح وغلب المُخْتَار على ابن مُطيع عامل ابن الزبير بالكوفة سنة ست وستين (ثم مات) مروان سنة خمس وستين وَوَلِيَ عبد الملك . وولىّ ابن الزبير أخاه مصعباً على البصرة وولىّ مكانه بالمدينة جابر بن الأسود بن عَوْف الزُهْرِيّ . ثم ملك عبد العزيز العراق سنة إحدى وسبعين واستعمل على البصرة خالد بن عبدالله بن أسد وعلى الكوفة أخاه بشْر بن مروان وكان على خراسان عبدالله بن حازم بدعوة ابن الزبير ، فقام بكَيْر بن وَشّاح التّميمي بدعوة عبد الملك وقتله . وولاّه عبد الملك خراسان . وكان على المدينة طلحة بن عبدالله بن عَوْف بدعوة ابن الزبير بعد جابر بن الأسود ، فبعث عبد الملك طارق بن عمر مولى عثمان فغلبه عليها . ثم قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين وانفرد عبد الملك بالخلافة وولىّ على الجزيرة وأرمينية أخاه محمداً . وعزل خالد بن عبدالله عن البصرة وضمّها إلى أخيه بِشْر فسار إليها واستخلف على الكوفة عمر بن حُرَيْث وولىّ على الحجاز واليمن واليمامة الحجّاج بن يوسف وبعثه من الكوفة لحرب ابن الزبير وعزل طارقاً عن المدينة وسار من جنده . وفي سنة أربع وسبعين استقضى أبا إدريس الخوْلاني وأمر بِشْر أخاه أن يبعث المُهلّب بن أبي صُفْرَة لحرب الأزارقة . وعزل عن خراسان بُكَيْر بن وشّاح وولىّ مكانه أمية بن عبدالله بن خالد بن أسَيْد فبعث أمية ابنه عبدالله على سجسْتان . وكان على أفريقية زُهَيْر بن قيْس البلوي فقتله البربر سنة تسع وستين . وشغل عبد الملك بفتنة ابن الزبير ، فلما فرغ منها بعث إلى أفريقية سنة أربع وسبعين حسّان بن النُعمَان القَيْسَاني في عساكر لم يرَ مثلها ، فأثخن فيها وافترقت جموع الروم

---

(١) بياض بالاصل : وفي الطبري ج ٧ ص ٦٦ : «وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير ، وكان عامله على المدينة فيها اخوه عبيدة بن الزبير وعلى الكوفة عبدالله بن يزيد الخطمي ، وعلى قضائها سعد بن نمران ، وابي شريح ان يقضي فيها . وقال فيما ذكر عنه : انا لا أقضي في الفتنة . وعلى البصرة عمر بن عبدالله الله بن معمر التيمي ، وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبدالله بن خازم» . وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ١٧٤ لم يذكر امتناع شريح من القضاء وانما يذكر توليه عبدالله بن يزيد الخطمي على الكوفة وعلى قضائها هشام بن هبيرة . وقد تولى القضاء بعد امتناع شريح عن القضاء في الكوفة أبا بردة بن أبي موسى كما سنعلم .

والبربر. وقتل الكاهنة كما يذكر في أخبار أفريقية ثم ولىّ عبد الملك سنة خمس وسبعين الحجّاج بن يوسف على العراق فقط، وولىّ على السِنْد سعيد بن أسْلَم بن زُرْعَة وقتل في حروبها، وكان أمر الخوارج وفي سنة ست وسبعين ولي على المدينة أبان ابن عثمان وكان على قضاء الكوفة شُرَيْح وعلى قضاء البَصْرة زُرَارَة بن أبي أوْفى بعد هشام بن هُبَيْرَة وعلى قضاء المدينة عبدالله بن قُشَيْر بن مَخْرَمَة. ثم كانت حروب الخوارج كما نذكر في أخبارهم. وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أميّة بن عبدالله عن خراسان وسجستان وضمّها إلى الحجّاج بن يوسف، فبعث الحجّاج على خراسان المُهلّب بن أبي صُفْرة وعلى سجسْتَان عبدالله بن أبي بِكَرة وولىّ على قضاء البصرة موسى بن أنس واستعفى شُرَيْح بن الحرث من القضاء بالكوفة فولىّ مكانه أبا بردة بن أبي موسى ثم ولى على قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة وخرج عبد الرحمن بن الأشعث فملك سجستان وكِرْمان وفَارس والبَصْرَة ثم قتل ورجعت إلى حالها، وذلك سنة إحدى وثمانين. وفي سنة إثنتين وثمانين مات المُهَلّب بن أبي صُفْرة واستخلف ابنه يزيد على خراسان فأقرّه الحجّاج. وفي هذه السنة عزل عبد الملك. أبان بن عثمان عن المدينة وولىّ مكانه هشام بن إسمعيل المَخْزُومي فعزل هشام نوفل ابن مُسَاحِق عن القضاء وولىّ مكانه عمر بن خالد الزرقي. وبنى الحجّاج مدينة واسِط. وفي سنة خمس وثمانين عزل الحجّاج يزيد بن المُهَلّبْ عن خراسان وولىّ مكانه هشَام أخاه المُفَضّل قليلاً ثم ولى قُتَيْبَة بن مَسْلِم وتوفي عبد الملك. وعزل الوليد لأوّل ولايته هشام بن اسمعيل عن المدينة وولىّ مكانه عمر بن عبد العزيز فولىّ على القضاء أبا بَكْر بن عمر بن حَزْم وولىّ الحجّاج على البصرة الجرّاح بن عبدالله الحَكَمِيّ وولىّ على قضائها عبدالله بن أذينة وعلى قضاء الكوفة أبا بكر بن أبي موسى الأشعري. وفي سنة تسع وثمانين ولىّ الوليد على مكّة خالد بن عبدالله القِسْريّ وكان على ثغر السِنْد محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عَقيل الثَقَفي وهو ابن عمّ الحجاج. ففتح السِنْد وقتل ملكه، وكان على مِصْر عبدالله بن عبد الملك ولاّه عليها أبوه فقل ملكها. فعزله الوليد في هذه السنة وولىّ مكانه قُرّة بن شَريك، وعزل خالداً عن الحجاز وولىّ عمر بن عبد العزيز. وفي سنة إحدى وتسعين عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأرمينية وولىّ مكانه أخاه مسْلمَةَ بن عبد الملك وكان على طنْدَة في قاصية المغرب طارق بن زياد عاملاً لمولاه موسى بن نُصَيْر

عامل الوليد بالقَيْرَوَان فأجاز البلاد والبحر إلى بلاد الأندلس وافتتحها سنة إثنتين وتسعين كما يذكر في أخبارها ، وفي سنة ثلاث وتسعين عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز وولّى مكانه خالد بن عبدالله على مكّة وعثمان بن حيّان على المدينة . ومات الحجّاج سنة خمس وتسعين ثم مات الوليد سنة ست وتسعين وفيها قتل قُتَيْبَة بن مسلم لانتقاضه على سليمان وولاّها سليمان يزيد بن المُهَلّب وفيها مات قرّة بن شريك[1]

وكان على المدينة أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم وعلى مكّة عبد العزيز بن عبدالله ابن خالد بن أسيْد وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن موسى وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذيْنَة وفي سنة سبع وتسعين عزل سليمان بن موسى بن نصير[2] عن أفريقية وولّى مكانه محمد بن يزيد القُرَشيّ حتى مات سليمان فعُزل واستعمل عمر مكانه إسمعيل بن عبدالله[3] وفي سنة ثمان وتسعين كان فتح طبرستان وجرّجَان أيام سليمان بن عبد الملك على يد يزيد ابن المُهَلّب وفي سنة تسع وتسعين استعمل عمر ابن عبد العزيز على البصرة عَدِي بن أرطَاة الفَزَارِيّ ، وأمره بإبقاء يزيد بن المُهَلّب موثوقاً فولّى على القضاء الحسن بن أبي الحسن البصري ثم أياس بن معاوية وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطّاب . وولّى على المدينة عبد العزيز بن أرْطَاة وولّي على خراسان الجرّاح بن عبدالله الحكمي . ثم عُزلَ سنة مائة وولّى عبد الرحمن بن نُعَيْم القُرَشي وولّى على الجزيرة عمر بن هُبَيْرَة الفِزاري ، وعلى أفريقية إسمعيل بن عبدالله مولى بني مخزوم وعلى الأندلس السَمْح بن مالك الخَوْلاني . ثم في سنة إحدى ومائة عزل إسمعيل عن أفريقية وولاّها يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج ، فلم يزل عليها إلى أن قتل . وفي سنة إثنتين ومائة وليَ يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة على العراق وخراسان فولّى على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث ابن الحكَم بن أبي العاص بن أميّة ويقال له سعيد خُذَيْنَة . ثم استحيا من مسْلمة في أمر الجرّاح فعزله وولّى مكانه ابن يزيد بن هُبَيْرَة ، فجعل على قضاء الكوفة القاسم

(١) بياض بالأصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٢٠ : « وفي هذه السنة (٩٦) مات قرّة بن شريك العَبْسي أمير مصر في صفر ، وقيل مات سنة خمس وتسعين في الشهر الذي مات فيه الحجّاج » .

(٢) العبارة غير صحيحة . وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٢٣ : « وفيها عزل سليمان بن عبد الملك عبدالله بن موسى بن نصير عن أفريقية واستعمل عليها محمد بن يزيد القرشي » .

(٣) اسماعيل بن عبيدالله : ابن الاثير (المرجع السابق) .

ابن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى . وكان على مِصْر أسَامَة بن زيد ، وليها بعد قُرَّة بن شَرِيك وولّى ابن هُبَيْرَة على خراسان سعيداً الحُرَيْشِيّ مكان حُذَيْفَة . وفي سنة ثلاث ومائة جمع يزيد مكّة والمدينة لعبد الرحمن بن الضحّاك ، وعزل عبد العزيز بن عبدالله بن خالد عن مكّة وعن الطائف وولّى مكانه على الطائف عبد الواحد بن عبدالله البَصْري . وفي سنة أربع ومائة ولّى يزيد على أرمينية الجرّاح بن عبدالله الحكَمي وعزل عبد الرحمن بن الضحّاك عن مكّة والمدينة لثلاث سنين من ولايته ، وولّى عليهما مكانه عبد الواحد النصري[1] وعزل ابن هُبَيْرَة سعيد الحُرَيْشي عن خراسان وولّى عليها مسلم بن سعيد ابن أسلم بن زُرْعَة الكِلابي ، وولّى على قضاء الكوفة الحُسَيْن بن حُسَيْن الكِنْدِي . ومات يزيد بن عبد الملك سنة خمس ووَلِيَ هشام فعزل ابن هُبَيْرَة عن العراق وولّى مكانه خالد بن عبدالله القِسْري ، واستعمل خالد على خراسان أخاه أسداً سنة سبع ومائة . وعزل مسلم بن سعيد وولّى على البصرة عُقْبَة بن عبد الأعلى ، وعلى قَضَائِها ثُمَامَة بن عبدالله بن أنَس . وولّى على السِند الجُنَيْد بن عبد الرحمن . واستعمل هشام على الموصل الحُرّ بن يوسف ، وعزل عبد الواحد النصري عن الحجاز ، وولّى مكانه إبراهيم بن هشام بن إسمعيل المخْزومي ، واستقضى بالمدينة محمد بن صَفْوَان الجُمَحيّ ، ثم عزله واستقضى الصَّلْتَ الكِنْدي . وعزل الجرّاح بن عبدالله عن أرمينية وأذربيجان وولّى مكانه أخاه مسْلَمَة ، فولّى عليها الحرث ابن عمر الطائي . وكان على اليمن سنة ثمان يوسف بن عمر ، وفي سنة تسع عزل خالد أخاه أسداً عن خراسان وولّى هشام عليها أشرس بن عبدالله السَلَمي ، وأمره أن يكاتب خالداً بعد أن كان خالد ولّى الحكم بن عَوَانَة الكَلْبي مكان أخيه ، فلم يقرّ فعزله هشام . ومات في سنة تسع عامل القَيْرَوَان بِشْر بن صَفْوَان ، فولى هشام مكانه عُبَيْدة بن عبد الرحمن بن الأغرّ السَلَمي فعزل عُبَيْدة يحيى بن سلمَة الكَلْبي عن الأندلس ، واستعمل حُذَيْفَة بن الأحْوص الأشْجعّي . ثم عُزِل لستة أشهر ووليها عثمان بن أبي نَسْعَة الخَثْعَمِي وفي سنة عشر ومائة جمع خالد الصلاة والأحداث والشُرط والقضاء بالبصرة لبلال بن أبي بُرْدَة وعزل ثمامة عن القضاء . وفي سنة إحدى عشرة عزل هشام عن خراسان أشْرَس بن عبدالله وولّى مكانه الجُنَيْد بن عبد الرحمن بن الحرث بن خارجة بن

---

(١) وفي نسخة اخرى : البصري وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ١١٣ : النضريّ .

سِنَان بن أبي حارثة المرّي وولىّ على أرمينية الجرّاح بن عبدالله الحكمي وعزل مَسْلمة . وفيها عزل عُبَيْدَة بن عبد الرحمن عامل أفريقية وعثمان بن أبي تَسْعَة عن الأندلس ، وولىّ مكانه الهَيْثَم بن عُبَيْد الكِنَاني . وفي سنة إثنتي عشرة قتل الجرّاح بن عبدالله صاحب أرمينية قتله التركمان ، فولىّ هشام مكانه سعيدا الحُرَيشِي . ومات الهيثم عامل الأندلس وولّوا على أنفسهم مكانه محمد بن عبدالله الأشْجَعي شهرين وبعده عبد الرحمن بن عبدالله الغافقيّ من قبيل ابن عبد الرحمن السَلَمي عامل أفريقية . وغزا إفرنجة فاستشهد ، فولىّ عبيدة مكانه عبد الملك بن قطن الفِهْري وعزل عبيدة عن أفريقية وولىّ مكانه عبيدالله بن الحجَاب ، وكان على مِصْر فسار إليها . وفي سنة أربع عشرة عزل هشام مسْلمة عن أرمينية وولّى مكانه مروان بن محمد بن مروان . وعزل ابراهيم بن هشام عن الحجاز وولىّ مكانه على المدينة خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم ، وعلى مكة والطائف محمد بن هشام المخْزوميّ . وفي سنة ست عشرة ومائة عزل هشام الجنَيْد بن عبد الرحمن المرّي عن خراسان وولىّ مكانه عاصم بن عبدالله بن يزيد الهلاليّ . وفيها استعمل عبدالله بن الحجَاب على الأندلس عُقبة بن الحجّاج القَيْسي مكان عبد الملك بن قَطَن ففتح خليتيه[1] وفي سنة سبع عشرة ومائة عزل هشام عاصم بن عبدالله عن خراسان وولىّ مكانه خالد بن عبدالله القِسْري فاستخلف خالد أخاه أسداً . وولىّ هشام على أفريقية والأندلس عبيدالله بن الحجاب وكان على مصر فسار اليها واستخلف على مِصْر ولده وولىّ على الأندلس عُقْبَة بن الحجّاج وعلى طَنْجَة ابنه إسْمَعِيل وبعث حبيب بن أبي عُبَيْدَة بن عُقْبَة بن نَافِع غازياً إلى المغرب ، فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان وفتح وغنم . وأغزاه إلى صِقِلّية سنة إثنتين وعشرين ومائة ففتح أكثرها ثم واستدعاه لفتنة مَيْسَرَة كما نذكره في أخبارهم وفي سنة ثمان عشرة عزل هشام عن المدينة خالد بن عبد الملك بن الحرث وولىّ مكانه محمد بن هشام بن إسمعيل . وفي سنة عشرين مات أسد بن عبدالله الخُراساني وولِيَ مكانه نَصْرُ بن سيّار . وعزل هشام خالد القِسْري عن جميع أعماله بالعراقين وخراسان وولىّ مكانه يوسف بن عمر الثقَفي

---

(١) وفيها استعمل عبدالله بن الحَجاب عطيّة بن الحجّاج القيسيّ على الأندلس فسار اليها ووليها في شوّال من هذه السنة وعزل عبد الملك بن قطن ، وكان له كلّ سنة غزاة ، وهو الذي افتتح جليقية والبتة وغيرهما . (ابن الأثير ج ٥ ص ١٨٥) .

استقدمه إليها من ولاية اليمن ، فأقرّ نصْرَ بن سيّار على خراسان ، وكان على قضاء الكوفة ابن شرمة [١] وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة وولّى يوسف بن عمر بن شرمة على سجستان واستقضى مكانه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى . وكان على قضاء البصرة أياس بن معاوية بن قُرّة فمات في هذه السنة وفي سنة ثلاث وعشرين قتل كلثوم بن عيّاض الذي حثه هشام لقتال البربر بالمغرب وتوفي عُقْبَة بن الحجّاج أمير الأندلس وقيل بل خلعوه ، وولّى مكانه عبد الملك بن قطَن ولايته الثانية كما يذكر . وفي سنة أربع وعشرين ظهر أمر أبي مسلم بخراسان . وتلقب بلخ [٢] على الأندلس ثم مات وكان سار إليها من فل كلثوم بن عيّاض لما قتله البربر بالمغرب وولّى هشام على الأندلس أبا الخطّار حسام بن ضِرَار الكلْبي فأمر حنظلة بن صَفْوَان أن يوليه فولاّه وكان ثعلبة بن خزامة سلامة الجرابي قد ولوه بعد بَلج فعزله أبو الخطار . وفي هذه السنة ولّى الوليد بن يزيد خالد بن يوسف بن محمد بن يوسف الثَّقَفِيّ على الحجاز فأسره ثم قتل الوليد سنة ست وعشرين فعزل يزيد عن العراق يوسف بن عمر وولّى مكانه منصور ابن جُمْهُور ، فبعث عامله على خراسان فامتنع نصْرُ بن سيّار من تسليم العمل له . ثم عزل يزيد منصور بن جُمْهُور وولّى مكانه على العراق عبدالله بن عمر ابن عبد العزيز ، وغلب حنْظَلَة على أفريقية عبد الرحمن بن حبيب كما يذكر في خبرها . وعزل يزيد عن المدينة يوسف بن محمد بن يوسف ، وولّى مكانه عبد العزيز ابن عمر بن عثمان ، وغلب سنة سبع وعشرين عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر على الكوفة ، وولّى مروان على الحجاز عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وعلى العراق النضْر بن سعيد الحُرَيشي . وامتنع ابن عمر من استلام العمل إليه ووقعت الفتنة بينهم . ولحق ابن عمر بالخوارج كما يذكر في أخبارهم واستولى بنو العبّاس على خراسان . وفي سنة تسع وعشرين وليَ يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرِيّ على الأندلس بعد ثوَّابَة بن سلامَة كما يأتي في أخبارهم . وولّى مروان على الحجاز عبد الواحد [٣] وعلى العراق يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة وفي سنة ثلاثين ملك أبو مسلم

---

(١) ابن شُبْرُمَة (ابن الاثير ج ٥ ص ٢٢٨) وفي نسخة اخرى شبْرِمَة .
(٢) هو بَلْج (ابن الأثير ج ٥ ص ٢٥٩) .
(٣) عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك : ابن الاثير ج ٥ ص ٣٧٣ . وفي الطبري ج ٩ ص ٩٦ : «وحجَّ بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن ودان» .

خراسان وهرب عنها نصر بن سيّار فمات بنواحي همذان سنة إحدى وثلاثين وجاء المسوّدَة عليهم قحْطُبَة فطلبوا ابن هُبَيْرَة على العراق وملّكوه وبايعوا خليفتهم أبا العبّاس السفّاح . ثم غلبوا مروان على الشام ومِصْر وقتلوه . وانقرض أمر بني أمية وعاد الأمر والخلافة لبني العبّاس والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده وهذه أخبار بني أمية مخلصة[1] من كتاب أبي جعفر الطبري ولنرجع إلى أخبار الخوارج كما شرطنا في أخبارها بالذكر ، والله المعين لا ربّ غيره .

* (الخبر عن الخوارج وذكر أوّليتهم وتكرّر خروجهم في الملة الاسلامية) *

قد تقدّم لنا خبر الحكمين في حرب صفين واعتزل الخوارج عليا منكرين للتحكيم مُكَفّرين به ولاطفهم في الرجوع عن ذلك وناظرهم فيه بوجه الحق فلجّوا وأبوا إلا الحرب وجعلوا أشعارهم النداء بلا حكم إلا لله وبايعوا عبدالله ابن وهب الراسبي وقاتلهم عليّ بالنهروان فإستلحمهم أجمعين ثم خرج من فلّهم طائفة بالأنبار فبعث إليهم من استلحمهم ثم طويفة أخرى مع هلال بن عَلَّة فبعث معقل بن قيْس فقتلهم . ثم أخرى ثالثة كذلك ، ثم أخرى على المدائن كذلك ، ثم أخرى بشهرزور كذلك ، وبعث شُرَيْح بن هانيء فهزموه فجرح واستلحمهم أجمعين ، واستأمن من بقي فأمّنهم وكانوا نحو خمسين . وافترق شمل الخوارج ثم اجتمع من وجدانهم الثلاثة الذين توعدوا[2] لقتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص ، فقتل بالسهم عبد الرحمن بن مُلجم عليًّا رضى الله عنه وباء بإثمه وسلم الباقون، ثم اتفقت الجماعة على بيعة معاوية سنة إحدى وأربعين واستقل معاوية بخلافة الإسلام . وقد كان فَرْوَة بن نَوْفَل الأشْجَعي اعتزل عليًّا والحسن ونزل شَهْرَزُور وهو في خمسمائة من الخوارج فلما بويع معاوية قال فَرْوَة لأصحابه : قد جاء الحق فجاهدوا وأقبلوا فنزلوا النُخَيْلَة عند الكوفة فاستنفر معاوية أهل الكوفة فخرجوا لقتالهم ، وسألوا أهل الكوفة أن يخلوا بينهم وبين معاوية فأبوا فاجتمعت أشجع على فَرْوَة وأتوا له من القتال

(١) لعلها ملخصة .

(٢) الأصح : تواعدوا أي اتفقوا على ميعاد ، بينما هنا تعني تهددوا .

ودخلوا الكوفة قهرا[١] واستعمل الخوارج بعده عبدالله بن أبي الحريشي من طيء وقاتلوا أهل الكوفة فقاتلوا وابن أبي الحريشي معهم ثم اجتمعوا بعده على حَوْثَرة بن وداع الأسدي وقدموا إلى النُخيْلَة في مائة وخمسين ومعهم فلّ ابن أبي الحُرَيْشي. وبعث معاوية إلى حَوْثَرة أباه ليردّه عن شأنه فأبى ، فبعث إليهم عبدالله بن عوف في معسكر فقتله وقتل أصحابه إلا خمسين دخلوا الكوفة وتفرّقوا فيها ، وذلك في جمادى الأخيرة سنة إحدى وأربعين . وسار معاوية إلى الشام وخلف المغيرة بن شعبة فعاد فَرْوَة ابن نَوْفَل الأشْجعي إلى الخروج فبعث إليه المغيرة خيلاً عليها ابن رَبَعي ويقال معقل ابن قيس فلقيه بشَهْرَزور فقتله ثم بعث المغيرة إلى شبيب بن أبْجَر من قتله ، وكان من أصحاب ابن مُلجِم وهو الذي أتى معاوية يبشّره بقتل عليّ فخافه على نفسه وأمر بقتله فتنكّر بنواحي الكوفة إلى أن بعث المغيرة من قتله ثم بلغ المغيرة أنّ بعضهم يريد الخروج وذكر له مَعْن بن عبدالله المحاربي فحبسه ثم طالبه بالبيعة لمعاوية فأبى فقتله .
ثم خرج على المغيرة أبو مريم مولى بني الحرث بن كعب فأخرج معه النساء ، فبعث المغيرة من قتله وأصحابه ثم حكم أبو ليلى في المسجد بمشهد الناس وخرج في إثنين من الموالي فأتبعه المغيرة معقل بن قيس الرياحي فقتله بسور الكوفة سنة إثنتين وأربعين ثم خرج على ابن عامر في البصرة سهم بن غانم الجُهني في سبعين رجلاً منهم الحطِيم وهو يزيد بن حَالك البَاهليّ ، ونزلوا بين الجسرين والبصرة ومرّ بهم بعض الصحابة منقلباً من الغزو فقتلوه وقتلوا إبنه وابن أخيه ، وقالوا : هؤلاء كَفَرَة وخرج إليهم ابن عامر فقتل منهم عدّة وأمّن باقيهم ولما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب منهم الحطيم إلى الأهواز وجمع ورجع إلى البصرة فافترق عنه أصحابه فاختفى وطلب الأمان من زياد فلم يؤمنه ثم دل عليه فقتله وصلبه بدأره. وقيل بل قتله عبدالله بعد زياد سنة أربع وخمسين . ثم اجتمع الخوارج بالكوفة على المُسْتَوْرِد بن عُقْلَة التيْمي من تيْم الرباب وعلى حيّان بن ضبيان السَلمي وعلى مَعَاذ بن جُوَيْن الطائي . وكلهم من فلّ النهروان الذين ارتموا في القتلى ودخلوا الكوفة بعد مقتل عليّ واجتمعوا في أربعمائة في منزل حيّان بن ضَبْيَان وتشاوروا في الخروج ، وتدافعوا الإمارة . ثم اتفقوا على المستورد وبايعوه في جمادى الأخيرة وكبسهم المغيرة في منزلهم فسجن حيّان وأفلت

---

(١) المعنى غير واضح وفي نسخة اخرى : «فاجتمعت أشجع على فروة فوعظوه فلم يرجع فأخذوه قهراً وادخلوه الكوفة» .

المستورد فنزل الحيرة واختلف إليه الخوارج . وبلغ المغيرة خبرهم فخطب الناس وتهدّد الخوارج فقام إليه مَعْقل بن قيْس فقال : ليكفك كل رئيس قومه . وجاء صَعْصَعَة بن صَوْحَان إلى عبد القيس وكان عالماً بمنزلهم عند سليم بن مخدوج العَبْديّ إلا أنه لا يسلم عشيرته ، فخرجوا ولحقوا بالصَرَاة في ثلثمائة فجهّز إليهم مَعْقل بن قَيْس في ثلاثة آلاف وجعل معظمهم من شيعة عليّ ، وخرج معْقِل في الشيعة وجاء الخوارج ليعبروا النهر إلى المدائن فمنعهم عاملها سمّال بن عبد العَبْسيّ ودعاهم إلى الطاعة على الأمان فأبوا فساروا إلى المَذَار . وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فبعث شريك بن الأعور الحارثيّ في ثلاثة آلاف من الشيعة وجاء معقل بن قيس إلى المدائن وقد ساروا إلى المذار ، فقدّم بين يديه أبا الرَوَاع الشاكريّ في ثلثمائة ، وسار ولحقهم أبو الرواع بالمذار فقاتلهم . ثم لحقه معقل بن قيس متقدّما أصحابه عند المساء فحملت الخوارج عليه فثبت وباتوا على تعبية ، وجاء الخبر إلى الخوارج بنهوض شريك بن الأعور من البصرة فأسروا من ليلتهم راجعين وأصبح معقل واجتمع بشريك وبعث أبا الرواع في أتباعهم في ستمائة فلحقهم بجُرْجَان فقاتلهم فهزمهم إلى ساباط وهو في اتباعهم . ورأى المستورد أن هؤلاء مع أبي الرواع حماة أصحاب معقل فتسرب عنهم إلى معقل وأبو الرواع في اتباعه ولما لحق بمعقل قاتلهم قتالاً وأدركهم أبو الرواع بعد أن لقي كثيراً من أصحاب معقل منهزمين فردّهم واقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل المستورد معقلا طعنه بالرمح فانفذه وتقدّم معقل والرمح فيه إلى المستورد فقسم دماغه بالسيف وماتا جميعاً . وأخذ الراية عمر بن مُحْرز بن شهاب التميمي بعهد معقل بذلك . ثم حمل الناس على الخوارج فقتلوهم ولم ينج منهم إلا خمسة أو ستة . وعند ابن الكلبي أنّ المستورد من تيم من بني رَبَاح . خرج بالبصرة أيام زياد قريب الأزدى ورجاف الطائي ابنا الخالة ، وعلى البصرة سمْرة بن جُنْدُب وقتلوا بعض بني ضَبّة فخرج عليهم شبان من بني عليّ وبني راسب فرموهم بالنبل ، وقتل قريب وجاء عبدالله بن أوس الطائي برأسه واشتدّ زياد في أمر الخوارج وسمرة وقتلوا منهم خلقاً . ثم خرج سنة إثنتين وخمسين على زياد بن حراش العِجْليّ في ثلثمائة بالسواد فبعث اليهم زياد سعد بن حُذَيْـفَة في خيل فقتلوهم ، وخرج أيضاً أصحاب المستورد حيّان بن ضَبْيَان ومَعَاذ من طيء فبعث إليهما من قتلها وأصحابها . وقيل بل استأمنوا وافترقوا . ثم اجتمع بالبصرة سنة ثمان وخمسين سبعون رجلاً من الخوارج من عبد

القيس وبايعوا طواف بن[1] على أن يفتكوا بابن زياد ، وكان سبب ذلك أنّ ابن زياد حبس جماعة من الخوارج بالبصرة وحملهم على قتل بعضهم بعضاً وخلى سبيل القاتلين ففعلوا وأطلقهم ، وكان منهم طوّاف ثم ندموا وعرضوا على أولياء المقتولين القوَد والديّة فأبوْا ، وأفتاهم بعض علماء الخوارج بالجهاد لقوله تعالى : ثم ان ربّك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنوا الآية ،فاجتمعوا للخروج كما قلنا . وسعى بهم إلى ابن زياد فاستعجلوا الخروج وقتلوا رجلاً ومضوا إلى الجلْحاء كما قلنا . فندب ابن زياد الشرط والمحاربة فقاتلوهم . فانهزم الشرط أوّلا ثم كثرهم الناس فقتلوا عن آخرهم . واشتد ابن زياد على الخوارج وقتل منهم جماعة كثيرة منهم : عُروَة بن أدَيَة أخو مرْداس وأدَيَة أمها وأبوهما جرير بن تميم . وكان وقف على ابن زياد يوماً يعظه فقال أتبنون بكل ريع آية تعبثون الآيات ؟ فظن ابن زياد أنّ معه غيره فأخذه وقطعه وقتل إبنيه . وكان أخوه مرْداس من عظمائهم وعبّادهم وممن شهد النهروان بالاستعراض ويحرّم خروج النساء ولا يرى بقتال من لا يقاتله .وكانت امرأته من العابدات من بني يربوع وأخذها ابن زياد فقطعها . والحّ ابن زياد في طلب الخوارج وقتلهم وخلىّ سبيل مرْدَاس من بينهم لما وصف له من عبادته، ثم خاف فخرج إلى الأهواز وكان يأخذ مال المسلمين إذا مرّ به فيعطي منه أصحابه ويرد الباقي . وبعث ابن زياد إليهم أسلم بن زُرْعة الكلابي في الغي رجل ودعاهم إلى معاودة الجماعة فأبوا وقاتلوهم فهزموا أسلم وأصحابه فسرّح إليهم ابن زياد عبّاد بن عَلقَمَة المازِنيّ.ولحقهم بتوج وهم يصلون فقتلهم أجمعين ما بين راكع وساجد لم يتغيروا عن حالهم ورجع إلى البصرة برأس أبي بلال مرْدَاس فرصده عبيدة بن هلال في ثلاثة نفر عند قصر الإمارة ليستفتيه فقتلوه واجتمع عليهم الناس فقتلوا منهم وكان على البصرة عبيدالله بن أبي بكرة فأمره زياد بتتبع الخوارج إلى أن تقدّم فحبسهم ، وأخذ الكفلاء على بعضهم وأتى بعُرْوَة بن أدبَة فقال أنا كفيلك وأطلقه. ولما جاء ابن زياد قتل المحبوسين منهم والمكفولين ، وطالب ابن أبي بكرة بعُرْوَة بن أدبة فبحث عنه حتى ظفر به وجاء به إلى ابن زياد فقطعه وصلبه سنة ثمان وخمسين . ثم مات يزيد واستفحل أمر ابن الزبير بمكة وكان الخوارج لما اشتدّ عليهم ابن زياد بعد قتل أبي بلال مردَاس أشار عليهم

---

(١) ضوّاف بن غلاّق : ابن الأثيرج ٣ ص ٥١٦

نافع بن الأزرق منهم باللحاق بابن الزبير لجهاد عساكر يزيد لما ساروا إليه قالوا : وإن لم يكن على رأينا داحضاً عن البيت وقاموا يقاتلون معه فلما مات يزيد وانصرفت العساكر كشفوا عن رأي ابن الزبير فيهم وجاؤه يرمون من عثمان ويتبرّؤن منه فصرّح بمخالفتهم . وقال بعد خطبة طويلة أثنى فيها على الشيخين وعليّ وعثمان واعتذر عنه فيما يزعمون ، وقال : أشهدكم ومن حضرني أني وليّ لابن عفّان وعدوّ لأعدائه قالوا : فبرىء الله منك قال بل برىء الله منكم فافترقوا عنه . وأقبل نافع بن الأزرق الحنْظلي وعبدالله بن صفّار السعْديّ وعبدالله بن أباض ، وحنْظَلة بن بيْهس وبنو الماخور: عبدالله وعبيدالله والزبير من بني سليط بن يَرْبُوع وكلهم من تميم ، حتى أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت عن بني بكر بن وائل وأبو فديك عبدالله بن نور بن قيس ابن ثعلبة وعطية بن الأسود اليشكري إلى اليمامة فوثبوا بها مع أبي طالوت . ثم تركوه ومالوا عنه إلى نجدة ابن عامر الحنَفيّ . ومن هنا افترقت الخوارج على أربع فرق : الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق الحنظلي وكان رايه البراءة من سائرة المسلمين وتكفيرهم والاستعراض وقتل الأطفال واستحلال الأمانة لأنه يراهم كفّاراً. والفرقة الثانية النجْديّة وهم بخلاف الأزارقة في ذلك كلّه . والفرقة الثالثة الإباضِيّة اصحاب عبدالله بن إباض المُريّ وهم يرون أنّ المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين فلا ينتهون إلى الرأي الأوّل ولا يقفون عند الثاني ولا يحرّمون مناكحة المسلمين ولا موارثتهم ولا المنافقين فيهم وهم عندهم كالمنافقين ، وقول هؤلاء أقرب إلى السنّة ومن هؤلاء البَيْهَسِيّة أصحاب أبي بَيْهَس هَيْصَم بن جابر الضَبُعيّ. والفرقة الرابعة الصَفرِيّة وهم موافقون للإباضية إلا في العقدة فإنّ الإباضية أشد على العقدة منهم . وربما اختلفت هذه الآراء من بعد ذلك واختلف في تسمية الصَفَريّة فقيل نسبوا إلى ابن صَفّار وقيل اصفروا بما نهكتهم العِبادة وكانت الخوارج من قبل هذا الافتراق على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشاذ من الفروع . وفي أصل اختلافهم هذا مكاتبات بين نافع بن الأزرق وأبي بَيْهَس وعبدالله بن إباض ذكرها المبرد في كتاب الكامل فلينظر هناك ، (ولما جاء نافع) إلى نواحي البصرة سنة أربع وستين فأقام بالأهواز يعترض الناس وكان على البصرة عبدالله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطّلب ، فسرّح إليه مسلم عبس بن كُوَيْز بن ربيعة من أهل البصرة بإشارة الأحنف ابن قيس ، فدافعه عن نواحي البصْرة وقاتله بالأهواز ، على ميمنة مسلم الحجّاج بن

باب الحِمْيَري ، وعلى ميسرته حارثة بن بَدْر العُدَابي ، وعلى ميمنة ابن الأزرق عُبَيْدَة بن هلال وعلى ميسرته الزُبَيْر بن الماخور التميمي . فقتل مسلم ثم قتل نافع فأمَّر أهل البصرة عليهم الحجّاج بن باب والخوارج عبدالله بن الماخور ثم قتل الحجّاج ، وعبدالله فأمّر أهل البصرة ربيعة بن الاخدم[1] والخوارج عبيدالله بن الماخور. ثم اقتتلوا حتى أمسوا ، وجاء إلى الخوارج مَدَدٌ فحملوا على أهل البصرة فهزموهم وقتل ربيعة وولّوا مكانه حارثة بن بدر فقاتل وردّهم على الأعقاب ونزل الأهواز . ثم عزل عن البصرة عبدالله بن الحرث وبعث ابن الزبير عليها الحرث القبّاع بن أبي ربيعة فزحف الخوارج إلى البصرة ، وأشار الأحنف بن قيس بتولية المُهَلّب حروبهم ، وقد كان ابن الزُبيْر ولاّه خراسان ، فكتبوا لابن الزُبَيْر بذلك فأجاب ، واشترطوا للمسلم ما سأل من ولاية ما غلب عليه ، والإعانة بالأموال ، فاختار من الجند إثني عشر ألفاً وسار إليهم فدفعهم عن الجسر . وجاء حارثة بن بدر بمن كان معه في قتال الخوارج ، فردّهم الحرث إلى المهلّب وركب حارثة البحر يريد البصرة فغرق في النهر . وسار المهلّب وعلى مقدمته إبنه المغيرة فقاتلهم المقدمة ودفعوهم عن سوق الأهواز إلى مادَر . ونزل المهلّب بسولاف وقاتله الخوارج وصدقوا الحملة فكشفوا أصحاب المهلّب ثم ترك من الغد قتالهم وقطع دُجَيْل ونزل العُقَيْل ثم ارتحل فنزل قريباً منهم وخندق عليه وأذكى العيون والحرس . وجاء منهم عُبَيْدَة بن هلال والزُبَيْر بن الماخور في بعض الليالي ليُبَيّتوا عسكر المهلّب فوجدوهم حذرين وخرج إليهم المهلب من الغد في تعبية والأزد وتميم في ميمنته ، وبكر وعبد القيس في ميسرته ، وأهل العالية في القلب . وعلى ميمنة الخوارج عُبَيْدَة بن هلال اليشْكريّ ، وعلى ميسرتهم الزُبَيْر بن الماخور واقتتلوا ونزل الصبر . ثم شدّوا على الناس فأجفل عسكر المهلّب وانهزم وسبق المنهزمين إلى ربوة ونادى فيهم فاجتمع له ثلاثة آلاف أكثرهم من الأزد ، فرجع بهم وقصد عسكر الخوارج واشتدّ قتالهم ورموهم بالحجارة ، وقتل عبدالله بن الماخور[2] وكثير منهم وانكفؤا راجعين إلى كرْمَان وناحية أصْبَهَان منهزمين ، واستخلفوا عليهم الزُبَيْر ابن الماخور[3] وأقام المهلّب بمكانه حتى جاء مصعب بن الزبير أميراً على البصرة وعزل

---

(١) وفي نسخة ثانية : ربيعة بن الأخزم .

(٢) عبدالله بن الماخور : ابن الاثير ج ٤ ص ١٩٩

(٣) الزبير بن الماخور : ابن الاثير ج ٤ ص ٢٠٠

المهلب . (وأمّا نَجْـدَة) وهو نجدة بن عامر بن عبدالله بن سيّار[١] بن مَفَرّج الحنفيّ وكان مع نافع بن الأزرق ، فلما افترقوا سار إلى اليمامة ودعا أبو طالوت إلى نفسه ، وهو من بكر بن وائل وتابعه نَجْدَة ونهب الحَضَارم بلد بني حَنِيفَة وكان فيها رقيق كثير يناهز أربعة آلاف فقسّمها في أصحابه ، وذلك سنة خمس وتسين . واعترض عيراً من البحرين جاءت لابن الزبير فأخذها وجاء بها إلى أبي طالوت فقسمّها بين أصحابه . ثم رأى الخوارج أن نجدة خيرٌ لهم من أبي طالوت فخالفوه وبايعوا نجْدَة وسار إلى بني كعب بن ربيعة فهزمهم وأثخن فيهم ، ورجع نجدة إلى اليمامة في ثلاثة آلاف ، ثم سار إلى البحرين سنة سبع وستين فاجتمع أهل البحرين من عبد القيس وغيرهم على محاربته . وسالمته الأزد والتقوا بالعَطِيف فانهزمت عبد القيس وأثخن فيهم نجدة وأصحابه وأرسل سرية إلى الخط فظفروا بأهله . ولما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة تسع وستين بعث عبدالله بن عمر الليثي الأعور في عشرين ألفاً[٢] ونجدة بالعطيف فقاتلوهم وهزمهم نجدة وغنم ما في عسكرهم وبعث عطية بن الأسود الحنفي من الخوارج إلى عُمان وبها عبّاد ابن عبدالله شيخ كبير فقاتله عَطيّة فقتله وأقام أشهراً وسارعنها .واستخلف عليها بعض الخوارج فقتله أهل عُمَان وولّوا عليهم سعيداً وسليمان ابني عبّاد . ثم خالف عَطيّةُ نَجْدَة وجاء إلى عُمان ن فامتنعت منه ، فركب البحر إلى كِرْمَان وأرسل إليه المهلّب جيشاً فهرب إلى سجستان ثم إلى السِنْد فقتله خيل المهلّب بقَنْدابيل . ثم بعث نجْدَة المعرفين إلى البوادي بعد هزيمة ابن عُـمَـيْر فقاتلوا بني تميم بكاظِمَة وأعانهم أهل طُوَيْـلِع فبعث نجدة من استباحهم وأخذ منهم الصدقة كرهاً . ثم سار إلى صنعاء فبايعوه وأخذ الصدقة من مخاليفها . ثم بعث أبا فُدَيْك إلى حضرموت فأخذ الصداقة منهم . وحج سنة ثمان وستين في تسعمائة رجل وقيل في ألفين ، ووقف ناحية عن ابن الزبير على صلح عقد بينهما . ثم سار نجْدَة إلى المدينة وتأهبوا لقتاله ، فرجع إلى الطائف وأصاب بنتاً لعبدالله بن عمر بن عثمان فضمّها إليه وامتحنه الخوارج بسؤاله بيعها فقال : قد أعتقت نصيبي منها . قالوا : فزوّجها ، قال : هي أملك بنفسها ، وقد كرهت الزواج ولما قرب من الطائف جاءه عاصم بن عُرْوة بن مسعود فبايعه عن قومه وولىّ عليهم الخازَرْق وعلى بيَانَة والسَرَاة . وولىّ على

---

(١) بن ساد : ابن الاثيرج ٤ ص ٢٠١

(٢) عبدالله بن عمير الليثي الأعور في اربعة عشر الفاً : ابن الاثيرج ٤ ص ٢٠٢

ما يلي نَجْرَان سعد الطلائع ، ورجع إلى البحرين وقطع الميرة عن الحرَمَيْن . وكتب إليه ابن عبّاس أنّ ثمامَة بن أشاك[1] لما أسلم قطع الميرة عن مكة وهم مشركون ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فخلاّها لهم ، وانك قطعت الميرة ونحن مسلمون فخلاّها لهم نَجْدَة . ثم اختلف إليه أصحابه لأنّ أبا سنان حييّ بن وائل أشار عليه بقتل من أطاعه تقية ، فانتهره نجدة وقال : إنما علينا أن نحكم بالظاهر . وأغضبه عطية في منازعة جرت بينهما على تفضيله لسرية البرّ على سرية البحر في الغنيمة فشتمه نجدة فغضب وسأله في درء الحدّ في الخمر عن رجل من شجعانهم فأبى ، وكاتبه عبد الملك في الطاعة على أن يولّيه اليمامة ويهدر له ما أصاب من الدماء فاتّهموه في هذه المكاتبة ونقموا عليه أمثال هذه ، وفارقه عطية إلى عُمان . ثم انحازوا عنه وولّوا أمرهم أبا فُدَيْك عبدالله بن ثور أحد بني قَيْس بن ثَعلبَة واستخفى نجدة وألح أبو فُدَيْك في طلبه وكان مستخفياً في قرية من قرى حجر. ثم نذر به فذهب إلى أخواله من تميم وأجمع المسير إلى عبد الملك ، فعلم به أبو فُدَيْك ، وجاءت سرية منهم وقاتلهم فقتلوه . وسخط قتله جماعة من أصحاب أبي فُدَيْك واعتمده مُسْلمُ بن جُبَيْر فطعنه إثنتي عشر طعنة وقتل مُسْلم لوقته ، وحمل أبو فدَيْك إلى منزله ، ثم جاء مصعب إلى البصرة سنة ثمان وستين والياً على العراقين عن أخيه ، وكان المهلّب في حرب الأزارقة فأراد مصعب أن يولّيه بلاد الموصل والجزيرة وأرمينية ، ليكون بينه وبين عبد الملك فاستقدمه من فارس وولاّه ، وولّىّ على فارس وحرب الأزارقة عمر بن عبدالله بن مَعْمَر. وكان الخوارج قد ولّوا عليهم بعد قتل عبدالله بن الماخور سنة خمس وستين أخاه الزبير فجاؤا به إلى إصْطَخْر ، وقدم عمر ابنه عبيدالله إليهم فقتلوه ثم قاتل الزبير عمر فهزمهم وقتل منهم سبعون . وفلق قطري بن الفُجَاءة وشتر صالح بن مخْرَاق وساروا إلى نيسابور ، فقاتلهم عمر بها وهزمهم ، فقصدوا أصْبَهَان فاستحموا بها . ثم أقبلوا إلى فارس وتجنّبوا عسكر عمر ومروا على ساجور ثم أرّجان ، فأتوا الأهواز قاصدين العراق . وأغذ عمر السير في أثرهم ، وعسكر مصعب عند الجسر. فسار الزبير بالخوارج فقطع أرض صَرْصَر وشنّ الغارة على أهل المدائن يقتلون الوُلدَان والرِجال ، ويبقرون بطون الحبالى ، وهرب صاحب المدائن عنها وانتهت جماعة منهم إلى الكرْخ ، فقاتلهم أبو

---

(١) ثمامة بن اثال : ابن الاثيرج ٤ ص ٢٠٤

بكر بن مُخنف فقتلوه وخرج أمير الكوفة وهو الحرث بن أبي ربيعة القبّاع حتى انتهى إلى الصَرَاة ومعه إبراهيم بن الأشْتر وشبيب بن رَبَعي ، وأسماء بن خارجة ويزيد بن الحرث ومحمد بن عُمَير ، وأشاروا عليه بعقد الجسر والعبور إليهم ، فانهزموا إلى المدائن . وأمر الحرث عبد الرحمن ابن مخنف باتباعهم في ستة آلاف إلى حدود أرض الكوفة ، فانتهوا إلى الري وعليها يزيد بن الحرث بن دُوَيْم الشَّيْبَاني وما والاهم عليه أهل الري فهزموه وقتلوه . ثم انحطوا إلى أصبهان وبها عتاب بن وَرْقَاء فحاصروه أشهراً وكان يقاتلهم على باب المدينة ثم دعا إلى الإستماتة في قتالهم فخرجوا وقاتلوهم ، وانهزمت الخوارج وقتل الزبير واحتووا على معسكرهم . ثم بايع الخوارج قطَري بن الفجَاءة المازِنيّ ويكني أبا نُعامَة وارتحل بهم إلى كِرْمان حتى استجمعوا فرجعوا إلى أصبهان فامتنعت ، فأتوا الأهواز وقاموا . وبعث مُصْعَب إلى المُهلّب فردّه إلى قتال الخوارج وولىّ على الموصل والجزيرة إبراهيم بن الأشتر ، وجاء المهلّب فانتجعت الناس من البصرة وسار إلى الخوارج فلقيهم بسولاف واقتتلوا ثمانية أشهر وبعث مصعب إلى عِتَاب بن وَرْقَاء الرَبَـاحي [1] عامل أصبهان بقتال أهل الري بما فعله في ابن دُوَيْم ، فسار إليهم وعليهم الفَرّخان فقاتلهم وافتتحها عنوة وقلاعها وعاث في نواحيها .

* (خبر ابن الحرّ ومقتله) *

كان عبيدالله بن الحُرّ الجُعْفِي من خيار قومه صلاحاً وفضلاً . ولما قتل عثمان حزن عليه ، وكان مع معاوية على عليّ ، وكانت له زوجة بالكوفة فتزوّجت لطول مغيبه . فأقبل من الشام وخاصم زوجها إلى عليّ فعدّد [2] عليه شهوده صفين . فقال : أيمنعني ذلك من عدلك ؟ قال : لا وردّ إليه إمرأته . فرجع إلى الشام وجاء إلى الكوفة بعد مقتل عليّ ولقي إخوانه وتفاوضوا في النكير على عليّ ومعاوية . ولما قتل الحسين تغيّب على مَلْحَمَتِهِ وسأل عنه ابن زياد فلم يره . ثم لقيه فأساء عذله ، وعرض له بالكون مع عدوّه فأنكر وخرج مغضباً . وراجع ابن زياد رأيه فيه فطلبه فلم يجده فبعث عنه فامتنع ، وقال : أبلغوه أني لا آتيه طائعاً أبداً وأتى منزل أحمد بن

(١) وفي نسخة اخرى : الرياحي
(٢) لعلها ندّد

زياد الطائي فاجتمع إليه أصحابه ، وخرج إلى المدائن . ومضى لمُصَارِع الحسين وأصحابه فاستغفر لهم ، ولما مات يزيد وقعت الفتنة اجتمع إليه أصحابه وخرج بنواحي المدائن ، ولم يعترض للقتل ولا للمال ، إنما كان يأخذ مال السُلْطان متى لقيه فيأخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ويردّ الباقي ويأخذ لصاحب المال بما أخذ . وحبس المختار إمرأته بالكوفة وجاء فأخرجها من الحبس وأخرج كل من فيه وأراد المختار أن يسطو به فمنعه إبراهيم بن الأشتر إلى الموصل لقتال ابن زياد . ثم فارقه ولم يشهد معه وشهد مع مصعب قتال المختار وقتله . ثم أغرى به مصعب فحبسه وشفع فيه رجال من وجوه مَذْحَج فشفعهم وأطلقه ، وأتى إليه الناس يهنؤنه فصرّح بأن أحداً لا يستحق بعد الأربعة ولا يحلّ أن يعقد لهم بيعة في أعناقنا ، فليس لهم علينا من الفضل ما يستحقون به ذلك ، وكلهم عاصٍ مخالف ، قوي الدنيا ضعيف الآخرة ، ونحن أصحاب الأيام مع فارس ، ثم لا يعرف حقنا وفضلنا وإني قد أظهرت لهم العداوة . وخرج للحرب فأغار فبعث إليه مصعب سيف بن هانيء المُرَادِيّ يعرض عليه الطاعة على أن يعطيه قطعة من بلاد فارس فأبى ، فسرّح إليه الأبرد بن قَرْوَة الرُبَاحيّ في عسكر فهزمه عبيدالله فبعث إليه حُرَيْث بن زيد فهزمه فقتله ، فبعث إليه الحجّاج بن حارثة الخَثْعميّ ومسلم بن عُمَر فقاتلها بنهر صَرْصَر وهزمها ، فأرسل إليه مصعب بالأمان والولاية فلم يقبل ، وأتى إلى فارس فهرب دِهْقَانُها بالمال وتبعه ابن الحرّ إلى عين التمر وعليه بَسْطَام بن مَصْقَلَة بن هُبَيْرة الشَّيْبَاني ، فقاتل عبيدالله وأوفاهم الحجّاج بن حارثة فهزمها عبيدالله وأسرهما وأخذ المال الذي مع الدهقان . وأقام بتكريت ليجبي الخراج فسرّح مصعب لقتاله الأبرد ابن قَرْوَة الرَبَاحي والجون بن كعب الهَمْدَاني في ألف وأمدهم المهلّب بيزيد بن المعقل في خمسمائة وقاتلهم عبيدالله يومين في ثلثمائة ثم تحاجزوا وقال لأصحابه : إني سائر بكم إلى عبد الملك فتجهّزوا ! ثم قال : إني خائف أن أموت ولم أذعر مُصْعَباً وقصد الكوفة وجاءته العساكر من كل جهة ، ولم يزل يهزمهم ويقتل منهم بنواحي الكوفة والمدائن . وأقام يغير بالسواد ويجبي الخراج ثم لحق بعبد الملك فأكرمه وأجلسه معه على سريره ، وأعطاه مائة ألف درهم وقسّم في أصحابه الأعطيات وسأل من عبد الملك أن يوجّه معه عسكراً لقتال مصعب فقال : سر بأصحابك وادع من قدرت عليه وأنا ممدك بالرجال . فسار نحو الكوفة ونزل بناحية الأنبار وأذن لأصحابه في

إتيان الكوفة ليخبروا أصحابه بقدومه. وبعث الحرث بن أبي ربيعة إليه جيشاً كثيفاً فقاتلهم وتفرّق عنه أصحابه وأثخنه الجراح فخاض البحر الى سفينة فركبها حتى توسط الفرات فأشرف خيل على السفينة وتبادروا به فقام يمشي في البحر فتعلقوا به فألقى نفسه في الماء مع بعضهم فغرّقوه.

* (حروب الخوارج مع عبد الملك والحجاج) *

ولما استقرّ عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب بعث على البصرة خالد بن عبدالله وكان المهلّب يحارب الأزارقة فولاّه على خراج الأهواز وبعث أخاه عبد العزيز بن عبد الى قتال الخوارج، ومعه مُقَاتِل بن مُسْمِع، وأتت الخوارج من ناحية كَرْمَان إلى دار أبجُرد وبعث قَطَرِيّ بن الفُجَاءَة صالح بن مِخْرَاق[1] في تسعمائة فاستقبل عبد العزيز ليلا على غير تعبية فانهزم وقتل مُقَاتِل بن مُسْمِع وأسرت بنت المنذر بن الجارود إمرأة عبد العزيز فقتلها الخوارج. وتغيّر عبد العزيز إلى رَامَـهُرْمُز. وكتب خالد بالخبر إلى عبد الملك فكتب إليه[2] على ولاية أخيه الحرب وولاية المهلّب جباية الخراج وأمره بأن يسرّح المهلّب بحربهم. وكتب إلى بِشْر بالكوفة بإمداده بخمسة آلاف مع من يرضاه، فإذا فرغوا من قتال الخوارج ساروا إلى الري، فكانوا هنالك مسلحةً فانفذ بِشْر العسكر وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكتب له عهده على الريّ. وخرج خالد بأهل البصرة ومعه المهلّب واجتمعوا بالأهواز. وجاءت الازارقة فأحرقوا السفن. ومرّ المهلّب بعبد الرحمن بن الأشعث وأمره أن يخندق عليه وأقاموا كذلك عشرين ليلة. ثم زحف الخوارج بالناس فهال الخوارج كثرتهم وانصرفوا. وبعث خالد داود بن قَحْدَم في آثارهم وانصرف إلى البصرة وكتب بالخبر إلى عبد الملك فكتب إلى أخيه بِشْر أن يبعث أربعة آلاف من أهل الكوفة إلى فارس، ويلحقوا بداود بن قَحْدَم في طلب الأزارقة. فبعث بهم بِشْر بن عِتَاب ولحقوا بداود واتبعوا الخوارج حتى أصابهم الجهد ورجع عامتهم مشاة إلى الأهواز.

(١) صالح بن مخارق: ابن الاثير ج ٤ ص ٣٤٢.
(٢) بياض بالأصل وفي الكامل ج ٤ ص ٣٤٣: فكتب اليه عبد الملك: قد عرفت ذلك وسألت رسولك عن المهلب فأخبرني انه عامل على الأهواز، فقبّح الله رأيك حين تبعث اخاك اعرابيا من أهل مكه على القتال وتدع المهلب يجبي الخراج.»

(ثم خرج أبو فديك) من بني قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نَـجْدَة بن عامر الحنفيّ كما مرّ. وهزم خالداً فكتب إلى عبد الملك بذلك، وأمر عبد الملك عمر بنَ عبيدالله بن مَعْمَر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة ويسير لقتال أبي فديك. فانتدب معه عشرة آلاف وسار بهم وأهل الكوفة على ميمنته عليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيدالله، وأهل البصرة في ميسرته عليهم عمر بن موسى أخيه، وهو في القلب وانتهوا إلى البحرين واصطفوا للقتال وحملوا على أبي فديك وأصحابه فكشفوا ميسرته حتى أبعدوا إلا المغيرة بن المهلب ومجاعة وعبد الرحمن وفرسان الناس فإنهم مالوا إلى أهل الكوفة بالميمنة ورجع أهل الميسرة. وحمل أهل الميمنة على الخوارج فهزموهم واستباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروا أصحابه بالمشقر حتى نزلوا على الحكم فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمائة وذلك سنة ثلاث وسبعين. ثم ولّى عبد الملك أخاه بِشْراً على البصرة فسار إليها وأمره أن يبعث المهلّب إلى حرب الأزارقة وأن ينتخب من أهل البصرة من أراد ويتركه ورأيه في الحرب ويمدّه بعسكر كثيف من أهل الكوفة مع رجل معروف بالنجدة. فبعث المهلّب لانتخاب الناس جَدِيع بن سعيد بن قُبَيْصَة وشق على بَشْر أن ولاية المهلّب من عبد الملك وأوغرت صدره فبعث على عسكر الكوفة عبد الرحمن ابن مخنف وأغراه بالمهلّب في ترك مشورته وتنغصّه. وسار المهلّب إلى رَامَهُرْمُز وبها الخوارج وأقبل ابن مخنف في أهل الكوفة فنزل على ميل منه بحيث يتراءى العسكران. ثم أتاهم نبأ بشر ابن مروان وأنه استخلف خالد بن عبدالله بن خالد على البصرة وخليفته على الكوفة عمر بن حُرَيْث فافترق ناس كثيرة من أهل البصرة وأهل الكوفة فنزلوا الأهواز وكتب إليهم خالد بن عبدالله يتهدّدهم فلم يلتفتوا إليه. وأقبل أهل الكوفة الى الكوفة وكتب إليهم عمر بن حُرَيْث بالنكير والعود إلى المهلّب ومنعهم الدخول فدخلوا ليلاً إلى بيوتهم (ثم قدم الحجّاج) أميراً على العراقين سنة خمس وسبعين فخطب بالكوفة خطبته المعروفة كان منها: «ولقد بلغني رفضكم المهلّب وإقبالكم إلى مصركم عاصين مخالفين، وأيم الله لا أجد أحداً من عسكره بعد ثلاثة إلاّ ضربت عنقه وأنهب داره». ثم دعا العرفاء وقال ألحقوا الناس بالمهلّب وأتوني بالبراءة بموافاتهم، ولا تغلقنّ أبواب الجسر. ووجد عمر بن ضابىء من المتخلفين وأخبر أنه من قتلة عثمان فقتله فأخر جند المهلّب وازدحموا على الجسر وجاء العرفاء إلى المهلّب برَامَهُرْمُز

فأخذوا كتابه بموافاة الناس ، وأمرهم الحجّاج بمناهضة الخوارج فقاتلوهم شيئاً ثم انزاحوا إلى كَازِرُون وسار المهلّب وابن مخنف فنزلوا بهم وخندق المهلّب ولم يخندق إبن مخنف وبيّتهم الخوارج فوجدوا المهلّب حذراً فمالوا إلى ابن مخنف فانهزم عنه أصحابه وقاتل حتى قتل وفي حديث أهل الكوفة أنّهم لما ناهضوا الخوارج مالوا إلى المهلّب واضطروه إلى معسكره وأمدّه عبد الرحمن بعامة عسكره وبقي في خفّ من الجند . فمال إليه الخوارج فنزل ونزل معه القرّاء واحد وسبعون من أصحابه فقتلوا . وجاء المهلّب من الغد فدفنه وصلى عليه وكتب بالخبر إلى الحجّاج فبعث على معسكره عِتَاب بن وَرْقَاء وأمره بطاعة المهلّب ، فأجاب لذلك وفي نفسه منه شيء . وعاتبه المهلب يوماً ورفع إليه القضيب فردّه إبنه المُغِيرَة عن ذلك وكتب عِتَاب يشكو المهلّب إلى الحجّاج و يسأله العود وصادف ذلك أمر شبيب فاستقدمه وبقي المهلّب .

* (حروب الصفرية وشبيب مع الحجاج) *

ثم خرج صالح بن مسرِّح التميمي من بني امرىء القيس بن زيد مناة وكان يرى رأي الصُفرِيَّةِ وكان عابداً ومسكنه أرض الموصل والجزيرة وله أصحاب يقرئهم القرآن والفقه وكان يأتي الكوفة ويلقى أصحابه ويعدّ ما يحتاج إليه فطلبه الحجّاج فترك الكوفة وجاء إلى أصحابه بالموصل ودار فدعاهم إلى الخروج وحثّه عليه . وجاءه كتاب شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني من رؤوسهم يحثّه على مثل ذلك . فكتب إليه إني في انتظارك فاقدم . فقدم شبيب في نفر من أصحابه منهم أخوه المَضَّاد والمحلّل ابن وائل اليَشْكُرِيّ ولقيه بدارا ، وأجمع صالح الخروج . وبث إلى أصحابه وخرجوا في صفر سنة ست وسبعين . وأمر بالدعاء قبل القتال وخيّر في الدماء والأموال وعرضت لهم دواب لمحمد بن مروان بالجزيرة فأخذوها وحملوا عليها أصحابهم . وبلغ محمد بن مروان وهو أمير الجزيرة خروجهم فسرّح إليهم عَدِي بن عدي الكِنْدي في ألف فسار من حرّان وكان ناسكاً فكره حروبهم وبعث إليهم بالخروج فحبسوا الرسول . فساروا إليه فطلعوا عليه وهو يصلي الضحى وشبيب في الميمنة وسُوَيْد بن سُلَيْم في الميسرة وركب عَدِيّ على غير تعبية فانهزم واحتوى الخوارج على معسكره ومضوا إلى آمد وسرّح محمد بن مروان خالد بن حرّ السَلَمي في ألف وخمسمائة ، والحرث بن جَعُونَة العَامِرِيّ في مثلها ، وقال : أيكما سبق فهو أمير على صاحبه .

وبعث صالح شبيباً إلى الحرث وتوجه نحو خالد وقاتلوهم أشدّ القتال واعتصم أصحاب محمد بخندقهم فسارت الخوارج عنهم وقطعوا أرض الجزيرة والموصل إلى الدسكرة . فسرّح إليهم الحجّاج الحرث بن عُـمَيْرَة ابن ذي الشِعَار في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فلقيهم على تخم ما بين الموصل وصَرْصَر والخوارج في تسعين رَجلاً . فانهزم سُوَيْد بن سُلَيم وقتل صالح وصرع شبيب . ثم وقف على صالح قتيلاً فنادى بالمسلمين فلاذوا به ودخلوا حصناً هنالك وهم سبعون . وعاث الحرث بهم وأحرق عليهم الباب ورجع حتى يصحبهم من الغداة . فقال لهم شبيب بايعوا من شئتم من أصحابكم واخرجوا بنا إليهم فبايعوه وأطفئوا النار بالماء في اللبود وخرجوا إليه فبيتوا وصرّح الحرث فحملوا أصحابه وانهزموا نحو المدائن وحوى شبيب عسكرهم . وسار شبيب الى أرض الموصل فلقي سلامة بن سِنَان التميمي من تميم شَيْبَان[1] إلا أخاه فضالة من أكابر الخوارج . وكان خرج قبل صالح في ثمانية عشر رجلاً ونزل على ماء لبني عنزة فقتلوهم ، وأتوا برؤوسهم إلى عبد الملك يتقرّبون له بهم . فلما دعا شبيب سلامة إلى الخروج شرط عليه أن ينتخب ثلاثين فارساً ويسير بهم إلى عنزة فيثأر منهم بأخيه فقبل شرطه وسار إلى عنزة فأثخن فيهم وجعل يقتل الحِلّة بعد الحلّة[2] . ثم أقبل شبيب إلى داران[3] في نحو سبعين رجلاً ففرّت منهم طائفة من بني شيبان نحو ثلاثة آلاف فنزلوا ديراً خراباً وامتنعوا منه ، وسار في بعض حاجاته واستخلف أخاه مُضَاد بن يزيد بجماعة من بني شيبان في أموالهم مقيمين ، فقتل منهم ثلاثين شيخاً فيهم حَوْثَرة بن أسد وأشرف بنو شيبان على مَضّاد وأصحابه ، وسألوا الأمان ليخرجوا إليهم ويسمعوا دعوتهم فأخرجوا وقبلوا ونزلوا إليهم واجتمعوا بهم وجاء شبيب فاستصوب فعلهم وسار بطائفة نحو أذربيجان . وكان الحجّاج قد بعث سُفْيَان بن أبي العالية الخَـثْـعَميّ إلى طبرستان يحاصرها في ألف فارس ، فكتب إليه الحجّاج أن يرجع فصالح أهل طبرستان ورجع فأقام بالدسكرة يطلب المدد وبعث الحجّاج أيضاً إلى الحرث بن عُـمَيْرَة الهَمْدَاني قاتل صالح أن يأتيه بجيش الكوفة والمدائن وإلى سَوْرَة

(١) سلامة بن سنان التَيْمي من تيم شيبان : ابن الاثيرج ٤ ص ٣٩٧ .
(٢) فجعل يقتل محلّة بعد محلّة . ابن الاثيرج ٤ ص ٣٩٧ .
(٣) رأذان : ابن الاثيرج ٤ ص ٣٩٨ .

ابن أَبْجَر التميمي [1] في خيل المناظر . ويعجّل سفيان في طلب شبيب فلحقه بخَانْقِين فاستطردهم وأكمن كميناً لهم مع أخيه ، واتبعوه في سفح الجبل فخرج عليهم الكمين فانهزموا بغير قتال ، وثبت سُفْيَان وقاتل ثم حمل شبيب فانكشف ونجا إلى بابل مَهْرُود ، وكتب إلى الحجّاج بالخبر وبوصول العساكر إلاّ سَوْرَة بن أبجر فكتب الحجّاج إلى سَوْرَة يتهدّده ويأمره أن يتّخذ من المدائن خمسمائة فارس ويسير إلى شبيب فسار. وانتهى شبيب إلى المدائن ثم إلى الهندوان فترحّم على أصحابه هنالك وبيّتهم سَوْرَة هنالك وهم حذرون فلم يصب منهم الغرة ورجع نحو المدائن وشبيب في اتّباعه . وخرج ابن أبي العصغي [2] عامل المدائن فقاتلهم وهرب الكثير من جنده إلى الكوفة ومضى شبيب إلى تكريت ووصل سَوْرَة إلى الكوفة بالغلّ فحبسه الحجّاج ثم أطلقه . وسرّح عثمان بن سعيد بن شُرَحيل الكِنْدِيّ [3] ويلقب الجزل في أربعة آلاف ليس فيهم من المنهزمين أحد وساروا لحرب شبيب وأصحابه . وقدّم بين يديه عيّاض بن أبي لُبْنَة الكِنْديّ وجعلوا يتبعون شبيباً من رستاق إلى رستاق وهو على غير تعبية والجزل على التعبية ويخندق على نفسه متى نزل وطال ذلك على شبيب وكان في مائة وستين فقسمه على أربع فرق وثبت الجزل ومشايخه فلم يصب منهم فرجع عنهم . ثم صحبهم ثانية فلم يظفر منهم بشيء . وسار الجزل في التعبية كما كان وشبيب يسير في أرض الخوارج وغيرها يكسب الخراج . وكتب الحجّاج الى الجزل ينكر عليه البطء ويأمره بالمناهضة وبعث سعيد بن المُجَالِدي على جيش الجزل فجاءهم بالهندوان [4] ووبّخهم وعجزهم وجاءهم الخبر بأنّ شبيباً قد دخل قَطِيطِيا والدهقان يصلح لهم الغداء ، فنهض سعيد في الناس وترك الجزل مع العسكر وقد صفّ بهم خارج الخندق وجاء سعيد إلى قَطِيطِيا وعلم به شبيب فأكل وتوضأ وصلى . وخرج فحمل على سعيد وأصحابه مستعرضاً فانهزموا وثبت سعيد فقتله وسار في اتباعهم إلى الجزل فقاتلهم الجزل حتى وقع بين القتلى جريحاً . وكتب إلى الحجّاج بالخبر وأقام بالمدائن وانتهى شبيب إلى الكرخ وعبر دجلة إليه وأرسل إلى سوق بغداد فأتاهم في يوم سوقهم

---

(١) سورة بن الحرّ التميمي : ابن الاثير ج ٤ ص ٣٩٨ .
(٢) ابن ابي العصيفر : ابن الاثير ج ٤ ص ٤٠١ .
(٣) الجزل بن سعيد بن شرحبيل الكندي واسمه عثمان : ابن الاثير ج ٤ ص ٤٠١ .
(٤) النهروان : ابن الاثير ج ٤ ص ٤٠٣ .

واشترى منه حاجاته وسار إلى الكوفة فلما قرب منها بعث الحجّاج سُوَيْد بن عبد الرحمن السَعْدِي في ألفي رجل فساروا إلى شبيب وأمر عثمان بن قَطَن فعسكر في السّبخة وخالفه شبيب إلى أهل السبخة فقاتلوه وجاء سويد في آثاره فمضى نحو الحيرة وسُوَيد في إتباعه ثم رحل من الحيرة . وجاء كتاب الحجّاج إلى سويد يأمره باتباعه فمضى في اتيانه وشبيب يغير في طريقه وأخذ على القُطْقُطَانَة ثم على قصر بني مُقَاتِل ثم على الأنبار ثم ارتفع على أدنى أذْرَبَيْجان . ولما أبعد سار الحجّاج إلى البصرة واستعمل على الكوفة عُرْوَة بن المُغِيرَة بن شُعْبَة فجاءه كتاب دهقان بابل مَهْرُود يخبره بقصد شبيب الكوفة فبعث بالكتاب إلى الحجّاج . وأقبل شبيب حتى نزل عَقَرْقَوبا[1] ، ونزل وسار منها يسابق الحجّاج إلى الكوفة . وطوى الحجّاج المنازل فوصل الكوفة عند العصر ووصل شبيب عند المغرب فأراح وطعموا ثم ركبوا ودخلوا إلى السوق وضرب شبيب القصر بعموده . ثم اقتحموا المسجد الأعظم فقتلوا فيه من الصالحين ومروا بدار صاحب الشرطة فدعوه إلى الأمير ونكرهم فقتلوا غلامه ومرّوا بمسجد بني ذَهْل فقتلوا ذُهْل بن الحرث وكان يطيل الصلاة فيه . ثم خرجوا من الكوفة واستقبلهم النَضْر بن القَعْقَاع بن شُور الذُهْلِي ، وكان ممن أقبل مع الحجّاج من البصرة فتخلّف عنه فلما رآه قال : السلام عليك أيها الأمير ، فقال له شبيب : قل أمير المؤمنين ويلك ! فقالها . وأراد شبيب أن يلقّنه للقرابة بينهما . وكان النَضْر ناحية بيت هانيء بن قُبَيْصَة الشيباني فقال له : يا نضر لا حكم إلا لله ففطن بهم وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون وشدّ عليه أصحاب شبيب فقتلوه . ونادى منادي الحجّاج بالكوفة يا خيل الله اركبي وهو بباب القصر وكان أوّل من أتاه عثمان بن قَطَن ابن عبدالله بن الحسين ذي القِصّة[2] ، ثم جاء الناس من كل جانب ، فبعث الحجاج خالد بن الأسدي[3] وزائدة بن قُدَامَة الثَقَفِيّ وأبا الضُرَيْس مولى بني تميم ، وعبد الأعلى بن عبدالله بن عامِر وزياد بن عبدالله العَتَكِيّ[4] في ألفين ألفين وقال : إن كان حرب فأميركم زائدة بن قُدَامَة وبعث معهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيدالله من سِجِسْتان ، وكان عبد الملك قد ولاّه عليها ، وأمر الحجّاج أن

---

(١) عقرقوف : ابن الاثير ج ٤ ص ٤٠٦ .
(٢) بن الحصين ذي الغصة : ابن الاثير ج ٤ ص ٤٠٧ .
(٣) فبعث الحجاج بشر بن غالب الأسدي : المرجع السابق ص ٤٠٨ .
(٤) زياد بن عمرو العتكي : المرجع السابق .

يجهّزه ويبعثه في آلاف من الجنود إلى عمله ، فجهّزه . وحدث أمر شبيب فقال له الحجّاج : تجاهد ويظهر إسمك ثم تمضي إلى عملك ، فساروا جميعاً ونزلوا أسفل الفرات . وأخذ شبيب نحو القادسية وجرّد الحجاج ألفاً وثمانمائة من نقاوة الجند مع زُخْر بن قَيْس[1] ، وأمره بمواقعة شبيب أينما أدركه ، وإن ذهب فاتركه . فأدركه بالسِلْحَيْن[2] وعطف عليه شبيب فقاتل زُخْر حتى صُرِع وفيه بضعة عشر جرحاً وانهزم أصحابه يظنون أنه قتل ثم أفاق من برد السحر فدخل قرية وسار الى الكوفة ثم قصد شبيب وأعوانه وهم على أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة فقال : إنّ هزمناهم فليس دون الحجّاج والكوفة مانع وانتهى إليهم وقد تعبوا للحرب وعلى الميمنة زياد بن عمر العَتَكيّ وعلى الميسرة بِشْر بن غالِب الأسَدي وكل أمير بمكانه . وعبّى شبيب أصحابه ثلاثة كتائب فحمل سُوَيْد بن سُلَيْم على زياد بن عمر فانكشفوا وثبت زياد قليلاً . ثم حمل الثانية فانهزموا وانهزم جريحاً عند المساء . ثم حملوا على عبد الأعلى ابن عبدالله بن عامر فانهزم ولم يقاتل ولحق بزياد بن عمر وحملت الخوارج حتى انتهت إلى محمد بن موسى بن طلحة عند الغروب فقاتلوه وصبر لهم ثم حمل مضاد أخو شبيب على بِشْر بن غالب في الميسرة فصبر ونزل في خمسين رجلا فقاتلوه حتى قتلوا . وحملت الخوارج على أبي الضُرَيْس مولى بني تميم فهزموه حتى انتهى إلى أعين ثم حملوا عليه وعلى أعين فهزموهما الى زائدة بن قدامة . فلما انتهوا إليه نادى نزال[3] وقاتلهم الى السَحَر ثم حمل شبيب عليه فقتله وقتل أصحابه ودخل أبو الضُرَيْس مع الفلّ إلى الجَوْسَق بازائهم . ورفع الخوارج عنهم السيف ودعوهم إلى البيعة لشبيب عند الفجر فبايعوه وكان فيمن بايعه أبو بُرْدَة وبقي محمد بن موسى لم ينهزم ، فلما طلع الفجر سمع شبيب أذانهم وعلم مكانهم فأذّن وصلّى ثم حمل عليهم فانهزمت طائفة منهم وثبتت أخرى وقاتل محمد حتى قتل . وأخذ الخوارج ما في العسكر وانهزم الذين بايعوا شبيباً فلم يبق منهم أحد . وجاء شبيب إلى الجَوْسَق الذي فيه أعين وأبو الضُرَيْس فتحصنوا منه فأقام يوماً عليهم وسار عنهم وأراده أصحابه على

---

(١) زحر بن قيس : ابن الاثير ج ٨ صفحة ٤٠٨ .

(٢) السِّيلحين : المرجع السابق .

(٣) وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٤١٠ : «فلما انتهوا إليه نادى : يا أهل الإسلام الأرضَ الارضَ» . ويعني النزول عن خيلهم الى الأرض والقتال راجلين .

الكوفة وازاءهم خوخى[1] فتركها وخرج على نفر وسمع الحجّاج بذلك فظنّ أنه يريد المدائن وهي باب الكوفة وأكثر السواد لها فهاله ذلك وبعث عثمان بن قَطَن أميراً على المدائن وخوخى والأنبار وعزل عنها عبدالله بن أبي عُصَيْفير . وقيل في مقتل محمد بن موسى غير هذا وهو أنه كان شهد مع عمر بن عبدالله بن مَعْمَر قتال أبي فديك فزوّجه عمر ابنته ، وكانت أخته تحت عبد الملك فولاّه سِجِسْتَان فمرّ بالكوفة وقيل للحجّاج إن جاء إلى هذا أحد ممن تطلبه منعك منه فمره بقتال شبيب في طريقه لعل الله يريحك منه ففعل الحجّاج . وعدل محمد إلى قتال شبيب وبعث إليه شبيب بدهاء الحجّاج وخديعته إياه وأن يعدل عنه فأبى إلا شبيباً فبارزه وقتله شبيب . ولما انهزم الأمراء وقتل موسى بن محمد بن طلحة دعا الحجّاج عبد الرحمن بن الأشعث وأمره أن ينتخب ستة آلاف فارس ويسير في طلب شبيب أين كان ، فسار لذلك . ثم كتب إليه وإلى أصحابه يتهدّدهم إن انهزموا ومرّ ابن الأشعث بالمدائن وعاد الجزل من جراحته فوصّاه وحذّره وحمله على فرسه وكانت لا تجارى . وسار شبيب على دقوقا وشَهْرَزُور وابن الأشعث في إتباعه إلى أن وقف على أرض الموصل وأقام يقاتله أهلها ، فكتب إليه الحجّاج : أما بعد فاطلب شبيباً وأسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فاقتله أو تنفيه فانما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده . فجعل ابن الأشعث يتبعه وشبيب يقصد به الأرض الخشنة الغليظة وإذا دنا منه رجع يبيته فيجده على حذرة حتى أتعب الجيش وأحفى دوابهم ونزل بطن أرض الموصل ليس بينه وبين سواد إلا نهر حَوْلاَيا[2] في داذان الأعلى من أرض خوخى ونزل عبد الرحمن في عواقيل النهر وكانت أيام النحر ، وطلب شبيب الموادعة فيها فأجابه قصداً للمطاولة وكتب عثمان بن قَطَن بذلك إلى الحجّاج فنكر وبعث إلى عثمان بن قَطَن بإمارة العسكر وأمره بالمسير وعزل عبد الرحمن بن الأشعث وبعث على المدائن مُطَرِّف بن المغيرة مكان ابن قَطَن وقدم ابن قَطَن على عسكر الكوفة عشية يوم التروية وناداهم إلى الحرب فاستمهلوه وأنزله عبد الرحمن بن الأشعث وأصبحوا إلى القتال ثالث يومهم على تعبية وفي الميمنة خالد بن نَهِيك بن قَيْس وفي الميسرة عقيل بن شدّاد السَّلُولِيّ وابن قَطَن في الرجالة

---

(1) جوخى : ابن الاثير ج ٤ ص ٤١١ .

(2) وفي الكامل ج ٤ ص ٤١٤ : «ثم اقبل البَتّ وهي من قرى الموصل ، ليس بينها وبين سواد الكوفة إلا نهر حَوْلايا ، وهو في راذان الأعلى من أرض جُوخَى » .

وعبر إليهم شبيب في مائة وثلاثين رجلاً فوقف في الميمنة وأخوه مضاد في القلب وسُوَيْد بن سُلَيْم في الميسرة وحمل شبيب على ميسرة عثمان بن قَطَن فانهزموا ونزل عَقِيل بن شدّاد فقاتل حتى قتل وقتل معه مالك بن عبد الله الهَمْدَاني وحمل سُوَيْد على ميمنة عثمان فهزمها وقاتل خالد بن نَهِيك فجاء شبيب من ورائه فقتله وتقدّم عثمان إلى مضاد في القلب فاشتدّ القتال وحمل شبيب من وراء عثمان وعطف عليهم سُوَيْد بن سُلَيْم ومضاد من القلب حتى أحاطوا به فقتلوه وانهزمت العساكر ووقع عبد الرحمن بن الأشعث فأتاه ابن أبي شَبَة الجُعْفي[1] وهو على بغلة فأردفه ونادى في الناس باللحاق بدير أبي مريم ورفع شبيب السيف عن الناس ودعاهم إلى البيعة فبايعوه ولحق ابن الأشعث بالكوفة فاختفى حتى أمنّه الحجّاج ومضى شبيب إلى ماه نهرادان[2] فأقام فيه فصل الصيف فلحق به من كان للحجّاج عليه تبعة ثم أقبل إلى المدائن في ثمانمائة رجل وعليها مُطَرِّف بن المُغِيرَة وبلغ الخبر إلى الحجّاج فقام في الناس وتسخط وتوعد. فقال زُهْرَة بن حَوِيَّة وهو شيخ كبير لا يستطيع القيام إلا معتمداً : أنت تبعث الناس متقطعين فيصيبون منهم فاستنفر الناس جميعاً وابعث عليهم رجلاً شجاعاً مجرّباً يرى الفرار عاراً والصبر مجداً وكرماً. فقال الحجّاج : أنت ذلك الرجل ! فقال : إنما يصلح من يحمل الدرع والرمح ويهز السيف ويثبت على الفرس ولا أطيق من هذا شيئاً وقد ضعف بصري ولكن أكون مع أمير وأشير عليه. فقال له : جزاكِ الله خيراً عن الإسلام وأهله أوّل أمرك وآخره. ثم قال للناس : سيروا فتجهّزوا بأجمعكم فتجهزوا وكتب الحجّاج إلى عبد الملك بأنّ شبيباً شارف المدائن يريد الكوفة وهم عاجزون عن قتاله بما هزم جندهم وقتل أمراءهم ويستمدّه من جند الشام ، فبعث إليه عبد الملك سُفْيان بن الأبرد الكلبيّ في أربعة آلاف وحَبيبَ بن عبد الرحمن الحكميّ في ألفَين وذلك سنة ست وسبعين وكتب الحجّاج إلى عِتَاب بن وَرْقَاء الرِيَاحِيّ يستقدمه من عند المهلب وقد وقع بينهما كما مرّ فقدم عِتاب وولاّه على الجيش فشكر زُهْرَة بن حَوِيّة له وقال : رميتهم بحجرهم والله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل. وبعث الحجّاج إلى جند الشام يحذّرهم البيات ويوصيهم

(١) ابن ابي سيرة الجعفي : ابن الاثير ج ٤ ص ٤١٥ .
(٢) ماه بهراذان : ابن الاثير ج ٤ ص ٤١٩ .

الإحتياط وأن يأتوا على عين التمر . وعسكر عِتاب بجماع أعين[1] ثم قطع شبيب دجلة الى المدائن وبعث إليه مطرّف أن يأتيه رجال من وجوههم ينظر في دعوتهم فرجاً منه وبعث اليه بغيث بن سويد[2] في جماعة مكثوا عنده أربعاً ولم يرجعوا من مطرّف بشيء . ونزل عِتاب الصَرَاة وخرج مطرف إلى الجبال خوفاً أن يصل خبره مع شبيب إلى الحجّاج فخلا لهم الجوّ. وجاء مضادّ إلى المدائن فعقد الجسر ونزل عِتاب سوق حكم[3] في خمسين ألفاً وسار شبيب بأصحابه في ألف رجل ، فصلى الظهر بساباط وأشرف على عسكر عِتاب عند المغرب وقد تخلف عنه أربعمائة من أصحابه فصلى المغرب ، وعبّى أصحابه ستمائة سُوَيْد بن سُلَيْم في مائتين في الميسرة ، والمُحَلّل بن وائل في مائتين في الميمنة وهو في مائتين في القلب . وكان على ميمنة عِتابُ محمد بن عبد الرحمن بن سعيد وعلى ميسرته نُعَيْم بن عُلَيْم وعلى الرجّالة حنظلة بن الحرث اليَرْبُوعي وهو ابن عمه وهم ثلاثة صفوف بين السيوف والرماح والرماة . ثم حرّض الناس طويلاً وجلس في القلب ومعه زُهْرَة بن مرتد[4] وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وابو بكر بن محمد بن أبي جَهْم العَدَوِيّ وأقبل شبيب حين أضاء القمر بين العشاءين فحمل على الميسرة وفيها ربيعة فانقضوا وثبت قُبَيْصَة بن والق وعُبَيْد بن الحُلَيْس ونُعَيْم بن عُلَيْم على رايتهم حتى قتلوا . ثم حمل شبيب على عِتَاب بن ورقاء وحمل سُوَيْد بن سليم على محمد بن سليمٍ في الميمنة في تميم وهَمْدَان واشتدّ القتال وخالط شبيب القلب وانفضوا و تركوا عِتَاباً وفرّ ابن الأشعث في ناس كثيرين وقتل عِتَاب بن ورقاء وركب زُهْرَة بن حَوِيّة فقاتل ساعة ثم طعنه عامر بن عمر التَغْلَبي من الخوارج ووطأته الخيل فقتله الفضل بن عامر الشيبانيّ منهم ، ووقف عليه شبيب وتوجع له ونكر الخوارج ذلك وقالوا : أتتوجع لرجل كافر ؟ فقال : أعرف قديمه . ثم رفع السيف عن الناس ودعا للبيعة فبايعوه وهربوا تحت ليلهم وحوى ما في العسكر وأتاه أخوه من المدائن وأقام يومين ثم سار نحو الكوفة ولحق سُفْيان بن الأبرد وعسكر الشام بالحجّاج ، فاستغنى بهم عن أهل الكوفة واشتدّ بهم وخطب فوبّخ أهل الكوفة

---

(١) جام اعين : ابن الاثير ج ٤ ص ٤٢١ .
(٢) قَعْنَب بن سويد : ابن الاثير ج ٤ ص ٤٢١ .
(٣) سوق حكمة : ابن الاثير ج ٤ ص ٤٢٢
(٤) زهرة بن حوية : ابن الاثير ج ٤ ص ٤٢٣ .

وعجزهم وجاء شبيب فنزل حمام أعْيَن فسرّح الحجّاج إليه الحرث بن معاوية الثقفي في نحو ألف من الشُرَط لم يشهدوا يوم عِتَاب فبادر إليه شبيب فقتله وانهزم أصحابه إلى الكوفة وأخرج الحجّاج مواليه فأخذوا بأفواه السكك وجاء شبيب فنزل السَّبْخَة ظاهر الكوفة وبنى بها مسجداً وسرّح الحجّاج مولاه أبا الورد في غلمان لقتاله فحمل عليه شبيب وقتله يظنه الحجّاج ثم أخرج إليه مولاه طهمان كذلك فقتله . فركب الحجّاج في أهل الشام وجعل سَبْرَة بن عبد الرحمن بن مُخْنِف على أفواه السكك وقعد على كرسيه ونادى في أهل الشام وحرّضهم فغضوا الأبصار وجثوا على الركب وشرّعوا الرماح وأقبل شبيب في ثلاثة كراديس معه ومع سُوَيْد بن سليم ومع المُحَلَّل بن وائِل وحمل سُوَيْد وبيتوا وطاعنوه حتى انصرف وقدّم الحجّاج كرسيّه وحمل المُحَلَّل ثانية فكذلك وقدّم الحجّاج كرسيّه فثبتوا له وألحقوه بأصحابه .وسرب شبيب سُوَيْد بن سليم إلى أهل السكك وكان عليها عُرْوَة بن المغيرة بن شعبة فلم يطق دفاعه ثم حمل شبيب فطاعنوه وردّوه وانتهى الحجّاج إلى مسجده وصعده وملك العرصة . وقال له خالد ابن عتاب إئذن لي في قتالهم فإنّي موتور فأذن له ، فجاءهم من ورائهم وقتل أخا شبيب وغزالة إمرأته وخرّق عسكرهم وحمل الحجّاج عليهم فانهزموا ، وتخلّف شبيب ردأًهم. فأمر الحجّاج أصحابه بموادعتهم ودخل الكوفة فخطب وبشّر الناس . ثم سرّح حبيب بن عبد الرحمن الحَكَمي في ثلاثة آلاف فارس لاتباعه وحذّره بيانه فانتهى في أثره إلى الأنبار وقد افترق عن شبيب كثير من أصحابه للأمان الذي نادى الحجاج به ، فجاءه شبيب عند الغروب وقد قسّم حبيب جنده أرباعاً وتواصوا بالاستماتة فقاتلهم شبيب طائفة بعد طائفة فما زالت قدم إنسان عن موضعها إلى آخر الليل . ثم نزل شبيب وأصحابه واشتدّ القتال وكثر القتلى وسقطت الأيدي وفقئت الأعين ، وقتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثين ومن أهل الشام نحو مائة وأدركهم الإعياء والفشل جميعاً فانصرف شبيب بأصحابه وقطع دجلة ومرّ في أرض خوخى . ثم قطع دجلة أخرى عند واسط ومضى على الأهواز وفارس إلى كَرْمان ليريح بها . (وقد قيل) في هذه الحرب غير هذا ، وهو أنّ الحجاج بعث إليه أمراء واحداً بعد واحد. فقتلهم وكان منهم أعْيَن صاحب حمام أعْيَن وكان غزالة إمرأة شبيب نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين[1] بالبقَرة وآل عمران فجاء شبيب ودخل الكوفة ليلا

(١) ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران .

وأوفت بنذرها . ثم قاتلهم الناس وخرجوا وقام الحجّاج في الناس يستشيرهم وبرز إليه قتيبة وعذله في بعث الرعاع ينهزمون ويموت قائدهم والرأي أن تخرج بنفسك فتحامله[1] فخرج من الغد إلى السَّبْخَة وبها شبيب واختفى مكانه عن القوم ونَصَب أبا الورد مولاه تحت اللواء فحمل عليه شبيب فقتله . ثم حمل على خالد بن عتاب في الميسرة ثم على مطرف بن ناجية[2] في الميمنة فكشفها ونزل عند ذلك الحجّاج وأصحابه وجلس على عباءة ومعه عَنْبَسَة بن سعيد وبينما هم على ذلك إذْ اختلف الخوارج وقال مَصْقَلَةُ بن مُهَلْهَل الضَبِيّ لشبيب : ما تقول في صالح بن مُسرّح ؟ قال : برئت منه . فبرىء مصقلة منه ، وفارقه . وشعر الحجّاج باختلافهم فسرّح خالد بن عتاب لقتالهم فقاتلهم في عسكرهم وقتل غزالة وبعث برأسها إلى الحجّاج فأمر شبيب من اعترضه فقتل حامله ، وجاء به فغسله ودفنه . وانصرف الخوارج وتبعهم خالد وقتل مضاد أخو شبيب ورجع خالد عنهم بعد أن أبلى . وسار شبيب إلى كَرْمَان . وكتب الحجّاج إلى عبد الملك يستمدّه فبعث إليه سُفْيَان بن الأبرد الكلبيّ في العساكر فانفق فيهم المال ، وسرّحه بعد انصراف الخوارج بشهرين وكتب إلى عامل البصرة وهو الحَكَم بن أيّوب زوج ابنته أن يبعث بأربعة آلاف فارس من جند البصرة إلى سُفْيَان فبعثهم مع زياد بن عمر العَتَكِيّ فلحقه[3] انقضاء الحرب . وكان شبيب بعد أن استجم بكَرْمَان أقبل راجعاً فلقي سُفْيَان بالأهواز فعبر إليه جسر دُجَيْل وزحف في ثلاثة كراديس فقاتلهم أشدّ قتال وحملوا عليهم أكثر من ثلاثين حملة وسُفْيَان وأهل الشام مستميتين يزحفون زحفاً حتى اضطرّ الخوارج إلى الجسر فنزل شبيب في مائة من أصحابه ، وقاتل إلى المساء حتى إذا جاء الليل انصرف وجاء إلى الجسر فقدّم أصحابه وهو على أثرهم فلما مرّ بالجسر اضطرب حجر تحت حافر فرسه وهو على حرف السفينة فسقط في الماء وغرق وهو يقول : وكان أمر الله مفعولا ، ذلك تقدير العزيز العليم . وجاء صاحب الجسر إلى سُفْيَان وهو يريد الإنصراف بأصحابه فقال : إنّ رجلاً من الخوارج سقط فتنادوا بينهم غرق أمير

---

(١) فتحاكمه : ابن الاثير ج ٤ ص ٤٢٩ .

(٢) مطر بن ناجية : المرجع السابق .

(٣) بياض بالأصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٤٣١ :«فسيّرهم مع زياد بن عمرو العتكي ، فلم يصل إلى سفيان حتى التقى سفيان مع شبيب » .

المؤمنين ومرّوا وتركوا عسكرهم فكبّر سُفْيَان وأصحابه وركب إلى الجسر وبعث إلى عسكرهم فحوى ما فيه وكان كثير الخيرات ثم استخرجوا شبيباً من النهر ودفنوه .

* (خروج المطرف والمغيرة بن شعبة) *

لما ولى الحجّاج الكوفة وقدمها وجد بني المغيرة صلحاء أشرافاً فاستعمل عروة على الكوفة ومطرّفاً على المدائن وحمزة على هَـمَذان فكانوا أحسن العمّال سيرة وأشدّهم على المريب . ولما جاء شبيب إلى المدائن نزل نهر شير[1] ومطرّف بمدينة الأبواب فقطع مطرّف الجسر وبعث إلى شبيب أن يرسل إليه من يعرض عليه الدعوة ، فبعث إليه رجلاً من أصحابه فقالوا نحن ندعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وأنّا نقمنا على قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتبسط بالجزية فقال مطرّف دعوتم إلى حق [2] جورا ظاهراً وأنا لكم متابع فبايعوني على قتال هؤلاء الظلمة بإحداثهم وعلى الدعاء إلى الكتاب والسنة على الشورى كما تركها عمر بن الخطّاب حتى يولّي المسلون من يرضوْنه ، فإنّ العرب إذا علمت أنّ المراد بالشورى الرضا من قريش رضوا فكثر مبايعكم فقالوا : لا نجيبك إلى هذا ! وأقاموا أربعة أيام يتناظرون في ذلك ولم يتفقوا وخرجوا من عنده . ثم دعا مطرّف أصحابه وأخبرهم بما دار بينه وبين أصحاب شبيب وأنّ رأيه خلع عبد الملك والحجّاج فوجموا من قوله وأشاروا عليه بالكتمان فقال له يزيد بن أبي زياد مولى أبيه لن والله يخفى على الحجاج شيء مما وقع ولو كنت في السحاب لاستنزلك فالنجاء بنفسك ، ووافقه أصحابه فسار عن المدائن إلى الجبال ولما كان في بعض الطريق دعا أصحابه إلى الخلع والدعاء إلى الكتاب والسُّنّة ، وأن يكون الأمر شورى فرجع عنه بعض إلى الحجّاج منهم سُبْرَة بن عبد الرحمن مُخْنِف وسار مطرّف ومرّ بحُلْوَان وبها سُوَيْد بن عبد الرحمن السَعْدِي مع الأكراد فاعترضوه فأوقع مطرّف بهم وأثخن في الأكراد ومال عن هَمَذان ذات اليمين وبها أخوه حمزة واستمدّه بمال وسلاح فأمدّه سرّاً . وسار إلى قُمْ وقاشان فبعث عماله في نواحيه وفزع إليه كل جانب فجاء سُوَيْد بن سِرْحان الثَقَفِي وبُكَيْر بن هرون

(١) بَهُرَسير : ابن الاثير ج ٤ ص ٤٣٤ .

(٢) بياض بالأصل : وفي الكامل لأبن الاثير ج ٤ ص ٤٣٤ : «ما دعوتم إلاّ الى حق ، وما نقمتم إلاّ جورا ظاهرا» وكذلك الطبري ج ٧ ص ٢٦٠ .

النّخَعِيّ من الري في نحو مائة رجل . وكان على الرِيّ عَدِيّ بن زياد الأيادي وعلى أصبهان البّراء بن قُبَيْصَة فكتب إلى الحجّاج بالخبر واستمدّه فأمدّه بالرجال ، وكتب إلى عَدِيّ بالري أن يجتمع مع البّراء على حرب مطرّف فاجتمعوا في ستة آلاف وعَدِيّ أميرهم . وكتب الحجّاج إلى قَيْس بن سَعْد البَجَلِيّ[1] وهو على شُرطة حَمْزَة بهَمَذان بأن يقبض على حمزة ويتولى مكانه فجاءه في جمع من عِجْل وربيعة وأقرأه كتاب الحجّاج فقال سمعاً وطاعة . وقبض قَيْس عليه وأودعه السجن وسار عَدِيّ والبرّاء نحو مطرّف فقاتلوه وانهزم أصحابه وقتل يزيد مولى أبيه وكان صاحب الراية . وقتل من أصحابه عبد الرحمن بن عبدالله بن عفيف الأزدي وكان ناسكاً صالحاً وكان الذي تولى قتل مطرّف عمر بن هُبَيْرة الفَزَارِيّ . وبعث عَدِيّ أهل البلاء إلى الحجّاج وأمر بُكَيْر بن هرون وسُوَيْد بن سرحان ، وكان الحجّاج يقول مطرّف ليس بولد للمغيرة وإنما هو ابن مصقلة الحر ، لأن أكثر الخوارج كانوا من ربيعة لم يكن فيهم من قَيْس .

* (اختلاف الأزارقة) *

قد تقدّم لنا مقام المهلّب في قتال الأزارقة على سابور بعد مسير عِتَاب عنه إلى الحجّاج وأنه أقام في قتالهم سنة ، وكانت كَرْمَان لهم وفارس للمهلّب فانقطع عنهم المَدَد وضاقت حالهم فتأخروا إلى كَرْمَان وتبعهم المهلّب ونزل خيررفت[2] مدينة كَرْمَان وقاتلهم حتى أزالهم عنها وبعث الحجّاج العمال على نواحيها وكتب إليه عبد الملك بتسويغ[3] للمهلّب معونة له على الحرب . وبعث الحجّاج إلى المهلّب البرّاء بن قُبَيْصَة يستحثه لقتال الخوارج فسار وقاتلهم والبرّاء مشرف عليه من ربوة واشتدّ قتاله ، وجاء البرّاء من الليل فتعجّب لقتاله وانصرف إلى الحجّاج وأنهى غدر المهلّب وقاتلهم ثمانية عشر شهراً لا يقدر منهم على شيء . ثم وقع الاختلاف بينهم فقيل في سببه انّ المُقَعْطَر الضَبِيّ وكان عاملاً لقطريّ على بعض نواحي كَرْمَان قتل

(١) قيس بن سعد العِجْليّ : ابن الاثيرج ٤ ص ٤٣٦ .
(٢) جيرَفت : ابن الاثيرج ٤ ص ٤٣٧ .
(٣) بياض في الأصل وفي الكامل لأبن الاثيرج ٤ ص ٤٣٧ : «فكتب اليه عبد الملك يأمره ان يترك بيد المهلب فسا ودار ابجرد وكورة إصطخر تكون له معونة على الحرب . »

بعض الخوارج فطلبوا القود منه فمنعه قطري وقال : تأوّل فأخطأ ، وهو من ذوي السابقة فاختلفوا وقيل بل كان رجل في عسكرهم يصنع النصول مسمومة فيرمي بها أصحاب المهلّب فكتب المهلّب كتاباً مع رجل وامرأة أن يلتقيه في عسكرهم وفيه وصلت نصالك وقد أنفذت إليك ألف درهم . فلما وقف على الكتاب سأل الصانع فأنكر فقتله فأنكر عليه عبد ربه الكبير واختلفوا . (وقيل) بعث المهلّب نصرانيا وأمره بالسجود لقطريّ فقتله بعض الخوارج وولّوا عبد ربه الكبير وخلعوا قطرياً فبقي في نحو الخمسين منهم وأقاموا يقتتلون شهراً ، ثم لحق قَطْرِيّ بطبرستان وأقام عبد ربه بكرمان وقاتلهم المهلّب وحاصرهم بخيرفت [1] ولما طال عليهم الحصار خرجوا بأموالهم وحريمهم وهو يقاتلهم حتى أثخن فيهم . ثم دخل خيرفت وسار في اتباعهم فلحقهم على أربعة فراسخ فقاتلهم هو وأصحابه حتى أعيو وكفّ عنهم . ثم استمات الخوارج ورجعوا فقاتلوه حتى يئس من نفسه . ثم نصره الله عليهم وهزمهم وقتل منهم نحواً من أربعة آلاف كان منهم عبد ربه الكبير ولم ينج إلا القليل . وبعث المهلّب المُبَشِر إلى الحجّاج فأخبره وسأله عن بني المهلّب فأثنى عليهم واحداً واحداً قال : فأيهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها . فاستحسن قوله وكتب إلى المهلّب يشكره ويأمره أن يولّي على كَرْمَان من يراه وينزل حامية ويقدّم عليه ، فولّى عليها إبنه يزيد وقدم على الحجّاج فاحتفل لقدومه وأجلسه إلى جانبه وقال : يا أهل العراق أنتم عبيد المهلّب ! وسرّح سُفْيَان بن الأبرد الكلبي في جيش عظيم نحو طبرستان لطلب قَطَرِيّ وعُبَيْدَة بن هلال ومن معهم من الخوارج . والتقوا هنالك باسحق بن محمد بن الأشعث في أهل الكوفة واجتمعا على طلبهم ، فلقوهم في شِعب من شِعاب طَبَرِسْتان وقاتلوهم فافترقوا عن قَطَرِيّ ووقع عن دابته فتدهده إلى أسفل الشِعب ومرّ به عِلْجٌ فاستقاه على أن يعطيه سلاحه ، فعمد إلى أعلى الشِعب وحدّر عليه حجراً من فوق الشِعب فأصابه في رأسه فأوهنه ونادى بالناس فجاء في أوّلهم نفر من أهل الكوفة فقتلوه [2] منهم سَوْرَة بن أبْجَر التميمي وجَعْفَر بن عبد الرحمن بن مَخْنَف والسياح بن محمد بن الأشعث [3] وحمل رأسه أبو الجَهْم إلى

---

(١) جيرفت : ابن الاثير ج ٤ ص ٤٣٩ وقد مرّ ذكرها من قبل .

(٢) هنا بياض بالأصل وبعد مراجعة الكامل تبين انه لا يوجد اي نقص . (ابن الاثير ج ٤ ص ٤٤٢) : «فقتلوه ، منهم سورة بن الحر التميمي ..»

(٣) الصَبّاح بن محمد بن الأشعث : المرجع السابق .

إسحق بن محمد فبعث به إلى الحجّاج ، وبعثه الحجّاج إلى عبد الملك وركب سُفْيَان فأحاط بالخوارج وحاصرهم حتى أكلوا دوابهم ، ثم خرجوا إليه واستأتوا فقتلهم أجمعين وبعث برؤوسهم إلى الحجّاج ودخل دنباوند وطبرستان فكان هناك حتى عزله الحجّاج قبل دير الجماجم . قال بعض العلماء وانقرضت الأزارقة بعد قَطَرِيّ وعُبَيْدَة آخر رؤسائهم وأوّل رؤسائهم نافع بن الأزرق . واتصل أمرهم بضعاً وعشرين سنة إلى أن افترقوا كما ذكرناه سنة سبع وسبعين فلم تظهر لهم جماعة ، إلى رأس المائة .

* (خروج سودب) *

خرج سودب[1] هذا أيام عمر بن عبد العزيز على رأس المائة واسمه بِسْطَام وهو من بني يَشْكُر فخرج في مائتي رجل وسار في خوخى[2] وعامل الكوفة يومئذ عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب . فكتب إليه عمر أن لا يعرض لهم حتى يقتلوا أو يفسدوا فيوجه إليهم الجند مع صليب حازم فبعث عبد الحميد بن جرير بن عبدالله البَجَلِيّ في ألفين فأقام بازائه لا يحركه . وكتب عمر إلى سودب : بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله ، وكنت أولى بذلك مني ، فهلّم إليّ أناظرك فإن كان الحق معنا دخلت مع الناس ، وإن كان الحق معك نظرنا في أمرك . فبعث إليه عاصماً الحَبَشِيّ مولى بني شيبان ورجلاً من بني يَشْكُر فقدما عليه بخاصر[3] فسألهما ما أخرجكم وما الذي نقمتم ؟ فقال عاصم ما نقمنا سيرتك إنك لتتحرى العدل والإحسان فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر مشورة من الناس أم غلبت عليه ؟ قال عمر : ما سألته ولا غلبت عليه وعهد إليّ رجلٌ قبلي فقمت ولم ينكر أحد ، ومذهبكم الرضا لكل من عدل ، وإن أنا خالفت الحق فلا طاعة لي عليكم . قالا : فقد خالفت أعمال أهل بيتك وسمّيتها مظالم فتبرّأ منهم والعنهم فقال عمر : أنتم تريدون الآخرة وقد أخطأتم طريقها ، وإنّ الله لم يشرع اللعن . وقد قال إبراهيم : ومن عصاني فإنك غفورٌ رحيمْ وقال : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقْتَدِه وبقي تسمية أعمالهم مظالم ذماً ، ولو كان لعن أهل الذنوب فريضة لوجب عليكم لعن فرعون ، أنتم لا تلعنونه وهو أخبث

(١) شوذب : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٥ .
(٢) جوخى : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٥ وقد مرّ ذكرها من قبل .
(٣) خناصرة : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٥ .

الخلق ، فكيف ألعن أنا أهل بيتي وهم مُصَلّون صائمون ولم يكفروا بظلمهم ! لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإيمان والشريعة ، فمن عمل بها قبل منه ، ومن أحدث حدثاً فرض عليه الحدّ . فقالا : فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى التوحيد والإقرار بما نزل عليه . فقال عمر : وليس أحد ينكر ما نزل عليه ولا يقول لا أعمل بسُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن القوم أسرفوا على أنفسهم . قال عاصِم : فابرأ منهم وردّ أحكامهم . قال عمر : أتعلمان أنّ أبا بكر سبى أهل الردّة وأنّ عمر ردّها بالفدية ولم يبرأ من أبي بكر وأنتم لا تبرؤون من واحد منهما . قال : فأهل النهروان خرج أهل الكوفة منهم فلم يقتتلوا ولا استعرضوا وخرج أهل البصرة فقتلوا عبدالله بن حبّاب وجارية حاملاً ، ولم يتبرّأ من لم يقتل ممن قُتِل واستعرض ، ولا أنتم تتبرّؤن من واحد منهما . وكيف ينفعكم ذلك مع علمكم باختلاف أعمالكم ؟ ولا يسعني أنا البراءة من أهل بيتي والدين واحد فاتقوا الله ولا تقبلوا المردود وتردّوا المقبول ، وقد أمّن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد شهادة الإسلام وعصم ماله ودمه ، وأنتم تقتلونه ويأمن عندكم سائر الأديان وتحرّمون دماءهم وأموالهم فقال اليَشْكُريّ من استأمن على قوم وأموالهم فعدل فيها ثم صيّرها بعده إلى رجل غير مأمون أتراه أدّى الحق الذي لزمه ؟ فكيف تسلم هذا الأمر بعدك إلى يزيد مع علمك أنه لا يعدل فيه ؟ فقال : إنما ولاّه غيري والمسلمون أولى بذلك بعدي . قال : فهو حق ممن فعله وولاّه ، قال أنظراني ثلاثاً ثم جاءه عاصِم فرجع عن رأي الخوارج وقال له اليَشْكُرِي : أعرض عليهم ما قلت واسمع حجّتهم . وأقام عاصم عند عمرو وأمر له بالعطاء وتوفي عمر لأيام قلائل ومحمد بن جرير ينتظر عود الرسل . ولما مات عمر كتب عبد الحميد إلى محمد بن جرير بمناجزة سودب قبل أن يصل إليهم خبر عمر ، فقالت الخوارج ما خالف هؤلاء ميعادهم إلاّ وقد مات الرجل الصالح . واقتتلوا فانهزم محمد بن جرير واتبعه الخوارج إلى الكوفة ، ورجعوا وقدم على سودب صاحباه وأخبراه بموت عمر ، وسرّح يزيد تميم بن الحباب في ألفين فهزمه أصحابه ، ثم بعث إليهم الشُجَاع بن وداع[1] في ألفين فقتلوه وهزموه بعد أن قتل منهم هُدْبَةَ ابن عم سودب وبقي الخوارج بمكانهم . وجاء مَسْلَمة إلى الكوفة فأرسل سعيد بن عمرو

(١) السمّاج بن وَداع : ابن الاثير ج ٥ ص ٦٩ .

الحُرَيْشِيّ[١] في عسكر[٢] آلاف فاستماتت الخوارج وكشفوا العساكر مراراً ثم حملوا عليهم فطحنوهم طحناً . وقتل سودب وأصحابه ولم يبق منهم أحد ، وضعف أمر الخوارج إلى ظهور[٣] أيام هشام سنة عشرين ومائة بهلول بن بشر بن شيبان وبلغت كنارة ، وكان لما عزم على الخوارج حج ولقي بمكة من كان على رأيه ، فأبعدوا إلى قرية من قرى الموصل واجتمعوا بها وهم أربعون وأمّروا عليهم البهلول وأخفوا أنفسهم بأنهم قدموا من عند هشام ومرّوا بقرية كان بهلول ابتاع منها خلاً فوجده خمراً وأبى البائع من ردّه واستعدى عليه عامل القرية ، فقال : الخمر خير منك ومن قومك فقتلوه وأظهروا أمرهم وقصدوا خالد القِسْرِي بواسط وتعلّلوا عليه بأنه يهدم المساجد ويبني الكنائس ويولّي المجرّد على المسلمين . وجاء الخبر إلى خالد فتوجه من واسط إلى الحيرة وكان بها جند من بني العين نحو ستمائة بعثوا مدداً لعامل الهند ، فبعثهم خالد مع مقدمهم لقتال بهلول وأصحابه وضمّ إليهم مائتين من الشُرُط والتقوا على الفرات ، فقتل مقدمهم وانهزموا إلى الكوفة . وبعث خالد عابداً الشيباني من بني حوشب بن يزيد بن رُوَيْم فلقيه بين الموصل والكوفة فهزمهم إلى الكوفة وارتحل يريد الموصل . ثم بدا له وسار يريد هشاماً بالشام وبعث خالد جنداً من العراق وعامل الجزيرة جنداً ، وبعث هشام جنداً فاجتمعوا بين الجزيرة والموصل بكَحِيل وهم في عشرين ألفاً وبهلول في سبعين فقاتلوا واستماتوا وصرع بهلول وسأله أصحابه العهد فعهد إلى دعامة الشيبانيّ ثم إلى عمر اليشكريّ من بعده . ومات بهلول من ليلته وهرب دعامة وتركهم ثم خرج عمر اليشكريّ فلم يلبث أن قتل . (ثم خرج) على خالد بعد ذلك بسنتين الغَفَرِيّ صاحب الأشهب وبهذا كان يعرف فبعث اليه السِمْط بن مسلم البَجَليّ في أربعة آلاف فالتقوا بناحية الفرات فانهزمت الخوارج ولقيهم عبيد أهل الكوفة وغوغاؤهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم . ثم خرج وزير السَختيانيّ على خالد بالحيرة فقتل وأحرق القرى فوجّه إليه خالد جنداً فقتلوا أصحابه ، وأثخن بالجراح وأتي به خالد فوعظه فأعجبه وعظه فأعفاه من القتل . وكان يسامره بالليل وسعى بخالد إلى هشام وأنه أخذ حرورياً يستحق القتل فجعله سميراً ، فكتب إليه

(١) سعيد بن عمر والحرشيّ : ابن الاثير ج ٥ ص ٧٠ .
(٢) في عشرة الاف : ابن الاثير ج ٥ ص ٧٠ والعبارة هنا غير واضحة وربما يكون قد سقطت كلة «من عشرة» اثناء النسخ فتصبح العبارة : في عسكر من عشرة الاف .
(٣) العبارة هنا غير واضحة والأصح : الى ان ظهر ايام هشام .

هشام بقتله فقتله . ثم خرج بعد ذلك الصخاري بن شبيب بالفريفيّة فمضى وندم خالد فطلبه فلم يرجع ، وأتى جبل وبها نفر من اللاّت بن ثعلبة فأخبرهم وقال : إنما أردت التوصل إليه لأقتله بفلان من قعدة الصغرية كان خالد قتله صبراً . ثم خرج معه ثلاثون منهم فوجه إليهم خالد جنداً فلقوهم بناحية المناذر فاقتتلوا فقتل الصحارى وأصحابه أجمعون . وردّ أمر الخوارج بعد ذلك مرّة فلما وقعت الفتن أيام هشام بالعراق والشام وشغل مروان بمن انتقض عليه فخرج بأرض كفريموتا سعيد بن بَهْدَل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة وكان على رأي الحرورية ، وخرج بِسْطام البَهَسِيّ في مثل عدّتهم من ربيعة ، وكان مخالفاً لرأيه ، فبعث إليه من الصُغْرِيّة أربعة آلاف أو يزيدون . وولّى مروان على العراق النَضْرَ بن سعيد الحَرَيْشِيّ وعزل به عبدالله بن عمر بن عبد العزيز فامتنع عبدالله بالحيرة ، وسار إليه النضر وتحاربا أشهراً . وكانت الصُغْرِيّة مع النَضْر عصبة لمروان لطلبه بدم الوليد وأمه قيسية . فلما علم الضحّاك والخوارج باختلافهم ، أقبل إلى العراق سنة سبع وعشرين وزحف إليهم فتراسل ابن عمر والنّضر وتعاقدا واجتمعا لقتاله بالكوفة ، وكل واحد منهما يصلى بأصحابه وابن عمر أمير على الناس وجاء الخوارج فقاتلوهم فهزموهم الى خندقهم ثم قاتلوهم في اليوم الثاني كذلك فسلك الناس إلى واسط منهم النّضر بن سعيد الحُرَيْشي ومنصور ابن جُمْهُور وإسمعيل أخو خالد القِسْرِي وغيرهم من الوجوه . فلحق ابن عمر بواسط واستولى الضحّاك على الكوفة وعادت الحرب بين ابن عمر والنضر . ثم زحف إليهما الضحّاك فاتفقا وقاتلا حتى ضرّستهما الحرب ، ولحق منصور بن جمهور بالضحّاك والخوارج وبايعهم ثم صالحهم ابن عمر ليشغلوا مروان عنه ، وخرج إليهم وصلّى خلف الضحّاك وبايعه وكان معه سليمان بن هشام وصل إليه هارباً من حمص لما انتقض بها وعليه   عليها مروان فلحق بابن عمر وبايع معه الضحّاك وصار معه وحرّضه على مروان   انما لحق بالضحّاك وهو يحاصر نضيراً وتزوّج أخت شيبان الحروري . فرجع الضحّاك إلى الكوفة وسار منها إلى الموصل بعد عشرين شهراً من حصار واسط ، بعد أن دخل أهل الموصل وعليهم القطرن أم أكمـــه من بني شيبان عامل لمروان فأدخلهم أهل البلد وقاتلهم القطرن فقتل ومن معه وبلغ الخبر إلى مروان وهو يحاصر حمص فكتب إلى ابنه عبدالله أن يسير إلى يمانع الضحّاك عن توسط الجزيرة فسار في ثمانية آلاف فارس

والضحّاك في مائة ألف وحاصره بنصيبين . ثم سار مروان بن محمد إليه فالتقيا عند كفرتوثا من نواحي ماردين فقاتله عامّة يومه إلى الليل وترجّل الضحّاك في نحو ستة آلاف وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وعُثِرَ على الضحّاك في القتلى فبعث مروانِ برأسه إلى [1] الجزيرة وأصبح الخوارج فبايعوا الخُبَيْرِيّ قائد الضحّاك وعاودوا الحرب مع مروان فهزموه وانتهوا إلى خيامه فقطعوا أطنابهم وجلس الخُبَيْرِيّ على فرشه والجناحان ثابتان وعلى الميمنة عبدالله بن مروان وعلى الميسرة اسحق بن مسلم العَقِيليّ فلما انكشف قلّة الخوارج أحاطوا بهم في مخيم مروان فقتلوهم جميعاً والخبَيْرِيّ معهم . ورجع مروان من نحو ستة أميال وانصرف الخوارج وبايعوا شيبان الحروريّ وهو شيبان بن عبد العزيز اليَشْكُرِيّ ويكنى أبا الدلقاء وقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف من يومئذ وأقام في قتالهم أياماً وانصرف عن شيبان كثير منهم وارتحلوا إلى الموصل بإشارة سليمان بن هشام وعسكروا شرقي دجلة ، وعقدوا الجسور واتبعهم مروان فقاتلهم لتسعة أشهر ، وقتل من الطائفتين خلقٌ كثيرٌ وأسر ابن أخ لسليمان بن هشام إسمه أمية بن معاوية فقطعه ثم ضرب عنقه وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هُبَيْرة وهو بقرقيسيا يأمره بالسير إلى العراق وولاّه عليها وعلى الكوفة يومئذ المُثَنّى بن عِمْرَان العائذي من قُرَيْش خليفةً للخوارج فلقي ابن هُبَيْرة بعين التمر فاقتتلوا وانهزمت الخوارج . ثم تجمّعوا له بالنُخَيْلَة ظاهر الكوفة فهزمهم ، ثم تجمعوا بالبصرة فأرسل شيبان إليهم عُبَيْدة بن سِوَار في خيل عظيمة فهزمهم ابن هُبَيْرة وقتل عُبَيْدة واستباح عسكرهم ، واستولى على العراق وكان منصور بن جُمْهُور مع الخوارج فمضى إلى الماهين وغلب عليها وعلى الخيل جميعاً ، وسار ابن هُبَيْرة إلى واسط فحبس ابن عمر وكان سليمان بن حبيب عامل ابن عمر على الأهواز فبعث ابن هُبَيْرة إليه نَبَاتَة بن حَنْظَلَة ، وبعث هو داود بن حاتم والتقيا على دجلة

---

(١) هنا اربع بياضات بالأصل كما ترى ، وان الكلام الذي بين البياضات غير مترابط وكثير الاغلاط لذلك نقلنا ما ورد في تاريخ الطبري ج ٩ ص ٧٦ : فذكر هشام عن ابي مخنف ان الضحاك ارتحل عن ابن عمر حتى لقي مروان بكفرتوثا من أرض الجزيرة فقتل الضحاك يوم التقوا . وابو هاشم مخلد بن محمد بن صالح قال : فيما حدثني احمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن ابراهيم عنه ان الضحاك ، لما قتل عطية التغلبي صاحبه وعامله على الكوفة ملحان بقنطرة السليحين ، وبلغه خبر قتل ملحان وهو محاصر عبدالله بن عمر بواسط وجّه مكانه من أصحابه رجلا يقال له مطاعن ، واصطلح عبدالله بن عمر

فانهزم داود وقتل وكتب مروان إلى ابن هُبَيْرة أن يبعث إليه عامر بن ضَبَابَة المُزْنيّ فبعثه في ثمانية آلاف وبعث شيبان لاعتراضه الجَوْنَ بن كِلاَب الخارجي في جمع فانهزم عامر وتحصّن بالسند وجعل مروان يمدّه بالجنود وكان منصور بن جُمْهُور بالجبل يمدّ شيبان بالأموال . ثم كثرت جموع عامر فخرج إلى الجَوْن والخوارج اللذين يحاصرونه فهزمهم وقتل الجَوْن وسار قاصداً الخوارج بالموصل ، فارتحل شيبان عنها وقدم عامر على مروان فبعثه في اتباع شيبان ، فرّ على الجبل وخرج على بيضاء

والضحاك على ان يدخل في طاعته . فدخل وصلى خلفه وانصرف الى الكوفة . وأقام ابن عمر فيمن معه بواسط . ودخل الضحّاك الكوفة ، وكاتبه أهل الموصل ودعوه إلى أن يقدم عليهم فيمكنوه منها ، فسار في جماعة جنوده بعد عشرين شهرا حتى انتهى اليها ، وعليها يومئذ عامل لمروان وهو رجل من بني شيبان من أهل الجزيرة ، يقال له القطران بن أكمه . ففتح أهل الموصل المدينة للضحّاك ، وقاتلهم القطران في عدّة يسيرة من قومه وأهل بيته حتى قتلوا . واستولى الضحّاك على الموصل وكورها ، وبلغ مروان خبره وهو محاصر حمص مشتغل بقتال اهلها . فكتب الى ابنه عبدالله وهو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير فيمن معه من روابطه الى مدينة نصيبين يشغل الضحّاك عن توسط الجزيرة فشخص عبدالله الى نصيبين في جماعة روابطه وهو في نحو من سبعة آلاف او ثمانية ، وخلف بحرّان قائداً في ألف او نحو ذلك . وسار الضحّاك من الموصل الى عبدالله بنصيبين فقاتله فلم يكن له قوّة لكثرة من مع الضحّاك ، فهو فيما بلغنا عشرون ومائة ألف ..

وأقام الضحّاك على نصيبين محاصراً لها ووجّه قائدين من قواده (....) حتى وردا الرقة فقاتلهم من بها من خيل مروان وهم نحو من خمسمائة فارس . ووجه مروان حين بلغه نزولهم الرقة خيلا من روابطه ، فلما دنوا منها انقشع اصحاب الضحّاك منصرفين إليه فاتبعتهم خيله فاستسقطوا من ساقتهم نيّفاً وثلاثين رجلا ، فقطعهم مروان حين قدم الرقة ومضى صامداً الى الضحّاك وجموعه حتى التقيا بموضع يقال له الغزّ من أرض كَفرتوثا فقاتله يومه ذلك . فلما كان عند المساء ترجّل الضحاك وترجل معه من ذوي الثبات من أصحابه نحو من ستة آلاف ، وأهل عسكره أكثرهم لا يعلمون بما كان منه وأحدقت بهم خيول مروان ، فالحوّا عليهم حتى قتلوهم عند العتمة . وانصرف من بقي من أصحاب الضحّاك الى عسكرهم ، ولم يعلم مروان ولا أصحاب الضحّاك أن الضحّاك قد قتل فيمن قتل حتى فقدوه في وسط الليل . وجاءهم بعض من عيانه حين ترجل فأخبرهم بخبره ومقتله فبكوه وناحوا عليه . وخرج عبد الملك بن بشر التغلبّي القائد الذي كان وجهه في عسكرهم الى الرقة حتى دخل عسكر مروان ، ودخل عليه فاعلمه أن الضحاك قتل . فارسل معه رسلا من حرسه معهم النيران والشمع الى موضع المعركة ، فقلبا القتلى حتى استخرجوه فاحتملوه حتى أتوا به مروان وفي وجهه اكثر من عشرين ضربة ، فكبّر أهل عسكر مروان ، فعرف أهل عسكر الضحّاك أنهم قد علموا بذلك . وبعث مروان برأسه من ليلته الى مدائن الجزيرة فطيف به فيها . وقيل : إن الخيبريّ والضحّاك انما قتلا سنة ١٢٩ .

راجع الكامل في التاريخ لابن الأثيرج ٥ ص ٣٤٨ — ٣٤٩ .

فارس وبها يومئذ عامِر بن عبدالله بن حطوية بن جعفر[١] في جموع كثيرة ، فسار ابن معاوية إلى كرمان وقاتله عامِر فهزمه ولحق بهَرَاة وسار عامر بمن معه فلقي شيبان والخوارج بخيرفت[٢] فهزمهم واستباح عسكرهم ومضى شيبان إلى سِجِسْتان فهلك بها سنة ثلاثين ومائة ، وقيل بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل شهراً ، ثم انهزم شيبان ولحق بفارس وعامر بن صراة[٣] في اتباعه ، ثم سار شيبان إلى جزيرة ابن كاوان ، وأقام بها . ولما ولي السفّاح بعث حارثة بن خُزَيْمَة لحرب الخوارج هنالك لموجدة وجدها عليه ، فأشير عليه ببعثه لذلك . فسار في عسكر إلى البصرة وركب السفن إلى جزيرة ابن كاوان ، وبعث فُضَالَة بن نَعِيم النَهَيْليّ في خمسمائة ، فانهزم شيبان إلى عمان وقاتل هناك وقتله جُلُنْدِي بن مسعود بن جعفر بن جُلُنْدي ومن معه سنة أربع وثلاثين . وركب سليمان بن هشام السفن بأهله ومواليه إلى الهند بعد مسير شيبان إلى جزيرة ابن كاوان حتى اذ بويع السفّاح قدم عليه وأنشده سديف البتين المعروفين وهما :

لا يَغُرَّنَّكَ مَـــا تَرَى مِنْ رِجَـــالٍ ... إنّ بَيْـنَ الضُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيّـــــا
فَضَعِ السَيْفَ وارْفَعِ الصَوْتَ حَتّى ... لا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَـــا أُمَوِيّـــا

فقتله السفّاح وانصرف مروان بعد مسير شيبان إلى الموصل الى منزله بحرّان . فلم يزل بها حتى سار إلى الزاب ، ومضى شيبان بعد سَلَمة إلى خراسان والفتنة بها يومئذ بين نصر ابن سيّار والكَرْمَاني والحرث بن شُرَيْح وقد ظهر أبو مسلم بالدعوة العباسية فكان له من الحوادث معهم ما ذكرناه واجتمع مع علي بن الكَرْمَاني على قتال نصر بن سيّار فلما صالح الكَرْمَاني أبا مسلم كما مرّ وفارق شيبان تنحّى شيبان عن عمر لعلمه أنه لا يقاومه . ثم هرب نصر بن سيّار إلى سرخس واستقام أمر أبي مسلم بخراسان ، فأرسل إلى شيبان يدعوه إلى البيعة ويأذنه بالحرب ، واستجاش بالكَرْمَاني فأبى ، فسار إلى سرخس واجتمع إليه الكثير من بكر بن وائل ، وأرسل إليه أبو مسلم في الموادعة ، فحبس الرسل ، فكتب أبو مسلم إلى بَسّام بن ابراهيم مولى بني ليث بالمسير إلى شيبان

(١) عبدالله بن معاوية بن حبيب بن جعفر : ابن الاثير ج ٥ ص ٣٥٥ .
(٢) جيرفت : المرجع السابق وقد مر ذكرها من قبل .
(٣) عامر بن ضبارة : المرجع السابق .

فسار إليه فهزمه وقتل في عدّة من بكر بن وائل . ويقال إنّ خُزَيْمة بن حازم حضر مع بسّام في ذلك .

* (خبر أبي حمزة وطالب وأسحق) *

كان إسم أبي حمزة الخارجي المختار بن عوف الأزدي البصري[1] وكان من الخوارج الإباضية وكان يوافي مكة كل موسم يدعو إلى خلاف مروان ، وجاء عبدالله ابن يحيي المعروف بطالب الحق سنة ثمان وعشرين وهو من حضرموت فقال له : إنطلق معي فإني مطاع في قومي . فانطلق معه الى حضرموت وبايعه على الخلافة وبعثه عبدالله سنة تسع وعشرين مع بَلْخ بن عقبة الأزدي[2] في سبعمائة فقدموا مكة وحكموا بالموقف وعامل المدينة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فطلبهم في الموادعة حتى ينقضي الموسم . وأقام للناس حجّهم ونزل بمنى وبعث إلى أبي حمزة عبيدالله بن حسن بن الحسن ومحمد بن عبدالله بن عمر بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد وعبيدالله ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر[3] بن ربيعة بن أبي عبد الرحمن في أمثالهم ، فكشّر في وجه العَلَوِيّ والعُثْمَانِيّ وانبسط إلى البَكْرِيّ والعُمَرِيّ ، وقال لهما : ما خرجنا إلا بسيرة أبويكما ! فقال له عبيدالله بن حسن : ما جئنا للتفضيل بين آبائنا وإنما جئنا برسالة من الأمير وربيعة يخبرك بها . ثم أحكموا معه الموادعة إلى مدتها . ونفر عبد الواحد في النفر الأوّل فمضى إلى المدينة وضرب على أهلها البعث وزادهم في العطاء عشرة ، وبعث عليهم عبد العزيز بن عبدالله بن عمر ابن عثمان ، فانتهوا إلى فديك . وجاءتهم رسل أبي حمزة يسألونهم التجافي عن حربهم وأن يخلوا بينهم وبين عدوّهم فلما نزلوا قديد وكانوا مترفين ليسوا بأصحاب حرب ، فطلع عليهم أصحاب أبي حمزة من الغياض فأثخنوا فيهم وكان قتلاهم نحو سبعمائة من قريش . وبلغ الخبر إلى عبد الواحد فلحق بالشام ودخل أبو حمزة المدينة منتصف صفر سنة ثلاثين وخطب على المنبر وأعلن بدعوته ووعظ ، وذكر وردّ مقالات من عليهم وسفّه رأيهم وأحسن السيرة في أهل المدينة واستمالهم حتى سمعوه

(١) المختار بن عوف الازدي السلّمي البصري : ابن الاثير ج ٥ ص ٣٥١ .
(٢) بلج بن عقبة الازدي : ابن الأثير ج ٥ ص ٣٧٣ .
(٣) وعبيدالله بن عمر بن حفص بن عاصم وعمر بن ربيعة : ابن الاثير ج ٥ ص ٣٧٤ .

يقول : من زنا فهو كافر ومن سرق فهو كافر وأقام ثلاثة أشهر ، ثم ودّعهم وسار نحو الشام . وكان مروان قد سرّح إليهم عبد الملك بن محمد بن عطيّة بن هوازن في أربعة آلاف ليقاتل الخوارج حتى يبلغ اليمن فلقي أبا حمزة في وادي القرى ، فانهزمت الخوارج وقتل أبو حمزة ولحق فلّهم بالمدينة . وسار عطية في أثرهم إلى المدينة فأقام بها شهراً ، ثم سار إلى اليمن واستخلف على المدينة الوليد ابن أخيه عُرْوَة ، وعلى مكّة رجلاً من أهل الشام . وبلغ عبدالله طالب الحق مسيره إليه وهو بصنعاء فخرج للقائه ، واقتتلوا ، وقتل طالب الحق وسار ابن عطيّة إلى صنعاء وملكها . وجاء كتاب مروان بإقامة الحج بالناس ، فسار في إثني عشر رجلاً ومعه أربعون ألف دينار وخلّف ثقله بصنعاء ونزل الحرف فاعترضه ابن حماية المرادي في جمع ، وقال له ولأصحابه : أنتم لصوص فاستظهروا بعهد مروان فكذّبوه وقاتلهم فقتلوه . وركد ريح الخوارج من يومئذ إلى أن ظهرت الدولة العبّاسية وبويع المنصور بعد السفّاح (فخرج سنة سبع وثلاثين) بالجزيرة مَلْبَدُ بن حَرْمَلَة الشيباني فسارت اليه روابط الجزيرة في ألف فارس فهزمهم وقاد منهم . ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلّبي ومهلّل بن صَفْوَان مولى المنصور ، ثم نزار من قوّاد خراسان ، ثم زياد بن مسكان ثم صالح بن صَبيح فهزمهم كلهم واحداً بعد واحد ، وقتل منهم . ثم سار إليه حَميد بن قُحْطُبَة وهو عامل الجزيرة فهزمه وتحصّن حميد منه ، فبعث المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبّار في الجيوش ، ومعه زياد بن مسكان فأكمن له الملبّد ، وقاتلهم . ثم خرج الكعبين[1] فانهزم عبد العزيز وقتل عامّة أصحابه فبعث المنصور حَازِمَ بن خُزَيْمَة في ثمانية آلاف من أهل خراسان فسار إلى الموصل وعبر إليه الملبّد دجلة فقاتله فانهزم أهل الميمنة وأهل الميسرة من أصحاب حازِم ، وترجّل حازم وأصحابه ، وترجّل ملبّد كذلك . وأمر حازِم أصحابه فنضحوهم بالنَبْل ، واشتدّ القتال وتزاحفت الميمنة والميسرة ورشقوهم ، فقتل ملبّد في ثمانمائة ممن ترجل معه ، وثلثمائة قبل أن يترجل . وتبعهم فُضَالة صاحب الميمنة فقتل منهم زهاء مائة وخمسين . ثم خرج سنة ثمان وأربعين أيام المنصور بنواحي الموصل حسّان بن مُخَالد[2] بن مالِك بن الأَجْدَع

---

(١) حسب مقتضى السياق «الكمين» .

(٢) حسان بن مجالد بن يحيى بن مالك بن الأجدع الهمداني : ابن الاثير ج ٥ ص ٥٨٤ .

الهَمَداني أخو مسروق . وكان على الموصل الصُغْرُ بن يَجْدَة[١] وليها بعد حرب بن عبدالله ، فسار إليهم فهزموه إلى الدجلة . وسار حسّان إلى العمّال ثم إلى البحر وركب إلى السِند وقاتل ، وكاتب الخوارج بعمان يدعوهم و يستأذنهم في اللحاق بهم فأبوا ، وعاد إلى الموصل فخرج إليه الصُقُرُ بن الحسن ابن صالح بن جَنَادة الهَمَذَاني وهِلال ، فقتل هلالاً واستبقى ابن الحسن فاتهمه بعض أصحابه بالعصبيّة وفارقوه . وقد كان حسّان أمّه من الخوارج وخاله حفَصْ بن أشتم من فقهائهم ولما بلغ المنصور خروجه قال : خارجي من هَمَذَان فقيل له إنه ابن أخت حفَصْ بن أَشْتَم . قال : من هناك وإنما أنكر المنصور ذلك لأنّ عامّة هَمَذَان شيعة . وعزم المنصور على الفتك بأهل الموصل ، فإنهم عاهدوه على أنهم إن خرجوا فقد فلت ديارهم وأموالهم وأحضر أبا حنيفة وابن أبي ليلى بن شُبْرُمَة واستفتاهم فتلطّفوا له في العفو فأشار إلى أبي حنيفة فقال : أباحوا ما لا يملكون كما لو أباحت إمرأة ، فزوّجها بغير عقد شرعيّ فكف عن أهل الموصل . ثم خرج ايام المهدي بخراسان يوسف بن إبراهيم المعروف بالبرَّةِ واجتمع شَرْكَس فبعث إليه المهدي يزيد بن مَزْيَد الشيبانيّ ابن أخي مَعْن فاقتتلوا قتالاً شديداً وأسره يزيد وبعث به إلى المهدي موثقاً ، وحُمِلَ من النهروان على بعير وحوّل وجهه إلى ذنبه كذلك فدخلوا إلى الرصافة وقطعوا ثم صلبوا[٢] . وكان حَرُوباً متعوداً فغلب على بُوشَنْج ومَرْو الروذ والطالقان والجَوْزَجَان ، وكان على بوشنج مُصْعَب بن زُرَيْق جدّ طاهر بن الحسين فهرب منه وكان من أصحابه معاذ الفاريابي وقبض معه ثم خرج معه أيام المهدي بالجزيرة حمزة بن مالك الخُزاعي سنة تسع وستين وهزم منصور بن زياد وصاحب الخراج وقوي أمره ، ثم اغتاله بعض أصحابه فقتله . ثم خرج آخر أيام المهدي بأرض الموصل خارجيّ من بني تميم إسمه ياسين يميل إلى مقاتلة صالح بن مسرّح فهزم عسكر الموصل وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة ، فبعث إليه المهدي القائد أبا هريرة محمد بن مروخ وهزيمة بن أَعْيُن مولى بني ضُبَّة فحارباه حتى قتل في عدّة من أصحابه وانهزم الباقون . ثم خرج بالجزيرة أيام الرشيد سنة ثمان وسبعين الوليد بن طريف من بني مغلب ، وقتل إبراهيم بن خالد ابن خُزَيْمَة بنصيبين ، ثم دخل أرمينية وحاصر خلاط عشرين يوماً وافتدوا بثلاثين

(١) الصقر بن نجدة : المرجع السابق .
(٢) حسب مقتضى السياق : فقطّعوه ثم صلبوه والضمير يعود الى يوسف بن ابراهيم .

ألفاً . ثم سار إلى أذربيجان ثم إلى حُلوان وأرض السواد ، وعبر إلى غرب دجلة وعاث في أرض الجزيرة ، فبعث إليه الرشيد يزيد بن مَزْيَد بن زَائِدَة الشيبانيّ ، وهو ابن أخي مَعْن في العساكر فمكث يقاتله ، وكانت البرامِكَة منحرفة عن يزيد فاغروا به الرشيد وأنه أبقى على الوليد برجم وائل . فكتب إليه الرشيد يتهدّده فناجزه يزيد الحرب في رمضان سنة تسع وسبعين وقاتلهم قتالاً شديداً فقتل الوليد وجيء برأسه . ثم أصبحت أخته مستلئمة للحرب فخرج إليها يزيد وضربها على رأسها بالرمح وقال لها اعدي فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهي تقول في رثائه الأبيات المشهورة التي منها :

أيـا شَجَرَ الخَـابُورِ مَـالَكَ مُورِقـاً   كَأنَّكَ لَمْ تَجْـزَعْ عَلَى ابن طَرِيفِ
فَتـىً لا يُحِبُّ الزَادَ إلاّ مِـنَ التُقَـى   وَلاَ المَـــالَ إلاّ مِـنْ قَنـــاً وَسُيُـوفِ

وانقرضت كلمة هؤلاء بالعراق والشام ، فلم يخرج بعد ذلك إلاّ شُذاذ متفرّقون يستلحمهم الولاة بالنواحي إلاّ ما كان من خوارج البربر بأفريقية ، فإنّ دعوة الخارجية فشت فيهم من لدن مسيرة الظُّفْرِيّ سنة ثلاث وعشرين ومائة . ثم فشت دعوة الإباضيّة والصُّفْرِّية منهم في هَـوَارة ولِمَايَة ونَـفْـزَة ومَغِيلَة وفي مَـغْرَاوَة وبني يَـفْرن من زَنَاتَة حسبما يذكر في أخبار البربر لسي رستم من الخوارج بالمغرب دولة في تَاهَرْت من الغرب الأوسط نذكرها في أخبار البربر أيضاً . ثم سار بأفريقية منهم على دولة العُبَيْدِيّين خلفاء القَـيْرَوَان أبو يزيد بن مُخْلِد المَـغْرِبِيّ ، وكانت له معهم حروب وأخبار تذكرها في موضعها . ثم لم يزل أمرهم في تناقص إلى أن اضمحلّت ديانتهم وافترقت جماعتهم وبقيت آثار نحلتهم في أعقاب البربر الذين دانوا بها أوّل الأمر . ففي بلاد زَنَاتَة بالصحراء منها أثر بَاقٍ لهذا العهد في قصور ربع ووادِيه ، في مَـغْرَاوَة من شعوب زَنَاتَة ويسمّون الراهبية نسبة إلى عبدالله بن وهب الراهبي . أوّل من بويع منهم أيام عليّ بنِ أبي طالب . وهم في قصور هنالك مظهرين لبدعتهم لبعدهم عن مقال أهل السُّنَّةَ والجماعة ، وكذلك في جبال طرابلس وزناتة أثر باقٍ تلك النحلة تدين بها أولئك البربر في المجاورة لهم مثل ذلك وتطير الينا هذا العهد من تلك البلاد دواوين ومجلدّات من كلامهم في فقه الدين ، وتمهيد عقائده ، وفروعه مباينة لمناحي السُّنّة وطرقها بالكلية ، إلاّ أنها ضاربة بسهم في إجادة التأليف والترتيب

وبناء الفروع على أصولهم الفاسدة . وكان بنواحي البَحْرَيْن وعُمَان إلى بلاد حضرموت وشرقي اليمن ونواحي الموصل آثار تفشي وعروق في كل دولة ، إلى أن خرج عليّ بن مَهْدِي من خَوْلَان باليمن ودعا إلى هذه النِحْلَة . وغلب يومئذ من كان من الملوك باليمن واستلحم بني الصُلَيْحيّ القائمين بدعوة العُبَيْدِيِّين من الشيعة وغلبوهم على ما كان بأيديهم من ممالك اليمن ، واستولوا أيضاً على زُبَيْدٍ ونواحيها من يد موالي بني نجاح ومولى ابن زياد كما نذكر ذلك كله في أخبارهم إن شاء الله سبحانه وتعالى . فلتصفح في أماكنها . ويقال إنّ باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة ببلاد حضرموت ، والله يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء .

﴿ الدولة الاسلامية بعد افتراق الخلافة ﴾

لم يزل أمر الإسلام جميعاً دولة واحدة أيام الخلفاء الأربعة وبني أمية من بعدهم لاجتماع عصبية العرب . ثم ظهر من بعد ذلك أمر الشيعة ، وهم الدعاة لأهل البيت ، فغلب دعاة بني العبّاس على الأمر واستقلوا بخلافة المُلْك ، ولحق الفلّ من بني أمية بالأندلس ، فقام بأمرهم فيها من كان هنالك من مواليهم ، ومن هرب ، فلم يدخلوا في دعوة بني العبّاس ، وانقسمت لذلك دولة الإسلام بدولتين لافتراق عصبية العرب . ثم ظهر دعاة أهل البيت بالمغرب والعراق من العلويّة ونازعوا خلفاء بني العبّاس واستولوا على القاصِبَة من النواحي كالأدارسة بالمغرب الأقصى ، والعُبَيْدِيِّين بالقَيْرَوَان ومِصْرَ ، والقَرَامِطَة بالبَحْرَيْن ، والدَوَاعِي بطبرستان والدَيْلَم والأُطْرُوش فيها من بعده . وانقسمت دولة الإسلام بذلك دولاً متفرّقة نذكرها واحدة بعد واحدة . ونبدأ منها أوّلا بذكر الشيعة ومبادىء دولهم ، وكيف انساقت إلى العبّاسية ومن بعدهم إلى آخر دولهم . ثم نرجع إلى دولة بني أمية بالأندلس . ثم نرجع إلى دولة الدعاة للدولة العبّاسية في النواحي من العرب والعجم كما ذكرناه في برنامج الكتاب ، والله الموفق للصواب .

﴿ مبدأ دولة الشيعة ﴾

(أعلم) أن مبدأ هذه الدولة أنّ أهل البيت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون أنهم أحق بالأمر وأنّ الخلافة لرجالهم دون من سواهم من قريش . وفي

الصحيح أنّ العبّاس قال لعليّ في وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه : إذهب بنا إليه نسأله فيمن هذا الأمر ، إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا . فقال له عليّ : إن مُنِعْنَاها لا يعطيناها الناس بعده . وفي الصحيح أيضاً أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه : هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً فاختلفوا عنده في ذلك ، وتنازعوا ولم يتم الكتاب . وكان ابن عبّاس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم ، حتى لقد ذهب كثير من الشيعة إلى أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أوصى في مرضه ذلك لعليّ ، ولم يصح ذلك من وجه يعوّل عليه . وقد أنكرت هذه الوصية عائشة وكفى بإنكارها . وبقي ذلك معروفاً من أهل البيت وأشياعهم . وفيما نقله أهل الآثار أنّ عمر قال يوما لابن العبّاس : إنّ قومكم يعني قريشاً ما ارادوا أن يجمعوا لكم ، يعني بني هاشم بين النبوّة والخلافة فتحموا عليهم ، وأنّ ابن عبّاس نكر ذلك ، وطلب من عمر إذنه في الكلام فتكلّم بما عصب له . وظهر من محاورتهما أنهم كانوا يعلمون أنّ في نفوس أهل البيت شيئاً من أمر الخلافة والعدول عنهم بها . وفي قصّة الشورى : أنّ جماعة من الصحابة كانوا يتشيعون لعليّ ويرون استحقاقه على غيره ، ولما عدل به إلى سواه تأفّفوا من ذلك وأسفوا له مثل الزبير ومعه عمّار بن ياسر والمِقْدَاد بن الأسْوَد وغيرهم . إلا أنّ القوم لرسوخ قدمهم في الدين وحرصهم على الإلفة ، لم يزيدوا في ذلك على النجوى بالتأفّف والأسف . ثم لما فشا التكبّر على عثمان والطعن في الآفاق كان عبدالله ابن سبأ ويعرف بابن السوداء ، من أشدّ الناس خوضاً في التشنيع لعليّ بما لا يرضاه من الطعن على عثمان وعلى الجماعة في العدول إليه عن عليّ ، وأنه وليّ بغير حق ، فأخرجه عبدالله بن عامِر من البصرة ولحق بِمصرَ فاجتمع إليه جماعة من أمثاله جنحو إلى الغلوّ في ذلك وانتحال المذاهب الفاسدة فيه ، مثل خالد بن مُلْجِم وسوذان بن حمدان وكِنَانَة بن بِشْر وغيرهم . ثم كانت بيعة عليّ وفتنة الجمل وصفين ، وانحراف الخوارج عنه بما أنكروا عليه من التحكيم في الدين . وتمحّضت شيعته للاستماتة معه في حرب معاوية مع عليّ ، وبويع إبنه الحسن وخرج عن الأمر لمعاوية ، فسخط ذلك شيعة عليّ منه وأقاموا يتناجون في السرّ باستحقاق أهل البيت والميل إليهم ، وسخطوا من الحسن ما كان منه ، وكتبوا إلى الحسين بالدعاء له فامتنع ، وأوعدهم

إلى هلاك معاوية . فساروا إلى محمد بن الحَنَفِيّة وبايعوه في السرّ على طلب الخلافة متى أمكنه ، وولّى على كل بلد رجلاً ، وأقاموا على ذلك ومعاوية يكف بسياسة من غربهم ، ويقتلع الداء إذا تعيّن له منهم ، كما فعل بحِجْر بن عَدِيّ وأصحابه ، ويروّض من شماس أهل البيت ويسامحهم في دعوى تقدّمهم واستحقاقهم . ولا يهيّج أحداً منهم بالتثريب عليه في ذلك ، إلى أن مات ووليّ يزيد ، وكان من خروج الحسين وقتله ما هو معروف ، فكانت من أشنع الوقائع في الإسلام . عظمت بها الشحناء ، وتوغّل الشيعة في شأنهم ، وعظم النكير والطعن على من تولّى ذلك أو قعد عنه ثم تلاوموا على ما أضاعوه من أمر الحسين وأنهم دعوه ثم لم ينصروه فندموا ورأوا أن لا كفّارة في ذلك إلا الإستماتة دون ثأره ، وسمّوا أنفسهم التوّابين . وخرجوا لذلك يقدمهم سليمان بن صُرَد الخُزَاعيّ ، ومعه جماعة من خيار أصحاب عليّ . وكان ابن زياد قد انتقض عليه العراق ولحق بالشام وجمع وزرينج[1] قاصداً العراق فزحفوا إليه وقاتلوه حتى قتل سُلَيْمان وكثير من أصحابه كما ذكرنا في خبره وذلك سنة خمس وستين . ثم خرج المختار بن أبي عبيد ودعا لمحمد بن الحنفية كما قدّمناه في خبره ، وفشا التعصّب لأهل البيت في الخاصة والعامة بما خرج عن حدود الحق ، واختلفت مذاهب الشيعة فيمن هو أحق بالأمر من أهل البيت ، وبايعت كل طائفة لصاحبها سرًّا ورسخ المُلْك لبني أمية وطوى هؤلاء الشيعة قلوبهم على عقائدهم فيها ، وتستّروا بها مع تعدّد فرقهم وكثرة اختلافهم كما ذكرناه عند نقل مذاهبهم في فصل الإمامة من الكتاب الأوّل . ونشأ زيد بن علي بن الحسين وقرأ على وَاصِل بن عَطَاء إمام المُعْتَزِلة في وقته ، وكان واصل متردّداً في إصابة عليّ في حرب صفين والجمل ، فنقل ذلك عنه وكان أخوه محمد الباقر يعذله في الأخذ عمن يرى سخطيّة جدّه ، وكان زيد أيضاً مع قوله بأفضلية عليّ على أصحابه ، يرى أنّ بيعة الشيخين صحيحة وأنّ إقامة المفضول جائزة خلاف ما عليه الشيعة . ويرى أنهما لم يظلما عليًّا . ثم دعته الحال إلى الخروج بالكوفة سنة إحدى وعشرين ومائة ، واجتمع له عامّة الشيعة ورجع عنه بعضهم لما سمعوه يثني على الشيخين وأنهما لم يظلما عليًّا . وقالوا : لم يظلمك هؤلاء ورفضوا دعوته فسمّوا الرافِضَة من أجل ذلك . ثم قاتل يوسف بن عمر

---

(١) العبارة مبتورة وغير واضحة وفي الكامل ج ٤ ص ١٦٤ : «وكان مروان قد سيّر ابن زياد الى الجزيرة ، ثم اذا فرغ منها سار الى العراق» .

فقتله يوسف وبعث برأسه إلى هشام وصلب شلوه بالكناسة ولحق إبنه يحيى بخراسان فأقام بها ، ثم دعته شيعة إلى الخروج فخرج هنالك سنة خمس وعشرين ، وسرّح إليه نصر بن سيّار العساكر مع سالم بن أحور المازنيّ فقتلوه وبعث برأسه إلى الوليد وصلب شلوه بالجَوْزَجَان وانقرض شأن الزيدية . وأقام الشيعة على شأنهم وانتظار أمرهم ، والدعاء لهم في النواحي يدعون على الأحجال[1] للرضا من آل محمد ، ولا يصرّحون بمن يدعون له حذراً عليه من أهل الدولة . وكان شيعة محمد بن الحنفية أكثر شيعة أهل البيت ، وكانوا يرون أنّ الأمر بعد محمد بن الحنفيّة لإبنه أبي هشام عبدالله . وكان كثيراً ما يغدو على سليمان بن عبد الملك فمرّ في بعض أسفاره محمد بن علي ابن عبدالله بن عبّاس بمنزله بالحُمَيْمَة من أعمال البلقاء فنزل عليه وأدركه المرض عنده فمات ، وأوصى له بالأمر . وقد كان أعلم شيعته بالعراق وخراسان أنّ الأمر صائر إلى ولد محمد بن عليّ هذا ، فلما مات قصدت الشيعة محمد بن عليّ وبايعوه سرّاً . وبعث الدعاة منهم إلى الآفاق على رأس مائة من الهجرة أيام عمر بن عبد العزيز ، وأجابه عامّة أهل خراسان وبعث عليهم النقباء وتداول أمرهم هنالك . وتوفي محمد سنة أربع وعشرين وعهد لإبنه إبراهيم وأوصى الدعاة بذلك وكانوا يسمّونه الإمام . ثم بعث أبو مسلم إلى أهل دعوته بخراسان ليقوم فيهم بأمره فهلك ، وكتب إليهم بولايته ثم قبض مروان بن محمد على إبراهيم الإمام وحبسه بخراسان فهلك هنالك لسنة . وملك أبو مسلم خراسان وزحف إلى العراق فملكها كما ذكرنا ذلك كله من قبل وغلبوا بني أمية على أمرهم وانقرضت دولتهم .

* (الخبر عن بني العبّاس من دول الاسلام في هذه الطبقة الثالثة للعرب وأولية أمرهم وانشاء دولتهم والالمام بنكت أخبارهم وعيون أحاديثهم) *

هذه الدولة من دولة الشيعة كما ذكرناه وفرقها منهم يعرفون بالكيسانية ، وهم القائلون بإمامة محمد بن عليّ بن الحنفية بعد عليّ ، ثم بعده إلى ابنه أبي هشام عبدالله . ثم

(١) الاحجال : ج حجل وهو القيد .

بعده إلى محمد بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس بوصيته كما ذكرنا . ثم بعده إلى ابنه إبراهيم الإمام ابن محمد ، ثم بعده إلى أخيه أبي العبّاس السفّاح وهو عبدالله بن الحارثية ، هكذا مساقها عند هؤلاء الكيسانية ويسمّون أيضا الحَرْمَاقِيّة نسبة إلى أبي مسلم لأنه كان يلقب بحرماق . ولبني العبّاس أيضاً شيعة يسمّون الراوندية من أهل خراسان يزعمون أنّ أحق الناس بالإمامة بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم هو العبّاس . لأنه وارثة وعاصبه لقوله وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، وأنّ الناس منعوه من ذلك وظلموه إلى أن ردّه الله إلى ولده ، ويذهبون إلى البراءة من الشيخين وعثمان ويجيزون بيعة عليّ لأنّ العباس قال له يا ابن أخي هلم أبايعك فلا يختلف عليك إثنان ولقول داود بن عليّ (عم الخليفة العبّاسي) على منبر الكوفة يوم بويع السفّاح : يا أهل الكوفة إنه لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عليّ بن أبي طالب وهذا القائم فيكم يعني السفّاح .

* (دولة السفاح) *

قد تقدّم لنا كيف كان أصل هذه الدعوة وظهورها بخراسان على يد أبي مسلم ، ثم استيلاء شيعتهم على خراسان والعراق ، ثم بيعة السفّاح بالكوفة سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، ثم قتل مروان بن محمد وانقراض الدولة الأموية . ثم خرج بعض أشياعهم وقوّادهم وانتقضوا على أبي العبّاس السفّاح ، وكان أوّل من انتقض حبيب بن مُرَّة المُرِّيّ من قوّاد مروان ، وكان بخولان والبلقاء خاف على نفسه وقومه ، فخلع وبيض ومعناه لبس البياض ونصب الرايات البيض مخالفة لشعار العبّاسية في ذلك . وتابعته قيس ومن يليهم والسفّاح يومئذ بالحيرة بلغه أنّ أبا الورد مَجْزأة بن الكَوْثَر بن زُفَر بن الحرث الكِلاَبيّ انتقض بقِنّسْرِين ، وكان من قوّاد مروان ، ولما انهزم مروان وقدم عليه عبدالله بن عليّ بايعه ودخل في دعوة العبّاسية وكان ولد مَسْلَمَة بن عبد الملك مجاورين له ببالس والناعورة ، فبعث بهم وبنسائهم القائد الذي جاءهم من قِبَل عبدالله بن عليّ . وشكوا ذلك إلى أبي الورد فقتل القائد ، وخلع معه أهلِ قِنَّسْرِين ، وكاتبوا أهل حمص في الخلاف وقدّموا عليهم أبا محمد عبدالله بن يزيد بن معاوية ، وقالوا هو السفياني الذي يذكر . ولما بلغ ذلك عبدالله بن عليّ وادع حبيب

ابن مُرّة وسار إلى أبي الورد بقِنّسْرين ومرّ بدمشق ، فخلع بها أبا غانم عبد الحميد بن رَبَعِي الطائي في أربعة آلاف فارس مع حرمه وأثقاله ، وسار إلى حمص فبلغه أنّ أهلَ دمشق خلعوا وبيّضوا وقام فيهم بذلك عثمان بن عبد الأعلى ابن سُرَاقة الأزدي . وأنّهم هزموا أبا غانم وعسكره وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وانتهبوا ما خلف عندهم فأعرض عن ذلك وسار للقاء السُفْيَاني وأبي الورد ، وقدّم أخاه عبد الصمد في عشرة آلاف فكشف ورجع إلى أخيه عبدالله منهزماً ، فزحف عبدالله في جماعة القوّاد ولقيهم بمرج الأخْرَم وهم في أربعين ألفاً فانهزموا ، وثبت أبو الورد في خمسمائة من قومه فقتلوا جميعاً . وهرب أبو محمد إلى تِرْمُذ وراجع أهل قِنّسْرين طاعة العبّاسيّة ورجع عبدالله بن علي إلى قتال أهل دمشق ومن معهم . فهرب عثمان بن سُرَاقَة ودخل أهل دمشق في الدعوة وبايعوا لعبدالله بن عليّ ، ولم يزل أبو محمد السُفْيَاني بأرض الحجاز متغيباً إلى أيام المنصور فقتله زياد بن عبدالله الحارثي عامل الحجاز يومئذ ، وبعث برأسه إلى المنصور مع إبنين له أسيرين فأطلقهما المنصور. ثم خلع أهل الجزيرة وبيّضوا وكان السفّاح قد بعث إليهما ثلاثة آلاف من جنده مع موسى بن كَعب من قواده وأنزلهم بحرّان . وكان إسحق بن مسلم العقيلي عامل مروان على أرمينية ، فلما بلغته هزيمة مروان سار عنها واجتمع إليه أهل الجزيرة ، وحاصروا موسى بن كعب بحرّان شهرين فبعث السفّاح أخاه أبا جعفر إليهم وكان محاصراً لابن هُبَيْرَة بوَاسِط ، فسار لقتال إسحق بن مُسْلِم ، ومرّ بقرقيسيا والرقّة وأهلها قد خلعوا وبيّضوا . وسار نحو حرّان فأجفل إسحق بن مسلم عنها ، ودخل الرها وبعث أخاه بكّار بن مُسْلم إلى قبائل ربيعة بنواحي ماردين ، ورئيسهم يومئذ بَرْمَكَة من الحروريّة ، فصمد إليهم أبو جعفر فهزمهم وقتل بَرْمَكَة في المعركة وانصرف بكّار الى أخيه إسحق ، فخلعه بالرها وسار إلى شِمْشَاطَ بمعظم عسكره . وجاء عبدالله بن عليّ فحاصره ، ثم جاء أبو جعفر فحاصروه سبعة أشهر وهو يقول : لا أخلع البيعة من عنقي حتى أتيقّن موت صاحبها . ثم تيقّن موت مروان فطلب الأمان واستأذنوا السفّاح ، فأمرهم بتأمينه وخرج إسحق إلى أبي جعفر فكان من آثر أصحابه . واستقام أهل الجزيرة والشام وولّى السفّاح أخاه أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان فلم يزل عليها حتى استخلف .

* (حصار ابن هبيرة بواسط ومقتله) *

ثم تقدّم لنا هزيمة يزيد بن هبيرة امام الحسن بن قَحْطَبَة وتحصنه بواسط وكان جويرة[1] وبعض أصحابه أشاروا عليه بعد الهزيمة باللحاق بالكوفة فأبى . وأشار عليه يحيي بن حصين[2] باللحاق بمروان وخوّفه عاقبة الحصار فأبى خشية على نفسه من مروان واعتصم بواسط . وبعث أبو مسلمة[3] الحسن بن قحطبة في العسكر لحصاره وعلى ميمنته إبنه داود[4] فانهزم أهل الشام واضطرّوا إلى دجلة وغرق منهم كثير . ثم تحاجزوا ودخل ابن هُبَيْرَة المدينة وخرج لقتالهم ثانية بعد سبعة أيام فانهزم كذلك ، ومكثوا أياماً لا يقتتلون إلا رمياً . وبلغ ابن هُبَيْرَة أن أبا أمية التَغْلَبِيّ[5] قد سوّد فحبسه فغضبت لذلك ربيعة ومَعْن بن زائدة وحبسوا ثلاثة نفر من فَزَارة رهناً في أبي أمية ، واعتزل مَعْنُ وعبدالله بن عبد الرحمن بن بشير العِجْلِيّ فيمن معهما فخلّى ابن هُبَيْرَة سبيل أبي أمية وصالحهم وعادوا إلى اتفاقهم . ثم قدم على الحسن بن قحطبة من ناحية سِجِسْتَان أبو نصر مالِك بن الهَيْثَم فأوقد[6] غيلان بن عبدالله الخُزَاعي على السفّاح يخبره بقدوم أبي نصر ، وكان غيلان واجداً على الحسن ، فرغب من السفّاح أن يبعث عليهم رجلاً من أهل بيته ، فبعث أخاه أبا جعفر ، وكتب إلى الحسن العسكر لك والقوّاد قوّادك ولكن أحببت أن يكون أخي حاضراً فأحسن طاعته ومؤازرته . وقدم أبو جعفر فأنزله الحسن في خيمته وجعل على حرسه عثمانَ بن نَهِيك . ثم تقدّم مالك بن الهَيْثَم لقتال أهل الشام وابن هُبَيْرَة فخرجو لقتاله وأكمنوا مَعْنَ بن زَائِدَة وأبا يحيى الجرافي[7] ثم استطردوا لإبن الهَيْثَم وانهزموا للخنادق فخرج عليهم مَعْنُ وأبو يحيى فقاتلوهم إلى الليل وتحاجزوا

---

(١) حَوْثَرَة : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٣٨ .
(٢) يحيي بن حضين : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٣٨ .
(٣) ابو سلمة : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٣٨ .
(٤) «وخرج ابن هبيرة وعلى ميمنته ابنه داود ، فالتقوا وعلى ميمنة الحسن خازم بن خزيمة» ابن الاثير ج ٥ ٤٣٨ .
(٥) ابا أمية التغلبي : المرجع السابق .
(٦) اي الحسن بن قحطبة هو الذي أوفد .
(٧) ابا يحيي الجذامي : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٤٠ .

وأقاموا بعد ذلك أياماً . ثم خرج أهل وَاسِط مع مَعْن ومحمد بن نُبَاتة ، فهزمهم أصحاب الحسن إلى دجلة فتساقطوا فيها وجاء مالِك بن الهَيْثَم فوجد إبنه قتيلاً في المعركة ، فحمل على أهل وَاسِط حتى أدخلهم المدينة . وكان مالِك يملأ السفن حَطَباً ويضرمها ناراً فتحرق ما تمرّ به فيأمر ابن هُبَيْرَة بأن تجر بالكلاليب ، ومكثوا كذلك أحد عشر شهراً . وجاء إسمعيل بن عبدالله القِسْرِيّ إلى ابن هبيرة بقتل مروان وفشلت اليمانية عن القتال معهم ، وتبعهم الفَزَارِيّة فلم يقاتل معه إلا الصعاليك .

وبعث ابن هبيرة إلى محمد بن عبدالله بن الحسن المُثَنّى بأن يبايع له فأبطأ عنه جوابه ، وكاتب السفّاح اليمانية من أصحاب ابن هُبَيْرَة وأطمعهم ، فخرج إليه زياد بن صالح وزياد بن عبيدالله الحرثيان ، ووعدا إبن هُبَيْرَة أن يصلحا له جهة السفّاح ولم يفعلا وتردّد الشعراء بين أبي جعفر وابن هُبَيْرَة في الصلح ، وأن يكتب له كتاب أمان على ما اختاره ابن هُبَيْرَة وشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيه وأنفذه إلى أبي جعفر فانفذه إلى السفّاح وأمر بإمضائه ، وكان لا يقطع أمراً دون أبي مسلم ، فكتب إليه يحي بن هُبَيْرَة قد خرج بعد الأمان إلى أبي جعفر في ألف وثلثمائة فلقيه الحاجب سلاّم بن سليم فأنزله وأجلسه على وسادة وأطاف بحجرة أبي جعفر عشرة آلاف من أهل خراسان ، ثم أذن لابن هُبَيْرَة فدخل على المنصور وحادثه وخرج عنه ومكث يأتيه يوماً ويَغِبْه يوماً . ثم أغرى أبا جعفر أصحابه بأنه يأتي في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل فيهتز له العسكر فأمر أبو جعفر أن يأتي في حاشيته فقط . فكان يأتي في ثلاثين ثم آخرا في ثلاثة ثم الحّ السفّاح على أبي جعفر في قتله ، وهو يراجعه للأمان الذي كتب له حتى كتب إليه السفّاح والله لتقتلنه أو لأبعثنّ من يخرجه من حجرتك فيقتله . فبعث أبو جعفر إلى وجوه القَيْسِيّة والمُضَرِية وقد أعدّ لهم ابن نَهِيك في مائة من الخراسانية في بعض حجره . وجاء القوم في إثنين وعشرين رجلاً يقدمهم محمد بن نُبَاتة وجويرة[1] بن سُهَيْل فدعاهم سلاّم الحاجب رجلين رجلين وعثمان بن نَهِيك يقيدهما إلى أن استكملهم وبعث أبو جعفر لحازم بن خُزَيْمة والهَيْثَم بن شعبة في مائة إلى ابن هُبَيْرَة فقالوا : نريد حمل المال فدلّهم حاجبه على الخزائن فأقاموا عندها الرجال وأقبلوا نحوه فقام حاجبه في وجوههم ، فضربه الهَيْثَم فصرعه ، وقاتل ابنه داود فقتل في جماعة من مواليه ثم قتل ابن هُبَيْرَة آخراً وحملت رؤسهم

---

(١) حوثرة بن سهيل : ابن الاثير ج٥ ص ٤٤١ .

إلى أبي جعفر . ونادى بالأمان للناس إلاّ الحكم بن عبد الملك أبي بِشْر وخالد بن مَسْلَمَة المخزومي وعمر بن در[١] فهرب الحكم وأمن أبو جعفر خالداً فلم يجز السفّاح أمانه وقتله واستأمن زياد بن عبيدالله لابن در فأمنه .

* (مقتل أبي مسلمة بن الخلال وسليمان بن كثير) *

قد تقدّم لنا ما كان من أبي مسلمة الخلال في أمر أبي العباس السفّاح واتهام الشيعة في أمره وتغير السفّاح عليه وهو بعكوة أعين[٢] ظاهر الكوفة . ثم تحوّل إلى مدينة الهاشمية ونزل قصرها وهو يتنكر لأبي مسلمة ، وكتب إلى أبي مسلم ببغيته وبرأيه فيه ، فكتب إليه أبو مسلم بقتله . وقال له داود بن عليّ لا تفعل فيحتج بها أبو مسلم عليك والذين معك أصحابه وهم له أطوع ، ولكن أكتب إليه يبعث من يقتله ففعل . وبعث أبو مسلم مرار بن أنس الضَّبِيّ فقتله . فلما قدم نادى السفّاح بالرضا عن أبي مسلمة ودعا به وخلع عليه ثم دخل عنده ليلة أخرى فسهر عامّة ليله ، ثم انصرف إلى منزله فاعترضه مرار بن أنس وأصحابه فقتلوه وقالوا قتله الخوارج . وصلى عليه من الغد يحيى أخو السفّاح وكان يسمّى وزير آل محمد وأبو مسلم أمير آل محمد . وبلغ الخبر إلى أبي مسلم ، وسرّح سليمان بن كُثَيِّر بالنكير لذلك فقتله أبو مسلم ، وبعث على فارس محمد بن الأشعث وأمره أن يقتل ابن أبي مسلمة ففعل .

* (عمال السفاح) *

ولما استقام الأمر للسفّاح ولّى على الكوفة والسواد عمّه داود بن علي ثم عزله وولاّه على الحجاز واليمن واليمامة وولّى مكانه على الكوفة عيسى ابن أخيه موسى بن محمد . ثم توفي داود سنة ثلاث وثلاثين فولّى مكانه على الحجاز واليمامة خالد بن زياد بن عبيدالله بن عبيد   وعلى اليمن محمد بن يزيد بن عبيدالله بن عبد[٣]

---

(١) عمر بن ذرّ : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٤٢ .

(٢) العبارة هنا غير واضحة وفي الكامل ج ٥ ص ٤٣٦ : « وتغيّر السفّاح عليه وهو بعسكره . حمّام أعين . »

(٣) بياضان بالأصل . وفي تاريخ الطبري ج ٩ ص ١٤٧ : لا وفيها مات داود بن علي بالمدينة في شهر ربيع الأول ، وكانت ولايته فيما ذكر محمد بن عمر ثلاثة أشهر ، واستخلف داود بن علي حين حضرته الوفاة على عمله ابنه موسى . ولما بلغت ابا العباس وفاته وجه على المدينة ومكة والطائف واليمامة خاله زياد بن عبيدالله بن عبدالله بن عبد المدان الحارثيّ ، ووجه محمد بن يزيد بن عبدالله بن عبد المدان على اليمن . »

وولّى السفّاح على البصرة سُفْيَان بن معاوية المَهَلّبيّ ، ثم عزله وولى مكانه عمّه سليمان بن عليّ وأضاف إليه كور دِجْلَة والبَحْرَيْن وعُمَان . وولّى عمّه إسمعيل بن عليّ الأهواز وعمّه عبدالله بن عليّ على الشام ، وأبا عون عبد الملك ابن يزيد على مصر ، وأبا مسلم على خراسان ، وبَرْمَك على ديوان الخراج . وولى عمّه عيسى بن عليّ على فارس ، فسبقه إليها محمد بن الأشعث من قبل أبي مسلم . فلما قدم عليه عيسى همّ محمد بقتله ، وقال أمرني أبو مسلم أن أقتل من جاءني بولاية من غيره . ثم أقصر عن قتله واستحلفه بأيمان لا مخارج لها أن لا يعلو منبراً ما عاش ولا يتقلد سيفاً إلا في جهاد فوفىّ عيسى بذلك بقية عمره . واستعمل بعده على فارس عمّه إسمعيل بن علي واستعمل على الموصل محمّد بن صول فطرده أهلها وقالوا : بل علينا تولّى خثعم ، وكانوا منحرفين عن بني العبّاس ، فاستعمل السفّاح عليهم أخاه يحيى وبعثه في إثني عشر ألفاً ، فنزل قصر الإمارة وقتل منهم إثني عشر رجلاً ، فثاروا به وحمل السلاح فنودي فيهم بالأمان لمن دخل المسجد الجامع فتسايل الناس إليه ، وقد أقام الرجال على أبوابه فقتلوا كل من دخل . يقال : قتل أحد عشر ألفاً ممن لبس وما لا يحصى من غيرهم . وسمع صياح النساء بالليل فأمر من الغد بقتل النساء والصبيان ، واستباحهم ثلاثة أيام . وكان في عسكره أربعة آلاف من الزنوج فعانوا في النساء . وركب في اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف فاعترضته إمرأة وأخذت بعنان دابته وقالت له : ألست من بني هاشم ؟ ألست ابن عمّ الرسول؟ أما تعلم أنّ المؤمنات المسلمات ينكحهنّ الزنوج ؟ فأمسك عنها وجمع الزنج من الغد للعطاء ، وأمر بهم فقتلوا عن آخرهم . وبلغ السفّاح سوء أمره في أهل الموصل فعزله ، وولّى مكانه إسمعيل بن عليّ ، وولّى يحيى مكان إسمعيل بالأهواز وفارس . وملك الروم ملطية وقاليقلا . وفي سنة ثلاث وثلاثين أقبل قُسْطَنْطِين ملك الروم فحصر مَلَطْيَة والفتن يومئذ بالجزيرة ، وعاملها يومئذ موسى بن كَعْب بن أسان . فلم يزل حاصرهم حتى نزلوا على الأمان وانتقلوا إلى بلاد الجزيرة ، وحملوا ما قدروا عليه . وخرّب الروم مَلَطْيَة وسار عنها إلى مرج الحصى[1] ، وأرسل قسطنطين العساكر إلى قاليقلا من نواحي ماردين مع قائده كوشان الأرمنيّ فحصرها وداخل بعض الأرمن من أهل المدينة فنقبوا له السور فاقتحم البلد من ذلك النقب واستباحها .

---

(١) مرج الخصبي : ابن الأثير ج ٥ ص ٤٤٧ .

* (الثوّار بالنواحي) *[1]

كان المُـثـنّى بن يزيد بن عمر بن هُـبَـيْـرَة قد ولاّه أبو عليّ اليمامة ، فلما قتل يزيد أبوه امتنع هو باليمامة فبعث إليه زياد بن عبيد المدن[2] بالعساكر من المدينة مع إبراهيم بن حَـبّـان[3] السَلَمِيّ فقتله وقتل أصحابه وذلك سنة ثلاث وثلاثين (وفيها) خرج شريك بن شيخ اسحاراً على أبي مسلم ونقض أفعاله واجتمع إليه أكثر من ثلاثين ألفاً فبعث إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخُزَاعِيّ فقاتله وقتله . (وفيها) توجه أبو داود وخالد بن إبراهيم إلى الخُتّـل فتحصن ملكهم ابن السبيل[4] منها ومنعه الدهاقين فحاصره أبو داود حتى جهد الحصار فخرج من حصنه مع الدهاقين ولحق بفَـرْغَـانَـة ثم سار منها إلى بلد الصين وأخذ أبو داود مَنْ ظفر به في الحصن فبعث بهم إلى أبي مسلم (وفيها) الفتنة بين إخشيد فَـرْغَانة وملك الشاش ، واستمدّ الإخشيد ملك الصين فأمدّه بمائة ألف مُقَاتِل وحصروا ملك الشاش حتى نزلوا على حكم ملك الصين ، فلم يعرض له ولا لقومه بسوء . وبعث أبو مسلم زياد بن صالح لاعتراضهم فلقيهم على نهر الطراز فظفر بهم وقتل منهم نحواً من خمسين ألفاً وأسر نحواً من عشرين ألفاً ولحق بهم بالصين ، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين . ثم انتقض بسّام بن إبراهيم ابن بسّام من فرسان أهل خراسان وسار من عسكر السفّاح وجماعة على رأيه سرًّا إلى المدائن ، فبعث السفّاح في اثرهم خَازِمَ بن خُزَيْـمَـة فقاتلهم وقتل أكثرهم واستباحهم ، وبلغ ماه . وانصرف ، فمرّ بذات المطامير ، وبها أخوال السفّاح من بني عبد المدان في نحو سبعين من قرابتهم ومواليهم . وقيل له إنّ المغيرة من أصحاب بسّام عندهم فسألهم عنه فقالوا مرّ بنا مجتازاً فهدّدهم إن لا يأخذه فأغلظوا له في القول فقتلهم أجمعين ، ونهب أموالهم وهدم دورهم ، وغضبت اليمانية لذلك ودخل بهم زياد بن عبيدالله الحرثي على السفّاح وشكوا إليه ما فعل بهم فهمّ بقتله وبلغ ذلك موسى بن كَـعْب وأبا الجَـهْم بن عطِيّـة فدخلا على السفّاح وذكراه سابقة الشيعة وطاعتهم وأنهم آثروكم على الأقارب والأولاد وقتلوا من خالفكم ، فإن كان لا بدّ من

---

(١) المراد بالثوّار الخارجون عن الطاعة المحاربون للخليفة «من خط الشيخ العطار اهـ.»
(٢) زياد بن عبدالله بن عبد المدان : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٤٨ .
(٣) ابراهيم بن حسّان : المرجع السابق .
(٤) ابن الشُبْل . الكامل في التاريخ لابن الاثير .

قتله فابعثه لوجه من الوجوه ، فإن قتل فهو الذي تريد وإن ظفر فلك ، بعثه إلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان من عُمَان مع شيبان بن عبد العزيز اليَشْكُري ، فبعث معه سبعمائة رجل فحملهم سليمان بن عليّ من البصرة في السفن وقد انضمّ إليه من أهله وعشيرته ومواليه وعدّة من بني تميم من البصرة ، فلما أرسو بجزيرة ابن كاوان قدّم خازم فَضَلَة بن نُعَيْم المنشلي[١] في خمسمائة إلى شيبان فانهزم هو وأصحابه وكانوا صُفْرِيّة ، وركبوا إلى عُمَان فقاتلهم الجُلُنْدِي في الإباضيّة ، فقتل شيبان ومن معه كما مرّ ، وشيبان هذا غير شيبان بن سَلَمَة الذي قتل بخراسان فربما يشتبهان . ثم ركب خازم البحر إلى ساحل عُمَان فنزل وقاتل الجُلُنْدِي أياماً أمر خازم أصحابه في آخرها أن يجعلوا على أطراف أسِنَّتِهِم المشاقة ويدوّروها[٢] بالنفط ويشعلوها بالنيران ويرموها في بيوت القوم ، وكانت من خشب فلما اضطرمت فيها النار شغلوا بأهليهم وأولادهم عن القتل ، فحمل عليهم خازم وأصحابه فاستلحموهم وقتل الجُلُنْدِي وعشرة آلاف ، فبعث خازم برؤسهم إلى البصرة فبعثها سليمان إلى السفّاح فندم اهـ ، ثم غزا خالد بن إبراهيم أهل كشّ فقتل الاخريد[٣] ملكها وهو مطيع واستباحهم وأخذ من الأواني الصينية المنقوشة المذهّبة ، ومن الديباج والسروج ومتاع الصين وظرفه ما لم ير مثله ، وحمله إلى أبي مسلم بسَمَرْقَنْد . وقتل عدّة من دهاقين كَشّ وملك طازان[٤] أخا الأخريد على كش ، ورجع أبو مسلم إلى مرو بعد أن فتك في الصُغْد وبُخَارَى وأمر ببناء سور سَمَرْقَنْد . واستخلف زياد بن صالح على بُخَارَى وسَمَرْقَنْد ورجع أبو داود إلى بَلْخ . ثم بلغ السفّاح انتقاض منصور ابن جُمْهُور بالسِّنْد فبعث صاحب شرطته موسى بن كَعْب واستخلف مكانه على الشرطة المُسَيَّب بن زُهَيْر . وسار موسى لقتال ابن جُمْهُور فلقيه بتخوم الهند وهو في نحو إثني عشر ألفاً فانهزم ومات عطشاً في الرمال ورحل عامله على السِّنْد بعياله وثقلته فدخل بهم بلاد الخَزَر . ثم انتقض سنة خمس وثلاثين زياد بن صالح وراء النهر . فسار أبو مسلم إليه من مَرْو وبعث أبو داود خالدُ بن إبراهيم نَصْرَ بن راشد إلى

---

(١) فضلة بن نعيم النَّهْشَلِيّ : ابن الاثير ج ٥ ٤٥٢ .
(٢) ويرووها بالنفط : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٥٢ .
(٣) وفي نسخة ثانية الأخشيد .
(٤) طاران : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٥٣ .

تِرْمِذ ليمنعها من زياد فلما وصل إليها خرج عليه ناس من الطّالقان فقتلوه فبعث مكانه عيسى بن ماهان فسمع قَتَـلَـةَ نصر فقتلهم . وسار أبو مسلم فانتهى إلى آمد ومعه سِباع ابن النُعْـمَـان الأزديّ وكان السفّاح قد دسّ معه إلى زياد بن صالح الأزدي أن ينتهز فرصة في أبي مسلم فيقتله . ونمي الخبر إلى أبي مسلم فحبس سِباعاً بآمد ، وسار عنها وأمر عامله بقتله . ولقيه قوّاد زياد في طريقه وقد خلعوا زياداً فدخل أبو مسلم بُـخَارَى ونجا زياد إلى هقان هناك فقتله وحمل رأسه إلى أبي مسلم . وكتب أبو مسلم إلى أبي داود فقتله ، وكان قد شغل بأهل الطّالقان فرجَع إلى كَشّ وبعث عيسى بن ماهان إلى بسّام فلم يظفر منها بشيء ، وبعث إلى بعض أصحاب أبي مسلم يعيب أبا داود عيسى ، فضربه وحبسه ، ثم أخرجه فوثب عليه الجند فقتلوه ورجع أبو مسلم إلى مَرْو .

* (حج أبي جعفر وأبي مسلم) *

وفي سنة ست وثلاثين إستأذن أبو مسلم السفّاح في القدوم عليه للحج ، وكان منذ وَلِيَ خراسان لم يفارقها فأذن له في القدوم مع خمسمائة من الجند ، فكتب إليه أبو مسلم إني قد عاديت الناس ولست امن على نفسي فاذن له في ألف ، وقال : إنّ طريق مكة لا تحتمل العسكر فسار في ثمانية آلاف فرّقهم ما بين نيسابور والريّ ، وخلّف أمواله رخزائنه بالريّ وقدم في ألف وخرج القواد بأمر السفّاح لتلقيه ، فدخل على السفّاح وأكرمه وأعظمه واستأذن في الحج فأذن له ، قال : لولا أنّ أبا جعفر يريد الحج لاستعملتك على الموسم ، فأنزله بقرية وكان قد كتب إلى أبي جعفر أنّ أبا مسلم استأذنني في الحج وأذنت له وهو يريد ولاية الموسم ، فاسألني أنت في الحج ، فلا تطمع أن يتقدّمك ، وأذن له فقدم الأنبار وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متباعداً من حيث بعث السفّاح أبا جعفر إلى خراسان ليأخذ البيعة له ولأبي جعفر من بعده ويولي أبا مسلم على خراسان فاستخلى[1] أبو مسلم بأبي جعفر . فلما قدم ألانَ أبو جعفر السفّاح بقتله وأذن له فيه ثم ندم وكفه عن ذلك ، وسار أبو جعفر إلى الحج ومعه أبو مسلم واستعمل على حرّان مُـقَـاتِل بن حَكِـيم العَكِـيّ .

(١) فاستخفّ ابو مسلم بابي جعفر : ابن الاثير ج ٥ ٤٥٨ .

* (موت السفاح وبيعة المنصور) *

كانَ أبو العبّاس السفّاح قد تحوّل من الحيرة إلى الأنبار في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين فأقام بها سنتين ثم توفي في ذي الحجة سنة ست وثلاثين لثلاث عشرة ليلة خلت منه ولأربع سنين وثمانين أشهر من لَـدُن بويع وصلى عليه عمّه عيسى ودفن بالأنبار. وكان وزيره أبو الجَهْم بن عَطِيّة وكان قبل موته قد عهد بالخلافة لأخيه أبي جعفر ومن بعده لعيسى ابن أخيهما موسى ، وجعل العهد في ثوب وختمه بخواتيمه وخواتيم أهل بيته ودفعه إلى عيسى ، ولما توفي السفّاح وكان أبو جعفر بمكّة فأخذ البيعة على الناس عيسى بن موسى ، وكتب إليه بالخبر فجزع واستدعى أبا مسلم وكان متأخراً عنه فاقرأه الكتاب فبكى واسترجع ، وسكن أبا جعفر عن الجزع فقال : أخاف شرّ عبدالله بن عليّ . فقال أنا أكفيكه وعامة جنده أهل خراسان وهم أطوع لي منه فسُرِّيَ عنه . وبايع له أبو مسلم والناس وأقبلا حتى قدما الكوفة . ويقال إنّ أبا مسلم كان متقدماً على أبي جعفر ، فإنّ الخبر قد أتاه قبله فكتب أبو مسلم إليه يعزّيه ويهنّيه بالخلافة ، وبعد يومين كتب له ببيعته وقدم أبو جعفر الكوفة سنة سبع وثلاثين وسار منها إلى الأنبار فلّم إليه عيسى بيوت الأموال والدواوين واستقام أمر أبي جعفر.

* (انتقاض عبدالله بن علي وهزيمته) *

كان عبدالله بن عليّ قدم على السفّاح قبل موته فبعثه إلى الصائفة في جنود أهل الشام وخراسان فانتهى إلى دُلُوك ولم يدرِ حتى جاءه كتاب عيسى بن موسى بوفاة السفّاح وأخذ البيعة لأبي جعفر وله من بعده كما عهد به السفّاح ، فجمع عبدالله الناس وقرأ عليهم الكتاب وأعلمهم أنّ السفّاح حين أراد أن يبعث الجنود إلى حرّان تكاسل بنو أبيه عنها فقال لهم : مَنْ أنتدب منكم فهو وليّ عهدي فلم ينتدب غيري ! وشهد له أبو غانم الطائي وخُفَـافُ المَـرْوَزِيّ وغيرهما من القوّاد وبايعوه ، وفيهم حميد بن حكيم بن قَـحْـطُبَـة وغيره من خراسان والشام والجزيرة . ثم سار عبدالله حتى نزل حرّان وحاصر مُـقَـاتِل بن حكِيم العكّيّ أربعين يوماً وخشي من أهل خراسان فقتل منهم جماعة ، وولى حُمَيْد بن قَحْطَبَة على حلب وكتب معه إلى عاملها زُفَر بن عاصِم بقتله فقرأ الكتاب في طريقه وسار إلى العراق وجاء أبو جعفر من الحج

فبعث أبا مسلم لقتال عبدالله ولحقه حُمَيْد بن قَحْطَبَة نازعاً عن عبدالله فسار معه وجعل على مقدمته مالك بن الهَيْثَم الخُزَاعِي . ولما بلغ عبدالله خبر إقباله وهو على حرّان بذل الأمان لمقاتل بن حَكِيم ومن معه وملك حرّان . ثم بعث مقاتلاً بكتابة إلى عثمان بن عبد الأعلى ، فلما قرأ الكتاب قتله وحبس إبنيه حتى إذا هزم عبدالله قتلهما . وأمر المنصور محمد بن صول وهو على أذربيجان أن يأتي عبدالله بن علي ليمكر به ، فجاء وقال : إني سمعت السفّاح يقول الخليفة بعدي عمّي عبدالله فشعر بمكيدته وقتله . وهو جدّ إبراهيم بن العبّاس الصولي الكاتب . ثم أقبل عبدالله بن عليّ حتى نزل نصيبين وخندق عليه وقدم أبو مسلم فيمن معه . وكان المنصور قد كتب إلى الحسن بن قَحْطَبَة عامله على أرمينية بأن يوافي أبا مسلم ، فقدم عليه بالموصل ، وسار معه ونزل أبو مسلم ناحية نصيبين وكتب إلى عبدالله : إني قد وليت الشام ولم أومر بقتالك فقال أهل الشام لعبدالله : سِرْ بنا إلى الشام لنمنع نساءنا وأبناءنا . فقال لهم عبدالله ما يريد إلاّ قتالنا وإنما قصد المكر بنا ، فأبوا إلا الشام . فارتحل بهم إلى الشام ونزل أبو مسلم في موضع معسكره وغوّر ما حوله من المياه فوقف أصحاب عبدالله بكّار بن مسلم العقيليّ وعلى ميسرته حبيب بن سُوَيْد الاسدي وعلى الخيل عبد الصمد بن عليّ أخو عبدالله وعلى ميمنة أبي مسلم الحسن بن قَحْطَبَة وعلى ميسرته خازم بن خُزَيْمَة ، فاقتتلوا شهراً . ثم حمل أصحاب عبدالله على عسكر أبي مسلم فأزالوهم عن مواضعهم وحمل عبد الصمد فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً . ثم حمل عليهم ثانية فأزالوا صفهم . ثم نادى منادي أبي مسلم في أهل خراسان فتراجعوا وكان يجلس إذا لقي الناس على عريش ينظر منه إلى الحَوْمَةِ فإن رأى خللاً أرسل بسدّه فلا تزال رسله تختلف بينه وبين الناس حتى ينصرفوا . فلما كان يوم الأربعاء لسبع خَلَوْنَ من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين إقتتلوا وأمر أبو مسلم الحسن بن قَحْطَبَة أن يضمّ إلى الميسرة ويُنْزِلَ في الميمنة حماة أصحابه ، فانضمّ أهل الشام من الميسرة إلى الميمنة كما أمرهم . وأمر أبو مسلم أهل القلب فحطموهم [1] وركبهم أصحاب أبي مسلم

(١) الحادثة هنا غير واضحة وعن ابن الاثير ج ٥ ص ٤٦٧ : « فلما كان يوم الثلاثاء والاربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين التقوا فاقتتلوا ، فمكر بهم ابو مسلم ، وأمر الحسن بن قحطبة ان يُعَرّي الميمنة ويضمّ اكثرها الى الميسرة وليترك في الميمنة جماعة اصحابه وأشدّائهم ، فلما رأى ذلك أهل الشام أعروا ميسرتهم وانضموا الى ميمنتهم بإزاء ميسرة ابي مسلم ، وأمر أبو مسلم أهل القلب ان يحملوا مع مَنْ بقي في مَيمنته على ميسرة أهل الشام فحطّموهم ، وجال القلب والميمنة وركبهم اصحاب ابي مسلم ، فانهزم اصحاب عبدالله ... »

فانهزم أصحاب عبدالله فقال لابن سُرَاقة ما ترى ؟ قال : الصبر إلى أن تموت فالفرار فيكم بمثلك قبيح . قال : بل آتي العراق فأنا معك فانهزموا وحوى أبو مسلم عسكرهم . وكتب بذلك إلى المنصور ومضى عبدالله وعبد الصَّمَد . فقدم عبد الصمد الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى ، وأمّنه المنصور وقيل بل أقام بالرصافة حتى قدمها جمهور بن مروان العِجْلِيّ في خيول أرسلها المنصور ، فبعث به موثقاً مع أبي الخطيب ، فأطلقه المنصور . وأمّا عبدالله فقدم البصرة وأقام عند أخيه سليمان متوارياً حتى طلبه وأشخص إليه . ثم إنّ أبا مسلم أمّن الناس بعد الهزيمة وأمر بالكفّ عنهم .

* (ذكر قتل أبي مسلم الخراساني) *

كان أبو مسلم لما حج مع المنصور يؤيد نفسه عليه ويتقدّم بالإحسان للوفود وإصلاح الطريق والمياه ، وكان الذكر له وكان الأعراب يقولون : هذا المكذوب عليه ولما صدروا عن الموسم تقدّم أبو مسلم ولقيه الخبر بوفاة السفاح فبعث الى أبى جعفر يعزيه ولم يهنئه بالخلافة ولا رجع اليه ولا أقام ينتظره فغضب أبو جعفر وكتب اليه وأغلظ في العتاب فكتب يهنّئه بالخلافة ويقدم إلى[1] فدعا عيسى بن موسى إلى أن يبايع له فأبى وقدم أبو جعفر ، وقد خلع عبيدالله بن عليّ ، فسرّح أبا مسلم لقتاله فهزمه كما مرّ ، وجمع الغنائم من عسكره . فبعث المنصور مولاه أبا الخصيب لجمعها ، فغضب أبو مسلم وقال : أنا أعين على الدعاء فكيف أخون الأموال ؟ وهمّ

(١) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٤٦٨ وتحت عنوان قتل ابي مسلم الخراساني : «وفي هذه السنة — ١٣٧ — قُتِلَ أبو مسلم الخراساني ، قتله المنصور ، وكان سبب ذلك ان ابا مسلم كتب إلى السفاح يستأذنه في الحج ، على ما تقدّم ، وكتب السفاح الى المنصور وهو على الجزيرة وأرمينية واذربيجان : إن ابا مسلم كتب الي يستأذنني في الحج وقد أذنت له وهو يريد ان يسألني ان اولّية الموسم ، فاكتب إلي تستأذنني في الحج فآذن لك ، فانك إن كنت بمكة لم يطمع ان يتقدمك . فكتب المنصور الى أخيه السفاح يستأذنه في الحجّ ، فأذن له ، فقدم الانبار ، فقال أبو مسلم : أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا ؟ وحقدها عليه ، وحجّا معاً ، فكان أبو مسلم يكسوا الأعراب ويُصْلح الآبار ، وكان الذكر له ، وكان الأعراب يقولون : هذا المكذوب عليه . فلما قدم مكّة ورأى أهل اليمن قال : اي جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان غزير الدمعة ! . فلما صدر الناس عن الموسم تقدّم ابو مسلم في الطريق على ابي جعفر خبر وفاة السفّاح ، فكتب الى ابي جعفر يعزّيه عن أخيه ولم يهنّئه بالخلافة ، ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع . فغضب أبو جعفر وكتب إليه كتاباً غليظاً . فلمّا أتاه الكتاب كتب إليه يهنّئه بالخلافة وتقدّم أبو مسلم فأتى الأنبار فدعا عيسى بن موسى إلى ان يبايع له ...»

بقتل الخصيب ثم خلّى عنه . وخشى المنصور أن يمضي إلى خراسان فكتب إليه بولاية مصر والشام فأزداد نفاراً ، وخرج من الجزيرة يريد خراسان وسار المنصور إلى المدائن ، وكتب إليه يستقدمه ، فأجابه بالإمتناع والمسك بالطاعة عن بعد ، والتهديد بالخلع إن طلب منه سوى ذلك . فكتب إليه المنصور ينكر عليه هذا الشرط وأنه لا يحسن طاعة . وبعث إليه عيسى بن موسى برسالة يؤنسه ويسليه . وقيل بل كتب إليه أبو مسلم يعرّض له بالخلع وأنه قد تاب إلى الله مما جناه من القيام بدعوتهم ، وأخذ أبو مسلم طريق حُلوان وأمر المنصور عمّه عيسى ومشيخة بني هاشم بالكتاب على أبي مسلم يحرّضونه على التمسّك بالطاعة ويحذّرونه عاقبة البغي ويأمرونه بالمراجعة . وبعث الكتب مع مولاه أبي حميد المَرْوَرُوذِي ، وأمره بملاينته والخضوع له بالقول حتى ييأس منه ، فإذا يئس يخبره بقسم أمير المؤمنين لأوكلت أمرك إلى غيري ولو خضت البحر لخضته وراءك ولو أقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت . فأوصل أبو حميد الكتب وتلطّف له في القول ما شاء واحتجّ عليه بما كان منه في التحريض على طاعتهم ، فاستشار أبو مسلم مالك بن الهَيْثَم فأبى له من الإصغاء إلى هذا القول وقال والله لئن أتيته ليقتلنك . ثم بعث إلى نَيْزَك صاحب الريّ يستشيره فأبى له من ذلك ، وأشار عليه بنزول الريّ وخراسان من ورائه فيكون أمكن لسلطانه . فأجاب أبا حميد بالإمتناع فلما يئس منه أبلغه مقالة المنصور فوجم طويلاً ورعب من ذلك القول وأكبره . وكان المنصور قد كتب إلى عامل أبي مسلم بخراسان يرغّبه في الإنحراف عنه بولاية خراسان فأجاب سرّاً وكتب إلى أبي مسلم يحذّره الخلاف والمعصية فزاده ذلك رعباً وقال لأبي حميد قبل انصرافه : قد كنت عزمت على المضيّ إلى خراسان ثم رأيت أنّ أوجه أبا اسحق إلى أمير المؤمنين يأتيني برايته فإني أثق به . ولما قدم أبو إسحق تلقاه بنو هاشم وأهل الدولة بكل ما يجب وداخله المنصور في صرف أبي مسلم عن وجهة خراسان ووعده بولايتها ، فرجع إليه وأشار عليه بلقاء المنصور ، فاعتزم على ذلك واستخلف مالك بن الهَيْثَم على عسكره بحُلوان ، وسار فقدم المدائن في ثلاثة آلاف ، وخشي أبو أيوب وزير المنصور أن يحدث منه عند قدومه فتك فدعا بعض إخوانه وأشار عليه بأن يأتي أبا مسلم ويتوسل به إلى المنصور في ولاية كَسْكَر ليعيب فيها مالاً عظيماً . وأن يشرك أخاه في ذلك ، فإنّ أمير المؤمنين عازم أن يولّيه ما ورى به ويريح نفسه . واستأذن له المنصور في لقاء أبي مسلم فأذن

له ، فلقي أبا مسلم وتوسل إليه وأخبره الخبر فطابت نفسه وذهب عنه الحزن . ولما قرب أمر الناس بتلقيه ثم دخل على المنصور فقبّل يده وانصرف ليريح ليلته ، ودعا المنصور من الغد حاجبه عُثْمَان بن نَهِيك وأربعة من الحرس منهم شبيب بن رَوَاح وابن حنيفة حَرْب بن قَيْس ، وأجلسهم خلف الرواق ، وأمرهم بقتل أبي مسلم إذا صفّق بيديه . واستدعى أبا مسلم ، فلما دخل سأله عن سيفين أصابهما لعمّه عبدالله بن عليّ وكان متقلداً بأحدهما فقال : هذا أحدهما ! فقال : أرني فانتضاه أبو مسلم وناوله إياه فأخذ يقلْبه بيده ويهزّه . ثم وضعه تحت فراشه ، وأقبل يعاتبه فقال : كتبت إلى السفّاح تنهاه عن الموت كأنك تعلمه : قال : ظننت أنه لا يحلّ ، ثم اقتديت بكتاب السفّاح وعلمت أنكم معدن العلم . قال فتوركك عني بطريق مكة ! قال كرهت مزاحمتك على الماء قال فامتناعك من الرجوع إليّ حين بلغك موت السفّاح أو الإقامة حتى ألحقك ! قال : طلبت الرفق بالناس والمبادرة إلى الكوفة ! قال : فجارية عبدالله بن عليّ أردت أن تتخذها لنفسك ! قال : لا إنما وكانت بها من يحفظها . قال : فَمُرَاغَمَتُك ومسيرك إلى خراسان قال : خشيت منك فقلت آتي خراساني وأكتب بعذري فأذهب ما في نفسك مني ! قال فالمال الذي جمعته بحرّان ! قال أنفقته في الجند تقوية لكم . قال ألست الكاتب إليّ تبدأ بنفسك وتخطب آسية بنت عليّ وتزعم أنك ابن سَلِيط بن عبدالله بن عبّاس ؟ لقد ارتقيت لا أمّ لك مرتقى صعباً . ثم قال له : وما الذي دعاك إلى قتل سليمان بن كُثَيِّر مع أثره في دعوتنا ، وهو أحد نقبائنا من قبل أن ندخلك في هذا الأمر ؟ قال : أراد الخلافة فقتلته . ثم قال أبو مسلم : كيف يقال هذا بعد بلائي وما كان مني ؟ قال : يا ابن الخبيثة لو كانت أمة مكانك لأغنت إنما ذلك بدولتنا وريحنا . وأكبّ أبو مسلم يقبل يده ويعتذر فازداد المنصور غضباً . ثم قال أبو مسلم دع هذا فقد أصبحت لا أخاف إلا الله فشتمه المنصور وصفّق بيديه فخرج الحرس وضربه عثمان بن نَهِيك فقطع حمائل سيفه فقال : استبقني لعدوّك فقال : لا أبقاني الله إذاً وأي عدوّ أعدى منك وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه ، بذلك لخمس بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين . وخرج الوزير أبو الجَهْم فصرف الناس ، وقال : الأمير قائل عند أمير المؤمنين فانصرفوا وأمر لهم بالجوائز وأعطى إسحق مائة ألف ودخل عيسى بن موسى على المنصور فسأل عنه وأخذ في الثناء على طاعته وبلائه وذكر رأي الإمام ابراهيم فيه .

فقال المنصور : والله ما أعلم على وجه الأرض عدوّاً أعدى لكم منه هوذا في البساط فاسترجع عيسى ، فأنكر عليه المنصور وقال : وهل كان لكم ملك معه ؟ ثم دعا جعفر بن حنظلة واستشاره في أمر أبي مسلم فأشار بقتله فقال له المنصور وفقك الله ثم نظر إليه قتيلاً فقال له يا أمير المؤمنين عدّ خلافتك من هذا اليوم . ثم دعا أبا إسحق عن متابعة أبي مسلم وقال تكلّم بما أردت وأخرجه قتيلاً فسجد أبو اسحق ثم رفع رأسه يقول الحمدلله أميت هو والله ما جئته قطّ إلا تكفّنت وتحنّطت ورفع ثيابه وأراه كفنه وحنوطه فرحمه . وقال له استقبل طاعتك واحمد الله الذي أراحك . وكتب المنصور بعد قتل أبي مسلم إلى أبي نصر بن الهَيْثَم على لسان أبي مسلم يأمره بحمل أثقاله ، وقد كان أبو مسلم أوصاه إن جاءك كتاب بخاتمي تامّاً فاعلم أني لم أكتبه ، فلما رآه كذلك فطن وانحدر إلى همذان يريد خراسان ، فكتب له المنصور بولاية شهرزور ، وكتب إلى زهير بن التركي بهمذان يحبسه فمرّ أبو نصر بهمذان وخادعه زهير ودعاه إلى طعامه وحبسه وجاء كتاب العهد بشهرزور لأبي نصر فأطلقه زُهَيْر ثم جاءه بعد ذلك الكتاب بقتله فقال : جاءني كتاب عهده فخلّيت سبيله . وقدم أبو نصر على المنصور فعذله في إشارته على أبي مسلم بخراسان فقال : نعم استنصحني فنصحت له وان استنصحني أمير المؤمنين نصحت وشكرت ، واستعمله على الموصل . وخطب أبو جعفر الناس بعد قتل أبي مسلم وانسهم وافترق أصحابه وخرج منهم بخراسان رجل إسمه سنباد ويسمّى فيروز أَصْبَهْبَذ وتبعه أكثر الجبال يطلبون بدم أبي مسلم وغلب على نيسابور والريّ وأخذ خزائن أبي مسلم التي خلفها بالريّ حين شخص إلى السفّاح وسبى الحرم ونهب الأموال ولم يعرض إلى التجّار وكان يظهر أنه قاصد إلى الكعبة يهدمها فسرّح إليه المنصورُ جمهورَ بن مرّار العِجْلِيّ والتقوا على طرق المفازة بين همذان والريّ ، فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم نحواً من ستين ألفاً وسبى ذراريهم ونساءهم ولحق سِنْبَاد بطبرستان فقتله بعض عمّال صاحبها وأخذ ما معه وكتب إلى المنصور بذلك فكتب إليه المنصور في الأموال فأنكر فسرّح إليه الجنود فهرب إلى الدَيْلَم ثم إنّ جمهور بن مرّار لما حوى ما في عسكر سِنْبَاد ولم يبعث به خاف من المنصور فخلع واعتصم بالريّ فسرّح إليه محمد بن الأشعث في الجيوش ، فخرج من الريّ إلى أصبهان فملكها وملك محمد الريّ . ثم اقتتلوا وانهزم جمهور فلحق بأذربيجان ، وقتله بعض أصحابه وحملوا رأسه إلى المنصور ، وذلك سنة ثمان وثلاثين .

* (حبس عبدالله بن علي) *

كان عبدالله بن علي بعد هزيمته أمام أبي مسلم لحق بالبصرة ، ونزل على أخيه سليمان . ثم إنّ المنصور عزل سليمان سنة تسع وثلاثين فاختفى عبدالله وأصحابه ، فكتب المنصور إلى سليمان وأخيه عيسى بأمان عبدالله وقوّاده ومواليه وإشخاصهم إلى المنصور منهما فشخصوا . ولما قدما عليه فأذن لهما فأعلماه بحضور عبدالله واستأذناه له فشغلهما بالحديث وأمر بحبسه في مكان قد هيىء له في القصر ، فلما خرج سليمان وعيسى لم يجدا عبدالله فعلما أنه قد حبس وأن ذمّتهما قد أخفرت ، فرجعا إلى المنصور فحبسا عنه وتوزع أصحاب عبدالله بين الحبس والقتل ، وبعث ببعضهم إلى أبي داود خالد ابن إبراهيم بخراسان فقتلهم بها . ولم يزل عبدالله محبوساً حتى عهد المنصور إلى المهدي سنة تسع وأربعين وأمر موسى بن عيسى فجعله بعد المهدي ودفع إليه عبدالله ، وأمره بقتله ، وخرج حاجاً وسارّ عيسى كاتبه يونس بن فروة في قتل عبدالله بن علي فقال : لا تفعل فإنه يقتلك به ، وإن طلبه منك فلا تردّه إليه سرًّا فلما قفل المنصور من الحج دسّ على أعمامه من يحرّضهم على الشفاعة في أخيهم عبدالله فشفعهم ، وقال لعيسى جئنا به فقال : قتلته كما أمرتني فأنكر المنصور وقال خذوه بأخيكم فخرجوا به ليقتلوه حتى اجتمع الناس واشتهر الأمر فجاء به وقال : هوذا حي سويّ ، فجعله المنصور في بيت أساسه ملح وأجرى عليه الماء فسقط ومات .

* (وقعة الراوندية) *

كان هؤلاء القوم من أهل خراسان ومن أتباع أبي مسلم يقولون بالتناسخ والحلول ، وأن روح آدم في عثمان بن نَهيك وأنّ الله حلّ في المنصور وجبريل في الهَيْثَم بن معاوية . فحبس المنصور نحواً من مائتين منهم فغضب الباقون واجتمعوا وحملوا بينهم نعشاً كأنهم في جنازة وجاؤا إلى السجن فرموا بالنعش وأخرجوا أصحابهم وحملوا على الناس في ستمائة رجل وقصدوا قصر المنصور وخرج المنصور من القصر ما شياً وجاء معن بن زائِدَة الشيباني وكان مستخفياً من المنصور لقتاله مع ابن هُبَيْرَة وقد اشتدّ طلب المنصور له فحضر عنده هذا اليوم متلثّماً وترجّل وأبلى . ثم جاء إلى المنصور ولجام بغلته في يد الربيع حاجبه وقال : تنح ذا أنا أحق بهذا اللجام في هذا الوقت

وأعظم فنازل وقاتل حتى ظفر بالراوندية . ثم سأله فانتسب فأمّنه واصطنعه . وجاء أبو نصر مالك بن الهَيْثَم ووقف على باب المنصور وقال أنا اليوم بوّاب . ثم قاتلهم أهل السوق وفتح باب المدينة ودخل الناس وحمل عليهم خازم بن خُزَيْمَة والهَيْثَم بن شعبة حتى قتلوهم عن آخرهم . وأصاب عثمان بن نَهِيك في الحَوْمَة سهم فمات منه بعد أيام وجعل على الحبس بعده أخاه عيسى ثم بعده أبا العبَّاس الطوسي وذلك كله بالهاشمية . ثم أحضر مَعْناً ورفع منزلته وأثنى عليه بما كان منه في ذلك اليوم مع عمّه عيسى ، فقال مَعْنُ : والله يا أمير المؤمنين لقد جئت إلى الحَوْمَةِ وَجِلاً حتى رأيت شدّتك فحملني ذلك على ما رأيت مني . وقيل إنه كان مختفياً عند أبي الخصيب حاجب المنصور وأنه جاء يوم الراوندية فاستأذن أبو الخصيب وشاوره المنصور في أمرهم فأشار ببث المال في الناس . وأبى المنصور إلا الركوب إليهم بنفسه فخرج بين يديه وأبلى حتى قتلوا . ثم تغيّب فاستدناه وأمّنه وولاّه على اليمن .

* (انتقاض خراسان ومسير المهدي إليها) *

كان السفّاح قد ولّى على خراسان أبا داود خالد بن إبراهيم الذُّهْلِيّ بعد انتقاض بسّام ابن ابراهيم ومهلكه . فلما كان سنة أربعين ثار به بعض الجند وهو بكُشْمَاهَن وجاؤا إلى منزله فاشرف عليهم ليلاً من السطح فزلت قدمه فسقط ومات ليومه . وكان عصام صاحب شرطته فقام بالأمر بعده . ثم ولّى المنصور على خراسان عبد الجبّار بن عبد الرحمن فقدم عليها وحبس جماعة من القوّاد اتهمهم بالدعاء للعلويّة ، منهم مجاشع ابن حُرَيْث الأنصاري عامل بخاري وأبو المعرة خالد بن كُثَيِّر مولى بني تميم عامل قُهِسْتَان والحَرِيش بن محمد الذُهْلِيّ ابن عم أبي داود في آخرين . ثم قتل هؤلاء وألحّ على عمال أبي داود في استخراج المال وانتهت الشكوى إلى المنصور بذلك فقال لأبي أيوب : إنما يريد بفناء شيعتنا الخلع ، فأشار عليه أبو أيوب أن تبعث من جنود خراسان لغزو الروم فإذا فارقوه بعثت إليه من شئت واستمكن منه . فكتب إليه بذلك فأجاب بأنّ الترك قد جاشت وإن فرّقت الجنود خشيت على خراسان فقال له أبو أيوب : اكتب إليه بأنك ممدّه بالجيوش وابعث معها من شئت يستمكن منه ، فأجاب عبد الجبّار بأنّ خراسان مغلبّة في عامها ولا تحتمل زيادة العسكر فقال له أبو يوسف هذا خلع فعاجله فبعث إبنه المهدي فسار ونزل الريّ وقدم خازم بن خُزَيْمَة

لحرب عبد الجبّار فقاتلوه ، فانهزم وجاء إلى مقطنة[1] وتوارى فيها . فعبر إليه المحشَد[2] بن مُزَاحِم من أهل مَرْو الرّوذ وجاء به إلى خازم فحمله على بعير وعليه جبّة صوف ، ووجهه إلى عجز البعير وحمله إلى المنصور في ولده وأصحابه فبسط إليهم العذاب حتى استخرج الأموال ثم قطع يديه ورجليه وقتله وذلك سنة اثنتين وأربعين وبعث بولده إلى دَهْلَك[3] فعزلهم بها وأقام المهدي بخراسان حتى رجع إلى العراق سنة تسع وأربعين .[4]

وفي سنة اثنتين وأربعين انتقض عُيَيْنَة بن موسى بن كَعْب بالسِنّد ، وكان عاملاً عليها من بعد أبيه ، وكان أبوه يستخلف المُسَيّب بن زهير على الشرط فخشى المسيب إن حضر عيينة عند المنصور أن يولّيه على الشرط ، فحذّره المنصور وحرّضه على الخلاف فخلع الطاعة وسار المنصور إلى البَصَرَة وسرّح من هنالك عمر بن حفص بن أبي صَفْوَة العتكيَ لحرب عيينة وولاه على السِند والهند فورد السند وغلب عليها . وفي هذه السنة انتقض الأصبهبد بطبرستان وقتل من كان في أرضه من المسلمين فبعث المنصور مولاه أبا الخطيب وخازم بن خزيمة وروح بن حاتم في العساكر فحاصروه في حصنه مدّة ثم تَحَيَّلوا ففتح لهم الحصن من داخله وقتلوا المقاتلة وسبى الذرية وكان مع الإصبهبد سم فشرب به فمات .

* (أمر بني العباس) *

بنو هاشم[5] حين اضطرب أمر مروان بن محمد اجتمعوا إليه وتشاوروا فيمن يعقدون

(1) مقطنة : ابن الاثير ج ٥ ص ٥٠٦ .
(2) المُجَشّر : ابن الاثير ج ٥ ص ٥٠٦ .
(3) دهلك : جزيرة باليمن .
(4) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٥٠٦ : «وامر بتسيير ولده الى دهلك — وهي جزيرة باليمن — فلم يزالوا بها حتى اغار عليهم الهند فسبرهم فيمن سبوا» .
(5) ربما يكون قد سقطت بعض الجمل اثناء النسخ وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٥١٣ وتحت عنوان «ذكر استعمال رياح بن عثمان المري على المدينة وامر محمد بن عبدالله بن الحسن» وفيها (١٤٤) استعمل المنصور على المدينة رياح بن عثمان المري وعزل محمد بن خالد بن عبدالله القسْري عنها . وكان سبب عزله وعزل زياد قبله ان المنصور أهمّه أمر محمد وابراهيم ابني عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب وتخلفهما عن الحضور عنده مع مَنْ حضره من بني هاشم عام حجّ ايام السفاح سنة ست وثلاثين ، وذكر ان محمد بن عبدالله كان يزعم ان المنصور ممن بايعه ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر مروان بن محمد .»

له الخلافة فاتفقوا على محمد بن عبدالله بن الحسن المُثَنّى بن عليّ . وكان يقال : إنّ المنصور ممن بايعه تلك الليلة . ولما حج أيام أخيه السفّاح سنة ست وثلاثين تغيب عنه محمد وأخوه إبراهيم ، ولم يحضرا عنده مع بني هاشم . وسأل عنهما فقال له زياد ابن عبيدالله الحرثي أنا آتيك بهما وكان بمكة فردّه المنصور إلى المدينة . ثم استخلف المنصور وطفق يسأل عن محمد ويختص بني هاشم بالسؤال سرًّا ، فكلهم يقول : إنك ظهرت على طلبه لهذا الأمر فخافك على نفسه ، ويحسن العذر عنه إلا الحسن ابن زيد بن الحسن بن عليّ . فإنه قال له : والله ما آمن وثوبه عليك ، فإنه لا ينام عنك ، فكان موسى بن عبدالله بن حسن يقول بعد هذا : اللهمّ اطلب الحسن بن زيد بدمائنا . ثم إنّ المنصور حج سنة [1] وألحّ على عبدالله بن حسن في أحضار إبنه محمد فاستشار عبدُ الله سليمانَ بن علي في إحضاره فقال له : لو كان عافياً عفى عن عمّه ! فاستمرّ عبدالله على الكتمان وبث المنصور العيون بين الأعراب في طلبه بسائر بوادي الحجاز ومياهها ثم كتب كتاباً على لسان الشيعة إلى محمد بالطاعة والمسارعة وبعثه مع بعض عيونه إلى عبدالله وبعث معه بالمال والإلطاف كأنه من عندهم . وكان للمنصور كاتب على سرّه يتشيع ، فكتب إلى عبدالله بن حسن بالخبر وكان محمد بجُهَيْنَة ، وألحّ عليه صاحب الكتاب أمر محمد ليدفع إليه كتاب الشيعة فقال له : إذهب إلى عليّ بن الحسن المدعو بالأغرّ يوصلك إليه في جبل جُهَيْنَة فذهب وأوصله إليه . ثم جاءهم حقيقة خبره من كاتب المنصور وبعثوا أبا هَبّار إلى محمد وعليّ بن حسن يحذرهما الرجل ، فجاء أبو هبّار إلى علي بن حسن وأخبره ثم سار إلى محمد فوجد العين عنده جالساً مع أصحابه فخلا به وأخبره ، فقال : وما الرأي ؟ قال : تقتله . قال : لا أقارف دم مسلم . قال : تقيّده وتحمله معك . قال : لا آمن عليه لكثرة الخوف والاعجال . قال : فتودعه عند بعض أهلك من جُهَيْنَة . قال : هذه إذن . ورجع فلم يجد الرجل ولحق بالمدينة . ثم قدم على المنصور وأخبره الخبر وسمّى إسم أبي هبّار وكنيته ، وقال : معه وبر فطلب أبو جعفر وبراً المُرّيّ فسأله عن أمر محمد فأنكره وحلف فضربه وحبسه . ثم دعا عُقْبَة بن سالم الأزدي وبعثه منكراً بكتاب والطاف من بعض الشيعة بخراسان إلى

---

(١) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٥٠٠ : «وفيها حجّ المنصور ...» اما الطبري فقد ذكر حج المنصور في حوادث سنة أربع واربعين ومائة . «ج ٩ ص ١٨٠» .

عبدالله بن حسن ليظهر على أمره ، فجاءه بالكتاب فانتهره وقال لا أعرف هؤلاء القوم . فلم يزل يتردّد إليه حتى قبله وأنس به وسأله عُـقْبَـة الجواب فقال : لا أكتب لأحد ولكن أقرئهم مني سلاماً وأعلمهم أنّ إبنيّ خارجان لوقت كذا . فرجع عُـقْبَـة إلى المنصور فأنشأ الحج ، فلما لقيه بنو حسن رفع مجالسهم وعبدالله إلى جنبه ثم دعا بالغداء فأصابوا منه . ثم قال لعبدالله بن حسن قد أعطيتني العهود والمواثيق أن لا تبغيني بسوء ولا تكيد لي سلطاناً فقال : وأنا على ذلك . فلحظ المنصور عُـقْبَـة بن سالم فوقف بين عبدالله حتى ملأ عينه منه فبادر المنصور يسأله الإقالة فلم يفعل ، وأمر بحبسه وكان محمد يتردّد في النواحي وجاء إلى البصرة فنزل في بني راهب وقيل في بني مرّة بن عبيد ، وبلغ الخبر إلى المنصور فجاء إلى البصرة وقد خرج عنها محمد ، فلقي المنصور عمر بن عبيد فقال له : يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا ؟ فقال : لا ، فانصرف واشتدّ الخوف على محمد وإبراهيم وسار إلى عدن ثم إلى السِّند ثم إلى الكوفة ، ثم إلى المدينة وكان المنصور حج سنة أربعين وحج محمد وابراهيم وعزما على اغتيال المنصور وأبي محمد من ذلك . ثم طلب المنصور عبدالله بإحضار ولديه وعنّفه وهمّ به ، فضمنه زياد عامل المدينة . وانصرف المنصور وقدم محمد المدينة قدمة فتلطف له زياد وأعطاه الأمان له . ثم قال له : إلحق بأيّ بلاد شئت وسمع المنصور فبعث أبا الأزهر إلى المدينة في جمادى سنة إحدى وأربعين ليستعمل على المدينة عبد العزيز بن المطّلب ويقبض زياداً وأصحابه . فسار بهم فحبسهم المنصور ، وخلف زياد ببيت المال ثمانين ألف دينار ثم استعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبدالله القسْرِيّ ، وأمره بطلب محمد وانفاق المال في ذلك فكثرت نفقته واستبطأه المنصور واستشار في عزله ، فأشار عليه يزيد بن أسيد السَلَمِيّ من أصحابه باستعمال رباح بن عثمان بن حسّان المُزْنيّ فبعثه أميراً على المدينة في رمضان سنة أربع وأربعين ، وأطلق يده في محمد بن خالد القسْرِيّ . فقدم المدينة وتهدّد عبدالله بن حسن في إحضار إبنيه . وقال له عبدالله يومئذ : إنك لتريق المذبوح فيها كما تذبح الشاة ، فاستشعر ذلك ووجد فقال له حاجبه أبو البختري : إنّ هذا ما اطلع على الغيب فقال : ويلك ! والله ما قال إلا ما سمع ، فكان كذلك . ثم حبس رباح محمد بن خالد وضربه وجدّ في طلب محمد فأخبر أنه في شِعْبَان رَضْوى من أعمال يُنْبُع وهو جبل جُهَيْنَة ، فبعث عامله في طلبه فأفلت منه . ثم إنّ رباح بن مرّة

حبس بني حسن وقيّدهم وهم عبدالله بن حسن بن الحسن وإخوته حسن وإبراهيم وجعفر وإبنه موسى بن عبدالله ، وبنو أخيه داود وإسمعيل وإسحق بنو إبراهيم بن الحسن ، ولم يحضر معهم أخوه علي العائد . ثم حضر من الغد عند رباح وقال : جئتك لتحبسني مع قومي فحبسه ، وكتب إليه المنصور أن يحبس معهم محمد بن عبدالله بن عمر بن عثمان المعروف بالديباجة . وكان أخا عبدالله لأمّه أمّها فاطمة بنت الحسين . وكان عامل مصر قد عثر على علي بن محمد بن عبدالله ابن حسن بعثه أبوه إلى مِصْر يدعو له فأخذه وبعث به إلى المنصور فلم يزل في حبسه وسمّى من أصحاب أبيه عبد الرحمن بن أبي المولى وأبا جُبَيْر فضربهما المنصور وحبسهما . وقيل عبدالله حبس أولاً وحده وطال حبسه . فأشار عليه أصحابه بحبس الباقين فحبسهم . ثم حج المنصور سنة أربع وأربعين ، فلما قدم مكة بعث إليهم وهم في السجن محمد بن عِمْرَان بن ابراهيم بن طلحة ومالك بن أَنَس يسألهم أن يرفعوا إليه محمداً وابراهيم إبني عبدالله ، فطلب عبدالله الإذن في لقائه فقال المنصور : لا والله حتى يأتيني به وبإبنيه ، وكان محسناً مقبولاً لا يكلم أحداً إلاّ أجابه إلى رأيه . ثم إنّ المنصور قضى حجّه وخرج إلى الرَّبْذَةَ ، وجاء رباح ليودعه فأمر باشخاص بني حسن ومن معهم إلى العراق فأخرجهم في القيود والأغلال وأردفهم في محامل بغير وطاء ، وجعفر الصادق يعاينهم من وراء ستر ويبكي . وجاء محمد إبراهيم مع أبيهما عبدالله يسايرانه مستترين بزيّ الأعراب ويستأذنانه في الخروج فيقول : لا تعجلا حتى يمكنكما وان منعتما أن تعيشا كريمين تمنعا أن تموتا كريمين ، وانتهوا إلى الزيدية . وأحضر العثماني الديقا عند المنصور فضربه مائة وخمسين سوطاً بعد ملاحاة جرت بينهما أغضبت المنصور . ويقال : إنّ رباحاً أغرى المنصور به وقال له : إنّ أهل الشام شيعته ولا يتخلف عنه منهم أحد . ثم كتب أبو عَوْن عامل خراسان إلى المنصور بأنّ أهل خراسان منتظرون أمر محمد بن عبدالله واحذر منهم . فأمر المنصور بقتل العثماني وبعث برأسه إلى خراسان ، وبعث من يحلف أنه رأس محمد بن عبدالله وأنّ أمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قدم المنصور بهم الكوفة وحبسهم بقصر ابن هُبَيْرَة ، يقال : انه قتل محمد بن ابراهيم بن حسن منهم على اسطرانة وهو حيّ فمات . ثم بعده عبدالله بن حسن ثم علي بن حسن ، ويقال : إنّ المنصور أمر بهم فقتلوا ، ولم ينج منهم إلا سليمان وعبدالله إبنا داود وإسحق وإسمعيل إبنا ابراهيم بن حسن وجعفر بن حسن والله أعلم .

* (ظهور محمد المهدي ومقتله) *

ولما سار المنصور إلى العراق وحمل معه بني حسن رجع رباح[1] إلى المدينة وألحّ في طلب محمد وهو مختف يتنقل في اختفائه من مكان إلى مكان وقد أرهقه الطلبُ حتى تدلى في بئر. فتدلى فغمس في مائها وحتى سقط ابنه من جبل فتقطع ودلّ عليه رباح بالمداد ، فركب في طلبه فاختفى عنه ولم يره . ولما اشتدّ عليه الطلب أجمع الخروج وأغراه أصحابه بذلك . وجاء الخبر إلى رباح بأنه الليلة خارج فأحضر العبّاس بن عبدالله بن الحرث بن العبّاس ومحمد بن عِمْرَان بن إبراهيم بن محمد قاضي المدينة وغيرهما ، وقال لهم : أمير المؤمنين يطلب محمداً شرق الارض وغربها وهو بين أظهركم . والله لئن خرج ليقتلنّكم أجمعين . وأمر القاضي بإحضار عشيرة بني زُهْرَة فجاؤا في جمع كثير وأجلسهم بالباب . ثم أحضر نفراً من العلويّين فيهم جعفر بن محمد بن الحسين وحسين بن علي بن حسين بن علي ورجال من قريش فيهم إسمعيل ابن أيوب بن سَلَمَة بن عبدالله بن الوليد بن المُغِيرَة وابنه خالد ، وبينما هم عنده إذ سمعوا التكبير وقيل قد خرج محمد فقال له : ابن مسلم بن عقبة أطعني واضرب أعناق هؤلاء فأبى ، وأقبل من المداد[2] في مائة وخمسين رجلاً وقصد السجن ، فأخرج محمد بن خالد بن عبدالله القسْريّ وابن أخيه النُّذَيْر بن يزيد ومن كان معهم وجعل على الرجّالة خَوّات بن جُبَيْر[3] وأتى دار الإمارة وهو ينادي بالكف عن القتل فدخلوا من باب المقصورة وقبضوا على رباح وأخيه عبّاس وابن مسلم بن عقبة فحبسهم ، ثم خرج إلى المسجد وخطب الناس وذكر المنصور بما نقمه عليه ووعد الناس واستنصر بهم واستعمل على المدينة عثمان بن محمد بن خالد بن الزُبَيْر وعلى قضائها عبد العزيز بن المطّلب بن عبدالله المخزومي ، وعلى بيت السلاح عبد العزيز الدراورديّ ، وعلى الشُرَط أبا الغَلْمَش[4] عثمان بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطّاب ، وعلى ديوان العطاء عبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسْور بن مَخْرَمَة ، وأرسل إلى محمد بن عبد العزيز يلومه على القعود عنه فوعده بالبصرة وسار

---

(١) رباح : ابن الاثيرج ٥ ص ٥٢٩

(٢) المذار : ابن الاثيرج ٥ ص ٥٣٠

(٣) خوّات بن بكير بن خوّات بن جبير : المرجع السابق .

(٤) ابا القَلَمَسّ : ابن الاثيرج ٥ ص ٥٣١ .

الى مكة ، ولم يتخلف عن محمد من وجوه الناس إلاّ نفر قليل منهم : الضحّاك بن عثمان بن عبدالله بن خالد بن حرام[1] وعبدالله بن المنذر بن المغيرة بن عبدالله بن خالد وأبو سَلَمَة بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر ، وحبيب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير. واستفتى أهل المدينة مالكاً[2] في الخروج مع محمد وقالوا : في أعناقنا بيعة المنصور ، فقال : إنما بايعتم مكرهين فتسارع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته ، وأرسل محمد إلى إسمعيل بن عبدالله بن جعفر يدعوه إلى بيعته ، وكان شيخاً كبيراً فقال : أنت والله وابن أخي مقتول فكيف أبايعك ؟ فرجع الناس عنه قليلاً وأسرع بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر إلى محمد فجاءت جمادة[3] أختهم إلى عمها إسمعيل وقالت : يا عم إنّ مقالتك ثبّطت الناس عن محمد وإخوتي معه ، فأخشى أن يقتلوا فردّها ، فيقال : إنها عدتْ عليه فقتلته ، ثم حبس محمد بن خالد القسْري بعد أن أطلقه واتهمه بالكتاب إلى المنصور فلم يزل في حبسه . ولما استوى أمر محمد ركب رجل من آل أُوَيْس بن أبي سَرْح إسمه الحسين بن صَخْر ، وجاء إلى المنصور في تسع[4] فخبّره الخبر فقال : أنت رأيته ؟ قال : نعم . وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم تتابع الخبر وأشفق المنصور من أمره واستشار أهل بيته ودولته . وبعث إلى عمّه عبدالله وهو محبوس يستشيره فأشار عليه بأن يقصد الكوفة فإنهم شيعة لأهل البيت فيملك عليهم امرهم ويحفّها بالمسالح حتى يعرف الداخل والخارج ، ويستدعي سالم بن قُتَيْبَة من الريّ فيتحشّد معه كافة أهل الشام ويبعثه وأن يبعث العطاء في الناس ، فخرج المنصور إلى الكوفة ومعه عبدالله بن الربيع بن عبدالله بن عبد المدان . ولما قدم الكوفة أرسل إلى يزيد يحيي وكان السفّاح يشاوره فأشار عليه بأن يشحن الأهواز بالجنود وأشار عليه جعفر بن حَنْظَلَة الهَرّاني[5] بأن يبعث الجند إلى البصرة . فلما ظهر إبراهيم بتلك الناحية تبيّن وجه إشارتها . وقال المنصور لجعفر : كيف خفت البصرة ؟ قال : لأنّ أهل المدينة ليسوا أهل حرب حبسهم أنفسهم ، وأهل الكوفة تحت قدمك ، وأهل الشام أعداء الطالبيّين ، ولم

---

(١) ابن حزام : ابن الاثير ج ٥ ص ٥٣٢ .
(٢) اي مالك بن أنس بن مالك .
(٣) حمّادة : ابن الاثير ج ٥ ص ٥٣٢ .
(٤) اي في تسعة ايام .
(٥) جعفر بن حنظلة البَهْرَاني : ابن الاثير ج ٥ ص ٥٣٥ .

يبق إلا البصرة . ثم إنّ المنصور كتب إلى محمد المهدي كتاب أمان فأجابه عنه بالردّ والتعريض بأمور في الأنساب والأحوال ، فأجابه المنصور عن كتابه بمثل ذلك وانتصف كل واحد منهما لنفسه بما ينبغي الإعراض عنه مع أنهما صحيحان مرويان نقلهما الطبري في كتاب الكامل فمن أراد الوقوف فليلتمسها في أماكنها[1] . ثم إنّ محمداً المهدي استعمل على مكة محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله ابن جعفر وعلى اليمن القاسم بن إسحق وعلى الشام موسى بن عبدالله . فسار محمد بن الحسن إلى مكة والقاسم معه ولقيهما السريّ بن عبدالله عامل مكة ببطن أذاخر فانهزم . وملك محمد مكّة حتى استنفره المهدي لقتال عيسى بن موسى فنفر هو والقاسم بن عبيدالله ، وبلغهما قتل محمد بنواحي قُدَيْد فلحق محمد بابراهيم ، فكان معه بالبصرة واختفى القاسم بالمدينة حتى أخذت له الأمان إمرأة عيسى ، وهي بنت عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر . وأمّا موسى بن عبدالله فسار إلى الشام فلم يقبلوا منه فرجع إلى المدينة ثم لحق بالبصرة مختفياً وعثر عليه محمد بن سليمان بن عليّ وعلى إبنه عبدالله وبعث بهما إلى المنصور فضربهما وحبسهما . ثم بعث المنصور عيسى ابن موسى إلى المدينة لقتال محمد فسار في الجنود ومعه محمد بن أبي العبّاس بن السفّاح وكُثَيّر بن حُصَيْن العَبْدِيّ وحميد بن قَحْطَبَة وهَوَا زمُرّد[2] وغيرهم ، فقال له : إن ظفرت فأغمد سيفك وابذل الأمان وإن تغيب فخذ أهل المدينة فإنهم يعرفون مذاهبه ومن لقيك من آل أبي طالب فعرفني به ومن لم يلقك فاقبض ماله . وكان جعفر الصادق فيمن تغيب ، فقبض ماله . ويقال إنه طلبه من المنصور لما قدم بالمدينة بعد ذلك فقال : قبضه مهديّكم . ولما وصل عيسى إلى فئته كتب إلى نفر من أهل المدينة ليستدعيهم منهم : عبد العزيز بن المطّلب المخزومي وعبيدالله بن محمد بن صَفْوان الجُمَعِي وعبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب فخرج إليه عبدالله هو وأخوه عمر وأبو عَقيل محمد بن عبدالله بن محمد بن عَقيل . واستشار المهدي أصحابه في القيام بالمدينة ثم في الخندق عليها ، فأمر بذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحفر الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم للأحزاب . ونزل عيسى الأعرض[3] ، وكان محمد قد منع الناس من الخروج

---

(١) وهما مرويان ايضاً في الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٥٣٦ — ٥٤٢ .
(٢) هزار مرو : ابن الاثير ج ٥ ص ٥٤٤ .
(٣) الأعرض : ابن الاثير ج ٥ ص ٥٤٥ .

فخيّرهم ، فخرج كثير منهم بأهلهم إلى الجبال وبقي في شرذمة يسيرة . ثم تدارك رأيه وأمر أبا الغَلْمَش بردّهم فأعجزوه ونزل عيسى على أربعة أميال من المدينة وبعث عسكراً إلى طريق مكة يعترضون محمداً إن انهزم إلى مكة ، وأرسل إلى المهدي بالأمان والدعاء الى الكتاب والسُّنّة ويحذّره عاقبة البغي . فقال : إنما أنا رجل فررت من القتل . ثم نزل عيسى بالجُرْف لإثنتي عشرة من رمضان سنة خمس وأربعين ، فقام يومين ، ثم وقف على مسلم[1] ونادى بالأمان لأهل المدينة وأن تخلوا بينه وبين صاحبه ، فشتموه فانصرف وعاد من الغد ، وقد فرّق القوّاد من سائر جهات المدينة وبرز محمد في أصحابه ورايته مع عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وشعارهم أحد أحد . وطلب أبو الغلمش من أصحابه البراز فبرز إليه أخو أسد فقتله . ثم آخر فقتلوا[2] وقال أنا ابن الفاروق . وأبلى محمد المهدي يومئذ بلاءً عظيماً وقتل بيده سبعين رجلاً . ثم أمر عيسى بن موسى حميد بن قَحْطَبَة فتقدّم في مائة من الرجال إلى حائط دون الخندق فهدمه ، وأجازوا الخندق وقاتلوا من ورائه ، وصابرهم أصحاب محمد إلى العصر . ثم أمر عيسى أصْحابه فرموا الخندق بالحقائب ونصبوا عليها الأبواب وجازت الخيل واقتتلوا وانصرف محمد فاغتسل وتحنّط . ثم رجع فقال[3] : أترك أهل المدينة والله لا أفعل أو أقتل وأنت مني في سعة فمشى قليلاً معه ، ثم رجع وافترق عنه جل أصحابه ، وبقي في ثلثمائة أو نحوها . فقال له بعض أصحابه : نحن اليوم في عدّة أهل بدر وطفق عيسى بن حُصَين من أصحابه يناشده في اللحاق بالبصرة أو غيرها ، فيقول والله لا تبتلون بي مرّتين . ثم جمع بين الظهر والعصر ومضى فأحرق الديوان الذي فيه أسماء من بايعهم[4] . وجاء إلى السجن وقتل رياح بن عثمان وأخاه عبّاسا وابن مسلم بن عُقْبَة وتوثق محمد بن القسْرِيّ بالأبواب فلم يصلوا إليه . ورجع ابن حُصَيْن إلى محمد فقاتل معه وتقدّم محمد إلى بطن سَلْع ومعه بنو شجاع من الخمس . فعرقبوا دوابهم وكسروا جفون سيوفهم واستماتوا وهزموا أصحاب عيسى مرّتين أو ثلاثة . وصعد نفر من أصحاب عيسى الجبل وانحدروا منه إلى المدينة . ورفع بعض نسوة إلى العبّاس خماراً لها اسود على منارة المسجد . فلما رآه أصحاب محمد وهم

---

(١) سَلْع : ابن الاثير ج ٥ ص ٥٤٦ .

(٢) الأصح فقتله .

(٣) القول موجه الى عبدالله بن جعفر .

(٤) الأصح : اسماء من بايعه .

يقاتلون هربوا ، وفتح بنو غَـفَّـار طريقاً لأصحاب عيسى فجاؤا من وراء أصحاب محمد ونادى حميد بن قَـحْـطَـبَـة للبراز فأبى ، ونادى ابن حُـصَـيْن بالأمان فلم يضغ إليه[1] ، وكثرت فيه الجراح ثم قتل وقاتل محمد على شلوه فهدّ الناس عنه هداً حتى ضرب فسقط لركبته وطعنه ابن قَـحْـطَـبَـة في صدره ، ثم أخذ رأسه وأتى به عيسى فبعثه إلى المنصور مع محمد بن الكرام عبدالله بن علي بن عبدالله بن جعفر ، وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن ، وأرسل معه رؤوس بني شُـجَـاع ، وكان قتل محمد منتصف رمضان . وأرسل عيسى الألوية فنصبت بالمدينة للأمان وصلب محمد وأصحابه ما بين ثَـنْـيَـة الوداع والمدينة ، واستأذنت زينب أخته في دفنه بالبقيع ، وقطع المنصور الميرة في البحر عن المدينة ، حتى أذن فيها المهديّ بعده ، وكان مع المهدي سيف عليّ ذو الفقار فأعطاه يومئذ رجلاً من التجار في دين كان له عليه . فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة أخذه منه وأعطاه من دينه ثم أخذه منه المهدي ، وكان الرشيد يتقلده وكان فيه ثمان عشرة فقرة ، وكان معه من مشاهير بني هاشم أخو موسى وحمزة بن عبدالله بن محمد بن عليّ بن الحسين وحسين وعلي إبنا زيد بن علي ، وكان المنصور يقول عجباً خرجا عليّ ونحن أخذنا بثأر أبيهما . وكان معه علي وزيد إبنا الحسن بن زيد بن الحسن وأبوهما الحسن مع المنصور والحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر ، والقاسم بن إسحق بن عبدالله بن جعفر والمُـرَجىّ علي بن جعفر بن إسحق بن عليّ بن عبدالله بن جعفر وأبوه عليّ مع المنصور ، ومن غير بني هاشم محمد بن عبدالله بن عمر بن سعيد بن العاص ومحمد ابن عَـجْـلان وعبدالله بن عُـمَـر بن حَـفْـص بن عاصِم ، وأبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي سَـبْـرَة ، أخذ أسيراً فضرب وحبس في سجن المدينة ، فلم يزل محبوساً إلى أن نازل السودان بالمدينة على عبدالله بن الربيع الحارثي ، وفرّ عنها إلى بطن نخل وملكوا المدينة ونهبوا طعام المنصور . فخرج ابن أبي سَـبْـرَة مقيّداً وأتى المسجد وبعث إلى محمد بن عِمْران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما ، وبعثوا إلى السودان وردّوهم عما

---

(١) المعنى هنا غير واضح تماماً وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٥٤٨ : ونادى محمد حُـمَـيْد بن قحطبة : ابرز الي فأنا محمد بن عبدالله . فقال حميد : قد عرفتك وانت الشريف ابن الشريف الكريم ابن الكريم ، لا والله لا أبرز إليك وبين يديّ من هؤلاء الاغمار أحد ، فاذا فرغت منهم فسأبرز إليك . وجعل حميد يدعوا ابن خضير الى الأمان ويشحّ به على الموت ، وابن خضير يحمل على الناس لا يصغي الى امانه ... » .

كانوا فيه ، فرجعوا ولم يصلّ الناس يومئذ جمعة . ووقف الأَصْبَغ بن أبي سفيان بن عاصم بن عبد العزيز لصلاة العشاء ونادى أصلي بالناس على طاعة أمير المؤمنين ، وصلى ثم أصبح ابن أبي سَبْرَة وردّ من العبيد ما نهبوه ، ورجع ابن الربيع من بطن نخل وقطع رؤساء[1] العبيد وكان مع محمد بن عبدالله أيضا عبد الواحد بن أبي عَوْن مولى الأزد وعبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمَة وعبد العزيز بن محمد الدراوردي وعبد الحميد بن جعفر وعبدالله بن عطاء ابن يعقوب مولى بني سِباع وبنوه تسعة وعيسى وعثمان إبنا خُضَيْر وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير قتله المنصور من بعد ذلك لما أُخذ بالبصرة وعبد العزيز بن إبراهيم بن عبدالله بن مُطِيع وعلي بن المطّلب بن عبدالله بن حنطب[2] وابراهيم بن جعفر بن مصعب بن الزبير وهشام بن عميرة بن الوليد بن [3] بن عبد الجبار وعبدالله بن يزيد بن هُرْمُز وغيرهم .

شأن ابراهيم بن عبدالله وظهوره ومقتله

كان إبراهيم بن عبدالله أخو المهديّ محمد قد اشتدّ الطلب عليه وعلى أخيه منذ خمس سنين ، وكان إبراهيم يتنقل في النواحي بفارس وبكَرْمَان والجبل والحجاز واليمن والشام ، وحضر مرّة مائدة المنصور بالموصل ، وجاء أخرى إلى بغداد حين خطها المنصور مع النظّار على قنطرة الفرات حين شدّها وطلبه فغاض في الناس فلم يوجد ووضع عليه الرصد بكل مكان ودخل بيت سُفْيَان بن حيّان العميّ[4] وكان معروفاً بصحبته فتحيل على خلاصه بأن أتى المنصور وقال : أنا آتيك بإبراهيم فأحملني وغلامي على البريد وابعث معي الجند ففعل . وجاء بالجند إلى البيت وأركب معه إبراهيم في زيّ غلامه وذهب بالجند إلى البصرة ولم يزل يفرّقهم على البيوت ويدخلها موهماً أنه يفتشه حتى بقي وحده فاختفى وطلبه أمير البصرة سُفْيَان بن معاوية فأعجزه ، وكان قدم قبل ذلك الأهواز فطلبه محمد بن حُصَيْن واختفى منه عند

(١) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٥ ص ٥٥٧ : «ورجع ابن الربيع من بطن نخل فقطع يد وثيق ويعقل وغيرهما .

(٢) علي بن عبد المطلب بن عبدالله بن جنطب : ابن الاثيرج ٥ ص ٥٥٣ .

(٣) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٥ ص ٥٥٧ : «هشام بن عمارة بن الوليد بن عدي ابن الخيار.

(٤) سفيان بن حيان القمّيّ : ابن الاثيرج ٥ ص ٥٦١ .

الحسن بن حبيب ولقي من ذلك غيًا . ثم قدم إبراهيم البصرة سنة خمس وأربعين بعد ظهور أخيه محمد بالمدينة يحيى بن زياد بن حيّان النبَطِيّ وأنزله بداره في بني ليث فدعا الناس إلى بيعة أخيه وكان أوّل من بايعه نُمَيْلَة بن مُرّةالعَبْسيّ وعبدالله بن سُفْيَان وعبد الواحد بن زياد وعمر بن سَلَمَة الهُجَيْمِيّ وعبدالله بن حي بن حُصَيْن الرَّقاشي وبثوا دعوته في الناس ، واجتمع لهم كثير من الفقهاء وأهل العلم وأحصى ديوانه أربعة آلاف . واشتهر أمره ثم حوّلوه إلى وسط البصرة ونزل دار أبي مروان مولى بني سليم في مقبرة بني يشكر ليقرب من الناس وولاّه سفيان أمير البصرة على أمره ، وكتب إليه أخوه محمد يأمره بالظهور وكان المنصور بظاهر ، وأرسل من القوّاد مدداً لسفيان علي إبراهيم إن ظهر ، ثم إنّ إبراهيم خرج أوّل رمضان من سنة خمس وأربعين وصلى الصبح في الجامع وجاء دار الإمارة بابن سُفْيَان وحبسه وحبس القوّاد معه ، وجاء جعفر ومحمد إبنا سليمان بن عليّ في ستمائة رجل وأرسل إبراهيم إليها المعين بن القاسم الحدروري[1] في خمسين رجلاً فهزمها إلى باب زينب بنت سليمان بن علي وإليها ينسب الزينبيّون من بني العبّاس فنادى بالأمان وأخذ من بيت المال ألفي ألف درهم ، وفرض لكل رجل من أصحابه خمسين . ثم أرسل المغيرة على الأهواز في مائة رجل فغلب عليها محمد بن الحُصَيْن وهو في أربعة آلاف . وأرسل عمر بن شدّاد إلى فارس وبها إسمعيل وعبد الصمد إبنا علي ، فتحصّنا في دار بجرد وملك عمر نواحيها ، فأرسل هرون بن شمس العِجْلِي في سبعة عشر ألفاً إلى واسط فغلب عليها هرون بن حميد الإيادي وملكها . وأرسل المنصور لحربه عامر ابن إسمعيل في خمسة آلاف وقيل في عشرين فاقتتلوا أياماً ثم تهادنوا يروا مآل الأميرين المنصور وإبراهيم . ثم جاء نعي محمد إلى أخيه إبراهيم قبل الفطر فصلى يوم العيد وأخبرهم فازدادوا حنقاً على المنصور . ونفر في حره وعسكر من الغد ، واستخلف على البصرة غَيْلَة وابنه حسناً معه . وأشار عليه أصحابه من أهل البصرة بالمقام وإرسال الجنود وأمدادهم واحداً بعد واحد ، وأشار أهل الكوفة باللحوق إليها لأنّ الناس في انتظارك ولو رَأَوْك ماتوا نوا عنك ، فسار وكتب المنصور إلى عيسى بن موسى بإسراع العود وإلى مسلم بن قُتَيْبَة بالريّ وإلى سالم بقصد إبراهيم وضم إليه غيرها من القوّاد . وكتب إلى المهدى بإنفاذ خُزَيْمَة بن خازِم إلى الأهواز وفارس والمدائن وواسط

(١) المضاء بن القاسم الجزري : ابن الاثير ج ٥ ص ٥٦٤ .

والسواد وإلى جانبه أهل الكوفة في مائة ألف يتربصون به . ثم رمى كل ناحية بحجرها وأقام خمسين يوماً على مصلاه ويجلس ولم ينزع عنه جبته ولا قميصه وقد توسخا ويلبس السواد إذا ظهر للناس ، وينزعه إذا دخل بيته . وأهديت له من المدينة إمرأتان فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيدالله وأمة الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أسيد فلم يحفل بهما . وقال : ليست هذه أيام نساء حتى أنظر رأس إبراهيم إليّ أو رأسي له . وقدم عليه عيسى بن موسى فبعثه لحرب إبراهيم في خمسة عشر ألفاً وعلى مقدمته حُمَيْد بن قَحْطَبَة في ثلاثة آلاف وسار إبراهيم من البصرة ومائة ألف حتى نزلا بازاء عيسى بن موسى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة ، وأرسل إليه مسلم بن قتيبة بأن يخندق على نفسه أو يخالف عيسى إلى المنصور فهو في حفٍ من الجنون . ويكون أسهل عليك فعرض ذلك إبراهيم على أصحابه فقالوا : نحن هرون وأبو جعفر في أيدينا ! فأسمع ذلك رسول سالم فرجع ، ثم تصافوا للقتال وأشار عليه بعض أصحابه أن يجعلهم كراديس ليكون أثبت والصف إذا انهزم بعضه تداعى سائره ، فأبى إبراهيم إلاّ الصف صف أهل الإسلام ، ووافقه بقية أصحابه . ثم اقتتلوا وانهزم حميد بن قَحْطَبَة وانهزم معه الناس وعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة ، فقال لهم حميد : لا طاعة في الهزيمة ولم يبق مع عيسى إلاّ فلّ قليل فثبت واستمات وبينما هو كذلك إذ قدم جعفر ومحمد بن سليمان بن عليّ وجاء من وراء إبراهيم وأصحابه فانعطفوا لقتالهم واتبعهم أصحاب عيسى ورجع المنهزمون من أصحابه بأجمعهم اعترضهم إمامهم ، فلا يطيقون ومخافة ولا وثوبة ، فانهزم أصحاب إبراهيم وثبت هو في ستمائة أو أربعمائة من أصحابه وحميد يقاتله . ثم أصابه سهم بنحره فأنزلوه واجتمعوا عليه . وقال حميد شدّوا على تلك الجماعة فاحصروهم عن إبراهيم وقطعوا رأسه وجاؤا به إلى عيسى فسجد وبعثه إلى المنصور ، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة الحرام سنة خمس وأربعين ، ولما وضع رأسه بين يدي المنصور بكى ، وقال : والله إني كنت لهذا كارهاً ولكني ابتليت بك وابتليت بي . ثم جلس للعامة فأذن للناس فدخلوا ومنهم من يثلب إبراهيم مرضاة للمنصور حتى دخل جعفر بن حَنْظَلَة النَهْرَاني فسلّم ثم قال : عظّم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمّك وغفر له ما فرّط فيه من حقك ، فتهلل وجه المنصور وأقبل عليه وكنّاه بابي خالد واستدناه .

وابتدأ المنصور سنة ست وأربعين في بناء مدينة بغداد وسبب ذلك ثورة الراوندية عليه بالهاشمية ، ولأنه كان يكره أهل الكوفة ولا يأمن على نفسه منهم . فتجافى عن جوارهم وسار إلى مكان بغداد اليوم ، وجمع من كان هنالك من البَطَارِقَة فسألهم عن أحوال مواضعهم في الحرّ والبرد والمطر والوحل والهَوَام ، واستشارهم فأشاروا عليه بمكانها وقالوا تجيئك الميرة في السفن من الشام والرقّة ومِصْر والمغرب إلى المِصْرَات . ومن الصين والهند والبصرة وواسِط وديار بكر والروم والموصل في دجلة . ومن أرمينية وما اتصل بها في تامرّا حتى يتصل بالزاب . وأنت بين أنهار كالخنادق لا تعبر إلا على القناطي والجسور وإذا قطعتها لم يكن لعدوّك مطمع وأنت متوسط بين البصرة والكوفة وواسِط والموصل قريب من البرّ والبحر والجبل . فشرع المنصور في عمارتها وكتب إلى الشام والجبل(١) والكوفة وواسط والبصرة في الصنّاع والفعلة واختار من ذوي الفضل والعدالة والعفّة والأمانة والمعرفة بالهندسة فأحضرهم لذلك ، منهم : الحجّاج بن أرطاة وأبو حنيفة الفقيه وأمر بخطها بالرماد فشكلت أبوابها وفضلانها وطاقاتها ونواحيها ، وجعل على الرماد حب القطن فاضرم ناراً ثم نظر إليها وهي تشتعل فعرف رسمها وأمر أن تحفر الأسس على ذلك الرسم . ووكّل بها أربعة من القوّاد يتولى كل واحد منهم ناحية ، ووكّل أبا حنيفة بعدّ الآجر واللبن . وكان أراده على القضاء والمظالم فأبى فحلف أن لا يقلع عنه حتى يعمل له عملاً فكان هذا . وأمر المنصور أن يكون عرض أساس القصر من أسفله خمسين ذراعاً ومن أعلاه عشرين وجعل في البناء القصب والخشب ووضع بيده أوّل لبنة وقال : « بسم الله والحمدلله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ثم قال ابنوا على بركة الله ، فلما بلغ مقدار قامة جاء الخبر بظهور محمد المهديّ ، فقطع البناء وسار إلى الكوفة حتى فرغ من حرب محمد وأخيه ورجع من مدينة ابن هُبَيْرَة إلى بغداد واستمرّ في بنائها ، واستشار خالد بن بَرْمَك في نقض المدائن والإيوان فقال : لا أرى ذلك لأنه من آثار الإسلام(٢) وفتوح العرب وفيه مصلى عليّ بن أبي طالب فاتهمه بمحبة العجم وأمر

(١) هي بلاد طبرستان فانها تسمى بلاد الجبل وبلاد الديلم اهـ . (من خط الشيخ العطار) .

(٢) قوله لأنه من آثار الاسلام وفتوح العرب ... هو في الحقيقة من بناء الاكاسرة وآثارهم بحسب الانشاء ، ومعنى كونه من آثار الاسلام انه دل على ان الاسلام اباد هذه الدولة التي بنت هذا البناء وملكوا ملكهم وأذلّوهم اهـ . (من خط الشيخ العطار) .

بنقض القصر الأبيض فإذا الذي ينفق في نقضه أكثر من ثمن الجديد فأقصر عنه . فقال خالد : لا أرى إقصارك عنه لئلا يقال عجزوا عن هدم ما بناه غيرهم ، فأعرض عنه ونقل الأبواب إلى بغداد من وَاسِط ومن الشام ومن الكوفة ، وجعل المدينة مدوّرة وجعل قصره وسطها ليكون الناس منه على حدّ سواء . وجعل المسجد الجامع بجانب القصر وعمل لها سورين والداخل أعلى من الخارج . ووضع الحجّاج ابن ارطاة قبلة المسجد ، وكان وزن اللبنة التي يبنى بها مائة رطل وسبعة عشر رطلاً وطولها ذراع في ذراع ، وكانت بيوت جماعة من الكتاب والقوّاد تشرع أبوابها إلى رحبة الجامع ، وكانت الأسواق داخل المدينة فأخرجهم إلى ناحية الكرخ لما كان الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها ، وجعل الطُرُق أربعين ذراعاً وكان مقدار النفقة عليها في المسجد والقصر والأسواق والفضلان والخنادق والأبواب أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وثلاثة وثلاثين ألف درهم . وكان الأستاذ من البنائين يعمل يومه بقيراط ، والروز كاري بحبتين ، وحاسب القواد عند الفراغ منها فألزم كلاً بما بقي عنده وأخذه حتى أخذ من خالد بن الصلت منهم خمسة عشر درهماً بعد أن حبسه عليها .

* (العهد للمهدي وخلع عيسى بن موسى) *

كان السفّاح قد عهد إلى عيسى بن موسى بن علي وولاّه على الكوفة فلم يزل عليها ، فلما كبر المهدي أراه المنصور أبوه أن يقدمه في العهد على عيسى ، وكان يكرمه في جلوسه فيجلس عن يمينه والمهديّ عن يساره فكلّمه في التأخر عن المهديّ في العهد فقال : يا أمير المؤمنين كيف بالإيمان التي عليّ وعلى المسلمين وأبى من ذلك ، فتغيّر له المنصور وباعده بعض الشيء . وصار يأذن للمهدي قبله ولعمّه عيسى بن عليّ وعبد الصمد . ثم يدخل عيسى فيجلس تحت المهدي واستمرّ المنصور على التنكّر له وعزله عن الكوفة لثلاث عشرة سنة من ولايته ، وولّى مكانه محمد بن سليمان بن علي ، ثم راجع عيسى نفسه فبايع المنصور للمهدي بالعهد وجعل عيسى من بعده . ويقال إنه أعطاه أحد عشر ألف ألف درهم ووضع الجند في الطرقات لأذاه وإشهاد خالد بن برمك عليه جماعة من الشيعة بالخلع تركت جميعها لأنها لا تليق بالمنصور وعدالته المقطوع بها فلا يصح من تلك الأخبار شيء .

* (خروج استادسيس [1]) *

كان رجل إدّعى النبوّة في جهات خراسان فاجتمع إليه نحو ثلثمائة ألف مقاتل من أهل هَرَاة وبَاذَغِيس وسِجِسْتان وسار إليه الأخثم [2] عامل مَرْو الرّوذ في العساكر فقاتل الأخثم وعامة أصحابه ، وتتابع القوّاد في لقائه فهزمهم وبعث المنصور وهو بالبرادق [3] خازم بن خُزَيْـمَـة إلى المهديّ في إثني عشر ألفاً فولاه المهديّ حربه فزحف إليه في عشرين ألفاً وجعل على ميمنته الهَيْثَم بن شُعْبَة بن ظُهَيْر ، وعلى ميسرته نَهار بن حصن السعدي [4] وفي مقدمته بكّار بن مسلم العُقَيْليّ ، ودفع لواءه للزّبْرقان . ثم راوعهم في المزاحفة وجاء إلى موضع فخندق عليه وجعل له أربعة أبواب ، وأتى أصحاب أسْتَادَسِيس بالفؤس والمواعيل ليطموا الخندق فبدؤا بالباب الذي يلي بكّار بن مسلم فقاتلهم بكّار وأصحابه حتى ردّوهم عن بابهم فأقبلوا على باب خازم وتقدّم منهم الحَرِيْش من أهل سِجِسْتان فأمر خازمُ الهَيْثَم بن شعبة أن يخرج من باب بكّار ويأتي العدوّ من خلفهم وكانوا متوقعين قدوم أبي عَوْن وعمر بن مسلم بن قُتَيْبَة وخرج خازم على الحَرِيش واشتدّ قتاله معهم .وبدت أعلام الهَيْثَم من ورائهم فكبّر أهل العسكر وحملوا عليهم فكشفوهم ولقيهم أصحاب الهيثم فاستمرّ فيهم القتل فقتل سبعون ألفاً وأسر أربعة عشر ، وتحصّن أستادسيس على حكم أبي عون فحكم بأن يوثق هو وبنوه ويعتق الباقون ، وكتب إلى المهدي بذلك فكتب المهديّ إلى المنصور ويقال إنّ أستادسيس أبو مراجل أمّ المأمون وابنه غالب خال المأمون الذي قتل الفضل بن سهل .

* (ولاية هشام بن عمر الثعلبي على السند) *

كان على السِّند أيام المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صُفْرَة ويلقب مرامى ألف رجل [5] ولما كان من أمر المهديّ ما قدّمناه بعث إبنه عبدالله

(١) استاذسيس : ابن الاثيرج ٥ ص ٥٩١ .
(٢) الاجشم : ابن الأثيرج ٥ ص ٥٩١ .
(٣) الراذان : ابن الاثيرج ٥ ص ٥٩١ .
(٤) نهار بن حصين السعدي : ابن الاثيرج ٥ ص ٥٩١ .
(٥) هزار مرد (يعني ألف رجل) ابن الاثيرج ٥ ص ٥٩٥ .

الأشتر إلى البصرة ليدعوله ، فسار من هنالك إلى عمر بن حفص وكان يتشيّع فأهدى له خيلاً ليتمكن بها من لقائه . ثم دعاه فأجاب وبايع له وأنزله عنده مختفياً ودعا القوّاد وأهل البلد فأجابوا فمزق الأعلام وهيأ لبسة من البياض يخطب فيها ، وهو في ذلك إذ فجأه الخبر بقتل المهدي فدخل على إبنه أشتر وعزّاه فقال له : الله في دمي فأشار عليه باللحاق بملك من ملوك السِّند عظيم المملكة ، كان يعظّم جهة النبّي صلى الله عليه وسلم ، وكان معروفاً بالوفاء ، فأرسل إليه بعد أن عاهده عليه ، واستقر عند ذلك الملك . وتسلّل إليه جماعة من الزيدية نحواً من أربعمائة ، وبلغ ذلك المنصور فغاظه وكتب إلى عمر بن حفص بعزله وأقام يفكر فيمن يوليه السِّند ، وعرض له يوماً هشام بن عمر الثعلبي [1] وهو راكب ثم اتبعه إلى بيته وعرض عليه أخته ، فقال للربيع : لوكانت لي حاجة في النكاح لقبلت ، فجزاك الله خيرا ، وقد ولّيتك السِّند فتجهزّ لها وأمره أن يحارب ملك السِّند ويسلّم إليه الأشتر ففعل ، وأقام المنصور يستحثّه . ثم خرجت خارجة بالسّند فبعث هشام أخاه سفيحاً لحسم الداء عنها ، فمر بنواحي ذلك الملك فوجد الأشتر يتنزه في شاطىء هَمَذَان في عشرة من الفرسان فجاء ليأخذه فقاتلهم حتى قُتِل وقتل أصحابه جميعاً . وكتب هشام بذلك إلى المنصور فشكره وأمر بمحاربة ذلك الملك فظفر به وغلب على مملكته ، وبعث بسراري عبدالله الأشتر ومعه ولد منه إسمه عبدالله بعث بهم المنصور إلى المدينة وأسْلَمَه إلى أهله ولما ولّى هشام بن عمر على السِّند وعزل عُمَر بن حَفْص عنها ثم حدثت فتق بأفريقية بعثه إلى سدّه كما سيأتي في أخبارها .

* (بناء الرصافة للمهدي) *

ولما رجع المهدي من خراسان قدم عليه أهل بيته من الشام والكوفة والبصرة فأجازهم وكساهم وجملهم وكذلك المنصور . ثم شعب عليهم الجند فأشار عليهم قُثَم بن العبّاس * بن عُبَيْدالله بن العبّاس بأن يفرّق بينهم ويستكفيه في ذلك ، وأمر بعض غلمانه أن يعترضه بدار الخلافة ويسأله بحق الله ورسله والعبّاس وأمير المؤمنين أبي الحسين مَنْ أشرف اليمن أم مُضَر؟ فقال : مُضَر كان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها كتاب الله وعندها بيت الله ومنها خليفة الله فغضب اليمن إذ لم يذكر لها

(١) هشام بن عمر التغلبي : ابن الاثير ج ٥ ص ٥٩٥ .

فضلاً . ثم كبح بعضهم بغلة قُثَم فامتنعت مُضَر وقطعوا الذي كبحها فتشاجر الحيّان وتعصبت لليمن ربيعة والخراسانية للدولة وأصبحوا أربع فرق ، وقال قُثَم للمنصور : إضرب كل واحدة بالأخرى وسيّر لابنك المهدي فلل أنير له[1] بجنده فيتناظرون أهل مدينتك فقبل رأيه وأمر صالحاً صاحب المصلى ببناء الرُّصافة للمهدي .

* (مقتل معن بن زائدة) *

كان المنصور قد ولّى على سجستان معن بن زائدة الشيباني وأرسل إلى رتبيل في الضريبة التي عليه فبعث بها عروضاً زائدة الثمن فغضب معن وسار إلى الرُّخّج على مقدمته يزيد[2] ابن أخيه يزيد ففتحها وسبى أهلها وقتلهم ومضى رتبيل إلى عزمه وانصرف معن إلى بُسْت فشتى بها ونكر قوم من الخوارج سيرته فهجموا عليه وفتكوا به في بيته وقام يزيد بأمر سجستان وقتل قاتليه واشتدّت على أهل البلاد وطأته فتحيل تعضهم بأن كتب المنصور على لسانه كتاباً يتضجر من كتب المهدي إليه ويسأله أن يعفى من معاملته ، فأغضب ذلك المنصور وأقرأ المهدي كتابه وعزله وحبسه ثم شفع فيه شخص إلى مدينة السلام فلم يزل مجفواً حتى بعث إلى يوسف البرم بخراسان كما يذكر بعد .

* (العمال على النواحي أيام السفاح والمنصور) *

كان السفاح قد ولّى عند بيعته على الكوفة عمّه داود بن علي وجعل على حجابته عبد الله بن بَسّام وعلى شرطته موسى بن كَعْب وعلى ديوان الخراج خالد بن بَرْمَك وبعث عمه عبدالله لقتال مروان مع أبي عَوْن بن يزيد بن قَحْطَبَة تقدمة ، وبعث يحيى ابن جعفر ابن تمام بن العبّاس إلى المدائن ، وكان أحمد بن قَحْطَبَة تقدمة وبعث أبا اليقظان عثمان بن عُرْوَة بن عمّار بن ياسر إلى الأهواز مدداً لبسام بن إبراهيم ،

---

(١) المعنى غير واضح وفي الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٦٠٤ : وقال قثم للمنصور : قد فرقت بين جندك وجعلتهم احزابا كل حزب منهم يخاف ان يحدث عليك حدثا فتضربه بالحزب الآخر . وقد بقي عليك في التدبير بقية ، وهي ان تعبر بابنك فتنزله في ذلك الجانب وتحول معه قطعة من جيشك فيصير ذلك بلداً وهذا بلداً . فان فسد عليك أولئك ضربتهم بهؤلاء ... فقبل رأيه واستقام ملكه وبنى الرّصافة وتولى صالح المصلّى ذلك .»

(٢) مزيد ابن أخيه يزيد : ابن الاثير ج ٥ ص ٦٠٦ .

ودفع ولاية خراسان إلى أبي مسلم ، فولّى أبو مسلم عليها إياداً وخالد بن إبراهيم وبعث عمّه عبدالله في مقدمته لحرب مروان أخاه صالحاً ومعه أبو عون بن يزيد ، فلما ظفر وانصرف ترك أبا عون يزيد بمصْرَ واستقل عبد الله بولاية الشام وولّى السفاح أخاه أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان فولّى على أرمينية يزيد بن أسد وعلى أذربيجان محمد بن صول ونزل الجزيرة . وكان أبو مسلم ولّى على فارس محمد بن الأشعث حين قتل أبا مَسْلَمَة الخَلاّل ، فبعث السفّاح عليها عيسى فمنعه محمد بن الأشعث واستخلفه على الولاية فبعث عليها عمه إسمعيل . وولّى على الكوفة ابن أخيه موسى ، وعلى البصرة سُفْيَان بن مُعَاوِية المهلّبيّ وعلى السِّند منصور بن جُمْهُور ونقل عمه داود إلى ولاية الحجاز واليمن واليمامة . ثم ولّى على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبَحْرَيْن وعُمَان وتوفي داود بن عليّ سنة ثلاث وثلاثين ، فولّى مكانه على اليمن محمد بن يزيد بن عبدالله بن عبد المدان وعلى مكة والمدينة والطائف واليمامة خاله زياد ابن عبد الله بن عبد المدان الحارثي وهو عمّ محمد بن يزيد . وفيها بعث محمد بن الأشعث إلى أفريقية ففتحها وفي سنة أربع وثلاثين بعث صاحب الشرطة موسى بن كَعْب لقتال منصور بن جُمْهُور ، وولاّه مكانه على السِّند ، فاستخلف مكانه على الشرطة المُسَيّب بن زُهَيْر . وتوفي عامل اليمن محمد بن يزيد ، فولّى مكانه عليّ بن الربيع بن عبيدالله الحارثي . ولما استخلف المنصور وانتقض عبدالله بن علي وأبو مسلم ولّى على خراسان أبا داود خالد بن إبراهيم وعلى مِصْرَ صالح بن علي وعلى الشام عبدالله بن عليّ . ثم هلك خالد ابن إبراهيم سنة أربعين فولّى مكانه عبد الجبّار ابن عبد الرحمن فانتقض لسنة من ولايته، فبعثُ المنصور ابنه المهدي على خراسان وفي مقدمته خازم بن خُزَيْمَة فظفر بعبد الجبّار . وتوفي سليمان عاملِ البصرة سنة أربعين فولّى مكانه سُفْيَان بن معاوية ، ومات موسى بن كَعْب بالسِّند وولّى مكانه ابنه عُيَيْنَة فانتقض ، فبعث المنصور مكانه عمر بن حَفْص بن أبي صُفْرَة وولّى مصر في هذه السنة حميد بن قَحْطَبَة . وولّى على الجزيرة والثغور والعواصم أخاه العبّاس ابن محمد وكان بها يزيد بن أسيد وعزل عمه إسمعيل عن الموصل ، وولّى مكانه مالك ابن الهَيْثَم الخُزَاعِيّ . وفي سنة ست وأربعين عزل الهَيْثَم بن معاوية وولّى على مكة والطائف مكانه السريّ بن عبدالله بن الحرث بن العبّاس نقله إليها من اليمامة ، وولّى مكانه من اليمن قَثْمَ بن العبّاس بن عبدالله بن العبّاس ، وعزل حميد بن

قَحْطَبَة عن مِصْر وولّى مكانه نوفل بن الفرات ، ثم عزله وولّى مكانه يزيد بن حاتم ابن قُبَيْصَة بن المهلّب بن أبي صُفْرَة . وولى على المدينة محمد بن خالد بن عبدالله القسْرِيّ ثم اتهمه في أمر ابن أبي الحسن فعزله ، وولّى مكانه رباح بن عثمان المَزْنِيّ ولما قتله أصحاب محمد المهدي ولّى مكانه عبدالله بن الربيع الحارثيّ . ولما قُتِل إبراهيم أخو المهدي سنة خمس وأربعين ولّى المنصور على البصرة سالم بن قُتَيْبَة البَاهِلِيّ ، وولّى على الموصل ابنه جعفراً مكان مالِك بن الهَيْثَم وبعث معه حَرْب بن عبدالله من أكابر قوّاده . ثم عزل سالم بن قُتَيْبَة عن البصرة سنة ست وأربعين ، وولّى مكانه محمد بن سليمان ، وعزل عبدالله بن الربيع عن المدينة ، وولّى مكانه جعفر بن سليمان ، وعزل السرْيّ بن عبدالله عن مكة وولّى مكانه عمه عبد الصمد بن عليّ . وولى سنة سبع وأربعين على الكوفة محمد بن سليمان مكان عيسى بن موسى لمّا سخطه بسبب العهد . وولّى مكان محمد بن سليمان على البصرة محمد بن السفّاح فاستعفاه ورجع إلى بغداد فمات ، واستخلف بها عُقْبَة بن سَالِم فأقرّه . وولّى على المدينة جعفر بن سليمان ، وولّى سنة ثمان وأربعين على الموصل خالد بن بَرْمَك لإفساد الأكراد في نواحيها ، وعزل سنة تسع وأربعين عمه عبد الصمد عن مكة ، وولّى مكانه محمد بن ابراهيم . وفي سنة خمسين عزل جعفر بن سليمان عن المدينة ، وولّى مكانه الحسن بن زيد بن الحسن . وفي سنة إحدى وخمسين عزل عمر بن حفص عن السِّند وولّى مكانه هشام بن عمر والتغلبيّ ، وولّى عمر بن حفص على أفريقية . ثم بعث يزيد بن حاتم من مِصْر مدداً له ، وولّى مكانه بمصر محمد بن سعيد . وفي هذه السنة قتل مَعْنُ بن زائدة بسِجِسْتَان كما تقدّم فقام بأمره يزيد ابن أخيه يزيد ، فأقرّه المنصور ثم عزله وفي هذه السنة سار عُقْبَة بن سَالِم من البصرة واستخلف نافع ابن عُقْبَة فغزا البحرَين وقتل ابن حكيم العَدَوِيّ واستقصره المنصور بإطلاق أسراهم فعزله وولّى جابر بن مومة الكلابيّ ، ثم عزله وولّى مكانه عبد الملك بن طيبان النُهَيْرِي . ثم عزله وولّى الهَيْثَم بن معاوية العكّيّ . وفيها ولّى على مكة والطائف محمد بن إبراهيم الإمام ، ثم عزله وولّى مكانه إبراهيم ابن أخيه يحيى بن محمد ، وولّى على الموصل إسمعيل بن خالد بن عبدالله القسْرِيّ . ومات أسيد بن عبدالله أمير خراسان فولّى مكانه حميد بن قَحْطَبَة وفي سنة ثلاث وخمسين توفي عبيدالله بن بنت أبي ليلى قاضي الكوفة فاستقضى شريك بن عبدالله النَخْعِيّ وكان على اليمن

يزيد بن منصور وفي سنة خمس وأربعين بل أربع وخمسين عزل عن الجزيرة أخاه العبّاس وأغرمه مالاً ، وولّى مكانه موسى بن كَعْب الخَثْعَمِي ، وكانِ سبب عزله شكاية يزيد بن أسيد منه ، ولم يزل ساخطاً على العبّاس حتى غضب على عمه إسمعيل ، فشفع فيه إخوته عمومة المنصور فقال عيسى بن موسى : يا أمير المؤمنين شفعوا في أخيهم وأنت ساخط على أخيك العبّاس منذ كذا ! ولم يكلمك فيه أحد منهم فرضي عنه . وفي سنة خمس وخمسين عزل محمد بن سليمان عن الكوفة وولّى مكانه عمر بن زهير الضَبّي أخا المسيّب صاحب الشرطة ، وكان من أسباب عزله ، أنه حبس عبد الكريم بن أبي العَوْجاء خال مَعْن بن زائدة على الزندقة ، وكتب إليه أن يتبين أمره فقتله قبل وصول الكتاب ، فغضب عليه المنصور وقال : لقد هممت أن أقيده به . وعزل عمه عيسى في أمره لأنه الذي كان أشار بولايته . وفيها عزل الحسن بن زيد عن المدينة وولّى مكانه عمه عبد الصمد بن علي ، وكان على الأهواز وفارس عمارة بن حمزة . وفي سنة سبع وخمسين ولّى على البحرين سعيد بن دعلج صاحب الشرطة بالبصرة ، فأنفذ إليها ابنه تميماً ومات سوَار بن عبدالله قاضي البصرة فولّى مكانه عبيدالله بن الحسن بن الحُصَيْن العَيْرِيّ . وعزل محمد بن الكاتِب عن مصر وولّى مكانه مولاه مطراً وعزل هشام بن عمر عن السِّند وولّى مكانه معبد بن الخليل . وفي سنة ثمان وخمسين عزل موسى بن كعب عن الموصل لشيء بلغه عنه فأمر إبنه المهديّ أن يسير إلى الرقّة مورياً بزيارة القدس ويكفل طريقة على الموصل فقبض عليه ، وكان المنصور قد ألزم خالد بن بَرْمَك ثلاثة آلاف ألف درهم وأجّله في إحضارها ثلاثاً وإلّا قتله ، فبعث إبنه يحيى إلى عمارة بن حمزة ومبارك التركي وصالح صاحب المُصَلّى وغيرهم من القواد ليستقرض منهم ، قال يحيى : فكلهم بعث إلا أنّ منهم من منعني الدخول ومنهم من يجيبني بالردّ إلا عمارة بن حمزة فإنه أذن لي ووجهه إلى الحائط ، ولم يقبل عليّ ، وسلّمت فردّ خفيفاً ، وسأل كيف خالد فعرّفته واستقرضته فقال : إن أمكنني شيء يأتيك فانصرفت عنه . ثم أنفذ المال فجمعناه في يومين وتعذرت ثلثمائة ألف . وورد على المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الأكراد بها ، وسخط موسى بن كعب فأشار عليه المسيّب بن زهير بخالد بن بَرْمَك فقال : كيف يصلح بعدما فعلنا ؟ فقال : أنا ضامنه فصفح له عما بقي عليه ، وعقد له على الموصل ، ولابنه يحيى على أذربيجان . وسارا مع المهدي

فعزل موسى بن كعب وولاهما . قال يحيى : وبعثني خالد إلى عمارة بقرضه وكان مائة ألف ، فقال لي : أكنت لأبيك صديقا ؟ قم عني لاقمت . ولم يزل خالد على الموصل إلى وفاة المنصور . وفي هذه السنة عزل المنصور المسيّب بن زهير عن شرطته وحبسه مقيداً لأنه ضرب أبان بن بشير الكاتب بالسياط حتى قتله ، وكان مع أخيه عمر بن زهير بالكوفة ، وولّى المنصور على فارس نَصْر بن حَرْب بن عبدالله . ثم على الشُرطة ببغداد عمر بن عبد الرحمن أخا عبد الجبّار ، وعلى قضائها عبدالله بن محمد بن صفوان . ثم شفع المهدي في المسيّب وأعاده إلى شرطته .

* (الصوائف) *

كان أمر الصوائف قد انقطع منذ سنة ثلاثين بما وقع من الفتن ، فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين أقبل قُسْطَنْطِينُ ملك الروم إلى مَلَطْيَةَ ونواحيها فنازل حصن بلخ[1]، واستنجدوا أهل مَلَطْيَة فأمدّوهم بثمانمائة مقاتل ، فهزمهم الروم وحاصروا ملطية والجزيرة مفتوحة وعاملها موسى بن كَعْب بخراسان[2] فسلّموا البلد على الأمان لقسطنطين . ودخلوا إلى الجزيرة وخرّب الروم ملطية ، ثم ساروا إلى قاليقلا ففتحوها . وفي هذه السنة سار أبو داود وخالد بن إبراهيم إلى الجتن[3] فدخلها فلم تمتنع عليه ، وتحصّن منه السبيل[4] ملكهم ، وحاصره مدّة ، ثم فرض الحصن ولحق بفَرْغَانَة . ثم دخلوا بلاد الترك وانتهوا إلى بلد الصين ، وفيها بعث صالح بن علي بن فلسطين سعيد بن عبدالله لغزو الصائفة وراء الدروب . وفي سنة خمس وثلاثين غزا عبد الرحمن بن حبيب عامل أفريقية جزيرة صقلية فغنم وسبى وظفر بما لم يظفر به أحد قبله . ثم سفل[5] ولاة أفريقية بفتن البربر فأمّن أهل صقلية وعمّر الحصون والمعاقل وجعلوا الأساطيل تطوف بصقلية للحراسة ، وربما صادفوا تجّار المسلمين في البحر فأخذوهم وفي سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم فأخذ مَلَطْيَة عنوة وهدم سورها وعفا عن أهلها . فغزا العبّاس بن محمد الصائفة ومعه عماه صالح وعيسى ،

(١) كمخ : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٤٧
(٢) بحرّان : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٤٧
(٣) الختّل : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٤٨
(٤) حبيش بن الشبل : ابن الاثير ج ٥ ص ٤٤٩
(٥) حسب مقتضى السياق : وشغل

وبني ما خرّبه الروم من سور مَلَطْيَة من سورة الروم ، وردّ إليها أهلها وأنزل بها الجند ودخل دار الحرب من درب الحرث وتوغّل في أرضهم . ودخل جعفر بن حنظلة البهراني من درب مَلَطْيَة . وفي سنة تسع وثلاثين كان الفداء بين المسلمين والروم في أسرى قاليقلا وغيرهم . ثم غزا بالصائفة سنة أربعين عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ومعه الحسن بن قَحْطَبَة ، وسار إليهم قسطنطين ملك الروم في مائة ألف فبلغ جيحان وسمع كثرة المسلمين فأحجم عنهم ورجع ، ولم تكن بعدها صائفة إلى سنة ست وأربعين ، لاشتغال المنصور بفتنة بني حسن . وفي سنة ست وأربعين خرج الترك والخدر بن باب الأبواب وانتهوا إلى أرمينية وقتلوا من أهلها جماعة ورجعوا . وفي سنة سبع وأربعين أغار أسْتَرْخان الخوارزمي في جمع من الترك على أرمينية فغنم وسبى ودخل تفليس فعاث فيها . وكان حرب بن عبدالله مقيماً بالموصل في ألفين من الجند لمكان الخوارزمي بالجزيرة ، فأمره المنصور بالمسير لحرب الترك مع جبريل بن يحيى ، فانهزموا وقتل حرب في كثير من المسلمين . وفيها غزا بالصائفة مالك بن عبدالله الخَثْعَمِي من أهل فلسطين ، ويقال له ملك الصوائف فغنم غنائم كثيرة وقسّمها بدرب الحرث[1] وفي سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة العبّاس بن محمد ومعه الحسن بن قَحْطَبَة ومحمد بن الأشعث ، فدخلوا أرض الروم وعاثوا ورجعوا . ومات محمد بن الأشعث في طريقه في سنة إحدى وخمسين وقتل أخوه محمد ولم يدر . ثم غزا بالصائفة سنة أربع وخمسين زفر بن عاصِم الهِلاَلي . وفي سنة خمس بعدها طلب ملك الروم الصلح على أن يؤدي الجزية ، وغزا بالصائفة يزيد بن أسيد السَلَمِيّ وغزا بها سنة ست وخمسين وغزا بالصائفة معيوب بن يحيى من درب الحرثي ولقي العدوّ فاقتتلوا ثم تحاجزوا .

* (وفاة المنصور وبيعة المهدى) *

وفي سنة ثمان وخمسين توفي المنصور منصرفاً من الحج ببئر ميمون لست خلت من ذي الحجة وكان قد أوصى المهدي عند وداعه فقال : لم أدع شيئاً إلا تقدّمت إليك فيه

(١) ذكر ابن الاثير هذه الحادثة ولكن في حوادث ستة واربعين ومائة وليس سبعة واربعين ج٥ ص٥٧٦ «وفيها غزا مالك بن عبدالله الخثعمي ، الذي يقال له مالك الصوائف (وهو من أهل فلسطين) بلاد الروم فغنم غنائم كثيرة ثم قفل ، فلما كان من درب الحدث على خمسة عشر ميلاً بموضع يدعى الرهوة نزلَ بها ثلاثا وباع الغنائم وقسم سهام الغنيمة . فسحبت تلك الرهوة ، رهوة مالك . »

وسأوصيك بخصال وما اظنك تفعل واحدة منها ، وله سَفَـطٌ فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره ، فقال للمهدي : انظر إلى هذا السَفَـط فاحتفظ به فإنّ فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، فإن أحزنك أمر فانظر في الدفتر الكبير ، فإن أصبت فيه ما تريد وإلاّ ففي الثاني والثالث حتى تبلغ سبعة . فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فإنك واجد ما تريد فيها وما أظنك تفعل . فانظر هذه المدينة وإياك أن تستبدل بها غيرها ، وقد جمعت فيها من الأموال ما أنكر عليك الخراج عشر سنين كفاك لأرزاق الجند والنفقات والذريّة ومصلحة البيوت . فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً وما أظنك تفعل . وأوصيك بأهل بيتك وأن تظهر كرامتهم وتحسن إليهم وتقدّمهم وتوطىء الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فإنّ عزّك عزّهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل . وأوصيك بأهل خراسان خيراً فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودماءهم في دولتك وأن لا تخرج محبتك من قلوبهم ، وأن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم ، وتخلف من مات منهم في أهله وَوُلْدِهِ وما أظنك تفعل . وإياك أن تبني مدينة الشرقيّة فإنك لا تتمّ بناءها وأظنك ستفعل . وإياك أن تستعين برجل من بني سليم وأظنك ستفعل . وإياك أن تدخل النساء في أمرك وأظنك ستفعل . وقيل قال له : إني ولدت في ذي الحجة ووليت في ذي الحجة وقد يحس في نفسي أن أموت في ذي الحجة في هذه السنة ، وإنما حدّ لي الحج على ذلك . فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدي يجعل لك فيما كربك وحزنك فرجاً ومخرجاً ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب . يا بني إحفظ محمداً صلى الله عليه وسلم في أمّته يحفظك الله ويحفظ عليك أمورك ، وإياك والدم الحرام فإنه حوب عندالله عظيم وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم الحدود فإنّ فيها صلاحك في الآجل وصلاحك في العاجل ، ولا تعتد فيها فتبور ، فإنّ الله تعالى لو علم أنّ شيئاً أصلح منها لدينه وأزجر عن معاصيه لأمر به في كتابه . واعلم أنّ من شدّة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فساداً مع ما ادّخر له من العذاب الأليم فقال : إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرضِ فساداً الآية . فالسلطان يا بني حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه المقيم فاحفظه وحصنه وذبّ عنه ، وأوقع بالملحدين اقمع المارقين منه ، وقابل الخارجين عنه بالعقاب ، ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن . واحكم بالعدل

ولا تشطط فإنّ ذلك أقطع للشعث وأحسم للعدوّ وأنجع في الدواء ، واعف عن الفيء فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك وافتتح بصلة الرحم وبرّ القرابة وإياك والأثرَة والتبديد لأموال الرعيّة واشحن الثغور واضبط الأطراف وأمّن السبيل وسكن العامة ، وأدخل المرافق عليهم وارفع المكاره عنهم وأعدّ الأموال واخزنها ، وإياك والتبديد فإنّ النوائب غير مأمونة وهي من شيم الزمان . وأعدّ الأكراع والرجال والجند ما استطعت . وإياك وتأخير عمل اليوم لغد فتتداول الأمور وتضيع ، وخذ في أحكام الأمور والنازلات في أوقاتها أوّلاً أوّلاً ، واجتهد وشمّر فيها وأعدّ رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ، ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل . وباشر الأمور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل ، واستعمل حسن الظنّ وأسيء الظنّ بعملك وكتابك ، وخذ نفسك بالتيقظ وتفقّد من يبيت على بابك وسهّل إذنك للناس وانظر في أمر النزاع إليك وكِلْ بهم عيناً غير نائمة ونفساً غير ساهية . ولا تنم فإنّ أباك لم ينم منذ ولي الخلافة ولا دخل عينه الغمض إلا وقلبه مستيقظ . هذه وصيتي إليك والله خليفتي عليك . ثم ودّعه وسار إلى الكوفة فأحرم منها قارناً ، وساق الهَدْي وأشعره وقلّده لأيام خلت من ذي القعدة . ولما سار منازل عرض له وجعه الذي مات به . ثم اشتدّ فجعل يقول للربيع وكان عديله بادربي إلى حرم ربّي هارباً من ذنوبي فلما وصل بئر ميمون مات سحر السادس من ذي الحجة لم يحضر إلا خدمه والربيع مولاه . فكتموا الأمر ثم غدا أهل بيته على عادتهم ، فدعا عيسى بن عليّ العم ثم عيسى بن موسى بن محمد ولي العهد ، ثم الأكابر وذوي الأنساب ، ثم عامّتهم ، فبايعهم الربيع للمهدي ثم بايع القوّاد وعامّة الناس . وسار العبّاس بن محمد ومحمد بن سليمان إلى مكة فبايعا الناس للمهدي بين الركن والمقام وجهّزوه إلى قبره وصلى عليه عيسى بن موسى وقيل إبراهيم ابن يحيى ، ودفن في مقبرة المعلاة وذلك لإثنتين وعشرين سنة من خلافته . وذكر علي بن محمد النَوْفَلِيّ عن أبيه وهو من أهل البصرة وكان يختلف إلى المنصور تلك الأيام قال : جئت من مكة صبيحة موته إلى العسكر ، فإذا موسى بن المهدي عند عمود السُرادِق والقاسم بن المنصور في ناحية فعلمت أنه قد مات . ثم أقبل الحسن بن زيد العلوي والناس حتى ملؤا السرادق وسمعنا همس البكاء . ثم خرج أبو العنبر الخادم مشقوق الأقبية وعلى رأسه التراب وهو يستغيث ، وقام القاسم فشق ثيابه . ثم خرج الربيع وفي يده قرطاس فقرأه على الناس وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله

المنصور أمير المؤمنين إلى من خلف من بني هاشم وشيعة من أهل خراسان وعامة المسلمين . ثم بكى وبكى الناس ثم قال : البكاء أمامكم فانصتوا رحمكم الله : ثم قرأ : أمّا بعد فإني كتبت كتابي هذا وأناحيّ في آخر يوم من أيام الدنيا أقرأ عليكم السلام ، وأسأل الله أن لا يفتنكم بعدي ولا يُلْبِسَكم شِيَعاً ولا يُذِيقُ بعضكم بأس بعض . ثم أخذ في وصيتهم للمهدي وحثّهم على الوفاء بعهده . ثم تناول الحسن بن زيد وقال : قم فبايع ، فبايع موسى بن المهدي لأبيه ثم بايع الناس الأوّل فالأوّل . ثم دخل بنو هاشم وهو في أكفانه مكشوف الرأس لمكان الإحرام ، فحملوه على ثلاثة أميال من مكّة فدفنوه . وكان عيسى بن موسى لما بايع الناس أبى من الشيعة فقال له علي بن عيسى بن ماهان : والله لتبايعنّ وإلاّ ضربنا عنقك . ثم بعث موسى بن المهدي والربيع بالخبر والبردة والقضيب وخاتم الخلافة إلى المهدي وخرجوا من مكة . ولما وصل الخبر إلى المهدي منتصف ذي الحجة إجتمع إليه أهل بغداد وبايعوه ، وكان أوّل ما فعله المهدي حين بويع أنه أطلق من كان في حبس المنصور إلاّ من كان في دمٍ أو مالٍ أو ممن يسعى بالفساد ، وكان فيمن أطلق يعقوب بن داود وكان محبوساً مع الحسن بن ابراهيم بن عبدالله بن حسن بن الحسن . فلما أطلق ساء ظن إبراهيم وبعث إلى من يثق به بحفر سرب يفضي إلى محبسه وبلغ ذلك يعقوب بن داود فجاء إلى ابن عُلاَثَـةَ القاضي وأوصله إلى أبي عبيدالله الوزير ليوصله إلى المهدي فأوصله واستخلاه فلم يحدِّثه حتى قام الوزير والقاضي وأخبره بتحقيق الحال ، فأمره بتحويل الحسن ، ثم هرب بعد ذلك ولم يظفر به . وشاور يعقوب بن داود في أمره فقال أعطه الأمان وأنا أُحضِره وأحْضَرَه . ثم طلب من المهدي أن يجعل له السبيل في رفع أمور الناس وراء بابه إليه فأذن له وكان يدخل كلما أراد ويرفع إليه النصائح في أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وترويح العذاب وفكاك الاسرى والمحبوسين ، والقضاء عن الغارمين والصدقة على المتعفّفين فحظي بذلك وتقدّمت منزلته وسقطت منزلة أبي عبدالله ، ووصله المهدي بمائة ألف وكتب له التوقيع بالاخاء في الله .

* (ظهور المقنّع ومهلكه) *

كان هذا المقنّع من أهل مَرْو ويسمى حكيماً وهاشميًّا ، وكان يقول بالتناسخ وأنّ الله خلق آدم فتحوّل في صورته ثم في صورة نوح ثم إلى أبي مسلم ثم إلى هاشم وهو

المقنع . فظهر بخراسان وادّعى الإلّهيّة واتخذ وجهاً من ذهب فجعله على وجهه فسمي المقنّع ، وأنكر قتل يحيى بن زيد وزعم أنه يأخذ بثأره ، وتبعه خلق عظيم من الناس وكانوا يسجدون له . وتحصّن بقلعة بسّام[1] من رساتيق كشّ وكان قد ظهر بُخارى والصُغْد جماعة من المبيّضة فاجتمعوا معه على الخلاف ، وأعانهم كفّار الأتراك وأغاروا على المسلمين من ناحيتهم ، وحاربهم أبو النُعمان والجُنَيْد ولَيْث بن نَصْر بن سيّار ، فقتلوا أخاه محمد بن نصر وحسّان ابن أخيه تميم . وأنفذ المهدي إليهم جبريل بن يحيى وأخاه يزيد لقتال المبيّضة فقاتلوهم أربعة أشهر في بعض حصون بُخارى وملكوه عنوة ، فقتل منهم سبعمائة ولحق فلّهم بالمقنّع وجبريل في اتباعهم . ثم بعث المهديّ أبا عَوْن لمحاربة المقنع فلم يبالغ في قتاله فبعث معاذ بن مسلم في جماعة القواد والعساكر وعلى مقدمته سعيد الحُرَيْشِي ، وأتاه عقبة بن مسلم من ذمّ فاجتمعوا بالطواويس وأوقعوا بأصحاب المقنّع فهزموهم ، ولحق فلّهم بالمقنع في بسّام فتحصنوا بها . وجاء معاذ فنازلهم وفسد ما بينه وبين الحَرَيْشِيّ ، فكتب الحريشي إلى المهدي بالسعاية في معاذ ويضمن الكفاية إن أفرد بالحرب ، فأجابه المهديّ إلى ذلك وانفرد بحرب المقنّع وأمدّه معاذ بابنه وجاؤا بآلات الحرب حتى طلب أصحاب المقنّع الأمان سرًّا فأمّنهم ، وخرج إليه ثلاثون ألفاً وبقي معه زهاء ألفين ، وضايقوه بالحصار فأيقن بالهلاك وجمع نساءه وأهله فيقال سقاهم السمّ ، ويقال بل أحرقهم وأحرق نفسه بالنار ودخلوا القلعة وبعث الحُرَيْشِي برأس المقنّع إلى المهدي فوصل إليه بحلب سنة ثلاث وتسعين .

الولاة أيام المهدى

وعزل المهدي سنة تسع وخمسين عمه إسمعيل عن الكوفة وولّى عليها اسحق بن الصفّاح الكِنْدي ثم الأشعي ، وقتل عيسى بن لقمان بن محمد بن صاحب الجَمْحِيّ وعزل سعيد بن دعلج عن أحداث البصرة وعبيدالله بن الحسن عن الصلاة ، وولّى مكانهما عبد الملك بن أيوب بن طيبان الفُهَيْري . ثم جعل الأحداث إلى عمارة بن حمزة فولاها للسود بن عبدالله الباهليّ . وعزل قُثْم بن العبّاس عن اليمامة وولّى مكانه الفضل بن صالح ، وعزل مطراً مولى المنصور عن مصر

(١) قلعة بسنام : ابن الاثير ج ٦ ص ٣٩ .

وولّى مكانه أبا ضمرة محمد بن سليمان . وعزل عبد الصمد بن علي عن المدينة وولّى مكانه محمد بن عبدالله الكُـثَـيْـرِيّ ثم عزله وولّى عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن صَـفْـوَان ، ثم عزله وولّى مكانه زُفَر بن عاصِم الهِلاَلِـي . وتوفي معبد بن الخليل عامل السِّند فولّى مكانه روح بن حاتم بإشارة وزيره أبي عبدالله . وتوفي حميد بن قَـحْـطَـبَـة بخراسان فولّى عليها مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد ، ثم سخطه سنة ستين فعزله ، وولّى معاذ بن مسلم . وولّى على سجستان حمزة بن يحيى وعلى سَمَـرْقَـنْـد جبريل بن يحيى فبنى سورها وحصّنها وكان على اليمن رجاء بن رَوْح وولّى على قضاء الكوفة شريك[1] وولّى على فارس والأهواز ودجلة قاضي البصرة عبيدالله بن الحسن ثم عزله وولّى مكانه محمد بن سليمان ، وولى على السِّند بسْطَام بن عمر وولّى على اليمامة بشر بن المنذر وفي سنة إحدى وتسعين[2] ولّى على السِّند محمد بن الأشعث واستقضى عافية القاضي مع ابن عُـلاَثَـة بالرصافة وعزل الفضل بن صالح عن الجزيرة ، وولّى مكانه عبد الصمد بن علي ، وولّى عيسى بن لقمان على مصر ويزيد بن منصور على سواد الكوفة وحسّان السروري على الموصل وبسطام بن عمر والثعلبي على أذربيجان ، وعزله عن السِّند . وتوفي نصر بن مالك بن صالح صاحب الشرطة فولّى مكانه حمزة بن مالِك وكان الأبان بن صدقة كاتباً للرشيد ، فصرفه وجعله مع الهادي ، وجعل هو مع هرون يحيى ابن خالد وعزل محمد بن سليمان أبا ضمرة عن مصر وولّى مكانه سليمان بن رجاء ، وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور وعلى أحداثها إسحق بن منصور . وفي سنة ست وستين عزل علي بن سليمان عن اليمن وولّى مكانه عبدالله بن سليمان ، وعزل مَسْـلَـمَـة بن رجاء عن مِصْر وولّى مكانه عيسى بن لقمان ثم عزله لأشهر . وولّى مكانه مولاه واضحاً ، ثم عزله وولّى مكانه يحيى الحريشي ، وكان على طبرستان عمر بن العلاء وسعيد بن دعلج وعلى جرجان مهليل بن صفوان ووضع ديوان الأزمة وولى عليها عمر بن يزيع مولاه.

* (العهد للهادي وخلع عيسى) *

كان جماعة من بني هاشم وشيعة المهدي خاضوا في خلع عيسى بن موسى من ولاية

---

(١) هكذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٦ ص ٤١ :«وعلى احداث الكوفة اسحق بن الصبّاح الكندي ، وعلى خراجها ثابت بن موسى ، وعلى قضائها شريك .

(٢) حسب مقتضى السياق احدى وستين ، راجع ابن الاثير ج ٦ ص ٥٥ .

العهد والبيعة لموسى الهادي بن المهدي ، ونمي ذلك إلى المهدي فسرّ به واستقدم عيسى بن موسى من منزله بالرحبة من أعمال الكوفة فامتنع من القدوم. فاستعمل المهدي على الكوفة رَوْح بن حاتم وأوصاه بالإضرار فلم يجد سبيلاً إلى ذلك . وكان عيسى لا يدخل الكوفة إلا يوم جمعة أو عيد . وبعث إليه المهدي يتهدّده فلم يجب ، ثم بعث عمه العبّاس يستقدمه فلم يحضر ، فبعث قائدين من الشيعة فاستحضراه إليه ، وقدم على عسكر المهدي وأقام أياماً يختلف إليه ولا يكلّم بشيء . وحضر الدار يوماً وقد اجتمع رؤساء الشيعة لخلعه فثاروا به، وأغلق الباب الذي كان خلفه فكسروه ، وأظهر المهدي النكير عليهم فلم يرجعوا إلى أن كاشفه أكابر أهل بيته وأشدّهم محمد بن سليمان واعتذر بالإيمان التي عليه . فأحضر المهدي القضاة والفقهاء وفيهم محمد بن عُلاثَة ومسلم بن خالد الزنجيّ ، فأفتوه بمخارج الإيمان وخلع نفسه وأعطاه المهدي عشرة آلاف درهم [1] وضياعاً بالزّاب وكَسْكَر وبايع لابنه موسى الهادي بالعهد . ثم جلس المهدي من الغد وأحضر أهل بيته وأخذ بيعتهم وخرج إلى الجامع وعيسى معه فخطب وأعلم الناس ببيعة الهادي ودعاهم إليها فبادروا وأشهد عيسى بالخلع .

* (فتح باربد من السند) *

وبعث المهدي سنة تسع وخمسين عبد الملك بن شهلب المَسْمَعِي في جمع كثير من الجند والمقطوعة إلى بلاد الهند فركبوا البحر من فارس ونزلوا بأرض الهند ، وفتحوا بَارْبَد فافتتحوها عنوة ، ولجأ أهلها إلى البدّ فأحرقوه عليهم فاحترق بعض وقتل الباقون ، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون وأقاموا بعض أيام إلى أن يطيب الريح فوقع فيهم موتان فهلك ألف فيهم ابراهيم بن صبيح . ثم ركبوا البحر إلى فارس فلما انتهوا إلى ساحل حرّان عصفت بهم الريح فانكسرت عامّة مراكبهم وغرق الكثير منهم .

* (حج المهدى) *

وفي سنة ستين حج المهدي واستخلف على بغداد إبنه الهادي ، وخاله يزيد بن منصور ، واستصحب إبنه هرون وجماعة من أهل بيته ، وكان معه الوزير يعقوب بن

(١) عشرة آلاف الف درهم : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٥ وهو الاصح

داود ، فجاء في مكة بالحسن بن إبراهيم الذي ضمنه على الأمان فوصله المهدي وأقطعه . ولما وصل إلى مكة اهتمّ بكسوة الكعبة فكساها بأفخر الكسوة بعد أن نزع ما كان عليها . وكانت فيها كسوة هشام بن عبدالملك من الديباج الثخين ، وقسّم مالاً عظيماً هنالك في مصارف الخير فكان منه مما جاء به من العراق ثلاثون ألف درهم ، ووصل إليه من مصر ثلثمائة ألف دينار ومن اليمن مائة ألف دينار ففرّق ذلك كله ، وفرّق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ، ووسّع المسجد ، ونقل خمسمائة من الأنصار إلى العراق جعلهم في حَرَسِه وأقطع لهم وأجرى الأرزاق . ولما رجع أمر ببناء القصور بطريق مكة أوسع من قصور المنصور من القادسية إلى زُبَالَة ، وأمر باتخاذ المصانع في كل منها منهل ، وبتحديد الأميال وحفر الآبار ، وولى على ذلك بقطير بن موسى ، وأمر بالزيادة في مسجد البصرة وتصغير المنابر إلى مقدار منبر النبّي صلى الله عليه وسلم . وأمر في سنة سبع وستين بالزيادة في الحرمين على يد بقطير فدخلت فيه دور كثيرة ، ولم يزل البناء فيهما إلى وفاة المهدي .

* (نكبة الوزير أبي عبدالله) *

كان أبو عبدالله الأشعري قد اتصل بالمهدي أيام أبيه المنصور فلطفت عنده منزلته واستوزره وسار معه إلى خراسان وعظمت به بطانة المهديّ فأكثروا فيه السعاية ، وكان الربيع يدرأ عنه ويعرض كتبه على المنصور ويحسن القول فيه . فكتب المنصور إلى المهدي بالوصاة به وأن لا يقبل فيه السعاية ، ولما مات المنصور قام الربيع ببيعة المهدي ، وقدموا إلى بغداد جاء الربيع إلى باب أبي عبدالله قبل المهدي وقبل أهله فعذلـه إبنه الفضل على ذلك ، فقال : هو صاحب الرجل وينبغي أن نعامله بغير ما كنا نعامله ، وإياك أن تذكر ما كنا نصنع في حقه أو تمنن بذلك في نفسك . فلما وقف ببابه أمهله طويلاً من المغرب إلى العشاء ثم أذن له فدخل عليه وهو متكىء فلم يجلس ولا أقبل عليه . وشرع الربيع يذكر أمر البيعة فكفه وقال : قد بلغنا أمركم . فلما خرج استطال عليه ابنه الفضل بالعذل فيما فعل بأن لم يكن الصواب . فقال له : ليس الصواب إلاّ ما عملته ، ولكن والله لأنفقنّ مالي وجاهي في مكروهه ، وجدّ في السعاية فيه فلم يجد طريقاً إليها لاحتياطه في أمر دينه وأعماله . فأتاه من قبل إبنه محمد ودسّ إلى المهدي بعرضه لحرمه وأنه زنديق ، حتى لا استحكمت التهمة فيه أحضره

المهدي في غيبة من أبيه ، ثم قال له : إقرأ فلم يحسن فقال لأبيه : ألم تقل أنّ إبنك يقرأ القرآن ؟ فقال : فارقني منذ سنين وقد نسي ، فأمر به المهدي فقتل . واستوحش من أبي عبدالله وساءت منزلته إلى أن كان من أمره ما نذكره وعزله عن ديوان الرسائل وردّه إلى الربيع ، وارتفعت منزلة يعقوب بن داود عند المهدي وعظم شأنه وأنفذ عهده إلى جميع الآفاق بوضع الأمناء ليعقوب ، وكان لا ينفذ كتاب المهدي حتى يكتب يعقوب إلى يمينه بانفاذ ذلك .

* (ظهور دعوة العباسية بالاندلس وانقطاعها) *

وفي سنة إحدى وستين أجاز عبد الرحمن بن حبيب الفِهْرِيّ من أفريقية إلى الأندلس داعية لبني العباس ، ونزل بساحل مرسية ، وكاتب سليمان بن يَـقْـطِن[1] عامل سرقسطة في طاعة المهدي فلم يجبه . وقصد بلاده فيمن معه من البربر فهزمه سليمان وعاد إلى تدبير[2] . وسار إليه عبد الرحمن صاحب الأندلس وأحرق السفن في البحر تضييقا على ابن حبيب في النجاة فاعتصم بجبل منيع بنواحي بَلَـنْسِيَة فبذل عبد الرحمن فيه المال فاغتاله بعض البربر وحمل رأسه إليه فأعطاه ألف دينار وذلك سنة إثنتين وستين . وهمّ عبد الرحمن صاحب الأندلس أمر ذلك لغزو الشام من الأندلس على العُـدْوَة الشمالية لأخذ ثأره فعصى عليه سليمان بن يَـقْـطِن والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الأنصاري في سرقسطة فشغلوه عما اعتزم عليه من ذلك .

* (غزو المهدى) *

تجهّز المهدي سنة ثلاث وستين لغزو الروم وجمع الأجناد من خراسان ومن الآفاق وتوفي عمه عيسى بن علي آخر جمادى الأخيرة بعسكره ، وسار من الغد واستخلف على بغداد إبنه موسى الهادي واستصحب هرون ، ومرّ في طريقه بالجزيرة والموصل ، فعزل عبد الصمد بن علي وحبسه ثم أطلقه سنة ست وستين . ولما جاز ببني مسلمة بن عبد الملك ذكّره عمه العباس بما فعله مسلمة مع جدّهم محمد بن عليّ ، وكان أعطاه مرّة في اجتيازه عليه ألف دينار فأحضر المهدي وُلْد مَسْلَمَة ومواليه وأعطاهم عشرين ألف دينار وأجرى عليهم الأرزاق ، وعبر الفرات إلى حلب ، فأقام بها وبعث إبنه

(١) سليمان بن يقظان : ابن الاثير ج ٦ ص ٥٤ .
(٢) تُـدْمير : ابن الاثير ج ٦ ص ٥٤ .

هرون للغزو وأجاز معه الدروب إلى جيحان مشيّعاً ، وبعث معه عيسى بن موسى وعبد الملك بن صالح والحسن بن قَحْطَبة والربيع بن يونس ويحيى بن خالد بن بَرْمَك وكان إليه أمر العسكر والنفقات ، وحاصروا حصن سَمالوا أربعين يوماً ثم فتحوه بالأمان وفتحوا بعده فتوحات كثيرة ، وعادوا إلى المهدي وقد أثخن في الزنادقة وقتل من كان في تلك الناحية منهم . ثم قفل إلى بغداد ومرّ ببيت المقدس وصلّى في مسجده ورجع إلى بغداد .

* (العهد لهرون) *

وفي سنة ست وستين أخذ المهدى البيعة لابنه هرون بعد أخيه الهادي ولقبه الرشيد .

* (نكبة الوزير يعقوب بن داود) *

كان أبو داود بن طهمان كاتباً لنصر بن سيّار هو وإخوته وكان شيعيًّا وعلى رأي الزيديّة ولما خرج يحيى بن زيد بخراسان كان يكاتبه بأخبار نَصْر فأقصاه نصر ، فلما طلب أبو مسلم بدم يحيى جاءه داود فأمّنه في نفسه وأخذ ما اكتسبه من المال أيام نَصْر ، وأقام بعد ذلك عاطلاً . ونشأ له ولد أهل أدب وعلم وصحبوا أولاد الحسن . وكان داود يصحب إبراهيم بن عبدالله فورثوا ذلك عنه ، ولما قتل إبراهيم طلبهم المنصور وحبس يعقوب وعليًّا مع الحسن بن إبراهيم حتى توفي ، وأطلقها المهدي بعده مع من أطلق . وداخله المهدي في أمر الحسن لما فرّ من الحبس فكان ذلك سببا لوصلته بالمهدي حتى استوزره ، فجمع الزيديّة وولاّهم شرقاً وغرباً وكثرت السعاية فيه من البطانة بذلك وبغيره وكان المهدي يقبل سعايتهم حتى يروا أنها قد تمكنت ، فاذا غدا عليه تبسّم وسأله . وكان المهدي مشتهراً بالنساء فيخوض معه في ذلك وفيما يناسبه ويتغلّب برضاه وسامره في بعض الليالي وجاء ليركب دابّته وقد نام الغلام ، فلما ركب نفرت الدابة من قعقعة ردائه فسقط ورَمَحته فانكسر فانقطع عن المهدي وتمكن أعداؤه من السعاية حتى سخطه وأمر به فحبس وحبس عمّاله وأصحابه . ويقال بل دفع إليه علويًّا ليقتله فأطلقه ، ونمي ذلك إلى المهدي فأرسل من أحضره ، وقال ليعقوب أين العلويّ ؟ فقال : قتلته فأخرجه إليه حتى رآه . ثم حبس في المطبق ودلّي في بئر فيه . وبقي أيام المهدي والهادي ثم أخرج وقد عمي وسأل من الرشيد المقام بمكة فأذن له . وقيل في سبب تغيّره أنه كان ينهى المهدي عن شرب أصحابه النبيذ عنده ، ويكثر

عليه في ذلك ويقول : أبعد الصلوات الخمس في المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ لا والله لا على هذا استوزرتني ولا عليه صَحِبْتُك !

* (مسير الهادي الى جرجان) *

وفي سنة سبع وستين عصى وتداهر من شرو بن ملكا طبرستان[1] من الديلم فبعث المهدي ولي عهده موسى الهادي وجعل على جنده محمد بن حميد[2] وعلى حجابته نُفَيْعاً مولى المنصور وعلى حرسه عيسى بن ماهان وعلى رسائله أبان بن صَدَقَة وتوفي أبان بن صدقة فبعث المهدي مكانه أبا خالد الأجرد[3] . فسار المهدي وبعث الجنود في مقدمته وأمّر عليهم يزيد فحاصرهما حتى استقاما وعزل المهدي يحيى الحُرَيْشي عن طبرستان وما كان إليه وولّى مكانه عمر بن العلاء وولّى على جرجان فراشة مولاه ثم بعث سنة ثمان وستين يحيى الحريشي في أربعين ألفاً إلى طبرستان .

* (العمال بالنواحي) *

وفي سنة ثلاث وستين ولّى المهدى إبنه هرون على المغرب كله وأذربيجان وأرمينية وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى وعلى الرسائل يحيى بن خالد بن بَرْمَك وعزل زُفَر بن عاصِم عن الجزيرة وولّى مكانه عبدالله بن صالِح ، وعزل مَعاذ بن مسلم عن خراسان وولّى مكانه المسيّب بن زهير الضَبيّ ، وعزل يحيى الحريشي عن أصبهان وولّى مكانه الحَكَم بن سعيد ، وعزل سعيد بن دُعلج عن طبرستان وولّى مكانه عمر بن العلاء ، ومُهَلْهِل بن صَفْوَان عن جرجان وولاّها هشام بن سعيد . وكان على الحجاز واليمامة جعفر بن سليمان ، وعلى الكوفة اسحق بن الصبّاح ، وعلى البحرين والبصرة وفارس والأهواز محمد بن سليمان ، فعزله سنة أربع وستين وولّى مكانه صالح بن داود . وكان على السِّند محمد بن الأشعث . وفي سنة خمس وستين عزل خلف بن عبدالله عن الريّ وولاها عيسى مولى جعفر ، وولّى على البصرة رَوْح بن حاتم وعلى البحرين وعُمَان والأهواز وفارس وكَرْمان النُعمان مولى المهدي . وعزل محمد بن الفضل عن الموصل وولّى مكانه أحمد بن اسمعيل . وفي سنة ست وستين

---

(١) وَنْداد هُرمُز وشروين صاحَبيْ طبرستان : ابن الاثير ج ٦ ص ٧٥ .
(٢) محمد بن حميل : المرجع السابق .
(٣) ابا خالد الاحول : ابن الاثير ج ٦ ص ٧٦ .

عزل عبيدالله بن الحسن العنبري عن قضاء البصرة واستقضى مكانه خالد بن طليق ابن عِمران بن حصين فاستعفى أهل البصرة منه . وولّى المهدي على قضائه أبا يوسف حين سار إلى جرجان . واضطربت في هذه السنة خراسان على المسيّب بن زهير فولاّها أبا العباس الفضل بن سليمان الطوسيّ ، وأضاف إليه سجستان ، فولّى هو على سجستان سعيد بن دعلج . وولّى على المدينة إبراهيم ابن عمه وعزل منصور بن يزيد عن اليمن وولّى مكانه عبدالله بن سليمان الرَبَعِيّ . وكان على مصر إبراهيم بن صالح وتوفي في هذه السنة عيسى بن موسى بالكوفة وهي سنة سبع وستين . وعزل المهدي يحيى الحريشي عن طبرستان والرويان وما كان إليه وولاّه عمر بن العلاء وولّى على جرجان فراشة مولاه . وحج بالناس إبراهيم ابن عمه يحيى وهو على المدينة ومات بعد قضاء الحج ، فولّى مكانه إسحق بن موسى بن علي وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثيّ وعلى اليمامة عبدالله بن مصعب الزبيرى وعلى البصرة محمد بن سليمان وعلى قضائها عمر بن عثمان التيمي وعلى الموصل أحمد بن إسمعيل الهاشمي . وقتل موسى بن كعب ووقع الفساد في بادية البصرة من الأعراب بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطرق وانتهكوا المحارم وتركوا الصلاة .

* (الصوائف) *

وفي سنة تسع وخمسين أغزى المهدي عمه العبّاس بالصائفة وعلى مقدمته الحسن الوصيف فبلغوا أهْرَة[1] وفتحوا مدينة أوهرة ورجعوا سالمين ولم يصب من المسلمين أحد . وفي سنة إحدى وستين غزا بالصائفة يمامةُ بن الوليد[2] فنزل دَابِق وجاشت الروم مع ميخاييل في ثمانين ألفاً ونزل عُمق مَرْعَشْ فقُتل وسبى وغنم ، وحاصر مَرْعَش وقتل من المسلمين عدداً ، وانصرف إلى جَيْحان فكان عيسى بن عليّ مرابطاً بحصن مَرْعَش فعظم ذلك على المهديّ وتجهّز لغزو الروم . وخرجت الروم سنة إثنتين وستين إلى الحرث[3] فهدموا أسوارها وغزا بالصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفاً من المرتزقة فبلغ جهة أدرركبه[4] وأكثر التحريق والتخريق ولم يفتح حصناً ولا لقي

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٤١ : أنْقرة
(٢) ثمامة بن الوليد : ابن الاثير ، ج ٦ ص ٥٥
(٣) الحدث : ابن الاثير ج ٦ ص ٥٨
(٤) حمّة ازرولية : المرجع السابق .

جمعاً ورجع بالناس سالماً . وغزا يزيد بن أسيد السلميّ من ناحية قاليقلا فغنم وسبى وفتح ثلاثة حصون . ثم غزا المهدي بنفسه سنة ثلاث وستين كما مرّ ثم غزا سنة أربع وستين عبد الكبير بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب من درب الحرث فخرج إليه ميخاييل وطارد الأرمني[1] البطريقان في تسعين الفاً فحام عن لقائهم ورجع بالناس ، فغضب عليه المهدي وهمّ بقتله فشفع فيه وحبسه. وفي سنة خمس وستين بعث المهدي ابنه هرون بالصائفة وبعث معه الربيع فتوغّل في بلاد الروم ولقيه عسكر نقيطا من القواميس فبارزه يزيد بن مزيد فهزمهم ، وغلب على عسكرهم ولحقوا بالدمشق[2] صاحب المسالح ، فحمل لهم مائتي ألف دينار وإثنتين وعشرين ألف درهم ، وسار الرشيد بعساكره وكانت نحواً من مائة ألف فبلغ خليج قسطنطينية وعلى الروم يومئذ غسطة[3] امرأة إليوك كافلة لابنها منه صغيراً ، فجرى الصلح على الفدية وأن تقيم له الأدلاّء والأسواق في الطريق لأنّ مدخله كان ضيّقاً مخوفاً فأجابت لذلك ، وكان مقدار الفدية سبعين ألف دينار كل سنة ومدّة الصلح ثلاث سنين وكان ما سباه المسلمون قبل الصلح خمسة آلاف رأس وستمائة رأس وقتل من الروم في وقائع هذه الغزوات أربعة وخمسون ألفاً ومن الأسرى ألفان . ثم نقض الروم هذا الصلح سنة ثمان وستين ولم يستكملوا مدّته بقي منها أربعة أشهر وكان على الجزيرة وقنّسْرين علي ابن سليمان فبعث يزيد بن البدر بن البطّال في عسكر فغنموا وسبوا وظفروا ورجعوا .

* (وفاة المهدى وبيعة الهادي) *

وفي سنة تسع وستين اعتزم المهدي على خلع إبنه موسى الهادي من العهد والبيعة للرشيد به ، وتقديمه على الهادي وكان بجرجان فبعث إليه بذلك فاستقدمه فضرب الرسول وامتنع ، فسار إليه المهدي فلما بلغ ما سَبْدان توفي هنالك . يقال مسموماً من بعض جواريه ، ويقال سمّت إحداهما الأخرى في كثرى فغلط وأكلها ويقال حاز صيداً فدخل وراءه إلى خربة فدق البابُ ظهره وكان موته في المحرّم وصلى عليه ابنه الرشيد وبويع ابنه موسى الهادي لما بلغه موت أبيه وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان . وكان الرشيد لما توفي المهدي والعسكر بما سبدان نادى في الناس باعطاء

(١) طاراذ الارمني : ابن الاثير ج ٦ ص ٦٣
(٢) الدمستق : ابن الاثير ج ٦ ص ٦٦
(٣) عطسه امرأة أليون : ابن الاثير ج ٦ ص ٦٦

تسكيناً وقسم فيهم مائتين مائتين ، فلما استوفوها تنادوا بالرجوع إلى بغداد وتشايعوا إليها واستيقنوا موت المهدي ، فأتوا باب الربيع وأحرقوه وطالبوا بالأرزاق ونقبوا السجون . وقدم الرشيد بغداد في أثرهم فبعثت الخيزران إلى الربيع فامتنع يحيى خوفاً من غيرة الهادي وأمرت الربيع بتسكين الجند فسكنوا وكتب الهادي إلى الربيع يتهدّده فاستشار يحيى في أمره وكان يثق بودّه فأشار عليه بأن يبعث ابنه الفضل يعتذر عنه وتصحبه الهدايا والتحف ففعل ورضي الهادي عنه وأخذت البيعة ببغداد للهادي . وكتب الرشيد بذلك إلى الآفاق وبعث نصيراً الوصيف إلى الهادي بجرجان فركب اليزيد إلى بغداد فقدمها في عشرين يوماً . فاستوزر الربيع وهلك لمدّة قليلة من وزارته . واشتدّ الهادي في طلب الزنادقة وقتلهم ، وكان منهم عليّ بن يعطى ويعقوب بن الفضل من ولد ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، كان قد أقرّ بالزندقة عند المهدي إلا أنه كان مقسماً أن لا يقتل هاشميًّا فحبسه وأوصى الهادي بقتله وبقتل وُلْد عمهم داود بن علي فقتلهما * (وأمّا عماله) فكان على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عُبَيْدِالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب وعلى مكّة والطائف عبدالله بن قثم وعلى اليمن ابراهيم بن مسلم بن قتيبة وعلى اليمامة والبحرين سويد القائد الخراساني وعلى عُمَان الحسن بن سليم الحواري وعلى الكوفة موسى بن عيسى بن موسى ، وعلى البصرة ابن سليمان وعلى جرجان الحجّاج مولى الهادى ، وعلى قومس زياد بن حسّان وعلى طبرستان والروّيان صالح بن عمير مولى[1] وعلى الموصل هاشم بن سعيد بن خالد ، وعزله الهادي لسوء سيرته وولّى مكانه عبد الملك وصالح بن علي * (وأمّا الصائفة) فغزا بها في هذه السنة وهي سنة تسع وتسين معيوب[2] بن يحيى وقد كان الروم خرجوا مع بطريق لهم إلى الحرث فهرب الوالي ودخلها الروم وعاثوا فيها فدخل معيوب وراءهم من درب الراهب وبلغ مدينة استة وغنم وسبى وعاد .

* (ظهور الحسين المقتول بفتح[3]) *

وهو الحسين بن علي بن حسن المثلّث بن حسن المثنّى بن الحسن السبط ، كان الهادي

(١) بياض بالاصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٣٢ : صالح بن عميرة الاسدي وعلى أصبهان طيفور مولى الهادي .

(٢) معيوف بن يحيى: ابن الاثير ج ٦ ص ٩٤ ، الطبري ج ١٠ ص ٣٢

(٣) المقتول بفخ : ابن الاثير ج ٦ ص ٩٠ ، الطبري ج ١٠ ص ٢٤

قد استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز كما مرّ فأخذ يوماً الحسن بن المهدي بن محمد بن عبدالله بن الحسين الملقّب أبا الزفت ، ومسلم بن جُنْدُب الهُذَليّ الشاعر ، وعمر بن سلام مولى العمريين على شراب لهم ، فضربهم وطيف بهم بالمدينة بالحبال في أعناقهم ، وجاء الحسين إليه فشفع فيهم وقال : ليس عليهم حدّ فإنّ أهل العراق لا يرون به بأساً وليس من الحدّ أن نطيفهم فحبسهم . ثم جاء ثانية ومعه من عمومته يحيى بن عبدالله بن الحسن صاحب الدَيْلَم بعد ذلكِ فكفلاه وأطلقه من الحبس . وما زال آل أبي طالب يكفل بعضهم بعضاً ويعرضون فغاب الحسن عن العرض يومين ، فطلب به الحسين بن علي ويحيى بن عبدالله كافليه وأغلظ لهما ، فحلف يحيى أنه يأتي به من ليلته أو يدق عليه الباب يؤذنه به . وكان بين الطالبيين ميعاد للخروج في الموسم فأعجلهم ذلك عنه وخرجوا من ليلتهم . وضرب يحيى على العمري في باب داره بالسيف واقتحموا المسجد فصلوا الصبح وبايع الناس الحسين المرتضى من آل محمد على كتاب الله وسُنّة رسوله . وجاء خالد اليزيدي في مائتين من الجند والعمري وابن إسحق الأزرق ومحمد بن واقد في ناس كثيرين فقاتلوهم وهزموهم من المسجد ، واجتمع يحيى وإدريس بن عبدالله بن حسن فقتلاه وانهزم الباقون وافترق الناس . وأغلق أهل المدينة أبوابهم وانتهب القوم من بيت المال بضعة عشر ألف دينار وقيل سبعين ألفاً ، واجتمعت شيعة بني العبّاس من الغد وقاتلوهم إلى الظهر وفشت الجراحات وافترقوا . ثم قدم مبارك التركيّ من الغد حاجاً فقاتل مع العبّاسية إلى منتصف النهار وافترقوا ، وواعدهم مبارك الرواح إلى القتال واستغفلهم وركب رواحله راجعاً واقتتل الناس المغرب ثم افترقوا . ويقال إنّ مباركاً دسّ إلى الحسين بذلك تجافياً عن أذية أهل البيت ، وطلب أن يأخذ له عذراً في ذلك بالبيات فبيته الحسين واستطرد له راجعاً . وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة واحداً وعشرين يوماً آخر ذي القعدة ، ولما بلغها نادى في الناس بعتق من أتى إليه من العبيد فاجتمع إليه جماعة . وكان قد حجّ تلك السنة رجال من بني العبّاس منهم سليمان بن المنصور ومحمد بن سليمان بن علي والعبّاس بن محمد بن علي وموسى وإسمعيل أبناء عيسى بن موسى . ولما بلغ خبر الحسين إلى الهادي كتب إلى محمد بن سليمان وولاّه على حربه وكان معه رجال وسلاح وقد أغذ بهم عن البصرة خوف الطريق . فاجتمعوا بذي طوى . وقدموا مكة فحلّوا من العمرة التي كانوا أحرموا بها . وانضمّ إليهم من حجّ من شيعتهم

ومواليهم وقوادهم ، واقتتلوا يوم التروية ، فانهزم الحسين وأصحابه وقتل كثير منهم ، وانصرف محمد بن سليمان وأصحابه إلى مكة ولحقهم بذي طُوى رجل من خراسان برأس الحسين ينادي من خلفهم بالبشارة ، حتى ألقى الرأس بين أيديهم مضروباً على قفاه وجبهته ، وجمعت رؤوس القتلى فكانت مائة ونيفاً ،فيها رأس سليمان أخي المهدي ابن عبدالله ، واختلط المنهزمون بالحاج . وجاء الحسن بن المهدي أبو الزفت فوقف خلف محمد بن سليمان والعبّاس بن محمد فأخذه موسى بن عيسى وقتله وغضب محمد بن سليمان من ذلك وغضب الهادي لغضبه وقبض أمواله وغضب على مبارك التركي وجعله سائس الدواب فبقي كذلك حتى مات الهادي . وأفلت من المنهزمين إدريس بن عبدالله أخو المهدي فأتى مصْرَ وعلي بريدها ، وأصبح مولى صالح بن المنصور وكان يتشيع لآل عليّ فحمله على البريد إلى المغرب ووقع بمدينة وليلة من أعمال طنجة واجتمع البريد على دعوته وقتل الهادي وأصحابه بذلك وصلبه[١] وكان لإدريس وابنه إدريس وأعقابهم حروب نذكرها بعده .

* (حديث الهادى في خلع الرشيد) *

كان الهادي يبغض الرشيد بما كان المهدي أبوهما يؤثره ، وكان رأى في منامه أنه دفع إليهما قضيبين فأورق قضيب الهادي من أعلاه وأورق قضيب الرشيد كله ، وتأوّل ذلك بقصر مدّة الهادي وطول مدّة الرشيد وحسنها . فلما ولي الهادي أجمع خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر مكانه ، وفاوض في ذلك قوّاده فأجابه يزيد بن مزيد وعلي بن عيسى وعبدالله بن مالك ، وحرّضوا الشيعة على الرشيد لينقصوه ويقولوا لا نرضى به ، ونهى الهادي أن يشاور بين يديه بالحرب فاجتنبه الناس ، وكان يحيى بن خالد يتولىّ أموره فاتهمه الهادي بمداخلته وبعث إليه وتهدّده فحضر عنده مستميتاً وقال : يا أمير المؤمنين أنت أمرتني بخدمته من بعد المهدي ! فسكن غضبه وقال له في أمر الخلع فقال : يا أمير المؤمنين أنت إن حملت الناس على نكث الإيمان فيه هانت عليهم فيمن توليه ، وإن بايعت بعده كان ذلك أوثق للبيعة ، فصدّقه وسكت عنه ،

---

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٩٣ : « وافلت من المنهزمين ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ ، فأتى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور ، وكان شيعياً لعليّ ، فحمله على البريد الى ارض المغرب ، فوقع بارض طنجة ، بمدينة وليلة ، فاستجاب له منْ بها من البربر . فضرب الهادي عنق واضح وصلبه » .

وعاد أولئك الذين جفلوه من القوّاد والشيعة فأغروه بيحيى وأنه الذي منع الرشيد من خلع نفسه ، فحبسه الهادي فطلب الحضور للنصيحة ، وقال له. يا أمير المؤمنين أتظن الناس يسلمون الخلافة لجعفر وهو صبي ويرضون به لصلاتهم وحجّهم وغزوهم ، وتأمن أن يسمو إليها عند ذلك أكابر أهل بيتك فتخرج من وُلْد أبيك ، والله لو لم يعقده المهدي لكان ينبغي أن تعقده أنت له حذراً من ذلك ، وإني أرى أن تعقده لأخيك ، فإذا بلغ ابنك أتيتك بأخيك فخلع نفسه وبايع له فقبل الهادي قوله وأطلقه . ولم يقنع القوّاد ذلك لأنهم كانوا حذرين من الرشيد في ذلك وضيّق عليه واستأذنه في الصيد فمضى إلى قصر مقاتل ونكره الهادي وأظهر خفاءه[1] وبسط الموالي والقوّاد فيه ألسنتهم .

* (وفاة الهادي وبيعة الرشيد) *

ثم خرج الهادي إلى حديقة الموصل فمرض واشتدّ مرضه هنالك واستقدم العمّال شرقاً وغرباً . ولما ثقل تآمر القوّاد الذين بايعوا جعفراً في قتل يحيى بن خالد ، ثم أمسكوا خوفاً من الهادي . ثم توفي الهادي في شهر ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة ، وقيل توفي بعد أن عاد من حديقة الموصل . ويقال إنّ أمّه الخَيْـزَرَان وصت بعض الجوارى عليه فقتلته لأنها كانت أوّل خلافته تستبد عليه بالأمور فعكف الناس واختلفت المواكب ، ووجد الهادي لذلك فكلمته يوماً في حاجة فلم يجبها فقالت : قد ضمنتها لعبدالله بن مالِك . فغضب الهادي وشتمه وحلف لاقضيتها فقامت مغضبة ، فقال : مكانك وإلاّ انتفيت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم . لئن بلغني أنّ أحداً من قوّادي وخاصتي وقف ببابك لأضربنّ عنقه ولأقبضنّ ماله ، ما للمواكب تغدو وتروح عليك ؟ أما لك مِغْزَلٌ يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك ؟ اياك إياك لا تفتحي بابك لمسلم ولاذميّ ! فانصرفت وهي لا تعقل . ثم قال لأصحابه : أيكم يحب أن يتحدّث الرجال بخبر أمّه ، ويقال فعلت أمّ فلان وصنعت ؟ فقالوا لا نحب ذلك . قال : فما بالكم تأتون أمّي فتتحدّثون معها ؟ فيقال : إنه لما جدّ في خلع الرشيد خافت عليه منه ، فلمّا ثقل مرضه وصت بعض الجواري فجلست على وجهه فمات ، وصلى عليه الرشيد . وجاء هَرْثَـمَة بن أعْيُن إلى

(١) لعلها جفاءه حسب مقتضى السياق .

الرشيد فأخرجه وأجلسه للخلافة ، وأحضر يحيى فاستوزره وكتب إلى الأطراف بالبيعة . وقيل : إنّ يحيى هو الذي جاءه وأخرجه فصلى على الهادي ودفنه[1] إلى يحيى وأعطاه خاتمه . وكان يحيى يصدر عن رأي الخَيْزَرَان أمّ الرشيد . وعزل لأوّل خلافته عمر بن عبد العزيز العمري عن المدينة وولّى مكانه إسحق بن سليمان ، وتوفي يزيد بن حاتم عامل أفريقية ، فولّى مكانه رَوْح بن حاتم ، ثم توفي فولّى مكانه إبنه الفضل ، ثم قتل فولّى هَرْثَمَة بن أعْيُن كما يذكر في أخبار أفريقية . وأفرد الثغور كلها عن الجزيرة وقِنّسرين وجعلها عِمَالَة واحدة وسمّاها العواصِم ، وأمره بعمارة طرسوس ونزلها الناس . وحجّ لأوّل خلافته وقسّم في الحرمين مالاً كثيراً . وأغزى بالصائفة سليمان بن عبدالله البكائي ، وكان على مكة والطائف عبدالله بن قثم وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البحرين والبصرة واليمامة وعمان والأهواز وفارس محمد بن سليمان بن علي ، وعلى خراسان أبو الفضل العبّاس بن سليمان الطوسي ثم عزله وولّى مكانه جعفر بن محمد بن الأشعث . فسار إلى خراسان وبعث إبنه العبّاس إلى كابل فافتتحها وافتتح سابهار وغنم ما كان فيها . ثم استقدمه الرشيد فعزله وولّى مكانه ابنه العبّاس ، وكان على الموصل عبد الملك بن صالح فعزله وولّى مكانه إسحق بن محمد بن فَرْوح ، فبعث إليه الرشيد أبا حنيفة حرب بن قيس فأحضره إلى بغداد وقتله ، وولّى مكانه[2] وكان على أرمينية يزيد بن مزيد بن زائدة ابن أخي مَعْن فعزله وولّى مكانه أخاه عبدالله بن المهدي . وولّى سنة إحدى وسبعين على صدقات بني ثعلب[3] روح بن صالح الهَمْداني فوقع بينه وبين ثعلب خلاف وجمع لهم الجموع فبيتوه وقتلوه في جماعة من أصحابه . وتوفي سنة ثلاث وسبعين محمد بن سليمان والي البصرة وكان أخوه جعفر كثير السعاية فيه عند الرشيد وأنه يحدّث نفسه بالخلافة ! وأنّ أمواله كلها فيء من أموال المسلمين

---

(١) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٦ ص ١٠٦ : وقيل لما مات الهادي جاء يحيى بن خالد الى الرشيد وهو نائم في فراسه فقال له : قم يا امير المؤمنين ! فقال : كم تروعني إعجاباً منك بخلافتي ، فكيف يكون حالي مع الهادي إن بلغه هذا ؟ فأعلمه بموته واعطاه خاتمه ، فبينما هو يكلمه اذ أتاه رسول آخر يبشّره بمولود ، فسمّاه عبدالله وهو المأمون ، ولبس ثيابه وخرج ، فصلّى على الهادي بعيساباذ .

(٢) بياض بالاصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٥٠ : «وفيها قتل هارون ابا هريرة محمد بن فروخ وكان على الجزيرة ، فوجه اليه هارون ابا حنيفة حرب بن قيس فقدم به عليه مدينة السلام فضرب عنقه في قصر الخلد» . ابن الاثير ج ٦ ص ١١٣ — ١١٤ .

(٣) بني تغلب : ابن الاثير ج ٦ ص ١١٣

فاستصفاها الرشيد وبعث من قبضها ، وكان لا يعبر عنها من المال والمتاع والدواب ، واحضروا من العين فيها ستين ألف ألف دينار ولم يكن إلا أخوه جعفر فاحتج عليه الرشيد بإقراره أنها فيء . وتوفي سنة أربع وسبعين والي الرشيد إسحق بن سليمان على السِنّد ومكران ، واستقضى يوسف بن أبي يوسف في حياة أبيه ، وفي سنة خمس وسبعين عقد لابنه محمد بن زُبَيْدَة ولاية العهد ولقّبه الأمين وأخذ له البيعة وعمره خمس سنين بسعاية خاله عيسى بن جَعْفَر بن المنصور ووساطة الفضل بن يحيى ، وفيها عزل الرشيد العبّاس بن جعفر عن خراسان وولاّها خاله الغِطْريف بن عطاء الكِنْدِيّ .

* (خبر يحيى بن عبدالله في الديلم) *

وفي سنة خمس وسبعين خرج يحيى بن عبدالله بن حسن أخو المهدي بالديلم واشتدّت شوكته وكثر جمعه وأتاه الناس من الامصار فندب اليه الرشيد الفضل بن يحيى في خمسين ألفا وولاه جرجان وطبرستان والري وما إليها ووصل معه الأموال فسار ونزل بالطالقان وكاتب يحيى وحذره وبسط أمله وكتب إلى صاحب الديلم في تسهيل أمر يحيى على أن يعطيه ألف ألف درهم فأجاب يحيى على الامان بخط الرشيد وشهادة الفقهاء والقضاة واجلة بني هاشم ومشايخهم عن عبد الصمد منهم فكتب له الرشيد بذلك وبعثه مع الهدايا والتحف وقدم يحيى مع الفضل فلقيه الرشيد بكل ما أحب وأفاض عليه العطاء وعظمت منزلة الفضل عنده ثم أنّ الرشيد حبس يحيى إلى أن هلك في حبسه .

* (ولاية جعفر بن يحيى مصر) *

كان موسى بن عيسى قد ولاه الرشيد مِصْر فبلغه أنه عازم على الخلع فردّ أمرها إلى جعفر بن يحيى وأمره بإحضار عمر بن مَهْران وأن يولّيه عليها ، وكان أحول مشوّه الخلق خامل البزّة يردف غلامه خلفه . فلما ذكرت له الولاية قال على شرطِيّة أن يكون أمري بيدي إذا صلحت البلاد انصرفت فأجابه إلى ذلك . وسار إلى مصر وأتى مجلس موسى فجلس في أخريات الناس حتى إذا افترقوا رفع الكتاب إلى موسى فقرأه وقال : متى يقدم أبو حفص ؟ فقال : أنا أبو حفص ! فقال موسى : لعن الله فرعون حيث قال : أليس لي مُلْكُ مِصْر ثم سلّم له العمل . فتقدّم عُمَر إلى كاتبه أن لا

يقبل من الهدية إلا ما يدخل في الكيس ، فبعث الناس بهداياهم وكانوا يمطلون بالخراج . فلما حضر النجم الأوّلِ والثاني وشكوا الضيق في الثالث أحضر الهدايا وحسبها لأربابها واستوفى خراج مصر ورجع إلى بغداد .

الفتنة بدمشق

وفي هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المُضَرية واليمانية ورأس المُضَرِيّة أبو الهَيْدام عامِر بن عمارة من وُلْد خارجة بن سِنَان بن أبي حارثة المُرّيّ ، وكان أصل الفتنة بين القَيْس وبين اليمانية أنّ اليمانية قتلوا منهم رجلاً فاجتمعوا لثأره ، وكان على دمشق عبد الصّمد بن علي فجمع كبار العشائر ليصلحوا بينهم فأمهلتهم اليمانية وبيتوا المضريّة فقتلوا منهم ثلثمائة أو ضعفها ، فاستجاشوا بقبائل قُضَاعَة وسُلَيْم فلم ينجدوهم وأنجدتهم قَيْس ، وساروا معهم إلى البلقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة وطال الحرب بينهم . وعزل عبد الصّمد عن دمشق وولّى مكانه إبراهيم بن صالح بن عليّ . ثم اصطلحوا بعد سنين ووفد إبراهيم على الرشيد وكان هواه مع اليمانية فوقع في قَيْس عند الرشيد واعتذر عنهم عبد الواحد بن بِشْر واستخلف إبراهيم على دمشق ابنه إسحق فحبس جماعة من قيس وضربهم . ثم وثبت غَسّان برجل من وُلْد قَيْس بن العَبْسيّ فقتلوه ، واستنجد أخوه بالدواقيل من حوران فأنجدوه وقتلوا من اليمانية نفراً . ثم وثبت اليمانية بكُلَيْب بن عُمَر بن الجُنَيْد بن عبد الرحمن وعنده ضيف له فقتلوهم ، فجاءت أمّ الغلام سابّة إلى أبي الهَيْدَام ، فقال انظريني حتى ترفع دماؤنا إلى الأمير ، فإن نظر فيها وإلا فأمير المؤمنين ينظر فيها . وبلغ ذلك إسحق وحضر عنده أبو الهَيْدَام فلم يأذن له ثم قتل بعض الدواقيل رجلاً من اليمانية وقتلت اليمانية رجلاً من سُلَيْم ونهبوا جيران محارب ، وركب أبو الهَيْدَام معهم إلى إسحق فوعده بالنظر لهم ، وبعث إلى اليمانية يغريهم به فاجتمعوا وأتوا إلى باب الجابية فخرج إليهم أبو الهَيْدَام وهزمهم واستولى على دمشق وفتح السجون . ثم اجتمعت اليمانيّة واستنجدوا كلباً وغيرهم فاستمدّوهم ، واستجاش أبو الهَيْدَام المُضَرِيّة فجاؤه وهو يقاتل اليمانية عند باب توما فهزمهم أربع مرّات . ثم أمره إسحق بالكفّ وبعث إلى اليمانيّة يخبرهم بغرّته ، وجاء الخبر وركب وقاتلهم فهزمهم ، ثم هزمهم أخرى على باب توما . ثم جمعت اليمانيّة أهل الأردنّ والجولان من كلب وغيرهم فأرسل من يأتيه بالخبر فأبطؤا ودخل المدينة فأرسل إسحق من دلّهم على مكمنه وأمرهم بالعبور إلى

المدينة ، فبعث من أصحابه من يأتيهم من ورائهم فانهزموا . ولما كان مستهل صفر جمع إسحق الجنود عند قصر الحجّاج وجاء أصحاب الهيدام من أراد نهب القرى التي لهم بنواحي دمشق . ثم سألوا الأمان من أبي الهَيْدَام فأمّنهم وسكن الناس . وفرّق أبو الهيدام أصحابه وبقي في نفر يسير من أهل دمشق ، فطمع فيه إسحق وسلّط عليه العُذَافر السَكْسَكِيّ مع الجنود فقاتلهم فانهزم العُذَافِر وبقي الجند يحاربونه ثلاثاً . ثم إنّ إسحق قاتله في الثالثة والجند في إثني عشر ألفاً ومعهم اليمانية ، فخرج أبو الهَيْدَام من المدينة وقاتلهم على باب الجابية حتى أزالهم عنه. ثم أغار جمع من أهل حمص على قرية لأبي الهَيْدَام فقاتلهم أصحابه وهزموهم وقتلوا منهم خلقاً وأحرقوا قرى ودياراً لليمانيّة في الغوطة ، ثم توادعوا سبعين يوماً أو نحوها وقدم السِّندي في الجنود من قبل الرشيد وأغزته[1] اليمانية بأبي الهَيْدَام فبعث هو إليه بالطاعة فأقبل السِّندي إلى دمشق وإسحق بدار الحجّاج ، وبعث قائده في ثلاثة آلاف وأخرج إليهم أبو الهَيْدَام ألفاً وأحجم القائد عنهم ورجع إلى السِّندي فصالح أبا الهَيْدَام وأمّن أهل دمشق . وسار أبو الهَيْدَام إلى حوران وأقام السِّندي بدمشق ثلاثاً وقدم موسى بن عيسى والياً عليها فبعث الجند يأتونه بأبي الهَيْدَام فكبسوا داره وقاتلهم هو وابنه وعبده فانهزموا وجاء أصحابه من كل جهة وقصد بُصْرَى. ثم بعث إليه موسى فسار إليه في رمضان سنة سبع وسبعين وقيل إنّ سبب الفتنة بدمشق أنّ عامل الرشيد بسجستان قتل أخا الهَيْدَام فخرج هو بالشام وجمع الجموع . ثم بعث الرشيد أخاً له ليأتيه به فتحيّل حتى قبض عليه وشدّه وثاقاً وأتى به إلى الرشيد فمنّ عليه وأطلقه . وبعث جعفر ابن يحيى سنة ثمانين إلى الشام من أجل هذه الفتن والعصبيّة فسكن الثائِرَة وأمّن البلاد وعاد .

* (فتنة الموصل ومصر) *

وفي سنة سبع وثمانين تغلّب العطّاف بن سُفْيَان الأزديّ على خراسان وأهل الموصل على العامل بها محمد بن العبّاس الهاشمي وقيل عبد الملك بن صالح فاجتمع عليه أربعة آلاف رجل وجبى الخراج وبقي العامل معه مغلباً إلى أن سار الرشيد إلى الموصل وهدم سورها ولحق العطّاف بأرمينية ثم بالرقم فاتخذها وطناً . وفي سنة ثمان وسبعين

(١) لعلها أغرته .

ثارت الحوفيّة بِمصّرٍ وهم من قَيْس وقُضَاعة على عاملها إسحق بن سليمان وقاتلوه .
وكتب الرشيد إلى هَرْثَمة بن أعْيَن وكان بِفَلسْطين فسار إليهم وأذعنوا بالطاعة ، وولي
على مصر ثم عزله لشهر وولىّ عبد الملك بن صالح عليها . وكان على خراسان أيام
المهدي والهادي أبو الفضل العبّاس بن سليمان الطوسي فعزله الرشيد ، وولىّ على
خراسان جعفر بن محمد بن الأشعث الخُزَاعِيّ فأبوه من النقباء من أهل مِصْر ومقدم
ابنه العبّاس سنة ثلاث وسبعين ، ثم قدم فغزا طخارستان وبعث إبنه العبّاس إلى كابل
في الجنود وافتتح سابهار ورجع إلى مرو. ثم سار إلى العراق سنة ثلاث في رمضان
وكان الأمين في حجره قبل أن يجعله في حجر الفضل بن يحيى. ثم ولىّ الرشيد ابنه
العبّاس بن جعفر ثم عزله عنها فولى خالداً الغِطْريف بن عطاء الكنديّ سنة خمس
وسبعين على خراسان وسجستان وجرجان فقدم خليفة داود بن يزيد وبعث عامل
سجستان ، وخرج في أيامه حُصَيْن الخارجيّ من موالي قَيْس بن ثَعْلَبَة من أهل
أوق وبعث عامل سجستان عثمان بن عمارة الجيوش إليه فهزمهم حُصَيْن وقتل منهم
وسار إلى باذغيس وبوْشَنْج وهَرَاة فبعث إليه الغِطْريف إثني عشر ألفاً من الجند
فهزمهم حُصَيْن وقتل منهم خلقاً ، ولم يزل في نواحي خراسان إلى أن قتل سنة سبع
وسبعين . وسار الفضل إلى خراسان سنة ثمان وسبعين وغزا ما وراء النهر سنة ثمانين ثم
ولىّ الرشيد على خراسان علي بن عيسى بن ماهان وقدم إليه يحيى[1]
فأقام بها عشرين سنة وخرج عليه في ولايته حمزة بن أترك وقصد بوشنج وكان على
هراة عَمْرَوَيْه بن يزيد الأزدي فنهض إليه في ستة آلاف فارس فهزمهم حمزة وقتل
جماعة منهم ومات عَمْرَوَيْه في الزحام ، فبعث عليّ بن عيسى ابنه الحسن في عشرة
آلاف ففضّ[2] حربه فعزله ، وبعث إبنه الآخر عيسى فهزمه حمزة فأمدّه بالعساكر وردّه
فهزم حمزة وقتل أصحابه ، ونجا إلى قُهِسْتَان في أربعين وأثخن عيسى في الخوارج
بارِقٍ وجوين[3] وفيمن كان يعينهم من أهل القرى حتى قتل ثلاثين ألفاً . وخلف
عبدالله بن العبّاس النسيقي[4] بزَرَنْج فجبى الأموال وسار بها ومعه الصُفّة ولقيه حمزة

---

(١) بياض بالاصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٦٨ : «وفيها شخص الرشيد من مدينة السلام مريدا الرقة على طريق الوصل ، فلما نزل البروان ولّى عيسى بن حعفر خراسان وعزل عنها جعفر بن يحيى وكانت ولاية جعفر بن يحيى اياها عشرين ليلة» راجع ابن الاثير ج ٦ ص ١٥٠ .

(٢) حسب مقتضى السياق فرفض حربه .

(٣) أوق وجوين : ابن الاثير ج ٦ ص ١٥١ .

(٤) النسفي : ابن الاثير ج ٦ ص ١٥١ .

فهزموه وقتلوا عامّة أصحابه . وسار حمزة في القرى فقتل وسبى وكان عليّ قد استعمل طاهر بن الحسين على بُوشَنْج فخرج إلى حمزة وقصد قرية[1] ففرّ الخوارج وهم الذين يرون التحكيم ولا يقاتلون والمُحَكِّمَة هم الذين يقاتلون وشعارهم لا حكم إلا لله فكتب العقد إلى حمزة بالكفّ وواعدهم ، ثم انتقض وعاث في البلاد وكانت بينه وبين أصحاب عليّ حروب كثيرة . ثم ولى الرشيد سنة إثنتين وثمانين ابنه عبدالله العهد بعد الأمين ولقبه المأمون وولاّه على خراسان وما يتصل بها إلى همَذان واستقدم عيسى ابن علي من خراسان وردّها إليه من قبل المأمون وخرج عليه بِنسا أبو الخَصيب وَهَب ابن عبدالله النِسّائي وعاث في نواحي خراسان ثم طلبه الأمان فأمّنه . ثم بلغه أنّ حمزة الخارجيّ عاث بنواحي باذغيس فقصده وقتل من أصحابه نحوا من عشرة آلاف وبلغ كل من وراء غَزْنَـة . ثم غدر أبو الخَصِيب ثانية وغلب أبيورد ونسا وطوس ونَيْسَابور ، وحاصر مَرْو وانهزم عنها وعاد إلى سَرْخَس ، ثم نهض إليه ابن ماهان سنة ست وثمانين فقتله في نِسا وسبى أهله . ثم نمي إلى الرشيد سنة تسع وثمانين أنّ عليّ بن عيسى مجمع على الخلاف وأنه قد أساء السيرة في خُراسان وعنّفهم ، وكتب إليه كبراء أهلها يشكون بذلك ، فسار الرشيد إلى الريّ فأهدى له الهدايا والكثيرة والأموال ولجميع من معه من أهل بيته ووُلْدِهِ وكتّابه وقوّاده وتبين للرشيد من مناصحته خلاف ما أنهى إليه فردّه إلى خراسان وولّى على الري وطبرستان ودَنْبَاوَنْد وقُومِس وهَـمَذَان وبعث عليّ ابنه عيسى لحرب خاقان سنة ثمان وثماني فهزمه وأسر إخوته ، وانتقض على عليّ بن عيسى رافِع بن اللَيْث بن نَصْر بن سيّار بسَـمَرْقَنْد وطالت حروبه معه وهلك في بعضها إبنه عيسى . ثم إنّ الرشيد نقم على علي بن عيسى أموراً منها استخفافه بالناس وإهانته أعيانهم ، ودخل عليه يوماً الحسين بن مُصْعَب والد طاهر فأغلظ له في القول وأفحش في السبّ والتهديد وفعل مثل ذلك بهشام بن [2]

فأمّا الحسين فلحق بالرشيد شاكياً ومستجيراً وأمّا هشام فلزم بيته وادّعى أنه بعلّة الفالج حتى عزل عليّ ، وكان مما نقم عليه أيضاً أنه لم قتل إبنه عيسى في حرب رافِع بن الليث أخبر بعض جواريه أنه دفن في بستانه ببَلْخ ثلاثين ألف

---

(١) فأتى قرية فيها قَعَدَ الخوارج : ابن الاثير ج ٦ ص ١٥١ .

(٢) بياض بالأصل : وفي الكامل لابن الاثير : « فمن ذلك انه دخل عليه يوما الحسين بن مصعب والد طاهر بن الحسين وهشام بن فرخسرو ... » ج ٦ ص ٢٠٣ .

دينار[1] . وتحدّث الجواري بذلك فشاع في الناس ، ودخلوا البستان ونهبوا المال ، وكان يشكو إلى الرشيد بقلّة المال ويزعم أنه باع حُلِيّ نسائه . فلما سمع الرشيد هذا المال استدعى هَرْثَمَة بن أعْيَن وقال له : ولّيتك خراسان ، وكتب له بخطّه وقال له : اكتم أمرك وامضِ كأنك مَدَدٌ . وبعث معه رجاء الخادم . فسار إلى نيسابور وولّى أصحابه فيها ثم سار إلى مَرْو ولقيه عليّ بن عيسى فقبض عليه وعلى أهله وأتباعه وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف ، وبعث إلى الرشيد من المتاع وقر خمسمائة بعير وبعث إليه بعليّ بن عيسى على بعير من غير غطاء ولا وطاء ، وخرج هَرْثَمَة إلى ما وراء النهر وحاصر رافِع بن الليث بسَمَرْقَنْد إلى ان استأمن فأمّنه ، وأقام هَرْثَمَة بسَمَرْقَنْد وكان قدم مَرْو سنة ثلاث وتسعين .

* (إيداع كتاب العهد) *

وفي سنة ست وثمانين حجّ الرشيد وسار من الأنبار ومعه أولاده الثالثة محمد الامين وعبدالله المأمون والقَاسِم ، وكان قد ولّى الأمين العهد وولّاه العراق والشام إلى آخر الغرب . وولّى المأمون العهد بعده وضم إليه من هَمَذَان إلى آخر المشرق ، وبايع لابنه القاسم من بعد المأمون ولقبه المؤتمن وجعل خلعه وإثباته للمأمون . وجعل في حجر عبد الملك صالح وضم إليه الجزيرة والثغور والعواصِم . ومرّ بالمدينة فأعطاه فيها ثلاثة أعطية عطاء منه ومن الأمين ومن المأمون فبلغ ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار . ثم سار إلى مكة فأعطى مثلها ، وأحضر الفقهاء والقضاة والقوّاد وكتب كتاباً أشهد فيه على الأمين بالوفاء للمأمون وآخر على المأمون بالوفاء للأمين وعلّق الكتابين في الكعبة وجدّد عليها العهود هنالك . ولما شخص إلى طبرستان سنة تسع وثمانين وأقام بها أشهد من حضره أنّ جميع ما في عسكره من الأموال والخزائن والسلاح والكراع للمأمون وجدّد له البيعة عليهم وأرسل إلى بغداد فجدّد له البيعة على الأمين .

* (أخبار البرامكة ونكبتهم) *

قد تقدّم لنا أن خالد بن بَرْمَك كان من كبار الشيعة وكان له قدم راسخ في الدولة وكان يلي الولايات العظام وولّاه المنصور على الموصل ، وعلى أذربيجان ، وولّى ابنه

(١) ذكر ابن الاثير المبلغ ثلاثين ألف ألف : المرجع السابق . ولكنه لم يذكر أهي دراهم ام دنانير .

يحيى على أرمينية ووكله المهدى بكفالة الرشيد فأحسن تربيته ودفع عنه أخاه الهادي أراده على الخلع وتولية العهد إبنه وحبسه الهادي لذلك . فلما ولي الرشيد إستوزر يحيى وفوّض إليه أمور مُلْكِهِ وكان أوّلاً يصدر عن رأي الخَيْزَرَان أمّ الرشيد ، ثم استبدّ بالدولة . ولما ماتت وكان بيتهم مشهوراً بالرجال من العمومة والقرابة ، وكان بنوه جعفر والفضل ومحمد قد شابهوا آباءهم في عمل الدولة واستولوا على حظّ من تقريب السلطان واستخلاصه . وكان الفضل أخاه من الرضاع أرضعت أمّه الرشيد وأرضعته الخَيّزَرَان وكان يخاطب يحيى يا أبتِ واستوزر الفضل وجعفراً وولىّ جعفراً على مِصْر وعلى خُرَاسان وبعثه إلى الشام عندما وقعت الفتنة بين المُضَرِيّة واليمانيّة ، فسكّن الأمور ورجع . وولىّ الفضل أيضاً على مِصْر وعلى خراسان وبعثه لاستنزال يحيى بن عبدالله العلويّ من الدَيْلَم ودفع المأمون لما ولاّه العهد إلى كفالة جعفر بن يحيى فحسنت آثارهم في ذلك كله . ثم عظم سلطانهم واستيلاؤهم على الدولة وكثرت السعاية فيهم وعَظُمَ حِقْد الرشيد على جعفر منهم ، يقال بسبب أنه دفع إليه يحيى بن عبدالله لما استنزله أخوه الفضل من الدَيْلَم ، وجعل حبسه عنده فأطلقه استبدادا على السلطان ودالة وأنهى الفضل بن الربيع ذلك إلى الرشيد فسأله فصدّقه الخبر فأظهر له التصويب وحقدها عليه ، وكثرت السعاية فيهم فتنكّر لهم الرشيد . ودخل عليه يوماً يحيى بن خالد بغير إذن فنكر ذلك منه ، وخاطب به طبيبه جبريل بن بختيشوع منصرفاً به من مواجهته وكان حاضراً فقال يحيى : هو عادتي يا أمير المؤمنين ، وإذ قد نكرت مني فسأكون في الطبقة التي تجعلني فيها ! فاستحيى هرون وقال : ما أردت ما يكره . وكان الغلمان يقومون بباب الرشيد ليحيى إذا دخل ، فتقدّم لهم مسرور الخادم بالنهي عن ذلك فصاروا يعرضون عنه إذا أقبل ، وأقاموا على ذلك زماناً . فلما حجّ الرشيد سنة سبعة وثمانين ورجع من حجّه ونزل الأنبار أرسل مسروراً الخادم في جماعة من الجُنْد ليلاً فأحضر جعفراً بباب الفسطاط وأعلم الرشيد فقال : إئتني برأسه فطفق جعفر يتذلّل ويسأله المراجعة في أمره حتى قذفه الرشيد بعصى كانت في يده وتهدّده فخرج وأتاه برأسه وحبس الفضل من ليلته وبعث من احتاط على منازل يحيى ووُلْدِهِ وجميع موجودهم وحبسه في منزله وكتب من ليلته إلى سائر النواحي بقبض أموالهم ورقيقهم ، وبعث من الغد بشلوْ جعفر وأمر أن يقسم قطعتين .. وبنصبان على الجسر ، وأعفى محمد بن خالد من النكبة ولم يضيّق على يحيى ولإبنيه الفضل ومحمد

وموسى ثم تجرّدت عنه التهمة بعبد الملك بن صالح بن علي ، وكانوا أصدقاء له ، فسعى فيه إبنه عبد الرحمن بأنه يطلب الخلافة فحبسه عنه الفضل بن الربيع ، ثم أحضره من الغداة وقرّعه ووبّخه فأنكر وحلف واعترف لحقوق الرشيد وسلفه عليه ، فأحضر كاتبه شاهداً عليه فكذّبه عبد الملك ، فأحضر ابنه عبد الرحمن فقال هو مأمور معذور أوعاق فاجر ، فنهض الرشيد من مجلسه وهو يقول سأصبر حتى أعلم ما يرضي الله فيك ، فإنه الحكم بيني وبينك ، فقال عبد الملك : رضيت بالله حكماً وبأمير المؤمنين حاكماً فإنه لا يؤثر هواه على رضا ربه. ثم أحضره الرشيد يوماً آخر فأرعد له وأبرق وجعل عبد الملك يعدّد وسائله ومقاماته في طاعته ومنا صحته فقال له الرشيد : لو لا إبقائي على بني هاشم لقتلتك وردّه إلى محبسه. وكلمّه عبدالله بن مالك فيه، وشهد له بنصحه فقال: أطلقه إذاً، قال: أمّا في هذا القرب فلا ولكن سهّل حبسه ففعل . وأجرى عليه مؤنه حتى مات الرشيد وأطلقه الأمين . وعَظُمَ حقده على البرامكة بسبب ذلك ، فضيّق عليهم وبعث إلى يحيى يلومه فيما ستر عنه من أمر عبد الملك . فقال : يا أمير المؤمنين كيف يطلعني عبد الملك على ذلك وأنا كنت صاحب الدولة ، وهل إذا فعلت ذلك يجازيني بأكثر من فعلك ؟ أعيذك بالله أن تظنّ هذا الظنّ إلا أنه كان رجلاً متجمّلا يسرني أن يكون في بيتك مثله ، فوليته ولا خصصته . فعاد إليه الرسول يقول : إن لم تقر قتلت الفضل إبنك . فقال : أنت مسلّط علينا فافعل ما أردت . وجذب الرسول الفضل وأخرجه فودّع أباه وسأله في الرضا عنه فقال : رضي الله عنك ، وفرّق بينهما ثلاثة ايام ولم يجد عندهما شيئاً فجمعهما واحتفظ [1] إبراهيم بن عثمان بن نَـهِيك لقتل جعفر فكان يبكيه ويبكي قومه حزناً عليهم . ثم انتهى به إلى طلب الثأر بهم فكان يشرب النبيذ مع جواريه ويأخذ سيفه وينادي واجعفراه واسيداه والله لأثأرنّ بك ولأقتلنّ قاتلك ، فجاء إبنه وحَفْص كان مولاه إلى الرشيد فأطلعاه على أمره ، فأحضر إبراهيم وأظهر له الندم على قتله جعفراً والأسف عليه ، فبكى إبراهيم وقال : والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله فانتهره الرشيد وأقامه . ثم دخل عليه إبنه بعد ليالٍ قلائل فقتله يقال بأمر الرشيد . وكان يحيى بن خالد محبوساً بالكوفة ولم يزل بها كذلك إلى أن مات سنة تسعين ومائة ومات بعده إبنه الفضل سنة ثلاث وتسعين . وكانت البرامكة من محاسن العالم ودولتهم من أعظم الدول وهم كانوا نكتة محاسن الملّة وعنوان دولتها .

(١) بمعنى غضب

كان الرشيد على ما نقله الطبري وغيره يغزو عاماً ويحجّ عاماً ، ويصلّي كل يوم مائة ركعة ويتصدّق بألف درهم ، وإذا حجّ حمل معه مائة من الفقهاء ينفق عليهم . وإذا لم يحجّ أنفق على ثلثمائة حاج نفقة شائعة . وكان يتحذى بآثار المنصور إلا في بذل المال فلم ير خليفة قبله أبذل منه للمال . وكان إذا لم يغز غزا بالصائفة كبار أهل بيته وقوّاده ، فغزا بالصائفة سنة سبعين سليمان بن عبدالله البكائيّ ، وقيل غزا بنفسه . وغزا بالصائفة سنة إثنتين وسبعين إسحق بن سليمان بن عليّ فأثخن في بلاد الروم وغنم وسبى . وغزا في سنة أربع وسبعين بالصائفة عبد الملك بن صالح وقيل أبوه عبد الملك فبلغ في نكاية الروم ما شاء ، وأصابهم برد سديد سقطت منه أيدي الجند . ثم غزا بالصائفة سنة سبع وسبعين عبد الرزاق بن عبد الحميد الثعلبي . وفي سنة ثمان وسبعين زُفَر بن عاصِمْ وغزا سنة إحدى وثمانين بنفسه فافتتح حصن الصَفْصَاف وأغزى عبد الملك بن صالح فبلغ أنقرة وافتتح مَطْمورة . وكان الفداء بين المسلمين والروم وهو أوّل فداء في دولة بني العبّاس ، وتولاّه القاسِم بن الرشيد وأخرج له من طرسوس الخادم الوالي عليها ، وهو أبو سليمان فَرَج فنزل المَدَامِس[1] على إثني عشر فرسخاً ، وحضر العلماء والأعيان وخلق من أهل الثغور وثلاثون ألفاً من الجند المرتزقة فحضروا هنالك وجاء الروم بالأسرى ففودي بهم من كان لهم من الأسرى ، وكان أسرى المسلمين ثلاثة آلاف وسبعمائة . وغزا بالصائفة سنة إثنتين وثمانين عبد الرحمن ابن عبد الملك بن صالح دقشوسوس[2] مدينة أصحاب الكهف . وبلغهم أنّ الروم سلوا[3] ملكهم قسطنطين بن أليون وملكوا أمّه ربى[4] وتلقّب عطشة ، فأثخنوا في البلاد ورجعوا . وفي سنة ثلاث وثمانين حملت إبنة خاقان ملك الخَزَر إلى الفضل ابن يحيى فماتت ببردعة ، ورجع من كان معها فأخبروا أباها أنها قتلت غيلة ، فتجهّز إلى بلاد الإسلام ، وخرج من باب الأبواب وسبى أكثر من مائة ألف فارس وفعلوا ما لم يسمع بمثله . فولّى الرشيد يزيد بن مزيد أمر أرمينية مضافة إلى أذربيجان وأمره

---

(١) اللامِس : ابن الاثيرج ٦ ص ١٥٩ .
(٢) أفسُوس : ابن الاثيرج ٦ ص ١٥٩ .
(٣) سملوا : ابن الاثيرج ٦ ص ١٥٩ .
(٤) رِيني : ابن الاثيرج ٦ ص ، وتلقب عطشه .

بالنهوض إليهم وأنزل خُزَيْمَة بن خازم بنَصيبين ردءاً لهم . وقيل إنّ سبب خروجهم أنّ سعيد بن مسلم قتل الهجيم السلمى[1] فدخل إبنه إلى الخَزَر مستجيشاً بهم على سعيد ، ودخلوا أرمينية وهرب سعيد والخَزَر ورجعوا[2] . وفي سنة سبع وثمانين غزا بالصائِفة القاسم بن الرشيد وجعله قرباناً لله وولّاه العواصِم ، فأناخ على قُرَّة وضيّق عليها وبعث عليها ابن جعفر بن الأشعث فحاصر حصن سِنان حتى جهد أهله وفادى الروم بثلثمائة وعشرين أسيراً من المسلمين على أن يرحل عنهم ، فأجابهم وتمّ بينهم الصلح ورحل عنهم ، وكان ملك الروم يومئذٍ ابن زيني وقد تقدّم ذكره فخلعه الروم وملّكوا يقفور[3] وكان على ديوان خراجهم ومات[4] زيني بعد خمسة أشهر . ولما ملك يقفور كتب إلى الرشيد بما استفزّه فسار إلى بلاد الروم وغازياً ، ونزل هِرَقْل وأثخن في بلادهم حتى سأل يقفور الصلح ، ثم نقض العهد وكان البرد شديد الكلب وظنّ يقفور أنّ ذلك يمنعه من الرجوع ، فلم يمنعه ورجع حتى أثخن في بلاده ثم خرج من أرضهم . وغزا بالصائفة سنة ثمان وثمانين ابراهيم بن جبريل ودخل من درب الصَفْصَاف فخرج إليه يقفور ملك الروم وانهزم وقتل من عسكره نحواً من أربعين ألفاً . وفي هذه السنة رابط القاسم بن الرشيد أبق[5] وفي سنة تسع وثمانين كتب الرشيد وهو بالري كتب الأمان لشروين أبي قارن ، ونداهرمز[6] جدمازيار ، مرزبان خستان صاحب الديلم[7] . وبعث بالكتب مع حسين الخادم إلى طَبَرسْتان فقدم خستان ووندادهُرْمُز فأكرمها الرشيد وأحسن إليهما وضمن ونداهرمز وشروين صاحبي طبرستان وذكرا كيف توجه الهادي لهما وحاصرهما . وفي سنة ست وثمانين كان فداء بين المسلمين حتى لم يبق بأرض الروم مسلم إلاّ فودي . وفي سنة تسعين سار الرشيد إلى بلاد الروم بسبب ما قدمناه من غدر يقفور في مائة وخمسة وثلاثين ألفاً من المرتزقة ، سوى الأتباع والمتطوّعة ومَنْ ليس له ذكر في الديوان ، واستخلف المأمون

---

(١) المنجّم السُّلَميّ : ابنُ الأثير ج ٦ ص ١٦٣ .

(٢) المعنى غير واضح تماماً وفي الكامل ج ٦ ص ١٦٣ : «فانهزم سعيد ، وأقاموا نحو سبعين يوماً ، فوجّه الرشيد خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد ، فأصلحا ما أفسد سعيد ، وأخرجا الخزر وسدّا الثّلمة» .

(٣) نقفور : ابن الاثير ج ٦ ص ١٨٥ .

(٤) الأصح ماتت ريني وهي أم الملك قسطنطين كما مرّ معنا .

(٥) أوق : مرّ ذكرها سابقاً .

(٦) لوَندا هرمز : ابن الاثير ج ٦ ص ١٩١ .

(٧) وأماناً لمرزبان بن جستان صاحب الديلم : المرجع السابق .

بالرقّة وفوّض إليه الأمور ، وكتب إلى الآفاق بذلك ، فنزل على هرقل[1] فحاصرها ثلاثين يوماً وافتتحها وسبى أهلها وغنم ما فيها . وبعث داود بن عيسى بن موسى في سبعين ألفاً غازياً في أرضهم ففتح الله عليه وخرّب ونهب ما شاء . وفتح شراحيل بن مَعْن بن زائدة حصن الصّقالبة وديسة[2] وافتتح يزيد بن مَخْلد حصن الصّفْصَاف وقونية[3] ، وأناخ عبدالله بن مالك على حصن ذي الكلاع واستعمل الرشيد حميد بن معيوب[4] على الأساطيل ممن بسواحل الشام ومِصْر إلى قبرس ، فهزم وحَرّق وسبى من أهلها نحواً من سبعة عشر ألفاً وجاء بهم إلى الواقعة[5] فبايعوا بها وبلغ فداء أسقف قبرس ألفي دينار . ثم سار الرشيد إلى حلوانة[6] فنزل بها وحاصرها ، ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر وبعث يقفور بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير ، وعن ابنه دينارين وعن بطارقته كذلك ، وبعث يقفور في جارية من بني هرقلة[7] وكان خطبها إبنه فبعث بها إليه . ونقض في هذه السنة قبرس فغزاهم معيوب بن يحيى فأثخن فيهم وسباهم ولما رجع الرشيد من غزاته خرجت الروم إلى عين زَرْبَة والكنيسة السوداء وأغاروا ورجعوا فاستنقذ أهل المُصَيْصَة ما حملوه من الغنائم . وفيها غزا يزيد بن مُخْلد الهُبَيْري أرض الروم في عشرة آلاف فأخذت الروم عليه المضايق فانهزم ، وقتل في خمسين من أصحابه على مرحلتين من طرسوس . واستعمل الرشيد على الصائفة هَرْثَمَة بن أعْيُن قبل أن يولّيه خراسان وضمّ إليه ثلاثين ألفاً من أهل خراسان ، وأخرجه إلى الصائفة وسار بالعساكر الإسلامية في أثره ورتّب بدرب الحرث عبدالله بن مالك وبمرعش سعيد بن مسلم بن قتيبة ، وأغارت الروم عليه فأصابوا من المسلمين وإنصرفوا ولم يتحرّك من مكانه . وبعث الرشيد محمد بن زيد بن مزيد إلى طرسوس وأقام هو بدرب الحرث وأمر قوّاده بهدم الكنائس في جميع الثغور وأخذ أهل الذمّة بمخالفة زيّ المسلمين في ملبوسهم

---

(١) هرقلة : ابن الاثير ج ٦ ص ١٩٥ .
(٢) دلسة : ابن الاثير ج ٦ ص ١٩٦ .
(٣) ملقونية : ابن الاثير ج ٦ ص ١٩٦ .
(٤) حميد بن معيوف : ابن الاثير ج ٦ ص ١٩٦ .
(٥) الرافقة : ابن الاثير ج ٦ ص ١٩٦ .
(٦) طوانة : ابن الاثير ج ٦ ص ١٩٦ .
(٧) الجارية هي من سبي هرقلة : المرجع السابق .

وأمر هَرْثَمَة ببناء هرطوس [1] وتولّى ذلك ، فخرج الخادم بأمر الرشيد وبعث إليها جنداً من خراسان ثلاثة أيام ، وأشخص ألفاً من أهل المُصَيْصَة وألفاً من أنطاكية فتمّ بناؤها سنة إثنتين وتسعين . وفي هذه السنة تحركت الخرَميّة بناحية أذربيجان فبعث إليهم عبدالله بن مالِك في عشرة آلاف فقتل وسبى وأسر ، ووافاه بقرملين فأمره بقتل الأسرى وبَيع السبي . وفيها استعمل الرشيد على الثغور ثابت بن مالِك الخُزَاعِيّ فافتتح مطمورة وكان الفداء على يديه بالبرذون . ثم كان الفداء الثاني وكان عدّة أسرى المسلمين فيه ألفين وخمسمائة .

* (الولاية على النواحي) *

كان على أفريقية مزيد بن حاتم كما قدّمناه ومات سنة إحدى وسبعين بعد أن استخلف إبنه داود فبعث الرشيد على أفريقية أخاه رَوْح بن حاتم فاستقدمه من فلسطين وبعثه إلى أفريقية . وعزل أبا هريرة محمد بن فروج عن الجزيرة وقتله وولى مكانه [2] وفي سنة ست وسبعين ولّى الرشيد على الموصل الحَكَم بن سليمان ، وقد كان خرج الفضل الخارجي بنواحي نَصيبين وغنم وسار إلى داريا وآمدوا رزق وخلاط فقفل لذلك ورجع إلى نَصيبين ، فأتى الموصل وخرج إليه الفضل في عساكرها فهزمهم على الزاب . ثم عادوا لقتاله فقتل الفضل وأصحابه . وفي سنة ست وسبعين مات رَوْح بن حاتم بأفريقية واستخلف حبيب بن نَصْر المُهَلَّبي فسار الفضل إلى الرشيد فولّاه على أفريقية ، وعاد إليها فاضطرب عليه الخراسانية من جند أفريقية ولم يرضوه ، فولّى مكانه هَرْثَمَة بن أعْيَن وبعث في العساكر فسكن الاضطراب ، ورأى ما بأفريقية من الاختلاف فاستعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه ، وقدم إلى العراق بعد سنتين ونصف من مغيبه . وفي هذه ولّى الفضل بن يحيى على مِصْر مكان أخيه جعفر مضافاً إلى ما بيده من الريّ وسِجِسْتان وغيرهما . ثم عزله عن مِصْر وولّى عليها إسحق بن سليمان فثارت به الحوقيّة من مصر وهم جموع من قيس وقُضَاعة فأمدّه بهَرْثَمَة بن أعْيَن فأذعنوا وولاّه عليهم شهراً ، ثم عزله وولى عبد الملك بن

---

(١) هي مدينة طرسوس .

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ١١٤ : «وفيها — ١٧١ — قتل الرشيد ابا هريرة محمد ابن فَروح ، وكان على الجزيرة ، فوجّه إليه الرشيد ابا حنيفة حرب بن قيس ، فأحضره الى بغداد وقتله» .

صالِح مكانه ، وفيها فوّض أمر دولته إلى يحيى بن خالد . وفي سنة ثمانين بعث جعفر ابن يحيى إلى الشام في القوّاد والعساكر ومعه السلاح والأموال والعصبية التي كانت بها فسكنت الفتنة ورجع ، فولاّه خراسان وسجستان فاستعمل عليها عيسى بن جعفر ، وولّى جعفر بن يحيى المُـرَيْس وقدم هرثمة بن أعين من أفريقية فاستخلفه جعفر على الحرد [١] وعزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرُّويان وولاّها عبدالله بن حازم ، وولّى على الجزيرة سعيد بن مسلم وولّى على الموصل يحيى بن سعيد الحَـرَيْشِيّ فأساء السيرة وطالبهم بخراج سنين ماضية ، فانجلا أكثر أهل البلد ، وعزله الرشيد وولّي عليها يحيى بن خالد . وفي سنة إحدى وثمانين ولّى على أفريقة محمد بن مقاتل بن حكيم العكّيّ وكان أبوه من قوّاد الشيعة ومحمد رضيع الرشيد وتلاده فلما استعفى هَرْثَـمَـة ولاّه مكانه ، واضطربت عليه أفريقية ، وكان إبراهيم بن الأغلب بها والياً على الزاب ، وكان جند أفريقية يرجعون إليه فأعانه وحمل الناس على طاعته بعد أن أخرجوه فكرهوا ولاية محمد بن مقاتل وحملوا إبراهيم بن الأغلب على أن كتبَ إلى الرشيد يطلب ولاية أفريقية على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مِصْر معونة إلى والي أفريقية ويحمل هو كل سنة أربعين ألف دينار فاستشار الرشيد بطانته فأشار هَرْثَـمَـة بإبراهيم بن الأغلب ، وولاّه الرشيد في محرّم سنة أربعة وثمانين . فضبط الأمور وقبض على المؤمنين وبعث بهم إلى الرشيد فسكنت البلاد . وابتنى مدينة بقرب القَـيْـرَوَان وسماها العباسية وانتقل إليها بأهله وخاصّته وحشمه . وصار مُـلْـكُ أفريقية في عقبه كما يذكر في أخبارها إلى أن غلبهم عليها الشيعة العُـبَـيْـدِيّون . وكان يزيد بن مزيد على أذربيجان فولاّه الرشيد سنة ثمان وثمانين على أرمينية مضافة إليها ، وولّى خُـزَيْـمَـة بن خَازِم على نَصيبين . وولّى الرشيد سنة أربع وثمانين على اليمن ومكّة حماداً البربريّ وعلى السِّند داود بن يزيد بن حاتم وعلى الجبل يحيى الحُـرَيْشِيْ ، وعلى طَـبَـرْستان مَـهْـرَوَيّـة الزاي ، وقتله أهل طبرستان سنة خمس وثمانين ، فولّى مكانه عبدالله بن سعيد الحُـرَيْشِيّ . وفيها توفي يزيد بن زائدة الشَـيْـطَاني [٢] ببَـرْدَعَـة وكان على أذربيجان وأرمينية فولّى مكانه ابنه أسد بن يزيد بن حاتم . وفي سنة تسع وثمانين سار الرشيد إلى الري وولّى على طبرستان والريّ ودُنْـبَـاوند

---

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ١٥٢ : أنه ولّى جعفر بن يحيى الحرس .

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني : ابن الاثير ج ٦ ص ١٦٩ .

وقوس[١] وهَـمَـذَان عبد الملك بن مالِك . وفي سنة تسعين ولّى على الموصل خالد بن يزيد بن حاتم وقد تقدّم لنا ولاية هَـرْثَـمَـة على سلمان ونكبة علي بن عيسى . في سنة إحدى وتسعين ظفر حمّاد البربري بهيصيم اليماني[٢] وجاء به الى الرشيد فقتله ، وولّى في هذه السنة على الموصل محمد بن الفضل ابن سليمان وكان على مكة الفضل بن العبّاس أخي المنصور والسفّاح .

* (خلع رافع بن الليث بما وراء النهر) *

كان رافع بن نصر[٣] بن سيّار من عظماء الجند فيما وراء النهر وكان يحيى بن الأشعث قد تزوّج ببعض النساء المشهورات الجمال وتسرّى عليها وأكثر ضِرَارها وتشوّقت إلى التخلّص منه ، فدسّ إليها رافع بن الليث بأن تحاول من يشهد عليها بالكفر لتخلص منه وتحل للازواج ثم ترجع وتتوب ، فكان وتزوّجها وشكا يحيى بن الأشعث إلى الرشيد وأطلعه على جلّ الأمر ، فكتب إلى علي بن عيسى أن يفرّق بينهما ويقيم الحدّ على رافع ويطوف به في سَـمَـرْقَـنْـد مقيّداً على حمار ليكون عظة لغيره ، ففعل ذلك ولم يجده[٤] رافع وحبس بسَـمَـرْقَـنْـد فهرب من الحبس ولحق بعلي بن عيسى في بَـلْـخ فهمّ بضرب عنقه ، فشفع فيه إبنه عيسى فأمره بالإنصراف إلى سَمَرْقَنْد فرجع إليها ووثب بعاملها فقتله وملكها وذلك سنة تسعين . فبعث عليّ لحربه ابنه عيسى فلقيه رافع وهزمه وقتله ، فخرج علي بن عيسى لقتله وسار من بَـلْـخ إلى مَرْو مخافة عليها من رافع ابن الليث . ثم كانت نكبة علي بن عيسى وولاية هَـرْثَـمَـة بن أعْـيُن على خراسان وكان مع رافع بن الليث جماعة من القوّاد ففارقوه إلى هَـرْثَـمَـة منهم عجيف بن عَنْبَسَة وغيره . وحاصر هَرْثَمَة رافع بن الليث في سَمَرْقَنْد وضايقه ، واستقدم طاهر ابن الحسين من خراسان فحضر عنده وعاث حمزة الخارجي في نواحي خراسان لخلائها من الجند ، وحمل إليه عمال هَـرَاة وسجستان الأموال . ثم خرج عبد الرحمن إلى نيسابور سنة أربع وتسعين وجمع نحواً من عشرين ألفاً ، وسار إلى حمزة فهزمه وقتل من أصحابه خلقاً وأتبعه إلى هَـرَاة حتى كتب المأمون إليه وردّه عن

---

(١) قومس : المرجع السابق .
(٢) هيصم اليماني : المرجع السابق .
(٣) رافع بن الليث بن نصر : ابن الاثيرج ٦ ص ١٩٥ .
(٤) مقتضى السياق : ولم يحدّه .

ذلك. وكانت سنة ثلاث وتسعين بين هَرْثَمَة وبين أصحاب رافع وقعة كان الظفر فيها لهَرْثَمَة وأسر بِشراً أخا رافع وبعث به إلى الرشيد وافتتح بُخاري. وكان الرشيد قد سار من الرقّة بعد مرجعه من الصائفة التي بني فيها طرسوس على اعتزام خراسان لشأن رافِع، وكان قد أصابه المرض، فاستخلف على الرقّة إبنه القاسم وضمّ إليه خزَيْمَة بن خازم، وجاء إلى بغداد. ثم سار منها إلى خراسان في شعبان سنة إثنتين وتسعين واستخلف عليها ابنه الأمين، وأمر المأمون بالمقام معه فأشار عليه الفضل بن سهل بأن يطلب المسير مع الرشيد، وحذّره البقاء مع الأمين فأسعفه الرشيد بذلك وسار معه.

* (وفاة الرشيد وبيعة الامين) *

ولما سار الرشيد عن بغداد إلى خراسان بلغ جرجان في سفر سنة ثلاث وتسعين وقد اشتدّت عليه، فبعث إبنه المأمون إلى مَرْو ومعه جماعة من القوّاد عبدالله بن مالك ويحيى بن مُعاذ وأسد بن خُزَيْمَة[1] والعبّاس بن جعفر بن محمد بن الأشعث والسِدِيّ والحريشي[2] ونُعيم بن خازم، ثم سار الرشيد إلى موسى واشتدّ به الوجع وضعف عن الحركة وثقل فأرجف الناس بموته، وبلغه ذلك فأراد الركوب ليراه الناس فلم يطق النهوض فقال: ردّوني. ووصل إليه وهو بطوس بشير أخو رافع أسيرًا بعث به هَرْثَمَة بن أعْيُن فأحضره وقال: لو لم يبق من أجلي إلا حركة شفتي بكلمة لقلت اقتلوه. ثم أمر قصّاباً ففصل أعضاءه ثم أغمي عليه وافترق الناس. ولما يئس من نفسه أمر بقبره فحفر في الدار التي كان فيها وأنزل فيه قوماً قرؤا فيه القرآن حتى ختموه وهو في محفة على شفيره ينظر إليه وينادي واسو أتاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم مات وصلّى عليه ابنه صالح وحضر وفاته الفضل بن الربيع وإسمعيل بن صبيح ومسرور وحسين ورشيد. وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة أو تزيد وترك في بيت المال تسعمائة ألف ألف دينار. ولما مات الرشيد بويع الأمين في العسكر صبيحة يومه، والمأمون يومئذ بمَرْو وكتب حمويّة مولى المهدي صاحب البريد إلى نائبه ببغداد وهو سلام أبو مسلم يعلمه بوفاة الرشيد وهنأه بالخلافة فكان أوّل من فعل ذلك. وكتب صالح إلى أخيه الأمين مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد، وبعث معه بالخاتم والبُرْدَة

(١) اسد بن يزيد: ابن الاثيرج ٦ ص ٢١٢.
(٢) السندي الحرشي: ابن الاثيرج ٦ ص ٢١٢.

والقضيب ، فانتقل الأمين من قصره بالخُلْد إلى قصر الخلافة وصلّى بالناس الجمعة وخطب ثم نعى الرشيد وعزّى نفسه والناس ، وبايعته جملة أهله ووكّل سليمان بن المنصور وهم[1] عم أبيه وأمّه بأخذ البيعة على القوّاد وغيرهم . ووكّل السِّنْدِيّ بأخذ البيعة على الناس سواهم ، وفرّق في الجند ببغداد رزق سنين . وقدمت أمّه زُبَيْدَة من الرقّة فلقيها الأمين بالأنبار في جمع من بغداد من الوجوه ، وكان معها خزائن الرشيد ، وكان قد كتب إلى معسكر الرشيد وهو حيّ مع بكر بن المُعْتَمِر لما اشتدت علّة الرشيد وإلى المأمون بأخذ البيعة لهم وللمؤتمن أخيهما ، وإلى أخيه صالح بالقدوم بالعسكر والخزائن والأموال برأي الفضل . وإلى الفضل بالاحتفاظ على ما معه من الحرم والأموال ، وأقر كل واحد على عمله كصاحب الشرطة والحرس والحِجَابة . وكان الرشيد قد سمع بوصول بكر بالكتاب فدعاه ليستخرجها سنه فجحدها فضربه وحبسه . ثم مات الرشيد وأحضره الفضل فدفعها إليه ولما قرؤا الكتاب تشاوروا في اللحاق بالأمين وارتحل الفضل بالناس لهواهم في وطنهم وتركوا عهود المأمون . فجمع المأمون من كان عنده من قوّاد أبيه وهم عبدالله بن مالك ويحيى بن مُعَاذ وشبيب بن حميد بن قَحْطَبَة والعلاء مولى الرشيد وكان على حِجَابته والعبّاس بن المسيّب بن زهير وكان على شرطته وأيوب بن أبي سمير وهو على كتابته وعبد الرحمن بن عبد الملك ابن صالح وذو الرياستين الفضل بن سهل وهو أخصهم به وأحظاهم عنده ، فأشار بعضهم أن يركب في أثرهم ويردّهم ومنعه الفضل من ذلك وقال : أخشى عليك منهم ولكن تكتب وترسل رسولك إليهم تذكّرهم البيعة والوفاء ، وتحذّرهم الحنث ، فبعث سهل بن صاعد ونوفلاً الخادم بكتابه إليهم بنيسابور فقرأ الفضل كتابة وقال : أنا واحد من الجند . وشدّ عبد الرحمن برجليه على سهل ليطعنه بالرمح وقال : لو كان صاحبك حاضراً لوضعته فيه وسبّ المأمون وانصرفوا ، ورجع سهل ونوفل بالخبر إلى المأمون فقال له الفضل بن سهل : هؤلاء أعداء استرحت منهم وأنت بخراسان ، وقد خرج بها المُقَنّع وبعده يوسف البر فتضعضعت لهما الدولة ببغداد ، وأنت رأيت عند خروج رافع بن الليث كيف كان الحال ، وأنت اليوم نازل في أخوالك وبيعتك في أعناقهم ، فاصبر وأنا أضمن لك الخلافة . فقال المأمون : قد فعلت وجعلت الأمر إليك فقال : إنّ عبدالله بن مالك والقوّاد أنفع مني لشهرتهم وقوّتهم وأنا خادم

(١) لعلها هو عم .

لمن يقوم بأمرك منهم حتى ترى رأيك. وجاءهم الفضل في منازلهم وعرض عليهم البيعة للمأمون ، فمنهم مَنْ امتنع ومنهم من طرده ، فرجع إلى المأمون وأخبره فقال أنت بالأمر وأشار عليه الفضل أن يبعث على الفقهاء ويدعوهم إلى الحق والعمل به وإحياء السُّنَة وردّ المظالم ويعقد على الصفوف ففعل جميع ذلك ، وأكرم القوّاد . وكان يقول للتميمي نقيمك مقام موسى ابن كعب وللربعيّ مكان أبي داود وخالد بن إبراهيم . ولليماني مكان قَحْطَبَة ومالِك بن الهَيْثَم ، وكل هؤلاء نقباء الدولة . ووضع عن خراسان ربع الخراج فاغتبط به أهلها وقالوا : ابن أختنا وابن عم نبيّنا . وأقام المأمون يتولّى ما كان بيده من خراسان والريّ وأهدى إلى الأمين وكتب إليه وعظّمه . ثم إنّ الأمين عزل لأوّل ولايته أخاه القاسم المؤتمن عن الجزيرة واستعمل عليها خُزَيْمَة بن خازم وأقرّ المؤتمن على قِنَّسْرِين والعواصِم . وكان على مكّة داود بن عيسى بن موسى ابن محمد ، وعلى حمص إسحق بن سليمان فخالف عليه أهل حمص وانتقل عنهم إلى سَلَمْيَة فعزله الأمين وولّى مكانه عبدالله بن سعيد الحريشيّ ، فقتل عدّة منهم وحبس عدّة ، واضرم النار في نواحيها ، وسألوا الأمان فأجابهم ، ثم انتقضوا فقتل عدّة منهم ثم ولّى عليهم إبراهيم بن العبّاس .

* (أخبار رافع وملوك الروم) *

وفي سنة ثلاث وتسعين دخل هَرْثَمَة بن أعْيَن سمرقند وملكها وقام بها ومعه طاهر ابن الحسين فاستجاش رافع بالترك فأتوه وقوي بهم . ثم انصرفوا وضعف أمره ، وبلغه الحسن سيرة المأمون فطلب الأمان وحضر عند المأمون فأكرمه . ثم قدم هَرْثَمَة على المأمون فولاّه الحرس وأنكر الأمين ذلك كله . وفي هذه السنة قتل يقفور[1] ملك الروم في حرب بُرْجَان لسبع سنين من ملكه ، وملك بعده إبنه اسْتَبْرَاق وكان جريّاً فمات لشهرين وملك بعده صهره على أخته ميخاييل بن جُرْجِيس ، ووثب عليه الروم سنة أربع وتسعين بعد إثنتين من ملكه فهرب وترهّب وولّوا بعده إليوق[2] القائد .

(١) هو نقفور وقد مرّ في مكان آخر من هذا الكتاب .

(٢) أليون القائد : ابن الاثير ج ٦ ص ٢٣٦ .

* (الفتنة بين الامين والمأمون) *

ولما قدم الفضل بن الربيع على الأمين ونكث عهد المأمون خشي غائلته ، فأجمع قطع علائقه من الأمور وأَغْرَى الأمين بخلعه والبيعة للعهد لإبنه موسى ، ووافقه في ذلك علي بن عيسى بن ماهان والسِّنديّ وغيرهما ممن يخشى المأمون. وخالفهم خُزَيْمَة بن خازم وأخوه عبدالله وناشدوا الأمين في الكفّ عن ذلك وأن لا يحمل الناس على نكث العهود فيطرقهم لنكث عهده . ولجّ الأمين في ذلك ، وبلغه أنّ المأمون عزل العبّاس بن عبدالله بن مالك عن الريّ وأنه ولّى هرثمة بن أعْيَن على الحرس وأنّ رافع بن الليث استأمن له فآمنه وسار في جملته فكتب إلى العمّال بالدعاء لموسى ابنه بعد الدعاء للمأمون والمؤتمن ، فبلغ ذلك المأمون فأسقط إسم الأمين من الطرد وقطع البريد عنه . وأرسل الأمين إليه العبّاس بن موسى بن عيسى وخاله عيسى بن جعفر بن المنصور وصالحا صاحب الموصل ، ومحمد بن عيسى بن نَهِيك يطلب منه تقديم إبنه موسى عليه في العهد ويستقدمه . فلما قدموا على المأمون استشار كبراء خراسان فقالوا : إنما بيعتنا لك على أن لا تخرج من خراسان فأحضر الوفد وأعلمهم بامتناعه مما جاؤا فيه . واستعمل الفضل بن سهل العبّاس بن موسى ليكون عيناً لهم عند الأمين ففعل ، وكانت كتبه تأتيهم بالأخبار. ولما رجع الوفد عاودوه بطلب بعض كور خراسان وأن يكون له بخراسان صاحب بريد يكاتبه ، فامتنع المأمون من ذلك وأوعد إلى قعوده بالريّ ونواحيها يضبط الطرق وينقذها من غوائل الكتب والعيون ، وهو مع ذلك يتخوّف عاقبة الخلاف . وكان خاقان ملك التبت قد التوى عليه وجيفونة فارق الطاعة ، وملوك الترك منعوا الضريبة ، فخشي المأمون ذلك وحفظ عليه الأمر بأن يولّي خاقان وجيفونة بلادهما ، ويوادع ملك كابل ، ويترك الضريبة لملوك الترك الآخرين . وقال له بعد ذلك ثم أضرب الخيل بالخيل والرجال بالرجال فان ظفرت وإلا لحقت بخاقان مستجيراً فقبل إشارته وفعلها ، وكتب إلى الأمين يخادعه بأنه عامله على هذا الثغر الذي أمره الرشيد بلزومه وأنّ مقامه به أشدّ غناء ويطلب إعفاء من الشخوص إليه ، فعلم الأمين أنه لا يتابعه على مراده فخلعه وبايع لولده في أوائل سنة خمس وتسعين وسمّاه الناطق بالحق ، وقطع ذكر المأمون والمؤتمن من المنابر وجعل ولده موسى في حجر علي بن عيسى وعلى شرطته محمد بن عيسى بن نَهِيك

وعلى حرسه أخوه عيسى ، وعلى رسائله صاحب القتلى . وكان يدعى له على المنابر ولابنه الآخر عبدالله ولقبه القائم بالحق ، وأرسل إلى الكعبة من جاء بكتابي العهد للأمين والمأمون اللذين وضعهما الرشيد هنالك ، وسارت الكتب من ذلك إلى المأمون ببغداد من عيونه بها ، فقال المأمون : هذه أمور أخبر الرائي عنها وكفاني أنا أن أكون مع الحق وبعث الفضل بن سهل إلى جند الريّ بالأقوات والإحسان ، وجمع إليهم من كان بأطرافهم . ثم بعث على الريّ طاهر بن الحسين بن مصعب بن زُرَيْق أسعد الخُزَاعِيّ أبا العباس أميراً وضمّ إليه القوّاد والأجناد فنزلها ووضع المسالح والمراصد ، وبعث الأمين عصمة بن حمّاد بن سالم إلى هَـمَـذَان في ألف رجل ، وأمره أن يقيم بهَـمَـذان ويبعث مقدمته إلى ساوة .

* (خروج ابن ماهان لحرب طاهر ومقتله) *

ثم جهّز الأمين علي بن ماهان إلى خراسان لحرب المأمون ، يقال دسّ بذلك الفضل ابن سهل العين له عند الفضل بن الربيع ، فأشار به عليهم لما في نفوس أهل خراسان من النفرة عن ابن ماهان فجدّوا في حربه . ويقال حرّض أهل خراسان على الكتب إلى ابن ماهان ومخادعته إن جاء . فأمره الأمين بالمسير وأقطعه نَـهَـاوَنْـد وهَـمَـذَان وقُم وأصبهان وسائر كور الجبل حرباً وخراجاً ، وحكّمه في الخزائن وأعطاه الأموال وجهّز معه خمسين ألف فارس . وكتب إلى أبي دُلَفٍ القاسم بن عيسى بن إدريس العِجْلِيّ وهِلاَل بن عبدالله الحضرميّ في الإنضمام ، وركب إلى باب زبيدة ليودّعها فأوصته بالمأمون بغاية ما يكون أن يوصى به ، وأنه بمنزلة إبنها في الشفقة والموصلة وناولته قيداً من فضة وقالت له : إن سار إليك فقيّده به مع المبالغة في البرّ والأدب معه . ثم سار عليّ بن عيسى من بغداد في شعبان وركب الأمين يشيعه في القوّاد والجنود ولم ير عسكر مثل عسكره . ولقي السفر بالسابلة فأخبروه أنّ طَاهرا بالريّ يعرض أصحابه ، وهو مستعدّ للقتال . وكتب إلى ملوك الدَيْـلَم وطبرستان يعدهم ويمنّيهم ، وأهدى لهم التيجان والأسورة على أن يقطعوا الطرق عن خراسان فأجابوا ، ونزل أوّل بلاد الريّ فأشار عليه أصحابه باذكاء العيون والطلائع ، والتحصن بالخندق فقال : مثل طاهر لا يستعدّ له ، وهو إمّا أن يتحصن بالريّ فيثب إليه أهلها ، وإمّا أن يفرّ إذا قربت منه خيلنا . ولما كان من الريّ على عشرة فراسخ استشار أصحاب طاهر في لقائه فقالوا إلى التحصّن بالريّ فقال : أخاف أن يثب بنا أهلها . وخرج فعسكر على خمسة فراسخ

منها في أقل من أربعة آلاف فارس . وأشار عليه أحمد بن هشام كبير جند خراسان أن ينادي بخلع الأمين وبيعة المأمون لئلا يخادعه عليّ بن عيسى بطاعة الأمين وأنه عامله ففعل ، وقال عليّ لأصحابه بادروهم فإنهم قليل ولا يصبرون على حدّ السيوف وطعن الرماح ، وأحكم تعبية جنده وقدّم بين يديه عشر رايات مع كل راية ألف رجل ، وبين كل رايتين غلوة سهم ليقاتلوا نوباً . وعبىّ طاهر أصحابه كراديس وحرّضهم وأوصاهم ، وهرب من أصحاب طاهر جماعة فجلدهم عليّ وأهانهم ، فأقصر الباقون وجدّوا في قتاله . وأشار أحمد بن هشام على طاهر بأن يرفع كتاب البيعة على رمح ويذكّر علي بن عيسى بها نكثه . ثم اشتدّ القتال وحملت ميمنة عليّ فانهزمت ميسرة طاهر وكذلك ميسرته على ميمنة طاهر فأزالوها ، واعتمد طاهر القلب فهزموهم ورجعت المجنبتان منهزمة وانتهت الهزيمة إلى علي وهو ينادي بأصحابه فرماه رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتله وجاء برأسه إلى طاهر ، وحمل شلوه على خشبة وألقي في بئر بأمر طاهر . واعتق طاهر جميع غلمانه شكراً لله وتمت الهزيمة . واتبعهم أصحاب طاهر فرسخين واقفوهم فيها إثنتي عشرة مرّة يقتلونهم في كلها ويأسرونهم حتى جنّ الليل بينهم . ورجع طاهر إلى الريّ وكتب إلى الفضل : كتابي إلى أمير المؤمنين ورأس علي بين يدي وخاتمة في إصبعي ، وجنده متصرّفون تحت أمري والسلام . وورد الكتاب على البريد في ثلاثة أيام فدخل الفضل على المأمون وهنّأه بالفتح ودخل الناس فسلّموا عليه بالخلافة ووصل رأس عليّ بعدها بيومين وطيف به في خُرَاسان ، ووصل الخبر إلى الأمين بمقتل علي وهزيمة العسكر فأحضر الفضل بن الربيع وكيل المأمون ببغداد وهو نوفل الخادم فقبض ما بيده من ضياعه وغلاّته وخمسين ألف ألف درهم كان الرشيد وصّاه بها وندم الأمين على فعله ، وسعت الجند والقوّاد في طلب الأرزاق فهمّ عبدالله بن حاتم بقتالهم فمنعه الأمين وفرّق فيهم أموالاً .

* (مسير ابن جبلة إلى طاهر ومقتله) *

ولما قتل علي بن عيسى بعث الأمين عبد الرحمن بن الأنباري في عشرين ألف فارس إلى هَـمَـذَان ، وولاّه عليها وعلى كل ما يفتحه من بلاد خراسان وأمدّه بالمال ، فسار إلى همذان وحَصّنها وجاءه طاهر فبرز إليه ولقيه ، فهزمه طاهر إلى البلد . ثم خرج عبد الرحمن ثانية فانهزم إلى المدينة وحاصره طاهر حتى ضجر منه أهل المدينة وطلب الأمان من طاهر وخرج من هَـمَـذَان . وكان طاهر عند نزوله عليها قد خشي من

صاحب قَزْوِين أن يأتيه من ورائه فجهّز العسكر على همذان وسار إلى قزوين في ألف فارس ففرّ عاملها وملكها ثم ملك همذان وسار أعمال الجبل وأقام عبد الرحمن بن جَبْلَة في أمانه . ثم أصاب منه بعض الأيام غرّة فركب وهجم عليه في عسكر فقاتله طاهر أشدّ القتال حتى انهزم أصحابه وقتل ولحق فلّهم بعبدالله وأحمد إبني الحريشيّ في عسكر عظيم بعثهما الأمين مدداً لعبد الرحمن فانهزموا جميعاً إلى بغداد . وأقبل طاهر نحو البلاد وحده وأخذه إلى حُلوان فخندق بها وجمع أصحابه .

* (بيعة المأمون) *

وأمر المأمون عندها بأن يخطب له على المنابر ويخاطب بأمير المؤمنين وعقد للفضل بن سهل على المشرق كلّه من جبل هَمَذَان إلى البيت طولاً ومن بحر فارس إلى بحر الدَيْلَم وجَرْجان عرضاً وحمل له عمّاله ثلاثة آلاف ألف درهم . وعقد له لواء ذا شعبتين ولقّبه ذا الرياستين يعني الحرب والعلم ، وحمل اللواء علي بن هشام ، وحمل العلم نعيم بن حازم وولّى أخاه الحسن بن سهل ديوان الخراج .

* (ظهور السفياني) *

هو عليّ بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية ويلقّب أبا العُمَيْطِر لأنه زعم أنها كنية الحِرْدَوْن فلقّبوه بها ، وكانت أمّه نفيسة بنت عبدالله بن العبّاس بن عليّ بن أبي طالب وكان يقول أنا ابن شيخي صِفّين يعني علياً ومعاوية ، وكان من بقايا بني أمية بالشام وكان من أهل العلم والرواية فادّعى لنفسه بالخلافة آخر سنة خمس وتسعين وأعانه الخطّاب بن وجه العلس [1] مولى بني أمية ، كان متغلّباً على صيدا فملك دمشق من يدّ سليمان بن المنصور، وكان أكثر أصحابه من كَلْب . وكتب إلى محمد بن صالح بن بَيْهَس يدعوه ويتهدّده فأعرض عنه وقصد السُفْيَانِيّ القيسية فاستجاشوا بمحمد بن صالح فجاءهم في ثلثمائة فارس من الصبات [2] ومواليه . وبعث السفيانيّ يزيد بن هشام للقائهم في إثني عشر ألفاً فانهزم يزيد وقتل من أصحابه ألفان وأسّر ثلاثة آلاف أطلقهم ابن بَيْهَس وحلقهم . ثم جمع جمعاً مع إبنه القاسم وخرجوا

---

(١) الخطاب بن وجه الفُلْس : ابن الاثير ج ٦ ص ٢٤٩ .
(٢) الضباب ومواليه : المرجع السابق .

إلى ابن بيهس فانهزموا وقتل القاسم وبعث برأسه إلى الأمين . ثم جمع جمعاً آخر وخرجوا مع مولاه المُعْتَمِر فانهزموا وقتل المعتمر فوهن أمر السفيانيّ وطمعت فيه قيس . ثم إنّ ابن بَيْهَس مرض فجمع رؤساء بني نُمَيْر وأوصاهم ببيعة مَسْلَمَة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعد بن مَسْلَمَة عبد الملك بالخلافة . وقال لهم : تولوه وكيدوا به السفيانيّ فإنكم لا تتقون بأهل بيته . وعاد ابن بَيْهَس إلى حِوران واجتمعت نمير على مسلمة فبايعوه فقتل منهم وجمع مواليه ودخل على السفيانيّ فقيّده وحبس رؤساء بني أمية ، وأدنى القَيْسيّة وجعلهم بطانة . وأفاق ابن بَيْهَس من مرضه فجاء إلى دمشق وحاصرها وسلّمها له القيسية في محرّم سنة ثمان وتسعين وهرب مسلمة والسفيانيّ إلى المزّة وملك ابن بَيْهَس دمشق إلى أن قدم عبدالله بن طاهر دمشق وسار إلى مِصْر ثم عاد إليها فاحتمل ابن بَيْهَس معه إلى العراق ومات بها .

* (مسير الجيوش الى طاهر ورجوعهم بلا قتال) *

ولما قتل عبد الرحمن بن جَبَلة أرسل الفضل بن الربيع إلى أسد بن يزيد بن مَزْيَد ودعاه لحرب طاهر بعد أن وَلِيَ الأمين الخلافة ، وشكر لأسد فضل الطاعة والنصيحة وشدّة البأس ويُمْن التقيّة ، وطلب منه أرزاق الجند من المال لسنة ، وألف فرس تحمل من معه بعد إزاحته عللهم بالأموال ، وأن لا يطلب بحسبان ما يفتتح . فقال قد أشططت ولا بدّ من مناظرة أمير المؤمنين ثم ركب ودخل على الأمين فأمر بحبسه ، وقيل إنه طلب ولديْ المأمون كانا عند أمّها إبنة الهادي ببغداد بحملها معه ، فإن أطاعه المأمون وإلاّ قتلها . فغضب الأمين لذلك وحبسه ، واستدعى عبدالله بن حميد بن قَحْطَبَة فاشتط وكذلك فاستدعى أحمد بن مَزْيَد واعتذر له عبس أسد وبعثه لحرب طاهر ، وأمر الفضل بأن يجهّز له عشرين ألف فارس وشفع في أسد ابن أخيه فأطلقه . ثم سار وسار معه عبدالله بن حميد بن قَحْطَبَة في عشرين ألفاً أخرى ، وانتهوا إلى حُلوان وأقاموا[1] وطاهر بموضعه ودس المرجفين في عسكرهم بأنّ العطاء والمنع ببغداد والجند يقبضون أرزاقهم . حتى مشى الجند بعضهم إلى بعض ، واختلفوا واقتتلوا ورجعوا من غير لقاء . وتقدّم طاهر فنزل

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ٦ ص ٢٥٦ : «واقام أحمد وعبدالله بخانقين واقام طاهر بموضعه ، ودس الجواسيس والعيون ، وكانوا يُرْجفون في عسكر أحمد وعبدالله» .

حُلوان وجاءه هَرْثَمَة في جيش من عند المأمون ومعه كتاب بأن يسلّم إلى هَرْثَمَة ما ملكه من المدن ويتقدّم إلى الأهواز ففعل ذلك .

* (أمر عبد الملك بن صالح وموته) *

قد تقدّم لنا حبس عبد الملك بن صالح إلى أن مات الرشيد وأخرجه الأمين ، ولما كان أمر طاهر جاء عبد الملك إلى الأمين وأشار عليه بأن يقدّم أهل الشام لحربه ، فهم أجرأ من أهل العراق وأعظم نكاية في العدوّ ، وضمن طاعتهم بذلك ، فولاّه الأمين أهل الشام والجزيرة وقوّى له بالمال والرجال واستحثه ، فسار إلى الرقّة وكاتب أهل الشام فتسالموا إليه فأكرمهم وخلع عليهم وكثرت جموعه . ثم مرض واشتدّ مرضه ووقعت فتنة في عسكره بين الخراسانيّين وأهل الشام بسبب دابة أخذت لبعضهم في وقعة سليمان بن أبي جعفر وعرفها عند بعض أهل الشام ، فاقتتلوا وأرسل إليهم عبد الملك بالقتل فلم يقتّلوا ، وكثر القتل وأظهر عبد الملك النُصْرَة للشاميّين وانتقض الحُسَيْن ابن عليّ للخراسانيين ، وتنادى الناس بالرجوع إلى بلادهم فمضى أهل حمص وقبائل كلب فانهزم أهل الشام وأقام عبد الملك بن صالح بالرقّة ، توفي بها .

* (خلع الامين واعادته) *

ولما مات عبد الملك بن صالح نادى الحسين بن عليّ في الجند بالرحيل إلى بغداد وقدمها فلقيه القوّاد ووجوه الناس ودخل منزله واستدعاه الأمين من جوف الليل فامتنع وأصبح ، فوافى باب الجسر وأغراهم بخلع الأمين وحذّرهم من نكثة ثم أمرهم بعبور الجسر فعبروا ولقيه أصحاب الأمين فانهزموا ، وذلك منتصف رجب سنة ست ، وأخذ البيعة للمأمون من الغد ووثب العبّاس بن عيسى بن موسى بالأمين فأخرجه من قصر الخلد وحبسه بقصر المنصور ومعه أمّه زبيدة ، فلما كان من الغد طلب الناس أرزاقهم من الحسين وماج بعضهم في بعض ، وقام محمد بن أبي خالد فنكر استبداد الحسين بخلع الأمين وليس بذي منزلة ولا حسب ولا نسب ولا غنائم . وقال أسد الحربي قد ذهب أقوام بخلع الأمين فاذهبوا أنتم بفكّه يا معشر الحربيّة ، فرجع الناس على أنفسهم باللائمة وقالوا ما قتل قوم خليفتهم إلا سلّط الله عليهم السيف . ثم نهضوا إلى الحسين وتبعهم أهل الأرض فقاتلوه قتالاً شديداً وأسروه ودخل

أسد الحربي إلى الأمين وكسر قيوده وأجلسه على أريكته ، وأمرهم بلبس السلاح فانتهبه الغوغاء وجيء بالحسين إليه أسيراً ، فاعتذر إليه وأطلقهم وأمره بجمع الجند والمسير إلى طاهر وخلع عليه ما وراء بابه ووقف الناس يهنئونه بباب الجسر حتى إذا خف عنه الناس قطع الجسر وهرب . وركب الجند في طلبه وأدركوه على فرسخ من بغداد وقتلوه وجاؤا برأسه إلى الأمين واختفى الفضل بن الربيع عند ذلك فلم يوقف له على خبر .

* (استيلاء طاهر على البلاد) *

ولما جاء كتاب المأمون بالمسير إلى الأهواز قدم إليها الحسين بن عمر الرُسْتُمِي وسار في أثره وأتته عيونه بأنّ محمد بن يزيد بن حاتم قد توجّه من قبل الأمين في جند ليحمي الأهواز من أصحاب طاهر ، فبعث من أصحابه محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعبّاس بن بُخارا خُذَاه مدداً للرستمي . ثم أمدّهم بقريش بن شبل ثم سار بنفسه حتى كان قريباً منهم وأشرفوا على محمد بن يزيد مكرم وقد أشار إليه أصحابه بالرجوع إلى الأهواز والتحصّن بها حتى تأتيه قومه الأزد من البصرة ، فرجع وأمر طاهر قريش شبل باتّباعه قبل أن يتحصّن بالأهواز ، فخرج لذلك وفاته محمد بن يزيد إلى الأهواز وجاء على أثره فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وفرّ أصحاب محمد واستمات هو ومواليه حتى قتلوا . وملك طاهر الأهواز وولّى على اليمامة والبحرين وعُمان ثم سار إلى واسط وبها السِّنْدِيّ بن يحيى الحريشيّ والهَيْثَم بن شُعْبَة خليفة خُزَيْمَة بن حازِم ، فهربا عنها وملكها طاهر وبعث قائداً من قوّاده إلى الكوفة وبها العبّاس بن الهادي ، فخلع الأمين وبايع للمأمون ، وكتب بذلك إلى طاهر وكذلك فعل المنصور بن المهدي بالبصرة والمطّلب بن عبدالله بن مالك بالموصل ، وأقرّهم طاهر على أعمالهم . وبعث الحرث بن هشام وداود بن موسى إلى قصر ابن هُبَيْرَة وأقام بجرجايا[1] ولما بلغ الخبر بذلك إلى الأمين بعث محمد بن سليمان القائد ومحمد بن حماد البربري إلى قصر ابن هُبَيْرَة فقاتلهم الحرث وداود قتالاً شديداً وهزموهم إلى بغداد . وبعث الأمين أيضاً الفضل بن موسى على الكوفة ، فبعث إليه طاهر بن العلاء في جيش فلقيه في طريقه فأراد مسالمته بطاعة المأمون كياداً ثم قاتله فانهزم الى بغداد . ثم سار طاهر إلى المدائن

(١) جَرْجرايا : ابن الاثير ج ٦ ص ٢٦٤ ، طرنايا : الطبري ج ١٠ ص ١٦٨ .

وعليها البرمكي والمدد متصل له كل يوم ، فقدم قريش بن شبل ، فلما أشرف عليهم وأخذ البرمكي في التعبية فكانت لا تتمّ له ، فأطلق سبيل الناس وركب بعضهم بعضاً نحو بغداد ، وملك طاهر المدائن ونواحيها ثم نزل صَرْصَر وعقد بها جسراً .

* (بيعة الحجاز للمأمون) *

ولما أخذ الأمين كتب العهد من مكة وأمر داود بن عيسى ، وكان على مكة والمدينة بخلع المأمون قام في الناس ونكر نقض العهد ، وذكّرهم ما أخذ الرشيد عليهم من الميثاق لابنيه في المسجد الحرام أن يكونوا على الظالم ، وأنّ محمداً بدأ بالظلم والنكث وخلع أخوية وبايع لطفلٍ صغير رضيع ، وأخذ الكتابين من الكعبة فحرقهما ظلماً ثم دعا إلى خلعه والبيعة للمأمون فأجابوه ، ونادى بذلك في شعاب مكّة وخطبهم . وكتب إلى إبنه سليمان بالمدينة بمثل ذلك ففعله ، وذلك في رجب سنة ست وتسعين . وسار من مكة على البصرة وفارس وكرمان إلى المأمون وأخبره فسرّ بذلك وولاّه مكانه وأضاف إليه ولاية عَكّ وأعطاه خمسمائة ألف درهم وسيّر معه ابن أخيه العبّاس بن موسى بن عيسى بن موسى على الموسم ويزيد بن جرير بن مَزْيَد بن خالد القسريّ في جند كثيف عاملاً على اليمن ومرّوا بطاهر وهو محاصر بغداد فأكرمهم وأقام يريد اليمن فبايعوه للمأمون وأطاعوه .

* (حصار بغداد واستيلاء طاهر عليها ومقتل الأمين) *

ولما اتصلت بالأمين هذه الأحوال وقتل الحسين بن علي بن عيسى ، شمّر لحرب طاهر واستعدّ له وعقد في شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة[1] شتى وأمر عليهم عليّ بن محمد بن عيسى نَهيك ، وأمرهم بالمسير إلى هَرْثَمَة فساروا إليه والتقوا بنواحي النَهْرَوان في رمضان فانهزموا وأسر قائدهم عليّ بن محمد فبعث به هرثمة إلى المأمون وترك النهروان ، وأقام طاهر بصَرْصَر والجيوش تتعاقب من قبل الأمين فيهزمها . ثم بذل الأمين الأموال ليستفسد بها عساكرهم فسار إليه من عسكر طاهر نحو من خمسة آلاف ففرّق فيهم الأموال وقوّد جماعة من الحَرْبِيّة ودسّ إلى رؤساء

(١) بياض في الاصل وفي الكامل ج ٦ ص ٢٦٧ : «وفي هذه السنة اي سنة ست وتسعين ومائة عقد محمد الأمين في رجب وشعبان ، نحواً من اربعمائة لواء لقوّاد شتى ، وأمّر عليهم عليّ بن محمّد بن عيسى بن نهيك ...»

الجند في عسكر طاهر ورغّبهم فشغبوا على طاهر وسار كثير منهم إلى الأمين، وانضموا إلى قوّاد الحربية وقوّاد بغداد وساروا إلى صَرْصَر. فعبىّ أصحابه كراديس وحرّضهم ووعدهم. ثم تقدّم فقاتلهم مَلِيًّا من النهار وانهزم أصحاب الأمين، وغنم أصحاب طاهر عسكرهم. ولما وصلوا إلى الأمين فرّق فيهم الأموال وقوّد منهم جماعة ولم يعط المنهزمين شيئاً ودس إليهم طاهر واستمالهم فشغبوا على الأمين فأمر هؤلاء المحدثين بقتالهم وطاهر يراسلهم وقد أخذ رهائنهم على الطاعة، وأعطاهم الأموال. فسار فنزل باب الانبار بقوّاده وأصحابه واستأمن إليه كثير من جند الأمين، وثارت العامّة وفتقت السجون، ووثب الشطّار على الأخيار ونزل زهير بن مسيّب الضبيّ من ناحية، ونصب المجانيق والعرّادات، وحفر الخنادق ونزل هَرْثَمَة بناحية أخرى وفعل مثل ذلك. ونزل عبيدالله بن الوضّاح بالشماسِيّة ونزل طاهر بباب الأنبار فضيّق على الأمين بمنزله ونفد ما كان بيد الأمين من الأموال، وأمر ببيع ما في الخزائن من الأمتعة وضرب آنية الذهب والفضة ليفرّقها في الجند، وأحرق الحديثة فمات بها خلق، واستأمن سعيد ابن مالك بن قادم إلى طاهر فولاّه الأسواق وشاطىء دجلة، وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان وكل ما غلب عليه من الدروب، وأمده بالرجال والأموال. ووكّل الأمين بقصر صالح وقصر سليمان بن المنصور إلى دجلة بعض قوّاده فألحّ في إحراق الدور والرمي بالمجانيق وفعل طاهر مثل ذلك. وكثر الخراب ببغداد وصار طاهر يخندق على ما يمكنه من النواحي ويقاتل من لم يجبه، وقبض ضياع من لم يخرج إليه من بني هاشم والقوّاد وعجز الأجناد عن القتال. وقام به الباعة والعيّارون وكانوا ينهبون أموال الناس. واستأمن إليه القائد المُوكَّل بقصر صالح فأمّنه وسلّم إليه ما كان بيده من تلك الناحية في جمادى الأخيرة من سنة سبع. واستأمن إليه محمد بن عيسى صاحب الشُرَطَة فوهن الأمين. واجتمع العيّارون والباعة والأجناد وقاتلوا أصحاب طاهر في قصر صالح، وقتلوا منهم خلقاً وكاتب طاهر القوّاد بالأمان وبيعة المأمون فأجابه بنو قَحْطَبَة كلّهم ويحيى بن علي بن ماهان ومحمد بن أبي العبّاس الطائي وغيرهم. وفشل الأمين وفوّض الأمر إلى محمد بن عيسى بن نَهِيك وإلى الحسن الهرش، ومعهم الغوغاء يتولون أمر تلك الفتنة. وأجفل الناس من بغداد وافترقوا في البلاد. ولما وقع بطاهر في قصر صالح ما وقع بأصحابه شرع في هدم المباني وتخريبها ثم قطع الميرة عنهم وصرف السفن التي تحمل فيها الى الفرات. فغلت الأسعار

وضاق الحصار واشتدّ كَـلَـبُ العيّارين فهزموا عبيدالله بن الوضّاح وغلبوه على الشماسية . وجاء هَـرْثَـمَـة ليعينه فهزموه أيضاً وأسروه ثم خلصه أصحابه . وعقد طاهر جسراً فوق الشماسية وعبر إليهم وقاتلهم أشدّ قتال فردّهم على أعقابهم ، وقاتل منهم بشراً كثيراً وعاد ابن الوضّاح إلى مركزه وأحرق منازل الأمين بالخيزرانيّة ، وكانت النفقة فيها بلغت عشرين ألف درهم . وأيقن الأمين بالهلاك وفرّ منه عبدالله بن حازم ابن خُـزَيْـمَـة إلى المدائن لأنه اتّهمه وحمل عليه السَـفَـلَـة والغوغاء . ويقال بل كاتبه طاهر وقبض ضياعه فخرج عن الأمين وقصد الهرش ومن معه جزيرة العبّاس من نواحي بغداد فقاتلهم بعض أصحاب طاهر وهزموهم وغرق منهم خلق كثير وضجر الأمين وضعف أمره وسار المؤتمن بن الرشيد إلى المأمون فولاّه جرجان وكاتب طاهر خزيمة بن حازم ومحمد بن علي بن موسى بن ماهان وأدخلهما في خلع الأمين فأجاباه ووثبا آخر محرّم من سنة ثمان وتسعين فقطعا جسر دجلة وخلع الأمين وبعث إلى هَرْثَـمَـة وكان بازائهما فسار إليهما من ناحيته ودخل عسكر المهدي وملكه وقدم طاهر من الغد إلى المدينة والكرخ فقاتلهم وهزمهم وملكها عنوة ونادى بالأمان ووضع الجند بسوق الكرخ وقصر الوضّاح وأحاط بمدينة المنصور وقصر زُبَـيْـدَة وقصر الخُـلْـد من باب الجسر إلى باب البصرة وشاطىء الصراة إلى مصبها في دجلة ونصب عليها المجانيق . واعتصم الأمين في أمّه وولده بمدينة المنصور ، واشتدّ عليه الحصار وثبت معه حاتم بن الصقر والحريشيّ والأفارقة . وافترق عامّة الجنود والخصيان والجواري في الطرق وجاء محمد بن حاتم بن الصقر ومحمد بن إبراهيم بن الأغلب الأفريقي إلى الأمين وقالا له بقي من خيلك سبعة آلاف فرس نختار سبعة آلاف فنجعلهم عليها ونخرج على بعض الأبواب ولا يشعر بنا أحد ونلحق بالجزيرة والشام فيكون ملك جديد ، وربما مال إليك الناس ويحدث الله أمراً فاعتزم على ذلك وبلغ الخبر إلى طاهر فكتب إلى سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندي بن شاهك يتهدّدهم إن لم يصرفوه عن ذلك الرأي . فدخلوا على الأمين وحذّروه من ابن الصقر وابن الأغلب أن يجعل نفسه في أيديهم فيتقرّبوا به إلى طاهر وأشاروا عليه بطلب الأمان على يد هَـرْثَـمَـة بن أعْـيَن والخروج إليه وخالفهم إليه ابن الصقر وابن الأغلب . وقالوا له إذا ملت إلى الخوارج فطاهر خيرٌ لك من هَـرْثَـمَـة فأبى وتطيّر من طاهر وأرسل إلى هَـرْثَـمَـة يستأمنه . فأجابه أنه يقاتل في أمانة المأمون فمن دونه

وبلغ ذلك طاهراً فعظم عليه أن يكون الفتح لهَرْثَـمَـة واجتمع هو وقوّاده لهرثمة وقوّاده في منزل خُزَيْـمَـة بن حازم ، وحضر سليمان والسنديّ وابن نهيك وأخبروا طاهراً أنه لا يخرج إليه أبداً وأنه يخرج إلى هرثمة ويدفع إليك الخاتم والقضيب والبردة وهو الخلافة فرضي . ثم جاء الهرش وأسرّ إليه أنهم يخادعونه وأنهم يحملونها مع الأمين إلى هرثمة فغضب وأعدّ رجالاً حول قصور الأمين ، وبعث إليه هرثمة لخمس بقين من محرّم سنة ثمان وتسعين بأن يتربص ليلة لأنه رأى أولئك الرجال بالشط فقال : قد افترق عني الناس ولا يمكنني المقام لئلا يدخل عليّ طاهر فيقتلني . ثم ودّع إبنيه وبكى وخرج إلى الشط وركب حراقة هرثمة . وجعل هرثمة يقبل يديه ورجليه وأمر بالحراقة أن تدفع وإذا بأصحاب طاهر في الزواريق فشدّوا عليها ونقبوها ورموهم بالآجر والنشّاب فلم يرجعوا ودخل الماء إلى الحراقة فغرقت. قال أحمد بن سالم صاحب المظالم : فسقط الأمين وهرثمة وسقطنا فتعلق الملاح بشعر هرثمة وأخرجه وشق الأمين ثيابه . قال : وخرجت إلى الشطّ فحملت إلى طاهر فسألني عن نفسي فانتسبت وعن الأمين فقلت غرق فحملت إلى بيت وحبست فيه حتى أعطيتهم مالاً فاديتهم به على نفسي . فبعد ساعة من الليل فتحوا عليّ الباب وأدخلوا عليّ الأمين عريان في سراويل وعمامة وعلى كتفه خرقة فاسترجعت وبكيت . ثم عرفني فقال : ضُـمَّـني إليك فإني أجد وحشة شديدة ، فضممته وقلبه يخفق فقال : يا أحمد ما فعل أخي ؟ فقلت : حيّ قال : قبح الله بريدهم كان يقول قدمات ، يريد بذلك العذر عن محاربته فقلت : بل قبّح الله وزراءك ، فقال : تراهم يفون لي بالأمان ؟ قلت : نعم إن شاء الله . ثم دخل محمد بن حميد الطاهري فاستثبتنا حتى عرفه وانصرف ، ثم دخل علينا منتصف الليل قوم من العجم منتضين سيوفهم فدافع عن نفسه قليلاً ثم ذبحوه ومضوا برأسه إلى طاهر ثم جاؤا من السحر فأخذوا جثته . ونصب طاهر الرأس حتى رآه الناس ثم بعث به إلى المأمون مع ابن عمه محمد بن الحسن بن مصعب ومعه الخاتم والبردة والقضيب وكتب معه بالفتح فلما رآه المأمون سجد . ولما قتل الأمين نادى طاهر بالأمان ودخل المدينة يوم الجمعة فصلّى بالناس وخطب للمأمون وذمّ الأمين ، ووكّل بحفظ القصور الخلافِيّة ، وأخرج زبيدة أمّ الأمين وإبنيه موسى وعبدالله إلى بلاد الزاب الأعلى . ثم أمر بحمل الولدين إلى المأمون وندم الجند على قتله وطالبوا طاهر بالأموال فارتاب بجند بغداد وبجنده أنهم تواطؤا عليه

وثاروا به لخمس من قتل الأمين . فهرب إلى عَقَرْقُوبا[1] ومعه جماعة من القوّاد ثم تعبّى لقتالهم فجاؤا واعتذروا وأحالوا على السفهاء والأحداث فصفح عنهم وتوعّدهم أن يعودوا لمثلها ، وأعطاهم أربعة أشهر . واعتذر إليه مشيخة بغداد وحلفوا أنهم لم يدخلوا الجند في شيء من ذلك ، فقبل منهم ووضعت أهل الحرب أوزارها واستوسق[2] لأمر للمأمون في سائر الأعمال والممالك . ثم خرج الحسن الهرش في جماعة من السفلة واتبعه كثير من بوادي الأعراب ودعا إلى الرضا من آل محمد وأتى النيل فجبى الأموال ونهب القرى وولّى المأمون الحسن بن سهل أخا الفضل على ما افتتحه طاهر من كور الجبل والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن ، فقدم سنة تسعة وتسعين وفرّق العمّال وولّى طاهراً على الجزيرة والموصل والشام والمغرب وأمره أن يسير إلى قتال نَصْر بن شبيب ، وأمر هرثمة بالمسير إلى خراسان وكان نَصْر بن شبيب من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر في كَيْسُوم شمالي حلب ، وكان له ميل إلى الأمين . فلما قتل أظهر الوفاء له بالبيعة وغلب على ما جاوره من البلاد ، وملك سميساط واجتمع عليه خلق كثير من الأعراب وعبر إلى شرقي العراق وحصر حرّان . وسأل منه شيعة الطالبيّن أن يبايعوا لبعض آل عليّ لما رأوه من بني العبّاس ورجالهم وأهل دولتهم وقال : والله لا أبايع أولاد السوداوات ، فيقول : إنه خلقني ورزقني . قالوا : فبعض بني أمية قال قد أدبر أمرهم والمُدْبِرُ لا يُقْبِل ولو سلم عليّ رجل مدبر لأعداني بإدباره ، وإنما هو اي في بني العباس ، وإنما حاربتهم لتقديمهم العجم على العرب . ولما سار إليه طاهر نزل الرقّة وأقام بها وكتب إليه يدعوه إلى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه وجاء الخبر إلى طاهر في الرقّة وفاة أبيه الحسين بن زُرَيْق بن مصعب بخراسان وأنّ المأمون حضر جنازته ، ونزل الفضل قبره وجاءه كتاب المأمون يعزّيه فيه . وبعد قتل الأمين كانت الوقعة بالموصل بين اليمانية والنزارية وكان عليّ بن الحسن الهَمَدَاني متغلّباً على الموصل فعسف بالنزارية وسار عثمان بن نعيم البرجميّ إلى ديار مصر وشكا إلى أحيائهم واسْتَنْفَرَهم فسار معه من مِضَرَ عشرون ألفاً وأرسل إليهم عليّ بن الحسن بالرجوع إلى ما يريدون ، فأبى عثمان فخرج عليّ في أربعة آلاف فهزمهم وأثخن فيهم وعادا إلى البلد .

---

(١) عقرقوف : ابن الاثير ج ٦ ص ٢٩٦ .

(٢) لعلها استوثق .

* (ظهور ابن طباطبا العلوي) *

لما بعث المأمون الحسن بن سهل إلى العراق وولّاه على ما كان افتتحه طاهر من البلاد والأعمال تحدّث الناس أنّ الفضل بن سهل غلب على المأمون واستبدّ عليه وحجبه عن أهل بيته وقوّاده ، فغضب بنو هاشم ووجوه الناس واجترؤا على الحسن بن سهل وهاجت الفتنة وكان أبو السرايا السريّ بن منصور يذكر أنه من بني شيبان من ولد هانىء بن قُبَيْصَة بن هانىء بن مسعود ، وقيل من بني تميم بالجزيرة وطلب فعبر إلى شرقي الفرات وأقام هنالك يُخيف السابلة ، ثم لحق بيزيد بن مَزْيَد بأرمينية في ثلاثين فارساً فقوّده وقاتل معه الحرمية[1] وأسر منهم وأخذ منهم غلامه أبا الشوك . ومات يزيد بن مَزْيَد فكان مع ابنه أسد وعزل أسد فسار إلى أحمد بن مَزْيَد . ولما بعث الأمين أحمد بن مزيد لحرب هَرْثَـمَة بعثه طليعة إلى عسكره ، فاستماله هرثمة فمال إليه ولحق به وقصد بني شيبان مع الجزيرة واستخرج لهم الأرزاق من هرثمة واجتمع إليه أزيد من ألفي فارس . فلما قتل الأمين تعصى هرثمة عن أرزاقهم فغضب واستأذن في الحج فأذن له وأعطاه عشرين ألف درهم ففرّقها في أصحابه ومضى وأوصاهم باتباعه ، فاجتمع له منهم نحو مائتين وسار إلى عين التمر فأخذوا عاملها وقسّموا ماله ولقوا عاملاً آخر بمال موقور على ثلاثة أنفار فاقتسموه وأرسل هرثمة عسكرا خلفه فهزمهم ودخل البرية ولحق به من تخلّف من أصحابه فكثر جمعه وسار نحو دقوقا وعليها أبو ضرغامة في سبعمائه فارس فخرج وقاتله فهزمه ورجع إلى القصر فحاصره أبو السرايا حتى نزل على الأمان وأخذ أمواله . وسار إلى الأنبار وعليها إبراهيم الشَّرَوِيّ مولى المنصور ، فقتله وأخذ ما فيها وعاد إليها عند إدراك الغلال فافتتحها . ثم قصد الرقّة ومرّ بطوق بن مالك التغلبي فاستجاشه على قيس فأقام عنده أربعة أشهر يقاتل قيساً بعصبية ربيعة حتى انقادت قيس إلى طوق . وسار أبو السرايا إلى الرقّة فلقي محمد بن إبراهيم بن إسمعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط بن عليّ وتلقّب أبوه إبراهيم طباطبا فدعاه إلى الخروج ، وأنفذ إلى الكوفة فدخلاها وبايعهم أهلها على بيعة الرضا من آل محمد ، ونهب أبو السرايا قصر العبّاس بن موسى بن عيسى ، وأخذ ما فيه من الأموال والجواهر ما لا يحصى ، وذلك منتصف جمادى الأخيرة سنة تسعة

---

(١) الخُرَّمِيَّة : ابن الاثير ج ٦ ص ٣٠٣ .

وتسعين ، وقيل إنّ أبا السرايا مطله هرثمة بأرزاق أصحابه فغضب ومضى إلى الكوفة فبايع ابن طباطبا . ولما ملك الكوفة هرع إليه الناس والأعراب من النواحي فبايعوه ، وكان عليها سليمان بن المنصور من قبل الحسن بن سهل فبعث إليه زهير بن المسيّب الضبّي في عشرة آلاف وخرج إليه ابن طباطبا وأبو السرايا فهزموه واستباحوا عسكره وأصبح محمد بن طباطبا من الغدميتاً فنصب أبو السرايا مكانه غلاماً من العلويّة ، وهو محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين واستبد عليه . ورجع زهير إلى قصر ابن هُبَيْرَة فأقام به وبعث الحسن بن سهل عبدوسَ ابن محمد بن خالد المَرْوَرُوذي في أربعة آلاف فلقيه أبو السرايا منتصف رجب وقتله ولم يفلت من أصحابه أحد كانوا بين قتيل وأسير ، وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة وبعث جيوشاً إلى البصرة وواسط ، وولّى على البصرة العبّاس بن محمد بن عيسى بن محمد الجعفري ، وعلى مكة الحُسَيْن الأفطس بن الحسين بن علي زين العابدين وجعل إليه الموسم . وعلى اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ، وعلى فارس إسمعيل بن موسى بن جعفر الصادق ، وعلى الأهواز زيد بن موسى الصادق ، فسار إلى البصرة وأخرج عنها العبّاس بن محمد بن داود بن الحسن المثنّى إلى المدائن وأمره أن يأتي بغداد من الجانب الشرقيّ ففعل . وكان بواسط عبدالله بن سعد الخرشي من قبل الحسن بن سهل ففرّ أمامهم وبعث الحسن بن سهل إلى هَرْثَمَة يستدعيه لحرب أبي السرايا ، وكان قد سار إلى خراسان مغاضباً له ، فرجع بعد امتناع ، وسار إلى الكوفة في شعبان وبعث الحسن إلى المدائن وواسط عليّ بن أبي سعيد وأبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هَبَيْرَة فوجه جيشاً إلى المدائن فلكوها في رمضان . وتقدّم فنزل نهر صَرْصَر وعسكر هَرْثَمَة بازائه غدوة . وسار عليّ بن أبي سعيد في سؤال المدائن فحاصر بها أصحاب أبي السرايا ، ورجع هو من نهر صرصر إلى قصر ابن هَبَيْرَة وهَرْثَمَة وأتباعه ، ثم حصره وقتل جماعة من أصحابه فانحاز إلى الكوفة ووثب الطالبيّون على دور بني العبّاس وشيعتهم فنهبوها وخرّبوها وأخرجوهم واستخرجوا ودائعهم عند الناس ، وكان على مكة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ ، فلما بلغه قدوم حسين الأفطس جمع شيعة بني العبّاس . وكان مسرور الكبير قد حجّ في مائة فارس فتعبّى للحرب ودعا داود إلى حربهم فقال : لا أستحلّ ذلك في الحرم وخرج إلى العراق وتبعه مسرور وكان حسين الأفطس بسَرِف يخاف دخول مكة فبلغه

الخبر ان مكه قد خلت من بني العبّاس عنها فدخل في عشرة أنفس وطاف وسعى ووقف بعرفة ليلاً وأتم الحجّ . وأقام هَرْثَمَة بنواحي الكوفة يحاصرها ، واستدعى منصور بن المهدي وكاتب رؤساء الكوفة وسار عليّ بن سعيد من المدائن إلى واسط فملكها ، ثم توجه إلى البصرة واشتدّ الحصار على أبي السرايا بالكوفة فهرب عنها في ثمانمائة فارس ومعه صاحبه الذي نصبه وهو محمد بن جعفر بن محمد ودخلها هرثمة منتصف محرم فأقام بها يوما وولّى عليها غسّان صاحب الحرس بخراسان وعاد وقصد أبو السرايا القادسية وسار منها إلى السوس ولقي بخراسان مالاً حُمِلَ من الأهواز فقسّمه في أصحابه . وكان على الأهواز الحسن بن علي المأموني ، فخرج إليه فقاتله فهزمه وافترق أصحابه وجاء إلى منزله برأس عين من جلولاء ومعه صاحبه محمد وغلامه أبو الشوك فظفر بهم حمّاد الكند غوش وجاء بهم إلى الحسن بن سهل في النهروان فقتل أبا السرايا وبعث برأسه إلى المأمون ، وبصاحبه محمد معه ، ونصب شلوه على جسر بغداد . وسار عليّ بن أبي سعيد إلى البصرة فملكها من يد زيد بن موسى بن جعفر الصادق ، وكان يسمّى زيد النار لكثرة ما أحرق من دور العبّاسيين وشيعتهم فاستأمن إليه زيد فأمنّه وأخذه ، وبعث الجيوش إلى مكّة والمدينة واليمن لقتال من بها من العلويين ، وكان إبراهيم بن موسى بن جعفر بمكة فلما بلغه خبر أبـي السرايا ومقتله ولّى وسار إلى اليمن وبها إسحق بن موسى فهرب إلى مكة ، واستولى ابراهيم على اليمن وكان يسمى الجزّار لكثرة قتله وفتكه . ثم بعث رجِلاً من ولد عقيل بن أبي طالب إلى مكة ليحجّ بالناس وقد جاء لذلك أبو الحسن المعتصم في جماعة من القوّاد فيهم حدوية بن علي بن عيسى بن ماهان ، والياً على اليمن من قبل الحسن بن سهل ، فخام العقيلي عن لقائهم واعترض قافلة الكسوة فأخذها ونهب أموال التجّار ودخل الحجاج إلى مكة عراة فبعث الخلودي من القوّاد فصبحهم وهزمهم وأسر منهم وتفقد أموال التجّار وكسوة الكعبة وطيبها وضرب الأسراء عشرة أسواط لكل واحد وأطلقهم وحجّ المعتصم بالناس .

* (بيعة محمد بن جعفر بمكة) *

هو محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين ويلقّب الديباجة ، وكـان عـالماً زاهـداً ويروى عـن أبيـه وكـان النـاس يكتبـون عنـه . ولما ملك الحسين الأفطس

مكة كما ذكرناه عاث فيها ونزع كسوة الكعبة وكساها بأخرى من الغد أنفذها أبو السرايا من الكوفة وتتبع ودائع بني العباس وجعلها ذريعة لأخذ أموال الناس فخرجوا من مكة . وقلع أصحابه شبابيك الحرم وقلع ما على الأساطين من الذهب واستخرج ما كان في الكعبة من المال فقسمه في أصحابه وساء أثره في الناس . فلما قتل أبو السرايا تنكروا له فخشي على نفسه فجاء إلى محمد بن جعفر ليبايع له بالخلافة فلم يزل به هو وابنه حسن واستعانا عليه بابنه علي حتى بايعوه ودعوه بأمير المؤمنين . واستبدّ عليه إبنه عليّ وابن الأفطس بأسوا مما كان قبل ، وأفحشوا في الزنا واللواط واغتصاب النساء والصبيان ، فاجتمع الناس على خلع محمد بن جعفر أو يردّ إليهم ابن القاضي كان مغتصبا ببيت ابنه عليّ ، فاستأمنهم حتى ركب إلى بيت ابنه وسلّم إليهم الغلام . وجاء إسحق بن موسى بن عيسى من اليمن فاجتمع الناس وخندقوا مكة وقاتلهم إسحق وامتنعوا عليه فسار نحو العراق ولقي الجند الذين بعثهم هرثمة إلى مكة مع الجلودي ورجاء بن جميل ، وهو ابن عم الحسين بن سهل . فرجع بهم وقاتل الطالبيّين فهزمهم وافترقوا ، واستأمن إليه محمد بن جعفر فأمّنه وملك مكة وسار محمد ابن جعفر إلى الجَحْفَة ، ثم إلى بلاد جُهَيْنَة فجمع وقاتل هرون بن المسيّب والي المدينة ، فانهزم محمد وفُقِئَت عينه وقتل خلق من أصحابه ورجع إلى موضعه . ولما انقضى الموسم استأمن الجلودي ورجاء بن جميل فأمّناه ودخل مكة وخطب واعتذر عما فعله بأنه بلغه موت المأمون ثم صح أنه حيّ ، وخلع نفسه وسار إلى الحسن والي المأمون بمَرْو فلم يزل عنده إلى أن سار المأمون إلى العراق فمات بجرجان في طريقه .

* (مقتل هرثمة) *

لما فرغ هرثمة من أبي السرايا رجع ، وكان الحسن بن سهل بالمدائن فلم يعرج عليه وسار على عقرقوبا إلى النهروان قاصداً خراسان ، ولقيته كتب المأمون متلاحقة أن يرجع إلى الشام والحجاز ، فأبى إلاّ لقاءه دالة عليه بما سبق له من نصحه له ولآبائه . وكان قصد أن يُطْلِع المأمون على حال الفضل بن سهل في طيّه الأخبار عنه وما عند الناس من القلق بذلك ، وباستبداده عليه ومقامه بخراسان وعلم الفضل بذلك فأغرى به المأمون وألقى إليه انه سلّط أبا السرايا وهو من جنده وقد خالف كتبك وجاء معانداً سيء القالة ، وإن سومح في ذلك اجترأ غيره فسخطه المأمون وبقي في

انتظاره ، ولما بلغ مَرْو قرع طبوله يسمعها لئلا يطوى خبره عن المأمون ، وسأل المأمون عنها فَقيل هرثمه أقبل يرعد ويبرق ، فاستدعاه وقال هرثمة[1] مالأت العلويين وأبا السرايا ولو شئت أهلاكهم جميعا لفعلت ، فذهب يعتذر فلم يمهله وأمر فربس[2] بطنه وشدخ أنفه وسحب إلى السجن ثم دسّ إليه من قتله .

* (انتقاض بغداد على الحسن بن سهل) *

ولما بلغ خبر هرثمة إلى العراق كتب الحسن بن سهل إلى عليّ بن هشام والي بغداد من قبله أن يتعلّل على الجند الحربية والبغداديين في أرزاقهم ، لأنه كان بلغه عنهم قبل مسير هرثمة أنهم عازمون على خلعه وطرد عمّاله ، وولوا عليهم إسحق بن الهادي خليفة المأمون . فلم يزل الحسين يتلطّف إليهم ويكاتبهم حتى اختلفوا فأنزل عليّ بن هشام ومحمد ابن أبي خالد في أحد جانبيها ، وزهير بن المسيّب في الجانب الآخر ، وقاتلوا الحربية ثلاثة أيام ، ثم صالحهم على العطاء وشرع فيه . وكان زيد بن موسى ابن جعفر قد أخذه عليّ بن أبي سعيد من البصرة وحبسه كما ذكرناه قبل ، فهرب من محبسه وخرج بناحية الأنبار ومعه أخ لأبي السرايا . ثم تلاشى أمره وأخذوا[3] إلى عليّ بن هشام ثم جاء خبر هرثمة وقد انتقض محمد بن أبي خالد على عليّ بن هشام بما كان يستحق به ، وغضب يوماً مع زهير بن المسيّب فقنعه بالسوط ، فسار إلى الحربية ونصب لهم الحرب ، وانهزم عليّ بن هشام إلى صَرْصَر . وقيل إنّ ابن هشام أقام الحدّ على عبدالله بن علي بن عيسى فغضب الحربية وأخرجوه . واتصل ذلك بالحسن بن سهل وهو بالمدائن كما قلناه فانهزم إلى واسط أوّل سنة إحدى ومائتين ، والفضل بن الربيع وقد ظهر من اختفائه من لدن الأمين . وجاء عيسى بن محمد بن أبي خالد من الرقّة من عند طاهر ، فاجتمع هو وأبوه على قتال الحسن وهزموا كل من تعرّض للقائهم من أصحابه . وكان زهير بن المسيّب عاملا للحسن على جوخى من السواد وكان يكاتب بغداد فركب إليه محمد بن أبي خالد

---

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ص٣١٥ : « ... فظّن هرثمة ان قوله المقبول فأمر المأمون بإدخاله ، فلما دخل عليه قال له المأمون : مالأت اهل الكوفة العلويين ، ووضعت أبا السرايا ولو شئت ان تأخذهم جميعاً لفعلت » .

(٢) فديس : المرجع السابق .

(٣) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٣١٦ : «فبعثوا إليه فأتي به إلى علي بن هشام» .

وأخذه أسيراً وانتهب ماله وحبسه ببغداد عند ابنه جعفر . ثم تقدّم إلى واسط وبعثه ابنه هرون إلى النيل فهزم نائب الحسن بها إلى الكوفة فلحق بواسط ورجع هرون إلى أبيه وتقدّم نحو واسط فسار الحسن عنها . واقام الفضل بن الربيع مختفياً بها واستأمن لمحمد وبعثه إلى بغداد . وسار إلى الحسن على البقية ولقيتهم عساكر الحسن وقوّاده ، وانهزم محمد وأصحابه وتبعهم الحسن إلى تمام الصلح ، ثم لحقوا بجرجايا . ووجه محمد ابن ابنه هرون إلى[1] فأقام بها وسار محمد ابن ابنه أبو رتيل وهو جريح إلى بغداد فمات بها ودفن في داره سرًّا . ومحمد أبو رتيل إلى زهير بن المسيّب فقتله من ليلته[2] . وقام خزيمة بن خازم بأمر بغداد ، وبعث إلى عيسى بن محمد بأن يتولّى حرب الحسن مكان أبيه ، وبلغ الحسن موت محمد فبعث عسكره إلى هرون بالنيل فغلبوا وانتهبوها ، ولحق هرون بالمدائن . ثم اجتمع أهل بغداد وأرادوا منصور بن المهدي على الخلافة فأبى فجعلوه خليفة للمأمون ببغداد والعراق انحرافاً عن الحسن ابن سهل . وقيل إنّ الحسن لما ساعد أهل بغداد عيسى بن محمد بن أبي خالد على حربه خام[3] عنه فلاطفه ووعده بالمصاهرة ومائة ألف دينار والأمان له ولأهل بيته ولأهل بغداد وولاية النواحي[4] ، فقبل وطلب خط المأمون بذلك ، وكتب إلى أهل بغداد إني شغلت بالحرب عن جباية الخراج فولّوا رجلاً من بني هاشم ، فولّوا المنصور بن المهدي وأحصى عيسى أهل عسكره فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفاً . وبعث منصور غسّان بن الفرج إلى ناحية الكوفة فغزاه حميد الطوسي من قوّاد الحسن بن سهل وأخذ أسيراً ونزل النيل . فبعث منصور بن محمد يقطين في العساكر إلى حميد فلقيه حميد بكونا[5] فهزمه وقتل من أصحابه ونهب ما حول كوثا ورجع إلى النيل وأقام ابن يقطين بصَرْصَر .

---

(١) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٦ ص ٣٢٢ : « ووجه محمد ابنه عيسى الى عُرنايا فأقام بها ، وأقام محمد بجرجرايا ، فاشتدت جراحات محمد فحمله ابنه أبو زنبيل إلى بغداد » .

(٢) المعنى غير واضح وفي الطبري ج ١٠ ص ٢٣٩ : « وأقام محمد بجرجرايا فلما اشتدت الجراحات خلف قواده في عسكره وحمله ابنه أبو زنبيل حتى ادخله بغداد ، ومات محمد بن أبي خالد من ليلية من تلك الجراحات ، وانصرف أبو زنبيل من عند خزيمة حتى اتى زهير بن المسيّب فأخرجه من حبسه فضرب عنقه » .

(٣) خام : نكص وجبن .

(٤) وولاية أي النواحي احب : ابن الاثير ج ٦ ص ٣٢٣ والطبري ج ١٠ ص ٢٤١ .

(٥) كوثى : ابن الاثير ج ٦ ص ٣٢٤ .

* (أمر المطوعة) *

ولما كثر الهرج ببغداد وامتدّت أيدى الدعاوى[1] باذاية الناس في أموالهم وأفشى المناكير فيهم وتعذر ذلك ، فخرجوا إلى القرى فانتهبوها . «واستعدى الناس أهل الأمر فلم يغدوا عليهم فتمشّى الصلحاء من عمل ريظ وكل بينهم ورأوا أنهم في كل درب قليلون بالنسبة إلى خيارهم فاعتزموا على مدافعتهم واشتدّ خالد المدريوش من أهل ، بغداد فدعا جيرانه وأهل محلته إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن يغيروا على السلطان . فشدّ على من كان عندهم من أدعار وحبسهم ورفعهم إلى السلطان وتعدّى ذلك إلى غير محلته . ثم قام بعده سهل بن سلامة الأنصاري من الحُرَيْشِيّة من أهل خراسان ويكنّى أبا حاتم فدعا إلى مثل ذلك وإلى العمل بالكتاب والسنة وعلق في عنقه مصحفاً وعبر على العامّة وعلى أهل الدولة فبايعوه على ذلك وعلى قتال من خالف» .[2] وبلغ خبرهما إلى منصور بن المهدي وعيسى بن محمد بن أبي خالد فنكروا ذلك لأنّ أكثر الدعّار كانوا يشايعونهم على أمرهم ، فدخلوا بغداد بعد أن عقد عليه الصلح مع الحسن بن سهل على الأمان له ولأهل بغداد ، وانتظروا كتاب المأمون ورضي أهل البلد بذلك ، فسهل عليهم أمر المدريوش وسهل .

---

(١) وفي الكامل ج ٦ ص ٣٢٤ : وفي هذه السنة (٢٠١) تجردت المتطوعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان سبب ذلك ان فسّاق بغداد والشطّار آذوا الناس أذىً شديداً ، وأظهروا الفسق ، وقطعوا الطريق واخذوا النساء والصبيان علانية ...»

(٢) العبارات بين القوسين مبهمة والأسماء محوّرة ، وفي الكامل ج ٦ ص ٣٢٥ : فلما رأى الناس ذلك قام صلحاء كل ربض ودرب ، ومشى بعضهم إلى بعض ، وقالوا : إنمّا في الدرب الفاسق والفاسقان الى العشرة ، وانتم اكثر منهم ، فلو اجتمعتم لقمعتم هؤلاء الفسّاق ، ولعجزوا عن الذي يفعلونه ، فقام رجل يقال له خالد الدرويش ، فدعا جيرانه وأهل محلّته ، على ان يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفأجابوه إلى ذلك ، فشد على مَنْ يليه من الفسّاق وحبسهم ، ورفعهم الى السلطان إلا أنه كان لا يرى ان يغيّر على السلطان شيئاً . ثم قام بعده رجل من الحربيّة يقال له سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان ويكنّى أبا حاتم ، فدعا الناس الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل بالكتاب والسنّة ، وعلّق مصحفاً في عنقه ، وأمر أهل محلّته ونهاهم ، فقبلوا منه ، ودعا الناس جميعاً ، الشريف والوضيع من بني هاشم وغيرهم ، فأتاه خلق عظيم فبايعوه على ذلك ، وعلى القتال معه لمَنْ خالفه ، وطاف ببغداد وأسواقها ، وكان قيام سهل لأربع خلون من رمضان ، وقيام الدريوش قبله بيومين أو ثلاثة » .

* (العهد لعليّ الرضا والبيعة لابراهيم بن مهدي) *

ولما بلغ أهل بغداد أنّ المأمون قد بايع بالعهد لعليّ بن موسى الكاظم ولقبه الرضا من آل محمد ، وأمر الجند بطرح السواد ولبس الخضرة ، وكتب بذلك إلى الآفاق ، وكتب الحسن بن سهل إلى عيسى بن محمد بن أبي خالد ببغداد يعلمه بذلك في رمضان من سنة إحدى ومائتين ، وأمره أن يأخذ من عنده من الجند وبني هاشم بذلك ، فأجاب بعض وامتنع بعض ، وكبر عليهم إخراج الخلافة من بني العبّاس . وتولى كبر ذلك منصور وإبراهيم ابنا المهدي وشايعهم عليه المطّلب بن عبدالله بن مالك والسِدّي ونَصْر الوصيف وصالح صاحب المُصَلّى ومنعوا[1] يوم الجمعة من نادى في الناس بخلع المأمون والبيعة لابراهيم بن المهدي ومن بعده لاسحق بن الهادي . ثم بايعوه في المحرم سنة إثنتين ومائتين ولقبوه المبارك ووعد الجند بأرزاق ستة أشهر ، واستولى على الكوفة والسواد ، وخرج فعسكر بالمدائن وولّى بها على الجانب الغربيّ العباس بن الهادي ، وعلى الجانب الشرقيّ إسحق بن الهادي . وكان بقصر ابن هُبَيْرَة حُمَيْد بن عبد الحَمِيد عاملاً للحسن بن سهل . ومعه القوّاد سعيد بن الساحور وأبو البَطّ وغسّان بن الفرج[2] ومحمد بن ابراهيم بن الأغلب كانوا منحرفين عن حميد فداخلوا إبراهيم بن الهادي في أن يهلكوه في قصر ابن هُبَيْرَة وشعر بذلك الحسن بن سهل فاستقدم حميداً وخلا لهم الجوّ منه فبعث ابراهيم بن المهدي عيسى ابن محمد بن أبي خالد وملك قصر ابن هُبَيْرَة وانتهب عسكر حميد ولحق به ابنه بجواريه . ثم عاد إلى الكوفة فاستعمل عليها العبّاس بن موسى الكاظم وأمره أن يدعو لأخيه فامتنع غلاة الشيعة من إجابته وقالوا : لا حاجة لنا بذكر المأمون وقعدوا عنه . وبعث ابراهيم بن المهدي من القوّاد سعيداً وأبا البطّ لقتاله . فسرّح إليهم العبّاس بن عمه وهو عليّ بن محمد الديباجة فانهزم ، ونزل سعيد وأبو البطّ الحيرة ثم تقدّموا لقتال أهل الكوفة ، وقاتلهم شيعة بني العبّاس ومواليهم . ثم سألوا الأمان للعبّاس وخرجوا من داره . ثم قاتل أصحابه أصحاب سعيد فهزموهم وأحرقوا دور عيسى بن موسى . وبلغ الخبر إلى سعيد بالحيرة بأن العبّاس قد نقض ورجع عن الأمان فركب وجاء إلى

---

(١) لعلها وجهوا .

(٢) غسان بن ابي الفرج : ابن الاثير ج ٦ ص ٣٤٢ .

الكوفة وقتل من ظفر به ولقيه أهله فاعتذروا إليه بأنّ هذا فعل الغوغاء ، وأنّ العبّاس باقٍ على عهده . ودخل سعيد وأبو البطّ ونادوا بالأمان وولّوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصبّاح الكِنديّ ، ثم عزلوه وولّوا مكانه غسّان بن الفرج فقتل أخا السرايا . ثم عزلوه وولّوا الهول ابن أخي سعيد القائد وقدم حُـمَـيْد بن عبد الحميد لحربهم بالكوفة ، فهرب الهول وبعث إبراهيم بن المهدي بن عيسى بن محمد بن أبي خالد لحصار الحسن بواسِط على طريق النيل وكان الحسن متحصّناً بالمدينة ، فسرّح أصحابه لقتالهم فانهزموا وغنم عسكرهم ، ورجع عيسى إلى بغداد فقاتل سهل بن سلامة المطوّع حتى غلبه على منزله فاختفى في غمار النظّار وأخذوه بعد ليالٍ وأتوا به إسحق فقال : كل ما كنت أدعو إليه باطل فقالوا : أخرج فأعلم الناس بذلك فخرج وقال : قد كنت أدعوكم إلى الكتاب والسّنّة ولم أزل على ذلك فضربوه وقيّدوه وبعثوا به إلى ابراهيم المهدي فضربه وحبسه ، وظهر أنه قتل في محبسه خفية لسنة من قيامه . ثم أطلقه فاختفى إلى أن انقرض أمر إبراهيم . وزحف حُـمَـيْد بن عبد الحميد سنة ثلاث ومائتين إلى قتال إبراهيم بن المهدى وأصحابه وكان عيسى بن محمد بن أبي خالد هو المتولّى لقتالهم بأمر إبراهيم ، فداخلهم في الغدر بإبراهيم وصار يتعلّل عليه في المدافعة عنه ، ونمي ذلك إلى إبراهيم بن هرون أخي عيسى فتنكر له ، ونادى عيسى في الناس بمسالمة حُـمَـيْد فاستدعاه إبراهيم وعاتبه بذلك فأنكر واعتذر ، فأمر به فضرب وحبس عدّة من قوّاده وأفلت العبّاس خليفته ، فمشى بعض الناس إلى بعض ووافقوا العبّاس على خلع إبراهيم وطردوا عامله من الجسر والكرخ . وثار الرعاع والغوغاء . وكتب العبّاس إلى حميد يستقدمه ليسلم إليه بغداد ونزل صَرْصَر وخرج إليه العبّاس والقوّاد وتواعدوا لخلع إبراهيم على أن يدفع لهم العطاء . وبلغ الخبر إلى ابراهيم فأخرج عيسى وإخوته ، وسأله قتال حميد فامتنع . ودخل حميد فصلّى الجمعة وخطب للمأمون وشرع في العطاء ثم قطعه عنهم فغضب الجند . وعاود إبراهيم سؤال عيسى في قتال حميد ومدافعته فقاتل قليلاً ، ثم استأسر لهم وانفض العسكر راجعين إلى ابراهيم . وارتحل حميد فنزل في وسط المدينة وتسلّل أصحاب إبراهيم إلى المدائن فملكوها وقاتل بقيّتهم حميد ، وكان الفضل بن الربيع مع إبراهيم فتحوّل إلى حميد وكاتب المطلّب بن عبدالله بن مالك بأن يسلموه إليه . وكان سعيد بن الساحور والبطّ وغيرهم من القوّاد يكاتبون عليّ بن هشام بمثل ذلك . ولما علم إبراهيم بما اجتمعوا

عليه أقبل على مداراتهم إلى أن جُنّ الليل . ثم تسرّب في البلد واختفى منتصف ذي الحجة من سنة ثلاث ، وبلغ الخبر إلى حُـمَـيْد وعليّ بن هشام ، فأقبلوا إلى دار إبراهيم فلم يجدوه ، وذلك لسنتين من بيعته . وأقام عليّ بن هشام على شرقي بغداد وحميد على غربيها وأظهر سهل بن سلامة ما كان يدعو إليه فقرّبه حميد ووصله .

* (قدوم المأمون إلى العراق) *

لما وقعت هذه الفتن بالعراق بسبب الحسن بن سهل ونفور الناس من استبداده وأخيه على المأمون ثم من العهد لعليّ الرضا بن موسى الكاظم وإخراج الخلافة من بني العبّاس ، وكان الفضل بن سهل يطوي ذلك عن المأمون ويبالغ في اخفائه حذراً من أن يتغيّر رأي المأمون فيه وفي أخيه . ولما جاء هَرْثَـمَة للمأمون وعلم أنه يخبره بذلك وأنّ المأمون يثق بقوله ، أحكم السعاية فيه عند المأمون حتى تغيّر له فقتله ولم يصغ إلى كلامه ، فازدادت نفرة الشيعة وأهل بغداد وكثرت الفتن وتحدث القوّاد في عسكر المأمون بذلك ، ولم يقدروا على إبلاغه ، فجاؤا إلى عليّ الرضا وسألوه إنهاء ذلك إلى المأمون ، فأخبره بما في العراق من الفتنة والقتال ، وأنهم بايعوا إبراهيم بن المهدي فقال المأمون : إنما جعلوه أميراً يقوم بأمرهم ! فقال : ليس كذلك وإنّ الحرب الآن قائمة بين ابن سهل وبينه ، وإنّ الناس ينقمون عليك مكان الفضل والحسن ومكاني وعهدك لي ، فقال له المأمون : ومن يعلم هذا غيرك ؟ فقال يحيى بن مُعَاذ وعبد العزيز ابن عمران وغيرهما من وجوه قوّادك . فاستدعاهم فكتموا حتى استأمنوا إليه ثم أخبروه بما أخبره به الرضا ، وأنّ الناس بالعراق يتهّمونه بالرفض لعهده لعلي الرضا وأنّ طاهر ابن الحسين مع علم أمير المؤمنين ببلائه قد دفع إلى الرقّة وضعف أمره ، والبلاد تفتّقت من كل جانب ، وإن لم يتدارك الأمر ذهبت الخلافة منهم . فاستيقن المأمون ذلك وأمر بالرحيل واستخلف على خراسان غسّان بن عبّاد وهو ابن عم الفضل بن سهل ، وعلم الفضل بن سهل بذلك فشرع في عقاب أولئك القوّاد فلم يغنه . ولما نزل المأمون شرحبيل وثب بالفضل أربعة نفر فقتلوه في الحمام وهربوا ، وجعل المأمون جعلاً لمن جاء بهم ، فجاء بهم العبّاس بن الهيثم الدَيْنُورِيّ . فلما حضروا عند المأمون قالوا له : أنت أمرتنا بقتله ! وقيل بل اختلفوا في القول فقال بعضهم : أمرنا بقتله ابن أخيه ، وقال آخرون بل عبد العزيز بن عمران من القوّاد وعلي وموسى وغيرهم ، وأنكر

آخرون . فأمر المأمون بقتلهم وقتل من أقرّوا عليه من القوّاد ، وبعث إلى الحسن بن سهل وسار إلى العراق . وجاءه الخبر بأنّ الحسن بن سهل أصابته الماليخوليا واختلط فبعث ديناراً مولاه ووكّله بأمور العسكر وكان إبراهيم بن المهدي وعيسى بالمدائن وأبو البطّ وسعيد بالنيل والحرب متصلة بينهم . والمطّلب بن عبدالله بن مالك قد اعتلّ بالمدائن فرجع إلى بغداد وجعل يدعو إلى المأمون سرًّا وإلى خلع إبراهيم وأن يكون منصور بن المهدي خليفة للمأمون وداخله في ذلك خُزَيْـمَة بن خازِم وغيره من القوّاد . وكتب إلى عليّ بن هشام وحميد أن يتقدّما فنزل حميد نهر صَرْصَر وعليّ النهروان ، وعاد إبراهيم بن المهدي من المدائن إلى بغداد منتصف صفر ، وقبض على منصور وخزيمة ومنع المطّلب مواليه ، فأمر إبراهيم بنهب داره ولم يظفر ، ونزل حميد وعلي بن هشام المدائن وأقاما بها . وزوّج المأمون في طريقه إبنته من علي الرضا وبعث أخاه إبراهيم بن موسى الكاظم على الموسم ، وولاّه اليمن وكان به حَمْدَوَيْه بن عليّ ابن عيسى بن ماهان قد غلب عليه . ولما نزل المأمون مدينة طوس مات عليّ الرضا فجأة آخر صفر من سنة ثلاث من عنب أكله ، وبعث المأمون إلى الحسن بن سهل بذلك ، وإلى أهل بغداد وشيعته يعتذر من عهده إليه ، وأنه قد مات ويدعوهم إلى الرجوع لطاعته . ثم سار إلى جرجان وأقام بها أشهراً وعقد على جرجان لرجاء بن أبي الضحّاك قاعداً وراء النهر ، ثم عزله سنة أربع وعقد لغسّان بن عبّاد من قرابة الفضل بن سهل على خراسان وجرجان وطبرستان وسجستان وكرمان وروبان ودهارير ، ثم عزله بطاهر كما نذكره . ثم سار إلى النهروان فلقيه أهل بيته وشيعته والقوّاد ووجوه الناس وكان قد كتب إلى طاهر أن يوافيه بها ، فجاء من الرقّة ولقيه هنالك . وسار المأمون فدخل بغداد منتصف صفر من سنة أربعة فنزل الرصافة ثم نزل قصره بشاطيء دجلة ، وبقي القوّاد في العسكر وانقطعت الفتن وبقي الشيعة يتكلّمون في لبس الخضرة ، وكان المأمون قد أمر طاهر بن الحسين أن يسأل حوائجه فأوّل شيء سأل لبس السواد فأجابه ، وقعد للناس وخلع عليه وعليهم الثياب السود واستقامت الأمور[(١)] كانت الفتنة قد وقعت بالموصل بين بني شامة وبني ثعلبة وكان علي بن الحسن الهمداني متغلباً عليها في قومه فاستجارت ثعلبة بأخيه محمد فأمرهم بالخروج إلى البرية ففعلوا ، وتبعهم بنو شامة في ألف رجل وحاصروهم بالقوجاء

---

(١) بياض بالأصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٣٥٧ : وذلك لسبع بقين من صفر.

ومعهم بنو ثعلب ، وبعث علي ومحمد إليهم بالمدد فقتلوا جماعة من بني شامة وأسروا منهم ، ومن بني ثعلب ، فجاء أحمد بن عمر بن الخطّاب الثعلبي إلى عليّ فوادعه وسكنت الفتنة . ثم إنّ عليّ بن الحسين سطا بمن كان في الموصل من الأزد عسفاً في الحكم عليهم ، وقال لهم يوما : ألحقوا بعُمان . فاجتمعت الأزد إلى السيد بن أنَس كبيرهم وقاتلوه . وكان في تلك النواحي مهدي بن علوان من الخوارج فادخله عليّ ابن الحسين وبايعه وصلىّ بالناس ، واشتدّت الحرب . ثم كانت اصراً[1] على عليّ وأصحابه وأخرجهم الأزد عن البلد إلى الحديثة ثم اتبعوهم فقتلوا عليًّا وأخاه أحمد في جماعة ، ولجأ محمد إلى بغداد وملك السيد بن أنَس والأزد الموصل وخطب للمأمون . ولما قدم المأمون بغداد وفد عليه السيّد بن أنَس فشكاه محمد بن الحسين بن صالح واستعداءه عليه بقتل أخويه وقومه ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ! أدخلوا الخارجي بلدك وأقاموه على منبرك وأبطلوا دعوتك فأهدر المأمون دماءهم .

* (ولاية طاهر على خراسان ووفاته) *

كان المأمون بعد وصوله إلى العراق قد ولىّ طاهر بن الحسين الجزيرة والشرطة بجانبي بغداد والسواد ، ودخل عليه يوماً في خلوته فأذن له بالجلوس وبكى ففداه . فقال المأمون أبكي لأمرٍ ذكره ذلّ وستره حزن ، ولن يخلو أحد من شَجَن ، وقضى طاهر حديثه وانصرف . وكان حسين الخادم حاضراً فدسّ إليه على يد كاتبه محمد بن هرون أن يسأل المأمون عن مكاتبته على مائة ألف درهم ومثلها للكاتب ، وخلا حسين بالمأمون وسأله ففطن وقال له : إنّ الثناء مني ليس برخيص ، والمعروف عندي ليس بضائع فعيبي عن غير المأمون[2] . فأجابه وركب إلى المأمون وفاوضه في أمر خراسان وأنها يُخْشَى عليها من الترك وأنّ غسّان بن عبّاد ليس بكفءٍ لها . فقال : لقد فكّرت في ذلك فمن ترى يصلحَ لها ؟ قال : طاهر بن الحسين قال : هو خالع ، قال : أنا ضامنه . فاستدعاه وعقد له من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق من حُلوان إلى خراسان ، وعسكر من يومه خارج بغداد وأقام شهراً تحمل إليه كل يوم عشرة آلاف ألف درهم عادة صاحب خراسان . وولىّ المأمون مكانه بالجزيرة إبنه عبدالله ، وكان

(١) الاصر : الكسر.

(٢) العبارة غير واضحة وفي الكامل ج ٦ ص ٣٦١ : « ... فركب طاهر الى احمد بن أبي خالد فقال له : ان الثناء مني ليس برخيص ، وان المعروف عندي ليس بضائع ، فغيّبني عن عينه (أي عين المأمون) » .

ينوب عن أبيه بالشرطة ، فحملها إلى ابن عمه إسحق بن إبراهيم بن مصعب وخرج إلى عمله ونزل الرقّة لقتال نَصْر بن شَبَث . ثم سار طاهر إلى خراسان آخر ذي القعدة سنة خمس ومائتين . وقيل في سبب ولاية طاهر خراسان أنّ عبد الرحمن المطوّع جمع جموعاً كثيرة بنيسابور لقتال الحروريّة ، ولم يستأذن غسّان بن عبّاد وهو الوالي على خراسان ، فخشي أن يكون ذلك من المأمون فاضطرب وتعصّب له الحسن بن سهل . وخشي المأمون على خراسان فولّى طاهراً وسار إلى خراسان فأقام بها إلى سنة سبع ، ثم اعتزم على الخلاف وخطب يوماً فأمسك عن الدعاء للمأمون ودعا بصلاح الأمّة ، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون بخلعه ، فدعا بأحمد بن أبي خالد فقال : أنت ضمنته ! فسر وائتني به ثم جاء من الغد الخبر بموته فقال المأمون للبريد ونعم الحمدلله الذي قدّمه وأخّرنا ، وولّى طلحة من قبله وبعث إليه المأمون أحمد بن أبي خالد ليقوم بأمره فعبر أحمد إلى ما وراء النهر وافتتح أشر وسَنَة وأسر كاووس بن خالد حدّد وإبنه الفضل ، وبعث بهما إلى المأمون ووهب طلحة لأحمد بن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضاً بألف ألف ولمكاتبته خمسمائة ألف درهم . ثم خالف الحسين بن الحسين بن مصعب بكرمان فسار إليه أحمد بن أبي خالد وأتى به إلى المأمون فعفا عنه .

* (ولاية عبدالله بن طاهر الرقة ومصر ومحاربته نصر بن شيث) *

وفي سنة ست ومائتين بلغ الخبر بوفاة يحيى بن مُعاذ عامل الجزيرة ، وأنه استخلف إبنه أحمد ، فولّى المأمون عبدالله بن طاهر مكانه وجعل له ما بين الرقّة ومِصْر ، فأمره بحرب نَصْر بن شيث وقيل ولّاه سنة خمس ، وقيل سنة سبع ، واستخلف على الشرطة ببغداد إسحق بن إبراهيم بن الحسين بن مُصْعَب وهو ابن عمّه ، وكتب إليه أبو طاهر كتاباً بالوصية جمع فيه محاسن الآداب والسياسة ومكارم الأخلاق ، وقد ذكرناه في مقدّمة كتابنا ، فسار عبدالله بن طاهر لذلك وبعث الجيوش لحصار نَصْر ابن شيث بكَيْسُوم في نواحي جانب ، ثم سار إليه بنفسه سنة تسع ومائتين ، وأخذ بمخنقه . وبعث إليه المأمون محمد بن جعفر العامري يدعوه إلى الطاعة ، فأجاب على شرط أن لا يحضر عنده . فتوقف المأمون وقال : ما باله ينفرمني ؟ فقال أبو جعفر : لما

تقدّم من ذنبه . فقال : أفتراه أعظم ذنباً من الفضل بن الربيع وقد أخذ جميع ما أوصى له به الرشيد من الأموال والسلاح وذهب مع القوّاد إلى أخي ، وأسلمني وأفسد عليّ حتى كان ما كان ، ومن عيسى بن أبي خالد وقد خالف عليّ ببلدي وأخرب داري ، وبايع لإبراهيم دوني فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين هؤلاء لهم سوابق ودالّة يبقون بها ، ونَصْر ليست له في دولتكم سابقة وإنما كان من جند بني أمية ، وأنا لا أجيب إلى هذا الشرط ولحّ نصر في الخلاف حتى جهده الحصار واستأمن فأمّنه عبدالله بن طاهر وخرج إليه سنة عشرة وبعث به إلى المأمون وأخرب حصن كَيْسُوم لخمس سنين من حصاره ورجع عبدالله بن طاهر إلى الرقّة ثم قدم بغداد سنة إحدى عشرة فتلقّاه العبّاس بن المأمون والمعتصم وسائر الناس .

* (الظفر بابن عائشة وبابراهيم بن المهدي) *

كان إبراهيم بن محمد بن عبد الوهّاب بن إبراهيم الإمام ويعرف بابن عائشة ممن تولّى كبر البيعة لإبراهيم بن المهدي ومعه ابراهيم بن الأغلب ومالك بن شاهين وكانوا قد اختفوا عند قدوم المأمون في نواحي بغداد . ولما وصل نَصْر بن شيث وخرجت النظارة أنفذوا للخروج في ذلك اليوم ثم غلبهم بعض الناس فأخذوا في صفر من سنة عشرة ، ثم ضربوا حتى أقرّوا على من كان معهم في الأمر فلم يعرض لهم المأمون وحبسهم فضاق عليهم المحبس وأرادوا أن ينقبوه ، فركب المأمون بنفسه وقتلهم وصلب ابن عائشة ثم صلّى عليه ودفنه . ثم أخذ في هذه السنة إبراهيم بن المهدي وهو متنقب في زيّ امرأة يمشي بين امرأتين واستراب به بعض العَسَس وقال أين تردن في هذا الوقت ؟ فأعطاه إبراهيم خاتم ياقوت في يده فازداد ريبة ورفعهنّ إلى صاحب المسلحة ، وجاء بهنّ إلى صاحب الجسر فذهب به إلى المأمون ، وأحضره والغل في عنقه والملحفة[1] على صدره ليراه بنو هاشم والناس . ثم حبسه عند أحمد بن أبي خالد ، ثم أخرجه معه عندما سار الحسن بن سهل ليغنم الصلح ، فشفع فيه الحسن وقيل ابنته بوران ، وقيل إنّ إبراهيم لما أخذ حُمِل إلى دار المعتصم وكان عند المأمون فأدخله عليه وأنّبه فيما كان منه . واعتذر بمنظوم من الكلام ومنثور أتى فيه من وراء الغاية وهو منقول في كتب التاريخ فلا نطيل بنقله .

(١) الملحفة : كل ما يقطع به .

* (انتقاض مصر والاسكندرية) *

كان السريّ بن محمد بن الحكم والياً على مصر وتوفي سنة خمس ومائتين ، وبقي ابنه عبدالله ، فانتقض وخلع الطاعة وأنزل بالاسكندرية جالية من الأندلس أخرجهم الحكم بن هشام من ربضي قرطبة وغرّ بهم إلى المشرق . ولما نزلوا بالإسكندرية ثاروا وملكوها وولّوا عليهم أبا حفص عمر البلوطي . وفشل عبدالله بن طاهر عنهم بمحاربة نَصْر بن شَبَث ، فلما فرغ منه ثار من الشام إليهم ، وقدّم قائداً من قوّاده ولقيه ابن السريّ وقاتله وأغذّ إبن طاهر المسير فلحقهم وهم في القتال ، وانهزم ابن السريّ إلى مصر وحاصره عبدالله بن طاهر حتى نزل على الأمان ، وذلك سنة عشرة . ثم بعث إلى الجالية الذين ملكوا الاسكندرية بالحرب ، فسألوا الأمان على أن يرتحلوا إلى بعض الجزائر في بحر الروم مما يلي الاسكندرية ففعل . ونزلوا جزيرة أقريطش واستوطنوها وأقامت في مملكة المسلمين من أعقابهم دهراً إلى أن غلب عليها الإفرنجة .

* (العمّال بالنواحي) *

لما استقرّ المأمون ببغداد وسكن الهَيْجُ وذلك سنة أربع ، ولىّ على الكوفة أخاه أبا عيسى ، وعلى البصرة أخاه صالحاً ، وعلى الحرمين عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن العبّاس بن علي بن أبي طالب ، وعلى الموصل السيّد بن أنس الأزدي ، وولىّ على الشرطة ببغداد ومعاون السواد طاهر بن الحسين استقدمه من الرقّة ، وكان الحسن بن سهل ولاّه عليها فقدم واستخلف إبنه عبدالله عليها . ثم ولاّه المأمون سنة خمس خراسان وأعمال المشرق كلّها واستقدم ابنه عبدالله فجعله على الشرطة ببغداد مكان أبيه . وولىّ يحيى بن معاذ على الجزيرة وعيسى بن محمد بن أبي خالد على أرمينية وأذربيجان ومحاربة بابك . ومات عامل مصر السري بن محمد بن الحكم فولىّ ابنه عبيدالله مكانه . ومات داود بن يزيد عامل السند فولىّ بشر بن داود مكانه على أن يحمل ألف ألف درهم كل سنة . ثم مات يحيى بن مُعاذ سنة ست واستخلف إبنه أحمد فعزله المأمون وولىّ مكانه عبدالله بن طاهر وضاف إليه مصر ، وسيّره لمحاربة نصر بن شَبَث وولىّ عيسى بن يزيد الجلودي محاربة الزطّ سنة خمس ، ثم عزله سنة ست وولىّ داود بن منحور[1] مع أعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين ، وولىّ

(١) داود بن ماسحور : ابن الاثير ج ٦ ص ٣٧٩ ، وفي الطبري ج ١٠ ص ٢٥٨ داود بن ماسجور .

في سنة سبع محمد بن حَفْص على طبرستان والرويان ودَنْبَاوَنْد . وفيها أوقع السيد بن أنس بجماعة من عرب بني شيبان ووديعة بما فشا من إفسادهم في البلاد ، فكبسهم بالدسكرة واستباحهم بالقتل والنهب . وفي سنة تسع ولى صَدَقَة بن عليّ ويعرف بزُرَيْق على أرمينية وأذربيجان وأمره بمحاربة بابك ، وقام بأمره أحمد بن الجُنَيْد الاسكافي فأسره بابك ، فولى إبراهيم بن الليث بن الفضل أذربيجان . وكان على جبال طبرستان شَهْرَيَار بن شِرْوين فمات سنة عشر وقام مكانه إبنه سابور ، فقتله مازيار بن قارن في حرب أسره فيها وملك جبال طبرستان وفي سنة إحدى عشرة قتل زُرَيْق بن عليّ بن صَدَقَة الأزدي السيد بن أنس صاحب الموصل ، وقد كان زريق تغلّب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان وولاّه المأمون عليها ، فجمع وقصد الموصل لحرب السيد فخرج إليه أربعة آلاف فاشتدّ القتال بينهم وقتل السيد في المعركة فغضب المأمون لقتله ، وولّى محمد بن حميد الطوسي على الموصل وأمره بحرب زُرَيْق وبابك الخُرَّمي فسار إلى الموصل واستولى عليها سنة إثنتي عشرة . ومات موسى بن حَفْص عامل طبرستان فولّى المأمون مكانه إبنه ، وولّى حاجب بن صالح على الهند فوقعت بينه وبين بِشْر بن داود صاحب السند حرب . وانهزم بشر إلى كرمان ثم قتل محمد بن حميد الطوسي سنة أربع عشرة قتله بابك الخرّمي وذلك أنه لما فرغ من أمر المتغلبين بالموصل سار إلى بابك في العساكر الكاملة الحشد وتجاوز إليه المضايق ووكل بحفظها حتى انتهى إلى الجبل ، فصعد وقد أكمن بابك الرجال في الشعراء فلما جاز ثلاثة فراسخ خرجت عليهم الكمائن فانهزموا وثبت محمد بن حميد حتى إذا لم يبق معه إلاّ رجل واحد فتسلل يطلب النجاة فعثر في جماعة من الحربية يقاتلون طائفة من أصحابه فقصدوه وقتلوه ، وعظم ذلك على المأمون واستعمل عبدالله بن طاهر على خراسان لأنه كان بلغه ان أخاه طلحة بن طاهر مات وقام عليّ أخوه مكانه خليفة لعبدالله ، وعبدالله بالدينور يجهّز العساكر إلى بابك فولّى على نيسابور محمد بن حميد فكثر عيث الخوارج بخراسان فأمره المأمون بالمسير إليها فسار ونزل نيسابور وسأل عن سيرة محمد بن حميد فسكتوا فعزله لسكوتهم وفي سنة إثنتي عشرة خلع أحمد بن محمد العُمَريّ ، يعرف بالأحمر العين باليمن . فولّى المأمون ابنه العبّاس على الجزيرة والثغور والعواصم وأخاه أبا إسحق المعتصم على الشام ومصر وسيّر عبدالله بن طاهر إلى خراسان وأعطى لكل واحد منهم خمسمائة ألف درهم . وبعث المعتصم أبا عُمَيْرَة

الباذغيسي عاملاً على مِصْر فوثب به جماعة من القيسية واليمانية فقتلوه سنة اربع عشرة ، فسار المعتصم إلى مِصْر فقاتلهم وافتتح مِصْر وولّى عليها واستقامت الأمور . وفي سنة ثلاث عشرة ولّى المأمون غسّان بن عبّاس على السند لما بلغه خلاف بشْر بن داود . وفي سنة أربع عشرة استقدم المأمون أبا دُلفَ وكان بالكرخ من نواحي همذان منذ سار مع عيسى بن ماهان لحرب طاهر ، وقتل عيسى فعاد إلى همذان وراسله طاهر يدعوه إلى البيعة فامتنع . وقال له ولا أكون مع أحد وأقام بالكرخ . فلما خرج المأمون إلى الريّ أرسل إليه يدعوه فسار نحوه وجلاً بعد أن أغرى عليه أصحابه الإمتناع . وفي سنة أربع عشرة قتل باليمن . وفيها ولّى المأمون عليّ بن هشام الجبل وقُمّ وأصبهان وأذربيجان وخلع أهل قم وكانوا سألوا الحطيطة من خراجهم وهوألف ألف درهم لأنّ المأمون لما جاء من العراق أقام بالريّ أياماً وخفّف عنهم من الخراج فطمع أهل قم في مثلها فأبى فامتنعوا من الاداء فسرّح إليهم عليّ بن هشام وعجيف بن عنبسة وظفروا بهم وقتلوا يحيى بن عمران وهدموا سورها وجبوها على سبعة آلاف ألف . وفي سنة ست عشرة ظهر عبدوس الفِهْريّ بمصْر وقتل بعض عمّال المعتصم ، فسار المأمون إلى مصر وأصلحها وأتى بعبدوس فقتله وقدم من برقة وأقام بمصر وفيها غضب المأمون على علي بن هشام ووجّه عجيفاً وأحمد بن هشام لقبض أمواله وسلاحه لما بلغه من عسفه وظلمه وأراد قتل عجيف واللحاق ببابك فلم يقدر وظفر به عجيف وجاء به إلى المأمون فأمر بقتله وطيف برأسه في الشام والعراق وخراسان ومصر ثم ألقي في البحر . وقدم غسّان بن عبّاد من السند ومعه بشر بن داود مستأمناً ، فولّيّ على السند عمران بن موسى العكيّ وهرب جعفر بن داود القمي إلى قم فخلع وكان محبوساً بمصر منذ عزله المأمون عن قُمّ فهرب الآن وخلع فغلبه عليّ بن عيسى القُميّ وبعث به إلى المأمون فقتل .

* (الصوائف) *

وفي سنة مائتين قتل الروم ملكهم إليون لسبع سنين ونصف من ملكه ، وأعادوا ميخاييل بن جرجس المخلوع ، وبقي عليهم تسع سنين . ثم مات سنة خمس عشرة وملك ابنه نوفل وفتح عبدالله بن خرْدَاوَيْه والي طبرستان البلاد والسيْرَن من بلاد الدَيْلَم وافتتح جبال طبرستان ، وأنزل شهريار بن شِروين عنها وأشخص مازيار بن قارن إلى المأمون وأسر أباليل ملك الديْلَم وذلك سنة إحدى ومائتين . وفيها ظهر بابك الخرّمي في

الجَاوِنْدانِيّة أصحاب جاوِنْدان سهل ، وتفسيره الدائم الباقي وتفسير خرم فرح ، وكانوا يعتقدون مذاهب المجوس. وفي سنة أربع عشرة خرج أبو بلال الصابي الشاري ، فسرّح إليه المأمون ابنه العبّاس في جماعة من القوّاد وقتلوه . وفي سنة خمس عشرة دخل المأمون بلاد الروم بالصائفة وسار عن بغداد في المُحرّم واستخلف عليها إسحق بن ابراهيم بن مُصْعَب وهو ابن عم طاهر ، وولاّه السواد وحُلوان وكور دجلة ، ولما وصل تكريت لقيه محمد بن عليّ الرضا فأجازه وزفّ إليه ابنته أمّ الفضل ، وسار إلى المدينة فأقام بها وسار المأمون على الموصل إلى مَنْبج ثم دابق ، ثم أنطاكية ثم المُصيصة وطرطوس . ودخل من هناك فافتتح حصن قرّة عَنْوَةً وهدمه . وقيل بل فتحه على الأمان ، وفتح قبله حصن ماجد كذلك . وبعثه أشناس إلى حصن سدس ، ودخل ابنه العبّاس مَلَطْيَة ووجه المأمون عجيفاً وجعفر الخيّاط إلى حصن سنان فأطاع . وعاد المعتصم من مِصْر فلقي المأمون قبل الموصل ، ولقيه العبّاس ابنه برأس عين . وجاء المأمون منصرفه من العراق إلى دمشق ، ثم بلغه أنّ الروم أغاروا على طرطوس والمصيصة وأثخوا فيهم بالقتل . وكتب إليه ملك الروم فيه بنفسه فرجع إليهم وافتتح كثيراً من معاقلهم وأناخ على هِرَقْلة حتى استأمنوا وصالحوه ، وبعث المعتصم فافتتح ثلاثين حصناً منها مطمورة ، وبعث يحيى بن أكثم فأثخن في البلاد وقتل وحرق وسبى . ثم رجع المأمون إلى كَيْسُوم فأقام بها يومين ثم ارتحل إلى دمشق . وفي سنة سبع عشرة رجع المأمون إلى بلاد الروم فأناخ على لؤلؤة فحاصرها مائة يوم ، ثم رحل عنها وخلّف عجيفاً على حصارها . وجاء نوفل ملك الروم فأحاط به فبعث إليه المأمون بالمدد فارتحل نوفل واستأمن أهل لؤلؤة إلى عجيف ، وبعث نوفل في المهادنة والمأمون على سلوين فلم يجبه . ثم رجع المأمون سنة ثمان عشرة وبعث إبنه العبّاس إلى بناء طِوَانَة فبنى بها ميلاً في ميل ودورها أربعة فراسخ ، وجعل لها أربعة أبواب ونقل إليها الناس من البلدان .

* (وفاة المأمون وبيعة المعتصم) *

ثم مرض المأمون على نهر البَرْبَرُون واشتدّ مرضه ودخل العراق وهو مريض فمات بطرسوس وصلّى عليه المعتصم وذلك لعشرين سنة من خلافته ، وعهد لابنه المعتصم وهو أبو إسحق محمد فبويع له بعد موته ، وذلك منتصف رجب من سنة ثمان عشرة

ومائتين . وشغب الجند وهتفوا باسم العبّاس بن المأمون فأحضره وبايع فسكتوا وخرّب لوقته ما كان بناه من مدينة طِوَانَة وأعاد الناس إلى بلادهم وحمل ما أطاق حمله من الآلة وأحرق الباقي .

* (ظهور صاحب الطالقان) *

وهو محمد بن القاسم بن عليّ بن عمر بن عليّ زين العابدين بن الحسين ، كان ملازماً للمسجد بالمدينة فلزمه شيطان من أهل خراسان وزيّن له أنه أحق بالإمامة ، وصار يأتيه بحجّاج خراسان يبايعونه . ثم خرج به إلى الجوزجان وأخفاه وأقبل على الدعاء له ، ثم حمله على إظهار الدعوة للرضا من آل محمد على عادة الشيعة في هذا الإبهام كما قدّمناه . وواقعه قوّاد عبدالله بن طاهر بخراسان المرّة بعد المرّة فهزموه وأصحابه ، وأخرج ناجياً بنفسه ومرّ بنسا ، فَوُشِيَ به إلى العامل فقبض عليه وبعثه إلى عبدالله بن طاهر ، فبعثه إلى المُعْتَصِم منتصف ربيع أوّل سنة تسع عشرة ، فحبسه عند الخادم مسرور الكبير ، ووكّل بحفظه فهرب من محبسه ليلة الفطر من سنته ولم يوقف له على خبر .

* (حرب الزطّ) *

وهم قوم من أخلاط الناس غلبوا على طريق البَصْرَةَ وعاثوا فيها وأفسدوا البلاد وولّوا عليهم رجلاً منهم إسمه محمد بن عثمان ، وقام بأمره آخر منهم إسمه سِمَاق . وبعث المعتصم لحربهم في هذه السنة عجيف بن عَنْبَسَة في جمادى الآخرة فسار إلى وَاسِط وحاربهم ، فقتل منهم في معركة ثلثمائة وأسر خمسمائة ، ثم قتلهم وبعث برؤوسهم إلى باب المعتصم وأقام قِبَالَتَهُم سبعة أشهر . ثم استأمنوا إليه في ذي الحجة آخر السنة وجاؤا بأجمعهم في سبعة وعشرين ألفاً ، المقاتلة منهم إثنا عشر ألفاً فعبّاهم عجيف في السفن على هيئتهم في الحرب ودخل بهم بغداد في عاشوراء سنة عشرين ، وركب المعتصم إلى الشماسة في سفينة حتى رآهم ، ثم غرّبهم إلى عين زَرْبَةَ فأغارت عليهم الروم فلم يفلت منهم أحد .

* (بناء سامرا) *

كان المعتصم قد اصطنع قوماً من أهل الحرف بمِصْرَ وسمّاهم المطارِبَة وقوماً من

سَمَرْقَنْد وأشر وسِنّة وفَرْغَانَة وسمّاهم الفرغانة . وأكثر من صبيانهم . وكانوا يُرْكِضُون الدواب في الطرق ويختلفون بها ركضاً ، فيصدمون النساء والصبيان فتتأذى العامة بهم ، وربما انفرد بعضهم فقتلوه وتأذى الناس من ذلك ونكروه وربما أسمعوا النكير للمعتصم ، فعمد إلى بناء القاطون ، وكانت مدينة بناها الرشيد ولم يستتمها وخربت ، فجدّدها المعتصم وبناها سنة عشرين وسماها سرّ من رأى فرخّمها الناس سامرا وسارت داراً لملكهم من لدن المعتصم ومن بعده واستخلف ببغداد حتى انتقل إليها ابنه الواثق .

* (نكبة الفضل بن مروان) *

كان للمعتصم في ولاية أخيه كاتب يعرف بيحيى الجَرْمُقَابي [(١)] ، واتصل به الفضل بن مروان وهو من البردان ، وكان حسن الخط . فلما هلك الجرمقابي استكتبه المعتصم وسار معه إلى الشام فأثرى . ولما استخلف المعتصم استولى على هواه واستتبع الدواوين واحتجر الأموال ثم صار يرد أوامر المعتصم في العطايا ولا ينفذها ، واختلفت فيه السعايات عند المعتصم ودسّوا عليه عنده من ملأ مجلسه ومساخره من يعيّر المعتصم باستبداده عليه وردّ أوامره . فحقد له ذلك . ثم نكبه سنة عشرين وصادره وجميع أهل بيته ، وجعل مكانه محمد بن عبد الملك بن الزيات وغرّب الفضل إلى بعض قرى الموصل [(٢)] قد تقدّم لنا حديث بابك الخرّمي (محاربة بابك الخرمي) وظهوره سنة إثنتين ومائتين بدعوة جَاوَنْدَان بن سهل ، واتّخذ مدينة البرّ [(٣)] لامتناعه وولى المأمون حروبه ، فهزم عساكره وقتل جماعة من قوّاده وخرب الحصون فيما بين أَرْدَبِيل وزَنْجان ، فلما وَلِيَ المُعْتَصِم بعث أبا سعيد محمد بن يوسف فبنى الحصون التي خرّبها وشحنها بالرجال والأقوات ، وحفظ السابلة لجلب الميرة . وبينما هو في ذلك أغارت بعض سرايا بابك بتلك النواحي فخرج في طلبهم واستنقذ ما أخذوه ، وقتل كثيراً وأسر أكثر ، وبعث بالرؤوس والأسرى إلى المعتصم . وكان ابن البعيث أيضاً في قلعة له حصينة من كور أَذْرَبيجان ملكها من يد

(١) الجرمقاني : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٥٣ .
(٢) بياض في الاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٤٥٤ : «فنفى الفضل الى قرية في طريق الموصل تعرف بالسنّ وصار محمد وزيراً كاتباً . »
(٣) وفي نسخة اخرى مدينة البذّ (وفي الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٤٥٧ .)

ابن الرواد ، وكان يصانع بابك ويضيف سراياه إذا مرّوا به . ومرّ به في هذه الأيام قائده عِصْمَة ، وأضافه على العادة ، ثم قبض عليه وقتل أصحابه وبعث به إلى المعتصم ، فسأله عن عورات بلاد بابك فدلّه عليها . ثم حبسه وعقد لقائده الأفشين حيدر بن كاوس على الجبال ، ووجهّه لحرب بابك ، فسار إليها ونزل بساحتها وضبط الطرقات ما بينه وبين أَرْدَبِيل ، وأنزل قوّاده في العساكر ما بينه وبين أَرْدَبِيل يتلقّون الميرة من أَرْدَبِيل من واحد إلى الآخر حتى تصل عسكر الأفشين . وكان إذا وقع بيده أحد من جواسيس بابك يسأله عن إحسان بابك إليه فيضاعفه ويطلقه . ثم إنّ المعتصم بعث بغا الكبير بمدد الأفشين بالنفقات وسمع بابك فاعتزم على اعتراضه وأخبر الأفشين بذلك بعض جواسيسهم ، فكتب إلى بغا أن يرتحل من حصن النهر قيلا[1] ثم يرجع إلى أردبيل ففعل ذلك . وجاءت الأخبار إلى بابك وركب الأفشين في يوم مواعدته لبغا واغذّ المسير ، وخرجت سريَّة بابك فلقيت قافلة النهر ولم يصادفوا بغافيها فقتلوا من وجدوا فيها من الجند وفاتهم المال . ولقوا في طريقهم الهَيْثَم من قوّاد الأفشين فهزموه وامتنع بحصنه ، ونزل بابك عليه يحاصره وإذا بالأفشين قد وصل ، فأوقع بهم وقتل الكثير من جنده ، ونجابابك إلى موقان وأرسل إلى عسكره في البرّ فلحقت به ، وخرج معهم من موقان إلى البذّ . ولما رجع الأفشين إلى عسكره استمرّ على حصار بابك وانقطعت عنه الميرة من سائر النواحي ، ووجه صاحب مراغة إليه ميرة فلقيتها سرية من سرايا بابك فأخذوها ، ثم خلص إليه بغا بما معه من المال ففرّقه في العساكر ، وأمر الأفشين قوّاده فتقدّموا ليضيّقوا الحصار على بابك في حصن البذّ ، ونزل على ستة أميال منه . وسار بغا الكبير حتى أحاط بقرية البذّ وقاتلهم وقتلوا منهم جماعة فتأخر إلى خندق محمد بن حميد من القوّاد ، وبعث إلى الأفشين في المدد ، فبعث إليه أخاه الفضل وأحمد بن الخليل بن هشام وأبا خوس وصاحب شرطة الحسن بن سهل ، وأمره بمناجزتهم إلى الحرب في يوم عيّنه له ، فركبوا في ذلك اليوم ، وقصدوا البذّ وأصابهم برد شديد ومطر ، وقاتل الأفشين فغلب من بازائه من أصحاب بابك واشتدّ عليهم المطر فنزلوا واتخذ بغا دليلاً أشرف به على جبل يطل منه على الأفشين ونزل عليهم الثلج والضباب فنزلوا منازلهم . وعمد بابك إلى الأفشين ففضّ معسكره وضجر أصحاب بغا من مقامهم في رأس الجبل فارتحل بهم ولا يعلم

(١) هو اسم الحصن .

ما تمّ على الأفشين ، وقصد حصن البذّ فتعرّف خبر الافشين ورجع على غير الطريق الذي دخلوا منه لكثرة مضايقه وعقباته وتبعته طلائع بابك فلم يلتفت إليهم مسابقة للمضايق أمامه . وأجنهم الليل وخافوا على أثقالهم وأموالهم فعسكر بهم بغا من رأس جبل وقد تعبوا وفنيت أزوادهم وبيّتهم بابك ففضهم ونهبوا ما كان معهم من المال والسلاح ونجوا إلى خندقهم الأوّل في أسفل الجبل وأقام بغا هنالك . وكان طرخان كبير قوّاد بابك قد استأذنه أن يشتوا بقرية في ناحية مراغة ، فأرسل الأفشين إلى بعض قوّاده بمراغة فأسرى إليه وقتله وبعث برأسه . ودخلت سنة إثنتين وعشرين فبعث المعتصم جعفر الخيّاط بالعساكر مدداً للأفشين ، وبعث إتياخ بثلاثين ألف ألف درهم لنفقات الجند فأرسلها وعاد ، ورحل الأفشين لأوّل فصل الربيع ، ودنا من الحصن وخندق على نفسه . وجاءه الخبر بأنّ قائد بابك واسمه أُدَيْن[1] قد عسكر بازائه وبعث عياله إلى بعض حصون الجبل ، فبعث الأفشين بعض قوّاده لاعتراضهم فسلكوا مضايق وتملّقوا وأغاروا إلى أن لقوا العيال فأخذوهم وانصرفوا ، وبلغ الخبر أُدَيْن فركب لاعتراضهم وحاربهم واستنقذ بعض النساء . وعلم بشأنهم الأفشين من علامات كان أمرهم بها إن رأى بهم ريباً فركب إليهم فلما أحسوا به فرجوا عن المضيق ونجا القوم ، وتقدّم الأفشين قليلاً قليلاً إلى حصن البذّ وكان يأمر الناس بالركوب ليلاً للحراسة خوف البيات فضجر الناس من التعب وارتاد في رؤوس تلك الجبال أماكن يتحصّن فيها الرجالة فوجد ثلاثة فأنزل فيها الرجالة بأزوادهم وسدّ الطرق إليها بالحجارة وأقام يحاصرهم . وكان يصلّي الصبح بغلس ، ثم يسير زحفاً ويضرب الطبول الناس لزحفه في الجبال والأودية على مصافهم ، واذا أمسك وقفوا وكان إذا أراد أن يتقدّم المضيق الذي أتى منه عام أوّل خلّف به عسكراً على رأس العقبة يحفظونه لئلا يأخذه الحرسة منه عليهم . وكان بابك متى زحفوا عليه كمن عسكراً تحت تلك العقبة ، واجتهد الأفشين أن يعرف مكان الكمين فلم يُطِق وكان يأمر أبا سعيد وجعفراً لخيّاط وأحمد بن الخليل بن هشام فيتقدّمون إلى الوادي في ثلاثة كراديس ، ويجلس على تلك ينظر إليهم وإلى قصر بابك ويقف بابك قبالته في عسكر قليل وقد أكمن بقية العسكر فيشربون الخمر ويلعبون بالسُرياني ، فاذا صلّى الأفشين الظهر رجع إلى خندقه بروذ الروز مصافاً بعد مصاف ، الأقرب إلى العدوّ ثم الذي يليه ،

(١) آذين : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٦١ .

وآخرين ترجع العسكر الذي عقبه المضيق حتى ضجرت الخُرَّمية من المطاولة ، وانصرف بعض الأيام وتأخر جعفر فخرج الخرّمية من البذّ على أصحابه فردّهم جعفر على أعقابهم ، وارتفع الصياح ورجع الأفشين وقد نشبت الحرب . وكان مع أبي دُلَف من أصحاب جعفر قوم من المطوعة فضيقوا على أصحاب بابك وكانوا يصدعون البذّ ، وبعث جعفر إلى الأفشين يستمدّه خمسمائة راجل من الناشبة فأتى له وأمره بالتحيّل في الإنصراف ، وتعلق أولئك المطّوعة بالبذّ وارتفع الصياح وخرج الكمناء من تحت العقبة ، وتبين الأفشين أماكنهم واطلّع على خدعتهم . وانصرف جعفر إلى الأفشين وعاتبه فاعتذر إليه يستأمن الكمين وأراه مكانه ، فانصرف عن عتابه وعلم أنّ الرأي معه . وشكا المطوعة ضيق العلوفة والزاد فأذن لهم في الإنصراف وتناولوه بألسنتهم ، ثم طلبوه في المناهضة فأذن لهم وواعدهم ليوم معلوم ، وجهّز وحمل المال والزاد والماء والمحامل لجرجان ، وتقدّم إلى مكانه بالأمس وجهّز العسكر على العقبة على عادته ، وأمر جعفراً بالتقدّم بالمطوعة وأن يأتوا من أسهل الوجوه وأطلق يده بمن يريده من الناشبة والنفاطين ، وتقدّم جعفر إلى مكانه بالأمس والمتطوعة معه ، فقاتلوا وتعلّقوا بسور البذّ حتى ضرب جمعهم ما به وجاء الفعلة بالفؤس وطيف عليهم بالمياه والأزودة ثم جاء الخرّمية من الباب وكسروا على المطوعة وطرحوهم على السور ورموهم بالحجارة فنالت منهم وضعفوا عن الحرب ، ثم تحاجزوا آخر يومهم وأمرهم الافشين بالانصراف وداخلهم اليأس من الفتح تلك السنة ، وانصرف أكثر المطوعة . ثم عاود الأفشين الحرب بعد أسبوعين وبعث من جوف الليل ألفاً من الناشبة إلى الجبل الذي وراء البذّ حتى يعاينوا الأفشين من هذه الناحية فيرمون على الخرّمية . وبعث عسكراً آخر كميناً تحت ذلك الجبل الذي وراء البذّ ، وركب هو من الغداة إلى المكان الذي يقف فيه على عادته . وتقدّم جعفر الخيّاط والقوّاد حتى صاروا جميعاً حول ذلك الجبل ، فوثب كمين بابك من أسفل الجبل بالعسكر الذي جاء إليه لما فضحهم الصبح ، وانحدر الناشبة من الجبل وقد ركّبوا الأعلام على رماحهم ، وقصدوا جميعاً أُدَيْن قائد بابك في جفلة ، فانحدر إلى الوادي ، فحمل عليه جماعة من أصحاب القوّاد فرمى عليهم الصخور من الجبل وتحدّرت إليهم ولما رأى ذلك بابك استأمن للأفشين على أن يحمل عياله من البذّ ، وبينما هم في ذلك إذ جاء الخبر إلى الأفشين بدخول البذّ ، وأنّ الناس صعدوا بالأعلام فوق قصور بابك حتى دخل وادياً هنالك

وأحرق الأفشين قصور بابك وقتل الخرّمية عن آخرهم ، وأخذ أمواله وعياله ، ورجع إلى معسكره عند المساء ، وخالفه بابك إلى الحصن فحمل ما أمكنه من المال والطعام وجاء الأفشين من الغد فهدم القصور وأحرقها وكتب إلى ملوك أرمينية وبطارقتهم بإذكاء العيون عليه في نواحيهم حتى يأتوه به ، ثم عثر على بابك بعض العيون في واد كثير الغياض يمرّ من أذربيجان إلى أرمينية فبعث من يأتي به فلم يعثروا عليه لكثرة الغياض والشجر . وجاء كتاب المعتصم بأمانه فبعث به الأفشين بعض المستأمنة من أصحاب بابك فامتنع من قبوله . وقتل بعضهم ، ثم خرج من ذلك الوادي هو وأخوه عبدالله ومعاوية وأمّه يريدون أرمينية ، ورآهم الحرس الذين جاؤا لأخذه وكان أبو السفاح هو المقدّم عليهم فمّروا في اتباعهم وأدركوهم على بعض المياه ، فركب ونجا وأخذ أبو السفاح معاوية وأمّ بابك وبعث بهم إلى الأفشين وسار بابك في جبال أرمينية مختفياً وقد أذكوا عليه العيون حتى إذا مسّه الجوع بعث بعض أصحابه بدنانير لشراء قوتهم فعثر به بعض المسلحة . وبعث إلى سهل بن ساباط [1] فجاء واجتمع بصاحب بابك الذي كانت حراسة الطريق عليه ، ودلّه على بابك فأتاه وخادعه حتى سار إلى حصنه وبعث بالخبر إلى الأفشين فبعث إليه بقائدين من قبله وأمرهما بطاعة ابن ساباط ، فأكمنهما في بعض نواحي الحصن وأغرى بابك بالصيد وخرج معه فخرج القائدان من الكمين فأخذاه وجاء به إلى الأفشين ومعها معاوية بن سهل بن ساباط فحبسه ووكّل بحفظه وأعطى معاوية ألف درهم ، وآتى سهلاً ألف ألف درهم ومنطقة مفرّقة بالجوهر . وبعث إلى عيسى بن يوسف بن أسْطقانوس [2] ملك البَيْلَقان يطلب منه عبدالله أخا بابك ، وقد كان لجأ إلى حصنه عندما أحاط به ابن ساباط فأنفذه إليه ، وحبسه الأفشين مع أخيه . وكتب إلى المعتصم فأمره بالقدوم بهما وذلك في شوّال من سنة إثنتين وعشرين ، وسار الأفشين بهما إلى سامرا فكان يلقاه في كل رحلة رسول من المعتصم بخلعة وفرس . ولما قرب من سامرا تلقّاه الواثق وكبّر لقدومه وأنزل الأفشين وبابك عنده بالمطيرة ، وتوّج الأفشين وألبسه وشاحين ووصله بعشرين ألف ألف درهم وعشرة آلاف ألف درهم يفرّقها في عسكره ، وذلك في صفر سنة ثلاث وعشرين . وجاء أحمد ابن أبي داود إلى بابك متنكراً وكلّمه ، ثم جاء المعتصم أيضاً

(١) سهل بن سنباط : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٧٣ .
(٢) عيسى بن يونس بن اصطفانوس : المرجع السابق ص ٤٧٤ .

متنكرًا فرآه . ثم عقد من الغد واصطف النظارة سَمَاطَيْن وجيء ببابك راكباً على فيل ، فلما وصل أمر المعتصم بقطع أطرافه ثم بذبحه ، وأنفذ رأسه إلى خراسان ، وصلب شلوه بسامرا وبعث بأخيه عبدالله إلى إسحق بن إبراهيم ببغداد ليفعل به مثل ذلك ففعل . وكان الذي أنفق الأفشين في مدّة حصاره لبابك سوى الأرزاق والأنزال والمعاون عشرة آلاف ألف درهم يوم ركوبه لمحاربته ، وخمسة آلاف يوم قعوده . وجميع من قتل بابك في عشرين سنة أيام قتيبة مائة ألف وخمسة وخمسين ألف[1] ، وهزم من القوّاد يحيى بن مُعَاذ وعيسى بن محمد بن أبي خالد وأحمد ابن الجنيد وزُرَيْق بن عليّ بن صَدَقَة ومحمد بن حميد الطوسي وابراهيم بن الليث . وكان الذين أسروا مع بابك ثلاثة آلاف وثلثمائة والذي استنقذ من يديه من المسلمات وأولادهنّ سبعة آلاف وستمائة إنسان جعلوا في حظيرة ، فمن أتى من أوليائهم وأقام بيّنة على أحد منهم أخذه ، والذي صار في يد الأفشين من بني بابك وعياله سبعة عشر رجلاً وثلاثاً وعشرين امرأة .

* (فتح عمورية) *

وفي سنة ثلاث وعشرين خرج نوفل بن ميخاييل[2] ملك الروم إلى بلاد المسلمين ، فأوقع بأهل زِبَطْرَة ، لأنّ بابك لما أشرف على الهلاك كتب إليه أنّ المعتصم قد وجّه عساكره حتى خيّاطَة يعني جعفر بن دينار وطِبّاخه يعنى إيتاخ ولم يبق عنده أحد ، فانتهز الفرصة ثلاثاً أوْ دونها . وظنّ بابك أنّ ذلك يدعو المعتصم إلى إنفاذ العساكر لحرب الروم ، فيخفّ عنه ما هو فيه ، فخرج نوفل في مائة ألف وفيهم من المُحَمِّرة[3] الذين كانوا خرجوا بالجبال وهزمهم إسحق بن ابراهيم بن مُصْعَب فلحق بالروم ، وبلغ زِبَطْرَة فاستباحها قتلاً وسبياً وأعاد على مَلَطْيَة وغيرها ، ومثّل بالأسرى . وبلغ الخبر إلى المعتصم فاستعظمه وبلغه أنّ هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم : وامعتصماه ! فأجاب وهو على سريره لبيك ، لبيك ! ونادى بالنفير ونهض من ساعته فركب دابته واحتقب شكالاً وسكة من حديد فيها رداؤه . وجمع العساكر وأحضر قاضي بغداد عبد الرحمن بن إسحق ومعه ابن سهل في ثلثمائة

---

(١) وفي الكامل ج ٦ ص ٤٧٨ : مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمس مائة انسان» .

(٢) توفيل بن ميخائيل · ابن الاثير ج ٦ ص ٤٧٩ .

(٣) المحمّرة .

وثلاثين من العدول فأشهدهم بما وقف من الضياع ، ثلثاً لولده وثلثاً لمواليه ، وثلثاً لوجه الله . وسار فعسكر بقرى دجلة لليلتين من جمادى الأولى وبعث عُجَيف بن عَنْبَسَة وعُمَر الفَرْغَانِيّ وجماعة من القوّاد مدداً لأهل زِبَطْرَة ، فوجدوا الروم قد ارتحلوا عنها فأقاموا حتى تراجع الناس واطمأنوا . ولما ظفر ببابك سأل أيّ بلاد الروم أعظم عندهم فقيل له عَمُورِيّة ، فتجهّز إليها بما لا يماثله أحد قبله من السلاح والآلة والعدد ، وحياض الأدم والقِرَب والروايا وجعل مقدّمته أشناس ، وبعده محمد بن ابراهيم بن مصعب وعلى الميمنة إيتاخ ، وعلى الميسرة جعفر بن دينار الخيّاط ، وعلى القلب عُجَيْف بن عَنْبَسَة ، وجاء إلى بلاد الروم فأقام بسَلُوقِيّة على نهر السنّ قريبا من البحر ، وعلى مسيرة يوم من طرطوس[1] وبعث الأفشين إلى سَروج وأمره بالدخول من درب الحرث[2] وبعث أشناس من درب طرطوس وأمره بانتظاره بالصفصاف ، وقدّم وصيفاً في أثر أشناس وواعدهم يوم اللقاء . ورحل المعتصم لستٍ بقين من رجب . وبلغه الخبر أنّ ملك الروم عازم على كبس مقدمته فبعث إلى أشناس بذلك وأن يقيم ثلاثة أيام ليلحق به . ثم كتب إليه أن يبعث إليه من قوّاده من يأتيه بخبر الروم وملكهم فبعث عمر الفرغاني في مائتي فارس ، فطاف في البلاد وأحضر جماعة عند أشناس أخبروه بأنّ ملك الروم بينما هو ينتظر المقدمة ليواقعها إذ جاءه الخبر بأنّ العساكر دخلت من جهة أرمينية[3] يعني عسكر الأفشين ، فاستخلف ابن خاله على عسكره وسار إلى تلك الناحية فوجه أشناس بهم إلى المعتصم . وكتب المعتصم إلى الأفشين بالمقام حذراً عليه وجعل لمن يوصل الكتاب عشرة آلاف درهم ، وأوغل في بلاد الروم فلم يدركه الكتاب . وكتب المعتصم إلى أشناس بأن يتقدّم والمعتصم في أثره حتى إذا كانوا على ثلاث مراحل من أنقرة أَسَر أشناس في طريقه جماعة من الروم فقتلهم ، وقال لهم شيخ منهم : أنا أدلك على قوم هربوا من أنقرة معهم الطعام والشعيرة فبعث معه مالك بن كرد[2] في خمسمائة فارس فدلّ بهم إلى مكان أهل أنقرة فغنموا منهم ووجدوا فيهم جرحى قد حضروا وقعة ملك الروم مع الأفشين ، وقالوا : لما استخلف على عسكره سار إلى ناحية أرمينية فلقينا

---

(١) طرسوس : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٨١ .
(٢) درب الحدث : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٨١ .
(٣) الارمنياق : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٨١ .
(٤) مالك بن كيدر : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٨٢ .

المسلمين صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالهم وافترقت عساكرنا في طلبهم ثم رجعوا بعد الظهر فقاتلونا وحرقوا عسكرنا وفقدنا الملك وانهزمنا ، ورجعنا إلى العسكر فوجدناه قد انتقض وجاء الملك من الغد فقتل نائبه الذي استخلفه ، وكتب إلى بلاده بعقاب المنهزمين ومواعدتهم بمكان كذا ليلقى المسلمين بها . ووجّه خصيًّا له إلى أنقرة ليحفظها فوجد أهلها قد أجلوا فأمره الملك بالمسير إلى عموريّة ، فوعى مالك ابن كرد خبرهم ورجع بالغنيمة والأسرى إلى أشناس وأطلق الأمير الذي دلّه . وكتب أشناس بذلك إلى المعتصم ثم جاء البشير من ناحية الأفشين بالسلامة ، وأنّ الوقعة كانت لخمس بقين من شعبان . وقَدِمَ الأفشين على المعتصم بأنقرة ورحل بعد ثلاثٍ والأفشين في ميمنته وأشناس في ميسرته وهو في القلب ، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان ، وأمرهم بالتخريب والتحريق ما بين أنقرة وعموريّة . ثم وافى عموريّة وقسّمها على قوّاده ، وخرج إليه رجل من المتنصرة فدلّه على عورة من السور بني ظاهره وأخلّ باطنه فضرب المعتصم خيمته قبالته ونصبت عليه المجانيق ، فتصدّع السور . وكتب بَطْريقها باطيس[1] والخصي إلى الملك يعلمانه بشأنهما في السور وغيره ، فوقع في يد المسلمين مع رجلين . وفي الكتاب أنّ باطيس عازم على أن يخرج ليلاً ويمرّ بعسكر المسلمين ويلحق بالملك فنادى المعتصم حرسه ، ثم انثلمت فوهة من السور بين برجين وقد كان الخندق طمّ بأوعية الجلود المملوأة تراباً ثم ضرب بالذبالات[2] عليها فدحرجها الرجال إلى السور فنشبت في تلك الأوعية وخلص من فيها بعد الجهد . ولما جاء من الغد بالسلالم والمنجنيقات فقاتلوهم على تلك الثَلْمَة وحارب وبدر بالحرب أشناس وجمعت المنجنيقات على تلك الثلمة وحارب في اليوم الثاني الأفشين والمعتصم راكب ازاء الثلمة ، وأشناس وأفشين وخواص الخدّام معه . ثم كانت الحرب في اليوم الثالث على المعتصم وتقدّم اتياخ[3] بالمغاربة والأتراك واشتدّ القتال على الروم إلى الليل وفشت فيهم الجراحات ، ومشى بطريق تلك الناحية الى رؤساء الروم ، وشكا إليهم واستمدّهم فأبوا . فبعث إلى المعتصم يستأمن فأمّنه وخرج من الغد إلى المعتصم وكان إسمه وبدوا[4] فبينما هو والمعتصم يحادثه أومأ عبد الوهاب

(١) ناطيس : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٨٥ .
(٢) لعلها الدبابات كما في الكامل ج ٦ ص ٤٨٥ .
(٣) ايتاخ : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٨٧ .
(٤) وندوا : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٨٧ .

ابن علي من بين يديه إلى المسلمين بالدخول فافتتحوا من الثلمة ورآهم وبدوا فخاف فقال له المعتصم : كل شيء تريده هو لك . ودخل المسلمون المدينة وامتنع الروم بكنيستهم وسطها فأحرقها المسلمون عليهم . وامتنع باطيس البطريق في بعض أبراجها حتى استنزله المعتصم بالأمان ، وجاء الناس بالأسرى والسبي من كل جانب . واصطفى الأشراف وقتل من سواهم وبيعت مغانمهم في خمسة أيام وأحرق الباقي . ووثب الناس على المغانم في بعض الأيام ينهبونها فركب المعتصم وسار نحوهم فكفؤا بعمورية فهدمت وأحرقت وحاصرها خمسة وخمسين يوماً من سادس رمضان إلى آخر شوّال ، وفرّق الأسرى على القوّاد ورجع نحو طرطوس[1] . ولم يزل نوفل مملكاً على الروم إلى أن هلك سنة تسع وعشرين ومائتين في ولاية الواثق . ونصبوا ابنه ميخاييل في كفالة أمّه ندورة فأقامت عليهم ست سنين ثم اتهمها إبنها ميخاييل بقمط من أقماطها عليها وألزمها بيتها سنة ثلاث وثلاثين .

* (حبس العباس بن المأمون ومهلكه) *

كان المعتصم يقدّم الأفشين على عُـجَيْـف بن عنبسة ولما بعثه إلى زِبَطْرة لم يطلق يده في النفقات كما أطلق للأفشين وكان يستقصر شأن عجيف وأفعاله ، فطوى عجيف على النكث ولقي العباس بن المأمون فعذله على قعوده عند وفاة المأمون عن الأمر حتى بويع المعتصم وأغراه قبلاً في ذلك فقبل العباس منه ، ودسّ رجلاً من بطانته يقال له السَّمَرْقَنْدِي قرابة عبدالله بن الوضّاح وكان له أدب ومداراة فاستأمن له جماعة من القوّاد ومن خواص المعتصم فبايعوه وواعد كل واحد منهم أن يثب بالقائد الذي معه فيقتله من أصحاب المعتصم والأفشين وأشناس بالرجوع إلى بغداد فأبى من ذلك وقال : لا أفسد العراق . فلما فتحت عَمّورية وصعب التدبير بعض الشيء أشار عُـجَيْـف بأن يضع من ينهب الغنائم فإذا ركب المعتصم وثبوا به ففعلوا مثل ما ذكرنا . وركب فلم يتجاسروا عليه . وكان للفرغاني قرابة غلام أمرد في جملة المعتصم فجلس مع ندمان الفرغاني تلك الليلة وقص عليهم ركوب المعتصم فأشفق الفرغاني وقال يا بني أقلل من المقام عند أمير المؤمنين والزم خيمتك ، وإن سمعت هيعة فلا

---

(١) طرسوس : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٨٧ .

تخرج فأنت غلام غرّ . ثم ارتحل المعتصم إلى الثغور وتغيّر أشناس على عمر الفرغاني وأحمد بن الخليل وأساء عليهما فطلبا من المعتصم أن يضمّهما إلى من شاء وشكيا من أشناس فقال له المعتصم أحسن أدبهما فحبسهما وحملهما على بغل ، فلما صار بالصفصاف حدّث الغلام ما سمع من قريبه عمر الفرغاني فأمر بُغا أن يأخذه من عند أشناس ويسأله عن تأويل مقالته فأنكر وقال إنه كان سكران ، فدفعه إلى إيتاخ . ثم دفع أحمد بن الخليل إلى أشناس[1] عنده نصيحة للمعتصم وأخبره خبر العبّاس بن المأمون والقوّاد والحرث السَّمَرْقَنْدِي فأنفذ أشناس إلى الحرث وقيّده وبعث به إلى المعتصم ، وكان في المقدمة فأخبر الحرث المعتصم بجلية الأثر فأطلقه وخلع عليه ، ولم يصدقه على القواد لكثرتهم . ثم حضر العبّاس بن المأمون واستحلفه أن لا يكتم عنه شيئاً فشرح له القصة فحبسه عند الأفشين وتتبع القوّاد بالحبس والتنكيل وقتل منهم المشاء بن سهيل[2] ثم دفع العبّاس للأفشين ، فلما نزل مَنْبِج طلب الطعام فأطعم ومنع الماء . ثم أدرج في نبج[3] فمات. ولما وصل المعتصم إلى نَصيبين احتفر لعمر الفرغاني بئراً وطمت عليه ، ولما دخلوا بلاد الموصل قتل عُجَيْف بمثل ما قتل به العبّاس واستلحم جميع القوّاد في تلك الأيام وسمّوا العبّاس اللعين . ولما وصل إلى سامرا جلس أولاد المأمون في داره حتى ماتوا .

* (انتقاض مازيار وقتله) *

كان مازيار بن قارن بن وندا هرمز[4] صاحب طبرستان وكان منافراً لعبدالله بن طاهر فلا يحمل إليه الخراج وقال : لا أحمله إلا للمعتصم فيبعث المعتصم من يقبضه من أصحابه ويدفعه إلى وكيل عبدالله بن طاهر يردّه إلى خراسان . وعظمت الفتنة بين مازيار وعبد الله وعظمت سعاية عبدالله في مازيار عند المعتصم حتى استوحش منه . ولما ظفر الأفشين ببابك وعظم محله عند المعتصم وطمع في ولاية خراسان ظن أنّ انتقاض مازيار وسيلة لذلك فجعل يستميل مازيار ويحرّضه على عداوة ابن طاهر وإن

---

(١) بياض بالأصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٤٩١ : «وسار المعتصم ، فأنفذ احمد بن الخليل الى أشناس يقول له : ان عندي نصيحة لأمير المؤمنين .»

(٢) الشاه بن سهل : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٩٢ .

(٣) في مسح : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٩٢ .

(٤) مازيار بن قارن بن ونداد هرمز : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٩٥ .

أدّت إلى الخلاف ليبعثه المعتصم لحربه فيكون ذلك وسيلة له إلى استيلائه على خراسان ظنًّا بأنّ ابن طاهر لا ينهض لمحاربته . فانتقض مازيار وحمل الناس على بيعته كرهاً وأخذ رهائنهم وعجّل جباية الخراج فأستكثر منه وخرّب سور آمد وسور سابة[1] وفتل[2] أهلها الى جبل يعرف بهرمازا باروني[3] وسرخاشان سور طمس منها الى البحر على ثلاثة أميال وهي على حد جرجان وكانت تبنيه سدّا بين الترك وطبرستان[4] وجعل عليه خندقاً ومن أهل جرجان إلى نيسابور ، وأنفذ عبدالله بن طاهر عمّه الحسن بن الحسين في جيش كثيف لحفظ جُرجان ، فعسكر على الخندق ، ثم بعث مولاه حيّان بن جَبَلَة إلى قُومِس فعسكر على جبال شَرْوين ، وبعث المعتصم من بغداد محمد بن إبراهيم بن مصعب وبعث منصور بن الحسن صاحب دُنْبَاوَنْد إلى الري ، وبعث ابا الساج إلى دُنْبَاوَنْد وأحاطت العساكر بجباله من كل ناحية ، وداخل أصحاب الحسن بن الحسين أصحاب سرخاشان[5] في تسليم سورهم وليس بينهما إلا عرض الخندق ، فكلّموه وسار الآخرون إليه على حين غفلة من القائدين ، وركب الحسن بن الحسين وقد ملك أصحابه السور ودخلوا منه فهرب سرخاشان وقبضوا على أخيه شهريار فقتل . ثم قبض على سرخاشان على خمسة فراسخ من معسكره وجيء به إلى الحسن بن الحسين فقتله أيضا . ثم وقعت بين حيّان بن جَبَلَة وبين فارق بن شهريار[6] وهو ابن أخي مازيار ومن قوّاده ، مداخلة استمالت حيّان ، فأجاب أن يسلّم مدينة سارية إلى حد جُرجان على أن يملّكوه جبال آبائه ، وبعث حيّان إلى ابن طاهر فسجل لقارن بما سأل ، وكان قارن في جملة عبدالله بن قارن أخي مازيار ومن قوّاده فأحضر جميعهم لطعامه وقبض عليهم ، وبعث بهم إلى حيّان فدخل جبال قارن في جموعه واعتصم[7] لذلك مازيار ، وأشار عليه أخوه القوهيار أن يخلّي سبيل من عنده من أصحاب ينزلون من الجبل إلى مواطنهم لئلا يؤتى من قبلهم ، فصرف

---

(١) وأمر بتخريب سور آمل ، وسور سارية ، وسور طميس ، فخرّبت الاسوار : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٩٦ .

(٢) لعلها ونقل أهلها .

(٣) هرمز اباذ : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٩٦ .

(٤) العبارة غير واضحة وفي الكامل ج ٦ ص ٤٩٦ : « وبنى سرخاستان سوراً من طميس الى البحر ، مقدار ثلاثة اميال ، كانت الاكاسرة بنته لتمنع الترك من الغارة على طبرستان . »

(٥) سرخاستان : ابن الاثير ج ٦ ص ٤٩٦ .

(٦) قارن بن شهريار : ابن الاثير ج ص ٤٩٨ .

(٧) مقتضى السياق واغتمّ .

صاحب شرطته وخراجه وكاتبه حميدة ، فلحقوا بالسهل ووثب أهل سارية بعامله عليهم مهرستان بن شهرين فهرب ودخل حيّان سارية . ثم بعث قوهيار أخو مازيار محمد بن موسى بن حفص عامل طبرستان وكانوا قد حبسوه عند انتقاضهم ، فبعثه إلى حيّان ليأخذ له الأمان وولاية جبال آبائه على أن يسلم إليه مازيار ، وعذل قوهيار بعض أصحابه في عدو له بالاستئمان عن الحسن إلى حيّان فرجع إليهم وكتبوا إلى الحسن يستدعونه قوهيار من أخيه مازيار[1] فركب من معسكره بطمس وجاء لموعدهم ولقي حيّان على فرسخ فردّه إلى جبال شَرْوين التي افتتحها ، ووبْخه على غيبته عنها فرجع الى سارية وتوفي ، وبعث عبدالله مكانه بن الحسين بن مصعب وعهد إليه أن لا يمنع قارن ما يريده ، ولما وصل الحسن إلى خرَّماباذ وسط جبال مازيار لقيه قوهيار هنالك ، واستوثق كل منهما من صاحبه ، وكاتب محمد بن ابراهيم ابن مصعب من قوّاد المعتصم قوهيار بمثل ذلك ، فركب قاصداً إليه ، وبلغ الحسن خبره فركب في العسكر وحازم يسابق محمد بن ابراهيم إلى قوهيار فسبقه ولقي قوهيار وقد جاء بأخيه مازيار فقبض عليه وبعثه مع إثنين من قوّاده إلى خرّماباذ ومنها إلى مدينة سارية . ثم ركب واستقبل محمد بن ابراهيم بن مصعب وقال : أين تريد ؟ فقال : إلى المازيار فقال هو بسارية ، ثم حبس الحسن أخوي المازيار ورجع إلى مدينة سارية فقيّد المازيار بالقيد الذي قيّد به محمد بن محمد بن موسى بن حفص ، وجاء كتاب عبدالله بن طاهر بأن يدفع المازيار وأخويه وأهل بيته إلى محمد بن إبراهيم يحملهم إلى المعتصم . وسأل الحسن المازيار عن أمواله فذكر أنها عند قوم من وجوه سارية سمّاهم وأمر الحسن القوهيار بحمل هذه الأموال ، وسار إلى الجبل ليحملها ، فوثب به مماليك المازيار من الدَيْـلَم وكانوا ألفاً ومائتين فقتلوه بثأر أخيه وهربوا إلى الديْـلَم ، فاعترضتهم جيوش محمد بن ابراهيم وأخذوهم فبعث بهم إلى مدينة سارية . وقيل إنّ الذي غدر بالمازيار ابن عمّ له كان يتوارث جبال طبرستان والمازيار يتوارث سهلها ، وكانت جبال طبرستان ثلاثة أجبل فلما انتقض واحتاج إلى الرجال دعا ابن عمه من السهل وولاّه على أصعبها وظنّ أنه قد توثق به فكاتب هو الحسن وأطلعه على مكاتبة الأفشين لمازيار وداخله[2] في الفتك على أن يولّيه ما كان لآبائه ، وأنّ المازيار

---

(١) العبارة غير واضحة وفي الكامل ج ٦ ص ٥٠٠ : «وكتب احمد بن الصقر ومحمد بن موسى بن حفص الى الحسن بن الحسين وهو بطميس : أن أقدم علينا لندفع اليك مازيار والخيل وإلاّ فاتك ...»

(٢) داخله : شاوره .

لما ولّاه الحسن بن سهل طبرستان انتزع الجبل من يده فأفضى له الحسن كتاب ابن طاهر وتوثق له فيه ، وأوعده ليوم معلوم ركب فيه الحسن إلى الجبل فأدخله ابن عمّ مازيار وحاصروه حتى نزل على حكمه . ويقال أخذه أسيراً في الصيد . ومضى الحسن به ولم يشعر صاحب الجبل الآخر وأقام في قتاله لمن كان بازائه فلم يشعر إلاّ والعساكر من ورائه فانهزم ، ومضى إلى بلاد الدَيْلَم فأتبعوه وقتلوه . ولما صار المازيار في يده طلبت منه كتب الأفشين فأحضرها ، وأمر ابن طاهر أن يبعث بها معه إلى المعتصم ، فلما وصل إلى المعتصم ضربه حتى مات وصلبه إلى جانب بابك وذلك سنة أربع وعشرين .

* (ولاية ابن السيد على الموصل) *

وفي سنة أربع وعشرين ولّى المعتصم على الموصل عبدالله بن السيد بن أَنَس الأزدي وكان سبب ولايته أنّ رجلا من مقدّمي الأكراد يعرف بجعفر بن فهرجس كان قد عصى بأعمال الموصل ، وتبعه خلق كثير من الأكراد وغيرهم ، وأفسدوا البلاد فبعث المعتصم لحربه عبدالله بن السيد بن أَنَس فقاتله وغلبه[1]

وأخرجه منها بعد أن كان استولى عليها ولحق بجبل دانس وامتنع بأعاليه ، وقاتله عبدالله وتوغّل في مضايق ذلك الجبل ، فهزمه الأكراد وأثخنوا في أصحابه بالقتل ، وقتل إسحق بن أَنَس عم عبدالله فبعث المعتصم مولاه إتياخ في العساكر إلى الموصل سنة خمس وعشرين وقصد جبل داسن فقاتل جعفراً وقتله وافترق أصحابه ، وأوقع بالأكراد واستباحهم وفروا أمامه الى تكريت .

* (نكبة الافشين ومقتله) *

كان الأفشين من أهل اشروسنة تبوّأها ونشأ ببغداد عند المعتصم وعظم محلّه عنده ولما حاصر بابك كان يبعث إلى أشروسنة بجميع أمواله ، فيكتب ابن طاهر بذلك إلى المعتصم ، فيأمره المعتصم بأن يجعل عيونه عليه في ذلك . وعثر مرّة ابن طاهر على تلك الأموال فأخذها وصرفها في العطاء ، وقال له حاملوها : هذا مال الأفشين ، فقال : كذبتم لو كان ذلك لأعلمني أخي أفشين به ، وإنما أنتم لصوص ، وكتب إلى

(١) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٥٠٦ : وكان جعفر بما نعيس قد استولى عليها .

الأفشين بذلك بأنه دفع المال إلى الجند ليوجّههم إلى الترك فكتب إليه أفشين مالي ومال أمير المؤمنين واحد ، وسأله في إطلاق القوم فأطلقهم واستحكمت الوحشة بينهما وتتابعت السعاية فيه من طاهر، وربما فهم الأفشين أن المعتصم يعزله عن خراسان فطمع في ولايتها ، وكان مازيار يحسن له الخلافة ليدعو المعتصم ذلك إلى عزله وولاية الأفشين لحرب مازيار . فكان من أمر مازيار ما ذكرناه وسيق إلى بغداد مقيّداً ، وولّى المعتصم الأفشين على أذربيجان فولّى عليها من قبله مَنَكْجور من بعض قرابته فاستولى على مالٍ عظيم لبابك . وكتب به صاحب البريد إلى المعتصم فكذّبه مَنَكْجور وهمّ بقتله ، فمنعه أهل أرْدَبيل فقاتلهم ، وسمع ذلك المعتصم فأمر الأفشين بعزل منكجور وبعث قائداً في عسكره مكانه ، فخلع منكجور وخرج من أرْدَبيل فهزمه القائد ولحق ببعض حصون أذربيجان كان بابك خرّبه ، فأصلحه وتحصّن فيه شهراً ثم وثب فيه أصحاب وأسلموه إلى القائد ، فقدم به إلى سامرا فحبسه المعتصم واتّهم الأفشين في أمره وذلك سنة خمس وعشرين ومائتين بأنّ القائد كان بُغا الكبير وأنه خرج إليه بالأمان اهـ * ولما أحس الأفشين بتغير المعتصم أجمع أمره على الفرار واللحاق بأرمينية ، وكانت في ولايته ويخرج منها إلى بلاد الخَزَر ويرجع إلى بلاد أشر وسِنَة ، وصعب عليه ذلك بمباشرة المعتصم أمره فأراد أن يتّخذ لهم صنيعاً يشغلهم فيه نهارهم ، ثم يسير من أوّل الليل . وعرض له في أثناء ذلك غضب على بعض مواليه وكان سيء الملكة فأيقن مولاه بالهلكة ، وجاء الى إيتاخ فأحضره إلى المعتصم وخبّره الخَبَر فأمره بإحضاره وحبسه بالجَوْسق ، وكان ابنه الحسن عاملاً على بعض ما وراء النهر فكتب المعتصم إلى عبدالله بن طاهر في الاحتيال عليه ، وكان يشكو من نوح بن أسد صاحب بخارى . فكتب ابن طاهر إلى الحسن بولاية بخارى وكتب إلى نوح بذلك وأن يستوثق منه اذا وصل إليه ويبعث به ، ثم يبعث به إلى ابن طاهر ، ثم إلى المعتصم . ثم أمر المعتصم بإحضار الأفشين ومناظرته فيما قيل عنه ، فأحضر عند الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيّات وعنده القاضي أحمد بن ابي دواد واسحق بن ابراهيم وجماعة القوّاد والأعيان، وأحضر المازيار من محبسه والمؤيد والمرزبان بن تركش[1] أحد ملوك الصغد ، ورجلان من أهل الصغد يدّعيان أنّ الأفشين ضربهما وهما إمام ومؤذن بمسجد . فكشفا عن ظهورهما وهما عاريان من

(١) المُوَبذ ، والمرزبان بن بركش : ابن الاثير ج ٦ ص ٥١٣ .

اللحم ، فقال ابن الزيات للأفشين : ما بال هذين ؟ قال : عهداإلى معاهدين فوثبا على بيت أصنامهم فكسراها ، واتخذ البيت مسجداً فعاقبتهما على ذلك . وقال ابن الزيات : ما بال الكتاب المحلى بالذهب والجوهر عندك وفيه الكفر ؟ وقال : كتاب ورثته من آبائي وأوصوني بما فيه من آدابهم فكنت آخذها منه وأترك كفرهم ، ولم أحتج إلى نزع حلبته ، وما ظننت أنّ مثل هذا يخرج عن الإسلام . ثم قال المؤيد أنه يأكل لحم المنخنقة ويحملني على أكلها ويقول : هو أرطب من لحم المذبوحة ! ولقد قال لي يوماً حملت على كل مكروه لي حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النعل ، إلى هذه الغاية لم أختتن ولم تسقط عني شعرة العانة . فقال الأفشين : أثقة هذا عندكم في دينه ؟ وكان مجوسيًّا قالوا : لا ! قال : فكيف تقبلونه عليّ ؟ ثم قال للمؤيد : أنت ذكرت أني أسررت إليك ذلك ، فلست بثقة في دينك ولا بكريم في عهدك ثم قال له المرزبان : كيف يكاتبك أهل أشروسنّة ؟ قال : ما أدري ! قال : أليس يكاتبونك بما تفسّره بالعربي إلى إله الآلهة من عبده فلان ؟ قال : بلى ! فقال ابن الزيات : فما أبقيت لفرعون ؟ قال هذه عادة منهم لأبي وجدّي ولي قبل الإسلام ، ولو منعتهم لفسدت عليّ طاعتهم . ثم قال له : أنت كاتبت هذا وأشار إلى المازيار. كتب أخوه إلى أخي قوهيار أنه لن ينصر هذا الدين غيري وغيرك وغير بابك ، فأما بابك فقد قتل نفسه بجمعه ، ولقد عهدت أن أمنعه فأبى إلاّ خنقه ، وأنت إن خالفت لم يرمك القوم بغيري ومعي أهل النجدة ، وإن توجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا العرب والمغاربة والترك ، والعربي كلب تناوله لقمة وتضرب رأسه ، والمغاربة أكلة رأس ، والأتراك لهم صدمة ثم تجول الخيل جولة فتأتي عليهم ، ويعود هذا الدين إلى ما كان عليه أيام العجم . فقال الأفشين : هذا يدعى أن أخي كتب إلى أخيه فما يجب عليّ ؟ ولو كتب فأنا أستميله مكراً به لأحظى عند الخليفة كما حظي به ابن طاهر ، فزجره ابن أبي دؤاد فقال له الأفشين : ترفع طيلسانك فلا تضعه حتى تقتل جماعة فقال : أَمُتَطَهِّرٌ أنت ؟ قال : لا ! قال : فما يمنعك وهو شعار الإسلام ؟ قال : خشيت على نفسي من قطعه ! قال : فكيف وأنت تلقى الرماح والسيوف ؟ قالَ تلك ضرورة أصبر عليها وهذا أستجلبه . فقال ابن أبي دؤاد لبُغا الكبير : قد بان لكم أمره يابُغا عليك به . فدفعه بيديه وردّه إلى محبسه ، وضرب مازيار أربعمائة سوط فمات منها ، وطلب أفشين من المعتصم أن

يُنْفِذَ إليه من يثق به ، فبعث حمدون بن إسمعيل فاعتذر له عن جميع ما قيل فيه وحمل إلى دار إتياخ فقتل بها وصلب على باب العامة ، ثم أحرق وذلك في شعبان من سنة ست وعشرين ، وقيل قطع عنه الطعام والشراب حتى مات .

* (ظهور المبرقع) *

كان هذا المُبَرْقَع يعرف بأبي حرب اليماني وكان بفلسطين ، وأراد بعض الجند النزول في داره فمنعه بعض النساء فضربها الجندي ، وجاء فشكت إليه بفعل الجندي ، فسار إليه وقتله ، ثم هرب إلى جبال الأردن فأقام به واختفى بِبرقع على وجهه وصار يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعيب الخليفة ويزعم أنه أموي ، واجتمع له قوم من تلك الناحية وقالوا : هو السُفْيَاني ثم أجابه جماعة من رؤساء اليمانية منهم ابن بهيس[(١)] وكان مطاعاً في قومه وغيره فاجتمع له مائة ألف ، وسرّح المعتصم رجاء بن أيوب في ألف من الجند فخام عن لقائه لكثرة من معه ، وعسكر قبالته ينتظر أوان الزراعة وانصراف الناس عنه لأعمالهم . وبينما هم في الانصراف توفي المعتصم وثارت الفتنة بدمشق ، فأمره الواثق بقتل من أثار الفتنة والعود إلى المبرقع ، ففعل وقاتله فأخذه أسيراً وابن بهيس معه ، وقتل من أصحابه عشرين ألفاً وحمله وذلك سنة سبع وعشرين ومائتين .

* (وفاة المعتصم وبيعة الواثق) *

وتوفي المعتصم أبو اسحق محمد بن المأمون بن الرشيد منتصف ربيع الأوّل سنة سبع وعشرين لثمان سنين وثمانية أشهر من خلافته ، وبويع ابنه هرون الواثق صبيحته وتكنّى أبا جعفر . فثار أهل دمشق بأميرهم وحاصروه وعسكروا بمرج واسط[(٢)] وكان رجاء بن أيوب بالرملة في قتال المبرقع ، فرجع إليهم بأمر الواثق فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم ، وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة ومن أصحابه نحو ثلثمائة ، وصلح أمر دمشق ، ورجع رجاء إلى قتال المبرقع حتى جاء به أسيراً[(٣)]   بيعة

---

(١) ابن بيهس : ابن الاثير ج ٦ ص ٥٢٢ .
(٢) مرج راهط : ابن الاثير ج ٦ ص ٥٢٨ .
(٣) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٧ ص ٩ : «وفي هذه السنة (٥٢٨) اعطى الواثق أشناس تاجاً ووشاحين» .

الواثق توّجه أشناس ووشحه وكان للواثق سمر يجلسون عنده ويُفيضون في الأخبار حتى أخبروه عن شأن البرامكة واستبدادهم على الرشيد واحتجابهم الأموال فأغراه ذلك بمصادرة الكتاب فحبسهم وألزمهم الأموال . فأخذ من أحمد بن اسرائيل ثمانين ألف دينار بعد أن ضربه ، ومن سليمان بن وهب كاتب إيتاخ أربعمائة ألف ، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألفاً ، ومن ابراهيم بن رباح وكاتبه مائة ألف ، ومن أبي الوزر مائة وأربعين ألفاً وكان على اليمن إيتاخ وولاّه عليها المعتصم بعدما عزل جعفر بن دينار ، وسخطه وحبسه ثم رضي عنه وأطلقه ، فلما وَلِيَ الواثق ولّى إيتاخ على اليمن من قبله سار بأميان ، فسار إليها وكان الحرس اسحق بن يحيى بن معاذ ولاّه المعتصم بعد عزل الأفشين ، وولّى الواثق على المدينة سنة إحدى وعشرين محمد بن صالح بن العبّاس وبقي محمد بن داود على مكة ، وتوفي عبدالله بن طاهر سنة ثلاثين وكان على خراسان وكرمان وطبرستان والري وكان له الحرب والشرطة والسواد فولّى الواثق على أعماله كلها ابنه طاهراً .

* (وقعة بغافى الاعراب) *

كان بنو سُلَيْم يفسدون بنواحي المدينة ويتسلّطون على الناس في أموالهم وأوقعوا بناس من كِنانة وباهلة ، وبعث محمد بن صالح إليهم مسلحة المدينة ومعهم متطوّعة من قريش والأنصار فهزمهم بنو سُلَيْم وقتلوا عامتهم وأحرقوا لباسهم وسلاحهم وكراعهم ونهبوا القرى ما بين مكّة والمدينة وانقطع الطريق ، فبعث الواثق بُغَا الكبير ، وقدم المدينة في شعبان فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم خمسين رجلاً وأسر مثلها ، واستأمنوا له على حكم الواثق ، فقبض على ألف منهم ممن يعرف بالفساد فحبسهم بالمدينة وذلك سنة ثلاثين . ثم حجّ وسار إلى ذات عِرْق وعرض على بني هِلاَل مثل بني سُلَيْم فأخذ من المفسدين منهم نحو ثلثمائة رجل وحبسهم بالمدينة وأطلق الباقين . ثم خرج بُغَا إلى بني مرّة فنقب أولئك الأسرى الحبس وقتلوا الموكّلين ، فاجتمع عليهم أهل المدينة ليلاً ومنعوهم من الخروج فقاتلوهم إلى الصبح ثم قتلوهم ، وشق ذلك على بغا وكان سبب غيبته أنّ فزارة وبني مُرَّة تغلبوا على فَدَك ، فخرج إليهم وقدّم رجلاً من قوّاده يعرض عليهم الأمان ، فهربوا من سطوته إلى الشام واتّبعهم إلى تخوم الحجاز من الشام ، وأقام أربعين ليلة ثم رجع إلى المدينة بمن ظفر منهم . وجاءه قوم من بطون غِفار وفزارة وأشجع وثعلبة فاستحلفهم على الطاعة ثم سار إلى بني كلاب فأتوه في

ثلاثة آلاف رجل فحبس أهل الفساد منهم ألفاً بالمدينة وأطلق الباقين ، وأمره الواثق سنة إثنين وثلاثين بالمسير إلى بني نُـمَـيْر باليمامة وما قرب منها لقطع فسادهم ، فسار إليهم ولقي جماعة الشريف منهم فحاربهم وقتل منهم خمسين وأسر أربعين . ثم سار إلى مُرّة وبعث إليهم في الطاعة فامتنعوا وساروا الى جبال السند وطف اليمامة[1] وبعث سراياهم فأوقع بهم في كل ناحية ثم سار إليهم في ألف رجل فلقيهم قريباً من أُضَاخَ فكشفوا مقدمته وميسرته وأثخنوا في عسكره بالقتل والنهب . ثم ساروا تحت الليل وهو في اتباعهم يدعوهم إلى الطاعة وبعث طائفة من جنده يدعون بعضهم وأصبح وهو في قلة ، فحملوا عليه وهزموه إلى معسكره ، وإذا بالطائفة الذين بعثهم قد جاؤا من وجهتهم فلما رآهم بنو نُـمَـيْر من خلفهم ولوا منهزمين وأسلموا رجالهم وأموالهم ونجوا على خيلهم ولم يفلت من رجالتهم أحد ، وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة ، وأقام بمكان الوقعة واستأمن له أمراؤهم فقيّدهم وحبسهم بالبصرة . وقدم عليه واجن الأَشْـرُوسَنِيّ في سبعمائة مقاتل مدداً فبعثه إلى اتباعهم إلى أن بلغ تَبالة من أعمال اليمن ورجع ، وسار بُـغَـا إلى بغداد بمن معه منهم وكانوا نحو ألفي رجل ومائتي رجل ، وكتب إلى صالح أمير المدينة أن يوافيه ببغداد من عنده منهم فجاء بهم وسلّموا جميعاً .

* (مقتل أحمد بن نصر) *

وهو أحمد بن مالك وهو أحد النقباء كما تقدّم وكان أحمد هذا نسيبة لأهل الحديث ويغشاه جماعة منهم مثل ابن حُـصَـيْن وابن الدَوْرَقِي وأبي زُهَـيْر ، ولقّن منهم النكير على الواثِق بقوله بخلق القرآن . ثم تعدّى ذلك إلى الشتم وكان ينعته بالخنزير والكافر ، وفشا ذلك عنه وانتدب رجلان ممن كان يغشاه هما أبو هرون السرّاج وطالب وغيرهما فدعوا الناس له وبايعه خلق على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفرّقوا الأموال في الناس ديناراً لكل رجل ، وأنفذوا لثلاث تمضي من شعبان من سنة إحدى وثلاثين يظهرون فيها دعوتهم . واتفق أنّ رجالاً ممن بايعهم من بني الأشرس جاؤا قبل الموعد بليلة وقد نال منهم السكر فضربوا الطبل وصاحب الشرطة إسحق بن إبراهيم غائب ، فارتاع خليفته محمد أخوه فأرسل من يسأل عن ذلك فلم يوجد[2]

(١) وسار بعضهم الى جبال السَّوْد ، وهي خلف اليمامة : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٧ .
(٢) الصحيح : فلم يجد .

أحد ، وأتوه برجل أعور إسمه عيسى وجدوه في الحمّام فدلّهم على بني الأشرس وعلى أحمد بن نصر وعلى أبي هرون وطالب ، ثم سيق خادم أحمد بن نصر فذكر القصة ، فقبض عليه وبعث بهم جميعاً إلى الواثِق بسامرا مقيّدين ، وجلس لهم مجلساً عامّاً وحضر فيه أحمد بن ابي دؤاد ، ولم يسأله الواثِق عن خروجه وإنما سأله عن خلق القرآن فقال : هوكلام الله . ثم سأله عن الرؤية فقال : جاءت بها الأخبار الصحيحة ونصيحتي أن لا يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم سأل الواثق العلماء حوله عن أمره ، فقال عبد الرحمن بن إسحق قاضي الجانب الغربيّ : هو حَلاَلَ الدّم ! وقال ابن أبي دؤاد : هوكافر يستتاب . فدعا الواثق بالصَمْصَامَة فانتضاها ومشى إليه فضربه على حبل عاتقه ثم على رأسه ، ثم وخزه في بطنه ، ثم أجهز سيما الدمشقي عليه وحزوا رأسه ونصب ببغداد وصلب شلوه عند بابها .

* (الفداء والصائفة) *

وفي سنة إحدى وثلاثين عقد الواثِق لأحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة على الثغور والعواصِم ، وأمره بحضور الفداء هو وخاقان الخادم ، وأمرهما أن تمتحن الأسرى باعتقاد القرآن والرؤية . وجاء الروم بأسراهم والمسلمون كذلك والتقوا على نهر اللامس على مرحلة من طرطوس[١] وكان عدّة أسرى المسلمين أربعة آلاف وأربعة وستين والنساء والصبيان ثمانمائة وأهل الذمّة مائة . فلما فرغوا من الفداء غزا أحمد بن سعيد بن مسلم شاتياً وأصاب الناس ثلج ومطر وهلك منهم مائة نفس ، وأسر منهم نحوها وخرق بالنبل قرون خلق ، ولقيه بَطْرِيق من الروم فخام عن لقائه ثم غنم ورجع ، فعزله الواثِق وولّى مكانه نصر بن حمزة الخزاعي .

* (وفاة الواثق وبيعة المتوكل) *

وتوفي الواثق أبو جعفر هرون بن المعتصم محمد لستٍ بقين من سنة إثنتين وثلاثين ، وكانت علّته الاستسقاء وأدخل في تنور مسجر[٢] فلقي خفة ، ثم عاوده في اليوم الثاني أكثر من الأوّل فأخرج في محفّة فمات فيها ، ولم يشعروا به . وقيل إن ابن أبي دؤاد غمّضه ومات لخمس سنين وتسعة أشهر من خلافته ، وحضر في الدار أحمد بن أبي

(١) هي طرسوس .
(٢) مُسَخّن : ابن الإثير ج ٧ ص ٢٩ .

دؤاد وإتياخ[١] ووصيف وعمر بن فرج وابن الزيّات ، وأراد البيعة لمحمد بن واثق وهو غلام إمّر[٢] فألبسوه ، فاذا هو قصير فقال وصيف : أما تتقون الله تولّون الخلافة مثل هذا ! ثم تناظروا فيمن يولونه وأحضروا المتوكل فألبسه ابن أبي دؤاد الطويلة وعمّمه وسلّم عليه بامارة المؤمنين ولقبه المتوكل ، وصلّى على الواثق ودفنه . ثم وضع العطاء للجند لثمانية أشهر ، وولّى على بلاد فارس إبراهيم بن محمد بن مُصْعَب ، وكان على الموصل غانم بن محمد الطُوَيْس فأقرّه وعزل ابن العبّاس محمد بن صول عن ديوان النفقات وعقد لابنه المنتصر على الحرمين واليمن والطائف .

* (نكبة الوزير ابن الزيات ومهلكه) *

كان محمد بن عبد الملك بن الزيّات قد استوزره الواثِق فاستمكن من دولته وغلب على هؤلاء ، وكان لا يحفل بالمتوكل ولا يوجب حقّه ، وغضب الواثِق عليه مرّة فجاء إلى ابن الزيّات ليستنزله فأساء معاملته في التحية والملاقاة فقال : إذهب فإنك إذا صلحت رضي عنك . وقام عنه حزيناً فجاء إلى القاضي أحمد بن دؤاد[٣] فلم يدع شيئاً من البرّ إلا فعله وحيّاه وفدّاه ، وخطب حاجته فقال : أحب أن ترضي عني أمير المؤمنين فقال : أفعل ونعمة عين ! ولم يزل بالواثِق حتى رضي عنه . وكان ابن الزيّات كتب إلى الواثِق عندما خرج عنه المتوكل أنّ جعفراً أتاني فسأل الرضا عنه وله وَفْرَة شبه زي المخنّثين ، فأمره الواثِق أن يحضره من شعر قفاه فاستحضره فجاء يظن الرضا عنه وأمر حجّاماً أخذ من شعره وضرب به وجهه فحقد له ذلك وأساء له . ولما ولي الخلافة بقي شهراً ثم أمر إيتاخ أن يقبض عليه ويقيّده بداره ويصادره ، وذلك في صفر سنة ثلاث وثلاثين ، فصادره واستصفى أمواله وأملاكه وسلّط عليه أنواع العذاب ، ثم جعله في تنور خشب في داخله مسامير تمنع من الحركة وترعج من فيه لضيقه ، ثم مات منتصف ربيع الأوّل ، وقيل إنه مات من الضرب وكان لا يزيد على التشهّد وذكر الله . وكان عمر بن الفرح الرَخَجِي[٤] يعامل المتوكل بمثل ذلك فحقد له ، ولما استخلف قبض عليه في رمضان واستصفى أمواله ثم صودر على أحد عشر ألف ألف .

---

(١) اسمه الحقيقي إيتاخ وقد مرّ معنا في فصل سابق من هذا الكتاب .
(٢) أمرد : ابن الأثير ج ٧ ص ٣٣ .
(٣) هو أحمد بن أبي دؤاد .
(٤) عمر بن الفرج الرخّجي : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٩ .

* (نكبة اتياخ ومقتله) *

كان اتياخ مولى السلام الأبرص(١) وكان عنده ناخورياً طبّاخاً ، وكان شجاعاً فاشتراه المعتصم منه سنة تسع وتسعين وارتفع في دولته ودولة الواثِق ابنه وكان له المؤنة بسامرا مع اسحق بن ابراهيم بن مصعب . وكانت نكبة العظماء في الدولة على يديه وحبسهم بداره ، مثل أولاد المأمون وابن الزيّات وصالح وعُجَيْف وعمر بن الفرج وابن الجُنَيْد وأمثالهم ، وكان له البريد والحجابة والجيش والمغاربة والأتراك . وشرب ذات ليلة مع المتوكل فعربد على إتياخ وهمّ إتياخ بقتله ، ثم غدا عليه فاعتذر له ودسّ عليه من زيّن له الحجّ فاستأذن المتوكل فأذن له وخلع عليه وجعله أمير كل بلد يمرّ به . وسار لذلك في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين أو ثلاث وثلاثين ، وسار العسكر بين يديه وجعلت الحجابة إلى وصيف الخادم ولما عاد إتياخ من الحج بعث إليه المتوكل بالهدايا والالطاف ، وكتب إلى اسحق بن ابراهيم بن مصعب بأمره بحبسه . فلما قارب بغداد كتب إليه إسحق بأنّ المتوكل أمر أن يدخل بغداد وأن تلقاه بنو هاشم ووجوه الناس وأن يقعد بدار خُزَيْمَة بن خازم فيأمر للناس بالجوائز على قدر طبقاتهم ففعل ذلك ، ووقف إسحق على باب الدار فمنع أصحابه من الدخول إليه ووكّل بالأبواب ثم قبض على ولديه منصور ومظفّر وكاتبيه سليمان بن وَهَب وقُدَامَة بن زياد ، وبعث إتياخ إليه يسأله الرفق بالولدين ففعل ، ولم يزل إتياخ مقيداً بالسجن إلى أن مات فقيل إنهم منعوه الماء وبقي إبناه محبوسين إلى أن أطلقهما المنتصر بعد المتوكل .

* (شأن ابن البغيث(٢)) *

كان محمد بن البغيث بن الحليس ممتنعاً في حصونه بأذربيجان وأعظمها مَرَنْدْ ، واستنزل من حصنه أيام المتوكّل وحبس بسامرا فهرب من حبسه ولحق بمَرَنْد ، وقيل إنه في حبس إسحق بن ابراهيم بن مصعب وشفع فيه بُغَا الشرابيّ ، فأطلقه اسحق في كفالة محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، وكان يتردّد إلى سامرّا حتى

(١) الابرش : ابن الاثيرج ٧ ص ٤٣ .
(٢) ابن البعيث : ابن الاثيرج ٧ ص ٤٧ .

مرض المتوكّل ففرّ ولحق بمَرَند وشحنها بالأقوات ، وجاءه أهل الفتنة من ربيعة وغيرهم فاجتمع له نحو ألفين ومائتي رجل ، والوالي بأذربيجان يومئذ محمد بن حاتم ابن هَرْثَمة فلم يقامعه فعزله المتوكل وولى حَمْدَوَيْه بن علي بن الفضل السعديّ ، فسار إليه وحاصره بمَرَنْد مدّة وبعث إليه المتوكل بالمدد ، وطال الحصار فلم يُقَن[1] فيه ، فبعث بُغَا الشرابي في ألفي فارس فجاء لحصاره . وبعث إليه عيسَى ابن الشيخ بن السلسل بالأمان له ولوجوه أصحابه أن ينزلوا على حكم المتوكل ، فنزل الكثير منهم وانفض جمعه ولحق ببُغَا وخرج هو هارباً ، ونهبت منازله وأسرت نساؤه وبناته . ثم أدرك بطريقة وأتي به أسيراً وبأخويه صقر وخالد وأبنائه حليس وصقر والبغيث ، وجاء بهم بُغَا إلى بغداد وحملهم على الحجال[2] يوم قدومه حتى رآهم الناس وحبسوا . ومات البغيث لشهر من وصوله سنة خمس وثلاثين وجعل بنوه في الشاكرية مع عبدالله بن يحيى خاقان .

* (بيعة العهد) *

وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين عقد المتوكّل البيعة والعهد وكانوا ثلاثة محمداً وطلحة وابراهيم ، ويقال في طلحة ابن الزبير وجعل محمداً أوّلهم ولقبه المُسْتَنْصِر وأقطعه أفريقية والمغرب وقِنّسْرين والثغور الشاميّة والخَزَرِيّة ، وديار مُضَر وديار ربيعة ، وهيت والموصل وغانة والخابور ، وكور دجلة والسواد والخرمين[3] وحضرموت والحرمين[4] والسّند ومكران وقَنْدَابيل وكور الأهواز والمستغلاّت بسامرا وماء الكوفة وماء البصرة . وجعل طلحة ثانيهم ولقبه المعتزّ وأقطعه أعمال خراسان وطبرستان والريّ وأرمينية وأذربيجان وأعمال فارس ، ثم أضاف إليه سنة أربعين[5] خزن الأموال ودور الضرب في جميع الآفاق وأمر أن يرسم اسمه في السكة . وجعل الثالث ابراهيم[6] وأقطعه حمص ودمشق وفلسطين وسائر الأعمال الشامية وفي هذه السنة أمر الجند بتغيير

(١) اوقف الرجل اذا اصطاد الطير من وقته وهي محضنة .

(٢) مقتضى السياق : الجمال .

(٣) الجزرية — عانة — الحرمين : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٩ .

(٤) البحرين : المرجع السابق..

(٥) اي سنة اربعين ومائتين .

(٦) ولقبه المؤيد .

الزي فلبسوا الطيالسة العسلية وشدّوا الزنانير في أوساطهم[1] وجعلوا الطراز في لباس المماليك ومنع من لباس المناطق وأمر بهدم البيع المحدثة لأهل الذمّة ونهى أن يستغاث بهم في الأعمال وأن يُظْهِروا في شعابهم الصلبان وأمر أن يجعل على أبوابهم صور شياطين من الخشب .

* (ملك محمد بن ابراهيم) *

كان محمد بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب على بلاد فارس ، وهو ابن أخي طاهر وكان أخوه اسحق بن ابراهيم صاحب الشرطة ببغداد منذ أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، وكان ابنه محمد بباب الخليفة بسامرا نائباً عنه. فلما مات اسحق سنة خمس وثلاثين ولاّه المتوكل وضمّ إليه أعمال أبيه ، واستخلفه المعتز على اليمامة والبحرين ومكة وحمل إلى المتوكّل وبنيه من الجواهر والذخائر كثيراً ، وبلغ ذلك محمد بن ابراهيم فتنكّر للخليفة ولمحمد بن أخيه ، وشكا ذلك محمد إلى المتوكّل فسرّحه إلى فارس وولاّه مكان عمه محمد ، فسار وعزل عمّه محمداً وولّى مكانه ابن عمه الحسين بن اسمعيل بن مصعب ، وأمره بقتل عمه محمد فأطعمه ومنعه الشراب فمات .

* (انتقاض أهل أرمينية) *

كان على أرمينية يوسف بن محمد فجاءه البَطْرِيقُ بُقْرَاط بن أسواط[2] وهو بَطْرِيق البَطَارِقة يستأمن فقبض عليه وعلى ابنه وبعث بهما إلى المتوكل ، فاجتمع بطارقة أرمينية مع ابن أخيه وصهره موسى بن زُرَارَة وتحالفوا على قتله وحاصروه بمدينة طرون في رمضان سنة سبع وثلاثين ، وخرج لقتالهم فقتلوه ومن كان معه . فسرّح المتوكل بغا الكبير فسار على الموصل والجزيرة وأناخ على أردن[3] حتى أخذها وحمل موسى وإخوته إلى المتوكّل وقتل منهم ثلاثين ألفاً وسبى خلقاً وسار إلى مدينة دَبِيل فأقام بها شهراً ثم سار إلى تفليس فحاصرها ، وبعث في مقدمته ربزك التركي[4] وكان بتفليس

(١) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٧ ص ٥٢ : «وركوب السروج بالركب الخشب ، وعمل كرتين في مؤخر السروج» :

(٢) بقراط بن أشوط : ابن الاثير ج ٧ ص ٥٨ .

(٣) أرزن : ابن الاثير ج ٧ ص ٥٩ .

(٤) زيرك التركي : ابن الاثير ج ٧ ص ٦٧ .

اسحق بن اسمعيل بن اسحق مولى بني أمية فخرج وقاتلهم ، وكانت المدينة كلها مشيدة من خشب الصنوبر ، فأمر بُغا أن يرمى عليها بالنفط فاضطرمت النار في الخشب ، واحترقت قصور اسحق وجواريه وخمسون ألف إنسان وأسر الباقون ، وأحاطت الأتراك والمغاربة باسحق فأسروه وقتله بُغَا لوقته ، ونجا أهل اسحق بأمواله إلى صعدنيل[1] مدينة حذاء تفليس على نهر الكرّمن[2] من شرقيه بناها أنو شروان وحصنها اسحق وجعل أمواله فيها فاستباحها بُغا ، ثم بعث الجند إلى قلعة أخرى بين بردعة وتفليس ففتحوها وأسروا بطريقها . ثم سار إلى عيسى بن يوسف في قلعة كيش[3] من كور البيلقان ففتحها وأسره وحمل معه جماعة من البطارقة ، وذلك سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

* (عزل ابن أبي دؤاد وولاية ابن أكثم) *

وفي سنة سبع وثلاثين غضب المتوكّل على أحمد بن أبي دؤاد وقبض ضياعه وحبس أولاده ، فحمل أبو الوليد منهم مائة وعشرين ألف دينار وجواهر تساوي عشرين ألفاً ، ثم صولح عن ستة عشر ألف ألف درهم وأشهد عليهم ببيع أملاكهم وفلج أحمد ، فأحضر المتوكل يحيى بن أكثم وولاّه قضاء القضاة ، وولّى أبا الوليد بن أبي دؤاد المظالم ثم عزله . وولّى أبا الربيع محمد بن يعقوب ثم عزله ، وولّى يحيى بن أكثم على المظالم ثم عزله سنة أربعين ، وصادره على خمسة وسبعين ألف دينار وأربعة آلاف حربو[4] ، وولّى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن عليّ . وتوفي في هذه السنة أحمد بن أبي دؤاد بعد ابنه أبي الوليد بعشرين يوماً وكان معتزليًّا أخذ مذهبهم عن بشر المَرِيْسِيّ وأخذه بشر عن جَهْم بن صَفْوَان وأخذه جَهْم عن الجَعْد بن دهم معلّم مروان .

---

(١) صُغْدُبيل : ابن الاثير ج ٧ ص ٦٨ .

(٢) نهر الكرّ : المرجع السابق .

(٣) قلعة كبيش : المرجع السابق .

(٤) وفي الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ٧٤ : «وفي هذه السنة (٢٤٠) عُزل يحيى بن اكثم عن القضاء ، وقُبض منه ما مبلغه خمسة وسبعون ألف دينار ، وأربعة آلاف جريب بالبصرة .» وفي الطبري ج ١١ ص ٥٠ : «وفيها عزل يحيى بن اكثم عن القضاء في صفر وقبض منه ما كان له ببغداد ومبلغه خمسة وسبعون ألف دينار وفي اسطوانة في داره ألف دينار واربعة آلاف جريب بالبصرة .» والجريب من الارض مقدار معلوم الذراع والمساحة (لسان العرب) .

* (انتقاض أهل حمص [1]) *

وفي سنة سبع وثلاثين وثب أهل حمص بعاملهم أبي المغيث موسى بن ابراهيم الرافعيّ بسبب أنه قتل بعض رؤسائهم فأخرجوه وقتلوا من أصحابه ، فولّى مكانه محمد بن عَبْدَوَيْه الأنباري فأساء إليهم وعسف فيهم فوثبوا به ، وأمره المتوكّل بجند من دمشق والرملة فظفر بهم وقتل منهم جماعة ، وأخرج النصارى منها وهدم كنائسهم وأدخل منها بيعة في الجامع كانت تجاوره .

* (اغارة البجاة على مصر) *

كانت الهدنة بين أهل مصر والبجاة من لدن الفتح ، وكان في بلادهم معادن الذهب يؤدّون منها الخمس إلى أهل مِصْر ، فامتنعوا أيام المتوكّل وقتلوا من وجدوه من المسلمين بالمعادن ، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المتوكّل فشاور الناس في غزوهم فأخبروه أنهم أهل إبل وشاء وأن بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر ولا بدّ فيها من الزاد ، إن فنيت الأزواد هلك العسكر فأمسك عنهم . وخاف أهل الصغد [2] من شرّهم ، فولى المتوكل محمد بن عبدالله القُمِّيّ على أسوان وقُفْط والأقصر وأسنا وأرمنت ، وأمره بحرب البجاة . وكتب إلى عنبسة بن اسحق الضُبِّيّ عامل مِصْر بتجهيز العساكر معه وأزاحه عليهم فسار في عشرين ألفاً من الجند والمتطوّعة ، وحملت المراكب من القُلْزَم بالدقيق والتمر والأَدَم إلى سواحل بلاد البِجاة وانتهى إلى حصونهم وقلاعهم . وزحف إليه ملكهم وإسمه علي بابا في أضعاف عساكرهم على المهاري [3] ، وطاولهم علي بابا رجاء أن تفنى أزوادهم فجاءت المراكب وفرّقها القُمِّيّ في أصحابه ، فناجزهم البِجاة الحرب وكانت إبلهم نفورة ، فأمر القُمّيّ جنده باتخاذ الأجراس بخيلهم . ثم حملوا عليهم فانهزموا وأثخن فيهم قتلاً وأسراً حتى استأمنوا على أداء الخراج لما سلف ولما يأتي وأن يرد إلى مملكته ، وسار مع القُمِّيّ إلى المتوكل واستخلف ابنه ، فخلع القُمّيّ عليه وعلى أصحابه ، وكسا أرجلهم الجلال

(١) ذكر ابن الاثير هذه الحادثة في حوادث سنة ٢٤٠ وسنة ٢٤١ .
(٢) مقتضى السياق : أهل الصعيد كما في الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ٧٨ .
(٣) المهاري : إبل فُرْه.

المديحة وولّاهم طريق ما بين مِصْر ومكة ، وولّى عليهم سعداً الإتياخي[1] الخادم فولى سعد محمد القُمّيّ فرجع معهم واستقامت ناحيتهم .

* (الصوائف) *

وفي سنة ثمان وثلاثين ورد على دمياط اسطول الروم في مائة مركب[2] فكبسوها وكانت المسلحة الذين بها قد ذهبوا إلى مِصْر باستدعاء صاحب المعونة عنبسة بن اسحق الضبيّ فانتهزوا الفرصة في مغيبهم وانتهبوا دمياط وأحرقوا الجامع بها وأوقروا سفنهم سبياً ومتاعاً ، وذهبوا إلى تِنّيس ففعلوا فيها مثل ذلك وأقطعوا . وغزا بالصائفة في هذه السنة علي بن يحيى الأرميني[3] صاحب الصوائف . وفي سنة إحدى وأربعين كان الفداء بين الروم وبين المسلمين وكانت تدورة ملكة الروم قد حملت أسرى المسلمين على التنصّر فتنصّر الكثير منهم . ثم طلبت المفاداة فيمن بقي فبعث المتوكل سيفاً[4] الخادم بالفداء ومعه قاضي بغداد جعفر بن عبد الواحد واستخلف على القضاء ابن أبي الشوارب وكان الفداء على نهر اللامس ثم أغارت الروم بعد ذلك على روبة[5] فأسروا من كان هنالك من الزط وسبوا نساءهم وأولادهم ولما رجع علي بن يحيى الأرميني من الصائفة خرجت الروم في ناحية سمسياط فانتهوا الى آمد واكتسحوا نواحي الثغور والخزرية[6] نهبا وأسروا نحوا من عشرة آلاف ورجعوا واتبعهم قرشاس[7] وعمر بن عبد الأقطع وقوم من المتطوّعة فلم يدركوهم وأمر المتوكّل علي بن يحيى أن يدخل بالثانية في تلك السنة ففعل . وفي سنة أربع وأربعين جاء المتوكل من بغداد إلى دمشق وقد اجتمع نزولها ونقل الكرسي إليها فأقام بها شهرين ، ثم استوبأها ورجع بعد أن بعث بغا الكبير في العساكر للصائفة فدخل بلاد الروم فدوّخها واكتسحها من سائر النواحي ورجع . وفي سنة خمسٍ وأربعين أغارت الروم على

(١) الإيتاخي : ابن الاثيرج ٧ ص ٧٩ .
(٢) ثلاثماية مركب : ابن الاثيرج ٧ ص ٦٨ .
(٣) علي بن يحيى الأرمني : ابن الاثيرج ٧ ص ٧٠ .
(٤) شنيفا الخادم : ابن الاثيرج ٧ ص ٧٧ .
(٥) عين زربة : ابن الاثيرج ٧ ص ٨٠ .
(٦) وفي الكامل لابن الاثيرج ٧ ص ٨١ : «خرجت الروم من ناحية سُمَيْساط بعد خروج عليّ بن يحيى الارمني من الصائفة ، حتى قاربوا آمد ، وخرجوا من الثغور والجزرية ...» وكذلك في الطبري ج ١١ ص ٥٥ .
(٧) قربياس : ابن الاثيرج ٧ ص ٨١ ؛ قربياس : الطري ج ١١ ص ٥٥ .

سُمَيْسَاط فغنموا وغزا علي بن يحيى الأرميني بالصائفة كَرْكَرَة وانتقض أهلها على بطريقهم فقبضوا عليه وسلّموه إلى بعض موالي المتوكّل ، فأطلق ملك الروم في فداء البطريق ألف أسير من المسلمين وفي سنة ست وأربعين غزا عمر بن عبيدالله الأقطع بالصائفة فجاؤا بأربعة آلاف رأس[1] ، وغزا قرشاس فجاء بخمسة آلاف رأس ، وغزا الفضل بن قاران في الاسطول بعشرين مركباً فافتتح حصن أنطاكية وغزا ملكها دورهم وسبا ، وغزا علي بن يحيى فجاء بخمسة آلاف رأس ومن الظهر بعشرة آلاف وكان على يده في تلك السنة الفداء في ألفين وثلثمائة من الأسرى .

* (الولاية في النواحي) *

ولّى المتوكل سنة إثنتين على بلاد فارس محمد بن إبراهيم بن مُصْعَب وكان على الموصل غانم بن حميد الطوسي ، واستوزر لأوّل خلافته محمد بن عبدالله بن الزيّات . وولّى على ديوان الخراج يحيى بن خاقان الخراساني مولى الأزد وعزل الفضل بن مروان . وولّى على ديوان النفقات ابراهيم بن محمد بن حتول . وولّى سنة ثلاث وثلاثين على الحرمين واليمن والطائف ابنه المستنصر ، وعزل محمد بن عيسى . وولّى على حجابة بابه وصيفاً الخادم عندما سار إتياخ للحج . وفي سنة خمس وثلاثين عهد لأولاده كما مرّ ، وولّى على الشرطة ببغداد إسحق بن ابراهيم بن الحسين ابن مُصْعَب مكان ابنه ابراهيم عندما توفي ، وكانت وفاته ووفاة الحسن بن سهل في سنة واحدة . وفي سنة ست وثلاثين استكتب عبيدالله بن يحيى بن خاقان ثم استوزره بعد ذلك ، وولّى على أرمينية وأذربيجان حرباً وخراجاً يوسف بن أبي سعيد محمد بن يوسف المروذوذي[2] عندما توفي أبوه فجاءه فسار اليها وضبطها ، وأساء إلى البطارقة بالناحية فوثبوا به كما مرّ وقتلوه . وبعث المتوكّل بغا الكبير في العساكر فأخذ ثأره منهم ، وولّى معادن السواد عبدالله بن اسحق بن ابراهيم . وفي سنة تسع وثلاثين عزل ابن أبي دؤاد عن القضاء وصادره ، وولّى مكانه يحيى بن أكثم . وقدم محمد بن عبدالله بن طاهر من خراسان فولاّه الشرطة والجزية وأعمال السواد ، وكان على مكة علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور فحجّ بالناس ، ثم ولّى مكانه في السنة القابلة عبدالله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى . وولّى على الأحداث بطريق مكة

(١) وفي الكامل لابن الاثير سبعة عشر ألف رأس (ج ٧ ص ٩٣) .
(٢) المَرْوَزيّ : ابن الاثير ج ٧ ص ٥٦ .

والمواسم جعفر بن دينار ، وكان على حمص أبو المغيب موسى بن ابراهيم الرافقي وثبوا به سنة تسع وثلاثين ، فولّى مكانه محمد بن عَبْدَوَيْه . وفي سنة تسع وثلاثين عزل يحيى بن أكثم عن القضاء ، وولّى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان وفي سنة إثنتين وأربعين ولّى على مكة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الإمام ، وولّى على ديوان النفقات الحسن بن مُخْلِد بن الجرّاح عندما توفي ابراهيم بن العبّاس الصُولِيّ وكان خليفته فيها من قبل . وفي سنة خمس وأربعين اختط المتوكل مدينته وأنزلها القوّاد والأولياء وأنفق عليها ألف الف دينار، وبنى فيها قصر اللؤلؤة لم ير مثله في علوّه وأجرى له الماء في نهر احتفره وسمّاها المُتوكِلِيَّة وتسمى الجعفري والماخورة وفيها ولّى على طريق مكة أبا الساج مكان جعفر بن دينار لوفاته تلك السنة . وولّى على ديوان الضياع والتوقيع نجاح بن سَلَمَة وكانت له صولة على العمّال ، فكان ينام المتوكل فسعى عنده في الحسن بن مُخْلِد وكان معه على ديوان الضياع ولّى موسى بن عقبة عبد الملك وكان على ديوان الخراج ، وضمن للمتوكل في مصادرتهما أربعين ألفاً . وأذن المتوكل وكانا منقطعين إلى عبيدالله بن خاقان ، فتلطّف عند نجاح وخادعه حتى كتب على الرقعتين ، وأشار إليه بأخذ ما فيهما معاً وبدأ بنجاح فكتبه وقبض منه مائة وأربعين ألف دينار سوى الغلاّت والفرش والضياع ، ثم ضرب فمات وصودر أولاده في جميع البلاد على أموال جمة .

* (مقتل المتوكل وبيعة المنتصر ابنه) *

كان المتوكل قد عهد إلى ابنه المنتصر ثم ندم وأبغضه لما كان يتوهّم فيه من استعجاله الأمر لنفسه ، وكان يسمّيه المنتصر والمستعجل لذلك . وكان المنتصر تنكّر عليه إنحرافه عن سنن سلفه فما ذهبوا إليه من مذهب الاعتزال والتشيُّع لعليّ ، وربما كان الندمان في مجلس المتوكّل يفيضون في ثلب عليّ فينكر المنتصر ذلك ويتهدّدهم ويقول للمتوكل : إنّ عليًّا هو كبير بيننا وشيخ بني هاشم ، فإن كنت لا بدّ ثالبه فتولّ ذلك بنفسك ولا تجعل لهؤلاء الصَفّاعين سبيلاً إلى ذلك فيستخف به ويشتمه ، ويأمر وزيره عبيدالله بصفعه ويتهدّده بالقتل ويصرّح بخلعه . وربما استخلف ابنه الحبر[1] في الصلاة والخطبة مراراً وتركه فطوى من ذلك على النكث . وكان المتوكل قد

(١) المعتزّ : ابن الاثير ج ٧ ص ٩٥ .

استفسد إلى بغا ووصيف الكبير ووصيف الصغير ودواجن ، فأفسدوا عليه الموالي .
وكان المتوكل قد أخرج بغا الكبير من الدار وأمره بالمقام بسُمَيْسَاط لتعهّد الصوائف ، فسار لذلك واستخلف مكانه ابنه موسى في الدار وكان ابن خالة المتوكل ، واستخلف على الستر بغا الشرابي الصغير . ثم تغيّر المتوكل لوصيف وقبض ضياعه بأصبهان والجبل وأقطعها الفتح بن خاقان ، فتغيّر وصيف لذلك وداخل المنتصر في قتل المتوكّل ، وأعدّ لذلك جماعة من الموالي بعثهم مع وُلْدِهِ صالح وأحمد وعبدالله ونصر ، وجاؤا في الليلة اتعدوا فيها . وحضر المنتصر ثم انصرف على عادته ، وأخذ زرافة الخادم معه ، وأمر بغا الشرابي الندمان بالانصراف حتى لم يبق إلا الفتح وأربعة من الخاصّة ، وأغلق الأبواب إلا باب دِجْلَة فأدخل منه الرجال وأحس المتوكل وأصحابه بهم فخافوا على أنفسهم ، واستماتوا وابتدروا إليه فقتلوه . والقى الفتح نفسه عليهم ليقيه فقتلوه . وبعث إلى المنتصر وهو ببيت زرافة فأخبره وأوصى بقتل زرافة فمنعه المنتصر ، وبايع له زرافة وركب إلى الدار فبايعه من حضر وبعث إلى وصيف إنّ الفتح قتل أبي فقتلته ، فحضر وبايع . وبعث عن أخويه المعتز والمؤيد فحضرا وبايعا له . وانتهى الخبر إلى عبيدالله بن يحيى فركب من ليله وقصد منزل المعتزّ فلم يجده واجتمع عليه عشرة آلاف من الأزد والأرمن والزواقيل ، وأغروه بالحملة على المنتصر وأصحابه فأبى وخام عن ذلك ، وأصبح المنتصر فأمر بدفن المتوكّل والفتح ، وذلك لأربع خَـلَوْنَ من شوّال سنة سبع وأربعين ومائتين . وشاع الخبر بقتل المتوكل فثار الجند وتبعهم[1] وركب بعضهم بعضاً ، وقصدوا باب السلطان فخرج إليهم بعض الأولياء فأسمعوه ، ورجع فخرج المنتصر بنفسه وبين يديه المغاربة فشرّدوهم عن الأبواب فتفرّقوا بعد أن قتل منهم ستة أنفس .

---

(١) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ١٠٥ : «ولما اصبح الناس شاع الخبر في الماخورة . وهي المدينة التي كان بناها المتوكّل ، وفي أهل سامّرا بقتل المتوكل فتوافى الجند والشاكرية بباب العامّة وبالجعفرية ، وغيرهم من الغوغاء والعامّة ، وكثر الناس وتسامعوا وركب بعضهم بعضاً ...»

* (الخبر عن الخلفاء من بني العبّاس أيام الفتنة وتغلب الأولياء وتضايق نطاق الدولة باستبداد الولاة في النواحي من لدن المنتصر إلى أيام المستكفي) *

كان بنو العبّاس حين ولوا الخلافة قد امتدّت إيالتهم على جميع ممالك الإسلام ، كما كان بنو أميه من قبلهم . ثم لحق بالأندلس من فل بني أمية من ولدها هاشم بن عبد الملك حافده عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ، ونجا من تلك الهلكة فأجاز البحر ودخل الأندلس فملكها من يد عبد الرحمن بن يوسف الفهري ، وخطب للسفّاح فيها حولاً ثم لحق به أهل بيته من المشرق فعزلوه في ذلك فقطع الدعوة عنهم وبقيت بلاد الأندلس مقتطعة من الدولة الإسلامية عن بني العبّاس . ثم لما كانت وقعة فتح أيام الهادي عليّ بن الحسن بن عليّ سنة تسع وتسعين ومائة ، وقتل داعيتهم يومئذ حسين ابن عليّ بن حسن المثنى وجماعة من أهل بيته ونجا آخرون ، وخلص منهم إدريس بن عبدالله بن حسن إلى المغرب الأقصى ، وقام بدعوته البرابرة هنالك ، فاقتطع المغرب عن بني العبّاس فاستحدثوا هنالك دولة لأنفسهم . ثم ضعفت الدولة العبّاسية بعد الاستفحال ، وتغلب على الخليفة فيها الاولياء والقرابة والمصطنعون ، وصار تحت حُجْرِهِم من حين قتل المتوكّل وحدثت الفتن ببغداد ، وصار العلوية إلى النواحي مظهرين لدَعْوَتِهم ، فدعا أبو عبدالله الشيعي سنة ست وثمانين ومائتين بأفريقية في طامة لعبيدالله المهدي بن محمد بن جعفر بن محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وبايع له ، وانتزع أفريقية من يد بني الأغلب استولى عليها وعلى المغرب الأقصى ومصر والشام واقتطعوا سائر هذه الأعمال عن بني العبّاس واستحدثوا له دولة أقامت مائتين وسبعين سنة كما يذكر في أخبارهم . ثم ظهر بطبرستان من العلوية الحسن بن زيد بن محمد بن إسمعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط ويعرف بالداعي ، خرج سنة خمسين ومائتين أيام المستعين ولحق بالديلم فأسلموا على يديه وملك طبرستان ونواحيها ، وصار هنالك دولة أخذها من يد أخيه سنة إحدى وثلثمائة الأطروش من بني الحسين ، ثم من بني على عمر داعي الطالقان أيام المعتصم وقد مرّ

خبره واسم هذه الأطروش الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر ، وكانت لهم دولة وانقرضت أيام الحسين ، واستولى عليها الدَيْلَم وصارت لهم دولة أخرى . وظهر باليمن الرئيس وهو ابن ابراهيم طباطبا بن اسمعيل بن ابراهيم بن حسن المثنّى فأظهر هنالك دعوة الزيديّة ، وملك صَعْدَة وصنعاء وبلاد اليمن ، وكانت لهم هنالك دولة ولم تزل حتى الآن . وأوّل من ظهر منهم يحيى بن الحسين بن القاسم سنة تسعين ومائتين ، ثم ظهر أيام الفتنة من دعاة العلوية صاحب الزنج ادّعى أنه أحمد[1] بن عيسى بن زيد الشهيد وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهتدي ، وطعن الناس في نسبه فادّعى أنه من ولد يحيى بن زيد قتيل الجَوْزَجَان ، وقيل إنه انتسب إلى طاهر بن الحسين بن عليّ والذي ثبت عند المحقّقين أنه علي بن عبد الرحيم بن عبد القيس ، فكانت له ولبنيه دولة بنواحي البصرة أيام الفتنة قام بها الزنج إلى أن انقرضت على يد المعتضد أيام السبعين ومائتين . ثم ظهر القُرْمُط بنواحي البحرين وعمان فسار إليها من الكوفة سنة تسع وسبعين أيام المعتضد ، وانتسب إلى بني اسمعيل الإمام بن جعفر الصادق دعوى كاذبة ، وكان من أصحابه الحسن الجمالي وزكرونة القاشاني فقاموا من بعده بالدعوة ودعوا لعبدالله المهدي وغلبوا على البصرة والكوفة ، ثم انقطعوا عنها إلى البحرين وعمان ، وكانت لهم هنالك دولة انقرضت آخر المائة الرابعة ، وتغلب عليهم العرب من بني سُلَيْم وبني عقيل . وفي خلال ذلك استبدّ بنو سامان بما وراء النهر آخر الستين ومائتين وأقاموا على الدعوة إلاّ أنهم لا ينفذون أوامر الخلفاء ، وأقامت دولتهم إلى آخر المائة الرابعة . ثم اتصلت دولة أخرى في مواليهم بغزنة إلى منتصف المائة السادسة ، وكانت للأغالبة بالقيروان وأفريقية دولة أخرى بمصر والشام بالاستبداد من لدن الخمسين والمائتين أيام الفتنة إلى آخر المائة الثالثة ثم أعقبتها دولة أخرى لمواليهم بني طفج إلى الستين والثلثمائة . وفي خلال هذا كلّه تضايق نطاق الدولة العباسية إلى نواحي السواد والجزيرة فقط ، إلا أنهم قائمون ببغداد على أمرهم . ثم كانت للدَيْلَم دولة أخرى استولوا فيها على النواحي وملكوا الأعمال ثم ساروا إلى بغداد وملكوها وصيّروا الخليفة في ملكتهم من لدن المستكفي أعوام الثلاثين والثلثمائة ، وكانت من أعظم الدول . ثم أخذها من أيديهم السلجوقية من الغُزّ إحدى شعوب الترك ، فلم تزل دولتهم من لدن القائم سنة أربعين وأربعمائة إلى آخر المائة

(١) قوله أحمد في المروج انه عليّ بن احمد اهـ قاله وصححّه .

السادسة ، وكانت دولتهم من أعظم الدول في العالم . وتشعبت عنها دول هي متصلة إلى عهدنا حسبما يذكر ذلك كله في مكانه ثم استبدّ الخلفاء من بني العبّاس آخراً في هذا النطاق الضيق ما بين دجلة والفرات وأعمال السواد وبعض أعمال فارس ، إلى أن خرج التتار من مفازة الصين وزحفوا إلى الدولة السلجوقية وهم على دين المجوسية ، وزحفوا إلى بغداد فقتلوا الخليفة المُعْتَصِم ، وانقرض أمر الخلافة وذلك سنة ست وخمسين وستمائة . ثم أسلموا بعد ذلك وكانت لهم دولة عظيمة ، وتشعبت عنها دول لهم ولأشياعهم في النواحي وهى باقية لهذا العهد آخذة في الثلاثين كما نذكر ذلك كله في أماكنه .

* (دولة المنتصر) *

ولما بويع المنتصر كما ذكرناه ولّى على المظالم أبا عمر وأحمد بن سعيد ، وعلى دمشق عيسى بن محمد النوشريّ وكان على وزارته أحمد بن الخصيب ، واستقامت أموره وتفاوض وصيف وبغا وأحمد بن الخصيب في شأن المعتزّ والمؤيد لما توقعوا من سطوتهما بسبب قتل المتوكل ، فحملوا المنتصر على خلعهما الأربعين يوماً من خلافته وبعث إليهما بذلك فأجاب المؤيد وامتنع المعتز فأغلظوا عليه وأوهموه القتل فخلابه المؤيد وتلطّف به حتى أجاب وخلع نفسه وكتبا ذلك بخطهما . ثم دخلا على المنتصر فأجلسهما واعتذر لهما بسمع من الأمراء بأنهم الذين حملوه على خلعهما فأجبتهم إلى ذلك خشية عليكما منهم ، فقبّلا يده وشكرا له وشهد عليهما القضاة وبنو هاشم والقوّاد ووجوه الناس ، وكتب بذلك المنتصر إلى الآفاق وإلى محمد بن طاهر ببغداد . ثم إنّ أحمد بن الخصيب أخا المنتصر أمر بإخراج وصيف للصائفة وإبعاده عن الدولة لما بينهما من الشحناء ، فأحضره المنتصر وقال له : قد أتانا من طاغية الروم أنه أفسد الثغر فلا بدّ من مسيرك أو مسيري ، فقال بل أنا أشخص يا أمير المؤمنين ! فأمر أحمد بن الخصيب أن يجهّزه ويزيح علل العسكر معه ، وأمره أن يوافي ثغر مَلَطْيَة فسارو على مقدمته مزاحم بن خاقان أخو الفتح ، وعلى نفقات العساكر والمغانم والمقاسم أبو الوليد القروالي أن يأتيه رأيه .

* (وفاة المنتصر وبيعة المستعين) *

ثم أصابت المنتصر علة الذبحة فهلك لخمس بقين من ربيع الأوّل من سنة ثمان

وأربعين ومائتين لستة أشهر من ولايته ، وقيل بل أكثر من ذلك فجعل السم في مشرطة الطبيب فاجتمع الموالي في القصر وفيهم بغا الصغير وبغا الكبير وأتامش وغيرهم فاستحلفوا قوّاد الأتراك والمغاربة والأشروسيّة على الرضا بمن يرضونه لهم ، ثم خلصوا للمشورة ومعهم أحمد بن الخصيب فعدلوا عن ولد المتوكّل خوفاً منهم ونظروا في وُلْد المعتصم فبايعوه واستكتب أحمد بن الخصيب واستوزر أتامش وغدا على دار العامة في زيّ الخلافة ، وابراهيم بن اسحق يحمل بين يديه الحربة ، وصفّت المالك والأشروسية صفين بترتيب دواجن[1] ، وحضر أصحاب المراتب من العبّاسيين والطالبيين ، وثار جماعة من الجند وقصدوا الدار يذكرون أنهم من أصحاب محمد بن عبدالله بن طاهر ، والغوغاء[2] فشهروا السلاح وهتفوا باسم المعتز وشدّوا على أصحاب دواجن فتضعضعوا ، ثم جاءت المبيضّة والشاكرية ، وحمل عليهم المغاربة والأشروسية[3] فنشبت الحرب وانتهبت الدروع والسلاح من الخزائن بدار العامة ، وجاء بغا الصغير فدفعهم عنها وقتل منهم عدّة وفتقت السجون وتمت بيعة الأتراك للمستعين ، ووضع العطاء على البيعة وبعث إلى محمد بن عبدالله بن طاهر فبايع له هو والناس ببغداد. ثم جاء الخبر بوفاة طاهر بن عبدالله بن طاهر بخراسان وهلك عمه الحسين بن طاهر بمَـرْو فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر مكانه وعقد لمحمد بن عبدالله بن طاهر على خراسان سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وولّى عمه طلحة على نيسابور ، وابنه منصور بن طلحة على مرو وسَـرْخَس وخوارزم ، وعمه الحسين بن عبدالله على هراة وأعمالها ، وعمه سليمان بن عبدالله على طبرستان ، والعبّاس ابن عمه على الجَـوْزَجَان والطالقان . ومات بغا الكبير فولى ابنه موسى على أعماله كلها وبعث أناجور من قواد الترك الى العمرّط الثعلبي فقتله[4] . واستأذنه عبدالله بن يحيى بن خان في الحجّ فأذن له ، ثم بعث خلفه من نفاه إلى برقة ، وحبس المعتز والمؤيد في حجره بالجوسق بعد أن أراد قوّاد الأتراك قتلها فمنعهم أحمد بن الخصيب من ذلك . ثم قبض على أحمد بن الخصيب فاستصفى ماله ومال وُلْدِهِ ونفاه إلى قرطيش[5]

(١) واجن : ابن الاثير ج ٧ ص ١١٧ .
(٢) كذا بالاصل ومُقتضى السياق : واما الغوغاء فشهروا السلاح ...
(٣) الإشروسنية : ابن الاثير ج ٧ ص ١١٨ .
(٤) وفي الكامل ج ٧ ص ١١٩ : «وفيها — اي سنة ٢٤٨ — وجه انوجورَ التركي الى أبي العمود الثعلبي ، فقتله بكفرثوثي ...»
(٥) أقريطش : المرجع السابق .

واستوزر أتامش وعقد له على مِصْر والمغرب وعقد لبغا الصغير على حُلوان وما سبذان ومهرجا تعرف ، وجعل شاهِك الخادم على داره وكراعه وحرمه وخاصة أموره وخادمه ، وأشناس على جميع الناس . وعزل علي بن يحيى الأرمني عن الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان . وكان على حمص كندر فوثب به أهلها فأخرجوه فبعث المستعين الفضل بن قارن وهو أخو مازيار فاستباحهم وحمل أعيانهم إلى سامرّا وبعث المستعين إلى وصيف وهو بالثغر الشامي بأن يغزو بالصائفة ، فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قرورية ثم غزا بالصائفة سنة تسع وأربعين جعفر بن دينار وافتتح مطامير واستأذنه عمر بن عبدالله الأقطع في تدويخ بلاد الروم فأذن له فدخل في جماعة من أهل مَلَطْيَة ولقي ملك الروم ، فخرج الأسقف في خمسين ألفاً احاطوا به وقتل عمر في ألفين من المسلمين . وكان على الثغور الجزرية فأغار عليها الروم وبلغ ذلك عليَّ بن يحيى وهو قابل من أرمينية إلى ميافارقين ومعه جماعة من أهلها فنفر إليهم وهو في نحو أربعمائة فقتلوا وقتل .

* (فتنة بغداد وسامرا) *

ولما اتصل الخبر ببغداد وسامرّا بقتل عمر بن عبدالله وعليّ بن يحيى شقّ ذلك على الناس لما كانوا عليه من عظيم الغناء في الجهاد ، واشتدّ نكيرهم على الترك في غفلتهم عن المصالح وتذكّروا قتل المتوكّل واستيلاءهم على الأمور فاجتمعت العامة وتنادوا بالنفير إلى الجهاد . وانضمّ إليهم الشاكريّة يطلبون أرزاقهم ثم فتقوا السجون وقطعوا الجسور وانتهبوا دور كتاب محمد بن عبدالله بن طاهر . ثم أخرج أهل اليسار من بغداد الأموال ففرّقوها في المجاهدين وجاءت العامة من الجبال وفارس والأهواز فنفروا للغزو ، ولم يظهر للمستعين ولا لأهل الدولة في ذلك أثر . ثم وثب العامة بسامرّا وفتقوا السجون وخرج من كان فيها وجاء جماعة من الموالي في طلبهم فوثب العامة بهم وهزموهم وركب بغا ووصيف وأتامش في الترك فقتلوا من العامة خلقاً وانتهبوا منازلهم وسكنت الفتنة .

* (مقتل أتامش) *

كان المستعين لما وَلِيَ أطلق يد أمّه وأتامش وشاهِك الخادم في الأموال وما فضل عنهم فلنفقات العبّاس بن المستعين ، وكان في حَجْر أتامش فبعث ذلك عليه بغا

ووصيف وضاق حال الأتراك والفراغنة ودسّهم عليهم بغا ووصيف فخرج منهم أهل الكرخ والدور وقصدوه في الجوسق مع المستعين وأراد الهرب فلم يطق ، واستجار بالمستعين فلم يجره وحاصروه يومين ، ثم افتتحوا عليه الجوسق وقتلوه وكاتبه شجاع بن القاسم ونهبت أموالهم واستوزر المستعين مكانه أبا صالح عبدالله بن محمد بن علي على الأهواز ولبغا الصغير على فلسطين . ثم غضب بغا الصغير على أبي صالح فهرب إلى بغداد واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجاني وولّى على ديوان الرسائل سعيد بن حميد .

* (ظهور يحيى بن عمر ومقتله) *

كان على الطالبيين بالكوفة يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد الشهيد ويكنى أبا الحسين وأمّه من وُلْد عبدالله بن جعفر وكان من سراتهم ووجوههم وكان عمر بن فرج يتولّى أمر الطالبيّين أيام المتوكل ، فعرض له أبو الحسين عند مقدمه من خراسان يسأله صلة لدَيْن لزمه فأغلظ له عمر القول وحبسه حتى أخذ عليه الكفلاء وانطلق إلى بغداد . ثم جاء إلى سامرّا وقد أملق فتعرّض لوصيف في رزق يجرى له ، فأساءه عليه واليها فرجع إلى الكوفة وعاملها يومئذ أيوب بن الحسين بن موسى بن جعفر بن سليمان بن علي من قبل محمد بن عبدالله بن طاهر ، فاعتزم على الخروج والتفّ عليه جمع من الأعراب وأهل الكوفة ، ودعا للرضى من آل محمد ففتق السجون ونهبه وطرد العمّال ، وأخذ من بيت المال ألفي دينار وسبعين ألف درهم ، وكان صاحب البريد قد طيّر بخبره إلى محمد بن عبدالله بن طاهر فكتب إلى عامله بالسواد عبدالله بن محمود السرخسيّ أن يصير مدداً إلى الكوفة فلقيه وقاتله فهزمهم يحيى وانتهب ما معهم ، وخرج إلى سواد الكوفة واتبعه خلق من الزيدية ، وانتهى إلى ناحية وَاسِط وكثرت جموعه . وسرّح محمد بن عبدالله بن طاهر إلى محاربة الحسين بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب في العساكر فسار إليه . وقد كان يحيى قصد الكوفة فلقيه عبد الرحمن بن الخطّاب المعروف بوجه الفُلْس فهزمه يحيى إلى ناحية شاهي ودخل الكوفة واجتمعت عليه الزيدية ، واشتمل عليه عامة أهل الكوفة وأمداد الزيدية من بغداد ، وجاء الحسين بن اسمعيل وانضمّ إليه عبد الرحمن بن الخطّاب وخرج يحيى من الكوفة ليعاجلهم الحرب فأسرى ليلته وصَبح العساكر فساروا إليه فهزموه ووضعوا السيف في أصحابه ، وأسروا الكثير من اتباعه ، كان منهم الهَيْصَم العِجْلِيّ

وغيره ، وانجلت الحرب عن يحيى بن عمر قتيلاً فبعثوا برأسه إلى محمد بن عبدالله بن طاهر فبعث به إلى المستعين وجعل في صندوق في بيت السلاح وجيء بالأسرى فحبسوا وكان ذلك منتصف رجب سنة خمس ومائتين[1]

* (ابتداء الدولة العلوية بطبرستان) *

لما ظهر محمد بن عبدالله بن طاهر بيحيى بن عمر وكان له من الغناء في حربه ما قدّمناه ، أقطعه المستعين قطائع من صوافي السلطان بطبرستان كانت منها قطعة بقرب ثغر الدَيْـلَم تسمى روسالوس[2] وفيها أرض موات ذات غياض وأشجار وكلأ ، مباحة لمصالح الناس من الاحتطاب والرعي ، وكان عامل طبرستان يومئذ من قبل محمد بن طاهر صاحب خراسان عمّه سليمان بن عبدالله بن طاهر وهو أخو محمد صاحب القطائع ، وكان سليمان مكفولاً لأمّه وقد حظي عندها وتقدّم وفرّق أولاده في أعمال طبرستان وأساؤا السيرة في الرعايا ودخل محمد بن أوس بلاد الدَيْـلَم وهم مسالمون فسبى منهم وانحرفوا لذلك . وجاء نائب محمد بن عبدالله لقبض القطائع فحاز فيها تلك الأرض الموات المرصدة لمرافق الناس ، فنكر ذلك الناظر على تلك الأرض وهما محمد وجعفر ابنا رستم واستنهضا من أطاعهما من أهل تلك الناحية لمنعه من ذلك ، فخافهما النائب ولحق بسليمان صاحب طبرستان . وبعث ابنا رستم إلى الدَيْـلَم يستنجدانهم على حرب سليمان ، وبعثا إلى محمد بن ابراهيم من العلويّين بطبرستان يدعوانه إلى القيّام بأمره ، فامتنع ودلّهما على كبير العلويّة بالري الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط ، فشخص إليهما وقد اجتمع أهل كلاروسالوس ومقدّمهم ابنا رستم وأهل الريان ومعهم الدَيْـلَم بأسرهم ، فبايعوه جميعاً وطردوا عمّال سليمان وابن أوس . ثم انضمّ إليهم جبال طبرستان وزحف الحسن بمن معه إلى مدينة آمد ، وخرج ابن أوس من سارية لمدافعته فانهزم ولحق بسليمان في سارية فخرج سليمان لحرب الحسن . ولما التقى الجمعان بعث الحسن بعض قوّاده خلف سليمان إلى سارية وسمع بذلك سليمان فانهزم ، وملك الحسن سارية ، وبعث بعيال سليمان وأولاده في البحر إلى جرجان . وقيل إنّ سليمان انهزم اختياراً لما

(١) الصحيح خمسين . مائتين كما في الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ١٢٨ .
(٢) وفي الكامل ج ٧ ص ١٣٠ : منها مُطيعة قرب ثغر الديلم وهما كُلار وشالوس .

كان بنو طاهر يتّهمون به من التشيّيع [1] ثم بعث الحسن إلى الري ابن عمه وهو القاسم ابن علي بن اسمعيل ويقال محمد بن جعفر بن عبدالله العقيقي بن الحسين بن علي بن زين العابدين فملكها ، وبعث المستعين جنداً إلى همذان ليمنعها . ولما ملك محمد بن جعفر قائد الحسن بن زيد الريّ أساء السيرة ، وبعث محمد بن طاهر قائد محمد بن ميكال أخو الشاه فغلبه على الريّ ، وانتزعها منه وأسره ، فبعث إليه الحسن بن زيد قائده دواجن فهزم ابن ميكال وقتله واسترجع الريّ ثم رجع سليمان بن طاهر من جرجان إلى طبرستان فملكها ولحق الحسين بالدَيْلَم وسار سليمان إلى سارية وآمد ، ومعهم أبناءَ قارِن بن شهرزاد فصفح عنهم ونهى أصحابه عن الفتك والأذى . ثم جاء موسى بن بغا بالعساكر فملك الريّ من يدي أبي دُلَف وبعث مصلحاً إلى طبرستان فحارب الحسن بن زيد وهزمه واستولى على طبرستان ولحق الحسن بالدَيْلَم ودخل مفلح آمد وخرب منازل الحسن ورجع إلى موسى بالريّ .

* (مقتل باغر) *

وكان باغر هذا من قواد الترك ومن جملة بغا الصغير ، ولما قتل المتوكّل زيد في أرزاقه وأقطعوه قرى بسواد الكوفة وضمنها له بعض أهل باروسما بألفي دينار فطلبه ابن مارِمّة وكيل باغر ، وحبسه ثم تخلّص وسار إلى سامرّا ، وكانت له ذمّة من نصراني عند بغا الصغير فأجاره النصراني من كيد بغا وأغراه عليه فغضب لذلك باغر وشكى إلى بغا فأغلظ له القول ، وقال : إني مستبدل من النصراني وأفعل فيه بعد ذلك ما تريد ، ودسّ إلى النصراني بالحذر من باغر وأظهر عزله ، وبقي باغر يتهدّده وقد انقطع عن المستعين ، وقد منعه بغا في يوم نوبته عن الحضور بدار السلطان فسأل المستعين وصيفاً عن أعمال إيتاخ وقلّدها لباغر ، فعُذل وصيفاً في الشأن فحلف له أنه ما علم قصد الخليفة . وتنكّر بغا لباغر فجمع أصحابه الذين بايعوه على المتوكّل وجدّد عليهم العهد في قتل المستعين وبغا ووصيف ، وأن ينصّبوا ابن المعتصم أو ابن الواثِق ويكون الأمر لهم . ونما الخبر على الترك إلى المستعين فأحضر بغا ووصيفاً وأعلمهما بالخبر ، فحلفا له على العلم وأمروا بحبس باغر ورجلين معه من الأتراك فسخطوا ذلك ، وثاروا فانتهبوا الإصطبل وحضروا الجوثق وأمر بغا ووصيف وشاهِك الخادم وكاتبه أحمد بن صالح

---

(١) الصحيح التشيّع .

ابن شيزاده[١] ونزل على محمد بن طاهر في بيته في المحرّم سنة إحدى وخمسين ولحق به القوّاد والكتاب والعمّال وبنو هاشم وتخلّف جعفر الخيّاط وسليمان بن يحيى بن مُعَاذ فندم الأتراك ، وركب جماعة من قوّادهم إلى المستعين وأصحابه ليردّوهم فأبوا ورجعوا آيسين منه وتفاوضوا في بيعة المعتز .

* (بيعة المعتز وحضار المستعين) *

كان قوّاد الأتراك لما جاؤا إلى المستعين ببغداد يعتذرون من فعلهم ويتطارحون في الرضا عنهم والرجوع إلى دار مكّة وهو يوبّخهم ويعدّد عليهم إحسانه وإساءتهم ولم يزالوا به حتى صرّح لهم بالرضا ، فقال بعضهم : فإن كنت رضيت فقم واركب معنا إلى سامرّا فكلّمه ابن طاهر لسوء خطابهم ، وضحك المستعين لعُجْمَتِهم وجهلهم بآداب الخطاب ، وأمر باستمرار أرزاقهم ووعدهم بالرجوع ، فانصرفوا حاقدين ما كان من ابن طاهر ، وأخرجوا المعتز من محبسه وبايعوا له بالخلافة ، وأعطى للناس شهرين . وحضر للبيعة أبو أحمد بن الرشيد فامتنع منها وقال : قد خلِعت نفسك ! فقال : أكرهت ، فقال : ما علمنا ذلك ولا مخلص لنا في إيماننا فتركه . وولّوا على الشرطة إبراهيم البربرح[٢] وأضيفت له الكتابة والدواوين وبيت المال ، وهرب عتّاب ابن عتّاب من القوّاد إلى بغداد وقال محمد بن عبدالله بن طاهر بالاحتشاد واستقدم مالك بن طوق في أهل بيته وجنده ، وأمر حوبة بن قيس[٣] وهو على الأنبار وبالاحتشاد وكتب إلى سليمان بن عمران صاحب الموصل بمنع الميرة عن سامرّا ، وشرع في تحصين بغداد وأدار عليها الأسوار والخنادق من الجانبين وجعل على كل باب قائداً ، ونصب على الأبواب المجانيق والعدادات[٤] ، وشحن الأسوار بالرماة

---

(١) المعنى غير واضح وفي الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ١٣٩ : «وانتهى الخبر الى المستعين فبعث الى بغا ووصيف وقال لهما : أنتما جعلتماني خليفة ثم تريدان قتلي ! فحلفا انّهما ما علما بذلك ، فأعلمهما الخبر ، فاتفق رأيهم على أخذ باغر ورجلين من الاتراك معه ، وحبسهم ، فاحضروا باغراً فأقبل في عدة ، فعدل به الى حمّام وحبس فيه ، وبلغ الخبر الاتراك ، فوثبوا على إصطبل الخليفة فانتهبوه وركبوا ما فيه ، وحصروا الجوسق بالسلاح ، فأمر بغا ووصيف بقتل باغر فقتل .» «فلما قتل باغر وانتهى خبر قتله الى الاتراك المشغبين اقاموا على ما هم عليه ، فانحدر المستعين وبغا ووصيف وشاهِك الخادم واحمد بن صالح بن شيرازاد ...»

(٢) ابراهيم الديرج : ابن الاثير ج ٧ ص ١٤٣ .

(٣) نجوبه بن قيس : ابن الاثير ج ٧ ص ١٤٣ .

(٤) الصحيح العرّادات .

والمقاتلة وبلغت النفقة في ذلك ثلثمائة وثلاثين ألف دينار وفوّض للعيّارين الرزق وأغدق عليهم ، وأنفذ كتب المستعين إلى العمّال بالنواحي تحمل الخراج إلى بغداد . وكتب المستعين إلى الأتراك يأمرهم بالرجوع عمّا فعلوا وكتب المعتز إلى محمد يدعوه إلى بيعته ، وطالت المراجعات في ذلك وكان موسى بن بغا قد خرج لقتال أهل حمص ، فاختلفت إليه وهو بالشام كتب المستعين والمعتزّ يدعوه كل واحد منهما إلى نفسه ، فاختار المعتز ورجع إليه ، وهرب إليه عبدالله بن بغا الصغير من بغداد بعد أن هرب عنه فقتله . وهرب الحسن بن الأفشين إلى بغداد فخلع عليه المستعين وضمّ إليه الأشروسية . ثم عقد المعتز لأخيه إلى أحمد الواثق عن حرب بغداد وضمّ إليه الجنود مع باكلباك[1] من قوّادهم ، فسار في خمسين ألفاً من الأتراك والفراغنة والمغاربة ، وانتهبوا ما بين عُكْبَرَا وبغداد من القرى والضياع وخرّبوها ، وهرب إليهم جماعة من أصحاب بغا الصغير ووصلوا إلى باب الشماسية . وولّى المستعين على باب الشماسية الحسين بن اسمعيل بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب ، وجعل القوّاد هنالك تحت يده ووافقت طلائع الاتراك إلى باب الشماسية فوقفوا بالقرب منه ، وأمدّه ابن طاهر بالشاه بن ميكال وبيدار الطبري[2] . ثم ركب محمد بن عبدالله بن طاهر من الغد ومعه بغا ووصيف والفقهاء والقضاة ، وذلك عاشر صفر ، وبعث إليهم يدعوهم إلى مراجعة الطاعة على المعتزّ ولي عهده فلم يجيبوا ، فانصرفوا ، وبعث إليه القوّاد من الغد بأنهم زحفوا إلى باب الشماسية فنهاهم عن مناداتهم بالقتال . وقدم ذلك اليوم عبدالله بن سليمان خليفة بغا من مكة في ثلثمائة رجل . ثم جاء الأتراك من الغد فاقتتلوا مع القوّاد وانهزم القوّاد وبلغ ابن طاهر أنّ جماعة من الأتراك ساروا نحو النهروان ، فبعث قائداً من أصحابه إليهم فرجع منهزماً . واستولى الأتراك على طريق خراسان وقطعوها عن بغداد . ثم بعث المعتز عسكراً آخر نحو أربعة آلاف فنزلوا في الجانب الغربي ، وبعث ابن طاهر إليهم الشاه ابن ميكال فهزمهم وأثخن فيهم ، ورجع إلى بغداد فخلع عليه وعلى سائر القوّاد أربع خلع وطوقاً وسواراً من ذهب لكل واحد . ثم أمر ابن طاهر بهدم الدور والحوانيت إلى باب الشماسية ليتسع المجال للحرب ، وقدمت عليه أموال فارس والأهواز مع مكحول الأشروسي[3]

(١) كلبا تكين التركي : ابن الاثير ج ٧ ص ١٤٥ .
(٢) بندار الطبري : ابن الاثير ج ٧ ص ١٤٦ .
(٣) منكجور الاشروسني : ابن الاثير ج ٧ ص ١٤٨ .

وخرج الأتراك الاعتراضه وبعث ابن طاهر لحفظه فقدموا به بغداد ، ولم يظفر به الأتراك ، ومضوا نحو النهروان فأحرقوا سفن الجسر. وكان المستعين قد بعث محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد والياً على الثغور الجزرية ، وأقام ينتظر الجند والمال ، فلما بلغه خبر هذه الفتنة جاء على طريق الرقّة إلى بغداد فخلع عليه ابن طاهر وبعثه في جيش كثيف لمحاربتهم ، وصار إلى ضُبَيْعَة بالسواد فأقام بها فقال ابن طاهر : لن يفلح أحد من العرب إلا أن يكون معه نبي ينصره الله به ! ثم ذهب الأتراك وقاتلوا واتصل الحصار واشتدّت الحرب وانتهبت الأسواق ، وورد الخبر من الثغور بأنّ بلكاجور حمل الناس على بيعة المعتز فقال ابن طاهر : لعله ظنّ موت المستعين فكان كذلك ، ووصل كتابه بأنه جدّد البيعة ، وكان موسى بن بغا مع الأتراك كما قدّمنا ، فأراد الرجوع على المستعين فامتنع أصحابه وقاتلوه فلم يتم له أمره وفرّ القعّاطون[1] من البصرة ورموا على الأتراك فأحرقوهم ، فبعث ابن طاهر إلى المدائن ليحفظها ، وأمده بثلاثة آلاف فارس ، وبعث إلى الأنبار حوبة بن قيس فشق الماء إلى خندقها من الفرات ، وجاء إلى الإسحاقي من قبل المعتز فسبق المدد الذي جاء من قبل ابن طاهر ، وملك الأنبار. ورجع حوبة إلى بغداد فأنفذ ابن طاهر الحسين بن اسمعيل في جماعة من القوّاد والجند ، فاعترضه الأتراك وحاربوه ، وعاد الأنبار وتقدّم هو لينزل عليها ، وبينما هو يحطّ الأثقال إذا بالأتراك فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم ، وكانوا قد كمنوا له فخرج الكمين وانهزم الحسين وغرق كثير من أصحابه في الفرات ، وأخذ الأتراك عسكره ، ووصل إلى الياسرية آخر جمادى الآخرة ومنع ابن طاهر المنهزمين من دخول بغداد وتوعدهم على الرجوع إليه ، وأمدّه بجند آخر ، فدخل من الياسرية وبعث على المخاض الحسين بن علي بن يحيى الأرميني في مائتي مقاتل يمنع الأتراك من العبور إليه من عدوة الفرات ، فوافوه وقاتلوه عليها فهزموه ، وركب الحسين في زورق منحدراً وترك عسكره وأثقاله ، فاستولى عليها الأتراك ووصل المنهزمون إلى بغداد من ليلتهم ، ولحق من عسكره جماعة من القوّاد والكتّاب بالمعتز وفيهم عليّ ومحمد ابنا الواثِق ، وذلك أوّل رجب . ثم كانت بينهم عدّة وقعات وقتل من الفريقين خلق ودخل الأتراك في كثير من الأيام بغداد وأخرجوا عنها ثم ساروا إلى المدائن وغلبوا عليها ابن أبي السفّاح وملكوها . وجاء الأتراك الذين بالأنبار إلى الجانب الغربي وانتهوا إلى

---

(١) مقتضى السياق : النغّاطون .

صَرْصَر وقصر ابن هُبَيْرَة ، واتصل الحصار إلى شهر ذي القعدة وخرج ابن طاهر في بعض أيامه في جميع القوّاد والعساكر ، فقاتلهم وانهزموا وقتل منهم خلق وارتقم الذين كانوا مع بغا ووصيف لذلك فلحقوا بالأتراك . ثم تراجع الأتراك وانهزم أهل بغداد . ثم خرج في ذي الحجة رشيد بن كاووس أخو الأفشين ساعياً في الصلح بين الفريقين ، واتهم الناس ابن طاهر بالسعي في خلع المستعين . فلما جاء رشيد وأبلغهم سلام المعتز وأخيه أبي أحمد شتموه وشتموا ابن طاهر وعمدوا إلى دار رشيد ليهدموها ، وسأل ابن طاهر من المستعين أنْ يسكنهم ، فخرج إليهم ونهاهم وبرّأ ابن طاهر مما اتهموه به ، فانصرفوا ، وتردّدت الرسل بين ابن طاهر وبين أبي أحمد فتجدّد للعامة والجند سوء الظنّ ، وطلب الجند أرزاقهم فوعدهم بشهرين وأمرهم بالنزول ، فأبوا إلا أن يعلمهم الصحيح من رأيه في المستعين . وخاف أن يدخلوا الأتراك كما عمل أهل المدائن والأنبار ، فأُصعد المستعين على سطح دار العامّة حتى رآه الناس وبيده البردة والقضيب ، وأقسم عليهم فانصرفوا . واعتزم ابن طاهر على التحوّل إلى المدائن ، فجاءه وجوه الناس واعتذروا له بالغوغاء فأقصروا بنقل المستعين عن دار ابن طاهر إلى دار رزق الخادم بالرصافة . وأمر القوّاد وبني هاشم بالكون مع ابن طاهر ، فركب في تعبية وحلف لهم على المستعين وعلى قصد الإصلاح فدعوا له ، وسار إلى المستعين وأغراه به وأمر بغا ووصيفاً بقتله فلم يفعلا . وجاءه أحمد بن اسرائيل والحُسَيْن بن مُخْلِد بمثل ذلك في المستعين ، فتغيّر له ابن طاهر . فلما كان يوم الأضحى وقد حضر الفقهاء والقضاة طالبه ابن طاهر بإمضاء الصلح ، فأجاب وخرج إلى باب الشماسية ، فجلس هناك ابن طاهر إلى المستعين وأخبره بأنه عقد الأمر إلى أن يخلع نفسه ، ويبتذلوا له خمسين ألف دينار ، ويعطوه غلّة ثلاثين ألف دينار ، ويقيم بالحجاز متردّداً بين الحرمين ، ويكون بغا والياً على الحجاز ، ووصيف على الجبل ، ويكون ثلث الجباية لابن طاهر وجند بغداد والثلثان للموالي والأتراك . فامتنع المستعين أوّلاً من الخلع ظنّاً منه أنّ وصيفاً وبغا معه . ثم تبين موافقتهما عليه فأجاب وكتب بما أراد من الشروط ، وأدخل الفقهاء والقضاة واشهدهم بأنه قد صيّر أمره إلى ابن طاهر . ثم أحضر القوّاد وأخبرهم بأنه ما قصد بهذا الإصلاح إلاّ حقن الدماء ، وأخرجهم إلى المعتزّ ليوافقهم بخطه على كتاب الشرط ويشهدوا على إقراره ، فجاؤا بذلك لستٍ خلون من المحرم سنة إثنتين وخمسين ومائتين .

* (خلع المستعين ومقتله والفتن خلال ذلك) *

ولما تمّ ما عقده ابن طاهر ووافى القوّاد بخط المعتز على على كتاب الشروط ، أخذ البيعة للمعتز على أهل بغداد ، وخطب له بها وبايع له المستعين وأشهد على نفسه بذلك ، فنقله من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل ومعه عياله وأهله ، وأخذ البردة والقضيب والخاتم ومنع من الخروج إلى مكّة ، فطلب البصرة فمنع منها وبعث إلى واسط . فاستوزر المعتز أحمد بن أبي اسرائيل ورجع أخوه أبو أحمد إلى سامرّا . وفي آخر المحرّم انصرف أبو الساج دبواز بن درموسب[1] إلى بغداد فقلّده ابن طاهر معاون السواد فبعث معه مؤنه[2] إليها لطرد الأتراك والمغاربة عنها ، وسار هو إلى الكوفة . ثم كتب المعتز إلى ابن طاهر بإسقاط بغا ووصيف ومن معهما من الدواوين وكان محمد أبو عون من قوّاد ابن طاهر قد تكفّل لأبى اسحق بقتلها ، وعقد له المعتز على اليمامة والبحرين والبصرة . ونمى الخبر إليهما بذلك فركبا إلى ابن طاهر وأخبراه الخبر وأنّ القوم قد نقضوا العهد . ثم بعث وصيف أخته سعاد إلى المؤيد وكان في حُجْرِها فاستوهـن له الرضا من المعتز وكذا فعل أبو أحمد مع بغا وكتب لهما المعتز جميعاً بالرضا . ثم رغب الأتراك في إحضارهما بسامرّا ، فكتب بذلك ودسّ إلى ابن طاهر بمنعهما . فخرجا فيمن معهما ولم يقدر ابن طاهر على منعهما . وحضرا بسامرّا فعقد إليهما المعتز على أعمالهما ، وردّ البريد إلى موسى بن بغا الكبير . ثم كانت فتنة بين جند بغداد وابن طاهر في شهر رمضان ، جاؤا إليه يطلبون أرزاقهم قال : كتبت إلى أمير المؤمنين في ذلك فكتب إليّ إن كنت تريد الجند لنفسك فأعطهم ، وإن كان لنا فلا حاجة لنا فيهم . فشغبوا ففرّق فيهم ألفي دينار فسكنوا . ثم اجتمعوا ثانية ومعهم الأعلام والطبول ، وضربوا الخيام بباب الشماسية وبنوا البيوت من الأعواد والقصب . وجمع محمد بن ابراهيم أصحابه وشحن داره بالرجال ، وأرادوا يوم الجمعة أن يمنعوا الخطيب من الدعاء للمعتز فقعد واعتذر بالمرض ، فخرجوا إلى الجسر ليقطعوه فقاتلهم أصحاب ابن طاهر ودفعوهم عنه . ثم دفعوا أصحاب ابن طاهر بإعانة أهل الجانب الشرقي ، وجاء العامّة فجلس الشرطة فأمر ابن طاهر بإحراق الحوانيت إلى باب الجسر ومات أصحاب تعبية الحرب وجاء من دلّه على عورة الجند فسرّح الشاه

(١) ابو الساج ديوداد بن ديودست : ابن الاثير ج ٧ ص ١٦٨ .
(٢) نوابة : المرجع السابق .

بن ميكال وعرض القواد فسار إلى ناحيتهم ، وافترقوا وقتل بينهم ابن الخليل . وحمل رئيسهم الآخر ابن القاسم عبدون بن الموفق إلى ابن طاهر ومات في خلال ذلك . وأخرج المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد ، وذلك أنّ العلاء بن أحمد عامل أرمينية بعث إلى المؤيد بخمسة آلاف دينار فأخذها عيسى بن فرخانشاه ، فأغرى المؤيد بعيسى الأتراك والمغاربة فبعث المعتز إلى المؤيد وأبي أحمد فحبسهما وقتل[1] المؤيد ، فأخذ خطّه بخلع نفسه . ثم نمي إليه أنّ الأتراك يرومون إخراجه من الحبس ، فسأل عن ذلك موسى بن بغا فأنكر علم ذلك ، وأخرج المؤيد من الغد ميتاً ودفنته أمّه . فيقال غطّي على أنفه فمات ، وقيل أُقعد في الثلج ووضع على رأسه . ثم نقل أخوه ابن أحمد إلى مجلسه . ثم اعتزم المعتزّ على قتل المستعين فكتب إلى محمد بن عبدالله بن طاهر أن يسلّمه إلى سيما الخادم ، وكتب محمد في ذلك إلى الموكلين به بواسط ، يقال بل أرسل بذلك أحمد بن طولون ، فسار به في القاطون وسلّمه إلى سعيد بن صالح ، فضربه سعيد حتى مات ، وقيل ألقاه في دجلة بحَجَرٍ في رجله ، وكانت معه دابته فقتلت معه وحمل رأسه إلى المعتز فأمر بدفنه ، وأمر لسعيد بخمسين ألف درهم وولاّه معونة البصرة . ثم وقعت فتنة بين الأتراك والمغاربة مستهلّ رجب ، بسبب أن الأتراك وثبوا بعيسى بن فرخانشاه فضربوه وأخذوا دابته لما أمرهم المؤيد ، فامتعضت المغاربة له ونكروا على الأتراك وغلبوهم على الجوسق ، وأخذوا دوابهم وركبوها وملكوا بيت المال . واستجاش الأتراك بمن كان منهم في الكرخ والدور وانضم الغوغاء والشاكريّة إلى المغاربة فضعفت الأتراك عن لقائهم وسعى بينهم جعفر بن عبد الواحد في الصلح فتوادعوا أياماً ثم اجتمع الأتراك على حينُ افتراق المغاربة فقصد محمد بن راشد ونصر ابن سعيد منزل محمد بن عون يختفيان عنده حتى تسكن الهَيْعَة ، فدسّ للأتراك بخبرهما وجاؤا فقتلوهما في منزله وبلغ ذلك المعتز فهمّ بقتل ! ابن عون ثم نفاه .

* (أخبار مساور الخارجي) *

كان الوالي على الموصل عُـقْبَـة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث بن هاني الخزاعيّ ، وكان صاحب الشرطة بالحُـدَيْـثَـة من أعمالها حسين بن بكير، وكان مساور

(١) وفي نسخة اخرى : قيّد المؤيد وكذلك عند ابن الاثير ج ٧ ص ١٧٢ .

ابن عبدالله بن مساور البجليّ من الخوارج يسكن البواريخ[١] . وحبس صاحب الشرطة حسين بن بكير بالحديثة ابناً للمساور هذا يسمى جَوْثَرَة وكان جميلاً ، فكتب إلى أبيه مساور بأنّ حسين بن بكير نال منه الفاحشة ، فغضب لذلك وخرج فقصد الحديثة ، فاختفى حسين وأخرج ابنه من الحبس . ثم كثر جمعه من الأكراد والأعراب وقصد الموصل فقاتلها أياماً ، ثم رجع فكان تحت طريق خراسان ، وكانت لنظر بُنْدَار ومظفر بن مشبك[٢] فسار إليه بندار في ثلثمائة مقاتل والخوارج مع مساور في سبعمائة فهزموه وقتلوه ، ولم ينج منهم إلا نحو خمسين رجلاً وفرّ مظفر إلى بغداد . وجاء الخوارج إلى جلولاء وكانت فيهم حرب هلك فيها من الجانبين خلق . ثم سار خطرمش في العساكر فلقيهم بجلولاء وهزمه مساور ، ثم استولى مساور على أكثر أعمال الموصل ، ثم ولّى الموصل أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطّاب التغلبي سنة أربع وخمسين ، فاستخلف عليها ابنه الحسن ، فجمع عسكراً كان فيهم حمدون بن الحرث بن لقمان جدا لأمراء من بني حمدان ومحمد بن عبدالله بن السيد بن أنس ، وسار إلى مساور وعبر إليه نهر الزاب فتأخر عن موضعه . وسار الحسن في طلبه فالتقوا واقتتلوا وانهزم عسكر الموصل وقتل محمد بن السيد الأزدي ، ونجا الحسن بن أيوب إلى أعمال اربل . ثم كانت الفتنة سنة خمس وخمسين خلع المعتز وبويع للمهتدي وولّى على الموصل عبدالله بن سليمان فزحف إليه مساور ، وخام عبدالله عن لقائه فملك مساور البلد وأقام بها جمعة وصلى وخطب ، ثم خرج منها إلى الحُدَيْثَة وكانت دار هجرته . ثم انتقض عليه سنة ست وخمسين رجل من الخوارج اسمه عبيدة بن زهير العُمَرِيّ[٣] بسبب الخلاف في توبة الخاطيء وقال عبيدة : لا تقبل واجتمع معه جماعة وخرج إليهم مساور من الحديثة واقتتلوا قتالاً شديداً ثم قتل عبيدة وانهزم أصحابه وخرج إليه آخر من بني زهر اسمه طوق ، فجمع له الحسن بن أيوب بن أحمد العدوي جمعاً كثيراً وحاربه فقاتله سنة خمس أو سبع ، واستولى مساور على أكثر العراق ومنع الأموال ، فسار إليه موسى بن بغا بابكيال في العساكر فانتهوا إلى[٤]

(١) وفي نسخة اخرى البوازيج وكذلك عند ابن الاثير ج ٧ ص ١٧٤ .
(٢) مظفر بن سيسل : ابن الاثير ج ٧ ص ١٧٥ .
(٣) عبيدة من بني زهير العمروي : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٢٦ .
(٤) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٧ ص ٢٢٦ : «واستولى مساور على كثير من العراق ومنع الاموال عن الخليفة فضاقت على الجند ارزاقهم ، فاضطرهم ذلك الى ان سار اليه موسى بن بغا وبابكيال وغيرهما في عسكر عظيم ، فوصلوا الى السفّ فأقاموا به ، ثم عادوا الى سامرّا .»

وبلغهم خبر الأتراك مع المهتدي فأقاموا ثم زحفوا بخلع المهتدي ، فلما وَلِيَ المُـعْـتَمِد سيّر مفلحاً إلى قتال مساور في عسكر كبير وخرج مساور عن الحُـدَيْثَة إلى جبلين حذاءها وقاتله مفلح في أتباعه ، ولحق الجبل فاعتصم به وأقام مفلح في حصاره ، فكانت بينهما وقعات وكثرت الجراحة في أصحاب مساور من لدن حربه مع عبيدة إلى هذه الحروب فسار عن الجبل وتركه وأصبح مفلح وقد فقدهم فسار إلى الموصل ثم إلى ديار ربيعة وسنجار ونصيبين والخابور ، فأصلح أمورها وخرج من الموصل إلى الحُـدَيْـثَة ففارقها عنه فرجع مساور في اتباعهم يتخطّف من أعقابهم ويقاتلهم حتى وصل الحُـدَيْـثَة فأقام بها أياماً ، ثم سار إلى بغداد في رمضان سنة ست وخمسين فرجع مساور الحُـدَيْـثَة واستولى على البلاد واشتدّت شوكته ، ثم أوقع به مسرور البَلْـخِي سنة ثمان وخمسين ، وجهّز العسكر بالحُـدَيْـثَة مع جَـعْـلان من قوّاد الترك . ثم قتل سنة إحدى وستين يحيى بن جعفر من ولاة خراسان ، وسار مسرور في طلبه وتبعه الموفّق فلم يدركاه .

* (مقتل وصيف ثم بغا) *

وفي سنة ثلاث وخمسين أيام المعتز اجتمع الجند من الأتراك والفراغنة والأشروسية فطلبوا أرزاقهم منهم لأربعة أشهر وشغبوا ، فخرج إليهم بُـغَـا ووصيف وسيما الطويل ، وكلّمهم وصيف واعتذر بعدم المال وقال : خذوا الزاب في أرزاقكم . ونزلوا بدار أشناس يتناظرون في ذلك ، ومضى بغا وسيما إلى المعتزّ يسألانه في أمرهم ، وبقي وصيف في أيديهم فوثب عليه بعضهم فقتله وقطعوا رأسه ونصبوه . ثم انقادوا وأهدر لهم ذلك ، وجعل المعتز لبغا الشرابي ما كان لوصيف وألبسه التاج والوشاحين ، ثم تغيّر له المعتز لما عليه من الاستبداد على الدولة ، وخشي غائلته ومال باطناً إلى بابكيال وداخله في أمره واعتده لذلك . ثم زوّج بُغا إبنته آمنة من صالح بن وصيف وشغل بجهازها ، فركب المعتز في تلك الغفلة ومعه حمدان بن اسرائيل إلى بابكيال في كرخ سامرّا وكانت بينه وبين بُـغَـا وحشة شديدة وبلغ ذلك بُـغَـا فركب في خمسمائة من غلمانه وولده وقوّاده ، وكان أكثرهم منحرفين عنه ولحق بالسنّ ، وأقام المعتزّ على وجل لا ينام إلا بسلاحه . ثم تعلّل أصحاب بُـغَـا عليه فأعرض عنهم وركب البحر راجعاً إلى بغداد ، وجاء الجسر ليلاً لئلا يفطن به الموكّلون هنالك ، وبعثوا إلى المعتزّ

بخبره[١] ، فأمر بقتله وحمل إليه رأسه ونصب بسامرّا وأحرقت المغاربة شلوه وكان قصد دار صالح بن وصيف ليثبوا على المعتز .

* (ابتداء دولة الصفار) *

كان يعقوب بن الليث عمر[٢] : الصفر بسجستان وكان صالح بن النضر الكناني من أهل البيت قد ظهر بتلك الناحية وقام يقاتل الخوارج وسمّى أصحابه المتطوّعة حتى قيل له صالح المطّوّعي وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث هذا وغلبوا على سجستان ، ثم أخرجهم عنها طاهر بن عبدالله أمير خراسان . وهلك صالح إثر ذلك وقام بأمر المتطوّعة درهم بن الحسن فكثر أتباعه . وكان يعقوب بن الليث شهماً وكان درهم مضعفاً ، واحتال صاحب خراسان حتى ظفر به وحبس ببغداد ، فاجتمعت المتطوّعة على يعقوب بن الليث ، وقام بقتال السراة وأتيح له الظفر عليهم وأثخن فيهم وخرّب قراهم ، وكانت له شرية في أصحابه لم تكن لأحد قبله ، فحسنت طاعتهم له وعظم أمره وملك سجبستان مظهراً طاعة الخليفة وكاتبه وقلّده حرب السراة ، فأحسن الغناء فيه وتجاوزه إلى سائر أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ثم سار من سجستان إلى نواحي خراسان وعليها يومئذ محمد بن عبدالله بن طاهر ، وعلى هراة من قبله محمد بن أوس الأنباري ، فجمع لمحاربة يعقوب وسار إليهم في التعبية ، فاقتتلوا وانهزم ابن أوس وملك يعقوب هراة وبوشنج ، وعظم أمره وهابه صاحب خراسان وغيرها من الأطراف . وكان المعتز قد كتب له بولاية سجستان ، فكتب له الآن بولاية كرمان ، وكان على فارس علي بن الحسين بن شبل ، وأبطأ عامل الخراج واعتذر ، فكتب له المعتز بولاية كرمان يريد إعداء كل منهما بصاحبه لأنّ طاعتهما مهوضة[٣] فأرسل عليّ

(١) يبدو من سياق المعنى ان جملة سقطت اثناء النسخ وفي الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ١٨٧ : « فسار بغا الى الجسر في الثلث الاول من الليل ، فبعث الموكلون بالجسر ينظرون من هو ، فصاح بالغلام فرجع ، وخرج بغا في البستان الخاقاني ، فلحقه عدة من الموكلين فوقف لهم بغا وقال : انا بغا ، اما ان تذهبوا معي الى صالح بن وصيف واما ان تصيروا معي حتى احسن اليكم . فتوكّل به بعضهم وأرسلوا الى المعتز بالخبر ... »

(٢) بياضان في الاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ١٨٤ : « وكان يعقوب بن الليث وأخوه عمر ويعملان الصّغر بسجستان .

(٣) اذا كانت من فعل « هاض » فينبغي ان تكون « مهيضة » اي مكسورة .

ابن الحسين بفارس طوق بن الغلس خليفة على كرمان ، وسار يعقوب الصفّار من سجستان فسبقه طوق واستولى عليها وأقام يعقوب بمكانه قريباً منها يترقب خروج طوق إليه . وبعد شهرين ارتحل إلى سجستان فوضع طوق أوزار الحرب وأقبل على اللهو ، واتصل ذلك بيعقوب في طريقه ، فكرّ راجعاً وأغذّ السير فصادفه بعدَ يومين ، وركب أصحابه وقد أحيط بهم ففرّوا ناجين بأنفسهم ، وملك يعقوب كرمان وحبس طوق . وبلغ الخبر إلى عليّ بن الحسين وهو على شيراز ، فجمع جيشه ونزل على مضيق شيراز ، وأقبل عليه يعقوب حتى نزل قبالته ، والمضيق متوعّر بين جبل ونهر ضيق المسلك بينهما ، فاقتحم يعقوب النهر بينهما وأجاز إلى عليّ بن الحسين وأصحابه فانهزموا ، وأخذ عليّ أسيراً واستولى على جميع عسكره ، ودخل شيراز وملكها وجبى الخراج ورجع الى سجستان وذلك سنة خمس وخمسين . ويقال بل وقع بينهما بعد عبور النهر حرب شديدة انهزم آخرها عليّ وكان عسكره نحواً من خمسة عشر ألفاً من الموالي والأكراد ، ورجعوا منهزمين إلى شيراز آخر يومهم وازدحموا في الأبواب وافترقوا في نواحي فارس وانتهوا إلى الأهواز ، وبلغ القتلى منهم خمسة آلاف . ولما دخل يعقوب وملك فارس امتحن عليًّا وأخذ منه ألف بردة [١] ومن الفرش والسلاح والآلة ما لا يحدّ ، وكتب إلى الخليفة بطاعته وأهدى هدية جليلة يقال منها عشر بازات بيض وباز أبلق صيني ومائة نافجة من المسك وغير ذلك من الطرف ورجع إلى سجستان ، ثم استعاد الخليفة بعد ذلك فارس وبعث عماله إليها .

* (ابتداء دولة ابن طولون بمصر) *

كان بابكيال من أكابر قوّاد الأتراك مع بغا ووصيف وسيما الطويل ، ولمّا حدثت هذه الفتن وتغلبوا على الخلفاء أخذوا الأعمال والنواحي في اقطاعهم ، فاقطع المعتز بابكيال هذا أعمال مصر وبها يومئذ ابن مُدبّر ، وكان بابكيال مقيماً بالحفيدة فنظر فيمن يستخلفه عليها وكان أحمد بن طولون من أبناء الأتراك وأبوه من سبي فرغانة وربّي في دار الخلفاء ، ونشأ ابنه أحمد بها على طريقة مستقيمة لبابكيال خاله ، وأشير عليه بتوليته فبعثه على مصر فاستولى عليها أوّلا دون أعمالها والاسكندرية ، ثم قتل المعتز بابكيال وصارت مصر في اقطاع بارجوع الترك [٢] وكان بينه وبين أحمد بن طولون

---

(١) بدرة كما في ابن الاثير ج ٧ ص ١٩٤ .
(٢) ياركوج التركي : ابن الاثير ج ٧ ص ١٨٧ .

مودّة متأكدة فكتب إليه واستخلفه على مصر جميعها ، ورسخت قدمه فيها وأصارها تُرَاثاً لبنيه فكانت لهم فيها الدولة المعروفة .

* (استقدام سليمان بن طاهر لولاية بغداد) *

قد تقدّم لنا أنّ محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين كان على العراق والسواد ، وكانت لهم الشرطة وغيرها ، وكان مقيماً ببغداد وكان في المدافعة عن المستعين لما لجأ إليه . ثم صلح ما بينه وبين المعتز ، واستقل المعتز بالخلافة والآثار المذكورة . ثم هلك آخر سنة ثلاث وثمانين أيام المعتز وفوّض ما كان بيده من الولاية إلى أخيه عبيدالله ، نازعه ابنه طاهر في الصلاة عليه ومالت العامّة مع أصحاب طاهر والقوّاد مع عبيدالله لوصية أخيه . ثم أمضى المعتز عهد أخيه وخلع عليه ، وبذل لصاحب الخلع خمسين ألف درهم . ثم بعث المعتز عن سليمان بن عبدالله بن طاهر من خراسان ، وولاّه على العراق والشرطة وغيرها مكان أخيه محمد ، وعزل أخاهما عبيدالله . فلمّا علم عبيدالله تقدّم سليمان أخذ ما في بيت المال وانتقل إلى غربيّ دجلة ، وجاء سليمان وقائده محمد ابن أوس ومعه جند من خراسان فأساؤا السيرة في أهل بغداد فحنق الناس عليهم وأعطى أرزاقهم مما بقي في بيت المال وقدمهم على جند بغداد وشاكريّها ، فاتفق الجند على الثورة وفتقوا السجون ، وعبر ابن أوس إلى الجزيرة واتبعه الجند والعامّة ، فحاربهم وانهزم وأخرجوه من باب الشماسية ، ونهب من منزله قيمة ألفي الف درهم ، ومن الأمتعة ما لا يحصر ونهب منازل جنده . ورأى سليمان أن يسكن الثائرة فأمره بالخروج إلى خراسان ، ثم كانت الفتنة في خلع المعتز وولاية المهدي كما يذكر ، وبعث المهتدي سلخ رجب من سنة خمس وخمسين إلى سليمان ليأخذ البيعة له ببغداد . وكان أبو أحمد بن المتوكل ببغداد قد بعثه إليها المعتز ، فنقله سليمان إلى داره ووثب الجند والعامّة لذلك واجتمعوا بباب سليمان ، وقاتلهم أصحابه ملياً ، ثم انصرفوا وخطب من الغد للمعتز فسكنوا ثم ساروا ودعوا إلى بيعة أبي أحمد ، وطلبوا رؤيته فأظهره لهم ووعدهم بما طلبوا ، فافترقوا ووكّل بحفظ أبي أحمد ثم بايع للمهتدي في شعبان من تلك السنة .

* (خبر كرخ اصبهان وأبي دلف) *

قد تقدّم لنا شأن أبي دُلَف أيام المأمون وأنه كان مقيماً بكرخة وأن المأمون عفاله عما وقع منه في القعود عن نصره ، وأقام بتلك الناحية وهلك ، فقام ابنه عبد العزيز مكانه . ولما كانت أيام الفتنة تمسك بطاعة المستعين وولّى وصيف على الجبل وأصبهان ، فكتب إلى عبد العزيز باستخلافه عليها وبعث عليه بالخلع ، وعقد المعتز لموسى بن بغا الكبير في شهر رجب من سنة ثلاث وخمسين على الجبل وأصبهان ، فسار لذلك وفي مقدمته مفلح ، فلقيه عبد العزيز بن أبي دُلَف في عشرين ألفاً خارج همذان ، فتحاربا وانهزم عبد العزيز وقتل أصحابه . وسار مفلح إلى الكرخ ، فخرج إليه عبد العزيز وقاتله ثانية ، فانهزم واستولى مفلح على الكرخ . ومضى عبد العزيز إلى قلعة نَـهَـاوَنْـد فتحصّن بها وأخذ مفلح أهله وأمّه . ثم عقد له وصيف سنة إثنين وخمسين على أعمال الجبل ، ثم عقد لموسى بن بغا ، فسار وفي مقدّمته مفلح ، فقاتله عبد العزيز فانهزم وملك مفلح الكرخ وأخذ ماله وعياله . ثم ملك عبد العزيز وقام مكانه إبنه دُلَف وقاتله القاسم بن صبهاه من أهالي أصبهان . ثم قتل القاسم أصحاب أبي دُلَف وولّوا أخاه أحمد بن عبد العزيز سنة خمس وستين . وولاّه عمر الصفّار من قبله على أصبهان عندما ولاّه عليها المعتمد سنة ست وستين، وحاربه كغليغ التركي سنة تسع وستين ، فغلبه أحمد وأخرجه إلى الصميرة ، وبعث إليه عمر سنة ثمان وستين في المال فبعث إليه . ثم سار الموفّق سنة ست وسبعين يريد أحمد بأصبهان فشاغله أحمد عن البلد وترك داره بفرشها لنزول الموفّق . ثم مات أحمد سنة ثمانين وولّى أخوه عمر وأخوه بكير يرادفه وقاتلا رافع بن الليث بأمر المعتضد فهزمها كما يأتي ذكره . ثم قلّده المعتضد أصبهان ونَـهَـوَنْد والكرخ عمر بن عبد العزيز سنة إحدى وثمانين ثم راجعا الطاعة .

* (خلع المعتز وموته وبيعة المهتدى) *

كان صالح بن وصيف بن بغا متغلباً على المعتز ، وكان كاتبه أحمد بن اسرائيل ، وكانت أمّه قبيحة ووزيرها الحسن بن مخلد ، وكان أبو نوح عيسى بن ابراهيم من كبار الكتّاب وجباة الأموال . وطلب الأتراك أرزاقهم وشغبوا ، فقال صالح للمعتز : هذه الأموال قد ذهب بها الكتّاب والوزراء ، وليس في بيت المال شيء فردّ عليه

أحمد بن اسرائيل وأفحش في ردّه وتفاوضا في الكلام فسقط صالح مغشياً عليه ، وتبادر أصحابه بالباب فدخلوا منتضين سيوفهم فدخل إلى قصره ، فأمر صالح بالوزراء الثلاثة فقيّدوا وشفع المعتز في أمر وزيره فلم يقبل شفاعته ، وصادرهم على مال جليل حملوه فلم يسدّ شيئاً ، فلما فعلوا بالكتاب ما فعلوا من المصادرة إتّهم الجند أنهم حملوا على مال ولم يكن ذلك ، فشفعوا في طلب أرزاقهم وضمنوا للمعتز قتل صالح بن وصيف على خمسين ألفاً يبذلها لهم . وسألها من أمّه فاعتذرت فاتفقت كلمتهم على خلعه . ودخل إليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا المعروف بأبي نَصْر وبابكيال وطلبوه في الخروج إليهم ، فاعتذر لهم وأذن لبعضهم في الدخول فدخلوا ، وجرّوه إلى الباب وضربوه وأقاموه في الشمس في صحن الدار وكلما مرّ به أحد منهم لطمه . ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب في جماعة فأشهدهم على خلعه ، وعلى صالح بن وصيف بأمانه وأمان أمّه وأخته وولده[1] . وفرّت أمّه قبيحة من سَرَب كانت اتخذته بالدار ، ثم عذّبوا المعتز ثم جعلوه في سَرَبٍ وطمّوا عليه ، وأشهدوا على موته بني هاشم والقوّاد ، وذلك آخر رجب من سنة خمس وخمسين ، وبايعو المحمد ابن عمه الواثِق ولقّبوه المهتدي بالله عندما خلع المعتز نفسه وأقرّ بالعجز والرغبة في تسليمها إلى المهتدي ، بايعه الخاصّة والعامّة . وكانت قبيحة أم المعتز لما فعل صالح بالكتاب ما فعل قد[2] نفراً منهم على الفتك بذلك بصالح ، ونمي ذلك إليه ، فجمع الأتراك على الثوران ، وأيقنت قبيحة بالهلاك فأودعت ما في الخزائن من الأموال والجواهر ، وحفرت سرباً في حجرتها هربت منه لما أُحِيطَ بالمعتز ، ولما قتل خشيت على نفسها فبعثت إلى صالح تستأمنه فأحضرها في رمضان وظفر منها بخمسمائة ألف دينار ، وعذّبها على خزائن تحت الأرض فيها ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار ومقدار مكوك من الزبرجد لم يُرَ مثله ، ومقدار مكوك آخر من اللؤلؤ العظيم وجراب من الياقوت الأحمر القليل النظير ، وذمّها الناس بأنها عرّضت إبنها للقتل في خمسين ألف دينار ومعها هذا المال ، ثم سارت إلى مكة فأقامت هنالك ، وقبض صالح على أحمد بن اسرائيل وزيد بن المعتز وعذّبه وصادره . ثم قبض على

---

(١) الضمير يعود للمعتز .

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثيرج ٧ ص ١٩٩ : «وكان السبب في هربها وظهورها انها كانت قد واطأت النفر من الكتّاب الذين أوقع بهم صالح على الفتك بصالح ...»

أبي نوح وفعل به مثله ، وقبض على الحسن بن مُخْلِد كذلك ولم يمت . وبلغ المهتدي ذلك فنكره وقال : كان الحبس كافياً في العقوبة . ولأوّل ولاية المهتدي أخرج القيان والمغنّين من سامرّا ونفاهم عنها ، وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرد الكلاب وردّ المظالم وجلس للعامة ، وكانت الفِتَنُ قائمة ، والدولة مضطربة ، فشمّر لإصلاحها لو أُمْهِل واستوزر سليمان بن وهب وغلب على أمره صالح بن وصيف وقام بالدولة .

مسير موسى بن بغا الى سامرا ومقتل صالح بن وصيف

كان موسى بن بغا غائباً بنواحي الريّ وأصبهان منذ ولاية المعتز عليها سنة ثلاث وخمسين ، ومعه مفلح غلام أبي الساج ، وكانت قبيحة أم المعتز لما رأت اضطراب أموره كتبت إلى موسى قبل أن يفوت في أمره ، فجاءه كتابها ، وقد بعث مفلحاً لحرب الحسن بن زيد العلويّ فحربه[1] بطبرستان فغلبه ، وأحرق قصوره بآمد وخرج في اتباعه إلى الديْلَم ، فكتب إلى موسى بالرجوع لمداهمة من شاء وبينما هو في استقدامه وانتظاره قُتِل المعتزّ وبويع المهتدي ، وبلغ أصحابه ما حواه صالح من أموال المعتز وكتّابه وأمّه ، فشرهوا إلى مثل ذلك ، وأغروا موسى بالمسير إلى سامرّا ، ورجع مفلح من بلاد الديْلَم إليه وهو بالريّ ، فسار نحو سامرّا وسمع المهتدي بذلك فكتب إليه بالمقام ويحذّره على ما وراءه من العلويين فلم يصغ لذلك ، وأفحش أصحابه في إساءة الرسل الواصلين بالكتب . فكتب بالاعتذار واحتج بماعاينه الرسل وأنه يخشى أن يقتله أصحابه إن عادوا إلى الريّ وصالح بن وصيف في خلال ذلك يغري به المهتدي وينسبه إلى المعصية والخلاف ، إلى أن قدم في المحرّم سنة ست وخمسين ودخل في التبعية ، فاختفى صالح بن وصيف ومضى موسى إلى الجوسق والمهتدى جالس للمظالم فأعرض له عن الإذن ساعة ارتاب فيها هو وأصحابه وظنّوا أنه ينتظر قدوم صالح بالعساكر . ثم أذن لهم فدخلوا وقبضوا على المهتدي وأودعوه دار باجورة[2] وانتهبوا ما كان في الجوسق . واستغاث المهتدي بموسى فعطف عليه ثم

---

(١) لعلها فحاربه .

(٢) دار ياجور : ابن الاثير ج ٧ ص ٢١٨ .

أخذ عليه العهود والإيمان أن لا يوالي صالحاً وأنّ باطنه وظاهره في موالاتهم سواء ، فجدّدوا له البيعة واستبد موسى بالأمر ، وبعث إلى صالح للمطالبة بما احتجبه من الأموال فلم يوقف له على أثر ، وأخذوا في البحث عنه . وفي آخر المحرّم أحضر المهتدي كتاباً رفعه إليه سيما الشرابيّ ، زعم أنّ امرأة دفعته إليه وغابت فلم يرها ، وحضر القوّاد وقرأه سليمان بن وهب عليهم وهو بخط صالح يذكر ما صار إليه من الأموال ، وأنه إنما استتر خشية على نفسه وحسماً للفتنة وإبقاء على الموالي . ولما قرأ الكتاب حثّهم المهتدي على الصلح والاتفاق ، فإتهمه الأتراك بالميل إلى صالح وأنه مطلع على مكانه ، وطال الكلام بينهم بذلك ثم اجتمعوا من الغد بدار موسى بن بغا داخل الجَوْسَق واتفقوا على خلع المهتدي ، إلا أخا بابكيال فإنه أبى من ذلك وتهدّدهم بأنه مفارقهم إلى خراسان ، واتصل الخبر بالمهتدي فاستدعاه إليه وقد نظّف ثيابه وتطيب وتقلّد سيفه فأرعد وأبرق وتهدّدهم بالاستماتة ، ثم حلف لا يعلم مكان صالح ، وقال لمحمد بن بغا وبابكيال قد حضرتما مع صالح في أمر المعتز وأموال الكتّاب وأنتم شركاؤه في ذلك كلّه . وانتشر الخبر في العامة بأنهم أرهقوه وأرادوا خلعه فطفقوا يحاذرون على الدعاء في المساجد والطرقات ويبغون على القوّاد بغيهم على الخليفة ، ويرمون الرقاع بذلك في الطرقات . ثم إنّ الموالي بالكرخ والدور دسوا إلى المهتدي أن يبعثوا إليه أخاه أبا القاسم عبدالله بعد أن ركبوا وتحركوا فقالوا لأبي القاسم : بلغنا ما عليه موسى وبابكيال وأصحابهما ونحن شيعة للخليفة فيما يريده ، وشكوا مع ذلك تأخّر أرزاقهم وما صاروا من الاقطاع والزيادات إلى قوّادهم وما أخذه النساء والدخلاء حتى أصحب ذلك كله بالخراج والضياع ، وكتبوا بذلك إلى المهتدي ، فأجابهم بالثناء على التشيّع له والطاعة والوعد الجميل في الرزق ، والنظر الجميل في شأن الاقطاعات للقوّاد والنساء ، فأفاضوا في الدعاء وأجمعوا على منع الخليفة من الحجر الاستبداد عليه ، وأن ترجع الرسوم إلى عادتها أيام المستعين على كل عشرة عريف ، وعلى كل خمسين خليفة ، وعلى كل مائة قائد ، وأن تسقط النساء والزيادة في الاقطاع ويوضع العطاء في كل شهرين . وكتبوا بذلك إلى المهتدي وأنهم صائرون إلى بابه ليقضي حوائجهم ، وإن أحد اعترض عليه أخذوا رأسه وإن تعرّض له أحد قتلوا موسى بن بغا وبابكيال وما جور . فجاء أبو القاسم بالكتاب وقد قعد المهتدي للمظالم وعنده الفقهاء والقضاة والقوّاد قائمون في مراتبهم فقرأ كتابهم على

القوّاد فاضطربوا وكتب جوابهم بما سألوا ، وطلب أبو القاسم من القوّاد أن يبعثوا معه رسولاً بالعذر عنهم ففعلوا ، ومضى أبو القاسم إليهم بكتاب الكتّاب وبرسل القوّاد وأعذارهم . فكتبوا إلى المهتدي يطلبون التوقيعات بحط الزيادات وردّ الاقطاعات وإخراج الموالي البرّانيين من الخاصة ، وردّ الرسوم إلى عاداتها أيام المستعين ، ومحاسبة موسى بن بغا وصالح بن وصيف على ما عندهم من الأموال ووضع العطاء على كل شهرين وصرف النظر في الجيش إلى بعض إخوته أو قرابته وإخراجه من الموالي ، وكتبوا بذلك إلى المهتدي والقوّاد فأجابهم إلى جميع ما سألوه . وكتب إليهم موسى بن بغا بالإجابة في شأن صالح والإذن في ظهوره فقرؤا الكتابين ووعدوا بالجواب ، فركب إليهم أبو القاسم واتبعه موسى في ألف وخمسمائة فوقف في طريقهم ، وجاءهم أبو القاسم فاضطربوا في الجواب ولم يتّفقوا فرجع وردّ موسى بن بغا فأمرهم المهتدي بالرجوع وأن يتقدّم إليهم محمد بن بغا مع أبي القاسم ، ويدفعوا إليهم كتاب الأمان لصالح بن وصيف ، وقد كان من طلبتهم أن يكون موسى في مرتبة أبيه وصالح كذلك والجيش في يده ، وأن يظهر على الأمان فأجيبوا إلى ذلك . وافترق الناس إلى الكرخ والدور وسامرّا ، فلما كان من الغد ركب بنو وصيف في جماعة ولبسوا السلاح فنهبوا دواب العامة وعسكروا بسامرّا وتعلقوا بأبي القاسم يطلبون صالحاً فأنكر المهتدي أن يكون علم بمكانه ، وقال : إن كان عندهم فليظهروه . ثم ركب ابن بغا في القوّاد ومعه أربعة آلاف فارس وعسكر ، وافترق الأتراك ولم يظهر للكرخيين ولا لأهل الدور وسامرّا في هذا اليوم حركة ، وجدّ موسى في طلب صالح ونادى عليه وعثر عليه بعض الغوغاء فجاء به إلى الجوسق والعامة في اتباعه فضربه بعض أصحاب مفلح فقتله وطيف برأسه على قناة وخرج موسى بن بغا لقتال السراة بناحية السنّ .

* (الصوائف منذ ولاية المنتصر إلى آخر أيام المهتدي) *

في سنة ثمان وأربعين أيام المستعين خرج بناحية الموصل محمد بن عمر الشاربي وحكم فسرّح المنتصر اسحق بن ثابت الفرغاني فأسره في عدّة من أصحابه وقتلوا وصلبوا وفي هذه السنة غزا بالصائفة وصيف وأمره المنتصر بالمقام بمَلَطْيَة أربع سنين يغزو في أوقات الغزو إلى أن يأتيه رأيه ، وكان مقيماً بالثغر الشامي فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قدورية . وفي سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة جعفر بن دينار فافتتح مطامير واستأذنه

عمر بن عبدالله الأقطع في الدخول إلى بلاد الروم فأذن له ، فدخل في جموع من أهل مَلَطْيَة ، ولقي ملك الروم بمرج الأسقف في خمسين ألفاً فأحاطوا به وقيل في ألفين من المسلمين ، وخرج الروم إلى الثغور الخزريّة[1] فاستباحوها وبلغ ذلك عليّ ابن يحيى الأرمني وقد كان صرف عن الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان . فلما سمع بخبرهم نفر إليهم وقاتلهم فانهزم وقتل في أربعمائة من المسلمين ، وفي سنة ثلاث وخمسين أيام المعتز غزا محمد بن مُعَاذ من ناحية مَلَطْيَة فانهزم وأسر

* (الولاة) * لما وَلِيَ المنتصر استوزر أحمد بن الخصيب وولّى على المظالم أبا عمر أحمد بن سعيد مولى بني هاشم . ثم وَلِيَ المستعين ومات طاهر بن عبدالله بخراسان فولّى المستعين مكانه ابنه محمداً وولّى محمد بن عبدالله على العراق وجعل إليه الحرمين والشرطة ومعاون السواد ، واستخلف أخاه سليمان بن عبدالله على طبرستان . وتوفي بغا الكبير فولّى ابنه موسى على أعماله وضاف إليه ديوان البريد ، وشغب أهل حمص على عاملهم وأخرجوه ، فبعث عليهم المستعين الفضل بن قارن أخا مازيار فقتل منهم خلقاً وحمل مائة من أعيانهم إلى سامرّا . واستوزر المستعين أتامش بعد أن عزل أحمد بن الخصيب ، واستصفى بقي إلى أقريطش ، وعقد لأتامش على مصر والمغرب ، ولبغا الشرابي على حُلوان وما سَبَذَان ومهرجا بعده[2] . ثم قتل أتامش فاستوزر المستعين مكانه أبا صالح عبدالله بن محمد بن داود وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج وولاّه عيسى بن فرخانشاه ، وولّى وصيفاً على الأهواز وبغا الصغير على فلسطين ، ثم غضب بغا على أبي صالح ففرّ إلى بغداد واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجاني ، وولى ديوان الرسائل سعيد بن حميد وعزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ونفاه إلى البصرة ، وولّى جعفر بن محمد بن عمّار البرجمي ، وفي خمسين عقد لجعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف بساسان على مكة ووثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن فقتلوه فسرّح إليهم المستعين موسى بن بغا وحاربوه فهزمهم ، وأفتتحت حمص وأثخن فيهم وأحرقها ، وفيها وثب الشاكريّة والجند بفارس بعبدالله بن اسحق فانتهبوا منزله ، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن وهرب عبدالله بن اسحق وفيها كان ظهور العلويّة بنواحي طبرستان . وفي سنة إحدى

(١) الثغور الجزرية وقد مرّ ذكرها من قبل .
(٢) مِهْرِجا نقلق : ابن الاثيرج ٧ ص ١٢٠ .

وخمسين عقد المعتز لبغا ووصيف على أعمالها ، وردّ البريد إلى موسى بن بغا الكبير ، وعقد محمد بن طاهر لأبي الساج وقدّم بين يديه عبد الرحمن كما قلنا ، وأظهر أنه إنما جاء لحرب الأعراب وتلطّف لأبي أحمد حتى خالطه وقيّده وبعث به إلى بغداد في سنة إثنتين وخمسين . وولّى المعتز الحسين بن أبي الشوارب على القضاء وبعث محمد ابن عبدالله بن طاهر أبا الساج على طريق مكة ، وعقد المعتز لعيسى الشيخ بن السليل الشيباني من ولد جَسَّاس بن مرّة على الرملة فاستولى على فِلَسْطِين وعلى دمشق وأعمالها ، وقطع ماكان يحمل من الشام . وكان ابراهيم بن المُدَبِّر على مِصْر فبعث إلى بغداد من المال بسبعمائة ألف دينار فاعترضها عيسى وأخذها ، وطولب بالمال فقال : الفتنة على الجند ! فولاّه المعتمد على أرمينية يقيم بها دعواه . وبعث المعتمد إلى الشام ما جور على دمشق وأعمالها ، وبلغ الخبر إلى عيسى فبعث ابنه منصوراً في عشرين ألف مقاتل ، فانهزم وقتل وسار عيسى إلى أرمينية على طريق الساحل . وفيها عقد وصيف لعبد العزيز بن أبي دُلَف العِجْلِيّ على أعمال الجبل . وفي سنة ثلاث وخمسين عقد لموسى بن بغا على الجبل ، فسار وفي مقدمته مفلح مولى بني الساج ، وقاتله عبد العزيز بن أبي دلف فانهزم ولجأ إلى قلعة لَهَادِر[1] وملك مفلح الكرخ ، وأخذ أهله وعياله ، وفيها مات ابن عبدالله بن طاهر ببغداد وولّى أخوه عبيدالله بعهده . ثم بعث المعتز عن أخيه سليمان بطبرستان فولاّه مكانه ، وكان على الموصل سليمان بن عمران الأزدي ، وكانت بينه وبين الأزد حروب بنواحي الموصل . وفيها مات مزاحم بن خاقان بمِصْر . وفيها ملك يعقوب الصفّار سجستان وفارس وهراة ، وكان ابتداء دولته ، وولى بابكيال أحمد بن طولون على برّ مِصْر من قبله فكان ابتداء دولته . ثم أقطعها المعتمد سنة سبع وخمسين ليارجوج[2] فولى عليها أحمد بن طولون من قبله وفي سنة خمس وخمسين أيام المهتدي استولى مساور الخارجي على الموصل وفيها ظهر صاحب الزنج وكان ابتداء فتنته .

* (أخبار صاحب الزنج وابتداء فتنته) *

كان أكثر دعاة العلوية الخارجين بالعراق أيام المعتصم وما بعده أكثرهم من

(١) هكذا في الاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ١٧٨ : « ومضى الى قلعة له يقال لها : زُرّ فتحصّن بها ودخل مفلح كَرَج » .

(٢) ياركوج : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٤١ .

الزيديّـة ، وكان من أئمتهم عليّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد الشهير وكان نازلاً بالبصرة ، ولما وقع البحث عليه من الخلفاء ظفروا بابن عمّه علي بن محمد بن الحسين ، فقتل بغدك ولأيام من قتله خرج رجل بالريّ يدّعي أنه عليّ بن محمد بن أحمد بن عيسى المطلوب وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهتدي . ولما ملك البصرة لقي عليًّا هذا حيًّا معروف النسب ، فرجع عن ذلك وانتسب إلى يحيى قتيل الجوزجان أخي عيسى المذكور . ونسبه المسعوديّ إلى طاهر بن الحسين وأظنّه الحسين ابن طاهر بن يحيى المحدّث بن الحسين بن جعفر بن عبدالله بن الحسين بن عليّ ، لأن ابن حزم قال في الحسين السبط أنه لا عقب له إلا من عليّ بن الحسين ، وقال فيه عليّ بن محمد بن جعفر بن الحسين بن طاهر . وقال الطبريّ وابن حزم وغيرهم من المحقّقين أنه من عبد القيس ، واسمه عليّ بن عبد الرحيم من قرية من قرى الريّ ، ورأى كثرة خروج الزيديّـة فحدّثته نفسه بالتوثّب فانتحل هذا النسب ، ويشهد لذلك أنه كان على رأي الأزارقة من الخوارج ، ولا يكون ذلك من أهل البيت . وسياقة خبره أنه كان اتصل بجماعة من حاشية المنتصر ومدحهم . ثم شخص من سامرّا إلى البحرين سنة تسع وأربعين أدّعى أنه من ولد العبّاس بن أبي طالب من ولد الحسن بن عبدالله بن العبّاس ، ودعا الناس إلى طاعته فاتبعه كثير من أهل حجر وغيرها ، وقاتلوا أصحاب السلطان بسببه وعظمت فتنته ، فتحوّل عنهم إلى الأحساء ونزل على بني الشمّاس من سعد بن تميم ، وصحبه جماعة من البحرين منهم يحيى بن محمد الأزرق وسليمان بن جامع ، فكانا قائدين له ، وقاتل أهل البحرين فانهزم وافترقت العرب عنه واتبعه عليّ بن أبان وسار إلى البصرة ونزل في بني ضُبَيْعَة وعاملها يومئذ محمد بن رجاء ، والفتنة فيها بين البلالِيّـة والسعديّـة ، وطلبه ابن رجاء فهرب وحبس إبنه وزوجته وجماعة من أصحابه ، فسار إلى بغداد وأقام بها حَوْلاً وانتسب إلى محمد بن أبي أحمد بن عيسى كما قلناه ، واستمال بها جماعة منهم جعفر ابن محمد الصوحانيّ من ولد زيد بن ضوحان ومسروق ورفيق غلامان ليحيى بن عبد الرحمن وسمّى مسروقاً حمزة وكنّاه أبا أحمد ، وسمّى رفيقاً جعفراً وكنّاه أبا الفضل . ثم وثب رؤساء البلاليّـة والسعديّـة بالبصرة وأخرجوا العامل محمد بن رجاء ، فبلغه ذلك وهو ببغداد ، وأنّ أهله خلعوه فرجع إلى البصرة في رمضان سنة خمس وخمسين ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع ومسروق ورفيق ، فنزل بقصر القَرْش

ودعا الغلمان من الزنوج ووعدهم بالعتق فاجتمع له منهم خلق وخطبهم ووعدهم بالملك ورغّبهم في الإحسان وحلف لهم وكتب لهم في خرقة إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية . واتخذها راية وجاءه موالي الزنوج في عبيدهم فأمر كل عبد أن يضرب مولاه وحبسهم ثم أطلقهم ، ولم يزل هذا رأيه والزنوج في متابعته والدخول في أمره وهو يخطبهم في كل وقت ويرغّبهم . ثم عبر دُجَيْلاً إلى نهر ميمون ، فأخرج عند الحِمْيَرِيّ وملكه وسار الى الأُبُلَّة وبها ابن أبي عَوْن فخرج إليه في أربعة آلاف فهزمهم ونال منهم . ثم سار إلى القادسية فنهبها وكثر سلاحهم ، وخرج جماعة من أهل البصرة لقتاله ، فبعث إليهم يحيى بن محمد في خمسمائة رجل فهزمهم وأخذ سلاحهم . ثم طائفة أخرى كذلك وأخرى ، وخرج قائدان من البصرة فهزمها وقتل منهما ، وكانت معهما سفن ألقتها الريح إلى الشطّ فغنموا ما فيها وقتلوا وكثر عيثه وفساده . وجاء أبو هلال من قوّاد الأتراك في أربعة آلاف مقاتل فلقيه على نهر الريان فهزمه الزنج واستلحموا أكثر أصحابه ، ثم خرج أبو منصور أحد موالي الهاشميين في عسكر عظيم من المطوعة والبلاليّة والسعديّة فسرّح للقائهم علي بن أبان فلقي طائفة منهم فهزمهم ، ثم أرسل طائفة أخرى إلى مرفأ السفن وفيه نحو من ألفي سفينة فهرب عنها أهلها ونهبوها ، ثم جاءت عساكر أبي منصور وقعد الزنوج لهم بين النخل وعليهم عليّ بن أبان ، ومحمد بن مسلم ،فهزموا العسكر وقتلوا منهم وأخذوا سلاحهم . ثم سار فنهب القرى حتى امتلأت أيديهم بالنهب . ثم سار يريد البصرة ولقيته عساكرها فهزمهم الزنج وأثخنوا فيهم . ثم سار من الغد نحو البصرة وخرج إليه أهلها واحتشدوا وزحفوا إليه برًّا وبحراً فلقيهم بالسُدِّ وانهزموا هزيمة شنعاء كثر فيها القتل . ووهن أهل البصرة وكتبوا إلى الخليفة فبعث إليهم جَعْلان التركي مدداً وولّى على الأُبُلّة أبا الأحْوص الباهلي وأمّه بجند من الأتراك ، وقد بثّ صاحب الزنج أصحابه يميناً وشمالاً للغارة والنهب . ولما وصل جَعْلان إلى البصرة ، نزل على فرسخ منهم وخندق عليه ، وأقام ستة أشهر يسرّح لحربهم الزيني مع بني هاشم ومرجف . ثم بيته الزنج فقتلوا جماعة من أصحابه ، وتحوّل عن مكانه ثم انصرف عن حربهم وظفر صاحب الزنج بعده من المراكب غنم فيها أموالاً عظيمة ، وقتل أهلها وألحّ بالغارات على الأُبُلّة إلى أن دخلها عنوة آخر رجب سنة ست وخمسين ، وقتل عاملها أبا الأحوص عبيدالله ابن حميد الطوسي وخلقاً من أهلها واستباحها وأحرقها وبلغ ذلك أهل عبّادان

فاستأمنوا له وملكها ، واستولى على ما فيها من الأموال والعبيد والسلاح إلى الأهواز وبها ابراهيم بن المدبّر على الخراج ، فهرب أهلها ودخلها الزنج ونهبوا وأسروا ابن المدبّر فخاف أهل البصرة وافترق كثير منهم منَ البلدان . وبعث المعتمد سعيد بن صالح الحاجب لحربهم سنة سبع وخمسين فهزمهم وأخذ ما معهم وأثخن فيهم وكان ابن المدبر أسيراً عندهم في بيت يحيى بن محمد البحراني وقد ضمن لهم مالاً كثيراً ووكّل به رجلين فداخلهم حتى حفر سَرَباً من البيت وخرج منه ولحق بأهله .

* (خلع المهتدى وقتله وبيعة المعتمد) *

وفي أوّل رجب من سنة ست وخمسين شعف الأتراك من الترك والدور بطلب أرزاقهم وبعث المهتدي أخاه أبا القاسم ومعه كفقا[1] وغيره فسكّنوهم وعادوا وبلغ محمد بن بغا أنّ المهتدي قال للأتراك أنّ الأموال عند محمد وموسى إبني بغا ، فهرب إلى أخيه بالسِّنْد وهو في مقاتلة موسى الشاربي فأمّنه المهتدي ورجع ومعه أخوه حنون وكيغلغ فكتب له المهتدى بالامان ورجع إلى أصحابه وحبسه وصادره على خمسة عشر ألف دينار ، ثم قتله وبعث بابكيال بكتابه إلى موسى بن بغا بأن يتسلّم العسكر وأوصاه بمحاربة الشاربي[2] وقتل موسى بن بغا ومفلح ، فقرأ الكتاب على موسى وتواطؤا على أن يرجع بابكيال فيتدبر على قتل المهتدي ، فرجع ومعه يارجوج واساتكين[3] وسيما الطويل ، ودخلوا دار الخلافة منتصف رجب فحبس بابكيال من بينهم واجتمع أصحابه ومعهم الأتراك وشغبوا . وكان عند المهتدي صالح بن عليّ بن يعقوب بن المنصور فأشار بقتله ومناجزتهم ، فركب في المغاربة والأتراك والفراغنة على التعبية . ومشى والبلخي[4] في الميمنة ويارجوج في الميسرة ووقف هو في القلب ومعه أساتكين وغيره من القوّاد وبعث برأس بابكيال إليهم مع عتّاب بن عتّاب ، ولحق الأتراك من صفِّهِ بإخوانهم الأتراك وانقضّ الباقون على المهتدي وولّى منهزماً ينادي بالناس ولا يجيبه أحد وسار إلى السجن فأطلق المحبوسين ودخل دار أحمد بن جميل صاحب الشرطة ، وافتتحوا عليه وحملوه على بغل إلى الجوسق ، وحبس عند أحمد

(١) كيغلغ : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٢٨ .
(٢) هو مساور الشاري وليس الشاربي .
(٣) يا ركوج واسارتكين : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٢٩ .
(٤) هو مسرور البلخي .

ابن خاقان ، وأرادوه على الخلع فأبى واستمات فأخرجوا رقعة بخطّه لموسى بن بُغا وبابكيال وجماعة القوّاد أنه لا يغدر بهم ولا يقاتلهم ولا يهمّ بذلك ، ومتى فعل شيئاً من ذلك فقد جعل أمر الخلافة بأيديهم يولّون من شاؤا فاستحلّوا بذلك أمره وقتلوه . وقيل في سبب خلعه غير هذا وهو أنّ أهل الكرخ والدور من الأتراك طلبوا الدخول على المهتدي ليكلّموه فأذن لهم وخرج محمد بن بغا إلى المحمديّة ودخلوا في أربعة آلاف ، فطلبوا أن يعزل عنهم قوّاده ويصادرهم وكتّابهم على الأهواز ، ويصير الأمر إلى أخوته فوعدهم بالإجابة وأصبحوا من الغد يطلبون الوفاء بما وعدهم به ، فاعتذر لهم بالعجز عن ذلك إلا بسياسة ورفق فأبو إلاّ المعاجلة ، فاستخلفهم على القيام معه في ذلك بايمان البيعة فحلفوا ، ثم كتبوا إلى محمد بن بغا عن المهتدي وعنهم يعذلونه في غيبته عن مجلسهم مع المهتدي ، وأنهم إنما جاؤا بشكوى حالهم ووجدوا الدار خالية فأقاموا ورجع محمد بن بغا فحبسوه في الأموال وكتبوا إلى موسى بن بغا ومفلح بالقدوم وتسليم العسكر إلى من ذكروه لهم ، وبعثوا من يقيدهما إن لم يأتمرا ذلك . ولما قرئت الكتب على موسى وأصحابه امتنعوا لذلك وساروا نحو سامرّا ، وخرج المهتدي لقتالهم على التعبية وتردّدت الرسل بينهم بطلب موسى أن يولّى على ناحية ينصرف إليها ، ويطلب أصحاب المهتدي أن يحضر عندهم فيناظرهم على الأموال إلى أن انفضّ عنهم أصحابه وسار هو ومفلح على طريق خراسان ، ورجع بابكيال وجماعة من القوّاد إلى المهتدي فقتل بابكيال ثم أنف الأتراك من مساواة الفراغنة والمغاربة لهم وأرادوا طردهم فأبى المهتدي ذلك ، فخرج الأتراك عن الدار بأجمعهم طالبين ثأر بابكيال فركب المهتدي على التعبية في ستة آلاف من الفراغنة والمغاربة ونحو ألف من الأتراك أصحاب صالح بن وصيف ، واجتمع الأتراك للحرب في عشرة آلاف فانهزم المهتدي وكان ما ذكرناه من شأنه . ثم أحضر أبو العبّاس أحمد بن المتوكل وكان محبوساً بالجوسق فبايعه الناس . وكتب الأتراك إلى موسى بن بغا وهو غائب فحضر وكملت البيعة لأحمد بن المتوكل ولقب المعتمد على الله ، واستوزر عبيد الله بن خاقان فأصبح المهتدي ثاني يوم البيعة ميتاً منتصف رجب من سنة ست وخمسين على رأس سنة من ولايته . ولم يزل ابن خاقان في وزارته إلى أن هلك سنة ثلاث وستين من سقطةٍ بالميدان سال فيها دماغه من منخريه ، فاستوزر محمد بن مخلد ، ثم سخط عليه موسى بن بغا واختلفا فاستوزر مكانه سليمان بن وهب ، ثم عزله وحبسه وولّى

الحسن ابن مخلد وغضب الموفّق لحبسه ابن وهب وعسكر بالجانب الغربي وتردّدت الرسل بينهما فاتفقا وأطلقه وذلك سنة أربع وستين .

* (ظهور العلوية بمصر والكوفة) *

وفي سنة ست وخمسين ظهر بمصر ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبدالله بن محمد بن الحنفية ويعرف بالصومي يدعو إلى الرضا من آل محمد وملك أشياء من بلاد الصعيد . وجاءه عسكر أحمد بن طولون من مِصْر فهزمهم وقتل قائدهم ، فجاء جيش آخر فانهزم أمامهم إلى أبو خات وجمع هنالك جموعاً وسار إلى الأشمومين[1] فلقيه هنالك أبو عبد الرحمن العمري وهو عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر كان قد أخذ نفسه بحرب البجاة وغزوا بلادهم لما كان منهم في غزو بلاد المسلمين ، فاشتدّ أمره في تلك الناحية وكثر اتباعه ، وبعث إليه ابن طولون عسكراً فقال لقائده أنا ألبث هناك لدفع الأذى عن بلاد المسلمين ، فشاور أحمد بن طولون فأبى القائد إلا من أجزته[2] فهزمه العمريّ . ولما سمع ابن طولون خبره أنكر عليهم أن لا يكونوا بذكره ، فبقي على حاله من الغارة على البجاة حتى أدوا الجزية . فلما جاء الصولي من الأشمونين لقيه العمري فهزمه ، وعاد العمري إلى أسوان واشتدّ عيثه ، فبعث إليه ابن طولون العساكر فهرب إلى عيذاب وأجاز البحر إلى مكة وافترق أصحابه ، وقبض عليه والي مكة وبعث به إلى ابن طولون فحبسه مدّة ثم أطلقه ، فرجع إلى المدينة ومات بها .

وفي هذه السنة ظهر عليّ بن زيد ، وجاءه الشاه بن ميكال من قبل المعتمد في جيش كثيف فهزمه وأثخن في أصحابه . فسرّح المعتمد إلى حربه كيجور التركي فخرج عليّ عن الكوفة إلى القادسية وملك كيجور الكوفة أوّل شوّال ، وأقام عليّ بن زيد ببلاد بني أسد . ثم غزا كيجور آخر ذي الحجة فأوقع به وقتل وأسر من أصحابه ورجع إلى الكوفة ، ثم إلى سرّ من رأى ، وبقي عليّ هنالك إلى أن بعث المعتمد سنة تسع[3]

(١) الاشمونين : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٦٣ .

(٢) المعنى غير واضح وفي الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ٢٦٤ : « فاكتب الى الأمير أحمد عرّفه كيف حالي ، فان أمرك بالانصراف فانصرف ، وإلا فان أمرك بغير ذلك كنت معذوراً . فلم يجبه الى ذلك ، وقاتله فانهزم جيش ابن طولون » .

(٣) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ٢٤٠ : « فوجه اليه الخليفة نفراً من القوّاد ، فقتلوه بعكبُرا في ربيع الاول سنة سبع وخمسين ومائتين » .

عسكراً فقتلوه بعكبر وانقطع أمره وقيل سار إلى صاحب الزنج فقتله سنه ستين وفي هذه السنة غلب الحسين بن زيد الطالبي على الريّ وسار موسى بن بغا إليه .

* (بقية أخبار الزنج) *

قد تقدّم لنا أنّ المعتمد بعث سعيد بن صالح الحاجب لحربهم فأوقع بهم ، ثم عاودوه فأوقعوا به وقتلوا من أصاحبه وأحرقوا عسكره ، ورجع إلى سامرّا فعقد المعتمد على حربهم لجعفر بن منصور الخيّاط فقطع عنهم ميرة السفن . ثم سار إليهم في البحر فهزموه إلى البحرين ، ثم بعث الخبيث عليّ بن أبان من قوّاده إلى اربل [1] لقطع قنطرتها ، فلقي ابراهيمَ بن سيما منصرفاً من فارس ، فأوقع بهم ابراهيم وخرج عليّ بن أبان وسار إبراهيم إلى نهر جيّ وأمر كاتبه شاهين بن بسطام باتباعه وجاء الخبر إلى علي ابن أبان باقبال شاهين فسار ولقيه وهزمه أشدّ من الأوّل ، وانصرف إلى جيّ . وكان منصور بن جعفر الخيّاط منذ انهزم في البحر ، لم يعد لقتال الزنج واقتصر على حفر الخنادق وإصلاح السفن ، فزحف عليّ بن أبان لحصاره بالبصرة ، وضيّق على أهل البلد وأشرف على دخولها ، وبعث لاحتشاد العرب.. فوافاه منهم خلق فدفعهم لقتال أهل البصرة وفرّقهم على نواحيها فقاتلهم كذلك يومين ، ثم افتتحها عليّ بن أبان منتصف شوّال وأفحش في القتل والتخريب ، ورجع ثم عاودهم ثانية وثالثة حتى طلبوا الأمان فأمّنهم وأحضرهم في بعض دور الامارة فقتلهم أجمعين ، وحرق عليّ ابن أبان الجامع ومواضع من البصرة واتسع الحريق من الجبل إلى الجبل وعمّ النهب وأقام كذلك أياماً ، ثم نادى بالأمان فلم يظهر أحد وانتهى الخبر إلى الخبيث فصرف عليّ بن أبان وولىّ عليها يحيى بن محمد البحراني .

* (مسير المولد لحربهم) *

لما دخل الزنج البصرة وخرّبوها ، أمر المعتمد محمداً المعروف بالمولد بالمسير إلى البصرة ، وسار إلى الأُبلَّة ، ثم نزل البصرة واجتمع إليه أهلها ، وأخرج الزنج عنها إلى نهر معقل ، ثم بعث الخبيث قائده يحيى بن محمد لحرب المولد فقاتله عشرة أيام

(١) قنطرة أربُك : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٤٣ .

ووطن المولد نفسه على المقام ، وبعث الخبيث إلى يحيى بن محمد أبا الليث الأصبهاني مدداً وأمرهم بتبييت المولد ، فبيتوه وقاتلوه تلك الليلة والغد إلى المساء ، ثم هزموه وغنم الزنج عسكره واتبعه البحراني إلى الجامدة وأوقع بأهلها ، ونهب تلك القرى أجمع وعاث فيها ورجع إلى نهر معقل .

* (مقتل منصور الخياط) *

كان الزنج لما فرغوا من البصرة سار عليّ بن أبان إلى جيّ وعلى الأهواز يومئذ منصور ابن جعفر الخياط قد ولاّه عليها المعتمد بعد مواقعته الزنج بالبحرين ، فسار إلى الأهواز ونزل جيّ وسار عليّ بن أبان قائد الزنج لحربه . وجاء أبو الليث الأصبهاني في البحر مدداً له وتقدّم إلى منصور من غير أمر عليّ فظفر منصور وقتل الكثير ممن معه وأفلت منهزماً إلى الخبيث . ثم تواقع عليّ بن أبان مع منصور فهزمه واتبعه الزنج فحمل عليهم وألقى نفسه في النهر ليعبر إليهم فغرق ، وقيل تقدّم إليه بعض الزنج لما رآه فقتله في الماء. ثم قتل أخوه خلف وغيره من العسكر وولّى يارجوج على عمل منصور اصطيخور[1] من قوّاد الأتراك .

* (مسير الموفق لحرب الزنج) *

كان أبو أحمد الموفّق وهو أخو المعتمد بمكة ، وكان المعتمد قد استقدمه عندما اشتدّ أمر الزنج وعقد له على الكوفة والحرمين وطريق مكة واليمن ، ثم عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز ، وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح . ولما انهزم سعيد بن سعيد بن صالح عقد يارجوج لمنصور بن جعفر مكانه على البصرة وكور دجلة والأهواز ثم قتله كما قلناه فعقد المعتمد لأخيه أبي أحمد الموفّق على مِصْر وقِنَّسْرين والعواصم وخلع على مفلح ، وذلك في ربيع سنة ثمان وخمسين وسيّرهما لحرب الزنج فساروا في عدّة كاملة . وخرج المعتمد يشيع أخاه وكان عليّ بن أبان بجيّ ويحيى بن محمد البحراني بنهر العبّاس والخبيث في قلّة من الناس ، وأصحابه متردّدون إلى البصرة لنقل ما نهبوه . فلما نزل الموفق نهر معقل أجفل الزنج إلى صاحبهم مرتاعين ، فأمر عليّ بن أبان بالمسير إليهم ولقي مفلحاً في مقدمة الموفق فاقتتلوا وبينما هم يقتتلون اذ أصاب مفلحاً

(١) اصعجور : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٥٤ .

سهم غرب فقتل ، وانهزم أصحابه وأسر الكثيرمنهم . ثم رحل الموفق نحو الأبُلَّة ليجمع العساكر ونزل نهر أبي الأسد ووقع الموتان في عسكره ، فرجع إلى بادرود ، وأقام لتجهيز الآلة وإزاحة العلل وإصلاح السفن ، ثم عاد إلى عسكر الخبيث فالتقوا واشتدّ الحرب بينهم على نهر أبي الخصيب وقتل جماعة من الزنج ، واستنقذ كثير من النساء المسبيّات ورجع إلى عسكره ببادرود فوقع الحريق في عسكره ، ورحل إلى واسط وافترق أصحابه فرجع إلى سامرّا واستخلف على واسط .

* (مقتل البحراني قائد الزنج) *

كان اصطيخور لما ولي الأهواز بعد منصور الخياط بلغه مسيريحيى بن محمد قائد الزنج إلى نهر العباس عند مسير الموفّق إليهم ، فخرج إليه اصطيخور فقاتله وعبر يحيى النهر وغنم سفن الميرة التي كانت عند اصطيخور ، وبعث طلائعه إلى دجلة فلقوا جيش الموفّق فرجعوا هاربين ، وطلائع الموفّق في اتباعهم وعبروا النهر منهزمين . وبقي يحيى فقاتل وانهزم ودخل في بعض السفن جريحاً وغنم[1] طلائع الموفّق غنائمهم والسفن وأحرقوا بعضها وعبروا الماخوره على يحيى فأنزلوه من سفنهم خشية على أنفسهم ، فسعى به طبيب كان يداوي جراحه وقبض عليه وحمل إلى سامرّا وقُطِّع ثم قتِل . ثم أنفذ الخبيث عليّ بن أبان وسليمان بن موسى الشعراني من قوّاده إلى الأهواز ، وضم إليهما الجيش الذي كان مع يحيى ومحمد البحراني وذلك سنة تسع وخمسين فلقيهما اصطيخور بدَسْتميسان[2] وانهزم أمامهما وغرق ، وهلك من أصحابه خلق وأسر الحسن بن هزيمة والحسن بن جعفر وغيرهما وحبسوا ودخل الزنج الأهواز فأقاموا يفسدون في نواحيها ويغنمون إلى أن قدم موسى بن بغا .

* (مسير ابن بغا لحرب الزنج) *

ولما ملك الزنج الأهواز سنة تسع وخمسين سرّح المعتمد لحربهم موسى بن بغا وعقد له على الأعمال ، فبعث إلى الأهواز عبد الرحمن بن مفلح وإلى البصرة اسحق بن كِنْدَاجق وإلى بادرود[3] ابراهيم بن سيما وأمرهم بمحاربة الزنج . فسار عبد الرحمن إلى

---

(١) الصحيح وغنمت طلائع الموفق .

(٢) دشت ميسان : ابن الاثيرج ٧ ص ٢٥٩ .

(٣) باذاورد : ابن الاثيرج ٧ ص ٢٦٠ .

عليّ بن أبان فهزمه أوّلا ثم كانت لعبد الرحمن الكرّة ثانياً فأثخن فيهم ، ورجعوا إلى الخبيث وجاء عبد الرحمن إلى حصن نهدي[1] فعسكر به وزحف إليه عليّ بن أبان فامتنع عليه ، فسار إلى ابراهيم بن سيما ببادرود فواقعه فانهزم أوّلا إبراهيم ، ثم كانت له الكرّة ثانياً . وسار ابن أبان في الغياض فاضرموها عليهم ناراً ففرّوا هاربين وأسر منهم جماعة وسار عبد الرحمن إلى عليّ بن أبان وجاءه المدد من الخبيث في البحر ، فبينما عبد الرحمن في حربه إذ بعث عليّ جماعة من خلفه وشعر بهم ، فرجع القهقرى ولم يصب منهم شيء إلا بعض السفن البحريّة . ثم راجع حرب عليّ بن أبان وفي مقدّمته طاشتمر فأوقعوا بعليّ بنّ أبان ولحق بالخبيث صاحب الزنج ، وأقام عبد الرحمن بن مفلح وابراهيم يتناوبان حرب الخبيث ويوقعان به ، واسحق بن كِنْدَاجِق بالبصرة يقطع عنه المدد ، وهو يبعث لكل منهما طائفة يقاتلونهم ، وأقاموا على ذلك سبعة عشر شهراً إلى أن صرف موسى بن بغا عن حربهم ووليها مسرورٌ البلخي كما نذكر .

* (استيلاء الصفّار على فارس وطبرستان) *

قد تقدّم استيلاء يعقوب بن الليث الصفّار على فارس أيام المعتز من يد عليّ بن الحسين بن مقبل . ثم عادت فارس إلى الخلفاء ، ووليَها الحرث بن سيما ، وكان بها من رجال العراق محمد بن واصل بن ابراهيم التميمي فاتفق مع أحمد بن الليث من الأكراد الذين بنواحيها ووثبوا بالحرث بن سيما فقتلوه ، واستولى ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين ، وقام بدعوة المعتمد وبعث عليها المعتمد الحسن بن الفيّاض ، فسار إليه يعقوب بن الليث سنة سبع وخمسين ، وبلغ ذلك المعتمد فكتب إليه بالنكير ، وبعث إليه الموفّق بولاية بَلْخ وطخارستان فملكها وقبض على رَتْبيل ، وبعث إلى المعتمد برسله وهداياه . ثم رجع إلى بسْت ، واعتزم على العود إلى سِجِسْتَان فعجّل بعض قوّاده الرحيل قبله ، فغضب وأقام سنة ثم رجع إلى سجستان .

---

(١) حصن مهدي : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٦٠ .

* (استيلاء الصفار على خراسان وانقراض أمر بني طاهر منها ثم استيلاؤه على طبرستان) *

ثم جاء الى هَرَاة وحاصر مدينة نيسابور حتى ملكها ثم سار إلى بُوشَنْج وقبض على الحسين بن علي بن طاهر بن الحسين ، وبعث إليه محمد بن طاهر بن عبدالله شافعاً فيه فأبى من إطلاقه ، ثم ولّى على هَرَاة وبَوشَنْج وبَاذْغِيس ورجع إلى سِجِسْتَان وكان بها عبدالله السخريّ[1] ينازعه . فلما قوي عليه يعقوب فر منه إلى خراسان وحاصر محمد بن طاهر في نيسابور ، ورجع إليه الفقهاء فأصلحوا بينه وبين محمد ، وولّاه الطبسيْن وقُهِسْتَان ، وأرسل يعقوب في طلبه فأجاره محمد فسار يعقوب إليه بنيسابور فلم يطق لقاءه ، ونزل يعقوب بظاهرها ، فبعث محمد بعمومته وأهل بيته فتلقوه . ثم خرج إليه فوبخّه على التفريط في عمله وقبض عليه وعلى أهل بيته ، ودخل نيسابور واستعمل عليها ، وأرسل إلى الخليفة بأن أهل خراسان استدعوه لتفريط ابن طاهر في أمره . وغلبه العلوي على طبرستان فبعث إليه المعتمد بالنكير والاقتصار على ما بيده والا سلك به سبيل المخالفين وذلك سنة تسع وخمسين . وقيل في ملكه نيسابور غير ذلك وهو أن محمد بن طاهر أصاب دولته العجز والإدبار ، فكاتب بعض قرابته يعقوب بن الصفّار واستدعوه ، فكتب يعقوب إلى محمد بن طاهر بمجيئه إلى ناحية موريا بقصد الحسن ابن زيد في طبرستان ، وأن المعتمد أمره بذلك ، وأنه لا يعرض شيئاً من أعمال خراسان . وبعث بعض قوّاده عيناً عليه يمنعه من البراح عن نيسابور ، وجاء بعده وقدّم أخاه عمرا إلى محمد بن طاهر فقبض عليه وعنّفه على الأعمال والعجز ، وقبض على جميع أهل بيته نحو من مائة وستين رجلاً ، وحملهم جميعاً إلى سِجِسْتَان واستولى على خراسان ، ووثب نوّابه في سائر أعمالها وذلك لإحدى عشرة سنة وشهرين من ولاية محمد. ولما قبض يعقوب على ابن طاهر واستولى على خراسان هرب منازعه عبدالله السخريّ إلى الحسن بن زيد صاحب طبرستان فبعث إليه فيه فأجاره ، وسار إلى يعقوب سنة ستين وحاربه فانهزم الحسن إلى أرض الدَيْلَم ، وملك يعقوب سارية وآمل ومضى في اثر الحسين من عسكره نحو من أربعين ألفاً من الرجل والظهر ونجا بعد مشقة شديدة ، وكتب إلى المعتمد بذلك وكان عبدالله السخري قد هرب بعد هزيمة الحسن

(١) وفي نسخة اخرى : عبدالله السجزي . وكذلك ابن الاثير ج ٧ ص ٢٦٨ .

العلوي إلى الريّ ، فسار يعقوب في طلبه ، وكتب إلى عامل الريّ يؤذنه بالحرب إن لم يدفعه إليه ، فبعث به إليه وقتله ورجع إلى سجستان .

* (استيلاء الحسن بن زيد على جرجان) *

ولما هرب الحسن بن زيد أمام مفلح من طبرستان ، ورجع مفلح اعتزم الحسن على الرجوع إلى جرجان ، فبعث محمد بن طاهر إليها العساكر لحفظها فلم يغنوا عنها ، وجـاء الحسن فملكهـا وضعف أمر ابـن طـاهر في خراسان ، وانتقض عليـه كثير من أعمالها وظهر المتغلّبون في نواحيها وعاث السراة من الخوارج في أعمالها ولم يقدر على دفعهم ، وآل ذلك إلى تغلّب الصفّار على ابن طاهر وانتزاع خراسان من يده كما ذكرنا[1] .

* (فتنة الموصل) *

كان المعتمد قد ولّى على الموصل أساتكين من قوّاد الأتراك فبعث عليها هو ابنه اذكرتكين[2] وسار إليها في جمادى سنة تسع وخمسين ، فأساء السيرة وأظهر المنكر وعسف بالناس في طلب الخوارج ، وتعرّض بعض الأيام رجل من حاشيته إلى إمرأة في الطريق وتخلّصها من يده بعض الصالحين ، فأحضره أذكرتكين وضربه ضرباً شديداً ، فاجتمع وجوه البلد وتآمروا في رفع أمرهم إلى المعتمد ، فركب إليهم ليوقع بهم فقاتلوه وأخرجوه واجتمعوا على يحيى بن سليمان ، وولّوه أمرهم ، ولما كانت سنة إحدى وستين ولّى أساكين عليها الهَيْثَم بن عبدالله بن العمد الثعلبي العدوى[3] وأمره أن يزحف لحربهم ففعل ، وقاتلوه أياماً وكثرت القتلى بينهم ، ورجع عنهم الهيثم وولّى أساكين مكانه اسحق بن أيوب الثعلبي[4] جدّ بني حمدان وغيره ،

(١) بياض بالأصل وفي الطبري ج ١١ ص ٢٦٠ : «وذكر أنه — أي يعقوب الليث — كتب الى السلطان كتاباً يذكر فيه مسيره الى الحسن بن زيد ، وأنه سار من جرجان الى طحيس فافتتحها ثم سار الى سارية ، وقد اخرب الحسن بن زيد القناطر ورفع المعابر وعور الطريق ، وعسكر الحسن بن زيد على باب سارية متحصناً بأودية عظام ، وقد مالأه خرشاد بن جيلا وصاحب الديلم فزحف باقتدار فيمن جمع اليه من الطبرية والديالمة والخراسانية والقمية والجبلية والشامية والجزرية فهزمته وقتلت عدة لم يبلغها بعهدي عدة ، وأسرت سبعين من الطالبيين وذلك في رجب وسار الحسن بن زيد الى الشرر ومعه الديلم» .

(٢) اذكوتكين : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٦٩ .

(٣) الهيثم بن عبدالله بن المعمر التغلبي ثم العدوي : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٧٠ .

(٤) التغلبي : المرجع السابق .

وحاصرها مدّة ومرض يحيى بن سليمان الأمير وفي أثنائها . فطمع اسحق في البلد وجدّ في الحصار ، واقتحمها من بعض الجهات فأخرجوه ، وحملو يحيى بن سليمان في قبّة وألقوه أمام الصفّ ، واشتدّ القتال ولم يزل إسحق يراسلهم ويعدهم حسن السيرة إلى أن أجابوه على أن يقيم بالرَبْض فأقام اسبوعاً ، ثم حدثت ممن بايعه بعض الفعلات فوثبوا به وأخرجوه ، واستقرّ يحيى بن سليمان بالموصل .

* (حروب ابن واصل بفارس) *

قد تقدّم لنا وثوب محمد بن واصل بن ابراهيم التميمي بالحرث بن سيما عامل فارس وتغلبه عليها سنة ست وخمسين ، فلما بلغ ذلك إلى المعتمد أضاف فارس إلى عبد الرحمن بن مفلح وبعثه إلى الأهواز وأمدّه بطاشتمر ، وزحفوا من الأهواز إلى ابن واصل سنة إحدى وستين ، فسار معهم من فارس ومعه أبو داود العلوس[1] ولقيهم بِـرَامَ هُرْمُزَ فهزمهم وقتل طاشتمر وأسر ابن مفلح وغنم عسكرهم . وبعث إليه المعتمد في إطلاق ابن مفلح فقتله خفية ، وسار لحرب موسى بن بغا بواسط ، وانتهى إلى الأهواز وبها ابراهيم بن سيما في جموع كثيرة . ولما رأى موسى بن بغا اضطراب هذه الناحية استعفى المعتمد من ولايتها فأعفاه ، وكان عند انصراف ابن مفلح عن الأهواز إلى فارس قد ولىّ مكانه بالساج وأمره بمحاربة الزنج ، فبعث صهره عبد الرحمن لذلك ، فلقيه عليّ بن أبان قائد الزنج ، فهزمه عليّ وقتله ، وانحاز أبو الساج الى عسكر مَكُـرَم ، وملك الزنج الأهواز فعاثوا فيها . ثم عزل أبو الساج عن ذلك وولىّ مكانه إبراهيم بن سيما فلم يزل بها حتى انصرف موسى بن بغا عن الأعمال كلها ، ولما هزم ابراهيم بن سيما بن واصل عبد الرحمن بن مفلح وقتله طمع يعقوب الصفّار في ملك فارس ، فسار من سِجِسْتَان مجدّاً ، ورجع ابن واصل من الأهواز وترك محاربة ابن سيما ، وأرسل خاله أبا بلال مِرْدَاس إلى الصفّار ، وراجعه بالكتب والرسل يحبس ابن واصل رسله ، ورحل بعد السير ليفجأه[2] على بغتة ، وشعر به الصفّار فقال لخاله مِرْدَاس : إنّ صاحبك قد غدر بنا ! وسار إليهم وقد أعيوا وتعبوا من شدّة السير ومات أكثرهم عطشاً . فلما تراءى الجمعان انهزم ابن واصل دون قتال ، وغنم الصفّار ما في عسكره وما كان لابن مفلح ، واستولى على بلاد فارس ورتّب بها العمّال وأوقع بأهل زَمّ لأعانتهم ابن واصل ، وطمع في الاستيلاء على الأهواز وغيرها .

---

(١) ابو داود الصعلوك : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٧٥ .
(٢) لعلها ليفاجئه .

* (مبدأ دولة بني سامان وراء النهر) *

كان جدّهم أسد بن سامان من أهل خراسان وبيوتها وينتسبون في الفرس تارة وإلى سامة بن لُؤيْ بن غالب أخرى ، وكان لأسد أربعة من الوُلْدِ : نوح وأحمد ويحيى وإلياس . وتقدّموا عند المأمون أيام ولايته خراسان واستعملهم ، ولما انصرف المأمون إلى العراق ولىّ على خراسان غسّان بن عبّاد من قرابة الفَضْل بن سَهْل ، فولىّ نوحاً منهم على سِمرْقَنْد وأحمد على فَرْغَانَة ويحيى على الشاش وأشْرُوسنّة وإلياس على هَرَاة . فلما ولي طاهر بن الحسين بعده أقرّهم على أعمالهم ثم مات نوح بن أسد فأقر إخوته يحيى وأحمد على عمله ، وكان حسن السيرة ومات إلياس بهراة ، فولىّ عبدالله ابن طاهر مكانه ابنه أبا إسحق محمد بن إلياس ، وكان لأحمد بن أسد من البنين سبعة : نصر ويعقوب ويحيى واسمعيل واسحق وأسد وكنيته أبو الأشعث وحميد وكنيته أبو غانم . فلما توفي أحمد استخلف ابنه نصراً على أعماله بسَمَرْقَنْد وما إليها ، وأقام إلى انقراض أيام بني طاهر وبعدهم ، وكان يلي أعماله من قبل ولاة خراسان إلى حين انقراض أيام بني ظاهر . واستولى الصفّار على خراسان فعقد المعتمد لنصر هذا على أعماله من قبله سنة إحدى وستين ، ولما ملك يعقوب الصفّار خراسان كما قلنا بعث نصر جيوشه إلى شطّ جَيْحون مَسْلَحَةً من الصفّار ، فقتلوا مقدّمهم ورجعوا إلى بُخَارَى ، وخشيهم واليها على نفسه ففرّ عنها ، فولّوا عليهم ثم عزلوا ثم ولّوا ثم عزلوا ، فبعث نصر أخاه إسمعيل لضبط بخارى . ثم وَلِيَ خراسان بعد ذلك رافع بن هَرْثَمَة بدعوة بني طاهر ، وغلب الصفّار عليها ، وحصلت بينه وبين إسمعيل صاحب بخارى موالاة اتفقا فيها على التعاون والتعاضد ، وطلب منه إسمعيل أعمال خوارزم ، فولاّه إيّاها ، وفسد ما بين إسمعيل وأخيه نصر ، وزحف نصر إليه سنة إثنتين وسبعين ، واستجاش إسمعيل برافع بن هَرْثَمَة فسار إليه بنفسه مدداً ، ووصل إلى بخارى ، ثم أوقع الصلح بينه وبين أخيه خوفاً على نفسه ، وانصرف رافع ثم انتقض ما بينهما وتحاربا سنة خمس وسبعين ، وظفر إسمعيل بنصر . ولما حضر عنده ترجّل له إسمعيل وقبّل يده وردّه إلى كرسي إمارته بسَمَرْقَنْد ، وأقام نائباً عنه ببخارى ، وكان إسمعيل خيراً مُكرِمَاً لأهل العلم والدين .

* (مسير الموفق إلى البصرة لحرب الزنج وولاية العهد) *

ولما استعفى موسى بن بغا من ولاية الناحية الشرقيّة عزم المعتمد على تجهيز أخيه أبي أحمد الموفق ، فجلس في دار العامّة وأحضر الناس على طبقاتهم ، وذلك في شوّال من سنة إحدى وستين وعقد لابنه جعفر العهد من بعده ، ولقّبه المفوّض إلى الله . وضمّ إليه موسى بن بغا وولّاه أفريقية ومِصْر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وطريق خراسان ونهر تصدق ، وعقد لأخيه أبي أحمد العهد بعده ولقّبه الناصر لدين الله الموفّق ، وولّاه المشرق وبغداد وسواد الكوفة وطريق مكّة واليمن وكَسْكَر وكور دجلة والأهواز وفارس وأصبهان والكرخ والدينور والريّ وزَنْجان والسند . وعقد لكل واحد منهما لواءين أبيض وأسود ، وشرط أنه إن مات وجعفر لم يبلغ بتقدّم الموفق عليه . ويكون هو بعده وأخذت البيعة بذلك على الناس ، وعقد جعفر لموسى بن بغا على أعمال العرب ، واستوزر صاعد بن مُخلِد ، ثم نكبه سنة إثنتين وسبعين ، واستصفاه واستكتب مكانه الصُفر إسمعيل بن بابل ، وأمر المعتمد أخاه الموفق بالمسير لحرب الزنج ، فبعثه في مقدّمته واعتزم على المسير بعده .

* (وقعة الصفار والموفق) *

لما كان يعقوب الصفّار ملك فارس من يد واصل وخراسان من يد ابن طاهر وقُبِضَ عليه صرّح المعتمد بأنه لم يولّه ولا فعل ما فعل باذنه . وبعث ذلك مع حاج خراسان وطبرستان . ثم سار إلى الأهواز يريد لقاء المعتمد ، وذلك سنة إثنتين وسبعين فأرسل إليه المعتمد إسمعيل بن إسحق وفهواج[1] من قوّاد الأتراك ليردّوه على ذلك وبعث معهما من كان في حبسه من أصحابه الذين حبسوا عندما قبض على محمد بن طاهر . وعاد إسمعيل من عند الصفّار بعزمه على الموصل ، فتأخر الموفق لذلك عن المسير لحرب الزنج . ووصل مع اسمعيل من عند الصفّار حاجبه دِرْهَم يطلب ولاية طبرستان وخراسان وجرجان والريّ وفارس ، والشرطة ببغداد . فولاه المعتمد ذلك كله مضافاً إلى ما بيده من سِجِسْتَان وكَرْمَان ، وأعاد حاجبه إليه بذلك ومعه عمر بن سيما فكتب يقول : لا بدّ من الحضور بباب المعتمد . وارتحل من عسكر مكرم حاما وسار إليه أبو

---

(١) بُفراج : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٩٠ .

الساج من الأهواز لدخوله تحت ولايته ، فأكرمه ووصله وسار إلى بغداد . ونهض المعتمد من بغداد فعسكر بالزَعْفَرَانِيّة وأخاه مسرور البلخي ، فقاتله منتصف رجب وانهزمت ميسرة الموفّق ، وقتل فيها ابراهيم بن سيما وغيره من القوّاد . ثم تراجعوا واشتدّت الحرب وجاء إلى الموفق محمد بن أوْس والداراني مدداً من المعتمد ، وفشَل أصحاب الصفّار لمّا رأوا مَدَدَ الخليفة فانهزموا ، وخرج الصفّار وأتبعهم أصحاب الموفق وغنموا من عسكره نحواً من عشرة آلاف من الظهر ، ومن الأموال ما يؤد حمله . وكان محمد بن طاهر معتقلاً معه في العسكر منذ قبض عليه بخراسان ، فتخلّص ذلك اليوم وجاء إلى الموفّق وخلع عليه وولاّه الشرطة ببغداد ، وسار الصفّار إلى خوزستان فنزل جُنْدَيْسَابور ، وأرسله صاحب الزنج يحثّه على الرجوع ويعده المساعدة ، فكتب إليه : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون (السورة) . وكان ابن واصل قد خالف الصفّار إلى فارس وملكها ، فكتب إليه المعتمد بولايتها ، وبعث الصفّار إليه جيشاً مع عمر بن السري من قوّاده ، فأخرجه عنها وولّى على الأهواز محمد بن عبدالله بن طاهر . ثم رجع المعتمد إلى سامرّا والموفّق إلى واسط واعتزم الموفّق على اتباع الصفّار ، فقعد به المرض عن ذلك ، وعاد إلى بغداد ومعه مسرور البَلْخِيّ سار بعد موسى وأقطعه ما لأبي الساج من الضياع والمنازل ، وقدم معه محمد بن طاهر فقام بولاية الشرطة ببغداد .

* (سياقة أخبار الزنج) *

قد ذكر أنّ مسروراً البلخي سار بعد موسى بن بغا لحرب الزنج ، ثم سار مسرور للقاء المعتمد وحضر الموفق حرب الصفّار ، وبلغ صاحب الزنج جاؤا تلك النواحي من العساكر ، فبعث سراياه فيها للنهب والحرق والتخريب في بعث سليمان بن جامع إلى البطيحة ، وسليمان بن موسى إلى القادسية . وجاء أبو التركي في السفن يريد عسكر الزنج ، فأخذ عليه سليمان بن موسى وقاتله شهراً حتى تخلّص وانحاز إلى سليمان بن جامع ، وبعث إليهما الخبيث بالمدد ، وكان مسرور قد بعث قبل مسيره من واسط جنداً في البحر إلى سليمان فهزمهم وأوقع بهم وقتل أسراهم ، ونزل بِقَرَّة مروان قريباً من يعقوب متحصّناً بالغياض والأغوار . وزحف إليه قائدان من بغداد وهما أغَرْتَمِش وحشيش في العساكر برّاً وبحراً وأمر سليمان أصحابه بالإختفاء في تلك

الغياض حتى يسمعوا أصوات الطبول . وأقبل أغْرَتَمش ونهض شرذمة من الزنج فواقعوا أصحابه وشاغلوهم ، وسار سليمان من خلفهم وضرب طبوله وعبروا إليهم في الماء ، فانهزم أصحاب أغرتمش وظهر ما كان مختفياً ، وقتل حشيش ، واتبعوهم إلى العسكر وغنموا منه ، وأخذوا من القطع البحرية ، ثم استردّها أغرتمش من أيديهم ، وعاد سليمان ظافراً وبعث برأس حشيش إلى الخبيث صاحبه ، فبعث به إلى علي بن أبان في نواحي الأهواز. وكان مسرور البلخي قد بعث إلى كور الأهواز أحمد بن كيتونة ، فنزل السوس وكان صاحب الأهواز من قِبَل الصفّار يكاتب صاحب الزنج ويداريه ، ويطلب له الولاية عنه ، فشرط عليه أن يكون خليفة لابن أبان ، واجتمعا بتستر. ولما رأى أحمد تظافرهما رجع إلى السوس ، وكان علي بن أبان يروم خطبة محمد له بعمله ، فلما اجتمعا بتستر خطب للمعتضد والصفّار ولم يذكر الخبيث ، فغضب عليّ وسار إلى الأهواز. وجاء أحمد بن كَيْتُونَة إلى تستر، فأوقع بمحمد بن عبدالله وتحصّن منه بتستر. وأقبل علي بن أبان إليه فاقتتلا واشتدّ القتال بينهما ، وانهزم علي بن أبان وقتل جماعة من أصحابه ، ونجا بنفسه جريحاً في الساريات بالنهر ، وعاد إلى الأهواز. وسار منها إلى عسكر الخبيث ، واستخلف على عسكره بالأهواز حتى داوى جراحه ورجع . ثم بعث أخاه الخليل إلى أحمد بن كَيْتُونَة بعسكر مكرم فقاتله ، وقد أكمن لهم فانهزموا ، وقتل من الزنج خلق ورجع المنهزمون إلى علي بن أبان ، وبعث مسلحة إلى السرقان فاعترضهم جيش من أعيان فارس أصحاب أحمد بن كيتونة ، وقتلهم الزنج جميعاً فحظي عنده بذلك وبعث في أثر ابراهيم من قتله في سرخس . ولما أراد الصفّار العود إلى سجستان ولّى على نيسابور عزيز بن السري ، وعلى هَرَاة أخاه عمرو بن الليث ، فاستخلف عمر وعليها طاهر بن حفص الباذغيسي وسار إلى سِجِسْتَان سنة إحدى وستين ، فجاء الخبيث إلى أخيه عليّ وزيّن له أن يقيم نائباً عنه في أموره بخراسان ، وطلب ذلك من أخيه يعقوب فأذن له . ولما ارتحلوا جمع جمعاً وحارب عليًّا فأخرجه من بلده . ثم غلب عزيز بن السري على نيسابور وملكها أوّل إثنتين وستين ، وقام بدعوة بني طاهر. واستقدم رافع بن هَرْثَمَة من رجالاتهم فجعله صاحب جيشه ، وكتب إلى يعمر بن سَرْكَب وهو يحاصر بَلْخ يستقدمه ، فلم يثق إليه ، وسار إلى هراة فملكها من يد طاهر بن حَفْص ، وقتلهُ وزحف إليه أحمد وكانت بينهما مواساة ، ثم داخل بعض قوّاد أحمد الخجستّاني في

الغدر بيعمر على أن يمكنه من أخيه أبي طلحة ، فكلف ذلك القائد به فتمّ ذلك ، وكبسهم أحمد وقبض على يعمر وبعثه إلى نائبه بنيسابور فقتله ، وقتل أبا طلحة القائد الذي غدر بأخيه . وسار إلى نَيْسَابُور في جماعة ، فلقي بها الحسين بن طاهر مردوداً من أصبهان طمعاً أن يدعو له أحمد الخُجِسْتَاني كما كان يزعم حين أورد فلم يخطب ، فخطب له أبو طلحة وأقام معه بنيسابور ، فسار إليهما الخجستاني من هراة في إثني عشر ألفا ، وقدم أخاه العبّاس فخرج إليه أبو طلحة وهزمه ، فرجع أحمد إلى هَرَاة ولم يقف على خبر أخيه ، وانتدب رافع وهرثمة إلى استعلام خبره واستأمن إلى أبي طلحة فأمّنه ووثق إليه ، وبعث رافع إلى أحمد بخبر أخيه العبّاس ، ثم أنفذه طاهر إلى بَيْهَق لجباية مالها ، وضمّ معه قائدين لذلك ، فجبى المال وقبض على القائدين وانتقض . وسار إلى الخُجَسْتَاني ونزل في طريقه بقرية وبها عليّ بن يحي الخارجيّ ، فنزل ناحية عنه ، وركب ابن طاهر في أتباعه فأدركه بتلك القرية ، فأوقع بالخارجيّ يظنّه رافعاً ونجا رافع إلى الخجستاني . وبعث ابن طاهر إسحق الشاربي إلى جرجان لمحاربة الحسن بن زيد والدَيْلَم منتصف ثلاث وستين فأثخن في الديلم ثم انتقض على ابن طاهر ، فسار إليه وكبسه إسحق في طريقه فانهزم إلى نيسابور ، واستضعفه أهلها فأخرجوه ، فأقام على فرسخ منها وجمع جمعاً وحاربهم ، ثم كتب على أهل نيسابور إلى إسحق باستدعائه ومساعدته على ابن طاهر وأبي طلحة ، وكتب إلى أهل نيسابور عن إسحق بالمواعدة . وسار اسحق أبو محمد في قلّة من الجند ، فاعترضه أبو طلحة وقتله وحاصر نيسابور ، فاستقدموا الخجستاني من هَرَاة وأدخلوه . وسار أبو طلحة إلى الحسن بن زيد مستنجداً فأنجده ولم يظفر ، وعاد إلى بَلْخ وحاصرها سنة خمس وستين ، وخرج للخجستاني من نيسابور به ، وحاربه الحسن بن زيد لما عدته أبا طلحة . وجاء أهل جرجان مدداً للحسن ، فهزمهم الخجستاني وأغرمهم أربعة آلاف ألف درهم . ثم جاء عمرو بن الليث إلى هَرَاة بعد وفاة أخيه يعقوب الصفّار وعاد الخجستاني من جرجان إلى نيسابور ، وسار إليه عمرو من هَرَاة فاقتتلا وانهزم عمرو ورجع إلى هَرَاة ،وأقام أحمد بنيسابور. وكانت الفقهاء بنيسابور يميلون إلى عمرو لتولية السلطان إياه ، فأوقع الخجستاني بينهم الفتنة ليشغلهم بها ، ثم سار إلى هَرَاة سنة سبع وستين وحاصر عمرو بن الليث فلم يظفر منه بشيء ، فسار نحو سِجِسْتَان وترك نائبه بنيسابور ، فأساء السيرة وقوي أهل الفساد ، فوثب به أهل نيسابور

واستعانوا بعمرو بن الليث وبعث إليهم جنداً يقبض على نائب الخجستاني وأقاموا بها ، ورجع من سجستان فأخرجهم وملكها ، وأقام إلى تمام سبع وستين . وكاتب عمرو أبا طلحة وهو يحاصر بَلْخ فقدم عليه وأعطاه أموالاً واستخلفه بخراسان . وسار إلى سجستان ، وسار أحمد إلى سَرْخَس ولقيه أبو طلحة فهزمه أحمد ولحق بسجستان ، وأقام أحمد بطَخارِسْتَان . ثم جاء أبو طلحة إلى نيسابور فقبض على أهل الخجستاني وعياله ، وجاء أحمد من طخارستان إلى نيسابور وأقام بها . ثم تبين لابن طاهر أنّ الخجستاني إنما يروم لنفسه وليس على ما يدّعيه من القيام بأمرهم وكان على خوارزم أحمد بن محمد بن طاهر فبعث قائده أبا العبّاس النوفلي إلى نيسابور في خمسة آلاف مقاتل ، وخرج أحمد أمامهم وأقام قريباً منهم وأفحش النَوْفَلِيّ في القتل والضرب والتشويه ، وبعث إليه الخجستاني فنهاه عن مثل ذلك فضرب الرسل . فلحق أهل نيسابور بالخجستاني واستدعوه وجاؤا به وقبض على النَوْفَلِيّ وقتله . ثم بلغه أنّ إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبدالله بن طاهر بمرو ، فسار إليه من أسورد في يوم وليلة وقبض عليه وولّى عليها موسى البَلْخِيّ ، ثم وافاها الحسين بن طاهر فأحسن فيهم السيرة ووصل إليه نحو عشرين ألف درهم ، وكان الخجستاني لما بلغه أخذ والدته من نيسابور وهو بطَخارِسْتَان سار مُجدًّا ، فلما بلغ هراة أتاه غلام لأبي طلحة مستأمناً فأمّنه وقرّبه ، فغص به وغلامه الخالصة عنده والجنود ، وطلب الفرصة في قتل الخجستاني ، وكان قد غور ساقية قطلغ ، فاتفقا على قتله فقتلاه في شوّال سنة ثمان وستين . وأنفذ دامجور خاتمه إلى الإسطبل مع جماعة فركبوا الدواب وساروا بالخبر إلى أبي طلحة ليستقدموه ، وأبطأ ظهوره على القوّاد فدخلوا فوجدوه قتيلاً . وأخبرهم صاحب الإسطبل بخبر الخاتم والدواب ، وطلبوا دامجور فلم يجدوه ، ثم عثروا عليه بعد أيام فقتلوه ، واجتمعوا على رافع بن هَرْثَمَة وكان من خبره ما نذكره .

* (استيلاء الصفّار على الأهواز) *

ثم سار يعقوب الصفّار من فارس إلى الأهواز وأحمد بن كيتونة قائد مسرور البَلْخِيّ على الأهواز مقيم على تستر فرحل عنها ونزل يعقوب جندسابور ، ففرّ كل من كان في تلك النواحي من عساكر السلطان ، وبعث إلى الأهواز من أصحابه الخضر بن

المعير[١] ، فأفرج عنها عليّ بن أبان والزنج ونزلوا السِّدرة ودخل خضر الأهواز ، وأقام أصحاب الخضر وابن أبان يغير بعضهم على بعض . ثم فرّ ابن أبان وسار إلى الأهواز فأوقع بالخضر وفتك في أصحابه وغنم ، ولحق الخضر بعسكر مُكْرَم ، واستخرج ابن أبان ما كان بالأهواز ورجع إلى نهر السِّدرة . وبعث يعقوب إلى الخضر مدداً وأمره بالكفّ عن قتال الزنج والمقام بالأهواز ، فأبى ابن أبان من ذلك إلا أن ينقل طعاماً ما كان هناك فنقله وتوادعوا .

* (استيلاء الزنج على واسط) *

قد تقدّم لنا واقعة أغرتمش مع سليمان بن جامع ، وظفر سليمان به فلما انقضى أمره سار سليمان إلى صاحب الخبيث ومرّ في طريقه بعسكر تكين البُـخَارِيّ وهو ببردود[٢] ، فلما حاذاه قريباً أشار عليه الجناني[٣] أن يغير على العسكر في البحر ويستطرد لهم لينتهزوا منهم الفرصة. ففعل وجاء مستطردا وقد أكمنوا لهم الكمناء حتى أجازوا موضع الكمائن . وركب سليمان إليهم وعطف الجناني على من في النهر وخرجت الكمائن من خلفهم فأثخنوا فيهم الى معسكرهم ، ثم بيّتوهم ليلاً فنالوا منهم ، وانكشف سليمان قليلاً ، ثم عبر أصحابه وأتاهم من وجوه عديدة برّاً وبحراً ، فانهزم تكين وغنم الزنج عسكره . ثم استخلف سليمان على عسكره الجناني وسار إلى صاحب الخبيث سنة ثلاث وستين . ومضى الجناني بالعسكر لطلب الميرة فاعترضه جَعْلان من قوّاد السلطان وهزمه وأخذ سيفه[٤] . ثم زحف منجور ومحمد بن علي بن حبيب من القوّاد وبلغ الحجّاجيّة فرجع سليمان مُـجِدًّا إلى طهثا يريد جَعلان وفي مقدمته الجنانيّ . ثم كرّ إلى ابن خبيث فهزمه وقتل أخاه وغنم ما معه . ثم سار في شعبانَ إلى قرية حسّان فأوقع بالقائد هناك جيش ابن خمار تكين وهزمه ونهب القرية وأحرقها . ثم بعث العساكر في الجهات للنهب برًّا وبحراً ، واعترض جَعلان بعضهم فأوقع بهم ، ثم سار سليمان إلى الرّصافة فأوقع بالقائد بها واستباحها وغنم ما فيها ورجع إلى منزله بمدينة الخبيث ، وجاء مطر إلى الحجّاجيّة فعاث فيها وأسر جماعة منها كان منهم القاضي سليمان ، فحمله إلى

(١) الخضر بن العنبر : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٠٨ .
(٢) بيزود : ابن الاثير ج ٧ ص ٣١٣ .
(٣) الحياتي : المرجع السابق .
(٤) سفنه : ابن الاثير ج ٧ ص ٣١٤ .

واسِط[1] . ثم سار إلى طهثا وكتب الجناني بذلك إلى سليمان فوافاه لإثنتين من ذي الحجّة ، وجاء أحمد بن كيتونة بعد أن كان سار إلى الكوفة وجبيل[2] ، فعاد إلى البريدية[3] وصرف جَعلان وضبط تلك الأعمال ، وأوقع تكين بسليمان وقتل جماعة من قوّاده . ثم ولّى الموفّق على مدينة واسِط محمد بن الوليد وجاءه في العساكر واستمّد سليمان صاحبه بالخليل بن أبان في الألف وخمسمائة مقاتل ، فزحف إلى ابن المولّد وهزمه واقتحم واسط بها منكجور البخاري فقاتله عامة يومه ، ثم قتل ونهب البلد وأحرقها وانصرف سليمان إلى جبيل واستدعوه في نواحيها تسعين ليلة .

* (استيلاء ابن طولون على الشام) *

كان على دمشق أيام المعتمد ما جور[4] من قوّاد الأتراك ، فتوفي سنة أربع وستين وقام ابنه عليّ مكانه . وتجهّز أحمد بن طولون من مصر إلى دمشق وكتب إلى ابن ماجور بأنّ المعتمد أقطعه الشام والثغور ، فأجاب بالطاعة ، وسار أحمد واستخلف على مِصْرَ إبنه العبّاس ولقيه ابن ماجور بالرملة فولّاه عليها ، وسار إلى دمشق فملكها وأقرّ القوّاد على أقطاعهم . ثم سار إلى حمص فملكها ثم حماة ثم حلب ، وكان على أنطاكية وطرسوس سيما الطويل من قوّاد الأتراك ، فبعث إليه ابن طولون بالطاعة وأن يقرّه على ولايته فامتنع ، فسار إليه ودلّوه على عورة في سور البلد نصب عليها المجانيق ، وقاتله فملكها عنوة وقتل سيما في الحرب ، فسار ثم قصد طرسوس فدخلها واعتزم على المقام بها ويريد الغزو . وشكا أهلها غلاء السعر وسألوه الرحيل فرحل عنهم إلى الشام ، ومضى إلى حرّان وبها محمد بن أتامَش فحاربه وهزمه ، واستولى عليها . ثم جاءه الخبر بانتقاض إبنه العبّاس بمصر وأنه أخذ الأموال وسار إلى برقة فلم يكترث لذلك ، وأصلح أحوال الشام وأنزل بحرّان عسكراً ، وولّى مولاه لؤلؤاً على الرَقّة وأنزل معه عسكراً ، وبلغ موسى بن أتامش خبر أخيه محمد فجمع العساكر وسار نحو

---

(١) « وأسر جماعة وكان بها قاضٍ لسليمان فأسره مطر وحمله الى واسط » المرجع السابق ص ٣١٥ .

(٢) جنبلاء : المرجع السابق .

(٣) الشديدية : المرجع السابق .

(٤) أماجور : ابن الاثير ج ٧ ص ٣١٦ .

جرجان[1] وبها أحمد بن جيفونة[2] من قوّاد ابن طولون فأهمل مسيره وقال له بعض الأعراب واسمه أبو الأعز[3] : لا يهمك أمره فإنه طيّاش قلق وأنا آتيك به ! فقال : إفعل وزاده عشرين رجلاً ، وسار إلى عسكر موسى بن أتامش ، فأكمن بعض أصحابه ودخل العسكر بالباقي على زيّ الأعراب وقصد الخيل المرتبطة عند خيام ابن موسى فأطلقها وصاحوا فيها فنفرت واهتاج العسكر وركبوا واستطرد لهم أبو الأعز حتى جاوز الكمين وموسى في أوائلهم ، فخرج الكمين وانهزم أصحاب موسى من ورائه ، وعطف عليه أبو الأعز فأخذه أسيراً وجاء به إلى ابن جيفونة ، وبعث به الى ابن طولون فاعتقله وعاد إلى مصر وذلك سنة ست وستين .

* (ومن أخبار الزنج) * أنّ سليمان احتفر نهراً يمرّ إلى سواد الكوفة ليتهيأ له الغارة على تلك النواحي وكان أحمد بن كيتونة[4] فكبسهم وهم يعلمون ، وقد جمّروا عساكرهم لذلك فأوقع بهم وقتل منهم نحواً من أربعين قائداً وأحرق سفنهم ، ورجع سليمان مهزوماً إلى طَهْثَا . ثم عدّت عساكر الزنج النُعْمَانِيّة واستباحوها وصار أهلها الى جَرْجَرَايا وأحفل أهل السواد إلى بغداد ، وزحف عليّ بن أبان بعسكر الزنج إلى تُسْتَر فحاصرها وأشرف على أخذها . وكان الموفّق استعمل على كور الأهواز مسروراً البَلْخِيّ فولّى عليها تكين البُخَارِيّ فسار إليها ووافاها أهل تُسْتَر في تلك الحال فأغزى عليّ ابن أبان وهزمه وقتل من الزنج خلقاً ونزل تستر . وبعث ابن أبان جماعة من قوّاد الزنج ليقيموا بقنطرة فارس ، وجاء عين بخبرهم إلى تكين فكبسهم وهزمهم وقتل منهم جماعة . وسار ابن أبان فانهزم أمامه ، وكتب ابن أبان إلى تكين يسأله الموادعة فوادعه بعض الشيء واتهمه مسرور فسار وقبض عليه وحبسه عند عُجلان بن أبان ، وفرّ منه أصحابه وطائفة إلى الزنج وطائفة إلى محمد بن عبدالله الكَرْخِيّ ثم أمّن الباقين فرجعوا إليه .

* (موت يعقوب الصفار وولاية عمر وأخيه) *

وفي سنة خمس وستين أخريات شوّال منها مات يعقوب الصفّار وقد كان افتتح

(١) حسب مقتضى السياق ينبغي ان تكون حرّان ، راجع ابن الاثير ج ٧ ص ٣١٨ .
(٢) احمد بن جيغوَيْه : المرجع السابق .
(٣) ابو الأغر : المرجع السابق .
(٤) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٧ ص ٣٢٢ : «أحمد بن ليثوَيْه ، وهو عامل الموفّق بجنبلاء» .

الرجح[1] وقتل ملكها وأسلم أهلها على يده ، وكانت مملكة واسعة الحدود وافتتح زَابَلَسْتان وهي غزنة ، وكان المعتمد قد استماله وقلّده أعمال فارس ، ولما مات قام أخوه عمرو بن الليث وكتب إلى المعتمد بطاعته ، فولاه الموفّق من قبله ما كان له من الأعمال ، خراسان وأصبهان والسّند وسجستان والشرطة ببغداد وسر من رأى وقبله عبيدالله بن عبدالله بن طاهر ، وخلع الموفّق عمرو بن الليث وولّى على أصبهان من قبله أحمد بن عبد العزيز

* (أخبار الزنج مع أغرتمش) *

قد كان تقدّم لنا إيقاع سليمان بن جامع بأغرتمش وحربه بعد ذلك مع تكين وجعلان ومطر ابن جامع وأحمد بن كيتونة واستيلاؤه على مدينة واسط ، ثم ولي أغرتمش مكان تكين البخاري ما يتولاه من أعمال الأهواز فدخل تُسْتَر في رمضان ومعه مطر بن جامع . وقتل جماعة من أصحاب أبان كانوا مأسورين بها . ثم سار إلى عسكر مُكْرَم . ووافاه هناك عليّ ابن أبان والزنج ، فاقتتلوا ثم تجازوا لكثرة الزنج ، ورجع عليّ إلى الأهواز وسار أغرتمش إلى الخليل بن أبان ليعبروا إليه من قنطرة اربل[2] وجاءه أخوه عليّ وخاف أصحابه المخلّفون بالأهواز ، فارتحلوا إلى نهر السروة[3] وتحارب عليّ وأغرتمش يوماً ثم رجع عليّ إلى الأهواز ولم يجد أصحابه . فبعث من يردّهم إليه فلم يرجعوا . وجاء أغرتمش وقتل مطر بن جامع في عدّة من القوّاد . وجاء المدد لابن أبان من صاحبه الخبيث فوادعه أغرتمش وتركه . ثم بعث محمد بن عبيدالله إلى أبكلاى[4] ابن الخبيث في أن يرفع عنه يد ابن أبان فزاد ذلك في غيظه ، وبعث يطالبه محمد بالخراج ودافعه فسار إليه . وهرب محمد من رَامَـهُرْمُز إلى أقصى معاقله ، ودخل عليّ والزنج رامَهُرْمُز وغنموا ما فيها . ثم صالحه محمد على مائتي ألف درهم ، وترك أعماله . ثم استنجده محمد بن عبيدالله على الأكراد على أن لعليّ غنائمهم ، فاستخلف عليّ على ذلك مُجْلِز وطلب منه الرهن فمطل وبعث إليه الجيش فزحف بهم إلى الأكراد . فلما نشب القتال انهزم أصحاب محمد فانهزم الزنج

(١) الرخّج كما في الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ٣٢٦ .
(٢) قنطرة أربك : ابن الأثير ج ٧ ص ٣٢٩ .
(٣) نهر السدرة : المرجع السابق .
(٤) انكلاي : المرجع السابق .

وأثخن الأكراد فيهم ، وبعث عليّ من يعترضهم فاستلبوهم وكتب عليّ إلى محمد يتهدّده فاعتذر وردّ عليهم كثيراً من أسلابهم ، وخشي من الخبيث وبعث إلى أصحابه مالاً ليسألوه في الرضا عنه ، فأجابهم إلى ذلك على أن يقيم دعوته في أعماله ففعل كذلك . ثم سار ابن أبان لحصار موتة[1] واستكثر من آلات الحصار ، وعلم بذلك مسرور البلخي وهو بكور الأهواز ، فسار إليه ووافاه عليها ، فانهزم ابن أبان وترك ما كان حمله هناك ، وقتل من الزنج خلق وجاء الخبر بمسير الموفّق إليهم .

* (استرجاع ابن الموفق ما غلب عليه الزنج من أعمال دجلة) *

لما دخل الزنج واسط وعاثوا فيها كما ذكرناه بعث الموفّق ابنه أبا العبّاس ، وهو الذي وَليّ الخلافة بعد المعتمد ولقّب المعتضد ، فبعثه أبوه بين يديه في ربيع سنة ست وستين في عشرة آلاف من الخيل والرجال . وركب لتشييعه وبعث معه السفن في النهر عليها أبو حمزة نصر ، فسار حتى وافى الخيل والرجل والسفن النهرية ، وعلى مقدّمته الجناني[2] وانهم نزلوا الجزيرة قريباً من بردرويا ، وجاءهم سليمان بن موسى الشعراني مدداً بمثل ذلك وأنّ الزنج اختلفوا في الاحتشاد ، ونزلوا من السفح إلى أسفل واسط ينتهزون الفرصة في ابن الموفّق لما يظنون من قلّة دراسيته بالحرب ، فركب أبو العباس لاستعلام أمرهم ووافى نصيراً ، فلقيهم جماعة من الزنج فاستطرد لهم أوّلا ، ثم كرّ في وجوههم وصاح بنصير فرجع ، وركب أبو العبّاس السفن النهرية فهزم الزنج وأثخن فيهم واتبعهم ستة فراسخ ، وغنم من سعيهم وكان ذلك أوّل الفتح . ورجع سليمان بن جامع إلى نهر الأمين[3] وسليمان بن موسى الشعراني إلى سوق الخميس ، وأبو العبّاس على فرسخ من واسط يغاديهم القتال ويراوحهم . ثم احتشد سليمان وجاء من ثلاثة وجوه ، وركب في السفن النهرية وبرز إليه نصير في سفنه ، وركب معه أبو العبّاس في خاصّته ، وأمر الجند بمحاذاته من الشطّ ، ونشب الحرب فوقعت الهزيمة على الزنج وغُـنِـمَت سفنهُم ، وأفلت سليمان والجناني من

(١) مَتُّوث : المرجع السابق .
(٢) الجناني وقد مر ذكره من قبل .
(٣) نهر الأمير : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٣٩ .

الهلكة ، وبلغوا طهتا ، ورجع أبو العبّاس إلى معسكره وأمر باصلاح السفن المغنومة ، وحفر الزنج في طريق الجبل الآبار وغطوها ، فوقع بعض الفرسان فيها ، فعدل جند السلطان عن ذلك الطريق . وأمر الخبيث أصحابه بالسفن في النهر وأغاروا على سفن أبي العبّاس وغنموا بعضها ، وركب في اتباعهم واستنقذ سفنهم وغنم من سفنهم نحواً من ثلاثين ، وجدّ في قتالهم وتحصّن ابن جامع بطهتا ، وسمّى مدينته المنصورة . والشعراني بسوق الخميس وسمّى مدينته المنيعة . وكان أبو العبّاس يغير على الميرة التي تأتيهم من سائر النواحي ، وركب في بعض الأيام إلى مدينة الشعراني التي سمّاها المنيعة ، وركب نصير في النهر ، وافترقوا في مسيرهم واعترضت أبا العبّاس جماعة من الزنج فمنعوه من طريق المدينة وقاتلوه مقدار نهاره ، وأشاعوا قتل نصير ، وخالفهم نصير إلى المدينة فأثخن فيها وأضرموا النار في بيوتها . وجاء الخبر بذلك إلى أبي العبّاس بسبرة . ثم جاء نصير ومعه أسرى كثيرون فقاتلوا الزنج وهزموهم ، ورجع أبو العبّاس إلى عسكره وبعث الخبيث إلى ابن أبان وابن جامع فأمرهما بالاجتماع على حرب أبي العبّاس .

* (وصول الموفق لحرب الزنج وفتح المنيعة والمنصورة) *

كان الموفّق لما بعث ابنه أبا العبّاس لحرب الزنج تأخر لامداده بالحشود والعُدَدِ وإزاحه علله ومسارقة أحواله ، فلما بلغه اجتماع ابن أبان وابن جامع لحربه سار من بغداد إليه فوصل إلى واسط في ربيع الأوّل من سنة سبع وستين . ولقيه إبنه وأخبره بالأحوال ، ورجع إلى عسكره . ونزل الموفّق على نهر شدّاد ونزل ابنه شرقي دجلة على موهة بن مساور[1] فأقام يومين ثم رحل إلى المنيعة بسوق الخميس . سار إليها في النهر ونادى بالمقامة ، ولقيه الزنج فحاربوه ، ثم جاء الموفّق فانهزموا واتبعهم أصحاب أبي العبّاس فاقتحموا عليهم المنيعة وقتلوا خلقاً وأسروا آخرين ، وهرب الشعراني ، واختفى في الآجام آخرون . ورجع الموفّق إلى عسكره وقد استنقذ من المسلمات نحو خمس عشرة امرأة[2] ، ثم غدا على المنيعة فأمر بنهبها وهدم سورها وطم خندقها وإحراق ما بقي من

(١) هكذا في الأصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ٣٤٤ : «وامر ابنه ان يسير بما معه من الات الحرب الى فوهه نهر مساور» .

(٢) وفي الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ٣٤٤ : خمسة آلاف امرأة .

السفن فيها ، وببعث الأقوات التي أخذت ، فكانت لا حدّ لها ، فصرفت في الجند .
وكتب الخبيث إلى ابن جامع يحذّره مثل ما نزل بالشعراني ، وجاءت العيون إلى الموفّق أنّ ابن جامع بالحوانيت ، فسار إلى الضَبيّة[1] وأمر إبنه بالسير في النهر إلى الحوانيت ، فلم يلق ابن جامع بها ، ووجد قائدين من الزنج استخلفهم عليها بحفظ الغلاّت ، ولحق بمدينته المنصورة بطهتا ، فقاتل ذلك الجند ورجع إلى أبيه بالخبر فأمره بالمسير إليه ، وسار على أثره برًّا وبحراً حتى نزلوا على ميلين من طهتا . وركب لبيوني مقاعد القتال على المنصور[2] فلقيه الزنج وقاتلوه وأسروا جماعة من غلمانه . ورمى أبو العبّاس بن الموفّق أحمد بن مهدي الجناني فمات وأوهن موته[3] ، ثم ركب يوم السبت آخر ربيع من سنة سبع وعبّى عسكره وبعث السفن في البحر الذي يصل إلى المنصورة ، ثم صلّى وابتهل بالدعاء ، وقدّم ابنه أبا العبّاس إلى السور ، واعترضه الجند فقاتلهم عليه واقتحموا وولّوا منهزمين إلى الخنادق وراءه ، فقاتلوه عندها واقتحمها عليهم كلّها ، ودخلت السفن المدينة من النهر فقتلوا وأسروا ، وأجلوهم عن المدينة وما اتصل بها ، وهو مقدار فرسخ وملكه الموفق ، وأفلت ابن جامع في نفرٍ من أصحابه ، وبلغ الطلاّب في أثره إلى دجلة ، وكثر القتل في الزنج والأسر ، واستنقذ العبّاس من نساء الكوفة وواسِط وصبيانهم أكثر من عشرة آلاف[4] وأعطى ما وجد في المنصورة من الذخائر والأموال للأجناد ، وأسر من نساء سليمان وأولاده عدّة . ولما جاء جماعة من الزنج إلى الآجام اختفوا ، فأمر بطلبهم وهدم سور المدينة وطمّ خنادقها وأقام سبعة عشر يوماً في ذلك ثم رجع إلى واسط .

* (حصار مدينة الخبيث المختارة وفتحها) *

ثم إنّ الموفق عرض عساكره وأزاح عللهم ، وسار ومعه ابنه أبو العبّاس إلى مدينة

(١) الصينيّة : المرجع السابق .
(٢) المعنى غير واضح وما يذكره ابن الاثير ج ٧ ص ٣٤٦ : «ومطرت السماء مطراً شديداً ، فشغل (ابو العباس) عن القتال ، ثم ركب لينظر موضعاً للحرب ، فانتهى الى قريب من سور مدينة سليمان بطهثا ، وهي التي سمّاها المنصورة ، فتلقّاه خلق كثير ، وخرج عليهم كمناء من مواضع شتّى ، واشتدت الحرب ، وترجّل جماعة من الفرسان ، وقاتلوا حتى خرجوا عن المضيق الذي كانوا فيه ، وأسروا من غلمان الموفق جماعة .»
(٣) اي أوهن موته الزنج .
(٤) عشرين الفاً عند ابن الاثير ج ٧ ص ٣٤٧ .

الخبيث ، فأشرف عليها ورأى من حصانتها بالأسوار والخنادق ووعر الطرق . وما أعد من الآلات للحصار ومن كثرة المقاتلة ما استعظمه . ولما عاين الزنج عساكر الموفّق دهشوا . وقدّم ابنه العبّاس في السفن حتى ألصقها بالأسوار فرموه بالحجارة في المجانيق والمقاليع والأيدي ، ورأوا من صبره وأصحابه ما لم يحتسبوه . ثم رجعوا وتبعهم مستأمنة من المقاتلة والملاّحين نزعوا إلى الموفّق . فقبلهم وأحسن إليهم . فتتابع المستأمنون في النهر فوكّل الخبيث بفوهة النهر من معهم . وتعبّى أهل السفن للحرب مع بهبود قائد الخبيث ، فزحف إليه أبو العبّاسَ في السفن وهزمه . وقتل الكثير من أصحابه ورجع فاستأمن إليه بعض تلك السفن النهرية وكثير من المقاتلة فأمّنهم وأقام شهراً لم يقاتلهم . ثم عبّى عساكره منتصف شعبان في البرّ والبحر وكانوا نحواً من خمسين ألفاً ، وكان الزنج في نحو ثلثمائة ألف مقاتل . فأشرف عليهم ونادى بالأمان إلا للخبيث ، ورمى بالرقاع في السهام بالأمان . فجاء كثير منهم ولم يكن حرب . ثم رحل من مكانه ونزل قريباً من المختارة ، ورتّب المنازل من انشاء السفن . وشرع في اختطاط مدينة لنزله سمّاها الموفّقيّة . فأكمل بناءها وشيّد جامعها وكتب بحمل الأموال والميرة إليها وأغب الحرب شهراً فتتابعت الميرة إلى المدينة ، ورحل إليها التجار بصنوف البضائع ، واستجر فيها العمران ونفقت الأسواق وجلبت صنوف الأشياء .

ثم أمر الموفّق ابنه أبا العبّاس بقتال من كان من الزنج خارج المختارة فقاتلهم وأثخن فيهم ، فاستأمن إليه كثير منهم فأمّنهم ووصلهم ، وأقام الموفّق أياماً يحاصر المحاربين ويصل المستأمنين ، واعترض الزنج بعض الوفاد[1] الجائية بالميرة . فأمر بترتيب السفن على مخارج الأنهار ، ووكّل ابنه أبا العبّاس بحفظها ، وجاءت طائفة من الزنج بعض الأيام إلى عسكر نصير يريدون الإيقاع به . فأوقع بهم وظفر ببعض القوّاد منهم ، فقتل رشقاً بالسهام ، وتتابع المستأمنة فبلغوا إلى آخر رمضان خمسين ألفاً . ثم بعث الخبيث عسكراً من الزنج مع عليّ بن أبان ليأتوا من وراء الموفّق إذا ناشبهم الحرب ، ونمي إليه الخبر بذلك فبعث ابنه أبا العبّاس فأوقع بهم ، وحملت الأسرى والرؤس في السفن النهرية ليراها الخبيث وأصحابه ، وظنّوا أنّ ذلك تمويه فرميت الرؤوس في المجانيق حتى عرفوها ، فظهر منهم الجزع وتكرّرت الحرب في السفن بين أبي العبّاس وبين الزنج ، وهو يظهر عليهم في جميعها حتى انقطعت الميرة عنهم ، فاشتدّ الحصار عليهم وخرج كثير من وجوه أصحابه مستأمنين ، مثل محمد بن الحرث

القُمّيّ وأحمد اليربوعي . وكان من أشجع رجاله القمّيّ منهم موكلاً بحفظ السور فأمّنهم الموفق ووصلهم ، وبعث الخبيث قائدين من أصحابه في عشرة آلاف ليأتوا البطيحة من ثلاثة وجوه ، فيعبروا من تلك النواحي ويقطعوا الميرة عن الموفّق . وبلغ الموفق خبرهم فبعث إليهم عسكراً مع مولاه ، ونزل فأوقع بهم وقتل وأسر، وأخذ منهم أربعمائة سفينة . ولما تتابع خروج المستأمنة وكل الخبيث من يحفظها ، وجهدهم الحصار فبعث جماعة من قوّاده إلى الموفّق يستأمنون وان يناشبهم الحرب ليجدوا السبيل إليه ، فأرسل ابنه أبا العبّاس إلى نهر الغربي وبه عليّ بن أبان فاشتدّ الحرب وظهر أبو العبّاس على بن أبان ، وأمدّه الخبيث بابن جامع ودامت الحرب عامّة يومهم ، وكان الظفر لأبي العبّاس ، وسار إليه المستأمنة الذين واعدوه . وانصرف أبو العبّاس إلى مدينة الخبيث وقاتل بعض الزنج طمعاً فيهم فتكاثروا عليه ، ثم جاءه المدد من قبل أبيه فظهر عليهم . وكان ابن جامع قد صعد في النهر وأتى أبا العبّاس من ورائه ، وخفقت طبوله فانكشف أصحاب أبي العبّاس ، ورجع منهزمة الزنج فأجبت جماعة من غلمان الموفّق وعدّة من أعلامهم ، وحامى أبو العبّاس عن أصحابه حتى خلصوا ، وقوي الزنج بهذه الواقعة ، فأجمع الموفّق العبور إلى مدينتهم بعسكره . فعبّى الناس لذلك من الغداة آخر ذي الحجة واستكثر من المعابر والسفن وقصدوا حصن أوكان بالمدينة وفيها أنكلاي بن الخبيث وابن جامع وابن أبان وعليه المجانيق والآلات ، فأمر غلمانه بالدنو منه فخاموا لاعتراض نهر الأتراك بينهم وبينه ، فصاح بهم فقطعوا النهر سبحاً ، وتناولوا الركن بالسلاح يهدمونه ، ثم صعدوا عليه وملكوه ونصبوا به علم الموفّق ، وأحرقوا ما كان عليه من الآلات وقتلوا من الزنج خلقاً عظيماً ، وكان أبو العبّاس يقاتلهم من الناحية الأخرى وابن أبان قبالته فهزمه ، ووصل أصحاب أبي العبّاس إلى السور فثلموه ودخلوا ، ولقيهم ابن جامع فقاتلهم حتى ردّهم إلى مواقفهم . ثم توافى الفعلة فثلموا السور في مواضع ، ونصبوا على الخندق جسراً عبر عليه المقاتلة ، فانهزم الزنج عن السور واتبعهم أصحاب الموفق يقتلونهم إلى دير ابن سمعان ، فملكه أصحاب الموفّق وأحرقوه ، وقاتلهم الزنج هناك ثم انهزموا فبلغوا ميدان الخبيث ، فركب من هنالك وانهزم عنه أصحابه ، وأظلم الليل ورجع الموفق بالناس ، وتأخّر أبو العبّاس لحمل بعض المستأمنين في السفن ، واتبعه بعض الزنج ونالوا من آخر السفن . وكان بهبود بازاء مسرور البلخيّ فنال من أصحابه واستأمن

بعض المنهزمين من الزنج والأعراب بعثوا بذلك من عبادان والبصرة ، وكان منهم قائده ريحان أبو صالح المعريّ فأمّنهم الموفّق وأحسن إليهم وضم ريحان إلى أبي العبّاس . وخرج في المحرّم إلى الموفق من قوّاد الخبيث وثقاته جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجّان فأحسن إليه الموفّق وحمله في بعض السفن إلى قصر الخبيث ، فوقف وكلّم الزنج في ذلك ، وأقام الموفّق أياماً استجمّ فيها أصحابه ، فلما كان منتصف ربيع الثاني قصد مدينة ، وفرّق القوّاد على جهاتها ومعهم النقّابون للسور ومن ورائهم الرماة يحمونهم . وتقدّم إليهم أن لا يدخلوا بعد الهزم إلاّ بإذنه ، فوصلوا إلى السور وثلموه وحاربوا الزنج من ورائه وهزموهم ، وبلغوا أبعد مما وصلوا إليه بالأمس . ثم تراجع الزنج وحاربوا من المكامن فرجع أصحاب الموفق نحو دجلة بعد أن نال منهم الزنج ، ورجع الموفّق إلى مدينته ، ولام أصحابه على تقدمهم بغير إذنه ، ثم بلغ الموفّق أنّ بعض الأعراب من بني تميم يجلبون الميرة إلى الزنج فبعث إليهم عسكراً أثخنوا فيهم قتلاً وأسراً ، وجيء بالأسرى فقتلهم ، وأوعز إلى البصرة بقطع الميرة فانقطعت عن الزنج بالكلية ، وجهدهم الحصار وكثر المستأمنة وافترق كثير من الزنج في القرى والأمصار البعيدة ، وبث الموفّق دعاته فيهم ومن أبى قتلوه وعرض المستأمنين وأحسن إليهم ليستميل غيرهم.وتابع الموفّق وابنه قتال الزنج ، وقُتِلَ بهبود بن عبد الواحد من قوّاد الخبيث في تلك الحروب ، فكان قتله من أعظم الفتوح ، وكان قتله في السفن البحرية يَـنْـصِبُ فيها أعلاماً كأعلام الموفّق ويخايل أطراف العسكر فيصيب منهم . وأفلت في بعض الأيام من يد أبي العبّاس بعد أن كان حصل في قبضته ، ثم خيل أخرى لبعض السفن طامعاً فيها فحاربوه وطعنه بعض الغلمان منها فسقط في الماء ، وأخذه أصحابه فمات بين أيديهم . وخلع الموفق على الغلام الذي طعنه وعلى أهل السفينة . ولما هلك بهبود قبض الخبيث على بعض أصحابه وضربهم على ماله ، فاستفسد قلوبهم ، وهرب كثير منهم إلى الموفق ، فوصلهم ونادى بالأمان لبقيتهم . ثم اعتزم على العبور إلى الزنج من الجانب الغربي وكانت طرقه ملتفة بالنخيل فأمر بقطعها ، وأدار الخنادق على معسكره حذراً من البيات . ثم صعب على الموفق القتال من الجانب الغربي لكثرة أوعاره وصعوبة مسالكه وما يتوجه فيها على أصحابه من خيل الزنج لقلّة خبرتهم بها ، فصرف قصده إلى هدم أسوارهم وتوسعة الطرق فهدم طائفة من السور من ناحية نهر سلمى ، وباشر الحرب بنفسه ، واشتدّ القتال وكثرت

القتلى في الجانبين وفشت الجراح ، وكانت في النهر قنطرتان يعبر منهما الزنج عند القتال ، ويأتون أصحاب الموفق من ورائهم فأمر بهدمها فهدمتا ، ثم هدم طائفة من السور ودخلوا المدينة وانتهوا إلى دار ابن سمعان من خزائن الخبيث ودواوينه . ثم تقدّموا إلى الجامع فخرّبوه وجاؤا بمنبره إلى الموفّق بعد أن استمات الزنج دونه ، فلم يَغْنَوْا به . ثم أكثروا من هدم السور وظهرت علامات الفتح ، ثم أصاب الموفّق في ذلك اليوم سهم في صدره وذلك لخمس بقين من جمادى سنة تسع وستين ، فعاد إلى عسكره . ثم صابح الحرب تقوية لقلوب الناس . ثم لزم الفراش واضطرب العسكر ، وأشير عليه بالذهاب إلى بغداد فأبى فاحتجب عن الناس ثلاثة أشهر حتى اندمل جرحه . ثم ركب إلى الحرب فوجد الزنج قد سدّدوا ما تثلّم من الأسوار ، فامر بهدمها كلّها ، واتصل القتال مما يلي نهر سلمى كما كان ، والزنج يظنّون أنهم لا يأتون إلا منها ، فركب يوماً لقتالهم وبعث السفن أسفل نهر أبي الخصيب ، فانتهوا إلى قصر من قصور الزنج فأحرقوه وانتهبوا ما فيه واستنقذوا كثيرا من الساكن فيه . ورجع الموفّق آخر يومه ظافراً . ثم بكر لحربهم فوصلت المقدّمات دار أنكلاي بن الخبيث وهي متّصلة بدار أبيه ، وأشار ابن أبان باجراء المياه على الساج وحفر الخنادق بين يدي العساكر ، وأمر الموفّق بطم الخنادق والأنهار ، ورام إحراق قصره وقصده من دجلة فمنع من ذلك كثرة الحماة عنه ، فأمر أن تسقف السفن بالأخشاب ، وتطلى بالأدوية المانعة من الإحراق . ورتّب فيها أنجاد أصحابه ، وباتوا على أهبة الزحف من الغد . وجاء كاتب الخبيث وهو محمد بن سمعان عشاء ذلك اليوم مستأمناً ، وبكروا إلى الحرب وأمر الموفّق إبنه أبا العبّاس بإحراق منازل القوّاد المتصلة بقصر الخبيث ليشغلهم عن حمايته ، وقصدت السفن المطليّة قصر الخبيث فأحرقوا الرواشن والأبنية الخارجة وعلت النار فيه ورموا بالنار على السفن فلم تؤثر فيها . ثم حصر الماء من النهر فزحفت السفن ، فلما جاء الدعاة إلى القصر أحرقوا بيوتاً كانت تشرع على دجلة ، واشتعلت النار فيها وقويت وهرب الخبيث وأصحابه وتركوها وما فيها . واستولى أصحاب الموفّق على ذلك كلّه واستنقذوا جماعة من النساء ، وأحرق قصر أنكلاي ابنه ، وجرحا ، وعاد الموفّق عشاء يومه مظفراً . ثم بكر من الغد للقتال وأمر نصيراً قائد السفن بقصد القنطرة التي كان الخبيث عملها في نهر أبي الخصيب دون القنطرة التي كان اتخذها ، وفرّق العسكر في الجهات فدخل نصير في أوّل المدّ ولصق

بالقنطرة ، واتصل الشدّ من ورائه فلم يقدر على الرجوع حتى حسر الماء عنها ، وفطن لها الزنج فقصدوها فألقى الملاّحون أنفسهم في الماء وألقى نصير نفسه وقاتل ابن جامع ذلك اليوم أشدّ قتال . ثم انهزم وسقط في الحريق فاحترق ، ثم خلص بعد الجهد . وانصرف الموفّق سالماً وأصابه مرض المَفَاصِل واتّصل به إلى شعبان من سنته فأمسك في هذه المدّة عن الحرب حتى أبلى فأعاد الخبيث القنطرة التي غرق عندها نصير وزاد فيها وأحكمها ، وجعل أمامها سكراً من الحجارة ليضيق المدخل على السفن ، فبعث الموفّق طائفة من شرقي نهر أبي الخصيب ، وطائفة من بحريه ومعهم الفعلة لقطع القنطرة ، وجعل أمامها سفناً مملوأة من القصب لتصيبها النار بالنفط فيحترق الجسر ، وفرّق جنده على القتال وساروا لما أمرهم عاشر شوّال ، وتقدّموا إلى الجسر ولقيهم أنكلاي بن الخبيث وابن أبان وابن جامع وحاموا عن القنطرة لعلمهم بما في قطعها من المضرّة عليهم ، ودامت الحرب عليها إلى العشيّ ثم غلبهم أصحاب الموفّق عليها ، ونقضها النجّارون ونقضوا الأثقال التي دونها وأدخلوا السفن بالقصب . وأضرموها ناراً ووافت القنطرة فأحرقتها ووصل النجّارون بذلك الى ما أرادوا . وسهل سبيل السفن في النهر وقتل من الزنج خلق واستأمن آخرون ، وانتقل الخبيث بعد حرق قصوره ومساكن أصحابه إلى الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب . ونقل أسواقه إليه وتبين ضعفه فانقطعت عنه الميرة وفقدت الأقوات وغلت حتى أكل بعضهم بعضاً ، وأجمع الموفّق أن يحرق الجانب الشرقي كما أحرق الغربي فقصد دار الهمذان وكان حصيناً وعليه الآلات فلما انتهى إليها تعذّر الصعود لعلو السور فرموا بالكلاليب ونشبت في أعلام الخبيث وجذبوها فتساقطت . فانهزم المقاتلة وصعد النفّاطون فأحرقوا ما كان عليها من الآلة ، ونهبوا الأثاث والمتاع . واتصل الحريق بما حولها من الدور واستأمن للموفّق جماعة من خاصة الخبيث فأمّنهم ودلّوه على سوق عظيمة متّصلة بالجسر الأوّل تسمى المباركة ، وبها التجّار الذين بهم قوامهم . فقصدها لإحراقها وحاربه الزنج عندها ، واضرم أصحابه النار فيها فاتصلت وبقي التحريق عامّة اليوم . ثم رجع الموفّق ثم انتقل التجار بأمتعتهم وأموالهم إلى أعلى المدينة ، ثم فعل الخبيث في الجانب الشرقي بعد هذه من حفر الخنادق وتغوير الطرق مثل ما كان فعل في الجانب الغربي ، واحتفر خندقا عريضاً حصّن به منازل أصحابه على النهر الغربي . ثم خرّق الموفق باقي السور إلى النهر الغربي بعد حرب شديدة كانت

عليه ، وكان للخبيث جمع من الزنج وهم أشجع أصحابه ، قد تحصّنوا بحصن منيع يخرجون على أصحاب الموفّق عند الحرب فيعوقونهم فأجمع على تخريبه وجمع المقاتلة عليه برًّا وبحراً وفرّقهم على سائر جهاته وجهات الخبيث ، وأمدّ الخبيث الحصن بالمُـهَـلَّبِيّ وابن جامع ، فلم يغنوا عنه وانهزموا ، وتركوا الحصن في يدي أصحاب الموفّق وهزموه وقتلوا من الزنج خلقاً ، وخلّصوا من الحصن كثيراً من النساء والصبيان ، ورجع الموفّق إلى عسكره ظافراً .

* (استيلاء الموفق على الجهة الغربية) *

ولما هدم الموفق سور دار الخبيث أمر بتوسعة الطرق للحرب ، وأحرق الجسر الأوّل الذي على نهر أبي الخصيب ليمنع من مدد بعضهم بعضاً ، فكان في إحراقه حرب عظيمة . وأعدّت لذلك سفينة ملئت قصباً وجعل فيها النفط ، وأرسلت في قوّة المدد فتبادر الزنج إليها وغرقوها فركب الموفّق إلى فوهة نهر أبي الخصيب وقصدهم من غربي النهر وشرقيّه إلى أن انتهوا إلى الجسر من غربيّه وعليه أنكلاي بن الخبيث وابن جامع فأحرقوه ، وفعل مثل ذلك من الجانب الشرقي ، فاحترق الجسر والحظيرة التي كانت لإنشاء السفن ، وسجن كان هناك للخبيث . وانحاز هو وأصحابه من الجانب الغربي واستأمن كثير من قوّاده فأمّنهم وأخرجوا أرسالاً وخرج قاضيه هارباً ، ووكّل بالجسر الثاني من يحفظه وأمر الموفّق ابنه أبا العبّاس بأن يتجهّز لإحراقه فزحف في أنجاد غلمانه ومعه الفعلة والآلات . وكان في الجانب الغربي قبالة أبي العبّاس أنكلاي وابن جامع ، وفي الجانب الغربي قبالة أسد مولى الموفّق الخبيث نفسه والمهلّبي ، وجاءت السفن في النهر وقاتلوا حامية الجسر فانهزم ابن جامع وأنكلاي وأضرمت النار في الجسر ، ولما وافياه وهو مضطرم ناراً ألقيا أنفسهما في النهر فخلصا بعد أن غرق من أصحابهما خلق ، واحترق الجسر واتصل الحريق بدورهم وقصورهم وأسواقهم ، وافترق الجيش في الجانبين ونهبت دار الخبيث واستنفذ من كان في حبسه من النسوة والرجال . وأخرج ما كان في نهر أبي الخصيب من أصناف السفن إلى دجلة ونهبها أصحاب الموفّق واستأمن أنكلاي بن الخبيث وعلم أبوه فثنّاه عن ذلك . واستأمن سليمان بن موسى الشعراني من رؤساء قوّاده فأجيب بعد توقف . ولما خرج تبعه أصحاب الخبيث فقاتلهم ، ووصل إلى الموفّق فأحسن إليه واقتفى أثره في ذلك شبل ابن سالم من قوّاده ، وعظم على الخبيث وأوليائه استئمان هؤلاء ، وصار شبل بن سالم يخرج في السرايا إلى عسكر الخبيث ويكثر النكاية فيهم .

* (استيلاء الموفق على الجهة الشرقية) *

وفي خلال هذه الحروب واتصالها مرن أصحاب الموفّق على تخلّل تلك المسالك والشعاب مع تضايقها ووعرها ، وأجمع الموفّق على قصد الجانب الشرقي في نهر أبي الخصيب ، وندب لذلك قوّاد المستأمنة لخبرتهم بذلك دون غيرهم ، ووعدهم بالإحسان والزيادة فأبوا وسألوه الإقالة فأبى لتتميز مُنَاصَحَتُهم . وجمع سفن دجلة من كل جانب ، وكان فيها عشرة آلاف ملاّح من المرتزقة . وأمر ابنه أبا العبّاس بقصد مدينة الخبيث الشرقية من جهاتها ، فسار إلى دار المهلّبيّ وهو في مائة وخمسين قطعة من السفن قد شحنها بأنجاد غلمانه ، وانتخب عشرة آلاف مقاتل وأمرهم بالمسير حفا في النهر يشاهد أحوالهم . وبكّر الموفّق لثمان خلون من ذي القعدة زاحفاً للحرب ، فاقتتلوا مليًّا وصبروا . ثم انهزم الزنج وقتل منهم خلق ، وأسر آخرون فقتلوا ، وقصد الموفّق بجمعه دار الخبيث ، وقد جمع الخبيث أصحابه للمدافعة فلم يغنوا عنه وانهزموا وأسلموها فنهبها أصحاب الموفق ، وسبوا حريمه وبنيه وكانوا عشرين . ونجا إلى دار المهلّبيّ ونهبها واشتغل أصحابهم جميعاً بنقل الغنائم إلى السفن ، فأطمع ذلك الزنج فيهم وتراجعوا وردوا الناس إلى مواقفهم . ثم صدق الموفّق الحملة عشيّ النهار فهزم الزنج إلى دار الخبيث ورجع الناس إلى عسكره ، ووصله كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون يستأذنه في القدوم عليه فأخّر القتال إلى حضوره .

* (مقتل صاحب الزنج) *

ولما وصل غلام ابن طولون في ثالث المحرم من سنة سبعين جاء في جيش عظيم ، فأحسن إليهم الموفّق وأجرى لهم الأرزاق على مراتبهم ، وأمره بالتأهّب لقتال الخبيث . وقد كان لما غلب على نهر أبي الخصيب وقُطِعَت القناطر والجسور التي عليه ، أحدث فيه سكراً وضيّق جَرْيَة الماء ليمنع السُفُن من دخوله إذا حضر ، ويتعذّر خروجها أمامه . وبقي جريه لا يتهيأ إلاّ بإزالة ذلك السكر ، فحاول ذلك مدّة والزنج يدافعون عنه ، ودفع الموفق لذلك لؤلؤاً في أصحابه ليتمرّنوا على حرب الزنج في تلك المسالك والطرق فأحسنوا البلاء فيها ووصلهم ، وألح على العسكر ، وهو كل يوم يقتل مقاتلهم ويحرق مساكنهم ويقتل المستأمنة منهم . وقد كان بقي بالجهة الغربية بقية من أبنية ومزارع وبها جماعة يحفظونها ، فسار إليهم أبو العبّاس وأوقع بهم ، ولم

يسلم منهم إلا الشريد . ثم غلبهم على السكر وأحرقه واعتزم على لقاء الخبيث وقدّم ابنه أبا العبّاس إلى دار المهلّب وأضاف المستأمنة إلى شبل بن سالم وأمرهم أن ينتظروا بالقتال نَفْخ البوق ، ونصب علمه الأسود على دار الكَرْمَانيّ . ثم صمد إليهم وزحف الناس في البر والنهر ، ونفخت الأبواق وذلك لثلاث بقين من المحرّم سنة سبعين . واشتدّ القتال وانهزم الزنج ومات منهم قتلاً وغرقاً ما لا يحصى ، واستولى الموفّق على المدينة واستنقذوا الأسرى وأسروا الخليل وابن أبان وأولادهما وعيال أخيهما ، ومضى الخبيث ومعه ابنه أنكلاي وابن جامع وقوّاد من الزنج إلى موضع بنهر السّفيانيّ كانوا أعدّوه ملجأً اذا غلب على المدينة ، واتبعه الموفّق في السفن ولؤلؤ في البر . ثم اقتحم النهر بفرسه واتّبعه أصحابه فأوقعوا بالخبيث ومن معه حتى عبروا نهر السامان[1] واعتصموا بجبل وراءه ، ورجع لؤلؤ عنهم وشكر له الموفّق ورفع منزلته واستبشر الناس بالفتح . وجمع الموفّق أصحابه فوبّخهم على انقطاعهم عنه فاستعذروا بأنهم ظنّوا انصرافه . ثم تحالفوا على الإقدام والثبات حتى يظفروا وسألوه أن تُرَدَّ المعابر التي يعبرون فيها ليستميت الناس في حرب عدوّهم ، فوعدهم بذلك وأصبح ثالث صفر فعبّى المراكب وبعثهم إلى المراكز وردّ المعابر التي عبروا فيها وتقدّم سرعان العسكر فأوقعوا بالخبيث وأصحابه ففضّوا جماعة وأثخنوا فيهم قتلاً وأسراً ، وافترقوا كل ناحية . وثبت مع الخبيث لمّة من أصحابه فيهم المهلّبيّ وذهب ابنه أنكلاي وابن جامع واتبع كلاًّ منهم طائفة من العسكر بأمر أبي العبّاس ابن الموفّق . ثم أُسِرَ إبراهيم بن جعفر الهَمَذاني فاستوثقوا منه . ثم كرّ الخبيث والمنهزمون معه على من اتّبعهم من أهل العسكر فأزالوهم عن مواقفهم . ثم رجعوا ومضى الموفّق في اتباع الخبيث إلى آخر نهر أبي الخصيب فلقيه غلام من أصحاب لؤلؤ برأس الخبيث وسار أنكلاي نحو الدينارىّ ومعه المهلّبيّ وبعث الموفّق أصحابه في طلبهم فظفر بهم وبمن معهم ، وكانوا زهاء خمسة آلاف ، فاستوثق منهم ثم استأمن إليه ورمونة[2] وكان عند البطيحة قد اعتصم بمغايض وآجام هنالك يخيف السابلة ، ويغير على تلك النواحي وعلى الواردين إلى مدينة الموفّق . فلما علم بموت الخبيث سُقِطَ في يده وبعث يستأمن فأمّنه الموفّق فحسُنَت توبته وردّ الغصوبات إلى أهلها ظاهراً ،

---

(١) نهر السفياني : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٠٣ .

(٢) دَرْمَوَيْه الزنجيّ : المرجع السابق ص ٤٠٤ .

وأمر الموفّق بالنداء برجوع الزنج إلى موطنهم فرجعوا وأقام الموفّق بمدينة الموفّقية ليأمن الناس بمقامه ، وولّى على البصرة والأُبلّة وكور دجلة محمد بن حمّاد وقدم ابنه أبا العبّاس إلى بغداد فدخلها منتصف جمادي من سنة سبعين وكان خروج صاحب الزنج آخر رمضان سنة خمس وخمسين وقتله أوّل صفر سنة سبعين لأربع عشرة سنة وأربعة أشهر من دولته .

* (ولاية ابن كنداج على الموصل) *

لما سار أحمد بن موسى بن بغا إلى الجزيرة وولّى موسى بن أتامش على ديار ربيعة فتغيّر لذلك إسحق بن كنداج وفارق عسكره وأوقع بالأكراد اليعقوبيّة وانتهب أموالهم ثم لقي ابن مساور الخارجيّ فقتله ، وسار إلى الموصل فقاطع أهلها على مال . وكان عليهم عليّ بن داود قائداً ، فدفعه وسار ابن كنداج إليه . فخرج عليّ بن داود واجتمع حمدان بن حمدون التغلبيّ واسحق بن عمر بن أيوب بن الخطّاب التغلبيّ العدويّ ، فكانوا خمسة عشر ، وجاءهم عليّ بن داود فلقيهم إسحق في ثلاثة آلاف فهزمهم بِدَسِيسَة من أهل مسيرتهم ، وسار حمدان وعليّ بن داود إلى نيسابور . وابن أيّوب إلى نصيبين ، وابن كنداج في اتّباعه ، فسار عنها واستجار بعيسى ابن الشيخ الشيبانيّ وهو بآمد ، وأبي العزّ موسى بن زرارة وهو عامل أُردن ، فأنجداه وبعث المعتمد إلى اسحق بن كنداج بولاية الموصل فدخلها ، وأرسل إليه ابن الشيخ وابن زرارة مائة ألف دينار على أن يقرّهم على أعمالهم فأبى ، فاجتمعوا على حربه . فرجع إلى إجابتهم . ثم حاربوه سنة سبع وستين . واجتمع لحربه إسحق بن أيوب وعيسى ابن الشيخ وأبو العزّ بن حمدان بن حمدون في ربيعة وثعلب وبكر واليمن فهزمهم ابن كنداج إلى نصيبين . ثم إلى آمد وحمر[1] عسكراً لحصار ابن الشيخ بآمد وكانت بينهم حروب .

* (حروب الخوارج بالموصل) *

كان مساور الخارجي قد هلك في حروبه مع العساكر سنة ثلاث وستين بالبوارسح[2]

(١) حمر الرجل : تحرق غضباً ، وحمره : قال له يا حمار (قاموس) .
(٢) البوازيج : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٠٩ .

وأراد أصحابه ولاية محمد بن حرداد[1] بِشَهْرَزور فامتنع ، وبايعوا أيوب بن حيّان المعروف بالغلام فقتل ، فبايعوا هرون بن عبدالله البَجْلي وكثر أتباعه واستولى على بلد الموصل ، وخرج عليه من أصحابه محمد بن حرداد ، وكان كثير العبادة والزهد يجلس على الأرض ويلبس الصوف الغليظ ويركب البقر لئلا يفرّ في الحرب ، فنزل وَاسِط وجاء وجوه أهل الموصل ، فسار إليهم وهرون غائب في الأحشاد ، فبادر إليه واقتتلا ، وانهزم هرون وقتل من أصحابه نحو مائتين ، وقصد بني ثعلب[2] مستنجداً بهم فأنجدوه وسار معه حمدان بن حمدون ودخل معه الموصل ، ودخل ابن حرداد ، واستمال هرون أصحابه ، ورجع إلى الحُدَيْثَة ، ولم يبق مع ابن حرداد إلا قليل من الأكراد فمالوا إلى هرون بالموصل ، فخرج وأوقع بابن حرداد فقتله وأوقع بالأكراد الجلاليّة وكثر أتباعه ، وغلب على القرى والرساتيق ، وجعل على دجلة من يأخذ الزكاة من الأموال المُصَعَّدَة والمنحدرة ، ووضع في الرساتيق من يقبض اعتبار الغلاّت ، واستقام أمره . ثم جاء بنو ساسان لقتاله سنة ست وسبعين واستنجد بحمدان بن حمدون فجاءه بنفسه ، وسار إلى نهر الخازن وانهزمت طليعتهم ، وانهزموا بانهزامها ، وجاء بنو شيبان إلى فسا فانجفل أهلها وأقام هرون وأصحابه بالحُدَيْثَة .

* (أخبار رافع بن هرثمة من بعد الخجستاني) *

لما قتل أحمد الخجستاني سنة ثمان وستين كما قدّمناه اجتمع أصحابه على رافع بن هرثمة من قوّاد محمد بن طاهر، وكان رافع هذا لما استولى يعقوب الصفّار على نيسابور، وزال بنو طاهر ، صار رافع في جملته ، وصَحِبَه إلى سِجِسْتان . ثم أقصاه عن خدمته وعاد إلى منزله بنواحي جيّ حتى استخدمه الخُجِسْتَانِيّ وجعله صاحب جيشه . فلما قتل الخُجِسْتَانِيّ اجتمع الجيش عليه بهَرَاة وأمّروه وسار إلى نيسابور فحاصر بها أبا طلحة بن شَركَبَ وقد كان وصل إليها من جرجان ، فضيّق عليه المخنق ففارقها أبو طلحة إلى مرو ، وولّى على هراة ابن المهدي وخطب لمحمد بن طاهر بمَرْو وهَرَاة وزحف إليه عمرو بن الليث فهزمه وغلبه على ما بيده . واستخلف على

(١) محمد بن خرزاد : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٠٩ .
(٢) هم بنو تغلب وقد لاحظنا ان ابن خلدون يكنيهم بالثعالبة بدل التغالبة او ان ذلك عائد لتحريف الناسخ !

مَرْو محمد بن سهل بن هاشم ، وخرج أبوطلحة إلى مكمد[1] واستعان باسمعيل بن أحمد الساماني ، فأمدّه بعسكر وأخرج محمد بن سهل ، وخطب بها لعمرو بن الليث سنة إحدى وسبعين . ثم قلّد الموفّق تلك السنة أعمال خراسان لمحمد ابن طاهر ، وهو ببغداد . فاستخلف عليها رافع بن الليث وأقرّ على ما وراء النهر نصر بن أحمد. ووردت كتب الموفّق بعزل عمرو بن الليث ولعنه ، فسار رافع إلى هَرَاة وقد كان بها محمد بن المهدي خليفة أبي طلحة ، فثار عليه يوسف بن معبد . فلما جاء رافع استأمن إليه فأمّنه واستعمل على هَرَاة مهدي بن مُحْسِن . ثم سار رافع إلى أبي طلحة بمَرْو بعد أن استمدّ إسمعيل بن أحمد وأمدّه بنفسه في أربعة آلاف فارس ، واستقدم عليّ بن محسن المَرْوَرُوزيّ فقدم عليه في عسكره ، وساروا جميعاً إلى أبي طلحة بمرو سنة إثنتين وسبعين ، فهزموه وعاد إسمعيل إلى بخارى ولحق بأبي طلحة وبها مهدي ، فاجتمع معه على مخالفة رافع فهزمهما رافع ، ولحق أبو طلحة بعمرو بن الليث وقبض على مهدي سنة إثنتين وسبعين ثم خلّى سبيله وسار رافع إلى خوارزم فجبى أموالها ورجع إلى نيسابور .

* (مغاضبة المعتمد للموفّق ومسيرة ابن طولون وما نشأ من الفتنة لأجل ذلك) *

كان الموفّق حدثت بينه وبين ابن طولون وحشة وأراد عزله ، وبعث موسى بن بُغا في العساكر إليه سنة إثنتين وستين فأقام بالرقّة عشرة أشهر ، واختلف عليه العسكر فرجع ، وكان الموفق مستبدًا على أخيه المعتمد منذ قيامه بأمر دولته مع ما كان من الكفاية والغناء ، إلاّ أنه كان المعتمد يتأفّف من الحَجْرِ ، وكتب إلى أحمد بن طولون في السرّ يشكو ذلك وأشار عليه باللحاقِ إليه بمِصْر لينصره ، وبعث عسكراً إلى الرقّة في انتظاره ، وكان الموفّق مشغولاً بحرب الزنج ، فسار المعتمد منتصف سنة تسع وستين في القوّاد مظهراً أنه يتصيّد ، ثم سار إلى أعمال الموصل وعليها يومئذ وعلى سائر الجزيرة أصحاب كنداج[2] وكتب صاعد بن مُخَلّد وزير الموفّق عن الموفّق إلى

(١) بيكند : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٦٨ .
(٢) اسحق بن كنداجيق : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٩٤ .

إسحق بردّه عن طريقه ، والقبض على من معه من القوّاد . فلمّا وصل المعتمد إلى عمله أظهر إسحق طاعته ، فارتحل في خدمته إلى أوّل عمل ابن طولون . ثم اجتمع بالمعتمد والقوّاد وفيهم نَيْزَك وأحمد بن خاقان وغيرهم فعذلهم في المسير إلى ابن طولون والمقام تحت يده ، وطال الكلام بينهم مليًّا ثم دعاهم إلى خيمته للمناظرة في ذلك أدباً مع المعتمد ، وقيّدهم وجاء إلى المعتمد فعذله في المسير عن دار خلافته ومغاضبة أخيه ، وهو في دفاع عدوّه ومن يريد خراب ملكه ، وحمل الجميع إلى سامرّا . وقطع ابن طولون الدعاء للموفق على منابره وأسقط إسمه من الطرز[١] وغضب الموفّق بسبب ذلك على أحمد بن طولون ، وحمل المعتمد على أن يشار بلعنه على المنابر . وولّى إسحق بن كنداج على أعماله وفوّض إليه من باب الشماسية إلى أفريقية ، وكان لؤلؤ مولى ابن طولون عاملاً على حمص وحلب وقِنّسْرِين وديار مصر من الجزيرة . وكان منزله بالرقّة فانتقض عليه في هذه السنة ، وسار إلى بَالِس فنهبها ، وكتب إلى الموفّق فمرّ بقرقيسيا وبها ابن صَفْوَان العُقَيْلِيّ فحاربه وغلبه عليها وسلّمها إلى أحمد بن مالك بن طَوْق . ووصل إلى الموفّق في عسكر عظيم وهو يقاتل صاحب الزنج فأكرمه الموفّق وأحسن هو الغناء في تلك الحرب . ثم بعث ابن طولون في تلك السنة جيشه إلى مكة لإقامة الموسم ، وعامل مكة هرون بن محمد ففارقها خوفاً منهم ، وبعث الموفّق جعفراً في عسكرٍ فقوي بهم هرون ولقوا أصحاب ابن طولون فهزموهم وصادروا القائد على ألف دينار . وقرىء الكتاب في المسجد بلعن ابن طولون وانقلب أهل مِصْرِ إلى بلدهم آمنين . ولم يزل لؤلؤ في خدمة الموفّق إلى أن قبض عليه سنة ثلاث وسبعين وصادره على أربعمائة ألف وأدْبَرَ أمره ثمّ ، ثم عاد إلى مِصْر آخر أيام هرون بن حماديه[٢] .

* (وفاة ابن طولون ومسير ابن كنداج الى الشام) *

وفي سنة سبعين انتقض بازمان[٣] الخادم بطرسوس وقبض على نائبه ، وسار إليه أحمد بن طولون في العساكر وحاصروه فامتنع عليه ، فرجع إلى أنطاكية فمرض هنالك ومات لست وعشرين سنة من ولايته على مِصْر ووِلِي بعده إبنه خمارويه ،

(١) الطرز : حواشي الكتب .
(٢) هارون بن خمارويه : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٢٥ .
(٣) بازمار الخادم : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٠٨ .

وانتقضت عليه دمشق فبعث إليها العساكر وعادت إلى طاعته . وكان يومئذ بالموصل والجزيرة إسحق بن كِنْدَاج وعلى الأنبار والرحبة وطريق الفرات محمد بن أبي الساج ، فكاتبا الموفّق في المسير إلى الشام واستمدّاه ، فأذن لهما ووعدهما بالمدد ، فسارا وملكا ما يجاورهما من بلاده ، واستولى إسحق على أنطاكية وحلب وحمص ، وكاتبه نائب دمشق واجتمع الخلاف على خمارويه فسار إليه فهرب إلى شَيْزَر وهي في طاعة خمارويه ، ودمشق . وجاء أبو العبّاس بن الموفّق وهو المعتضد من بغداد بالعساكر فكبس شَيْزَر وقتل من جند ابن طولون مقتله عظيمة ، ولحق فلّهم بدمشق وأبو العبّاس في اتباعهم ، فَجَلَوْا عنها ، وملكها في شعبان سنة إحدى وسبعين . ورجعت عساكر خمارويه إلى الرَّملة فأقاموا بها . وزحف إسحق بن كنداج إلى الرقّة وعليها وعلى الثغور والعواصم ابن دعاص[1] من قبل خمارويه فقاتله وكان الظهور لاسحق . ثم زحف أبو العبّاس المعتضد من دمشق إلى الرملة ، وسار خمارويه من مِصْر واجتمع بعساكره في الرملة على ماء الطواحين ، وكان المعتضد قد استفسد لابن كنداج وابن أبي الساج ونسبهما إلى الجبن في انتظارهما إياه في محاربة خمارويه . وعبّى المعتضد عساكره ولقي خمارويه وقد أكمن له ، فانهزم خمارويه أولاً وملك المعتضد خيامه ، وشغل أصحابه بالنهب فخرج عليهم الكمين فانهزم المعتضد إلى دمشق . فلم يفتح لهِ أهلها ، فراح إلى طرسوس وأقام العسكران يقتتلان دون أمير ، وأقام أصحاب خمارويه عليهم أخاه سعداً مكانه ، وذهبوا إلى الشام فملكوه أجمع . وأذهبوا منه دعوة الموفّق وابنه . وبلغ الخبر إلى خمارويه فسرّ وأطلق الأسرى الذين كانوا معه . ثم ثار أهل طرسوس بأبي العبّاس فأخرجوه ، وسار إلى بغداد وولّوا عليهم مازيار ، فاستبدّ بها ثم دعا لخمارويه بعد أن وصله بمال جليل يقال أنفذ إليه ثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف وسلاحاً كثيراً ، فدعا له ثم بعث إليه بخمسين ألف دينار .

* (وفاة صاحب طبرستان وولاية أخيه) *

ثم توفي الحسن بن زيد العلويّ صاحب طبرستان في رجب سنة سبعين لعشرين سنة من ولايته ووُلِّيَ مكانه أخوه وكان على قزوين أتكوتكين[2] فسار إلى الريّ في أربعة

(١) ابن دعباس : ابن الاثير ج ٧ ص ٤١١ .
(٢) اذكوتكين : ابن الاثير ج ٧ ص ٤١٨ .

آلاف فارس ، وسار إليه محمد بن زيد في عالم كثير من الدَيْلَم والخراسانيّة ، والتقوا فانهزم محمد بن زيد وقتل من عسكره نحو من ستة آلاف وأسر ألفان ، وغنم أتكوتكين عسكراً وملك الريّ وأغرم أهلها مائة ألف دينار ، وفرّق عمّاله عليها ، وسار محمدِ بن زيد إلى جرجان ، ثم عزل عمرو بن الليث عن خراسان وولّى عليها محمد بن طاهر ، واستخلف محمد بن رافع بن هرثمة ، وسار سنة خمس وسبعين إلى جَرْجَان وهرب عنها ليلاً إلى استرياد[1] فحاصره رافع فيها سنتين حتى أجهده الحصار ، ففرّ عنها ليلاً إلى سارية ، فاتبعه فهرب عن طبرستان سنة سبع وسبعين ، واستأمن رستم بن قارِن إلى رافع بطبرستان فأمنه ، وبعث إلى سالوس محمد بن هرون نائباً عنه وأتاه بها عليّ ابن كاني مستأمناً . ثم جاءه محمد وحاصرهما بسالوس ، وانقطعت أخبارهما عن نافع . ثم جاءه الخبر بحصارهما فسار إليهما فارتحل محمد بن زيد إلى أرض الدَيْلَم ، فدخل رافع خلفه وأثخن فيها نهباً وتخريباً إلى حدود قزوين ، وعاد إلى الريّ إلى أن توفي المعتمد سنة تسع وتسعين .[2]

* (فتنة ابن كنداج وابن أبي الساج وابن طولون) *

كان ابن أبي الساج في أعماله بقِنَّسْرِين والفرات والرحبة ينافس إسحق وهو على الجزيرة ، ويريد التقدّم عليه ، فحدثت لذلك منهما فتنة . فخطب ابن أبي الساج لخمارويه بن طولون[3] . وبعث ابنه ديواداد رهينة إليه ، فبعث إليه خمارويه أموالاً جمّة وسار إلى الشام ، واجتمع بابن أبي الساج ببالِس ، ثم عبر ابن أبي الساج الفرات إلى الرقّة ، وهزم اسحق بن كَنداج ، واستولى على أعماله . وعبر خمارويه ونزل الرقّة ومضى إسحق إلى قلعة ماردين وحاصره ابن أبي الساج بها ، ثم أفرج عنها وسار إلى سِنْجَار لقتال بعض الأعراب فسار ابن كِنداج من ماردين إلى الموصل ، فاعترضه ابن أبي الساج ، وهزمه فعاد إلى ماردين ، واستولى ابن أبي الساج على الجزيرة والموصل ، وخطب فيهما لخمارويه ثم لنفسه بعد ، وبعث غلامه فتحاً إلى أعمال الموصل لجباية الخراج . وكان اليعقوبيّة من السّراة قريباً منه ، فهادنهم ، ثم

(١) استراباذ : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٣٤ .
(٢) الصحيح ان المعتمد توفي سنة تسع وسبعين ومائتين وليس تسع وتسعين كما يذكر ابن خلدون .
(٣) هو خمارويه بن احمد بن طولون .

غدر بهم فكسبهم ، وجاءهم أصحابهم من غير شعور بالواقعة ، فحملوا على أصحاب فتح فاستلحموهم . ثم انتقض ابن أبي الساج واستبيح عسكره . وكان له بحمص مخلف من أثقاله ، فقدّم خمارويه طائفة من العسكر إليها ، فاستولوا على ما فيها ، ومنعوا ابن أبي الساج من دخولها ، فسار إلى حلب ، ثم إلى الرقة وخمارويه في اتباعه ، فعبر الفرات إلى الموصل ، وجاء خمارويه إلى بَـلَد وأقام بها وسار ابن أبي الساج إلى الحُـدَيْـثَـة وكان اسحق بن كِنداج قد لحق بخمارويه من ماردين فبعث معه جيشاً وجماعة من القوّاد ، وسار في طلب ابن أبي الساج ، وقد عبر دجلة فجمع ابن كِنْدَاج السفن ليوطىء جسراً للعبور . وبينما هو في ذلك أسرى ابن أبي الساج من تكريت إلى الموصل ، فوصلها لرابعة وسار ابن كنداج في اتّباعه ، فاقتتلوا بظاهر الموصل وابن أبي الساج في ألفين ، فصبر واشتدّ القتال ، وانهزم ابن كنداج وهو في عشرين ألفاً . فخلص إلى الرقة ومحمد بن أبي الساج في اتباعه . وكتب إلى الموفّق يستأذنه في عبور الفرات إلى بلاد خمارويه بالشام ، فأمره بالتوقّف إلى وصول المَدَد من عنده ، ومضى ابن كنداج إلى خمارويه فجاء بجيوشه إلى الفرات ، وتوافق مع ابن أبي الساج والفرات بينهما . ثم عبرت طائفة من عسكر ابن كنداج فأوقعوا بطائفة من عسكر ابن أبي الساج فانهزموا إلى الرقّة ، فسار ابن أبي الساج عن الرقّة إلى بغداد سنة ست وسبعين في ربيع منها ، فأكرمه الموفّق ووصله واستولى ابن كنداج على ديار ربيعة من أعمال الجزيرة ، وأقام بها وولّى الموفق محمد بن أبي الساج على أذربيجان ، فسار إليها فخرج إليه عبدالله بن الحسين الهمذاني عامل مراغة ليصدّه فهزمه ابن أبي الساج فحاصره وأخذ منه مراغة سنة ثمان وسبعين وقتله . واستقرّ ابن أبي الساج في عمله بأذربيجان .

* (أخبار عمرو بن الليث) *

كان عمرو بن الليث بعد مهلك أخيه يعقوب قد ولّاه الموفّق خراسان وأصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد كما كان أخوه ، وقد ذكرنا ذلك قبل . وكان عامله على فارس ابن الليث فانتقض عليه سنة ثمان وستين فسار عمر ولحربه فهزمه واستباح عسكره ونهب أصطخر ثم ظَفِرَت جيوشه بمحمّد وأسره وحبسه بكرمان ، فأقام بها ثم بعث إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف وهو بأصبهان يطلبه

بالمال . فبعث إليه بالأموال ، وبعث عمرو إلى الموفق بثلثمائة ألف دينار ، وبخمسين مَنًّا من المِسْك ومثلها من العَنْبَر ومائتين من العود ، وثلثمائة ثوب من الوَشْي ومن آنية الذّهب والفِضّة والدواب والغلمان قيمة مائة ألف دينار . واستأذنه في غزو محمد ابن عبيد الكرديّ في رَامَهُرْمُز فأذن له ، فبعث قائداً من جيشه إليه فأسره وجاء به إلى عمرو ، ثم عزل المعتمد سنة إحدى وستين عمرو بن الليث عما كان قلّده من الأعمال ، وأدخل إليه الحاج من أهلها عند منصرفهم من مكة ، فأعلمهم بعزله ، وأنه قد ولّى على خراسان محمد بن طاهر ، وأمر بلعن عمرو على المنابر . وجهّز مُخَلّد ابن صاعد إلى فارس لحرب عمرو ، واستخلف محمد بن طاهر على خراسان رافع بن هرثمة ، وكتب المعتمد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف يأمره بقتاله ، وبعث إليه الجيوش فاقتتلوا مع عمرو ، وكان في خمسة عشر ألف مقاتل ، فانهزم عمرو وخرج قائده الديْلَمِيّ وقتل مائة من أعيانهم وأسر ثلاثة آلاف ، فاستأمن منهم وغنموا من عسكره ما لا يحصى . ثم زحف الموفّق سنة أربع وسبعين إلى فارس لحرب عمرو فأنفذ عمرو ابنه محمدا إلى أرّجان في العساكر ، وعلى مقدّمته أبو طلحة بن شُركَب وعبّاس بن إسحق إلى سيراف ، واستأمن أبو طلحة إلى الموفّق ففتّ ذلك في عضد عمرو ، وعاد إلى كَرْمَان واستراب الموفّق بأبي طلحة فقبض عليه قريباً من شيراز ، وجعل ماله لابنه أبي العبّاس المعتضد ، وسار في طلب عمرو ، فخرج من كرمان إلى سِجِسْتَان ومات ابنه محمد بالمفازة ، ورجع عنه الموفّق وسار رافع بن الليث من خراسان وغلب محمد بن زيد على طبرستان كما قدّمناه ،(وقَدِم عليه هنالك عليّ بن الليث هو وابناه المعدَّل والليث بن حسن أخيه عليّ بكرمان ثم قتله رافع سنة ثمان وستين)[1] .

* (مسير الموفق الى اصبهان والجبل) *

كان كاتب أتوتكين[2] أنهى إلى المعتضد أن له مالاً عظيماً ببلاد الجبل فتوجّه لذلك فلم يجد شيئاً ثم سار إلى الكَرَخ ثم إلى أصبهان يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف

(١) المعني غير واضح والعبارة مشوشة ويذكر ابن الاثير في احداث ٢٧٨ : «وفيها قُتل علي بن الليث أخو الصفّار. قتله رافع بن هرثمة ، وكان قد حنق به ، وترك أخاه» . والمعدل والليث هما إبنا عليّ بن الليث .

(٢) اذكوتكين : وقد مرّ ذكره من قبل .

فتنحّى أحمد عن البلد بعسكره ، وترك داره بفرشها لنزل الموفّق عند قدومه . ثم رجع الموفق إلى بغداد .

* (قبض الموفق على ابنه أبي العبّاس المعتضد ثم وفاته وقيام ابنه أبي العباس بالامر بعده) *

كان الموفّق بعد رجوعه من أصبهان نزل واسط ، ثم عاد إلى بغداد وترك المعتمد بالمدائن ، وأمر ابنه أبا العبّاس وهو المعتضد بالمسير إلى بعض الوجوه فأبى . فأمر بحبسه ، ووكّل به . وركب القوّاد من أصحابه واضطربت بغداد فركب الموفّق إلى الميدان وسكّن الناس ، وقال : إني احتجت إلى تقويم ابني فقوّمته . فانصرف الناس وذلك سنة ست وسبعين. وكان عند منصرفه من الجبل قد اشتدّ به وجع النِّقرس ولم يقدر على الركوب ، فكان يُحمل في المحفّة ، ووصل إلى داره في صفر من سنة سبع ، وطال مرضه وبعث كاتبه أبا الصقر ابن بلبل إلى الميدان . فجاء بالمعتمد وأولاده وأنزله بداره ، ولم يأت دار الموفّق ، فارتاب الأولياء لذلك . وعمد غلمان أبي العبّاس فكسروا الأقفال المغلقة عليه وأخرجوه وأقعدوه عند رأس أبيه وهو يجود بنفسه . فلما فتح عينه قرّبه وأدناه وجمع أبو الصقر عنده القواد والجند . ثم تسامع الناس أنّ الموفّق حيّ ، فتسلّلوا عن أبي الصقر وأوّلهم محمد بن أبي الساج . فلم يسع أبا الصقر إلا الحضور بدار الموفّق ، فحضر هو وابنه وأشاع أعداء أبي الصقر أنه هرب بمال الموفّق إلى المعتمد ، فنهبوا داره ، وأخرجت نساؤه حفاة عراة . ونهب ما يجاوره من الدور ، وفتقت السجون ، ثم خلع الموفق على ابنه أبي العبّاس وأبي الصقر . وركب إلى منزلها وولّى أبو العبّاس غلامه بدار الشرطة . ثم مات لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ودفن بالرصافة . واجتمع القوّاد فبايعوا إبنه أبا العبّاس المُعْتَضد بالله . واجتمع عليه أصحاب أبيه ، ثم قبض المعتضد على أبي الصقر ابن بلبل وأصحابه . وانتهبت منازلهم ، وولّى عبدالله بن سليمان بن وهب الوزارة ، وبعث محمد بن أبي الساج إلى واسِط ليردّ غلامه وصيفاً إلى بغداد فأبى وصيف وسار إلى السوس فأقام بها .

* (ابتداء أمر القرامطة) *

كان ابتداء أمرهم فيما زعموا أنّ رجلاً ظهر بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين ومائتين يتّسم بالزهد ، وكان يدعى قُرْمُط يقال لركوبه على ثور كان صاحبه يدعى كَرْمَيْطَة فعُرِبَ وقيل بل إسمه حمدان ولقبه قرمط . يقال وزعم أنه داعية لأهل البيت للمُنْتَظَرِ منهم واتّبعه العبّاس فقبض عليه الهَيْصَم عامل الكوفة وحبسه ، ففرّ من حبسه وزعم أنّ الإغلاق لا يمنعه . ثم زعم أنه الذي بشّر به أحمد بن محمد ابن الحنفية ، وجاء بكتاب تناقله القَرَامِطَة فيه بعد البسملة : يقول الفرج بن عثمان من قرية نَصْرَانه أنه داعية المسيح وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهديّ ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفيّة ، وهو جبريل . وإنّ المسيح تصوّر له في جسم إنسان فقال له إنك الداعية وإنك الحجة وإنك الناقة وإنك الدابة وإنك يحيى بن زكريا وإنك روح القدس ، وعرّفه أنّ الصلاة أربع ركعات قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ، وأنّ الأذان بالتكبير في افتتاحه وشهادة التوحيد مرّتين ، ثم شهادة بالرسالة لآدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم عيسى ثم محمّد صلوات الله عليهم ، ثم لأحمد بن محمد بن الحنفية ويقرأ الاستفتاح في كل ركعة وهو من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة بيت المَقْدِس والجمعة يوم الأثنين ، ولا يعمل فيه شيء . والسورة التي تقرأ فيها : الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المُنْجِد لأوليائه بأوليائه ، قل إنّ الأهِلّة مواقيت للناس ، ظاهرها لِيُعْلَمَ عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرّفوا عبادي سبيلي ، إتقوني يا أولى الألباب ، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومِحْنَتي واختباري ألقيته في جنّتي وفي نعمتي ، ومن زال عن أمري وكذّب رُسُلي أخلدته مُهاناً في عذابي وأتممت أَجَلِي وأظهرت على ألسنة رُسُلي . فأنا الذي لم يعلُ جبار إلا وضعته وأذللته ، فبئس الذي أَصرّ على أمره ، ودام على جهالته . وقال : لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين أولئك هم الكافرون . ثم يركع ويقول في ركوعه : مرّتين سبحان ربي وربّ العزة وتعالى عما يَصِفُ الظالمون ، وفي سجوده الله أعلى مرّتين ، الله أعظم مرّة ، والصوم مشروع يوم المهرجان ، والنّيروز . والنبيذ حرام والخمر حلال ، والغسل من الجنابة كالوضوء . ولا يؤكل ذوناب ولا ذو مخالب ، ومن خالفهم

وحارب وجب قتله ، وإن لم يحارب أخذت منه الجزية انتهى إلى غير ذلك من دعاوى شنيعة متعارضة يهدم بعضها بعضاً ، وتشهد عليهم بالكذب ، وهذا الفرج ابن يحيى الذي ذكر هذا أوّل الكتاب أنه داعية القرامطة يلقّب عندهم ذِكْرَوَيْه بن مَهْرَوَيْه . ويقال إنّ ظهور هذا الرجل كان قبل مقتل صاحب الزنج ، وإنه سار إليه على الأمان ، وقال له : إنّ ورائي مائة سيف ، فتعال نتناظر فلعلّنا نتفق ونتعاون . ثم تناظرا فاختلفا وانصرف قُرْمُط عنه ، وكان يسمّي نفسه القائم بالحق . وزعم بعض الناس أنه كان يرى رأي الأزارقة من الخوارج .

* (فتنة طرسوس) *

قد تقدّم لنا انتقاض بازمان[1] بطرسوس على مولاه أحمد بن طولون ، وأنه حاصره فامتنع عليه ، وأنه راجع بعد طاعة ابنه خمارويه مما حمل إليه من الأموال والأمتعة والسلاح ، فاستقام أمره بطرسوس مدّة ، وغزا سنة ثمان وسبعين بالصائفة مع أحمد الجُعِفّي[2] وحاصروا اسْكَنْدَا فأصيب بحجر منجنيق ، فرجع وهلك في طريقه ودفن بطرسوس . وكان استخلف ابن عجيف فأقرّه خمارويه وأمدّه بالخيل والسلاح والمال ، ثم عزله واستعمل عليها ابن عمه ابن محمد بن موسى بن طولون . ولما توفي الموفّق نزع خادم من خواصه إسمه راغب إلى الشكّ ، وطلب المقام بالثغر للجهاد ، فأذن له المعتضد ، فسار إلى طرسوس وحطّ أثقاله بها وسار إلى لقاء خمارويه بدمشق فأكرمه واستجلب أُنْسَه ، فطال مقامه وألهم أصحابه بطرسوس أنه قبض عليه ، فأوصلوا أهل البلد في ذلك ، فوثبوا بأميرهم محمد بن موسى حتى يطلق لهم راغب ، وبلغ الخبر إلى خمارويه فأطلقه فجاء إليهم ووبّخهم على فعلهم ، فأطلقوا محمد بن موسى وسار عنهم إلى بيت المقدس فأعادوا ابن عجيف إلى ولايته .

* (فتنة أهل الموصل مع الخوارج) *

قد تقدّم لنا أنّ هرون بن سليمان كان على الشَرَاة من الخوارج ، وكان بنو شيبان يقاتلونهم ويَغِيرون على الموصل . فلما كانت سنة تسع وسبعين جاء بنو شيبان لذلك وأغاروا على نِينَوَى وغيرها من الأعمال ، فاجتمع هرون الشاربي في الخوارج وحمدان

(١) هو بازمار الخادم وقد مرّ معنا من قبل .
(٢) العجيفي : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٥٠ .

ابن حمدون التَغلبي على مدافعتهم . وكان مع بني شيبان هرون بن سيما مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيبانيّ ، بعثه محمد بن اسحق بن كِنْدَاجِق والياً على الموصل عندما مات أبوه اسحق ، وولّى مكانه على أعماله بالموصل وديار ربيعة فلم يَرْضَهُ أهل الموصل وطردوه ، فسار إلى بني شيبان مستنجداً بهم ، فلما التقى الجمعان إنهزم بنو شيبان أوّلاً واشتغل أصحاب حمدان والخوارج بالنهب ، فكرّ عليهم بنو شيبان وظفروا بهم . وكتب هرون بن سيما إلى محمد بن اسحق بن كُنْدَاجق يستمدّه فسار بنفسه ، وخشيه أهل الموصل فسار بعضهم إلى بغداد يطلبون عاملاً يكفيهم أمر ابن كِنْداجِق ، ومرّوا في طريقهم بمحمد بن يحيى المجروح الموكّل بحفظ الطريق فألْفَوْه وقد وصل إليه بولاية العهد الموصل ، فبادر وملكها ، وتواثق ابن كِنْدَاجِق في مكانه ، وبعث إلى خمارويه بالهدية ، ويسأل إمارة الموصل كما كان من قبل ، فلم يجبه إلى ذلك ، ثم عزل المجروح وولّى بعده عليّ بن داود الكردي .

* (الصوائف أيام المعتمد) *

وصل الخبر في سنة سبع وخمسين بأنّ ملك الروم بالقسطنطينية ميخاييل بن روفيل وثب عليه قريبه مسك ، ويعرف بالصقلي[1] فقتله لأربع وعشرين سنة من ملكه ، وملك مكانه . وفي سنة تسع وخمسين خرجت عساكر الروم فنازلوا سُمَيْسَاط ثم نازلوا مليطة[2] وقاتلهم أهلها فانهزموا ، وقتل بَطْرِيق من بطارقتهم . وفي سنة ثلاث وستين استولى الروم على قلعة الصقالبة ، وكانت ثغراً لطرسوس وتسمّى قلعة كركرة[3] فردّ المعتمد ولاية ثغر طرسوس لابن طولون ، وكان أحمد بن طولون قد خطب ولايتها من الموفّق يريد أن يجعلها ركابا لجهاده لخبرته بأحوالها . وكان يردّد الغزو من طرسوس إلى بلاد الروم قبل ولاية مِصْر ، فلم يجبه الموفّق ، وولّى عليها الموفّق محمد بن هرون التغلبيّ ، واعترضه الشُرَاة أصحاب مساور وهو مسافر في دجلة فقتلوه ، فولّى مكانه أماجور بن أولغ بن طرخان من التُرْك ، فسار إليها وكان غِرًّا جاهلاً ، فأساء السيرة ومنع أقران أهل كَرْكَرَة ميرتهم ، وكتبوا إلى أهل طرسوس يشكون فجمعوا لهم خمسة عشر ألف دينار فأخذها أماجور لنفسه . وأبطأ على أهل القلعة شأنها . فنزلوا

(١) بسيل المعروف بالصقلبيّ : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٤٨ .
(٢) هي مَلَطْيَة : المرجع السابق .
(٣) لؤلؤة : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٠٩ .

عنها وأعطوها الروم ، وكثر أسف أهل طرسوس لذلك بما كانت ثغرهم وعيناً لهم على العدوّ ، وبلغ ذلك المعتمد ، فكتب لأحمد بن طولون بولايتها وفوّض إليه أمر الثغور ، فوليها واستعمل فيها من يحفظ الثغر ويقيم الجهاد ، وقارن ذلك وفاة أماجور عامل دمشق ، وملك ابن طولون الشام جميعها كما ذكرناه قبل . وفي سنة أربع وستين غزا بالصائفة عبدالله بن رشيد بن كاوس في أربعين ألفاً من أهل الثغور الشامية ، فأثخن فيهم وغنم ورجع ، فلما رحل عن البَدَنْدُون خرج عليه بَطْرِيقُ سَلوقِيَة ، وقُرّة كَوكَب وحرسيه[1] ، وأحاطوا بالمسلمين فاستمات المسلمون واستلحمهم الروم بالقتل ، ونجا فلّهم إلى الثغر ، وأسر عبدالله بن كاوس وحمل إلى القسطنطينية وفي سنة خمس وستين خرج خمسة من بطارقة الروم إلى أَذَنَة فقتلوا وأسروا والي الثغور أوخرد[2] فعزل عنها وأقام مرابطاً ، وبعث ملك الروم بعبدالله بن كاوس ومن معه من الأسرى إلى أحمد بن طولون ، وأهدى إليه عدّة مصاحف . وفي سنة ست وستين لقي أسطول المسلمين أسطول الروم عند صقيلة[3] فظفر الروم بهم . ولحق من سلم منهم بصقيلة ، وفيها خرجت الروم على ديار ربيعة ، واستنفر الناس ففرّوا ولم يطيقوا دخول الدرب لشدّة البرد فيها . وغزا عامل ابن طولون على الثغور الشامية في ثلثمائة من أهل طرسوس واعترضهم أربعة آلاف من الروم من بلاد هِرَقل . فنال المسلمون منهم أعظم النيل . وفي سنة ثمان وستين خرج ملك الروم . وفيها غزا بالصائفة خلف الفَرْغَانِيّ عامل ابن طولون على الثغور الشامية فأثخن ورجع . وفي سنة سبعين زحف الروم في مائة ألف ونزلوا قَلَمْيَة على ستة أميال من طرسوس . فخرج إليهم بازيار[4] فهزمهم وقتل منهم سبعين ألفاً وجماعة من البطارقة . وقتل مقدّمهم بطريق البطارقة ، وغنم منهم سبع صلبان ذهباً وفضّة ، وكان أعظمها مكَلّلاً بالجواهر . وغنم خمسة عشر ألف دابة ، ومن السروج والسيوف مثل ذلك . وأربع كراسي من ذهب ، ومائتين من فضّة وعشرين علماً من الديباج وآنية كثيرة . وفي سنة ثلاث وسبعين غزا بالصائفة بازيار وتوغّل في أرض الروم وقتل وغنم وأسر وسبى وعاد إلى طرسوس . وفي سنة ثمان وسبعين دخل أحمد الجعفي[5] طرسوس وغزا مع بازيار

---

(١) خرشنة : ابن الاثير ج ٧ ص ٣١٢ .

(٢) أرجوز : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٢٧ .

(٣) هي صقليّة .

(٤) بازمار : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٠٦ .

(٥) احمد الجعيفي : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٤٩ .

بالصائفة ونازلوا إسكندا[١] فأصيب بازيار عليها بحجر منجنيق فرجع ومات في طريقه ودفن بطرسوس .

* (الولايات بالنواحي أيام المعتز) *

كانت الفتنة قد ملأت نواحي الدولة من أطرافها وأوساطها واستولى بنو سامان على ما وراء النهر ، والصفّار على سِجِسْتَان وكَرْمَان وملك فارس من يد عمّال الخليفة ، وانتزع خراسان من بني طاهر وكلّهم مع ذلك يقيمون دعوة الخليفة . وغلب الحسن بن زيد على طبرستان وجرجان مُنَازِعاً بالدعوة ومحارباً بالدَيْلَم لابن سامان والصفّار ، وعساكر الخليفة بأصبهان ، واستولى صاحب الزنج على البصرة والأُبُلَّة إلى واسِط وكور دجلة منازعاً للدعوة ومُشاققاً ، وأضرم تلك النواحي فتنةً . ولم يزل الموفّق في محاربته حتى حسم علّته وقطع أثره واضطرمت بلاد الموصل والجزيرة فتنة بخوارج السراة[٢] وبالقرب من بني شيبان وتغلب بالأكراد ، واستولى ابن طولون على مِصْر والشام مقيماً لدعوة الخلافة العبّاسيّة ، وابن الأغلب بأفريقية كذلك . وأمّا المغرب الأقصى والأندلس فاقْتُطِعا عن المملكة العبّاسيّة منذ أزمان كما قلنا ، ولم يكن للمُعْتَمِد مدّة خلافته كلّها حكم ولا أمر ونهيٌ ، إنما كان مغلباً لأخيه الموفّق وتحت استبداده ، ولم يكن لهما جميعاً كبير ولاية في النواحي باستيلاء من استولى عليها ممن ذكرناه إلاّ بعض الأجناس ، فلنذكر ما وصل إلينا من هذه الولايات أيام المعتمد ، فلأوّل ولايته استوزر عبيدالله بن يحيى بن خاقان وبعث جَعْلان لحرب الزنج بالبصرة فكان أمره معهم كما مرّ . ثم ولّى عيسى بن الشيخ من بني شيبان على دمشق فاستأثر بها ومنع الخراج ، وجاءه حسين الخادم من بغداد يطلب المال فاعتذر بأنه أنفقه على الجند ، فكتب له المعتمد عهده في أرمينية ليقيم بها دعوته وقلّد أماجور دمشق وأعمالها فسار إليها ، وأنفذ عيسى بن الشيخ ابنه منصوراً لقتال أماجور في عشرين ألفاً ، فانهزموا وقتل منصور وسار عيسى إلى أرمينية على طريق الساحل ودخل أماجور دمشق . وفي سنة ست وخمسين سار موسى بن بغا لحرب مساور الخارجي فلقيه (ساحة جائعين)[٣] فنال الخوارج منهم . وفيها كان وثوب محمد بن واصل بن

---

(١) شكند : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٤٩ .
(٢) هم الشراة وهي فرقة من الخوارج وقد مرّت سابقاً عدة مرات باسم السراة .
(٣) هي ناحية خانقين .

ابراهيم التميمي على الحرث بن سيما عامل فارس ، فقتله وغلب عليها كما مرّ . وفيها غلب الحسن بن زيد الطالبيّ على الريّ فسار إليها موسى بن بغا وغلب على عساكر الحسن ، وظهر عليّ بن زيد بالكوفة وملكها ، وبعث المعتمد لمحاربته كيجور التركيّ فخرج عنها إلى القادسية ، ثم إلى ختان[1] ثم إلى بلاد بني أسد . وغزاه كيجور من الكوفة فأوقع به وعاد إلى الكوفة ، ثم إلى سرّ من رأى . وفي سنة سبع وخمسين عقد المعتمد لأخيه الموفق على الكوفة والحرمين واليمن ثم على بغداد والسواد إلى البصرة والأهواز وأمره أن يعقد ليارجوج[2] على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد الحاجب . وعقد يارجوج على ذلك لمنصور بن جعفر الخيّاط ونزل الأهواز ثم عقد المعتمد حرب الزنج بالبصرة لأحمد بن المولّد ، فسار إليها وقاتل الزنج . وكان بالبطائح سعيد بن أحمد الباهليّ متغلبّاً عليها فأخذه ابن المولّد وبعث به إلى سامرّا . وفيها تغلّب يعقوب الصفّار على فارس وبعض أعمال خراسان ، وولاّه المعتمد ما غلب عليها[3] وفيها غلب الحسن بن زيد على خراسان ، وانتقضت على ابن طاهر أعمال خراسان ، وفيها اقتطع المعتمد مِصْر وأعمالها ليارجوج التركي فولّى عليها أحمد بن طولون ، ومات يارجوج لسنة بعدها فاستبدّ ابن طولون بها ، وكان عبد العزيز بن أبي دُلَف على الريّ ، فخرج عليها خوفاً من جيوش ابن زيد صاحب طبرستان ، فبعث الحسنُ من قرابته القاسم بن عليّ القاسم ، فأساء فيها السيرة . وفي سنة ثمان وخمسين قتل منصور بن جعفر الخيّاط في حرب الزنج ، ووليَ يارجوج على أعمال منصور ، فولّى عليها أصطيخور ، وهلك في حرب الزنج ، وعقد المعتمد للموفّق على ديار مصر وقِنّسْرين والعواصم . وبعثه لحرب الزنج ومعه مُفْلِح فهلك في تلك الحرب . وعقد المعتمد على الموصل والجزيرة لمسرور البلخيّ فكانت بينه وبين مساور الشيباني حروب وكذلك بين الأكراد واليعقوبية ، وأوقع بهم كما مرّ . وفيها رجع أحمد بن واصل إلى طاعة السلطان وسلّم فارس للحسن بن الفيّاض . وفي سنة تسع وخمسين كان مهلك أصطيخور بالأهواز ، فأمر المعتمد موسى بن بُغا بالمسير

---

(١) خفان : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٣٩ .

(٢) ياركوج : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٤١ .

(٣) بياض بالأصل وفي الكامل ج ٧ ص ٢٤٧ : «وفي هذه السنة — ٢٥٧ — سار يعقوب بن الليث إلى فارس ، فارسل اليه المعتمد ينكر ذلك عليه ، فكتب اليه الموفق بولاية بَلْخ . وطخارستان . وسجستان . . السند فقبل ذلك وعاد ، وسار الى بلخ وطخارستان . . .»

لحرب الزنج كما مرّ . وفيها ملك يعقوب الصفّار خراسان وقبض على محمد بن طاهر ، وكان لمنكجور على الكوفة ، فسار عنها إلى سامرّا بغير إذن ، وأمر بالرجوع فأبى ، فبعث المعتمد عدّة من القوّاد فلقوه بعَكبَر فقتلوه وحملوا رأسه . وفيها غلب الحسن بن زيد على قوْمِس وملكها ، وكانت وقعة بين محمد بن الفضل بن نيسان وبين دَهْشُودان ابن حسّان الديْلَميّ فهزمه محمد ، وفيها غلب شُركُب الحمّال على مرو ونواحيها . وفي سنة ستين أقام يعقوب بن الصفّار الحسن بن زيد فهزمه وملك طبرستان كما مرّ . وأخرج أهل الموصل عاملهم أتكو تكين بن أساتكين ، فبعث عليهم أساتكين إسحق ابن أيّوب في عشرين ألفاً ومعه حمدان بن حمدون الثعلبي فامتنع أهل الموصل منهم وولّوا عليهم يحيى بن سليمان ، فاستولى عليها . وفيها قتلت الأعراب منجور والى حِمْص فولّى بكتر ، وولّي على أذربيجان الرذيني عمر بن عليّ لما بلغه أنّ عاملها العلاء بن أحمد الأزدي فُلج ، فلما أتى الرذيني حاربه العلاء فانهزم وقتل ، واستولى الرذيني على مخلّفه قريباً من ألفي ألف وسبعمائة ألف درهم . وفيها سار عليّ بن زيد القائد بالكوفة إلى صاحب الزنج فقتله . وفي سنة إحدى وستين عقد المعتمد لموسى بن بغا على الأهواز والبصرة والبحرين واليمامة ، مضافاً لما بيده . فولاّها موسى عبد الرحمن بن مُفْلِح وبعثه لحرب ابن واصل ، فهزمه ابن واصل وأسره كما مرّ ، ورأى موسى بن بُغا اضطراب تلك الناحية ، فاستعفى منها وَوَليَها أبو الساج ، وملك الزنج الأهواز من يده ، فصرف عن ولايتها ووليها ابراهيم بن سيما وولي محمد بن أوس البَلْخِيّ طريق خراسان . ثم جاء الصفّار إلى فارس ، فغلب عليها ابن واصل كما مرّ ، فجهّز المعتمد أخاه الموفّق إلى البصرة بعد أن ولاّه المعتمد عهده بعد ابنه جعفر كما ذكرناه . وبعث الموفّق ابنه أبا العبّاس لحرب الزنج فتقدّما بين يديه ، وفيها فارق محمد بن زيد ولاية يعقوب الصفّار ، وسار ابن أبي الساج إلى الأهواز وطلب أن يوجّه الحسين بن طاهر بن عبدالله بن طاهر إلى خراسان ، وفيها استبدّ نصر بن أحمد بن سامان بسَمَرْقَنْد وما وراء النهر ، وولّى أخاه اسمعيل بخارى وفيها ولّى المعتمد على الموصل الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطّاب ، وفيها رجع الحسين بن زيد الى طبرستان وأخرج منها أصحاب الصفّار ، وأحرق سالوس لممالأة أهلها الصفّار وأقطع ضياعهم للديْلَم ، وفيها نادى المعتمد في حاج خراسان والريّ وطبرستان وجرجان بالنكير على ما فعله الصفّار في خراسان وابن طاهر ، وانه لم يكن عن أمره ولا ولاّه .

وفيها قتل مساور الشاربي يحيى ابن جعفر من ولاة خراسان . فسار مسرور البَلْخِيّ في طلبه والموفق من ورائه . وفي سنة إثنتين وستين كانت الحرب بين الموفّق والصفّار . واستولى الزنج على البطيحة ودسيميسان[١] وولّى على الأهواز كما ذكرنا . وبعث مسرور البلخي أحمد بن ليتونة[٢] لحربهم كما مرّ . وفيها ثار أحمد بن عبدالله الخجستاني في خراسان بدعوة بني طاهر . وغلب عليها الصفّار إلى أن قتل كما مرّ ذكره . وفيها وقعت مغاضبة بين الموفّق وابن طولون فبعث إليه الموفق موسى بن بُغا فأقام بالقّة حولاً ، وعجز عن المسير لقلّة الأموال فرجع إلى العراق . وفيها انصرف عامل الموصل وهو القطّان صاحب مُفْلِح فقتله الأعراب بالبريّة . وفي سنة ثلاث وستين استولى الصفّار على الأهواز . ومات مساور الشاربي[٣] وهو قاصد لقاء العساكر السلطانية بالتواريخ[٤] . فولّى الخوارج مكانه هرون بن عبدالله البَلْخِيّ . فاستولى على الموصل . وفيها ظفر أصحاب الصفّار بابن واصل . وفيها هزم ابن أوس من طريق خراسان وعاد إلى الموصل . وفيها ظفر أصحاب الصفّار بابن واصِل وأسروه ، ومات عبيدالله بن يحيى بن خاقان وزير المعتمد فاستوزر مكانه الحسن بن مُخلّد ، وكان موسى بن بغا غائباً في غزو العرب . فلما قدم خافه الحسين[٥] وتغيّب ، فاستوزر مكانه سليمان بن وَهْب وفيها غلب أخو شُركَب الحمّال على نيسابور وخرج عنها الحسين بن طاهر إلى مَرْو وبها خوارزم شاه يدعو لأخيه محمد . وفيها ملك صاحب الزنج مدينة واسِط وقاتله دونها محمد بن المولّد فهزمه ودخلها واستباحها . وفيها قبض المعتمد على وزيره سليمان بن وهب وولّى مكانه الحسن بن مُخلّد ، وجاء الموفّق مع عبدالله بن سليمان شفيعاً فلم يشفعه . فتحوّل إلى الجانب الغربي مغاضباً واختلفت الرسل بينه وبين المعتمد . وكان مع الموفّق مسرور كيغلغ وأحمد بن موسى بن بُغا . ثم أطلق سليمان ودعا إلى الجوسق وهرب محمد بن صالح ابن شيرزاده والقوّاد الذين كانوا بسامرّا مع المعتمد خوفاً من الموفّق . فوصلوا إلى الموصل وكتب الموفّق لأحمد بن أبي الأصبغ في قبض أموالهم . وفيها مات أماجور

---

(١) دست مَيْسان : ابن الاثير ج ٧ ص ٢٩٢ .
(٢) احمد بن ليثويه : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٢٢ .
(٣) مساور الشاري وقد مرّ ذكره من قبل .
(٤) البوازيج : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٠٩ .
(٥) حسب مقتضى السياق الحسن .

عامل دمشق وملك ابن طولون الشام وطرسوس وقتل عاملها سيما . وفي سنة خمس وستين ولي مسرور البلخيّ على الاهواز ، وهزم الزنج . وفيها مات يعقوب الصفّار وقام بأمرِه أخوه عُمَر ، ولاّه الموفّق مكان أخيه بخراسان وأصبهان وسِجِسْتَان والسِنّد وكَرْمان والشّرطة ببغداد . وفيها وثب القاسم بن مهان[1] بدُلَف ابن عبد العزيز بن أبي دُلَف بأصبهان ، فوثب جماعة من أصحاب دُلَف بالقاسم فقتلوه . فوَلِيَ أصبهان أحمد بن عبد العزيز أخو دُلَف ، وفيها لحق محمد بن المولّد بيعقوب الصفّار وقبضت أمواله وعقاره ببغداد . وفيها حبس الموفّق سليمان بن وهب وابنه عبدالله وصادرهما على تسعمائة ألف دينار ، وفيها ذهب موسى بن أتامشّ واسحق بن كِنْداجِق والفضل بن موسى بن بغا مغاضبين ، وبعث الموفّق في أثرهم صاعد بن مخلّد فردّهم من صَرْصَرْ وفيها استوزر الموفّق أبا الصقر إسمعيل بن بُلْبُل . وفي سنة ست وستين ملك الزنج رَامَهُرْمُز وغلب أساتكين على الريّ وأخرج عنها عاملها فطلقت[2] . ثم مضى إلى قزوين وبها أخوه كيغلغ فصالحه ملكها . وفيها ولّى علي بن الليث على الشرطة ببغداد عبيدالله بن عبدالله طاهر . وعلى أصبهان أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف ، وعلى الحرمين وطريق مكة محمد بن أبي الساج ، وولّى الموفق على الجزيرة أحمد بن موسى بن بُغا فولّى من قبله على ديار ربيعة موسى بن أتامش ، فغضب لذلك إسحق ابن كِنْدَاجِق وفارق عسكر موسى ، وسار إلى بَلَد ، وأوقع بالأكراد اليعقوبيّة ، ثم لقي ابن مساور الخارجيّ فقاتله وسار إلى الموصل ، وطلب من أهلها المال ، وخرج على ابن داود لقتاله مع إسحق بن أيّوب وحمدان بن حمدون ، وكانت بينهم حروب أخرها المعتمد لإسحق بن كِنْدَاجِق على الموصل ، وقد مرّ ذلك من قبل . وفيها قتل أهل حمص عاملها عيسى الكرخيّ . وفيها كانت بين لؤلؤ غلام ابن طولون وبين موسى بن أتامش وقعة برأس عين ، وأسره لؤلؤ وبعث به إلى الرقّة ، ثم لقيه أحمد بن موسى فاقتتلوا ، وغلب أحمد أوّلاً ثم كرّ لؤلؤ فغلبهم وانتهوا إلى قرقيسيا . ثم ساروا إلى بغداد وسامرّا . وفيها أوقع أحمد بن عبد العزيز ببكتم[3] فانهزم ولحق ببغداد وأوقع الخجستاني بالحسن بن زيد بجرجان فلحق بآمد ، وملك الخجستاني جرجان وأقطعه من طبرستان واستخلف على سارية الحسن ابن محمد بن جعفر بن عبدالله العقيقي بن

(١) القاسم بن مهاة : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٢٧ .
(٢) اسم العامل خطلنخجور كما في الكامل ج ٧ ص ٣٣٢ .
(٣) بكتمر : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٣٥ .

حسين الأصفر بن زين العابدين ، فلما انهزم الحسن بن زيد أظهر الحسن بن محمد أنه قتل ، ودعا لنفسه وحاربه الحسن بن زيد فظفر به وقتله . وفيها ملك الخجستاني نَيْسَابور من يد عامل ابن عمرو بن الليث . وفيها في صفر زحف الموفّق لقتال صاحب الزنج ، فلم يزل يحاصره حتى اقتحم عليه مدينته وقتله منتصف سنة سبعين . وفيها كانت الحرب بالمدينة بين بني حسن وبني جعفر . وفي سنة سبع وستين كانت الفتنة بالموصل بين الخوارج . وفيها حبس السلطان محمد بن عبدالله بن طاهر وجماعة من بيته ، اتهمه عمرو بن الليث بممالأة الخجستاني والحسين بن طاهر أخيه ، فكتب إلى المعتمد وحبسه . وفيها كانت بين كيقلغ [1] التركي وأحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف ، وانهزم أحمد وملك كيقلغ همذان ، فزحف إليه أحمد بن عبد العزيز فهزمه ، وملك همذان . وسار كيقلغ إلى الصحيرة [2] . وفيها أزال الخجستاني ذكر محمد بن طاهر من المنابر ودعا لنفسه بعد المعتمد ، وضرب السكة باسمه ، وجاء يريد العراق فانتهى إلى الريّ . ثم رجع وفيها أوقع أصحاب أبي الساج بالهيثم العِجْلِيّ صاحب الكوفة ، وغنموا عسكره . وفيها أوقع أبو العباس بن الموفّق بالأعراب الذين كانوا يجلبون الميرة بالزنج من بين تميم وغيرهم . وفي سنة ثمان وستين كان مقتل الخجستاني و[3] أصحابه بعده على رافع بن هرثمة من قوّاد بني طاهر وملك بلاد خراسان وخوارزم ، وفيها انتقض محمد بن الليث بفارس على أخيه عمرو ، فسار إليه وهزمه واستباح عسكره ، وملك أصطيخور [4] وشيراز وظفر به ، فحبسه كما مرّ . وفيها كانت وقعة بين أتكوتكين [5] بن أساتكين وبين أحمد بن عبد العزيز ابن أبي دُلَفْ فهزمه اتكوتكين وغلبه على قمّ . وفيها بعث عمرو بن الليث عسكراً إلى محمد بن عبدالله الكرديّ . وفيها انتقض لؤلؤ على مولاه أحمد بن طولون ، وسار إلى الموفّق وقاتل معه الزنج . وفيها سار المعتمد إلى ابن طولون بمصر مغاضباً لأخيه الموفّق ، وكتب الموفّق إلى إسحق بن كِنْدَاجِق بالموصل بردّه ، فسار معه إلى آخر عمله ، ثم

---

(١) تردد هذا الاسم مرات عديدة وفي الكامل كيغلغ : ج ٧ ص ٣٦١ .

(٢) الصَّيْمَرَة : ابن الاثير ج ٧ ص ٣٦٢ .

(٣) بياض بالاصل وفي الكامل ج ٧ ص ٣٧٢ : «وفيها قتل احمد بن عبدالله الخجستاني في ذي الحجة ، قتله غلام له» .

(٤) هي مدينة اصطخر .

(٥) اسمه أذكوتكين وقد مرّ معنا في السابق .

قبض على القوّاد الذين معه ، وردّه إلى سامرّا . وفيها وثب العامة ببغداد بأميرهم الخَلَنْجِيّ وكان كاتب عبيدالله بن طاهر ، وقتل غلام له امرأة بسهم ، فلم يَعْدِهِم عليه ، فوثبوا به وقتلوا من أصحابه ونهبوا منزله وخرج هارباً ، فركب محمد بن عبدالله واستردّ من العامة ما نهبوه . وفيها وثب بطرسوس خلق من أصحاب ابن طولون وعامله على الثغور الشامية ، فاستنقذه أهل طرسوس من يده ، وزحف إليهم ابن طولون فامتنعوا عليه ، ورجع إلى حِمْص ، ثم إلى دمشق . وفيها كانت وقعة بين العلويّين والجعفريّين بالحجاز ، فقتل ثمانية من الجعفريين وخلّصوا عامل المدينة من أيديهم . وفيها عقد هرون بن الموفّق لأبي الساج على الأنبار والرَحْبَة وطريق الفرات ، وولّى محمد بن أحمد على الكوفة وسوادها ودافعه عنها محمد بن الهيثم فهزمه محمد ودخلها . وفيها مات عيسى بن الشيخ الشيباني عامل أرمينية وديار بكر . وفيها عظمت الفتنة بين الموفّق وابن طولون ، فحمل المعتمد على لعنه وعزله ، وولّى اسحق بن كِنْدَاجِق على أعماله إلى أفريقية ، وعلى شرطة الخاصّة . وقطع ابن طولون الخطبة للموفق وإسمه من الطرر[1] وفيها ملك ابن طولون الرَحْبَة بعد مقاتلة أهلها ، وهرب أحمد بن مالك بن طوق إلى الشام ، ثم سار إلى ابن الشمّاخ بقَرْقِيسْيا . وفي سنة سبعين كان مقتل صاحب الزنج وانقراض دعوته ، ووفاة الحسن بن زيد العلويّ صاحب طَبَرِسْتَان ، وقيام أخيه محمّد بأمره ، ووفاة أحمد بن طولون صاحب مِصْر وولاية ابنه خُمَارَوَيْه ومسير إسحق بن كِنْدَاجِق بابن دَعَامس عامل الرقّة والثغور والعواصِم لابن طولون . وفي سنة إحدى وسبعين ثار بالمدينة محمد وعليّ إبنا الحسن بن جعفر بن موسى الكاظِم وقتلا جماعة من أهلها ، ونهبا أموال الناس ، ومنعا الجمعة بمسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم شهراً . وفيها عزل المعتمد عمرو بن الليث من خراسان فقاتله أحمد بن عبدالله بن أبي دُلَف بأصبهان وهزمه . وفيها استعاد خمارويه الشام من يد أبي العبّاس بن الموفّق ، وفرّ إلى طرسوس كما تقدّم . وفيها عقد المعتمد لأحمد بن محمد الطائي على المدينة وطريق مكة ، وكان يوسف بن أبي الساج والي مكة . وجاء بدر غلام الطائي أميراً على الحاج فحاربه يوسف على باب المسجد الحرام وأسره ، فسار الجند والحاج بيوسف وأطلقوا بدراً من يده وحملوا يوسف أميراً إلى بغداد . وفي منتصف سنة إثنتين وسبعين غلب أتكو تكين على الريّ من يد محمد بن

(١) الطرر : حواشي الكتب .

زيد العلويّ . سار هو من قَزْوين في أربعة آلاف ، ومحمد بن زيد من طبرستان في الدَيْلَم ، وأهل خراسان ، فانهزموا وقتل منهم ستة آلاف . وفيها ثار أهل طرسوس بأبي العبّاس بن الموفق وأخرجوه إلى بغداد وولّوا عليهم بازيار[1] . وفيها توفي سلمان ابن وهب في حبس الموفق . وفيها دخل حمدان بن حمدون وهرون مدينة الموصل . وفيها قدم صاعد بن مخلّد الوزير من فارس ، وقد كان بعثه الموفّق إليها لحرب[2]

فرجع إلى واسط وركب القوّاد لاستقباله فترجّلوا إليه وقبّلوا يده ، ولم يكلّمهم . ثم قبض الموفق على جميع أصحابه وأهله ونهب منازلهم ، وكتب إلى بغداد بقبض ابنه أبي عيسى وصالح وأخيه عَبْدون ، واستكتب مكانه أبا الصقر إسمعيل بن بُلْبُل . واقتصر به على الكتابة . وفيها جاء بنو شيبان إلى الموصل فعاثوا في نواحيها وأجمع هرون الشاربي وأصحابه على قصدهم ، وكتب إلى أحمد بن حمدون الثعلبي فجاءه وساروا إلى الموصل وعبروا الجانب الشرقي من دجلة ؛ ثم ساروا إلى نهر الحادر[3] فلما تراءى الجمعان انهزم هرون وأصحابه وانجلى سوى[4] عنها . وفي سنة ثلاث وسبعين وقعت الفتنة بين ابن كنداجق وبين ابن أبي الساج وسار ابن أبي الساج إلى ابن طولون واستولى على الجزيرة والموصل ، وخطب له فيها . وقاتل الشراة كما ذكرنا . وفيها قبض الموفّق على لؤلؤ غلام ابن طولون وصادره على أربعمائة ألف دينار وبقي في إدبار إلى أن عاد إلى مصر أيام هرون بن خمارويه . وفي سنة أربع وسبعين سار الموفّق إلى فارس فاستولى عليها من يد عمرو بن الليث ورجع عمرو إلى كَرْمَان وسِجِسْتَان . وعاد الموفّق إلى بغداد . وفي سنة خمس وسبعين نقض ابن أبي الساج طاعة خمارويه وقاتله خمارويه فهزمه ، وملك الشام من يده وسار إلى الموصل ، وخمارويه في اتباعه إلى بغداد . ولحق ابن أبي الساج بالحُدَيْثَة فأقام بها إلى أن رجع خمارويه . وكان اسحق ابن كنداج قد جاء إلى خمارويه فبعثّ معه جيشاً وقوّادا في طلب ابن أبي الساج . واشتغل بعمل السفن للعبور إليه فسار ابن أبي الساج عنها إلى الموصل ، وأتبعه ابن

(١) اسمه مازيار وقد مرّ معنا من قبل عدت مرّات .

(٢) بياض بالأصل وفي الطبري ج ١١ ص ٣٣١ : « وفيها قدم صاعد بن مخلّد من فارس ودخل واسط في رجب » وعند ابن الاثير ج ٧ ص ٤١٩ — ٤٢٠ : « وفيها قدم صاعد من فارس الى واسط وكما يتولى على فارس في هذه الفترة عمرو ابن الليث وقد بعث الموفق صاعد بن مخلد لقتاله .

(٣) نهر الخازر : ابن الاثير ج ٧ ص ٤١٩ .

(٤) العبارة غير واضحة وفي الكامل ج ٧ ص ٤١٩ : « وجلا أهل نينوى عنها » .

كنداج وسار إلى الرقّة فاتبعه ابن أبي الساج ، وكتب إلى الموفّق يستأذنه في اتباعه إلى الشام . وجاء ابن كِنْدَاج بالعساكر من عند خمارويه وأقام على حدود الشام ثم هزم ابن أبي الساج فسار إلى الموفّق وملك ابن كنداج ديار ربيعة وديار مُضَر ، وقد تقدّم ذكر ذلك . وفيها خرج أحمد بن محمد الطائي من الكوفة لحرب فارس العبديّ وكان يخيف السابِلَة فهزمه العَبْدِيّ ، وكان الطائي على الكوفة وسوادها وطريق خراسان وسامرّا وشرطة بغداد ، وخراج بادر دباد قطربل [1] وفيها قبض الموفّق على ابنه أبي العبّاس وحبسه . وفيها ملك رافع بن هَرْثَمة جَرْجَان من يد محمد بن زيد وحاصره في استراباذ نحواً من سنتين ، ثم فارقها الجيش لحربه فسار عن سارية وعن طبرستان سنة سبع وسبعين . واستأمن رستم بن قارِن إلى رافع وقَدِم عليه عليّ بن الليث من حبس أخيه بكِرْمَان هو وابناه العَدْلُ والليث . رافع على سالوس محمد بن هرون وجاء إليه علي بن كاني مستأمناً فحصرهما محمد بن زيد ، وسار إليه رافع ففرّ إلى أرض الدَيْلَم ورافِع في اتباعه إلى حدود قَزْوين فسار فيها وأحرقها وعاد إلى الريّ . وفي سنة ست وسبعين رضي المعتمد عن عمرو بن الليث وولاّه وكتب إسمه على الأعلام ، وولّى على الشرطة ببغداد من قبله عبيدالله ابن عبدالله بن طاهر . ثم انتقض فأزيل . وفيها كان مسير الموفّق إلى الجبل لأتكوتكين ومحاربة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف ، وقد تقدّم ذلك . وفيها ولّى الموفّق ابن أبي الساج على أذربيجان فسار إليها ودافعه عبدالله ابن حسن الهمذاني صاحب مَرَاغة فهزمه ابن أبي الساج ، واستقرّ في عمله . وفيها زحف هرون الشاري من الحُدَيْثَة إلى الموصل يريد حربها ، ثم صانعه أهل الموصل ورحل عنهم . وفي سنة سبع وسبعين دعا مازيار بطرسوس لخمارويه بن أحمد بن طولون ، وكان أنفذ إليه ثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف وسلاحاً كثيراً . وبعثِ إليه بعد الدعاء بخمسين ألف دينار . وفي سنة ثمان وسبعين كانت وفاة الموفّق وبيعة المُعْتَضِد بالعهد كما مرّ . وفيها كان ابتداء أمر القَرَامِطَة وقد تقدّم . وفي سنة تسع وسبعين خلع جعفر بن المعتمد وقدّم عليه المعتضد وكانت الحرب بين الخوارج وأهل الموصل ، وبين بني شيبان وعلى بني شيبان هرون بن سيما من قبل محمد ابن اسحق بن كِنْدَاج ، ولاّه عليها فطرده أهلها ، فزحف إليهم مع بني شيبان ودافع عن أهل الموصل هرون الشاري وحمدان بن حمدون فهزمهم بنو شيبان ، وخاف أهل

---

(١) بادوريا ، وقُطْرَبُّل : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٣٢ .

الموصل من ابن سيما وبعثوا إلى بغداد يطلبون والياً ، فولّى المعتمد عليهم محمد بن يحيى المجروح الموكّل بحفظ الطريق ، وكان ينزل الحُدَيْثَة فأقام بها أياماً ثم استبدل منه بعليّ بن داود الكردي .

* (وفاة المعتمد وبيعة المعتضد) *

توفى المعتمد على الله أبو العبّاس أحمد بن المتوكّل لعشرٍ بقين من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين لثلاثٍ وعشرين سنة من ولايته ، ودفن بسامرّا ، وهو أوّل من انتقل إلى بغداد وكان في خلافته مغلباً عاجزاً وكان أخوه الموفّق مستبدًّا عليه ، ولم يكن له معه حكم في شيء . ولما مات الموفّق سنة ثمان وسبعين كما قدّمناه أقام مكانه إبنه أبا العبّاس أحمد المعتضد وحجر المعتمد كما كان أبوه يحجره ، وولاّه عهده كما كان أبوه . ثم قدّمه في العهد على ابنه جعفر ، ثم هلك فبايع الناس للمعتضد بالخلافة صبيحة موته ، فولّى غلامه بدراً الشرطة وعبيدالله بن سليمان بن وهب الوزارة ، ومحمد بن الشاري بن ملك الحرس . ووفد عليه لأوّل خلافته رسول عمرو بن الليث بالهدايا وسأل ولاية خراسان فعقد له عليها ، وبعث إليه بالخلع واللواء ، ولأوّل خلافته مات نصر بن أحمد الساماني ملك ما وراء النهر ، وقام مكانه أخوه إسمعيل .

* (مقتل رافع بن الليث[1]) *

كان رافع بن الليث قد وضع يده على قرى السلطان بالريّ ، وكتب إليه المعتضد برفع يده عنها ، فكتب إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف بإخراجه عن الريّ فقاتله وأخرجه ، وسار إلى جرجان ودخل نيسابور سنة ثلاث وثمانين . فوقعت بينه وبين عمرو حرب وانهزم رافع إلى أَبِيوَرْد وخلص عمرو ابنى أخيه من حبسه . وهما العدل والليث إبنا عليّ بن الليث ، وقد تقدّم خبرهما . ثم سار رافع إلى هَرَاة ورصده عمرو بسَرْخَس فشعر به ورجع إلى نَيْسَابور في مسالك صعبة ، وطرق ضيّقة . واتبعه عمرو فحاصره في نيسابور . ثم تلاقيا وهرب عن رافع بعض قوّاده إلى عمرو فانهزم رافع ، وبعث أخاه محمد بن هَرْثَمَة إلى محمد بن زيد يستمدّه كما شرط له فلم يفعل . وافترق عن رافع أصحابه وغلمانه ، وفارقه محمد بن هرون الى أحمد بن إسمعيل في

---

(١) رافع بن هرثمة : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٥٧ .

بخارى ، ولحق رافع بخوارزم في فلّ من العسكر ومعه بقية أمواله وآلته ، ومرّ في طريقه بأبي سعيد الدرعاني ببَلَد فاستغفله وغدر به وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث بنيسابور وذلك في شوّال سنة ثلاث وثمانين .

* (خبر الخوارج بالموصل) *

قد تقدّم لنا أنّ خوارج الموصل من الشراة استفدر عليهم بعد مساور هرون الشاري وذكرنا شيئاً من أخبارهم . ثم خرج عليه سنة ثمانين محمد بن عَبَادَة ويعرف بأبي جوزة من بني زهير من البقعاء ، وكان فقيراً ومعاشه ومعاش بنيه في التقاط الكمأة وغيرها وأمثال ذلك ، وكان يتديّن ويُظْهِرُ الزُهْدَ ، ثم جمع الجموع وحكم واستجمع إليه الأعراب من تلك النواحي ، وقبض الزكوات والأعشار من تلك الأعمال ، وبنى عند سنجار حِصْناً ووضع فيه أمتعته وما عونه ، وأنزل به إبنه أبا هلال في مائة وخمسين ، فجمع هرون الشاري أصحابه وبدأ بحصار الحصن فأحاط به ومحمد بن عبادة في داخله . وجدّ في حصاره حتى أشرف على فتحه وقيّد أبا هلال إبنه ونفراً معه وبعث بنو ثعلب وهم مع هرون إلى من كان بالحصن من بني زهير فأمّنوهم ، وملك هرون الحِصْن . ثم ساروا إلى محمد فلقيهم وهزمهم أوّلاً ثم كرّوا عليه مستميتين فهزموه ، وقتلوا من أصحابه ألفاً وأربعمائة ، وقسّم هرون ماله ولحق محمد بآمد ، فحاربه صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ فظفر به وبعثه إلى المعتضد فسلخه حيًّا .

* (ايقاع المعتضد ببني شيبان واستيلاؤه على ماردين) *

وفي سنة ثمانين سار المعتضد إلى بني شيبان بأرض الجزيرة ففرّوا أمامه ، وأثار على طوائف من العرب عند السِنّد فاستباحهم ، وسار إلى الموصل فجاءه بنو شيبان وأعطوه رهنهم على الطاعة ، فغلبهم وعاد إلى بغداد . وبعث إلى أحمد بن عيسى بن الشيخ في أموال ابن كِنْداج التي أخذها بأحمد ، فبعث بها وبهل أياما كثيرة معها[1] . ثم بلغه أنّ أحمد بن حمدون ممالىء لهرون الشاري ، وداخل في دعوته ، فسار المعتضد إليه سنة إحدى وثمانين واجتمع الأعراب من بني ثعلب وغيرهم للقائه ، وقتل منهم

(١) هكذا بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ٤٦٢ : « وارسل الى احمد بن عيسى بن الشيخ يطلب منه ما اخذه من أموال كنداجيق بآمد . فبعثه اليه ومعه هدايا كثيرة » .

وغرق في الزاب كثيراً ، وسار إلى الموصل . ثم بلغه أنّ أحمد هرب عن ماردين وخلف بها إبنه ، فسار المعتضد إليه ونازله وقاتله يوماً ، ثم صعد من الغد إلى باب القلعة . وصاح بابن حمدان واستفتح الباب ففتح له دَهَشاً وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها . وبعث في طلب حمدان وأخذ أمواله .

* (الولاية على الجبل وأصبهان) *

عقد المعتضد سنة إحدى وثمانين لابنه عليّ وهو المكتفي على الريّ وقَزْوين وزَنْجَان وأبْهَر وقمّ وهَمَذَان والدَيْنَوَر فاستأمن إليه عامل الريّ لرافع بن الليث . وهو الحسن بن عليّ كورة فأمّنه وبعث به إلى أبيه .

* (عود حمدان الى الطاعة) *

وفي سنة إثنتين وثمانين سار المعتضد إلى الموصل واستقدم إسحق بن أيّوب وحمدان ابن حمدون ، فبادر إسحق بقلاعه وأودع حرمه وأمواله . فبعث إليه المعتضد العساكر مع وصيف ونصر القسوريّ[1] . فمرّوا بذيل الزعفران من أرض الموصل وبه الحسن ابن علي كورة ، ومعه الحسين بن حمدان . فاستأمن الحسين وبعثوا له إلى المعتضد فأمر بهدم القلعة . وسار وصيف في اتباع حمدان . فواقعه وهزمه وعبر إلى الجانب الغربي من دجلة وسار في ديار ربيعه . وعبرت إليه العساكر وحبسوه فأخذوا ماله ، وهرب . وضاقت عليه الأرض فقصد خيمة إسحق بن أيّوب في عسكر المعتضد مستجيراً به فأحضره عند المعتضد فوكّل به وحبسه .

* (هزيمة هرون الشاري ومهلكه) *

كان المعتضد قد ترك بالموصل نصر القسرويّ لإعادته العمّال على الجباية . وخرج بعض العمّال لذلك فأغارت عليهم طائفة من أصحاب هرون الشاري وقتل بعضهم . فكثر عَيْث الخوارج . وكتب نصر القسروي إلى هرون يهدّده . فأجابه وأساء في الردّ وعرّض بذكر الخليفة فبعث نصر بالكتاب إلى المعتضد فأمره بالجدّ في طلب هرون ، وكان على الموصل يكتم طاتشمر من مواليهم فقبض عليه وقيّده ، وولّى على الموصل الحسن كورة ، وأمر ولاة الأعمال بطاعته . فجمعهم وعسكر بالموصل .

(١) القشوري : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٦٩ .

وخندق على عسكره إلى أن أوقع بالناس غلاتهم . ثم سار إلى الخوارج وعبر الزاب إليهم فقاتلهم قتالاً شديداً فهزمهم وقتل منهم وافترقوا ، وسار الكثير منهم إلى أذربيجان ودخل هرون البريّة واستأمن وجوه أصحابه إلى المعتضد فأمّنهم . ثم سار المعتضد سنة ثلاث وثمانين في طلب هرون فانتهى إلى تكريت ، وبعث الحسين بن حمدون في عسكرٍ نحو من ثلثمائة فارس ، واشترط إن جاء به إطلاق ابنه حمدان ! وسار معه وصيف وانتهى إلى بعض مخايض دجلة فأرصد بها وصيفاً وقال : لا تفارقوها حتى تروني ! ومضى في طلبه فواقعه وهزمه ، وقتل من أصحابه . وأقام وصيف ثلاثة أيام فأبطأ عليه الأمر فسار في اتباع ابن حمدان ، وجاء هرون منهزماً إلى تلك المخاضة فعبر ، وابن حمدان في أثره إلى حيّ من أحياء العرب قد اجتاز بهم هرون ، فدلّوا ابن حمدان عليه فلحقه وأسره وجاء به إلى المعتضد . فرجع المعتضد آخر ربيع الأوّل وخلع على الحسين وإخوته وطوقه ، وأدخل هرون على الفيل وهو ينادي :لا حكم إلا لله ولو كره المشركون ، وكان صُغْدِيًّا[1] . ثم أمر المعتضد بحلّ القيود عن حَمّدان ابن حمْدون والإحسان إليه وباطلاقه . وفي سنة إثنتين وثمانين سار المعتضد من الموصل إلى الجبل فبلغ الكَرْخ فهرب عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف بين يديه فأخذ أمواله وبعث إليه في طلب جدّ كان عنده فوجهه إليه . ثم بعث المعتضد وزيره عبيدالله بن سليمان إلى ابنه بالريّ ليسير من هناك إلى عمر بن عبد العزيز بالأمان ، فسار وأمّنه ورجع إلى الطاعة فخلع عليه وعلى أهل بيته ، وكان أخوه بكر بن عبد العزيز قد استأمن قبل ذلك إلى عبيدالله بن سليمان وبدر فولّاه عمله ، على أن يسير إلى حربه . فلما وصل عمر في الأمان قال لبكر : إنما وليّناك وأخوك عاصٍ فامضيا إلى أمير المؤمنين المعتضد وولى عيسى النوشريّ على أصبهان من قبل عمرو هرب بكر إلى الأهواز وسار عبيدالله بن سليمان الوزير إلى عليّ بن المعتضد بالريّ . ولما بلغ الخبر إلى المعتضد بعث وصيفاً موسكين[2] إلى بكر بن عبد العزيز بالأهواز فلحقه بحدود فارس ، فمضى بكر إلى أصبهان ليلاً ورجع وصيف إلى بغداد ، وكتب المعتضد إلى بدر مولاه بطلب بكر بن عبد العزيز وحربه ، فأمر بذلك عيسى النوشريّ فقام به ولقي بكراً بنواحي أصبهان فهزمه بكر ، ثم عاد النوشريّ لقتاله سنة أربع وثمانين فهزمه بنواحي أصبهان

---

(١) صغرياً : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٧٧ .

(٢) وصيف بن موشكير : المرجع السابق ص ٤٧٦ .

واستباح عسكره ولجأ بكر إلى محمد بن زيد العلويّ بطبرستان وهلك بها سنة خمس وثمانين ، وكان عمر لما مات أبوه قبض على أخيه الحرث ويكنّى أبا ليلى ، وحبسه في قلعة ردّ ، ووكل به شفيعاً الخادم . فلما جاء المعتضد واستأمن عمر وهرب بكر وبقيت القلعة بيد شفيع بأموالها ، رغب إليه الحرث في إطلاقه فلم يفعل ، وكان شفيع يسامره كل ليلة وينصرف فحادثه ليلة ونادمه وقام شفيع لبعض حاجته فجعل الحرث في فراشه تمثالاً وغطّاه وقال لجاريته : قولي لشفيع إذا عاد هو نائم ، ومضى فاختفى في الدار وفكّ القيد عن رجله بمبرد أُدخل إليه وبرد به مسماره . ولما أخبر شفيع بنومه مضى إلى مرقده وقصده أبو ليلى على فراشه فقتله ، وأمر أهل الدار واجتمع عليه الناس فاستحلفهم ووعدهم ، وجمع الأكراد وغيرهم وخرج من القلعة ناقِضاً للطاعة . فسار إلى عيسى النوشريّ وحاربه فأصاب أبا ليلى سهم فمات ، وحمل رأسه إلى أصبهان ثم إلى بغداد .

* (خبر ابن الشيخ بآمد) *

وفي سنة خمس وثمانين توفي أحمد بن عيسى بن الشيخ وقام بأمره في آمد وأعمالها ابنه محمد فسار المعتضد إليه في العساكر ومعه ابنه أبو محمد علي المكتفي ، ومرّ بالموصل وحاصر المعتمد إلى ربيع الآخر من سنة ست وثمانين ونصب عليها المجانيق حتى استأمن لنفسه ولأهل آمد ، وخرج إلى المعتمد فخلع عليه وهدم سورها ثم بلغه أنه يروم الهرب فقبض عليه وعلى أهله .

* (خبر ابن أبي الساج) *

قد تقدّم لنا ولاية محمد بن أبي الساج على أذربيجان ومدافعة الحسين إياه عن مراغة ، ثم فتحها واستيلاؤه على أعمال أذربيجان ، وبعث المعتضد سنة إثنتين وثمانين أخاه يوسف بن أبي الساج إلى الصيَّمرة مدداً لفتح القلانسي[1] غلام الموفّق ، فخرج يوسف فيمن أطاعه فولاّه المعتضد على أعماله ، وبعث إليه بالخلع وأعطاه الرهن بما ضمن من الطاعة والمناصحة وبعث بالهدايا .

(١) القلابسي : ابن الاثير ج ٧ ص ٤٧٣ .

* (ابتداء أمر القرامطة بالبحرين والشام) *

كان في سنة احدى وثمانين قد جاء إلى القطيف بالبحرين رجل تسمّى بيحيى بن المهدي وزعم أنه رسول من المهدي ، وأنه قد قرب خروجه ، وقصد من أهل القطيف علي بن المعلّى بن حمدان الربادي ، وكان متغالياً في التشيع ، فجمع الشيعة وأقرأهم كتاب المهدي ليشيع الخبر في سائر قرى البحرين ، فأجابوا كلّهم وفيهم أبو سعيد الجنابي وكان من عظمائهم . ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدّة ورجع بكتاب المهدي يشكرهم على إجابتهم وأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلثين عن كل رجل منهم ففعلوا . ثم غاب وجاء بكتاب آخر بأن يدفعوا إليه خمس أموالهم فدفعوا ، وأقام يتردّد في قبائل قيس ، ثم أظهر أبو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين سنة ست وثمانين واجتمع إليه القرامطة والأعراب ، وقتل واستباح وسار إلى القطيف طالباً البصرة ، وبلغت النفقة فيه أربعة عشر ألف دينار . ثم قرب أبو سعيد من نواحي البصرة ، وبعث المعتضد إليهم المدد مع عبّاس بن عمر الغَنَوِيّ وعزله عن فارس وأقطعه اليمامة والبحرين ، وضمّ إليه ألفين من المقاتلة ، وسار إلى البصرة وأكثر من الحشد جنداً ومتطوّعة . فسار ولقي أبا سعيد الجنابي ، ورجع من كان معه بني ضبّة إلى البصرة . ثم كان اللقاء فهزمه الجنابي وأسره واحتوى على معسكره وحرق الأسرى بالنار وذلك في شعبان من هذه السنة . وسار إلى هجر فملكها وأمّن أهلها ورجع إلى أهل البصرة ، وبعثوا إليهم بالرواحل عليها الطعام والماء ، فاعترضهم بنو أسد واخذوا الرواحل وقتلوا الفلّ ، واضطربت البصرة وتشوف أهلها إلى الإنتقال فمنعهم الواثقي . ثم أطلق الجنابي العبّاس الغَنَوِيّ فركب إلى الأُبُلّة وسار منها إلى بغداد ، فخلع عليه المعتضد . وأمّا ظهورهم بالشام فان داعيتهم ذَكْرَوَيْه بن مَهْرَوَيْه الذي جاء بكتاب المهدي إلى العراق لما رأى الجيوش متتابعة إلى القرامطة بالسواد ، وأبادهم القتل ، لحق بأعراب أسد وطيء ، فلم يجبه فبعث أولاده في كلب بن وَبْرَة فلم يجبه منهم إلاّ بنو القَليطي بن ضَمْضَم بن عديّ بن جناب ، فبايعوا ذَكْرَوَيْه ويسمّى بيحيى ويكنّى بأبي القاسم ، ولقّبوه الشيخ ، وأنه من ولد إسمعيل الإمام بن جعفر الصادق . وأنه يحيى بن عبدالله بن يحيى بن إسمعيل ، وزعم أنّ له مائة ألف تابع ، وانّ ناقته التي يركبها مأمورة فمن تبعها كان منصوراً . فقصدهم شبل مولى

المعتضد في العساكر من ناحية الرصافة فقتلوه . فسار إليهم شبل مولى أحمد بن محمد الطائي فأوقع بهم . وجاء ببعض رؤسائهم أسيراً فأحضره المعتضدّ وقال له هل تزعمون أنّ روح الله وأنبيائه تحل في اجسادكم فتعصمكم من الزلل . وتوفّقكم لصالح العمل ؟ فقال له : يا هذا أرأيت إن حلّت روح إبليس فما ينفعك ؟ فاترك مالا يعنيك إلى ما يعنيك . قال له : فقل فيما يعنيني ! فقال له : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوكم العباس حيّ فلم يطلب الأمر ولا بايعه . ثم مات أبو بكر واستخلف عمرو هو يرى العبّاس ولم يعهد إليه عمرو لاجعله من أهل الشورى . وكانوا ستة وفيهم الأقرب والأبعد ، وهذا إجماع منهم على دفعّ جدّك عنها . فبماذا تستحقون أنتم الخلافة ؟ فأمربه المعتضد فعذب وخلعت عظامه ، ثم قطع مرّتين ثم قتل . ولما أوقع شبل بالقرامطة بسواد الكوفة ساروا إلى الشام فانتهوا إلى دمشق وعليها طُغْج بن جَفّ مولى أحمد بن طولون من قِبَل ابنه هرون ، فخرج إليهم فقاتلهم مراراً . هزموه في كلها . هذه أخبار بدايتهم ونقبض العنان عنها إلى أن نذكر سياقتها عندما نعدّد أخبارهم على شريطتنا في هذا الكتاب كما تقدّم .

* (استيلاء ابن ماسان على خراسان من يد عمرو بن الليث وأسره ثم مقتله) *

لما تغلب عمرو بن الليث الصفّار على خراسان من يد رافع بن الليث . وقتله وبعث برأسه إلى المعتضد ، وطلب منه أن يولّيه ما وراء النهر مضافاً إلى ولاية خراسان . كتب له بذلك فجهّز الجيوش لمحاربة إسمعيل بن أحمد صاحب ما وراء النهر . وجعل عليهم محمد بن بشير من أخصّ أصحابه . وبعث معه القوّاد فانتهوا إلى آمد من شطّ جَيْحَون ، وعبر إليهم إسمعيل فهزمهم وقتل محمد بن بشير في ستة آلاف . ولحق الفلّ بعمرو في نيسابور ، فتجهّز وسار إلى بَلْخ ، وكتب إليه اسمعيل يستعطفه ويقول : أنا في ثغر وأنت في دنيا عريضة فاتركني واستفد ألفتي فأبى . وصعب على أصحابه عبور النهر لشدّته فعبر إسمعيل وأخذ الطرق على بَلْخ وصار عمرو محصوراً . اقتتلوا فانهزم عمرو وتسرّب من بعض المسالك عن أصحابه فوجد في أجمة وأخذ أسيراً ، وبعث به إسمعيل إلى سَمَرْقَنْد ومن هناك إلى المعتضد سنة ثمان وثمانين . فحبسه إلى أن مات المعتضد سنة تسع بعدها فقتله إبنه المكتفي وعقد لإسمعيل على

خراسان كما كانت لعمرو ، وكان عمرو عظيم السياسة ، وكان يستكثر من المماليك ويجرى علي الأرزاق ويفرّقهم على قوّاد ليطالعوه بأخبارهم . وكان شديد الهيبة ، ولم يكن أحد يتجاسر أن يعاقب غلاماً ولا خادماً إلا أن يرفعه إلى حُجّابه .

* (استيلاء ابن سامان على طبرستان من يد العلوى ومقتله) *

ولما بلغ محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان والدَيْلَم ما وقع بعمر وبن الليث وأنه أسر طمع هو في خراسان وظنّ أنّ ابن إسمعيل لا يتجاوزعمله ، فسار إلى جرجان وبعث إليه إسمعيل بالكف فأبى ، فجهّز لحربه محمد بن هرون ، وكان من قوّاد رافع بن الليث . واستأمن إلى عمرو ثم إلى إسمعيل فنظّمه في قوّاده وندبه الآن لحرب محمد بن زيد ، فسار لذلك . ولقيه على باب خراسان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزم محمد بن هرون أوّلاً وافترقت عساكر محمد بن زيد على النهب ثم رجع هو وأصحابه ، وانهزم محمد بن زيد وجرح جراحات فاحشة هلك منها لأيام ، وأسر ابنه زيد ، وبعث به إسمعيل إلى بخارى واجترأ عليه وغنم ابن هرون معسكرهم ، ثم سار إلى طبرستان فملكها وصار خراسان وطبرستان لبني سامان ، واتصلت لهم دولة نذكر سياقة أخبارها عند إفراد دولتهم بالذكر كما شرطناه في تأليفنا .

* (ولاية علي بن المعتضد على الجزيرة والثغور) *

ولما ملك المعتضد آمد من يد ابن الشيخ كما قدّمناه ، سار إلى الرقّة وتسلّم قِنَّسْرين والعواصم من يد عمّال هرون بن خـمَارَوَيْه لأنه كان كتب إليه أن يقاطعه على الشام ومصر ويسلّم إليه أعمال قِنَّسْرين ، ويحمل إليه أربعمائة ألف دينار وخمسين ألفاً فأجابوه وسار من آمد إلى الرقّة فأنزل ابنه علياً الذي لقّبه بعد ذلك بالمكتفي وعقد له على الجزيرة وقِنَّسرين والعواصم سنة ست وثمانين . واستكتب له الحسن بن عمر النصراني واستقدم وهو بالرقّة راغباً مولى الموفّق من طرسوس ، فقدم عليه وحبسه وحبس ملنون غلامه ، واستصفى أموالها ، ومات راغب لأيام من حبسه وقد كان راغب استبدّ بطرسوس وترك الدعاء لهرون بن خمارويه ، ودعا لبدر مولى المعتضد . ولما جاء أحمد بن طبان للغزّ سنة ثلاث وثمانين تنازع معه راغب ، فركب أحمد البحر في

رجوعه ولم يعرّج على طرسوس وترك بها دميانة غلام بازيار[1] وأمدّه فقوي وأنكر على راغب أفعاله بحمل دميانة إلى بغداد ، واستبدّ راغب إلى استدعاء المعتضد ونكبه كما قلناه ، وولّى ابن الأخشاء على طرسوس فمات لسنة . واستخلف أبا ثابت وخرج سنة سبع وثمانين غازياً فأسر وولّى الناس عليهم مكانه علي بن الأعرابيّ ، ولحق بـملطْيَة في هذه السنة وصيف مولى محمد بن أبي الساج صاحب بردعة ، وكتب إلى المعتمد يسأله ولاية الثغور وقد وطأ صاحبه أن يسير إليه إذا وليها فيقصدان ابن طولون ويملكان مصر من يده ، وظهر المعتضد على ذلك فسار لاعتراضه ، وقدّم العساكر بين يديه ، فأخذوه بعين زربة وجاؤا به إلى المعتضد فحبسه ، وأمّن عسكره ورحل إلى قرب طرسوس ، واستدعى رؤساءها وقبض عليهم بمكاتبتهم وصيفاً ، وأمر بإحراق مراكب طرسوس بإشارة دميانة ، واستعمل على أهل الثغور الحسن بن علي كورة وسار إلى أنطاكية وحلب ورجع منها إلى بغداد وقتل وصيفاً وصلبه . واستقدم المكتفي بعد وفاة المعتضد الحسن بن عليّ ، وولّى على الثغور مُظَفّر بن حاج . ثم شكا أهل الثغر منه فعزله وولّى أبا العشائر بن أحمد بن نصر سنة تسعين .

حرب الأعراب

وفي سنة ست وثمانين اعترضت طيء ركب الحاج بالاجيعر ، وقاتلوه ونهبوا أموال التجّار ما قيمته ألف ألف دينار، ثم اعترضوا الحاج كذلك سنة تسع وثمانين بالقرن فهزمهم الحاج وسلموا .

تغلب ابن الليث على فارس واخراج بدر اياه

وفي فاتح ثمان وثمانين جاء طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث في العساكر إلى بلاد فارس ، وأخرج منها عامل المعتضد وهو عيسى النوشريّ كان على أصبهان فولاّه المعتضد فارس ، فسار إليها فجاءه طاهر وملكها . وكتب إليه اسمعيل صاحب ما وراء النهر بأن المعتضد ولاّه سجستان لذلك ، وعقد المعتضد لبدر مولاه على فارس . وهرب عمّال طاهر عنها وملكها بدر وجبى خراجها . ثم ماتَ المعتضد وسار مغرّباً عن فارس فقُتِل بواسِط وقاطع طاهر بلاد فارس على مال يحمله ، فقلّده المكتفي ولايتها سنة تسعين .

(١) مازيار.

* (الولايات في النواحي) *

كان أكثر النواحي في دولة المعتضد مغلباً عليها كخراسان وما وراء النهر لابن سامان ، والبحرين للقَرَامِطَة ومِصْر لابن طولون وأفريقية لابن الأغْلَب ، وقد ذكرنا من وَلِيَ الموصل . وفي سنة خمس وثمانين ولّى المعتضد عليها وعلى الجزيرة والثغور الشامية[1] مولاه ، ثم ملك آمد من يد ابن الشيخ وجعلها لابنه عليّ المكتفي وأنزله الرقّة كما ذكرناه وعقد له على الثغور . ثم عقد بعده للحسن بن عليّ كورة وولّى على فارس بدراً مولاه . ومات اسحق بن أيّوب بن عمر بن الخطّاب الثعلبي العَدَوِيّ أمير ديار ربيعة ، فولّى المعتضد مكانه عبدالله بن الهَيْثَم بن عبدالله بن المَعْمَر . وفي سنة ثمان وثمانين ظهر باليمن بعض العلويّين وتغلّب على صنعاء ، فجمع له بنو يَعْفُر وقاتلوه فهزموه وأسروا إبنه ، وتجافى نحو خمسين فارساً ، وملك بنو يعفر صنعاء وخطبوا فيها للمُعْتَضِد ، وهلك ابن أبي الساج في هذه السنة ، فولّى أصحابه إبنه ديوداد . ونازعه عمّه يوسف بن رافع بابن أخيه وهزمه ومضى إلى بغداد على طريق الموصل ، واستقل يوسف بمُلْك أذربيجان ، وعرض على ابن أخيه المقام عنده فأبى ، وقلّد المعتضد لأول خلافته ديوان المشرق لمحمد بن داود بن الجرّاح ، عوضاً عن أحمد بن محمد بن الفرات ، وديوان المغرب عليّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح ، ومات وزيره عبيدالله بن سليمان بن وَهْب فولى إبنه أبا القاسم مكانه .

* (الصوائف) *

وفي سنة خمس وثمانين غزا راغب مولى الموفّق من طرسوس في البحر ، فغنم مراكب الروم ، قتل فيها نحواً من ثلاثة آلاف وأحرقها . وخرج الروم سنة سبع وثمانين ونازلوا طرسوس فقاتلهم أميرها واتبعهم إلى نهر الرحال فأسروه . وفي سنة ثمان وثمانين بعث الحسن بن علي كوره صاحب الثغور بالصائفة ، فغزا وفتح حصوناً كثيرة وعاد بالأسرى . فخرج الروم في أثره براً وبحراً إلى كيسوم من نواحي حلب فأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً ورجعوا .

---

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ٧ ص ٤٩٠ : « وفيها — ٢٨٥ — سار فاتك مولى المعتضد إلى الموصل لينظر في أعمالها وأعمال الجزيرة والثغور الشامية والجزرية وإصلاحها . مُضافاً إلى ما كان يتقلّده من البريد بها . »

* (وفاة المعتضد وبيعة ابنه) *

كان بَـدْر مولى المعتضد عظيم دولته ، وكان القاسم بن عبيدالله الوزير يروم نقل الخلافة في غير بني المُـعْتَضِد ، وفاوض في ذلك بدراً أيام المعتضد فأبى . ولم يمكن القاسم مخالفته . فلما مات المعتضد كان بدر بفارس بعثه إليها المعتضد لما بلغه أن طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث غلب عليها فبعث بدراً وولاّه . فلما مات عقد الوزير البيعة لإبنه المكتفي وخشي من بدر فيما اطلع عليه منه . فأعمل الحيلة في أمره . وكان المكتفي أيضاً يحقد لبدر كثيراً من منازعة معه أيام أبيه ، فدسّ الوزير إلى القوّاد الذين مع بدر بمفارقته ، ففارقه العبّاس بن عمر الغَنَوِيّ ومحمد بن اسحق بن كِنْدَاج وخاقان العلجي[1] وغيرهم ، فأحسن الملتقى إليهم وسار بدر إلى واسِط . فوكَل المكتفي بداره وقبض على أصحابه وأمر بمحو إسمه من الفراش[2] والأعلام وبعث الحسن بن علي كورة في جيش إلى واسِط ، وعرض على بدر ما شاء من النواحي . فقال : لا بدّ لي أن أشافه مولاي بالقول ! فخوف الوزيرُ المكتفي خائنته ومنعه من ذلك ، وشعر أن بدراً بعث عن إبنه هلال فوكّل به . ثم بعث الوزير عن القاضي أبي عمر المالكيّ وحمّله الأمان إلى بدر . فجاء بأمانه وبعث الوزير من اعترضه بالطريق فقتله لست خَلَوْنَ من رمضان . وحمل أهله شَلْوَهُ إلى مكّة فدفن بها لوصيته بذلك . وحزن القاضي أبو عمر لاخفار ذمّته .

* (استيلاء محمد بن هرون على الري ثم أسره وقتله) *

قد تقدّم لنا ذكر محمد بن هرون وأنه كان من قوّاد رافع بن هرثمة . ونظّمه إسمعيل بن أحمد صاحب ما وراء النهر في قوّاده وبعثه لحرب محمد بن زيد فهزمه واستولى على طبرستان ، وولاّه إسمعيل عليها . ثم انتقض ودعا بدعوة العلويّـة وبيّض[3] وساعده ابن حسّان الدَيْـلَـمِيّ . وبعث إسمعيل العساكر لقتال ابن حسّان فهزموه . وكان على الري من قِبَل المكتفي أغرتمش التركيّ ، فأساء السيرة فبعث أهل الريّ إلى محمّد بن هرون أن يسير إليهم ويولّوه ، فسار وحارب أغرتمش فهزمه وقتله ، وقتل إبنيه وأخاه

---

(١) خاقان المُفلحيّ : ابن الاثير ج ٧ ص ٥١٨ .

(٢) التراس : المرجع السابق .

(٣) اي أنه لبس ثياباً بيضاء بعكس العباسيين الذين كان شعارهم السواد .

كيغلغ من القوّاد واستولى على الريّ وبعث المكتفي مولاه خاقان المُـفْـلحِـيّ لولاية الريّ في جيش كثيف فلم يصلها ، وبعث المكتفي إلى اسمعيل بولايته ومحاربة محمد بن هرون فسار إسمعيل إليه وهزمه ، فخرج عن الريّ إلى قَـزْوين وزَنْـجَان . ثم لحق بطبرستان واستقرّ مع ابنه مستجيزاً ، ولما ملك إسمعيل الريّ ولّى على جَرْجَان مولاه نارس الكبير[1] . والزمه إحضار محمد بن هرون فكاتبه نارس وضَمِن له صَلاح الحال . فقبل وانصرف عن الديْـلَم إلى بخارى ، فبعث إسمعيل من اعترضه وحُمِل إلى بخارى مقيّداً فمات في الحبس بعد شهر وذلك في شعبان سنة تسعين .

* (استيلاء المكتفي على مصر وانقراض دولة ابن طولون) *

كان محمد بن سليمان من قوّاد بني طولون وكاتب جيشهم واستوحش منهم ، فلحق بالمعتضد وصرفوه في الخدم . وكانت القَـرَامِطَة عاثوا في بلاد الشام وحاصروا عامل بني طولون بدمشق وهو طغج بن جفّ . وقتلوا قوّاده . وسار المكتفي إليهم فنزل الرقّة وبعث محمد بن سليمان لحربهم ومعه الحسن بن حَـمْدان والعساكر وبنو شيبان ، فلقيهم قرب حماة فهزمهم واتبعهم إلى الكوفة ، وقبض في طريقه على أميرهم صاحب الشامة فبعث به إلى المكتفي . فرجع إلى بغداد وخلّف محمد بن سليمان في العساكر فتبعهم وأسر جماعة منهم . وبينما هو يروم العود إلى بغداد جاءه كتاب بدر الحماميّ مولى هرون بن خـمَـارَوَيْـه ومحمد فائق صاحب دمشق يستقدمانه إلى البلاد لعجز هرون عنها . فأنهى ذلك محمد بن سليمان عند عوده إلى المكتفي فأعاده وأمدّه بالجنود والأموال . وبعث دميانة غلام بازيار في الأسطول ليدخل من فوهة النيل ويحاصر مِصْر . ولما وصل ودنا من مصر كاتب القوّاد . وخرج إليه رئيسهم بدر الحماميّ وتتابع منهم جماعة . وبرز هرون لقتاله فحاربه أياماً . ثم وقعت بعض الأيام في عسكره هَـيْـعَـة ركب لها ليسكنها فأصابته حربة مات منها ، واجتمع أصحابه على عمهِ شَـيْـبَان وبذل الأموال فقاتلوا معه . ثم جاءهم كتاب محمد بن سليمان بالأمان فأجابوه . وخالف شَـيْـبَـان إلى مِصْر فاستولى عليها واستأمن إليه شيبان سرًّا فأمّنه ولحق به . ثم قبض على بني طولون وحبسهم واستصفى أموالهم وذلك في صفر سنة إثنتين وتسعين ، وأمره المكتفي بإزالة آل طولون وأشياعهم مِن مِصْر والشام ففعل .

(١) بارس الكبير : ابن الاثير ج ٧ ص ٥٢٧ .

وسار بهم إلى بغداد وولّى المكتفي على مِصْر عيسى النوشريّ وخرج عليه إبراهيم الخليجي من قوّاد بني طولون يخلف عن محمد بن سليمان . فخلّفه وكثر جمعه وسار النوشريّ إلى الإسكندرية عجزاً عن مدافعته ، واستولى الخليجي على مِصْر وبعث المكتفي بالجنود مع فَاتِك مولى المعتضد وأحمد بن كيغلغ وبدر الحمامي من قوّاد بني طولون . فوصلوا سنة ثلاث وتسعين ، وتقدّم أحمد بن كيغلغ وجماعة من القوّاد ، فلقيهم قرب العريش فهزمهم وقوي الأمر ، وبلغ الخبر إلى المكتفي فعسكر ظاهر بغداد ، وانتهى مدّه إلى تكريت فلقيه كتاب فاتك في شعبان يذكر أنهم هزموا الخليجي بعد حروب متّصلة ، وغنموا عسكره . ثم هرب واختفى بفسطاط مِصْر وجاء من دلّ عليه فأمر المكتفي بحمله ومن معه إلى بغداد فبعثوا بهم وحبسوا .

* (ابتداء دولة بني حمدان) *

وفي سنة إثنتين وتسعين عقد المكتفي على الموصل وأعمالها لأبي الهَيْجَاء عبدالله بن حمدان بن حمدون العَدَوِيّ التغلبيّ فقدمها أوّل المحرّم وجاء الصريخ من نينوى بأن الأكراد الهَذْبانيّة ومقدّمهم محمد بن سلاّل[1] قد أغاروا على البلاد وعاثوا ، فخرج في العساكر وعبر الجسر إلى الجانب الشرقيّ ، ولقيهم على الحارد[2] فقاتلهم وقتل من قوّاد سليمان الحمداني[3] ورجع عنهم ، وبعث إلى الخليفة يستمدّه ، فأبطأ عليه المدد إلى ربيع من سنة أربع[4] ، فلما جاءه المدد سار إلى الهَذْبَانِيّة وهم مجتمعون في خمسة آلاف بيت ، فارتحلوا أمامه واعتصموا بجبل السَّلَق المشرف على الزاب ، فحاصرهم وعرفوا حقّه فخذله أميرهم محمد بن سلال بالمراسلة في الطاعة والرهن ، وحثّ أصحابه خلال ذلك في المسير إلى أذْرَبَيْجان ، واتّبعهم أبو الهيجاء فلحقهم صاعداً إلى جبل القِنْديل فنال منهم ، وامتنعوا بذروته . ورجع أبو الهيجاء عنهم فلحقوا بأذْرَبَيْجَان ، ووفد أبو الهيجاء على المكتفي فأنجده بالعسكر وعاد إلى الموصل . ثم سار إلى الأكراد بجبل السَّلَق فدخله وحاصرهم بقنّته ، وطال حصارهم واشتدّ البرد وعدمت الأقوات ، وطلب محمد بن سلال النجاة بأهله

---

(١) محمد بن بلال : ابن الاثير ج ٧ ص ٥٣٨ .

(٢) الخازر : ابن الاثير ج ٧ ص ٥٣٨ .

(٣) وقتل من قواده سيما الحمداني المرجع السابق .

(٤) اي من سنة اربع وتسعين ومائتين .

وولده . فنجا واستولى ابن حمدان على أموالهم وأهليهم وأمّنهم . ثم استأمن محمد بن سلال فأمّنه وحضر عنده وأقام بالموصل وتتابع الأكراد الحميديّة مستأمنين ، واستقام أمر أبي الهيجاء بالموصل . ثم انتقض سنة إحدى وثلثمائة فبعث إليه المقتدر مؤنساً الخادم فجاء بنفسه مستأمناً ورجع إلى بغداد ، فقبله المقتدر وأكرمه . وبقي ببغداد إلى أن انتقض أخوه الحسين بديار ربيعة سنة ثلاث وثلثمائة . وسارت العساكر فجاؤا به أسيراً . فحبس المقتدر عند ذلك أبا الهيجاء وأولاده ، وجمع إخوته بداره ثم أطلقهم سنة خمس وثلثمائة .

* (أخبار ابن الليث بفارس) *

قد تقدّم لنا استقلال طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ببلاد فارس وأن المكتفي عقد له عليها سنة تسعين ، ثم أنه تشاغل باللهو والصيد ، وأعرض عن أمور مُلْكِهِ . ومضى في بعض الأيام إلى سِجِسْتَان فوثب على فارس الليث بن عليّ بن الليث ، وسيكرى مولى عمرو بن الليث ، فاستوحش منها بعض قوّادهما يعرف بأبي قابوس ، وفارقها إلى بغداد وأحسن المكتفي إليه . ثم كتب إليه طاهر في ردّ أبي قابوس إليه ، ويحتسب له ما معه من أموال الجباية فأعرض الخليفة عن ذلك .

* (الصوائف) *

وفي سنة إحدى وتسعين خرج الروم إلى الثغور في مائة ألف ، وقصد جماعة منهم الحدث . ثم غزا بالصائفة من طرسوس القائد المعروف غلام زرافة ، ففتح مدينة أنطاكية وفتحها عنوة فقتل خمسة آلاف من مُقَاتَلَتِهِم وأسر مثلها . واستنقذ من أسرى المسلمين مثلها ، وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها من المال والمتاع والرقيق ، فقسّمها مع غنائم أنطاكية ، فكان السهم ألف دينار . وفي سنة إثنتين وتسعين أغار الروم على مرعش ونواحيها ، فخرج أهل المَصِيصة وأهل طرسوس فأصيب منهم جماعة ، فعزل المكتفي أبا العشائر عن الثغور وولّى رستم بن بُرْد ، فكان على يديه الفداء ، وفودي ألف من المسلمين . ثم أغارت الروم سنة ثلاث وتسعين على موارس من أعمال حلب ، وقاتلهم أهلها فانهزموا وقتل منهم خلق ، ودخلها الروم فأحرقوا جامِعَها وأخذوا من بقي فيها . وفي سنة أربع وتسعين غزا ابن كيغلغ من طرسوس فأصاب من الروم أربعة آلاف سبياً ، واستأمن بَطْرِيق من الروم فأسلم . ثم عاود ابن

كيغلغ الغزو وبلغ سكند[1] وافتتحها ، وسار إلى الليس فبلغ خمسين ألف رأس . وقتل من الروم خلقاً ثم استأمن البطريق المتولي الثغور من جهة الروم إلى المكتفي . وخرج بمائتي أسيرٍ من المسلمين . وكان ملك الروم قد شعر بأمره وبعث من يقبض عليه ، فقتل الأسرى المسلمون من جاء للقبض عليه وغنموا عسكرهم . واجتمع الروم على محاربة البطريق اندوقس[2] وزحف المسلمون لخلاصه وخلاص من معه من الأسرى ، فبلغوا قونية وخرّبوها وانصرف الروم ، ومرّ المسلمون في طريقهم بحصن أندوس فخرج معهم بأهله وسار إلى بغداد . وفي سنة إحدى وتسعين خرج الترك إلى ما وراء النهر في خلقٍ لا يحصون ، فبعث إليهم إسمعيل عسكراً عظيماً من الجند والمطوّعة فكبسوهم واستباحوهم . وفي سنة ثلاث وتسعين إفتتح إسمعيل مدائن كثيرة من بلاد الترك والدَيْـلَم .

* (الولايات بالنواحي) *

قد ذكرنا ولايات خاقان المفلحيّ على الريّ ، ثم إسمعيل بن أحمد بن سامان بعده . وولاية عيسى النوشريّ على مِصْر بعد انتزاعها من بني طولون ، وولاية أبي العشائر أحمد بن نصر على طرسوس وعزل مُـظَـفَّر بن حاج عنها سنة تسعين . ثم عزل أبي العشائر وولاية رستم بن بُـرْد ، وسنة إثنتين وتسعين . وانتزاع الليث بن عليّ بن الليث بلاد فارس من يد طاهر بن محمد سنة ثلاث وتسعين بعد أن كان المكتفي عقد له عليها سنة تسعين ، وولاية أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان على الموصل سنة ثلاث وتسعين . وفي هذه السنة ثار داعية القرامطة باليمن إلى صنعاء فملكها واستباحها وتغلب على كثير من مدن اليمن وبعث المكتفي المظفّر بن الحاج في شوّال من هذه السنة إلى عمله باليمن فأقام به وفي سنة إحدى وتسعين توفي الوزير أبو القاسم بن عبيدالله واستوزر مكانه العبّاس بن الحسن .

* (وفاة المكتفي وبيعة المقتدر) *

ثم توفي المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد في شهر جمادى سنة خمس وتسعين لست سنين ونصف من ولايته . ودفن بدار محمد بن طاهر من بغداد بعد أن عهد

(١) هي مدينة بيكند وفي الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ٥٥٢ شكند .
(٢) اندرونقس : ابن الاثير ج ٧ ص ٥٥٢ .

بالأمر إلى أخيه جعفر . وكان الوزير العبّاس بن الحسن قد استشار أصحابه فيمن يولّيه . فأشار محمد بن داود بن الجرّاح بعبدالله بن المعتز ، ووصفه بالعقل والرأي والأدب ، وأشار أبو الحسين بن محمد بن الفرات بجعفر بن المعتضد بعد أن أطال في مفاوضته وقال له : اتق الله ولا تـوَال إلاّ مَنْ خَبِرته ولا تُـولِّ البخيل فيضيق على الناس في الأرزاق ، ولا الطمّاع فيشره إلى أموال الناس ، ولا المتهاون بالدين فلا يجتنب المآثم ولا يطلب الثواب . ولا تُـوَلِّ من خبر الناس وعاملهم واطلع على أحوالهم . فيستكثر على الناس نِعَمَهم ، وأصلح الموجودين مع ذلك جعفر بن المعتضد . قال : ويحك وهو صبيّ ! فقال : وما حاجتنا بمن لا يحتاج إلينا ويستبد علينا ؟ ثم استشار عليّ بن عيسى فقال : اتقِ الله وانظر من يصلح . فمالت نفس الوزير إلى جعفر كما أشار ابن الفرات ، وكما أوصى أخوه ، فبعث صائفاً الخدمي[1] فأتى به من داره بالجانب الغربي ، ثم خشي عليه غائلة الوزير فتركه في الحرّاقة ، وجاء إلى دار الخلافة فأخذ له البيعة على الحاشية . ثم جاء به من الحرّاقة وجاء إلى دار الخلافة فأخذ له البيعة على الحاشية . ثم جاء به من الحرّاقة وأقعده على الأريكة وجاء الوزير والقوّاد فبايعوه ، ولقّب المقتدر بالله وأطلق يد الوزير في المال وكان خمسة عشر ألف ألف دينار فأخرج منه حق البيعة واستقام الأمر .

* (خلع المقتدر بابن المعتز واعادته) *

ولما بويع المقتدر وكان عمره ثلاث عشرة سنة إستصغره الناس وأجمع الوزير خلعه والبيعة لأبي عبدالله محمد بن المعتز وراسله في ذلك ، فأجاب وانتظر قدوم نارس حاجب إسمعيل بن سامان ، كان قد انتقض إلى مولاه وسار عنه ، فاستأذن في القدوم إلى بغداد وأذن له . وقصد الاستعانة به على موالي المعتضد . وأبطأ نارس عليه ، وهلك أبو عبدالله بن المقتدر خلال ذلك فصرف الوزير وجهة لأبي الحسين بن الموكّل فمات ، فأُقِرّ المقتدر ، ثم بدا له وأجمع عزله ، واجتمع لذلك مع القوّاد والقضاة والكتّاب وراسلوا عبدالله بن المعتز فأجابهم على أن لا يكون قتال . فأخبروه باتفاقهم وأن لا منازع لهم . وكان المتولّون لذلك الوزير العبّاس بن الحسين ومحمد بن داود بن الجرّاح وأبا المثنّى أحمد بن يعقوب القاضي ، ومن القوّاد الحسين بن حمدان

(١) صافي الحرميّ : ابن الاثيرج ٨ ص ١٠ .

وبدر الأعجمي ووصيف بن صوارتكين . ثم رأى الوزير أمره صالحاً المقتدر فبداله في ذلك فأجمع الآخرون أمرهم ، واعترضه الحسين بن حمدان وبدر الأعجمي ووصيف في طريق لستانة فقتلوه لعشر بَقَيْنَ من ربيع الأوّل سنة ست وتسعين ، وخلعوا المقتدر من الغد وبايعوا لابن المعتز ، وكان المقتدر في الحلبة يلعب الأُكْرَة ، فلما بلغه قتل الوزير دخل الدار وأغلق الأبواب ، وجاء الحسين بن حمدان إلى الحلبة ليفتك به فلم يجده ، فقدم وأحضروا ابن المعتز فبايعوه ، وحضر الناس والقوّاد وأرباب الدواوين سوى أبي الحسن بن الفرات وخواص المقتدر فلم يحضروا . ولقّب ابن المعتز المرتضي بالله ، واستوزر محمد بن داود بن الجرّاح ، وقلّد عليّ بن موسى الدواوين ، وبعث إلى المقتدر بالخروج من دار الخلافة ، فطلب الإمهال إلى الليل ، وقال مؤنس الخادم ومؤنس الخازن : وعربت الحال وسائر الحاشية لا بد أن يبدي عذراً فيما أصابنا . وباكر الحسين بن حمدان من الغد دار الخلافة فقاتله الغلمان والخدم من وراء السور وانصرف . فلما جاء الليل سار إلى الموصل بأهله ، وأجمع رأي أصحاب المقتدر على قصد ابن المعتز في داره فتسلّحوا وركبوا في دجلة ، فلما رآهم أصحاب ابن المعتز اضطربوا وهربوا واتهموا الحسين بن حمدان أنه قد واطأ المقتدر عليهم ، وركب ابن المعتز ووزيره محمد بن داود بن الجرّاح وخرجوا إلى الصحراء ظنًّا منهم أن الجند الذين بايعوهم يخرجون معهم ، وأنهم يلحقون بسامرّا فيمتنعون ، فلما تفرّدوا بالصحراء رجعوا إلى البلد وتسرّبوا في الدور ، واختفى ابن الجرّاح في داره ، ودخل ابن المعتز ومولاه دار أبي عبدالله بن الجصّاص مستجيراً به . وثار العيّارون والسفل[1] ينتهبون . وفشا القتل وركب ابن عَمْرَوَيْه صاحب الشرطة ، وكان ممن بايع ابن المعتز ، فنادى بثأر المقتدر مغالطاً ، فقاتله فهرب واستتر ، وأمر المقتدر مؤنساً الخازن فزحف في العسكر وقبض على وصيف بن صوارتكين فقتله ، وقبض على القاضي أبي عمر عليّ بن عيسى والقاضي محمد بن خلف ، ثم أطلقهم وقبض على القاضي أبي المثنّى أحمد بن يعقوب ، قال له : بايع المقتدر ! قال : هو صبي ! فقتله وبعث المقتدر إلى أبي الحسن بن الفرات كان مختفياً فأحضره واستوزره . وجاء سوسن خادم ابن الجصّاص فأخبر صافياً الخُرّميّ مولى المقتدر بمكانه عندهم ، فكبست الدار وأخذ ابن المعتز وحبس إلى الليل ، ثم خصيت خصيتاه فمات وسُلِّم إلى أهله وأخذ

---

(١) الأصح ان يقول السفلة .

ابن الجصّاص وصودر على مال كثير ، وأخذ محمد بن داود وزير ابن المعتز وكان مستتراً فقتل . ونفى عليّ بن عيسى بن علي إلى واسِط ، واستأذن من ابن الفرات في المسير إلى مكة فسار إليها على طريق البصرة واقام بها ، وصودر القاضي أبو عمر على مائة ألف دينار ، وسارت العساكر في طلب الحسين بن حمدان إلى الموصل فلم يظفروا به ، وشفع الوزير ابن الفرات في ابن عَمْرَوَيْه صاحب الشرطة وابراهيم بن كيغلغ وغيرهم . وبسط ابن الفرات الإحسان وأدرّ الأرزاق للعبّاسيين والطالبيّين وأرضى القوّاد بالأموال ، ففرّق معظم ما كان في بيت المال . وبعث المقتدر القاسم بن سيما وجماعة من القوّاد في طلب الحسين بن حمدان . فبلغوا قَرْقيسيا والرَحْبَة ولم يظفروا به ، وكتب المقتدر إلى أخيه أبي الهيجاء وهو عامل الموصل بطلبه . فسار مع القاسم بن سيما والقوّاد ولقوه عند تكريت فهزموه . وبعث مع أخيه ابراهيم يستأمن فأمّنوه وجاؤا به إلى بغداد ، فخلع عليه المقتدر وعقد له على قمّ وقاشان . وعزل عنها العبّاس بن عمر الغَنَوِيّ فسار إليها الحسين . ووصل نارس مولى إسمعيل بن سامان فقلّده المقتدر ديار ربيعة .

* (ابتداء دولة العبيديّين من الشيعة بافريقية) *

نسبة هؤلاء العبيديّين إلى أوّل خلفائهم ، وهو عبيدالله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر المُصَدّق بن محمد المكتوم بن إسمعيل الإمام بن جعفر الصادق . ولا يلتفت لإنكار هذا النسب . فكتاب المعتضِد إلى ابن الأغلب بالقَيْرَوَان وابن مِدْرار بسلجاسة يغريهم بالقبض عليه لمّا سار إلى المغرب شاهد بصحّة نسبهم وشعر الشريف الرضي في قوله :

أَلْبَسُ الذُلّ في بِلادِ الأعادِي ... وبِمِصْرَ الخَلِيفَةُ العَلَوِيُّ
مَنْ أَبوهُ أبي ومَوْلاهُ مَوْلاي ... إذا ضامَني البَعِيدُ القَصِيُّ
لَفّ عِرْقي بِعِرْقِهِ سيِّدا لنا ... سِ جميعاً . مُحَمَّدٌ وعَلِيُّ

وأما المحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالقدح في نسبهم . وشذّ فيه أعلام الأئمّة مثل القدوري والصُهَيْريّ[1] وأبي العبّاس الأبيورديّ وأبي حامد الأسفرايني وأبي الفَضْل النَسَوِيّ وأبي جعفر النَسَفِيّ . ومن العَلَوِيّة المُرْتَضى وابن

(١) الصيمري : ابن الاثير ج ٨ ص ٢٦ .

البَطْحاوي، وابن الأزرق، وزعيم الشيعة أبو عبدالله بن النعمان. فهي شهادة على السماع. وكان ذلك متَّصِلاً في دولة العبّاسية منذ مائتين من السنين فاشياً في أمصارهم وأعصارهم. والشهادة على السماع في مثله جائزة على أنّها شهادة نفي. ولا تعارض ما ثبت في كتاب المُعْتَضِد مع أن طبيعة الوجود في الانقياد لهم. وظهور كلمتهم أدل شيء على صدق نسبهم. وأمّا من جعل نسبهم في اليهودية أو النَصْرَانِيّة لميمون القدّاح أو غيره فكفاه إثما تعرّضه لذلك. وأما دعوتهم التي كانوا يدعون لها فقد تقدّم ذكرها في مذاهب الشيعة من مقدّمة الكتاب. وانقسمت مذاهب الشيعة مع اتفاقهم على تفضيل عليّ على جميع الصحابة إلى الزَيْدِيّة القائلين بصحة إمامة الشيخين مع فضل عليّ. ويجوّزون إمامة المفضول وهو مذهب زيد الشهيد وأتباعه. والرافضة ويدعون بالإمامية المتبرّئين من الشيخين بإهمالهما وصية النبيّ صلى الله عليه وسلم بخلافة عليّ. مع أنّ هذه الوصية لم تنقل من طريق صحيح. قال بها أحد من السلف الذين يقتض بهم. وإنما هي من أوضاع الرَّافِضَة. وانقسم الرافضة بعد ذلك إلى إثني عَشَرِيّة نقلوا الخلافة من جعفر بعد الحسن والحسين وعليّ زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم وولده على سلسلة واحدة إلى تمام الإثني عشر. وهو محمد المهدي وزعموا أنه دخل سرداباً وهم في انتظاره إلى الآن. وإلى الإسماعيلية نقلوا الخلافة من جعفر الصادق إلى إبنه إسمعيل. ثم ساقوها في عقبة فمنهم من انتهى بها إلى عبيدالله هذا المهدي. وهم العُبَيْدِيّون. ومنهم من ساقها إلى يحيى بن عبيدالله بن محمد المكتوم. وهؤلاء طائفة من القَرَامِطَة وهي من كذباتهم. ولا يعرف لمحمد بن إسمعيل ولد إسمه عبيدالله. وكان شيعة هؤلاء العُبَيْدِيّين بالمشرق واليمن وأفريقية. وسار بها إلى أفريقية رجلان يعرف أحدهما بالحُلْوَانِيّ والآخر بالسُفْيَانِيّ أنفذهما الشيعة إلى هنالك وقالوا لهما: إنّ العرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يحيا صاحب البذر. وسارا لذلك ونزلا أرض كتامة. أحدهما ببلد يسمّى سوق حمار. وفشت هذه الدعوة منهما في أهل تلك النواحي من البَرْبَر وخصوصاً في كتامة. وكانوا يزعمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أوصى إلى عليّ بالخلافة بالنصوص الجَلِيّة وعدل عنها الصحابة إلى غيره فوجب البراءة ممن عدل عنها. ثم أوصى عليّ إلى ابنه الحسن ثم الحسن إلى أخيه الحسين، ثم الحسين إلى ابنه عليّ زين العابدين، ثم زين العابدين إلى إبنه محمد الباقر، ثم محمد

الباقر إلى ابنه جعفر الصادق ، ثم جعفر الصادق إلي إبنه إسمعيل الإمام ، ومنه إلى ابنه محمّد ، ويسمّونه المكتوم لأنهم كانوا يكتمون إسمه حذراً عليه . ثم اوصى محمد المكتوم إلى ابنه جعفر المصدق ، وجعفر المصدق إلى إبنه محمد الحبيب ، ومحمد الحبيب إلى ابنه عبيدالله المهدي الذي دعا له أبو عبدالله الشيعي . وكانت شيعهم منتشرين في الأرض من اليمن إلى الحجاز والبحرين والطرق وخراسان والكوفة والبصرة والطالقان . وكان محمد الحبيب ينزل سَلَمْيَةَ من أرض حِمْصَ ، وكان عادتهم في كل ناحية يدعون للرِضَا من آل محمد ، ويرومون إظهار الدعوة بحسب ما عليهم . وكان الشيعة من النواحي يعملون مكيهم في أكبر الأوقات لزيارة قبر الحسين ، ثم يعرجون على سَلَمْيَة لزيارة الأئمة من ولد إسمعيل وكان باليمن من شيعتهم . ثم بعده لأئمة قوم يعرفون ببني موسى ورجل آخر يعرف بمحمّد بن الفضل أصله من جَنَد . وجاء محمد إلى زيارة الإمام محمد الحبيب ، فبعث معه أصحابه رستم بن الحسين بن حوشب بن داود النجّار ، وهو كوفيّ الأصل وأمره بإقامة الدعوة ، وأنّ المهديّ خارج في هذا الوقت ، فسار إلى اليمن ونزل على بني موسى وأظهر الدعوة هنالك للمهدي من آل محمد الذي ينعتونه بالنعوت المعروفة عندهم ، فاتّبعه واستولى على كثير من نواحي اليمن . وكان أبو عبدالله الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالمُحْتَسِب ، وكان محتسباً بالبصرة . وقيل إنما المحتسب أخوه أبو العبّاس المخطوم وأبو عبدالله يعرف بالعَلَمْ . لأنه كان يعرف مذهب الإمامية الباطنية ، قد اتّصل بالإمام محمد الحبيب وخبر أهليته ، فأرسله إلى أبي حوشب ، ولزم مجالسته وأفاد علمه . ثم بعثه مع الحاج اليمني إلى مكّة ، وبعث معه عبدالله بن أبي مُلاّ ، فأتى الموسم ولقي به رجالات كُتَامَة مثل حريث الحُمَيْلِيّ وموسى بن مكاد ، فاختلط بهم وعكفوا عليه لما رأوا عنده من العبادة والزهد ، ووجّه إليهم بدراً من ذلك المذهب ، فاغتبط واغتبطوا وارتحل معهم إلى بلدهم ونزل بها منتصف ربيع سنة ثمان وثلاثين ، وعيّن لهم مكان منزله بفتح الأحار وأن النصّ عنده من المهديّ بذلك ، وبجهره المهدي وأنّ أنصاره الأخيار من أهل زمانه ، وأنّ إسم أنصاره مشتق من الكتمان ولم يعيّنه ، واجتمع لمناظرته كثير من أهل كتامة فأبى ، ثم أطاعوه بعد فتن وحروب . واجتمعوا على دعوته وكانوا يسمّونه أبا عبدالله المشرقي والشيعيّ ، ولما اختلف كتامة عليه واجتمع كثير منهم على قتله قام بنصرته الحسن بن هرون ، وسار به

إلى جبل إيكجان وأنزله مدينة تاصروت من بلد زرارة ، وقاتل من لم يتبعه بمن تبعه حتى استقاموا جميعاً على طاعته . وبلغ خبره إبراهيم بن أحمد بن الأغلب عامل أفريقية بالقَيْرَوَان ، فأرسل إلى عامل ميلة يسأله عن أمره فحقّره وذكر أنه رجل يلبس الخشن ، ويأمر بالعبادة والخير فأعرض عنه حتى إذا اجتمع لأبي عبدالله أمره ، زحف في قبائل كتامة إلى بلد ميلة فملكها على الأمان بعد الحصار ، فبعث إبراهيم بن أحمد بن الأغلب إبنه الأحول في عسكرهم يجاوز عشرين ألفاً ، فهزم كتامة وامتنع أبو عبدالله بجبل إيكجان ، وأحرق الأحول مدينة تاصروت ومدينة ميلة ، وعاد إلى أفريقية ، وبنى أبو عبدالله بجبل إيكجان[1] مدينة سمّاها دار الهجرة . ثم توفي إبراهيم بن الأغلب صاحب أفريقية وولّى ابنه أبو العبّاس ، وقتل واستقرّ الأمر لزيادة الله ، وكان الأحول حمل العساكر لحضوره فاستقدمه زيادة الله وقتله .

* (وفاة الحبيب وإيصاؤه لابنه عبيدالله) *

ولما توفي محمد الحبيب وأوصى لابنه عبيدالله ، وقال له : أنت المهدي وتهاجر بعدي هجرةً بعيدةً ، وترى محناً شديدةً . فقام عبيدالله بالأمر وانتشرت دعوته وأرسل إليه أبو عبدالله الشيعيّ رجالاً من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم ، وأنّهم في انتظاره . وشاع خبره وطلبه المكتفي فهرب هو وولده نزار الذي وَلِيَ بعده وتلقّب بالقائم . وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب . وانتهى إلى مِصْر وعليها يومئذ عيسى النوشريّ ، فلبس عبيدالله زي التجّار يتستّر به . وجاء كتاب المكتفي للنوشري بالقبض عليه ، وفيه صفته وحليته ، فبعث العيون في طلبه . ونمي الخبر بذلك إلى عبيدالله من بعض خواص النوشريّ فخرج في رفقة ، ورآه النوشريّ وأحضره ودعاه للمؤاكلة فاعتذر بالصوم ، ثم امتحنه فلم تشهد له أحواله بشيء مما ذكر له عنه . وقارن ذلك رجوع إبنه أبي القاسم يسأل عن كلب للصيد ضاع له ، فلمّا رآه النوشريّ وأخبر أنه ولد عبدالله علم أنّ هذه الدالة في طلب الضائع منافية للرقْبَةِ والخوف ، فخلّى سبيله . وجدّ المهدي في السير وكان له كتب من الملاحم ورثها منقولة عن أبيه سرقت من رحله في تلك الطريق ، ويقال إنّ ابنه أبا القاسم لما زحف إلى مصر أخذها من بلاد بَرْقَة . ولما انتهى المهدي وابنه إلى طرابلس وفارقه التجّار أهل الرفقة ، قدّم أبا

(١) إنكِجان : ابن الاثيرج ٨ ص ٣٤ .

العبّاس أخا أبي عبيدالله الشيعيّ إلى أخيه بكتامة ، ومرّ بالقَيْرَوَان ، وقد سبق خبرهم إلى زيادة الله وهو يسأل عنهم ، فقبض على أبي العبّاس وسأله فأنكر فحبسه ، وكتب إلى عامل طرابلس بالقبض على المهدي ففاته ، وسار إلى قسطنطينية فعدل عنها خشية على أبي العبّاس أخي الشيعيّ المعتقل بالقَيْرَوَان ، وذهب إلى سِجِلْمَاسَةَ وبها أَلِيشَع بن مِدْرَار فأكرمه . ثم جاءه كتاب زيادة الله ويقال كتاب المكتفي بأنه المهدي الذي داعيه في كتامة فحبسه ، وبعث زيادة الله العساكر ، الى كتامة مع قريبه إبراهيم بن حيش[1] ، وكانوا أربعين ألفاً ، فانتهى إلى قسطنطينية[2] فأقام بها وهم متحصّنون بخيلهم ستة أشهر . ثم زحف إليهم ودافعهم عند مدينة بلزمة فانهزم إلى القَيْرَوَان . وكتب أبو عبدالله بالفتح إلى المهدي وهو في محبسه . ثم زحف إلى مدينة طبنة فحاصرها وملكها بالأمان ، ثم إلى مدينة بَلْزَمَة فملكها عنوة ، فبعثُ زيادة الله العساكر مع هرون الطَبْنِيّ فانتهوا إلى مدينة دار ملوك ، وكانوا قد أطاعوا الشيعي فهدمها هرون ، وقتل أهلها ، وسار إلى الشيعي فانهزم من غير قتال وقتل . وفتح الشيعي مدينة عيسى فزحف زيادة الله في العساكر سنة خمس وتسعين ونزل الأُرْبُس ثم أشار عليه أصحابه بالرجوع إلى القيروان ليكون رِدْءاً للعساكر ، فبعث الجيوش مع إبراهيم بن أبي الأغلب من قرابته ورجع ، وزحف أبو عبدالله إلى باغاية فهرب عاملها وملكها . ثم إلى مدينة مرما جنة فافتتحها عنوة وقتل عاملها ثم إلى مدينة تيفاش فملكها على الأمان ، واستأمن إليه القبائل من كل جهة فأمّنهم وسار بنفسه إلى مسلبابة[3] ثم الى تَبِسَة ثم إلى مَجَانَة ففتحها على الأمان ، ثم سار إلى القصرين من قمودة وأمّن أهلها وسار يريد قادة وبلغ الخبر إلى ابراهيم بن أبي الأغلب وهو بالأُرْبُس أميراً على الجيش ، فخشي على زيادة الله برقادة لقلة عسكره ، وارتحل ذاهباً إليه ، وسار أبو عبدالله إلى قسطنطينية فحاصرها وافتتحها على الأمان ورجع إلى باغاية فأنزل بها عسكرا وعاد الى ايكجان فسار ابراهيم بن أبي الاغلب الى باغاية وحاصر أصحاب أبي عبدالله بها ، فبعث أبو عبدالله عساكره إلى مج[4] العرعار فألفوا

---

(١) خنيش : ابن الاثير ج ٨ ص ٤٠ .
(٢) هكذا في الأصل وكذلك عند ابن الاثير وفي نسخة اخرى قسنطينه .
(٣) مسكياتة : ابن الأثير ج ٨ ص ٤٣ .
(٤) فج : ابن الاثير ج ٨ ص ٤٤ .

إبراهيم قد عاد عنها إلى الأرْبُس . ثم زحف أبو عبدالله إلى إبراهيم سنة ست وتسعين في مائة ألف مقاتل وبعث من عسكره من يأتي إبراهيم من خلفه ، وسار إليه فانهزم وأثخن فيهم أبو عبدالله بالقتل والأسر ، وغنم أموالهم وخيلهم وظهرهم . ودخل الأرْبُس فاستباحها ، ثم سار فنزل قمودة ، وبلغ الخبر إلى زيادة الله فهرب إلى مصر . وافترق أهل مدينة رقادة إلى القَيْرَوَان وسوسة ونهب قصور بني الأغلب ووصل إبراهيم بن أبي الأغلب إلى القَيْرَوَان ، فنزل قصر الإمارة وجمع الناس ووعدهم الحماية ، وطلب المساعدة بطاعتهم وأموالهم ، فاعتذروا وخرجوا إلى الناس فأخبروهم ، فثاروا به وأخرجوه . وبلغ أبا عبدالله الشيعيّ هرب زيادة الله وهو يشبه[1] فدخل إلى رقادة وقدم بين يديه عروبة بن يوسف وحسن بن أبي خنزير فساروا وأمّنوا الناس . وخرج أهل القيروان للقاء أبي عبدالله فأكرمهم وأمّنهم . ودخل رقادة في رجب سنة ست وتسعين ، ونزل قصورها وفرّق دورها على كُتَامَة ونادى بالأمان . وتراجع الناس فأخرج العمّال وطلب أهل الشرّ فهربوا . وجمع أموال زيادة الله وسلاحه وأمر بحفظها وبحفظ جواريه ، واستأذنه الخطباء لمن يخطبون فلم يعيّن لهم أحداً . ونقش على السِكّة من أحد الوجهين بلغت حجة الله . ومن الآخر تفرّق أعداء الله ، وعلى السلاح عدّة في سبيل الله . ورسم أفخاذ الخيل بالملك لله .

* (بيعة المهدي بسجلماسة) *

ولما ملك أبو عبدالله أفريقية لقيه أخوه أبو العبّاس منطلقاً من اعتقاله . فاستخلفه عليها وترك معه أبا زاكي تمام بن معارك من قوّاد كتامة . وسار إلى المغرب ففرّق القبائل من طريقه ، وخافته زناتة فدخلوا في طاعته. ولما قرب من سِجِلْمَاسَة أرسل إلى المهدي بمحبسه يسأله عن حاله فأنكر . ثم سأل ولده كذلك فأنكر . وضرب رجاله فأنكروا ، ونمي الخبر إلى أبي عبدالله فخشي عليهم وأرسل إلى اليَسَع يتلطّفه فقتل الرسل فأغذ أبو عبدالله السير وحاصره يوماً وهرب اليَسَع من الليل هو وأصحابه وبنو عمّه . وخرج أهل البلد إلى أبي عبد الله فجاء إلى مجلس المهدي

(١) المعنى غير واضح وفي الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٤٦ : « ولما بلغ ابا عبدالله هرب زيادة الله كان بناحية سَبِيبَة فرحل ونزل بوادي النمل . وقدّم بين يديه عروبة بن يوسف وحسن بن ابي خنزير . في الف فارس الى رقادة .

فأخرجه هو وابنه أبا القاسم ، وأركبهما ومشى مع رؤساء القبائل بين يديها وهو يقول : هذا مولاكم ويبكي من شدّة الفرح ، ثم أنزله بالمخيم وبعث في أثر أليسع فجيء به فجلد ، ثم قتل ، وأقام بسِجِلْـمَـاسَة أربعين يوماً ورجع إلى أفريقية ، ووصل إلى رقادة في ربيع من سنة ست وتسعين وجدّد البيعة للمهدي واستولى على ملك بني الأغلب بأفريقية . وملك مِدْرار سِجِلْـمَـاسَـة ونزل برقادة وتلقّب بالمهدي أمير المؤمنين وبعث دعاته في الناس فحملوهم على مذهبهم فأجابوا إلاّ قليلاً عرض عليهم السيف ، وقسّم الأموال والجواري في رجال كُتَـامَـة ، وأقطعهم الأموال والأعمال ، ودوّن الدواوين وجبى الأموال وبعث العمّال على البلاد . فبعث على صِقِلِّيَـة الحسن بن أحمد بن أبي خنزير فوصل إلى مازر في عيد الأضحى من سنة تسع وتسعين ، فاستقضى بها إسحق بن المنهال ، وأجاز البحر سنة ثمان وتسعين إلى بسط قلورية[1] فأثخن فيها وعاد وثار به أهل صقلية سنة تسع وتسعين فحبسوه واعتذروا إلى المهدي لسوء سيرته ، فعذرهم وولّى عليهم علي بن عمر البَلَوِيّ فوصل إليهم خاتمة السنة المذكورة .

* (أخبار ابن الليث بفارس) *

قد ذكرنا من قبل استيلاء الليث بن عليّ بن الليث وسيكرى[2] مولى عمر بن الليث على فارس من يد طاهر بن محمد . ثم أخرج سيكرى بعد ذلك الليث وانفرد بها ، وسار إليه طاهر بن محمد بن عمرو ، فواقعه وانهزم طاهر وأسر سيكرى وأسر أخاه يعقوب ، وبعث بهما إلى المُـقْـتَـدِر مع كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي ، وقد أمّره على ما يحمله وذلك سنة ست وتسعين ، ثم سار إليه الليث بن عليّ من سجستان سنة سبع وتسعين ، فغلبه وملك فارس ، وهرب سيكرى إلى أرجان وأمدّه المقتدر بمؤنس الخادم في العساكر ، فجاء إلى أرجان وجاء الحسين بن حمدان من قمّ إلى البيضاء في إعانته ، فسار لملاقاته وأضلّ الطريق إلى مسالك صعبة أشرف على عسكر مؤنس . وكان سيكرى قد بعث أخاه إلى شيراز ليحفظها ، فلما أشرف على العسكر ظنّه عسكر أخيه فثاروا إليه واقتتلوا وانهزم عسكر الليث وأخذ أسيراً . وأشار عليه

(١) كذا في الاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٥٠ : «وبقي ابن ابي خنزير الى سنة ثمان وتسعين ومائتين ، فسار في عسكره الى دَمَنْش فغنم وسبى وأحرق»

(٢) شبكرى : ابن الاثير ج ٨ ص ٥٦ — الطبري ج ١٢ ص ١٧ .

أصحابه أن يقبض على سيكرى ويطلب من المقتدر ولاية فارس مكانه فوافقهم طاهر ودسّ إليه ، فلحق بشيراز وعاد مؤنس إلى بغداد بالليث أسيراً ، والحسين بن حمدان إلى عمله بقمّ . ثم إنّ عبد الرحمن بن جعفر كَاتِب سيكرى استولى على أمره ، وحسده أصحابه وأكثروا السعاية فيه عند سيكرى فحبسه ، واستكتب مكانه إسمعيل ابن إبراهيم اليمن[1] ، فحمله على العصيان ومنع الحمل ودسّ عبد الرحمن بن جعفر من محبسه إلى الوزير ابن الفرات بذلك ، فكتب إلى مؤنس وهو بواسِط يأمره بالعود إلى فارس ، فسار وأرسله سيكرى وأنسه وسأل منه الوساطة في أمره ، وشعر ابن الفرات بميل مؤنس إلى بغداد ، وسار محمد بن جعفر فهزم سيكرى على شيراز فخلص إلى قمّ وتحصن بها ، وحاصره محمد بن جعفر ثم خرج إليه فهزمه ثانية ، ودخل مغارة خراسان فلقيته عساكر ، اسمعيل إلى بغداد ، فحبسا هنالك واستولى محمد بن جعفر من القوّاد على فارس وولّى عليها قبيجاً[2] خادم الأفشين ، ثم صارت ولايتها لبدر ابن عبدالله الحمامي[3]   وفي آخر سنة تسع وتسعين ومائتين قبض حرمه وقامت الهيعة ببغداد ثلاثة أيام ، ثم سكنت وذلك لثلاث سنين وثلاثة أشهر من وزارته . فاستوزر مكانه أبا عليّ محمد بن يحيى بن عُبَيْـد الله بن يحيى ، فرتّب الأمور على الدواوين . ثم زاد قرفه لضيق صدره وطيشه وعدوله عن مذاهب الرياسة إلى الوضاعة ومراجعة أصحاب الحاجات والحقوق إلى ما يريد قضاءه منها ، وكثرة التولية والعزل وتبجّح أصحابه عليه في إطلاق الأموال وانبساط الجاه بإفساد الأحوال . واعتزم المقتدر على عزله بأبي الحسين بن أبي الفضل ، فاستدعاه من أصبهان ، ثم قبض عليه وعلى أبي الحسن ببغداد ، وأهمل رأي الوزراء وصار يرجع إلى قول النساء والخدم ، فطمع العمّال في الأطراف ، ثم أخرج ابن الفرات من محبسه وجعله في بعض الحجر ، وأحسن إليه وصار يعرض عليه مطالعات العمّال ، وأراد أن يستوزره ثم بدا له واستدعى عليّ بن عيسى من مكّة فاستوزره لأوّل سنة إحدى وثلثمائة ، وقبض على الخاقاني وحبسه وعين حرسياً عليه . وقام علي بن عيسى بالوزارة وأصلح ما أفسده الخاقاني واستقامت الأمور .

(١) اسماعيل بن ابراهيم البمّيّ : ابن الاثيرج ٨ ص ٥٧ .
(٢) قنبجاً : ابن الأثير ج ٨ ص ٥٨ .
(٣) بياض بالاصل وفي الطبري ج ١٢ ص ١٩ : « وفيها خالف سيكرى والتوى بما عليه فندب لمحاربته وصيف كامه غلام الموفق وشخص معه وجوه القواد وفيهم الحسين بن حمدان وبدر غلام النوشري وبدر الكبير المعروف بالحمامي فواقعوا سبكرى في باب شيراز وهزموه . »

* (قيام أهل صقلية بدعوة المقتدر ثم رجوعهم الى طاعة المهدي) *

قد ذكرنا ولاية عليّ بن عمر على صقلية من عبدالله المهدي سنة تسع وتسعين . ثم إنّ أهل صِقِلِّيَة انتقضوا عليه وولّوا عليهم أحمد بن موهب[1] ثم انتقضوا عليه وأرادوا قتله فدعا إلى طاعة المُقْتَدِر وخطب له بصقلية ، وقطع خطبة المهدي وبعث أسطولاً إلى ناحية ساحل أفريقية ، فلقوا أسطول المهدي ، وعليه الحسن بن أبي خنزير ، فأحرقوه وقتلوا الحسن ووصلت خلع السواد وألويته لابن موهب من بغداد ثم جاءت أساطيل المهدي في البحر وفسد أمر ابن موهب ثم ثارت أهل صقلية به سنة ثلثمائة وأسروه وبعثوا به إلى المهدي مع جماعة من أصحابه فأمرهم بقتلهم على قبر ابن أبي خنزير .

* (ولاية العهد) *

وفي سنة إحدى وثلثمائة ولّى المقتدر إبنه أبا العبّاس العهد وهو الذي وَلِيَ الخلافة بعد القاهر وسُمِّيَ بالراضي فولاّه أبو المقتدر العهد وهو ابن سنين[2] وقلّده مِصْر والمغرب ، واستخلف له عليها مؤنساً الخادم وولّى ابنه الآخر عليًّا على الريّ ودُنْبَاوَنْد وقَزْوِين وأذربيجان[3] وأبهر .

* (ظهور الاطروش وملكه خراسان) *

كان هذا الأطروش من ولد عمر بن عليّ زين العابدين وهو الحسن بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن عمر وكان قد دخل إلى الدَّيْلَم بعد قتل محمد بن زيد ، ولبث فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام ويأخذ منهم العُشْر ، ويدافع عنهم ملكهم ابن حسّان ، فأسلم على يديه منهم خلق كثير وبنى لهم المساجد ، وزحف بهم إلى ثغور المسلمين ، أراهم مثل قزوين وسالوس فأطاعوه ، وهدم حصن سالوس . ثم

(١) احمد بن موهر : ابن الاثيرج ٨ ص ٧١ .
(٢) هكذا بالاصل وفي الكامل لابن الاثيرج ٨ ص ٧٦ : في هذه السنة — ٣٠١ — خُلع على الامير أبي العبّاس بن المقتدر بالله ، وقُلّد أعمال مصر والمغرب وعمره أربع سنين .
(٣) زنجان : المرجع السابق .

دعاهم إلى غزو طبرستان وهي في طاعة ابن سامان . وكان إسمعيل بن أحمد لما انتقض بها محمد بن هرون ، وقبض عليه إسمعيل وولى عليها أبا العبّاس عبدالله بن محمد بن نوح ، فأحسن السيرة وأظهر العدل . وبالغ في الإحسان إلى العلوية الذين بها ، واستمال الدَيْلَم بالمهاداة والإحسان . فاشتمل الناس عليه . فلما دعاهم الحسن إلى غزو طبرستان ، لم يجيبوه من أجل ابن نوح . ثم إنّ أحمد بن إسمعيل عزل ابن نوح عنها ، وولّى عليها سلاماً فأساء السيرة ولم يحسن سياسة الدَيْلَم . فهاجوا عليه فقاتلهم وهزمهم ، واستعفى من ولايتها فعاد إليها ابن نوح وصلحت الحال كما كانت إلى أن مات ، فولّى عليها محمد بن إبراهيم بن صعلوك ، فأساء السيرة وتنكّر للدَيْلَم فصادف الحسن منها الغِرَّة ودعاهم إلى غزو طبرستان فأجابوه . وسار إليه ابن صعلوك على من يرحِّلِه من سالوس بشاطىء البحر . فانهزم وقتل من أصحابه أربعة آلاف . ولجأ الباقون إلى سالوس ، فحاصِرهم الأطروش حتى استأمنوا . ورجع عنهم إلى آمد . ثم جاء الحسن بن القاسم العَلَوِيّ الداعي صهر الأطروش إلى أولئك المستأمنين فقتلهم ، واستولى الأطروش على طبرستان ، ولحق ابن صعلوك بالريّ سنة إحدى وثلثمائة ، وسار منها إلى بغداد وكان الأطروش زَيْدِيّ المذهب ، وجميع الذين أسلموا على يده فيما وراء أسعيد ولى الى آمد[1] كلهم على مذهب الشيعة . ثم إن الأطروش العَلَوِيّ تنحّى عن آمد إلى سالوس بعد أن غلب عليها ، فبعث إليه صعلوك الريّ من قبل ابن سامان جيشاً فهزمهم وعاد إلى آما . ثم زحفت إليه عساكر السعيد[2] صاحب خراسان سنة أربع وثلثمائة فقتلوه . وكان هذا الأطروش عادلاً حسن السيرة لم يُرَ مثله في أيامه وأصابه الصمم من ضربة في رأسه بالسيف في الحرب . وقال ابن مَسْكَوَيْه في كتاب تجارب الأمم ويقال فيه الحسن بن عليّ الداعي وليس به ، وإنّما الداعي الحسن بن القاسم صهره ، وسنذكره فيما بعد . وكان له من الوُلْد أبو الحسن ، وكان قوّاده من الدَيْلَم جماعة منهم ابن النعمان وكانت له ولاية جرجان ، وما كان بن كالي وكان على استراباذ ومعرّا . ثم كان من قوّاد وُلْدِهِ من الدَيْلَم جماعة آخرون منهم أسفار بن شِيْرَوَيْه من أصحاب ما كان بن كالي ومرداويج بن

---

(١) هكذا بالاصل العبارة غير واضحة وفي الكامل لابن الاثيرج ٨ ص ٨٢ : « الذين هم وراء اسفيد روز الى ناحية آمل . »

(٢) بياض بالأصل وهو السعيد نصر بن سامان كما سيمرّ معنا .

زياد من أصحاب أسفار، واسكرى من أصحابه أيضاً، وبنو بُوَيْه من أصحاب مرداويج، وسيأتي الخبر عن جميعهم إن شاءالله تعالى.

* ﴿ غلب المهدي على الاسكندرية ومسير مؤنس إلى مصر ﴾ *

وفي سنة إثنتين وثلثمائة بعث عبدالله المهدي عساكره من أفريقية إلى الإسكندرية مع قائده خفاشة الكتابي فغلب عليها وسار إلى مِصْر، وبلغ المقتدر فبعث مؤنساً الخادم في العساكر لمحاربته، وأمدّه بالأموال والسلاح. وسار إليهم وقاتلهم فهزمهم بعد وقائع متعدّدة، قُتِلَ فيها من الفريقين، وبلغ القتل والأسر من المغاربة سبعة آلاف ورجعوا إلى المغرب.

* (انتقاض الحسين على ابن حمدان بديار ربيعة وأسره) *

كان الحسين بن حمدان والياً على ديار ربيعة وطالبه الوزير عليّ بن عيسى بالمال، فدافعه وأمره بتسليم البلاد إلى عمّال السلطان، فامتنع وكان مؤنس الخادم بمِصْر في محاربة عساكر المهدي صاحب أفريقية، فجهّز الوزير إلى ابن حمدان رائقاً الكبير في عسكر سنة ثلاث وثلثمائة، وكتب إلى مؤنس أن يسير إلى الجزيرة لقتاله بعد فراغه من أصحاب العلويّ بمصر، فسار رائق أوّلاً هزمه الحسين، ولحق بمؤنس فأمره بالمقام بالموصل. وسار نحو الحسين وتبعه أحمد بن كيغلغ، وانتهى إلى جزيرة ابن عمر والحسين بأرمينية. ورجع الكثير من عسكره إلى مؤنس. ثم بعث مؤنس عسكراً في أثره عليهم بُلَيْق ومعه سيما الجزري. وجاء الصفواني واتبعوه فادركوه، وقاتلوه فهزموه، وجاؤا به أسيراً ومعه إبنه عبد الوهاب وأهله وكثير من أصحابه. وعاد مؤنس إلى بغداد على الموصل، فحبسه المقتدر وأغار على أبي الهيجاء بن حمدان وجميع إخوته وحبسهم. ثم أطلق أبا الهيجاء سنة خمس وقتل الحسين سنة ست تقريباً كما نذكر إن شاءالله تعالى.

* (وزارة ابن الفرات الثانية) *

كان الوزير أبو الحسن بن الفرات محبوساً كما ذكرنا وكان المقتدر يشاوره ويرجع إلى رأيه، ويبغي بعض أصحاب المقتدر إعادته. وبلغ ذلك الوزير عليّ بن عيسى فاستعفى ومنعه المقتدر. ثم جاءت في بعض الأيام قهرمانة القصر تناظره في نفقات

الحرم والحاشية وكسوتهم ، فألفته نائماً فلم يوقظه لها أحده . فرجعت وشكت إلى المقتدر وأمّه فقبض عليه في ذي القعدة من سنة أربع وثلثمائة ، وأعاد ابن الفرات على أن يحمل إلى بيت المال ألف دينار وخمسمائة دينار في كل يوم . وقبض على الوزير من قبله عليّ بن عيسى والخاقاني وأصحابهما ، وصادرهم أبوعلي بن مقلة وكان مختفياً منذ قبض علي ابن الفرات فقدّمه الآن واستخلصه .

* (خبر ابن أبي الساج بأذربيجان) *

قد ذكرنا استقرار يوسف بن أبي الساج على أرمينية وأذربيجان منذ مهلك أخيه محمد سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وكان على الحرب والصلاة والأحكام ، وكان عليه مال يؤديه . فلما وَلِيَ الخاقاني وعليّ بن عيسى الوزارة ، والتأمت أمور يوسف في الاستبداد ، وأخرّ بعض المال واجتمع له ما يريده لذلك ، وبلغته نكبة الوزير عليّ ابن عيسى ، فأظهر أنّ العهد وصل إليه بولاية الريّ على يد عليّ بن عيسى . وكان حميد بن صعلوك من قوّاد ابن سامان قد بعث على الريّ وما يليها ، وقاطع عليها بمال يحمله فسار إليه يوسف سنة أربع وثلثمائة ، فهرب إلى خراسان واستولى يوسف على الريّ وقزوين وزنجان ، وكتب إلى الوزير ابن الفرات بالفتح ويعتذر بأنه طرد المتغلبين ، ويذكر كثرة ما أنفق من ذلك ، وأنه كان بأمر الوزير علي بن عيسى وعهده إليه بذلك ، فأستعظم المُـقْـتَدِر ذلك ، وسُئِلَ عليّ بن عيسى فأنكر وقال : سلوا الكتّاب والحاشية والعهد واللواء اللذين كان يسير بهما مع بعض القوّاد والخدّام . فكتب ابن الفرات بالنكير على يوسف ، وجهّز العساكر لحربه مع خاقان المُـفْلِحِيّ ، ومعه أحمد بن مسرور البَـلْـخِيّ ، وسيما الجزريّ ، ونحرير الصغير ، وساروا سنة خمس وثلثمائة فهزمهم يوسف وأسر منهم جماعة ، فبعث المقتدر مؤنساً الخادم في جيش كثيف لمحاربته وعزل خاقان المُفْلِحِيّ عن أعمال الجبل ، وولاّها نحريراً الصغير . وسار مؤنس واستأمن له أحمد بن عليّ أخو صعلوك فأمّـنـه وأكرمه ، وبعث ابن أبي الساج في المقاطعة على أعمال الريّ بسبعمائة ألف دينار سوى أرزاق الجند والخدم ، فأبى له المُـقْـتَدِر من ذلك عقوبة على ما أقدم عليه ، وولّى على ذلك العمل وصيفاً البكتمري ، وطلب ابن أبي الساج أن يقاطعه على ما كان بيده قبل الريّ من أذربيجان وأرمينية ، فأبى المقتدر إلا أن يحضر في خدمته . فلما يئس

ابن أبي الساج زحف إلى مؤنس وقاتله ، فانهزم مؤنس إلى زَنْجَان وقتل من قوّاده جماعة ، وأسر هلال بن بدر وغيره فحبسهم يوسف في أردبيل ، وأقام مؤنس بزَنْجَان بجميع العساكر يستمدّ من المقتدر وابن أبي الساج يراسله في الصلح ، والمقتدر لا يجيب إلى ذلك . ثم قاتله مؤنس في فاتح سنة سبع وثلثمائة عند أردبيل فهزمه وأسره وعاد به إلى بغداد أسيراً ، فحبسه المقتدر وولّى مؤنس على الريّ ودَنْبَاوَنْد وقَزْوين وأبْهَر وزَنْجَان علي بن وهشودان وجعل أموالها لرجاله ، وولّى مؤنس على أصبهان وقمّ وقاشان أحمد بن علي بن صعلوك ، وسار عن أذربيجان فوثب سبك مولى يوسف بن أبي الساح فملكها واجتمع عليه عسكر فولى مؤنس بن محمد بن عبيد الفارقي وسار بمحاربة سبك فانهزم وعاد إلى بغداد. وتمكّن سبك في أذربيجان وسأل المقاطعة على مائتي ألف وعشرين ألف دينار في كل سنة. فأجيب وعقد له عليها ، وكان مقيماً بقزوين فقتله على مراسة ولحق ببلده ، فولّى المقتدر وصيفا البكتمري مكانه على أعمال الريّ ، وولّى محمد بن سليمان صاحب الجيش على الخوارج بها ، ثم وثب أحمد بن عليّ بن صعلوك صاحب أصبهان وقمّ على الريّ ، فملكها وكتب إليه المقتدر بالنكير ، وأن يعود إلى قمّ ، فعاد ثم أظهر الخلاف وأجمع المسير إلى الريّ ، وسار وصيف البكتمري لحربه . وأمر نحريراً الصغير أن يسير مدداً لبكتمري ، فسبقهم أحمد بن صعلوك إلى الريّ وملكها ، وقتل محمد بن سليمان صاحب الخوارج ، وبعث إلى نصر الحاجب ليصلح أمره بالمقاطعة على أعمال الريّ بمائة وستين ألف دينار ، وينزل عن قمّ فكتب له بذلك وولّى غيره على قمّ .

* (خبر سجستان وكرمان) *

كانت سجستان قد صارت لابن سامان منذ سنة ثمان وتسعين ومائتين ، ثم تغلب عليها كثير بن أحمد بن صَهْفود من يده ، فكتب المقتدر إلى عامل فارس وهو بدر ابن عبدالله الحمامي أن يرسل العساكر لمحاربته ، ويؤمّر عليهم دركاً ، ويجعل على الخراج بها زيد بن ابراهيم . فسارت العساكر وحاربوا أهل سجستان فهزموهم وأسروا زيد بن ابراهيم ، وكتب كثير إلى المقتدر بالبراءة من ذلك ، وطوية أهل سجستان . وأرسل المقتدر أن يسير لقتاله بنفسه ، فخاف كثير وطلب المقاطعة على خمسمائة ألف دينار في كل سنة ، فأجيب وقرّرت البلاد عليه ، وذلك سنة اربع وثلثمائة . وانتقض في هذه السنة بكرمان صاحب الخوارج بها أبو زيد خالد بن محمد

الماردانى ، وسار منها إلى شيراز يروم التغلّب على فارس فسار إليه بدر الحمامي العامل ، وحاربه فقتله وحمل رأسه إلى بغداد .

* (وزارة حامد بن العباس) *

وفي سنة ست وثلثمائة قبض المقتدر على وزيره أبي الحسن بن الفرات بسبب شكوى الجند بمطله أرزاقهم ، واعتذر بضيق الأموال للنفقة في حروب ابن أبي الساج ، ونقص الارتياع بخروج الريّ عن ملكه . فشغب الجند وركبوا ، وطلب ابن الفرات من الخليفة إطلاق مائتي ألف دينار من خاصته يستعين بها ، فنكر ذلك عليه لأنه كان ضَمِنَ القيام بأرزاق الأحشاد وجميع النفقات المرتبة ، فاحتجّ بنقص الارتياع وبالنفقة في الحرب كما تقدّم ، فلم يقبل . ويقال سعى فيه عند المقتدر بأنه يروم إرسال الحسين بن حمدان إلى أبي الساج فيحاربه ، وإذا سار عنده اتفقا على المقتدر ، فقتل المقتدر ابن حمدان وقبض على ابن الفرات في جمادى الآخرة ، وكان حامد بن العبّاس على الأعمال بواسط ، وكان منافراً لابن الفرات ، وسعى به عنده بزيادة ارتياعه على ضمانه ، فخشيه حامد على نفسه . وكتب إلى نصر الحاجب والي والده المقتدر سعة نفسه وكثرة أتباعه ، وذلك عند استيحاشه من ابن الفرات ، فاستقدمه من واسِط ، وقبض على ابن الفرات وابنه المحسن وأتباعهما ، واستوزر حامداً فلم يوفِ حقوق الوزارة ولا سياستها ، وتحاشى عليه الدواوين فأطلق المقتدر علي ابن عيسى وأقامه على الدواوين كالنائب عن حامد . فكان يزاحمه واستبدّ بالامور دونه ولم يبق لحامد أمر عليه فأجابه ابن الفرات بأسفه منه وقال لشفيع اللؤلؤي : قل لأمير المؤمنين حامد إنما حمله على طلب الوزارة ، أني طالبته بأكثر من ألفي ألف دينار من فضل ضمانه ، فاستشاط حامد وزاد في السفه ، فأنفذ المقتدر من ردّ ابن الفرات إلى محبسه ، ثم صودر وضرب إبنه الحسن وأصحابه وأخذت منهم الأموال . ثم إنّ حامداً لما رأى استطالة علي بن عيسى عليه وكثرت تصرّفه في الوزارة دونه ، ضمن للمقتدر أعمال الخوارج والضياع الخاصة والمستحدثة والقرارية ، بسواد بغداد والكوفة وواسِط والبصرة والأهواز وأصبهان ، واستأذنه في الانحدار إلى وَاسِط لاستخراج ذلك فانحدر واسم الوزارة له وأقام علي بن عيسى يدبّر الأمور ، فأظهر حامد سوء تصرف في الأموال ، وبسط المقتدر يده حتى خافه علي بن عيسى . ثم

تحرّك السعر ببغداد فشغبت العامّة ونهبوا الغلال ، لأنّ حامداً وغيره من القوّاد كانوا يخزنون الغلال . وأحضر حامد لمنعهم فحضر فقاتلوه ، وفتقوا السجون ونهبوا دار الشرطة . وأنفذ المقتدر غريب الخال في العسكر ، فسكن الفتنة وعاقب المتصدّين للشرّ ، وأمر بفتح المخازن التي للحنطة وببيعها ، فرخص السعر وسكن إلى منع الناس من بيع الغلال في البيادر وخزنها فرفع الضمان عن حامد ، وصرف عمّاله عن السواد وردّ ذلك لعلي بن عيسى وسكن الناس .

* (وصول ابن المهدى وهو أبو القاسم الى ابنه) *

وفي سنة سبع وثلثمائة بعث المهدي صاحب أفريقية أبا القاسم في العساكر إلى مِصْرَ فوصل إلى الإسكندرية في ربيع الآخر وملكها ، ثم سار إلى مِصْرَ ونزل بالجيزة واستولى على الصعيد ، وكتب إلى أهل مكة في طاعته فلم يجيبوا . وبعث المقتدر مؤنساً الخادم إلى مصر لمدافعته ، فكانت بينهم حروب كثر فيها القتلى من الجانبين ، وكان الظهور لمؤنس ولقّب يومئذ بالمُظَفّر . ووصل من أفريقية أسطولٌ من ثمانين مركباً مدداً للقائهم ، وعليهم سليمان الخادم ويعقوب الكُتَامِيّ ، وأمر المقتدر بأن يسير إليهم أسطول طرسوس فسار في خمسة وعشرين مركباً وعليهم أبو اليمن ، ومعهم العُدَدُ والأنفاط ، فغلبوا أسطول أفريقية وأحرقوا أكثر مراكبه . وأسر سليمان الخادم ويعقوب الكتامي في جماعة قتل أكثرهم ، وحبس سليمان بمصر ، وحمل يعقوب إلى بغداد . ثم هرب وعاد إلى أفريقية وانقطع المدد عن عسكر المغاربة ، فوقع الغلاء عندهم وكثر الموتان في الناس والخيل فارتحلوا راجعين إلى بلادهم وسار عساكر مصر في أثرهم حتى أبعدوا .

* (بقية خبر ابن أبي الساج) *

قد تقدّم لنا أنّ مؤنساً حارب يوسف بن أبي الساج عامل أذربيجان فأسره وحمله إلى بغداد فحبس بها ، واستقرّ بعده في عمله سبك مولاه . ثم إنّ مؤنساً شفع فيه سنة عشر . فأطلقه المُقْتَدِر وخلع عليه ثم عقد له أذربيجان وعلى الريّ وقَزْوين وأَبْهَروزَنْـجَان وعلى خمسمائة ألف دينار في كل سنة سوى أرزاق العساكر . وسار يوسف إلى أذربيجان ومعه وصيف البكتمري في العساكر ، ومرّ بالموصل فنظر في

أعمالها وأعمال ديار ربيعة . وقد كان المُـقْتَدِر تقدّم إليه بذلك . ثم سار إلى أذربيجان وقد مات مولاه سبك ، فاستولى عليها وسار سنة إحدى عشرة إلى الريّ وكان عليها أحمد بن علي أخو صعلوك ، وقد اقتطعها كما قدّمنا ، ثم انتقض على المقتدر وهادن ما كان بن كالي من قوّاد الدَيْلَم القائم بدعوة أولاد الأطروش في طبرستان وجرجان . فلما جاء يوسف إلى الريّ حاربه أحمد فقتله يوسف ، وأنفذ رأسه إلى بغداد ، واستولى على الريّ في ذي الحجة وأقام بها مدّة ، ثم سار عنها إلى همذان فاتح ثلاث عشرة ، واستخلف بها مولاه مُـفْلِحاً وأخرجه أهل الريّ عنهم ، فعاد يوسف إليهم في جمادى من سنته ، واستولى عليها ثانية . ثم قلّده المقتدر سنة أربع عشرة نواحي المشرق وأذن له في صرف أموالها في قوّاده وأجناده وأمره بالمسير إلى واسط ، ثم منها إلى هَـجَر لمحاربة أبي طاهر القُرْمُـطِيّ ، فسار يوسف إلى طاهر وكان بها مؤنس المُظَفَّر ، فرجع إلى بغداد وجعل له أموال الخراج بنواحي همذان وساوة وقمّ وقاشان وماه البصرة وماه الكوفة وما سبَذَان لينفقها في عسكره ، ويستعين بها على حرب القرامطة ، ولما سار من الريّ كتب المُـقْتَدِر إلى السعيد نصر بن سامان بولاية الريّ وأمره بالمسير إليها وأخذها من فاتك مولى يوسف ، فسار إليها فاتح أربع عشرة ، فلما انتهى إلى جبل قارِن منعه أبو نصر الطبري من العبور ، وبذل له ثلاثين ألف دينار فترك سبيله وسار إلى الريّ فملكها من يد فاتك وأقام بها شهرين ، وولّى عليها سيمجور الدواني [١] وعاد إلى بخارى . ثم استعمل على الريّ محمد بن أبي صعلوك فأقام بها إلى شعبان سنة ست عشرة وأصابه مرض ، وكان الحسن بن القاسم الداعي وما كان ابن كالي أميري الدَيْـلَم في تسليم الريّ إليهما ، فقدما وسار عنها ومات في طريقه ، واستولى الداعي والدَيْلَم عليها .

* (بقية الخبر عن وزراء المقتدر) *

قد تقدّم الكلام في وزارة حامد بن العبّاس وأنّ عليّ بن عيسى كان مستبداً عليه في وزارته ، وكان كثيراً ما يطرح جانبه ويسيء في توقعاته [٢] على عمّاله . واذا اشتكى إليه أحد من نوّابه يوقّع على القصّة : إنما عقد الضمان على الحقوق الواجبة فليكفّ

(١) سيمجور الدواتي .
(٢) الصحيح : توقيعاته ج توقيع .

الظلم عن الرعيّة . فأنف حامد من ذلك واستأذن في المسير إلى واسط للنظر في ضمانه ، فأذن له ثم كثرت إستغاثة الخَدَم والحاشية من تأخرّ أرزاقهم وفسادها ، فإنّ عليّ بن عيسى كان يؤخرّها وإذا اجتمعت عدّة شهور أسقطوا بعضها ، وكثرت السعاية واستغاث العمّال وجميع أصحاب الأرزاق بأنه حطّ من أرزاقهم شهرين من كل سنة ، فكثرت الفتنة على حامد ، وكان الحسن ابن الوزير ابن الفرات متعلّقاً بِمُفْلح الأسود خالصة[1] الخليفة المقتدر وكان شقيقه لأبيه ، وجرى بينه وبين حامد يوماً كلام ، فأساء عليه حامد وحقد له . وكتب ابن الفرات إلى المُقْتَدر وضمن له أموالاً فأطلقه واستوزره ، وقبض على عليّ بن عيسى وحبسه في مكانه ، وذلك سنة إحدى عشرة ، وجاء حامد من واسط فبعث ابن الفرات مَنْ يقبض عليه ، فهرب من طريقه واختفى ببغداد . ثم مضى إلى نصر بن الحاجب سرًّا وسأل إيصاله إلى المقتدر ، وأن يحبسه بدار الخلافة ، ولا يُمَكّن ابن الفرات منه . فاستدعى نَصْرُ الحاجب مفلحاً الخادم حتى وقفه على أمره وشفع له في رفع المؤاخذة بما كان منه ، فمضى إلى المقتدر وفاوضه بما أحبّ ، وأمر المقتدر باسلامه[2] لابن الفرات فحبسه مدّة ثم أحضره وأحضر له القضاة والعمّال ، وناظره فيما وصل إليه من الجهات فأقرّ بنحو ألف ألف دينار . وضمنه المحسن بن الفرات بخمسمائة ألف دينار فسُلّم إليه وعذّبه أنواعاً من العذاب ، وبعثه إلى واسط ليبيع أمواله هناك فهلك في طريقه بإسهال أصابه . ثم صودر عليّ بن عيسى على ثلثمائة ألف دينار وعذّبه المحسن بعد ذلك عليها فلم يستخرج منه شيئاً وسيّره ابن الفرات أيام عطلته وحبسه بعد أن كان ربّاه وأحسن إليه ، فقبض عليه مدّة ثم أطلقه ، وقبض على ابن الجوزي وسلّمه إلى ابنه المحسن ، فعذّبه ثم بعثه إلى الأهواز لاستخراج الأموال ، فضربه الموكّل به حتى مات . وقبض أيضاً على الحسين بن أحمد ، وكان تولّى مصر والشام وعلى محمد بن علي المارداني وصادرهما على ألف ألف وسبعمائة ألف دينار ، وصادر جماعة من الكتّاب سواهم ونكبهم . وجاء مؤنس من غزاته فأنهى إليه أفعال ابن الفرات وما هو يعتمد من المصادرات والنكايات وتعذيب إبنه للناس ، فخافه ابن الفرات وخوّف المُقْتَدر منه . وأشار بسيره إلى الشام ليقيم هنالك بالثغر ، فبعثه

---

(١) هي كلمة عاميه بلغة اهل المغرب ومعناها الصديق الحميم .
(٢) الأصح ان يقول وتسليمه .

المقتدر وأبعده . ثم سعى ابن الفرات بنصر الحاجب وأغراه به وأطمعه في ماله وكان مكثراً واستجار نصر بأمّ المقتدر . ثم كثر الارجاف بابن الفرات ، فخاف وانهى إلى المقتدر بأنّ الناس عادوه لنصحه للسلطان واستيفاء حقوقه ، وركب هو وابنه المحسن إلى المقتدر فأوصلهما إليه وأسهمهما ، وخرجا من عنده فمنعهما نصر الحاجب ، ودخل مُفْلح على المقتدر وأشار إليه بعزله ، فأسرّ إليه وفاقه على ذلك ، وأمر بتخلية سبيلهما . واختفى المحسن من يومه . وجاء نازوك وبليق من الغد في جماعة من الجند إلى دار ابن الفرات فأخرجوه حافياً حاسراً ، وحمل إلى مؤنس المُـظَـفّر ومعه هلال بن بدر ، ثم سُلّم إلى شفيع اللؤلؤي فحبس عنده وصودر على ألف ألف دينار ، وذلك سنة إثنتي عشرة . وكان عبدالله أبو القاسم بن عليّ بن محمد بن عبيدالله بن يحيى بن خاقان لما تغير حال ابن الفرات سعى في الوزارة ، وضمن في ابن الفرات وأصحابه ألفي ألف دينار على يد مؤنس الخادم وهرون بن غريب الحال ونصر الحاجب ، فاستوزره المقتدر على كراهية فيه ، ومات أبوه عليّ على وزارته . وشفع إليه مؤنس الخادم في إعادة عليّ بن عيسى من صنعاء ، فكتب له في العود وبمشارفة أعمال مصر والشام ، وأقام المحسن بن الفرات مختفياً مدّة . ثم جاءت إمرأة إلى دار المُـقْـتَـدِر تنادي بالنصيحة ، فأحضرها نصر الحاجب فدلّت على المحسن ، فأحضره نازوك صاحب الشرطة ، فسلّم للوزير وعذّب بأنواع العذاب ، فلم يستخرج منه شيء فأمر المقتدر بحمله إلى أبيه بدار الخلافة ، وجاء الوزير أبو القاسم الخاقاني إلى مؤنس وهرون ونصر فحذّرهم شأن ابن الفرات وغائلته بدار الخلافة ، وأغراهم به ، فوضعوا القوّاد والجند وقالوا : لا بدّ من قتل ابن الفرات وولده ، ووافق هؤلاء على ذلك فأمر نازوك بقتلهما فذبحهما . وجاء هرون إلى الوزير الخاقاني يهنّئه بذلك فأغمي عليه ، ثم أفاق وأخذ منه ألفي دينار وشفع مؤنس المظفّر في إبنيه عبدالله وأبي نصر فأطلقهما ووصلهما بعشرين ألف دينار . ثم عُزِلَ الخاقاني سنة ثلاث عشرة لأنه أصابه المرض وطال به ، وشغب الجند في طلب أرزاقهم فوقفت به الأحوال ، وعزله المقتدر وولّى مكانه أبا العبّاس الخِصِيّ[1] وكان كاتباً لأمّه فقام بالأمر ، وأقرّ علي بن عيسى على أعمال مصر والشام ، فكان يتردّد إليهما من مكّة ، ثم أنّ الخصي اضطربت أموره وضاقت الجباية ، وكان مدمناً للسكر مهملاً للأمور ، ووكّل من يقوم عنه فآثروا مصالحهم

---

(١) الخصيبيّ : ابن الاثير ج ٨ ص ١٦٣ .

وأضاعوا مصلحته . وأشار مؤنس المظفّر بعزله وولاية ابن عيسى ، فعزل لسنة وشهرين . واستقدم عليّ بن عيسى من دمشق وأبو القاسم عبدالله بن محمد الكلواذي بالنيابة عنه إلى أن يحضر ، فحضر أوّل سنة خمس عشرة واستقل بأمر الوزارة ، وطلب كفالات المصادرين والعمّال ، وما ضمن من الأموال بالسواد والأهواز وفارس والمغرب ، فاستحضرها شيئاً بعد شيء وأدرّ الأرزاق وبسط العطاء وأسقط أرزاق المغنّين والمسامرة والندمان والصفاعنة ، وأسقط من الجند أصاغر الأولاد ومن ليس له سلاح والهرمي والزمنى ، وباشر الأمور بنفسه واستعمل الكفاة وطلب أبا العبّاس الخصي في المناظرة ، وأحضر له الفقهاء والقضاة والكتاب ، وسأله عن أموال الخوارج والنواحي والمصادرات وكفالاتها ، وما حصل من ذلك وما الواصل والبواقي ، فقال لا أعلم فسأله عن المال الذي سلّمه لابن أبي الساج كيف سلّمه بلا مصرِف ولا منفق ، وكيف سلّم إليه أعمال المشرق ، وكيف بعثه لبلاد الصحراء بِهَجَرهو وأصحابه من أهل الغلول والخصب ، فقال : ظننت منهم القدرة على ذلك . وامتنع ابن أبي الساج من المنفق فقال : وكيف استجزت ضرب حرم المصادرين ؟ فسكت ، ثم سئل عن الخراج فخلط فقال : أنت غَرَرْت أمير المؤمنين من نفسك فهلا استعذرت بعدم المعرفة . ثم أعيد إلى محبسه واستمرّ عليّ بن عيسى في ولايته . ثم اضطربت عليه الأحوال واختلفت الأعمال ، ونقص الارتياع نقصاً فاحشاً ، وزادت النفقات ، وزاد المقتدر تلك الأيام في نفقات الخدم والحرم ما لا يحصي ، وعاد الجند من الأنبار فزادهم في أرزاقهم مائتين وأربعين ألف دينار . فلمّا رأى ذلك عليّ بن عيسى ويَئِسَ من انقطاعه أو توقّفه ، وخشى من نصر الحاجب ، فقد كان انحرف عنه لميل مؤنس إليه وما بينهما من المنافرة في الدولة ، فاستعفى من الوزارة وألحّ في ذلك وسكنه مؤنس فقال له : أنت سائر إلى الرقّة ، وأخشى على نفسي بعدك . ثم فاوض المقتدر نصر الحاجب بعد مسير مؤنس فأشار بوزارة أبي عليّ ابن مقلة ، فاستوزره المقتدر سنة ست عشرة وقبض على عليّ بن عيسى وأخيه عبد الرحمن ، وأقام ابن مقلة بالوزارة وأعانه فيها أبو عبدالله البريدي لمودّة كانت بينهما واستمرّت حاله على ذلك . ثم عزله المقتدر ونكبه بعد سنتين وأربعة أشهر حين استوحش من مؤنس كما نذكره ، وكان ابن مقلة متّهماً بالميل إليه فأتفق مغيبه في بعض الوجوه فيقبض عليه المقتدر . فلمّا جاء مؤنس سأل في إعادته فلم يجبه المقتدر

وأراد قتله فمنعه ، واستوزر المقتدر سليمان بن الحسن وأمر عليّ بن عيسى بمشاركته في الاطلاع على الدواوين ، وصودر ابن مقلة على مائتي ألف دينار ، وأقام سليمان في وزارته سنة وشهرين وعليّ بن عيسى يشاركه في الدواوين ، وضاقت عليه الأحوال إضاقة شديدة ، وكثرت المطالبات ووقفت وظائف السلطان . ثم أفرد السواد بالولاية فانقطعت مواد الوزير لأنه كان يقيم من قبله من يشتري توقعات الأرزاق ممن لا يقدر على السعي في تحصيلها من العمّال والفقهاء وأرباب البيوت ، فيشتريها بنصف المبلغ فتعرّض بعض من كان ينتمي لمُفْلِح الخادم لتحصيل ذلك للخليفة ، وتوسّط له مُفْلح فدافع لذلك وجاهر في تحصيله من العمّال ، فاختلت الأحوال بذلك وفضح الديوان ودفعت الأحوال لقطع منافع الوزراء والعمّال التي كانوا يرتفقون بها ، وإهمالهم أمور الناس بسبب ذلك . وعاد الخلل على الدولة وتحرّك المرشحون للوزارة في السعاية وضمان القيام بالوظائف وأرزاق الجند . وأشار مؤنس بوزارة أبي القاسم الكلوذي فاستوزره المقتدر في رجب من سنة تسع عشرة وأقام في وزارته شهرين . وكان ببغداد رجل من المخرّفين يسمّى الدانيالي ، وكان ورّاقاً ذكياً محتالاً يكتب الخطوط في الورق ويداويها حتى تتمّ بالبلى . وقد أودعها ذكر من يراه من أهل الدولة برموز وإشارات ، ويقسّم له فيها من حظوظ الملك والجاه والتمكين قسمة من عالم الغيب ، يوهم أنها من الحدثان القديم المأثور عن دانيال وغيره ، وأنها من الملاحم المتوارثة عن آبائه ، ففعل مثل ذلك بِمُفْلِح . وكتب له في الأوراق م م م بأن يكون له كذا وكذا ، وسأله مُفْلِح عن الميم فقال : هو كناية عنك لأنك مفلح مولى المقتدر . وناسب بينه وبين علامات مذكورة في تلك الأوراق حتى طبّقها عليه ، فشغف به مؤنس وأغناه . وكان يداخل الحسين بن القاسم بن عبدالله بن وهب ، فرمز إسمه في كتاب وذكر بعض علاماته المنطبقة عليه ، وذكر أنه يستوزره الخليفة الثامن عشر من بني العبّاس ، وتستقيم الأمور على يديه ، ويقهر الأعادي وتعمر الدنيا في أيّامه وخلط ذلك في الكُتاب بحدثان كثير وقع بعضه ولم يقع الآخر . وقرأ الكتاب على مفلح فأعجبه ، وجاء بالكتاب إلى المقتدر فأعجب به الآخر ، وقال لمفلح : من تعلم بهذه القصة ؟ فقال لا أراه إلا الحسين بن القاسم . قال : صدقت وإني لأميل إليه ، وقد كان المقتدر أراد ولايته قبل ابن مقلة وقبل الكلوذي ، فامتنع مؤنس . ثم قال المقتدر لمفلح : إن جاءتك رقعة منه بالسعي في

الوزارة فأعرضها عليّ . ثم سأل مفلح الدانيالي من أين لك الكتاب ؟ قال : وراثة من آبائي وهو من ملاحم دانيال . فأنهى ذلك إلى المقتدر واغتبطوا بالحسين وبلغ الخبر إليه ، فكتب إلى مفلح بالسعي في الوزارة ، فعرض كتابه على المقتدر فأمره بإصلاح مؤنس . واتفق أنّ الكلواذي عمل حساباً بما يحتاج إليه من النفقات الزائدة على الحاصل ، فكاتب سبعمائة ألف دينار وكتب عليه أهلَ الديوان خطوطهم ، وقال ليس لهذه جهة إلاّ ما يطلقه أمير المؤمنين . فعظم ذلك على المقتدر ، وأمر الحسين بن القاسم أن يضمن جميع النفقات وزيادة ألف ألف دينار لبيت المال . وعرض كتابه على الكلواذي فاستقال ، وأذن للكلواذي لشهرين من وزارته ، وولّى الحسين بن القاسم واشترط أن لا يشاركه عليّ بن عيسى في شيء من أموره ، وإخراجه الصافية . واختصّ به الحسين بن اليزيدي وابن الفرات . ولمّا ولي واطلع على نقصان الارتياع وكثرة الإنفاق وضاق عليه الأمر فتعجّل الجباية المستقبلة ، وصرفها في الماضية . وبلغ ذلك هرون بن غريب الحال فأنهاه إلى المقتدر ، فرتّب معه الخصيّ واطلع على حسابه ، فألقى له حسبة ليس فيها رمزه . فأظهر ذلك للمقتدر وجميع الكتّاب واطلعوا عليها وقابلوا الوزير بتصديق الخصيّ فيما قاله ، وقبض على الحسين ابن القاسم في شهر ربيع من سنة عشرين لسبعة أشهر من ولايته . واستوزر أبا الفتح الفضل بن جعفر وسلّم إليه الحسين فلم يؤاخذه بإساءته ولم يزل على وزارته .

* (أخبار القرامطة في البصرة والكوفة) *

كان القرامطة قد استبدّ طائفة منهم بالبَحْرَيْن وعليهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي[1] ، وورث ذلك عن أبيه واقتطعوا ذلك العمل بأسره عن الدولة ، كما يذكر في أخبار دولتهم عند إفرادها بالذكر ، فقصد أبو طاهر البصرة سنة إحدى عشرة ومائتين وبها سِبْط مُفْلِح ، فكبسها ليلاً في ألفين وسبعمائة ، وتسنّمو الأسوار بالجبال ، وركب سُبُك فقتلوه ووضعوا السيف في الناس فأفحشوا في القتل وغرق كثير في الماء ، وأقام أبو طاهر بها سبعة عشر يوماً ، وحمل ما قدر عليه من الأموال والأمتعة والنساء والصبيان وعاد إلى هَجَر . وولّى المقتدر على البصرة محمد بن عبدالله الفارِقيّ فانحدر إليها بعد انصرافهم عنها . ثم سار أبو طاهر القَرْمُطِيّ سنة إثنتين عشرة

(١) الجنابي : ابن الاثير ج ٨ ص ٨٣ .

معترضاً للحاج في رجوعهم من مكّة ، فاعترض أوائلهم ونهبهم ، وجاء الخبر إلى الحاج وهم بعيد ، وقد فنيت أزوادهم وكان معهم أبو الهيجاء بن حمدان صاحب طريق الكوفة . ثم أغار عليهم أبو طاهر فأوقع بهم وأسر أبا الهيجاء أحمد بن بدر من أخوال المُقْتَدِر ، ونهب الأمتعة وسبى النساء والصبيان ، ورجع إلى هَجَر . وبقي الحجّاج ضاحين في القفر إلى أن هلكوا ، ورجع كثيرٌ من الحرم إلى بغداد ، وأشغبوا واجتمع معهم حرم المنكوبين أيام ابن الفرات ، فكان ذلك من أسباب نكبته . ثم أطلق أبو طاهر الأسرى الذين عنده ابن حمدان وأصحابه ، وأرسل إلى المقتدر يطلب البَصْرَةَ والأهْوَاز ، فلم يجبه وسار من هَجَر لاعتراض الحاج ، وقد سار بين أيديهم جعفر بن ورقاء الشيبانيّ في ألف رجل من قومه ، وكان صاحب أعمال الكوفة وعلى الحاج بمثل صاحب البحر وجنا الصفواني وطريف اليَشْكُرِيّ وغيرهم في ستة آلاف رجل ، فقاتل جعفر الشيباني أوّلاً وهزمه . ثم اتبع الحاج إلى الكوفة فهزم عسكرهم وفتك فيهم ، وأسرجنا الصفواني ، وهرب الباقون . وملك الكوفة ، وأقام بظاهرها ستة أيام يقيم في المسجد إلى الليل ويبيت في عسكره وحمل ما قدر عليه من الأموال والمتاع ورجع إلى هَجَر . ووصل المنهزمون إلى بغداد فتقدّم المقتدر إلى مؤنس بالخروج إلى الكوفة فسار إليها بعد خروجهم عنها ، واستخلف عليها ياقوتاً ومضى إلى واسِط ليمانع أبا طاهر دونها ، ولم يحج أحد هذه السنة وبعث المقتدر سنة أربع عشرة عن يوسف بن أبي الساج من أذربيجان وسيّره إلى واسط لحرب أبي طاهر . ورجع مؤنس إلى بغداد وخرج أبو طاهر سنة خمس عشرة وقصد الكوفة ، وجاء الخبر إلى ابن أبي الساج فخرج من واسِط آخر رمضان يسابق أبا طاهر إليها ، فسبقه أبو طاهر وهرب العمّال عنها واستولى على الأتراك والعلوفات التي أعدّت بها . ووصل ابن أبي الساج ثامن شوّال بعد وصول أبي طاهر بيوم وبعث يدعوه إلى الطاعة للمقتدر ، فقال لاطاعة إلاّ لله فآذنه بالحرب وتزاحفوا يوماً إلى الليل . ثم انهزم أصحاب ابن أبي الساج وأسروا ووكّل أبو طاهر طبيباً يعالج جراحته ، ووصل المنهزمون ببغداد فأرجفوا بالهرب ، وبرز مؤنس المُظَفَّر لقصد الكوفة . وقد سار القرامطة إلى عين التمر فبعث مؤنس من بغداد خمسمائة سرية ليمنعهم من عبور الفرات . ثم قصد القرامطة الأنبار ونزلوا غربي الفرات ، وجاؤا بالسفن من الحُدَيْثَة ، فأجاز فيها ثلثمائة منهم ، وقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم واستولوا على مدينة الأنبار . وجاء الخبر إلى بغداد فخرج

الحاجب في العساكر ولحق بمؤنس المظفّر واجتمعوا في نيف وأربعين ألف مقاتل إلى عسكر القرامطة ليخلّصوا ابن أبي الساج فقاتلهم القرامطة وهزموهم . وكان أبو طاهر قد نظر إلى ابن أبي الساج وهو يستشرف إلى الخلاص ، وأصحابه يشيرونه ، فأحضره وقتله وقتل جميع الأسرى من أصحابه ، وكثر الهرج ببغداد واتّخذوا السفن بالإنحدار إلى واسِط ومنهم من نقل متاعه إلى حُلْوان . وكان نازوك صاحب الشرطة فأكثر التطواف بالليل والنهار ، وقتل بعض الدعّار فأقصروا عن[1] ثم سار القرامطة عن الأنبار فاتحة سنة ست عشرة ورجع مؤنس إلى بغداد وسار أبو طاهر إلى الرحبة فملكها واستباحها ، واستأمن إليه أهل قرقيسيا فأمّنهم ، وبعث السرايا إلى الأعراب بالجزيرة فنهبوهم وهربوا بين يديه ، وقدّر إليهم الأتاوة في كل سنة يحملونها إلى هَجَر . ثم سار أبو طاهر إلى الرقّة وقاتلها ثلاثاً ، وبعث السرايا إلى رأس عين ، وكفر توثا وسِنْجَار فاستأمنوا إليهم ، وخرج مؤنس المظفَّر من بغداد في العسكر وقصد الرقّة ، فسار أبو طاهر عنها إلى الرحبة ووصلها مؤنس ، وسار القرامطة إلى هَيت ، فامتنعت عليهم فساروا إلى الكوفة . وخرج من بغداد نَصْرَ الحاجب وهرون بن غريب وبنّيّ بن قيس في العساكر إليها ، ووصلت جند القرامطة إلى قصر ابن هُبَيْرَة . ثم مرض نصر الحاجب واستخلف على عسكره أحمد بن كيغلغ ، وعاد فمات في طريقه ، وولّى مكانه على عسكره هرون بن غريب ، وولّى مكانه في الحجة إبنه أحمد . ثم انصرف القرامطة إلى بلادهم ورجع هرون إلى بغداد في شوّال من السنة . ثم اجتمع بالسواد جماعات من أهل هذا المذهب بواسِط وعين التمر ، وولّى كل جماعة عليهم رجلاً منهم ، فولى جماعة واسِط حُرَيْث بن مسعود ، وجماعة عين التمر عيسى بن موسى وسار إلى الكوفة ونزل بظاهرها وصرف العمّال عن السواد ، وجبى الخراج . وسار حُرَيْث إلى أعمال الموفّق وبنى بها داراً سمّاها دار الهجرة ، واستولى على تلك الناحية . وكان صاحب الحرب بواسِط بنّي بن قيس فهزموه ، فبعث إليه المقتدر هرون بن غريب في العساكر ، وإلى قرامطة الكوفة صافياً البَصْرِيّ ، فهزموهم من كل جانب وجاؤا بأعلامهم بيضاء عليها مكتوب : ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض الآية ، وأدخلت إلى بغداد منكوسة ، واضمحلّ أمر القرامطة بالسواد .

---

(١) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ١٧٣ : «وسلمت بغداد من نهب العيّارين ، لأن نازوك كان يطوف هو واصحابه ليلا ونهاراً ، ومن وجدوه بعد العتمة قتلوه فامتنع العيّارون ... » .

* (استيلاء القرامطة على مكة وقلعهم الحجر الأسود) *

ثم سار أبو طاهر القرمطي سنة تسع عشرة إلى مكّة وحج بالناس منصورْ الدَيْـلَـمِيّ ، فلما كان يوم التروية ، ونهب أبو طاهر أموال الحجّاج وفتك فيهم بالقتل حتى في المسجد والكعبة ، واقتلع الحجر الأسود وحمله إلى هَـجَر ، وخرج إليه أبو مخلب[1] أمير مكة في جماعة من الأشراف ، وسألوه فلم يسعفهم ، وقاتلوه فقتلهم وقلع باب البيت ، وأصعد رجلاً يقتلع الميزاب فسقط فمات ، وطرح القتلى في زمزم ودفن الباقين في المسجد حيث قتلوا ، ولم يغسلوا ولا صلى عليهم ولا كُـفِّنوا . وقسّم كسوة البيت على أصحابه ونهب بيوت أهل مكّة . وبلغ الخبر إلى المهدي عبيدالله بأفريقية وكانوا يظهرون الدعاء له ، فكتب إليه بالنكير واللعن ويتهدّده على الحجر الأسود ، فردّه وما أمكنه من أموال الناس واعتذر عن بقية ما أخذوه بافتراقه في الناس .

* (خلع المقتدر وعوده) *

كان من أوّل الأسباب الداعية لذلك أنّ فتنةً وقعت بين ما جوريه هرون الخال ونازوك صاحب الشرطة[2] في بعض مذاهب الفواحش ، فحبس نازوك ما جوريه هرون ، وجاء أصحابه إلى محبس الشرطة ووثبوا بنائبه وأخذوا أصحابهم من الحبس . ورفع نازوك الأمر إلى المقتدر فلم يعد أحداً منهما لمكانهما منه ، فعاد الأمر بينهما إلى المقاتلة وبعث المقتدر إليهما بالنكير فأقصرا ، واستوحش هرون ، وخرج بأصحابه ونزل البستان النجمي وبعث إليه المقتدر يسترضيه ، فأرجف الناس أنّ المقتدر جعله أمير الأمراء ، فشقّ ذلك على أصحاب مؤنس ، وكان بالرقّة فكتبوا إليه فأسرع العود إلى بغداد ونزل بالشـمّاسيّـة مستوحشاً من المقتدر ولم يلقه ، وبعث إبنه أبا العبّاس ووزيره ابن مقلة لتلقّـيه وإيناسه فلم يقبل ، وتمكّنت الوحشة وأسكن المقتدر ابن خاله هرون معه في داره فازداد نفور مؤنس . وجاء أبو العبّاس بن حمدان من بلاده في عسكرٍ كبير ، فنزل عند مؤنس وتردّد الأمراء بين المقتدر ومؤنس ، وسار إليه نازوك صاحب

(١) ابن محلب : ابن الاثير ج ٨ ص ٢٠٧ .
(٢) هكذا بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٢٠٠ : «وكان سبب ذلك ما ذكرنا في السنة التي قبلها (ص ١٨٧) من استيحاش مؤنس ونزوله بالشـمّاسيّة وخرج إليه نَازوك صاحب الشرطة» والفتنة حصلت بين نازوك صاحب الشرطة وهارون بن غريب .

الشرطة ، وجاءه بنّي بن قيس ، وكان المقتدر قد أخذ منه الدّينور وأعادها إليه مؤنس ، واشتمل عليه . وجمع المقتدر في داره هرون بن غريب وأحمد بن كيغلغ والغلمان الحجرية والرجال المصافيّة ، ثم انتقض أصحاب المقتدر وجاؤا إلى مؤنس وذلك في فتح سنة سبع عشرة . فكتب مؤنس إلى المقتدر بأنّ الناس ينكرون سرفه فيما أقطع الحرم والخدم من الأموال والضياع ورجوعه إليهم في تدبير ملكه ، ويطالبه بإخراجهم من الدار وإخراج هرون بن غريب معهم ، وانتزاع ما في أيديهم من الأموال والأملاك . فأجاب المقتدر إلى ذلك ، وكتب يستعطفه ويذكّره البيعة ويخوّفه عاقبة النكث ، وأخرج هرون إلى الثغور الشامية والجزريّة ، فسكن مؤنس ودخل إلى بغداد ومعه ابن حمدان ونازوك والناس يرجفون بأنه خلع المقتدر . فلمّا كان عشر محرّم من هذه السنة ، ركب مؤنس إلى باب الشمّاسيّة وتشاور مع أصحابه قليلاً ، ثم رجعوا إلى دار الخليفة بأسرهم ، وكان المقتدر قد صرف أحمد بن نصر القسوري عن الحجابة وقلّدها ياقوتاً وكان على حرب فارس ، فاستخلف مكانه إبنه أبا الفتح المظفّر . فلما جاء مؤنس إلى الدار هرب ابن ياقوت وسائر الحجبة والخدم والوزير وكل من بالدار ، ودخل مؤنس فأخرج المقتدر وأمّه وولده وخواصّ جواريه ، فنقلهم إلى داره واعتقلهم بها ، وبلغ الخبر هرونُ بن غريب بِقُطْرَبُّلَ فدخل إلى بغداد واستتر ، ومضى ابن حمدان إلى دار ابن طاهر فأحضر محمد بن المعتضد ، وبايعوه ولقّبوه القاهر بالله . وأحضروا القاضي أبا عمر المالكي عند المقتدر للشهادة عليه بالخلع ، وقام ابن حمدان يتأسّف له ويبكي ويقول : كنت أخشى عليك مثل هذا ونصحتك فلم تقبل ، وآثرت قول الخدم والنساء على قولي ، ومع هذا فنحن عبيدك وخدمك ، وأودع كتاب الخلع عند القاضي أبي عمر ولم يظهر عليه أحداً حتى سلّمه إلى المقتدر بعد عوده ، فحسن موقع ذلك منه وولاّه القضاء . ولما تمّ الخلع عمد مؤنس ، إلى دار الخليفة فنهبها ومضى ابن نفيس إلى تربة أمّ المقتدر فاستخرج من بعض قبورها ستمائة ألف دينار وحملها إلى القاهر ، وأخرج مؤنس عليّ ابن عيسى الوزير من الحبس وولّى عليّ بن مقلة الوزارة ، وأضاف إلى نازوك الحجابة مع الشرطة ، وأقطع ابن حمدان حُلوان والدّينور وهَمَذَان وكَرْمان والصَيْمَرَة ونَهَوَنْد وشيراز وما سبذان مضافاً إلى ما بيده من أعمال طريق خراسان ، وكان ذلك منتصف المحرّم . ولما تقلّد نازوك الحجابة أمر الرجّالة بتقويض خيامهم من الدار

وأداهم ابن جالة من أصحابه فأسفهم بذلك وتقدّموا إلى خلفاء الحجاب بأن يمنعوا الناس من الدخول إلا أصحاب المراتب فاضطربت الحجرية لذلك[1] . فلما كان سابع عشر المحرّم وهو يوم الإثنين بكّر الناس إلى الخليفة لحضور الموكب وامتلأت الرحاب وشاطىء دجلة بالناس ، وجاء الرجّالة المصافيّة شاكي السلاح يطالبون بحق البيعة ورزق سنة ، وقد بلغ منهم الحنق على نازوك مبالغه ، وقعد مؤنس عن الحضور ذلك اليوم ، وزعق الرجّالة المصافيّة فنهى نازوك أصحابه أن يعرضوا لهم . فزاد شغبهم وهجموا على الصحن المنيعي ، ودخل معهم من كان على الشطّ من العامة بالسلاح ، والقاهر جالس وعنده عليّ بن مقلة الوزير ونازوك ، فقال لنزوك أخرج إليهم فسكّنهم ! فخرج وهو متحامل من الخمار فتقدّم إلى الرجّالة للشكوى بحالهم ورأى السيوف في أيديهم فهرب ، فحدث لهم الطمع فيه وفي الدولة ، واتّبعوه فقتلوه وخادمه عجيفاً ونادوا بشعار المقتدر . وهرب كل من في الديار من سائر الطبقات وصلبوا نازوك وعجيفاً على شاطىء دجلة . ثم ساروا إلى دار مؤنس يطلبون المقتدر ، وأغلق الخادم أبواب دار الخليفة ، وكانوا كلّهم صنائع المقتدر ، وقصد أبو الهيجاء حمدان الفرات فتعلق به القاهر واستقدم به ، فقال له : أخرج معي إلى عشيرتي أقتل دونك ! فوجد الأبواب مغلقة فقال له ابن حمدان : قف حتى أعود إليك ونزع ثيابه ولبس بعض الخلقان ، وجاء إلى الباب فوجده مغلقاً والناس من ورائه ، فرجع إلى القاهر وتمالأ بعض الخدّام على قتله ، فقاتلهم حتى كشفهم ، ودخل في بعض مسارب البستان فجاؤه إليهم فقتلوه وحملوا رأسه . وانتهى الرّجالة إلى دار مؤنس يطلبون المقتدر فسلّمه إليهم وحملوه على رقابهم إلى دار الخلافة ، فلما توسّط الصحن المنيعي إطمأنّ وسأل عن أخيه القاهر وابن حمدان وكتب لهما الأمان بخطّه ، وبعث فيهما فقيل له إنّ ابن حمدان قد قتل ، فعَظُمَ عليه وقال : والله ما كان أحمد بسيف في هذه الأيام غيره ، وأحضر القاهر فاستدناه وقبّل رأسه وقال له : لا ذنب لك ولو لقّبوك المقهور لكان أولى من القاهر ! وهو يبكي ويتطارح عليه حتى حلف له على الأمان ، فانبسط وسكن . وطيف برأس نازوك وابن حمدان ،

(١) هكذا بالأصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٢٠٢ : «ولمّا تقلّد نازوك حجبة الخليفة أمر الرجّالة المصافيّة بقلع خيامهم من دار الخليفة ، وأمر رجاله وأصحابه ان يقيموا بمكان المصافيّة ، فعظم ذلك عليهم ، وتقدّم إلى خلفاء الحجاب ان لا يمكنوا أحداً من الدخول إلى دار الخليفة ، إلا من له مرتبة ، فاضطربت الحجبة من ذلك» .

وخرج أبو نفيس هارباً من مكان استتاره إلى الموصل ، ثم إلى أرمينية ، ولحق بالقسطنطينية فتنصَّر ، وهرب أبو السرايا أخو أبي الهيجاء إلى الموصل ، وأعاد المقتدر أبا عليّ بن مقلة إلى الوزارة ، وأطلق للجند أرزاقهم وزادهم . وبيع ما في الخزائن بأرخص الأثمان وأذن في بيع الأملاك لتتمة الأعطيات ، وأعاد مؤنساً إلى محلّه من تدبير الدولة والتعويل عليه في أموره . ويقال إنه كان مقاطعاً للمقتدر وإنه الذي دسّ إلى المصافيّة والحجرية بما فعلوه ، ولذلك قعد عن الحضور إلى القاهر. ثم إن المقتدر حبس أخاه القاهر عند أمّه فبالغت في الإحسان إليه والتوسعة عليه في النفقة والسراري .

* (أخبار قوّاد الديلم وتغلبهم على أعمال الخليفة) *

قد تقدّم لنا الخبرُ عن الدَيْـلَم في غير موضع من الكتاب ، وخبر افتتاح بلادهم بالجبال والأمصار التي تليها ، مثل طَـبَـرْسْتان وجَـرْجَان وسارِيَـة وآمد واستراباذ ، وخبر إسلاّمهم على يد الأطروش ، وأنّه جمعهم وملك بهم بلاد طبرستان سنة إحدى وثلثمائة ، وملك من بعده أولاده والحسن بن القاسم الداعي صهره ، واستعمل منهم القوّاد على ثغورها فكان منهم ليلى بن النعمان ، كانت إليه ولاية جرجان عن الحسن ابن القاسم الداعي سنة ثمان ثلاثين . وكانت بين بني سامان وبين بني الأطروش والحسن بن القاسم الداعي وقوّاد الدَيْـلَم حروب هلك فيها ليلى بن النعمان سنة تسع وثلثمائة ، لأنّ أمر الخلفاء كان قد انقطع عن خراسان ، وولّوها لبني سامان فكانت بسبب ذلك بينهم وبين أهل طبرستان من الحروب ما أشرنا إليه . ثم كانت بعد ذلك حربٌ مع بني سامان فولاّها من قوّاد الدَيْـلَم شرخاب بن بهبودان وهو ابن عم ما كان ابن كالي وصاحب جيش أبي الحسن الأطروش ، وقاتله سيمجور صاحب جيش بني سامان ، فهزمه وهلك شرخاب ، وولّى ابن الأطروش ما كان بن كالي على استراباذ ، فاجتمع إليه الدَيْـلَم وقدّموه على أنفسهم ، واستولى على جرجان كما يذكر ذلك كله في أخبار العلويّة . وكان من أصحاب ما كان هذا أسفار ابن شِيرَوَيْـه من قوّاد الدَيْـلَم عن ما كان إلى قوّاد بني سامان . فاتصل ببكر بن محمد بن أَلْيَسَع بنيسابور ، وبعثه في الجنود لافتتاح جرجان ، وبها أبو الحسن بن كالي نائباً عن أخيه ما كان وهو بطبرستان . فقتل أبو الحسن وقام بأمر جرجان عليّ بن خرشيد . ودعا

أسفار بن شِيرَوَيْه إلى حمايتها من ماكان ، فزحف إليهم من طبرستان فهزموه وغلبوه عليها ونصبوا أبا الحسن وعليّ بن خرشيد . فزحف ماكان إلى أسفار وهزمه وغلبه على طبرستان ، ورجع إلى بكر بن محمد بن أليسع بجرجان . ثم توفي بكر سنة خمس عشرة ، فولّى نصر بن أحمد بن سامان أسفار بن شِيرَوَيْه مكانه على جرجان ، وبعث أسفار عن مَرْدَاوِيج بن زيار الجَبَلِيّ وقدّمه على جيشه ، وقصدوا طبرستان فملكوها . وكان الحسن بن القاسم الداعي قد استولى على الريّ وأعمالها من يد نصر بن سامان ، ومعه قائده ماكان بن كالي . فلمّا غلب أسفار على طبرستان زحف إليه الداعي وقائده ماكان فانهزما وقتل الداعي ورجع ماكان إلى الريّ ، واستولى أسفار ابن شيرويه على طبرستان وجرجان ، ودعا النصر بن أحمد بن سامان ، ونزل سارية واستعمل على آمد هرون بن بهرام . ثم سار أسفار إلى الريّ ، فأخذها من يد ماكان ابن كالي وسار ماكان إلى طبرستان واستولى أسفار على سائر أعمال الريّ وقَزْوِين وزَنْجَان وأبهر وقمّ والكَرْخ ، وعظمت جيوشه وحدّثته نفسه بالمُلْك ، فانتقض على نصر بن سامان صاحب خراسان ، واعتزم على حربه وحرب الخليفة . وبعث المقتدر هرون بن غريب الحال في عسكر إلى قزوين ، فحاربه أسفار وهزمه وقتل كثيراً من أصحابه . ثم زحف إليه نصر بن سامان من بخارى فراسله في الصلح وضمان أموال الجباية ، فأجابه وولّاه ورجع إلى بخارى ، فَعَظُمَ أمر أسفار وكَثُرَ عيثه وعسف جنده ، وكان قائده مرداويج من أكبر قوّاده قد بعثه أسفار إلى سلار صاحب سميرم ، والطرم يدعوه إلى طاعته . فاتفق مع سلار على الوثوب بأسفار ، وقد باطن في ذلك جماعة من قوّاد أسفار ووزيره محمد بن مطرف الجرجاني . ونمي الخبر إلى أسفار وثار به الجند ، فهرب إلى بَيْهَق . وجاء مرداويج من قزوين إلى الريّ ، وكتب إلى ماكان بن كالي يستدعيه من طبرستان ليظاهره على أسفار ، فقصد ماكان أسفار ، فهرب أسفار إلى الريّ ليتّصل بأهله وماله ، وقد كان أنزلهم بقلعة المرت . وركب المفازة إليها ، ونمي الخبر إلى مرداويج فسار لاعتراضه وقدّم بعض قوّاده أمامه فلحقه القائد وجاء به الى مرداويج فقتله ورجع إلى الريّ ثم إلى قزوين ، وتمكن في الملك وافتتح البلاد وأخذ هَمَذَان والدِّينور وقمّ وقاشان وأصبهان ، وأساء السيرة في أهل أصبهان وصنع سريراً من ذهب لجلوسه . فلما قوي أمره نازع ماكان في طبرستان فغلبه عليها ثم سار إلى جرجان فملكها وعاد إلى أصبهان ظافراً . وسار ماكان على الدَّيْلَم

مستنجداً بأبي الفضل الثائر بها ، وسار معه إلى طبرستان فقاتلهم عاملها من قبل مرداويج بالقسم بن بايحين وهزمهم ، ورجع الثائر إلى الدَيْلَم وسار ما كان إلى نيسابور ، ثم سار إلى الدامغان فصدّه عنها القسم فعاد إلى خراسان . وعَظُم أمر مرداويج واستولى على بلد الريّ والجبل واجتمع إليه الدَيْلَم وكثرت جموعه وعَظُم خرجه . فلم يكفِ ما في يده من الأعمال فسما إلى التغلّب على النواحي ، فبعث إلى همذان الجيوش مع ابن أخته ، وكانت بها عساكر الخليفة مع محمد بن خَلَف ، فحاربهم وهزمهم وقتل ابن أخت مرداويج . فسار من الريّ إلى همذان وهرب عسكر الخليفة عنها وملكها مرداويج عنوة واستباحها . ثم أمّن بقيتهم . وأنفذ المُقْتَدِر هرون بن غريب الحال في العساكر فلقيه مرداويج وهزمهم واستولى على بلاد الجبل وما وراء همذان ، وبعث قائده إلى الدينور ففتحها عنوة ، وانتهت عساكره إلى حُلْوَان فقتل وسبى . وسار هرون إلى قرقيسيا فأقام بها واستمدّ المقتدر وكان معه اليَشْكُرِيّ من قوّاد أسفار ، وكان قد استأمن بعد أسفار إلى الخليفة وسار في جملته . وجاء مع هرون في هذه الغزاة إلى نَهَاوَنْد لحمل المال إليه منها . فلمّا دخلها استمدّت[1] عينه إلى ثروة أهلها ، فصادرهم على ثلاثة آلاف ألف دينار ، واستخرجها في مدّة أسبوع ، وجنّد بها جنداً ومضى إلى أصبهان ، وبها يومئذ ابن كيغلغ قبل استيلاء مرداويج عليها ، فقاتله أحمد وانهزم وملك اليشكري أصبهان ، ودخل إليها أصحابه ، وقام بظاهرها . وسار أحمد بن كيغلغ في ثلاثين فارساً إلى بعض قرى أصبهان وركب اليشكري ليتطوّف على السور ، فنظر إليهم فسار نحوهم فقاتلوه ، وضربه أحمد بن كيغلغ على رأسه بالسيف فقدّ المغفر وتجاوزه إلى دماغه فسقط ميتاً . وقصد أحمد المدينة ففرّ أصحاب اليشكري ، ودخل أحمد إلى أصبهان وذلك قبل استيلاء عسكر مرداويج عليها ، فاستولى عليها وجدّدوا له فيها مساكن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف العِجْلِيّ وبساتينه ، وجاء مرداويج في أربعين أو خمسين ألفاً ، فنزلها وبعث جمعاً إلى الأهواز فاستولوا عليها ، وعلى خوزستان كذلك ، وجبى أموالها وقسّم الكثير منها في أصحابه ، وادّخر الباقي وبعث إلى المُقْتَدِر يطلب ولاية هذه الأعمال وإضافة هَمَذَان وماه الكوفة إليها على مائتي ألف دينار في كل سنة ، فأجابه وقاطعه وولّاه وذلك سنة تسع عشرة . ثم دعا مرداويج

(١) الأصح ان يقول : امتدت .

سنة عشرين أخاه وشكمير من بلاد كيلان ، فجاء إليه بدوياً حافياً بما كان يعاني من أحوال البداوة والتَبَـذّل في المعاش ينكر كل ما يراه من أحوال الترف ورقة العيش . ثم صار إلى ترف الملك وأحوال الرياسة فرقت حاشيته وعَـظُم ترفهه . وأصبح من عظماء الملوك وأعرفهم بالتدبير والسياسة .

* (ابتداء حال أبي عبدالله البريدي) *

كان بداية أمره عاملاً على الأهواز وضبط ابن ماكر لأن هذا الإسم بالموحدة والراء المهملة نسبة إلى البريد . وضبطه ابن مسكويه بالياء المثناة التحتانيّة والزاي نسبة إلى يزيد بن عبدالله بن المنصور الحِـمْـيَـرِيّ ، كان جدّه يخدمه ولما وَلِـيَ عليّ بن عيسى الوزارة واستعمل العمّال ، وكان أبو عبدالله قد ضمن الخاصة بالأهواز وأخوه أبو يوسف على سوق فائق من الإقتصارية وأخوه علي هذا . فلما وزر أبو علي بن مقلة بذل له عشرين ألف دينار على أن يقلّده أعمالاً فائقة ، فقلّده الأهواز جميعها غير السوس وجنا سابور[1] وقلّد أخاه أبا الحسن القرانية[2] وأخاهما أبا يوسف الخاصة والأسافل ، وضمن المال أبا يوسف السمسار ، وجعل الحسين بن محمد المارداني مشرفاً على أبي عبدالله ، فلم يلتفت إليه . وكتب إليه الوزير بن مقلة بالقبض على بعض العمّال ومصادرته ، فأخذ منه عشرة آلاف دينار واستأثر بها على الوزير ، فلما نكب ابن مقلة كتب المقتدر بخطّه إلى الحاجب أحمد بن نصر القسوري بالقبض على أولاد البريدي ، وأن لا يُـطْـلِـقَهم إلا بكتابه ، فقبض عليهم وجاء أبو عبدالله بكتاب المقتدر بخطّه بإطلاقهم وظهر تزويره فأحضرهم إلى بغداد وصودروا على أربعمائة ألف دينار فأعطوها .

* (الصوائف أيام المقتدر) *

ساره مؤنس المظفّر سنة ست وتسعين في العساكر من بغداد إلى الفرات ، ودخل من ناحية مَـلَـطْـيَـة ومعه أبو الأغرّ السَـلَـمِـيّ ، فظفر وغنم وأسر جماعة ، وفي سنة سبع وتسعين بعث المقتدر أبا القاسم بن سيما لغزو الصائفة سنة ثمان وتسعين . وفي سنة تسع وتسعين غزا بالصائفة رستم أمير الثغور ، ودخل من ناحية طرسوس ومعه دُمْـيَـانَـة ،

(١) هي جنديسابور .
(٢) الفراتية : ابن الاثير ج ٨ ص ١٨٥ .

وحاصر حصن مليح الأرمني ففتحه وأحرقه . وفي سنة ثلثمائة مات إسْكَنْدَرُوس بن لاور ملك الروم ، وملك بعده إبنه قسطنطين ابن إثنتي عشرة سنة . وفي سنة اثنتين وثلثمائة سار عليّ بن عيسى الوزير في ألف فارس لِغزو الصائفة مدداً لبسر الخادم عامل طرسوس ، ولم يتيسر لهم الدخول في المصيف ، فدخلوا شاتية في كَلَبِ البرد وشِدّته ، وغنموا وسبوا . وفي سنة إثنتين وثلثمائة غزا بسرُ الخادمِ والي طرسوس بلاد الروم ، ففتح وغنم وسبى وأسر مائة وخمسين . وكان السبي نحواً من ألفي رأس . وفي سنة ثلاث وثلثمائة أغارت الروم على ثغور الجزيرة ونهبوا حصن منصور وسبوا أهله بتشاغل عسكر الجزيرة بطلب الحسين بن حمدان مع مؤنس ، حتى قبض عليه كما مرّ . وفي هذه السنة خرج الروم إلى ناحية طرسوس والفرات فقاتلوا وقتلوا نحواً من ستمائة فارس ، وجاء مليح الأرمني إلى مرعش فعاث في نواحيها ، ولم يكن للمسلمين في هذه السنة صائفة . وفي سنة أربع بعدها سار مؤنس المُظَفَّر بالصائفة ومرّ بالموصل فقلّد سُبُكا المُفْلِحِيّ باريدي وقردي من أعمال الفرات ، وقلّد عثمان العبودي مدينة بَلَد وسِنْجَار ووصيفاً البُكتمري باقي بلاد ربيعة ، وسار إلى مَلَطْيَة فدخل منها وكتب إلى أبي القاسم عليّ بن أحمد بن بسطام أن يدخل من طرسوس في أهلها ، ففتح مؤنس حصوناً كثيرة وغنم وسبى ورجع إلى بغداد فأكرمه المعتضد وخلع عليه . وفي سنة خمس وثلثمائة وصل رسولان من ملك الروم إلى المقتدر في المهادنة والفداء ، فتلقيا بالإكرام وجلس لهما الوزير في الابهة ، وصفّ الأجناد بالسلاح العظيم الشأن والزينة الكاملة ، فأدّيا إليه الرسالة وأدخلها من الغد على المقتدر وقد احتفل في الأبهة ما شاء ، فأجابهما إلى ما طلب ملكهم . وبعث مؤنساً الخادم للفداء ، وجعله أميراً على كل بلدٍ يدخله إلى أن ينصرف . وأطلق الأرزاق الواسعة لمن سار معه من الحنود ، وأنفذ معه مائة وعشرين ألف دينار للفدية . وفيها غزا الصائفة جنا الصفواني فغنم وغزا وسيّر نمالي الخادم في الأسطول فغنم . وفي السنة بعدها غزا نمالي في البحر كذلك ، وجنا الصفواني فظفر وفتح وعاد وغزا بشر الأفشين بلاد الروم ، ففتح عدّة حصون وغنم وسبى . وفي سنة سبع غزا نمالي في البحر فلقي مراكب المهدي صاحب أفريقية فغلبهم وقتل جماعة منهم ، وأسر خادماً للمهدي . وفي سنة عشرة وثلثمائة غزا محمد بن نصر الحاجب من الموصل على قاليقلا ، فأصاب من الروم ، وسار أهل طرسوس من مَلَطْيَة فظفروا واستباحوا وعادوا . وفي سنة

إحدى عشرة غزا مؤنس المظفّر بلاد الروم فغنم وفتح حصوناً ، وغزا ثمالي في البحر فغنم ألف رأس من السبي وثمانية آلاف من الظهر ومائة ألف من الغنم وشيئاً كثيراً من الذهب والفضّة . وفي سنة إثني عشرة جاء رسول ملك الروم بالهدايا ومعه أبو عمر بن عبد الباقي يطلبان الهدنة وتقرير الفداء ، فأجيبا إلى ذلك . ثم غدروا بالصائفة فدخل المسلمون بلاد الروم فأثخنوا ورجعوا . وفي سنة أربع عشرة خرجت الروم إلى مَلَطْيَة ونواحيها مع الدُمُسْتُق ومَلِيح الأرمني صاحب الدروب وحاصروا ملطية وهربوا إلى بغداد واستغاثوا ، فلم يغاثوا . وغزا أهل طرسوس بالصائفة فغنموا ورجعوا . وفي سنة خمس عشرة دخلت سرية من طرسوس إلى بلاد الروم فأوقع بهم الروم وقتلوا أربعمائة رجل صبراً ، وجاء الدُمُسْتُق في عساكر من الروم إلى مدينة دبيل ، وبها نصر السبكي فحاصرها وضيّق مخنقها واشتدّ في قتالها حتى نقب سورها ، ودخل الروم إليها ودفعهم المسلمون فأخرجوهم وقتلوا منهم بعد أن غنموا ما لا يحصى وعاثوا في أنعامهم ، فغنموا من الغنم ثلثمائة ألف رأس فأكلوها . وكان رجل من رؤساء الأكراد يعرف بالضحّاك في حصن له يعرف بالجُعْبُرِيّ فتنصّر وخدم ملك الروم ، فلقيه المسلمون في سنة الغزاة فأسروه وقتلوا من معه . وفي سنة ست عشرة وثلثمائة خرج الدَمُسْتُق في عساكر الروم فحاصر خلاط وملكها صلحاً ، وجعل الصليب في جامعها ، ورحل إلى تدنيس ففعل بها كذلك ، وهرب أهل أردن إلى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا . وفيها ظهر أهل مَلَطْيَة على سبعمائة رجل من الروم والأرمن ، دخلوا بلدهم خفية وقدّمهم مليح الأرمني ليكونوا لهم عوناً إذا حاصروها ، فقتلهم أهل مَلَطْيَة عن آخرهم . وفي سنة سبع عشرة بعث أهل الثغور الجزرية مثل مَلَطْيَة وفارقين وآمد وأرزا يستمدّون المقتدر في العساكر وإلاّ فيعطوا الأتاوة للروم فلم يمدّهم ، فصالحوا الروم وملكوا البلاد . وفيها دخل مُفْلِحُ الساجيّ بلاد الروم . وفي سنة عشرين غزا ثمالي بلاد الروم من طرسوس ولقي الروم فهزمهم وقتل منهم ثلثمائة وأسر ثلاثة آلاف ، وغنم من الفضّة والذهب شيئاً كثيراً وعاد بالصائفة في سنته في حشدٍ كثير ، وبلغ عَمّورِيّة فهرب عنها من كان تجمّع إليها من الروم ، ودخلها المسلمون فوجدوا من الأمتعة والأطعمة كثيراً ، فغنموا وأحرقوا وتوغّلوا في بلاد الروم يقتلون ويكتسحون ويخرّبون حتى بلغوا انكمورية التي مصّرها أهده وعادوا سالمين . وبلغت قيمة السبي مائة ألف وستة وثلاثين ألف دينار . وفي هذه السنة راسل ابن

الزيداني وغيره من الأرمن في نواحي أرمينية وحثّوا الروم على قصد بلاد الإسلام ، فساروا وخرّبوا نواحي خلاط وقتلوا وأسروا فسار إليهم مُفْلِح غلام يوسف بن أبي الساج من أذربيجان في جموع من الجند والمتطوّعة ، فأثخن في بلاد الروم حتى يقال إنّ القتلى بلغوا مائة ألف ، وخرّب بلاد ابن الزيداني ومن وافقه ، وقتل ونهب . ثم جاءت الروم إلى سُمَيْساط فحصروها وأمدّهم سعيد بن حمدان ، وكان المقتدر ولاّه الموصل وديار ربيعة على أن يسترجع مَلَطْيَة من الروم . فلما جاء رسول أهل سُمَيْساط إليهم فأجفل الروم عنها فسار إلى مَلَطْيَة وبها عساكر الروم ومليح الأرمني صاحب الثغور الرومية ، وبنّي بن قيس صاحب المقتدر الذي تنصّر . فلما أحسوا باقبال سعيد هربوا وتركوها خشية أن يثب بهم أهلها وملكها سعيد فاستخلف عليها وعاد إلى الموصل .

* (الولايات على النواحى أيام المقتدر) *

كان بأصبهان عبدالله بن ابراهيم المسمعي عاملا عليها ، خالف لأوّل ولاية المقتدر وجمع من الأكراد عشرة آلاف ، وأمر المقتدر بدراً الحمامي عامل أصبهان بالمسير إليه . فسار إليه في خمسة آلاف من الجند وأرسل من يخوّفه عاقبة المعصية ، فراجع الطاعة وسار إلى بغداد واستخلف على أصبهان . وكان على اليمن المُظَفّر بن هاج . ففتح ما كان غلب عليه الحرثي باليمن وأخذ الحلتمي من أصحابه . وكان على الموصل أبو الهيجاء بن حمدان ، وسار أخوه الحسين بن حمدان وأوقع بأعراب كلب وطيء ، وأسر سنة أربـــع وتسعين . ثم سار إلى الأكراد المتغلّبين على نواحى الموصل سنة خمس وتسعين فاستباحهم وهربوا إلى رؤوس الجبال. وخرج بالحاج في سنة أربع وتسعين وصيف بن سوارتكين فحصره أعراب طيء بالقتال وأوقعهم فهزمهم ، ومضى إلى وجهه . ثم أوقع بهم هنالك الحسن بن موسى فأثخن فيهم . وكان على فارس سنة ست وتسعين اليشكري[1] غلام عمرو بن الليث ، فلمّا تغلّب وكان على الثغور الشامية أحمد بن كيغلغ في سنة سبع وتسعين ملك الليث فارس من يد اليشكرى ، ثم جاءه مؤنس فغلبه وأسره ورجع اليشكري إلى عمله كما مرّ في خبره . وفي سنة ست وتسعين وصل ناسر موسى بن ساسان وقُلد ديار ربيعة وقد مرّ ذكره .

---

(١) سُبكرى : ابن الاثيرج ٨ ص ٥٦ .

وفيها رجع الحسين بن حمدان من الخلاف وعُقِد له على قمّ وقاشان ، فسار إليها ونزل عنها العبّاس بن عمر الغَنَويّ . وفي سنة سبع وتسعين توفي عيسى النوشري عامل مصر وولّى المقتدر مكانه تكين الخادم . وفي سنة ثمان وتسعين توفي منيح خادم الأفشين وهو عامل فارس وكان معه محمد بن جعفر الفريابيّ فماتا معاً . وولي َ على فارس عبدالله بن ابراهيم المسمعي وأضيفت إليه كرمان وفيها وليت أمّ موسى الهاشمية قهرمة دار المقتدر وكانت تؤدّي الرسائل عن المقتدر وأمّه إلى الوزراء وعن الوزراء إليهما . وفي سنة تسع وتسعين كان على البصرة محمد بن إسحق بن كِنْدَاج وجاء إليه القرامطة فقاتلهم فهربوا . وفي سنة ثلثمائة عزل عبدالله بن إبراهيم المسمعي عن فارس وكرمان ونقل إليها بدر الحمامي عامل أصبهان ، وولّى على أصبهان عليّ بن وهشودان وفيها ولّى بشير الأفشين[1] طرسوس وفيها قلّد أبو العبّاس بن المقتدر مِصْر والمغرب وهو ابن أربع سنين ، واستخلف له على مصر مؤنس المظفّر وقلّد معين الطولوني العونة بالموصل ، ثم عزل واستعمل مكانه نحرير الصغير . وفيها خالف أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان بالموصل فسار إليه مؤنس وجاء به على الأمان ، ثم قلّد الموصل سنة إثنتين وثلثمائة فاستخلف عليها وهو ببغداد . ثم خالف أخوه الحسين سنة ثلثمائة وسار إليه مؤنس وجاء به أسيراً فحبس وقبض المقتدر على أبي الهيجاء وإخوته جميعاً فحبسوا . وفيها وَلِيَ الحسين بن محمد بن عينونة عامل الخراج والضياع بديار ربيعة بعد وفاة أبيه محمد بن أبي بكر . وفي سنة أربع عزل عليّ بن وهشودان صاحب الحرب بأصبهان بمنافرة وقعت بينه وبين أحمد بن شاه صاحب الخراج ، وولّى مكانه أحمد ابن مسرور البَلْخِي . وأقام ابن وهشودان بنواحي الجبل . ثم تغلّب يوسف بن أبي الساج عليها كما مرّ . وسار إليه مؤنس سنة سبع فهزمه وأسره ، وولّى على أصبهان وقمّ وقاشان وساوة أحمد بن علي بن صعلوك ، وعلى الريّ ودَنْبَاوَنْد وقَزْوِين وأبْهَر وزَنْجَان عليّ بن وهشودان إستدعاه من الجبل فولاّه ، ووثب به عمه أحمد بن مسافر صاحب الكرم فقتله بقزوين . فاستعمل مكانه على الحرب وصيفاً البكتمري ، وعلى الخراج محمد بن سليمان . ثم سار أحمد بن صعلوك إليها فقتل محمد بن سليمان وطرد وصيفاً ، ثم قاطع على الأعمال بمال معلوم كما مرّ . وكان على أعمال سِجِسْتان كُثَيِّر بن أحمد مهقور متغلّباً عليها ، فسار إليه أبو الحمامي عامل فارس ، فخافه كثير وقاطع

---

(١) بشر الأفشيني : ابن الاثير ج ٨ ص ٧٤ .

على البلاد وعقد له عليها . وكان على كَرْمَان سنة أربع وثلثمائة أبو زيد خالد بن محمد المارداني ، فانتقض وسار إلى شيراز فقاتله بدر الحمامي وقتله . وفي هذه السنة قلّد مؤنس المظفّر عند مسيره إلى الصائفة وانتهائه إلى الموصل ، فولّوا على بَلَد باريدى وقَرْدى سُبُكّاً المـُفْلِحِيّ وعلى مدينة بَلَد وسِنجار وباكرَى عثمان العبودي صاحب الحرب بديار مصر ، فولّى مكانه وصيف البكتمري فعجز عن القيام بها، فعزل وولّى مكانه جنا الصفواني . وكان على البصرة في هذه السنة الحسن بن الخليل ، تولاّها منذ سنين ووقعت فتن بينه وبين العامّة من مضر وربيعة ، واتّصلت وقتل منهم خلق . ثم اضطرّوه إلى الإلتحاق بواسِط فاستعمل عليها أبا دُلَف هاشم بن محمد الخزاعي ، ثم عزِل لسنة وولّى سُبُكا المفلحيّ نيابة عن شفيع المقتدري . وفي سنة ست وثلثمائة عزل عن الشرطة نزار وجعل فيها نجيح الطولوني ، فأقام في الأرباع فقهاء يعمل أهل الشرطة بفتواهم ، فضعفت الهيبة بذلك ، وكثر اللصوص والعيّارون ، وكبست دور التجّار واختطفت ثياب الناس . وفي سنة سبع وثلثمائة وَلّيَ إبراهيم بن حمدان ديار ربيعَة ووليّ بنّيّ بن قيس بلاد شهرزور ، واتسعت عليه فاستمدّ المقتدر وحاصرها . ثم قلّد الحرب بالموصل وأعمالها ، وكان على الموصل قبله محمد بن اسحق بن كنداج ، وكان قد سار لإصلاح البلاد فوقعت فتنة بالموصل فرجع إليها فمنعوه الدخول فحاصرهم . وعزله المقتدر سنة ثلاث وثلثمائة وولّى مكانه عبدالله بن محمد الغسّاني . وفي سنة ثمان وثلثمائة ولّى المقتدر أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان على طريق خراسان والدرّنور ، وفيها وَليَ على دقوقا وعكبرا وطريق الموصل بدراً الشرابي . وفي سنة تسع ولّى القتدر على حرب المصول ومعونتها محمد بن نصر الحاجب ، فسار إليها وأوقع بالمخالفين من الأكراد المادرانية . وفيها ولّى داود بن حمدان على ديار ربيعة. وفي سنة عشر عقد ليوسف بن أبي الساج على الريّ وقَزْوين وأبْـهَر وزَنْـجَان وأذربيجان على تقدير العلوية كما مرّ . وفيها قَبَضَ المـُقْتَدر على أمّ موسى القهرمانة لأنها كانت كثيرة المال ، وزوّجت بنت أختها من بعض ولد المتوكّل ، كان مرشّحا للخلافة ، وكان محسناً فلما صاهرته أوسعت في الشوار[1] واليسار والعرس ، وسعى بها إلى المقتدر أنها استخلصت القوّاد فقبض عليها وصادرها على أموال عظيمة وجواهر نفيسة . وفيها قتل خليفة نصر بن محمد الحاجب بالموصل ، قتله العامّة فجهّز العساكر من بغداد ،

(١) جهاز العروس .

وسار إليها . وفي سنة إحدى عشرة ملك يوسف بن أبي الساج الريّ من يد أحمد بن علي صعلوك ، وقتله المقتدر وقد مرّ خبره . وفيها ولّى المقتدر بنّيّ بن قيس على حرب أصبهان ، وولّى محمد بن بدر المعتضدي على فارس مكان ابنه بدر عندما هلك . وفي سنة إثنتي عشرة ولّى على أصبهان يحيى الطولوني ، وعلى المعاون والحرب بِنَهَاوَنْد سعيد بن حمدان . وفيها توفي محمد بن نصر الحاجب صاحب الموصل وتوفي شفيع اللؤلؤي صاحب البريد ، فَوَلِيَ مكانه شفيع المقتدري . وفي سنة ثلاث عشرة فتح ابراهيم المسمعي [١] عامل فارس ناحية القفص من حدود كرمان ، وأسر منهم خمسة آلاف ، وكان في هذه السنة ولي على الموصل أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان وإبنه ناصر الدولة خليفة فيها ، فأفسد الأكراد والعرب بأرض الموصل وطريق خراسان وكانت إليه ، فكتب إليه إبنه ناصر الدولة سنة أربع عشرة بالإنحدار إلى تكريت للقائه ، فجاءه في الحشد وأوقع بالعرب والأكراد الخلالية وحسم علّتهم . وفيها قلّد المقتدر يوسف بن أبي الساج أعمال الشرق وعزله عن أذربيجان وولاّه واسط ، وأمدّه بالسير إليها لحرب القرامطة ، وأقطعه همذان وساوة وقمّ وقاشان وماه البصرة وماه الكوفة وما سبذان للنفقة في الحرب ، وجعل على الريّ من أعماله نصر بن سامان ، فوليها وصار من عمّاله كما مرّ . وفيها وَلِيَ أعمال الجزيرة والضياع بالموصل أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان وأضيف إليه باريدى وقردى وما إليهما . وفيها قتل ابن أبي الساج كما مرّ . وفي سنة خمس عشرة مات إبراهيم المسمعي بالنوبَنْدَجان ، وولّى المقتدر على مكانه ياقوت ، وعلى كرمان أبا طاهر محمد بن عبد الصمد . وفي سنة ست عشرة عزل أحمد بن نصر القسوري عن حجبة الخليفة ووليها ياقوت وهو على الحرب بفارس واستخلف عليها إبنه أبا الفتح المظفّر . وفيها وليَ على الموصل وأعمالها يونس المؤنسيّ ، وكان على الحرب بالموصل ابن عبدالله بن حمدان ، وهو ناصر الدولة فغضب وعاد إلى الخلافة . وقتل في تلك الفتنة نازوك ، وأقرّ على أعمال قردى وباريدى التي كانت بيد أبي الهيجاء إبنه ناصر الدولة الحسن ، وعلى أعمال الموصل نحريراً الصغير . ثم ولّى عليها سعيداً ونصراً إبني حمدان ، وهما أخوا أبي الهيجاء . وولّى ناصر الدولة على ديار ربيعة ونصّيبين وسنجار والخابور ورأس عين وميافارقين من ديار بكر وأرزن على مقاطعة معلومة . وفي سنة ثمان عشرة صرف إبنا رائق عن الشرطة ، ووليها أبو بكر محمد بن ياقوت عن الحجبة وقلّد أعمال فارس وكَرْمان . وقلّد

---

(١) هو عبدالله بن ابراهيم المسمعي كما في الكامل ج ٨ ص ١٢ .

إبنه المظفّر أصبهان وابنه أبا بكر محمداً سِجِستان وجعل مكان ياقوت وولده في الحجبة والشرطة ابراهيم ومحمد إبنا وائق ، فأقام ياقوت بشيراز وكان عليّ بن خلف بن طيّان على الخوارج ، فتعاقدا على قطع الحمل عن المقتدر إلى أن ملك عليّ بن بُوَيْه بلاد فارس سنة ثلاث وعشرين . وفي هذه السنة غلب مرداويج على أصبهان وهمذان والريّ وحُلوان ، وقاطع عليها بمال معلوم وصارت في ولايته .

* (استيحاش مؤنس من المقتدر الثانية ومسيره إلى الموصل) *

كان الحسين بن القاسم بن عبدالله بن وهب وزيراً للمقتدر ، وكان مؤنس منحرفاً عنه قبل الوزارة حتى أصلح بُلَيْق حاله عند مؤنس ، فوزر واختص به بنو البريدي وابن الفرات . ثم بلغ مؤنساً أن الحسين قد واطأ جماعة من القوّاد في التدبير عليه ، فتنكّر له مؤنس وضاقت الدنيا على الحسين وبلغه أنّ مؤنساً يكبسه ، فانتقل إلى الخلافة وكتب الحسين إلى هرون بن غريب الخال يستقدمه ، وكان مقيماً بدير العاقول بعد انهزامه من مرداويج ، وكتب إلى محمد بن ياقوت يستقدمه من الأهواز فاستوحش مؤنس . ثم جمع الحسين الرجال والغلمان الحجرية في دار الخلافة ، وأنفق فيهم فعظمت نفرة مؤنس ، وقدم هرون من الأهواز فخرج مؤنس مغاضباً للمقتدر وقصد الموصل ، وكتب الحسين إلى القوّاد الذين معه بالرجوع فرجع منهم جماعة ، وسار مؤنس في أصحابه ومواليه ومعه من الساجية ثمانمائة من رجالهم ، وتقدّم الوزير بقبض أملاكه وأملاك من معه وأقطاعهم فحصل منه مال كثير ، واغتبط المقتدر به لذلك ولقّبه عميد الدولة ورسم إسمه في السكّة وأطلق يده في الولاية والعزل ، فولّى على البصرة وأعمالها أبا يوسف يعقوب بن محمد البريدي على مبلغ ضمنه ، وكتب إلى سعيد وداود ابني حمدان وابن أخيهما ناصر الدولة الحسين بن عبدالله بمحاربة مؤنس ، فاجتمعوا على حربه إلاّ داود فإنّه توقف لإحسان مؤنس إليه وتربيته إياه . ثم غلبوا عليه فوافقهم على حربه ، وجمع مؤنس في طريقه رؤوساء العرب وأوهمهم أنّ الخليفة ولاّه الموصل وديار ربيعة ، فنفر معه بعضهم واجتمع له من العسكر ثمانمائة وزحف إليه بنو حمدان في ثلاثين ألفاً فهزمهم وملك مؤنس الموصل في صفر من سنة عشرين ، وجاءته العساكر من بغداد والشام ومصر رغبة في إحسانه . وعاد ناصر الدولة بن حمدان إلى خدمته وأقام معه بالموصل ولحق سعيد ببغداد .

* (مقتل المقتدر وبيعة القاهر) *

ولما ملك مؤنس الموصل أقام بها تسعة واجتمعت العساكر فإنحدر إلى بغداد لقتال المقتدر ، وبعث المقتدر الجنود مع أبي محمد بن ياقوت وسعيد بن حمدان ، فرجع عنهم العسكر إلى بغداد ورجعوا وجاء مؤنس فنزل بباب الشمّاسيّة والقوّاد قبالته ، وندب المقتدر إبن خاله هرون بن غريب إلى الخوارج لقتاله ، فاعتذر ثم خرج ، وطالبوا المقتدر بالمال لنفقات الجند فاعتذر وأراد أن ينحدر إلى واسط ويستدعي العساكر من البصرة والأهواز وفارس وكرمان ، فردّه ابن ياقوت عن ذلك وأخرجه للحرب وبين يديه الفقهاء والقوّاد والمصاحف مشهورة وعليه البُرْدَة والناس يحدّقون به ، فانهزم أصحابه ولقيه عليّ بن بُلَيْق من أصحاب مؤنس ، فعظمه وأشار عليه بالرجوع ولحقه قوم من المغاربة والبربر فقتلوه وحملوا رأسه وتركوه بالعراء ، فدفن هنالك . ويقال إنّ عليّ بن بليق أشار إليهم بقتله . ولما رأى مؤنس ذلك ندم وسقط في يده وقال : والله لنقتلنّ جميعاً ، وتقدّم إلى الشمّاسيّة وبعث من يحتاط على دار الخلافة وكان ذلك لخمس وعشرين سنة من خلافة المقتدر . فاتسع الخرق وطمع أهل القاصية في الاستبداد وكان مهملاً لأمور خلافته محكّماً للنساء والخدم في دولته مبذراً لأمواله . ولما قتل لحق ابنه عبد الواحد بالمدائن ومعه هرون بن غريب الحال ومحمد بن ياقوت وإبراهيم بن رائق . ثم اعتزم مؤنس على البيعة لولده أبي العبّاس وكان صغيراً ، فعذله وزيره أبو يعقوب إسمعيل النوبختي في ولاية صغير في حجر أمّه وأشار بأخيه أبي منصور محمد بن المعتضد ، فأجاب مؤنس إلى ذلك على كره ، وأحضر وبويع آخر شوّال من سنة عشرين ، ولقّبوه القاهر بالله . واستحلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه بَلَيْق وإبنه عليّ ، واستقدم أبا عليّ بن مقلة من فارس فاستوزره ، واستحجب عليّ بن بليق . ثم قبض على أمّ المقتدر وضربها على الأموال فحلفت فأمرها بحل أوقافها فامتنعت ، فأحضر هو القضاة وأشهد بحل أوقافها ووكّل في بيعها ، فاشتراها الجند من أرزاقهم ، وصادر جميع حاشية المقتدر ، واشتدّ في البحث عن وُلْدِهِ وكبس عليهم المنازل إلى أن ظفر بأبي العبّاس الراضي وجماعة من إخوته وصادرهم وسلّمهم عليّ بن بُلَيْق إلى كاتبه الحسين بن هرون . فأحسن صحبتهم وقبض الوزير ابن مقلة على البريدي واخوته وأصحابه وصادرهم على جملة من المال .

* (خبر ابن المقتدر وأصحابه) *

قد ذكرنا أنّ عبد الواحد بن المقتدر لحق بعد مقتل أبيه بالمدائن ، ومعه هرون بن غريب الخال ومفلح ومحمد بن ياقوت وإبنا رائق . ثم انحدروا منها إلى واسط وأقاموا بها ، وخشيهم القاهر على أمره واستأمن هرون بن غريب على أن يبذل ثلثمائة ألف دينار وتطلق له أملاكه ، فأمّنه القاهر ومؤنس وكتب له بذلك وعقد له على أعمال ماه الكوفة وما سبذان ومَهْروبان ، وسار إلى بغداد وسار عبد الواحد بن المقتدر فيمن معه من واسط ، ثم إلى السوس وسوق الأهواز ، وطردوا العمّال وجبوا الأموال . وبعث مؤنس إليهم بُلَيْقاً في العساكر وبذل أبو عبدالله البريدي في ولاية الأهواز خمسين ألف دينار فأنفقت في العساكر . وسار معهم وانتهوا إلى واسط ثم إلى السوس ، فجاز عبد الواحد ومن معه من الأهواز إلى تُسْتُر ، ثم فارقه جميع القوّاد واستأمنوا إلى بُلَيْق إلا ابن ياقوت ومفلحاً ومسروراً الخادم ، وكان محمد بن ياقوت مستبدّاً على جميعهم في الأموال والتصرّف ، فنفروا لذلك واستأمنوا لأنفسهم ولابن المقتدر إلى بُلَيْق ، فأمّنهم بعد أن استأمنوا محمد بن ياقوت وأذن لهم ، ثم استأمن هو على بُلَيْق إلى أمان القاهر ومؤنس ، وساروا إلى بغداد جميعهم فوفّى لهم القاهر وأطلق لعبد الواحد أملاكه وترك لأمّه المصادرة التي صاردها ، واستولى أبو عبدالله البريدي على أعمال فارس وأعاد إخوته إلى أعمالهم .

* (مقتل مؤنس وبليق وابنه) *

لما رجع محمد بن ياقوت من الأهواز واستخلصه القاهر واختصه لخلواته وشوَرَاه ، وكانت بينه وبين الوزير ابن عليّ بن مقلة عداوة ، فاستوحش لذلك ودسّ إلى مؤنس أنّ محمد بن ياقوت يسعى به عند القاهر ، وأنّ عيسى الطبيب سفيره في ذلك ، فبعث مؤنس عليّ بن بُلَيْق لإحضار عيسى ، وتقدّم عليّ بن بليق بالإحتياط على القاهر ، فوكّل به أحمد بن زيرك وضيّق على القاهر وكشف وجوه النساء المختلفات إلى القصر خشية إيصالهم الرقاع إلى القاهر حتى كشفت أواني الطعام ، ونقل بليق المحابيس من دار الخلافة إلى داره وفيهم أمّ المقتدر فأكرمها عليّ بن بليق وأنزلهم عند أمّه فماتت في جمادى من سنة إحدى وعشرين . وعلم القاهر أنّ ذلك من مؤنس وابن مقلة فشرع في التدبير عليهم وكان طريف السبكرى ونشرى من خدم

مؤنس قد استوحشا من مؤنس لتقدّم بليق وإبنه عليهما ، وكان اعتماد مؤنس على الساجيّة وقد جاؤا معه من الموصل ولم يوف لهم فاستوحشوا لذلك ، فداخلهم القاهر جميعاً وأغراهم بمؤنس وبليق ، وبعث إلى أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبدالله وكان مختصاً بابن مقلة وصاحب رأيه ، فوعده بالوزارة فكان يطالعه بالأخبار. وشعر ابن مقلة بذلك فأبلغوا إلى مؤنس وبليق ، وأجمعوا على خلع القاهر ، واتفق بليق وابنه عليّ وابن مقلة والحسن بن هرون على البيعة لأبي أحمد بن المكتفي فبايعوه ، وحلفوا له وأطلعوا مؤنساً على ذلك ، فأشار بالمهل وتأنيس القاهر حتى يعرفوا مَنْ واطأه من القوّاد والساجيّة[1] والحجرية فأبوا وهوّنوا عليه الأمر في استعجال خلفه فأذن لهم ، فأشاعوا أن أبا طاهر القُرْمُطِيّ ورد الكوفة ، وندبوا عليّ بن بُلَيْق للمسير إليه ليدخل للوداع ويقبض على القاهر وابن مقلة كان نائماً فلما استيقظ أعاد الكتاب إلى القاهر فاستراب . ثم جاءه طريف السيكري[2] غلام مؤنس في زي إمرأة مستنصحاً ، فاحضره وأطلعه على تدبيرهم وبيعتهم لأبي أحمد بن المكتفي فأخذ القاهرُ حِذْرَهُ، وأكمن الساجيّة في دهاليز القصر وممّراته ، وجاء عليّ بن بُلَيْق في خف من أصحابه ، واستأذن فلم يؤذن له ، وكان ذا خمار فغضب وأفحش في القول فأخرج الساجيّة في السلاح وشتموه وردّوه ، وفرّ عنه أصحابه وألقى بنفسه في الطيار وعبر إلى الجانب الغربي . واختفى الوزير ابن مقلة والحسن بن هرون ، وركب طريف إلى دار القاهر ، فأنكر بُلَيْق ما جرى لإبنه وشتم الساجيّة وقال : لا بدّ أن أستعدي الخليفة عليهم ، وجاء إلى القاهر ومعه قوّاد مؤنس ، فلم يأذن له وقبض عليه وحبسه ، وعلى أحمد بن زيرك صاحب الشرطة ، وجاء العسكر منكرين لذلك فاسترضاهم ووعدهم بالزيارة وباطلاق هؤلاء المحبوسين فافترقوا ، وبعث إلى مؤنس بالحضور عنده ليطالعه برأيه فأبى فعزله ، وولّى طريف السيكرى مكانه وأعطاه خاتمه وقال : قد فوّضت إلى إبني عبد الصمد ما كان المقتدر فوّضه إلى إبنه محمد ، وقلّدتك خلافته ورياسة الجيش وإمارة الأمراء وبيوت الأموال كما كان مؤنس وأمضِ إليه وأحمله إلى دار الخلافة مرفّهاً عليه لئلا يجتمع إليه أهل الشرّ ويفسد ما بيننا

(١) الساجية أو الساجة فرقة من عسكر الخلافة مساة بهذا الاسم على ما هو اصطلاح الملوك في تلقيب كل جماعة من العسكر تمييزاً لهم عمن عداهم اهـ . من خط الشيخ العطّار.

(٢) طريف السُكريّ وقد مرّ ذكره من قبل .

وبينه ، فسار طريف إلى مؤنس وأخبره بأمان القاهر له ولأصحابه ، وحمله على الحضور عنده وهوّن عليه أمره ، وأنّ القاهر لا يقدر على مكروهة . فركب وحضر فقبض عليه القاهر وحبسه قبل أن يراه ، وندم طريف على ما فعل واستوحش . واستوزر القاهر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبدالله ، ووكّل بدور مؤنس وبُلَيق وابنه عليّ وابن مقلة وابن زيرك وابن هرون ونقل ما فيها ، وأحرقت دار ابن مقلة ، وجاء محمد بن ياقوت وقام بالحجبة ، فتنكّر له طريف السيكري والساجيّة فاختفى ولحق بابنه بفارس ، وكتب إليه القاهر بالعتب على ذلك وولاّه الاهواز ، وكان الذي دعا طريفاً السيكري إلى الإنحراف عن مؤنس وبُلَيْق أن مؤنساً رفع رتبة بُلَيق وابنه عليه بعد أن كانا يخدمانه ، فأهملا جانبه . ثم اعتزم بُلَيْق على أن يولّيه مِصْرَ وفاوض في ذلك الوزير ابن مقلة ، فوافق عليه . ثم أراد عليّ بن بُلَيْق عمل مِصْر لنفسه ، ومنع من إرسال طريف فتربصّ بهم . وأما الساجيّة فكانوا مع مؤنس بالموصل وكان يعدهم ويمنّيهم . ولما وَلِيَ القاهر واستبدّ بأمره لم يفِ لهم . وكان من أعيانهم الخادم صندل ، وكان له بدار القاهر خادم إسمه مُؤْتَمَن باعه واتصل بالقاهر قبل الخلافة ، فاستخلفه ، فلمّا شرع في التدبير على مؤنس وبُلَيق بعث مؤنساً هذا إلى صندل يمتّ إليه تقديمه ويدخله في أمر القاهر وإزالة الحجر عنه . فقصد إلى صندل وزوجته وتلطّف ووصف القاهر بما شاء من محاسن الأخلاق ، وحمل زوجته على الدخول إلى دار القاهر حتى شافهها بما أراد إبلاغه إلى صندل ، وداخل صندل في ذلك سيما من قوّاد الساجيّة ،، واتفقوا على مداخلة طريف السيكرى في ذلك لعلمهم باستيحاشه من مؤنس ، فأجابهم على شريطة الإبقاء على مؤنس وبُلَيْق وابنه ، وأن لا يزال مؤنس من مرتبته وتحالفوا على ذلك من الجانبين . وطلب طريف عهد القاهر بخطّه ، فكتب وزاد فيه أنه يصلّي بالناس ويخطب لهم ويحج بهم ويغزو معهم ويتّئد لكشف المظالم وغير ذلك من حسن السيرة ، وكان جماعة من الحجرية قد أبعدهم ابن بُلَيْق وأدال منهم بأصحابه ، فداخلهم طريف في أمر القاهر فأجابوه ، ونمي الخبر بذلك إلى ابن مقلة وإلى بُلَيْق ، وأرادوا القبض على قوّاد الساجيّة والحجرية . ثم خشوا الفتنة ودبّروا علي القاهر فلم يصلوا إليه لاحتجابه عنهم بالمرض . فوضعوا أخبار القرامطة كما قدّمناه . ولمّا قبض القاهر على مؤنس ولّى الحجابة سلامة الطولوني . وعلى الشرطة أحمد بن خاقان ، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبدالله مكان ابن مقلة ،

وأمر بالنداء على المتسترين والوعيد لمن أخفى ، وطلب أبا أحمد بن المكتفي فظفر به . وبنى عليه حائطاً فمات . ثم ظفر بعليّ فقتله . ثم شغب الجند في شعبان ومعهم أصحاب مؤنس، وثاروا ونادوا بشعاره ، وطلبوا إطلاقه وأحرقوا روشن دار الوزير أبي جعفر . فعمد القاهر إلى بُلَيْق في محبسه وأمر به فذبح وحمل الرأسين إلى مؤنس . فلما رآهما مؤنس استرجع ولعن قاتلهما فأمر به فذبح وطيف بالرؤوس . ثم أودعت بالخزانة . وقيل إن قتل عليّ بن بُلَيْق تأخّر عن قتل أبيه ومؤنس لأنه كان مختفياً . فلمّا ظفر به بعدهما قتله . ثم بعث القاهر إلى أبي يعقوب إسحق بن إسمعيل اليوصحي فأخذ من محبس الوزير محمد بن القاسم وحبسه ، وارتاب الناس من شدّة القاهر . وندم الساجيّة والحجريّة على مداخلته في ذلك الأمر . ثم قبض القاهر على وزيره أبي جعفر وأولاده وأخيه عبيدالله وخدمه لثلاثة أشهر ونصف من ولايته . ومات لثمان عشرة ليلة من حبسه ، واستوزر مكانه أبا العبّاس أحمد بن عبيدالله بن سليمان الحصيبي . ثم استبدّ القاهر على طريف السيكري واستخف به ، فخافه وتنكّر . ثم أحضره بعد أن قبض على الوزير أبي جعفر فقبض عليه وأودعه السجن إلى أن خلع القاهر .

* (ابتداء دولة بني بويه) *

كان أبوهم أبو شجاع بويه من رجالات الديْلَم ، وكان له أولاد : علي والحسن وأحمد ، فعلي أبو الحسن عماد الدولة ، والحسن أبو علي ركن الدولة ، وأحمد أبو الحسن معزّ الدولة . ونسبهم ابن ماكولا في الساسانية إلى بهرام جور بن يزدجرد ، وابن مسكويه إلى يزدجرد بن شهريار ، وهو نسب مدخول ، لأنّ الرياسة على قوم لا تكون في غير أهل بلدهم كما ذكرنا في مقدّمة الكتاب . ولما أسلم الديْلَم على يد الأطروش وملك بهم طبرستان وجرجان ، وكان من قوّاده ما كان بن كالي وليلى بن النعمان وأسفار بن شِيرَوَيْه ومرداويج بن وزيار ، وكانوا ملوكاً عظاماً وازدحموا في طبرستان ، فساروا لملك الأرض عند اختلاط الدولة العبّاسية وضعفها ، وقصدوا الإستيلاء على الأعمال والأطراف . وكان بنو بُوَيْه من جملة قوّاد ما كان بن كالي . فلمّا وقع بينه وبين مرداويج من الفتنة والخلاف ما تقدّم ، وغلبه مرداويج على طبرستان وجرجان عادوا إلى مرداويج لتخفّ عنه مؤنتهم على أن يرجعوا إليه إذا صَلُح أمره ، فساروا إلى مرداويج فقبلهم وأكرمهم ، واستأمن إليه جماعة من قوّاد ما

كان فقتلهم وأولادهم . وولّى عليّ بن بويه على الكَرَج ، وكان أكبر إخوته . وسار جميعهم إلى الريّ وعليها وشمكير بن وزيار أخو مرداويج ومعه وزيره الحسين بن محمد الملقّب بالعميد ، فاتّصل به عليّ بن بويه وأهدى إليه بغلة كانت عنده ومتاعا ، وندم مرداويج على ولاية هؤلاء المستأمنة من قوّاد ما كان ، فكتب إلى أخيه وشمكير بالقبض على الباقين ، وأراد أن يبعث في أثر عليّ بن بويه فخشي الفتنة تركه . ولمّا وصل عليّ بن بويه إلى الكَرَج استقام أمره وفتح قلاعاً للخرمية ظفِر منها بذخائر كثيرة ، واستمال الرجال وعَظُم أمره ، وأحبه الناس ، ومرداويج يومئذ بطبرستان . ثم عاد إلى الريّ وأطلق مالاً لجماعة من القوّاد على الكرج فوصلوا إلى عليّ ابن بُوَيْه فأحسن إليهم واستمالهم ، وبعث إليهم مرداويج فدافعه فندم على إطلاقهم ، وبعث فيهم مرداويج أمراء الكَرَج فاستأمن إليه شيرزاد من أعيان قوّاد الديلم . فقويت نفسه وسار إلى أصبهان وبها المُظَفّر بن ياقوت على الحرب في عشرة آلاف مقاتل ، وأبو عليّ بن رستم على الخوارج ، فأرسل عليّ بن بويه يستعطفهما في الإنحياز إلى طاعة الخليفة وخدمته ، والمسير إلى الحضرة فلم يجيباه . وكان أبو عليّ أشدّ كراهة له فمات تلك الايام . وسار ابن ياقوت ثلاثة فراسخ عن أصبهان ، وكان في أصحابه جَسْلٌ ودَيْلَمٌ ، واستأمنوا إلى ابن بَوَيْه ، ثم اقتتلوا فانهزم ابن ياقوت واستولى عليّ بن بويه على أصبهان ، وهو عماد الدولة ، وكان عسكره نحواً من تسعمائة ، وعسكر ابن ياقوت نحواً من عشرة آلاف . وبلغ ذلك القاهر فاستعظمه وبلغ مرداويج فأقلقه وخاف على ما بيده ، وبعث إلى عماد الدولة يخادعه بطلب الطاعة منه ليطمئن للرسالة ، ويخالفه أخوه وشمكير في العساكر . وشعر ابن بويه بذلك فرحل عن أصبهان وقصد أرجان وبها أبو بكر بن ياقوت ، فانهزم أبو بكر من غير قتال ولحق برامَهُرْمُز . واستولى ابن بويه على أرجان وخالفه وشمكير أخو مرداويج الى أصبهان فملكها ، وأرسل القاهر إلى مرداويج بأن يسلّم أصبهان لمحمد بن ياقوت ففعل . وكتب أبو طالب يستدعيه ويهوّن عليه أمر ابن ياقوت ويُغْريه به ، فخشي ابن بويه من كثرة عساكر ياقوت وأمواله ، وأن يحصل بينه وبين ابنه تأهبات فتوقف ، فأعاد عليه أبو طالب وأراه أن مرداويج طلب الصلح من ابن ياقوت وخوّفه اجتماعهما عليه . فسار ابن بويه إلى أرجان في ربيع سنة إحدى وعشرين،ولقيتهم هنالك مقدّمة ابن ياقوت فانهزمت ، فزحف ابن ياقوت إليهم وبعث عماد الدولة أخاه ركن الدولة الحسن إلى

كازرون وغيرها من أعمال فارس ، فجبى أموالها ولقي عسكر ابن ياقوت هنالك فهزمهم ورجع إلى أخيه ، وخشي عماد الدولة من اتفاق مرداويج مع ابن ياقوت فسار إلى أصطخر ، واتبعه ابن ياقوت وشيعه إلى قنطرة بطَرِيق كَرْمان اضطرّوا إلى الحرب عليها . فتزاحفوا هنالك واستأمن بعض قوّاده إلي ابن ياقوت فقتلهم ، فاستأمن أصحابه وانهزم ابن ياقوت واتّبعه ابن بُوَيْه واستباح معسكره ، وذلك في جمادي سنة إثنتين وعشرين . وأبلى أخوه معزّ الدولة أحمد في ذلك اليوم بلاءً حسناً ، ولحق ابن ياقوت بواسط ، وسار عماد الدولة إلى شيراز فملكها وأمّن الناس واستولى على بلاد فارس ، وطلب الجند ، أرزاقهم فعجز عنها وعثر على صناديق [1] من مخلّف ابن ياقوت وذخائر بني الصفّار فيها خمسمائة ألف دينار فامتلأت خزائنه وثبت ملكه . واستقرّ ابن ياقوت بواسط وكاتبه أبو عبدالله اليزيدي [2] حتى قتل مرداويج عاد إلى الأهواز ووصل عسكر مَكْرَم ، وكانت عساكر ابن بويه سبقته فالتقوا بنواحي أرّجان وانهزم ابن ياقوت فأرسل أبو عبدالله اليزيدي في الصلح فأجابه ابن بويه ، واستقرّ ابن ياقوت بالأهواز ومعه ابن اليزيدي وابن بويه ببلاد فارس . ثم زحف مرداويج إلى الأهواز وملكها من يد ابن ياقوت ، ورجع إلى واسط وكتب إلى الراضي . وكان بعد القاهر كما نذكره ، وإلى وزيره أبي على بن مقلة بالطاعة والمقاطعة فيما بيده من البلاد بأعمال فارس على ألف ألف درهم ، فأجيب إلى ذلك وبعث إليه باللواء والخلع وعَظُم شأنه في فارس وبلغ مرداويج شأنه فخاف غائلته ، وكان أخوه وشمكير قد رجع إلى أصبهان بعد خلع القاهر وصرف محمد بن ياقوت عنها ، فسار إليها مرداويج للتدبير على عماد الدولة وبعث أخاه وشمكير على الريّ وأعمالها .

* (خلع القاهر وبيعة الراضى) *

ولما قتل القاهر مؤنساً وأصحابه أقام يتطلب الوزير أبا عليّ بن مقلة والحسن بن هرون وهما مستتران ، وكانا يراسلان قوّاد الساجيّة والحجريّة ويغريانهم بالقاهر ، فإنهم غرّوه

(١) قوله وعثر على صناديق ، ذكر صاحب الفرج بعد الشدة حكاية غريبة في ذلك ملخصها ان الجند ضايقوه بطلب المال فنام في دار الامارة مستلقياً على قفاه مفكراً ، فرأى حية دخلت في السقف ، فاستدعى بعض الخدم ليكشف الحقيقة فرأى تلك الصناديق . وعثر ايضا على مال كان وديعة وله حكاية ايضا في ذلك الكتاب اهـ. من خط الشيخ العطّار.

(٢) البريدي : ابن الاثير ج ٨ ص ٢٨٦ .

كما فعل بأصحابه قبلهم . وكان ابن مقلة يجتمع بالقوّاد ويراسلهم ويجيء إليهم متنكراً ويغريهم ، ووضعوا على سيما أنّ منجّماً أخبره أنه ينكب القاهر ويقتله ، ودسّوا إلى معبر كان عنده أموالاً على أن يحذّره من القاهر ، فنفر واستوحش ، وحفر القاهر مطامير في داره ، فقيل لسيما والقوّاد إنما صنعت لكم فازدادوا نفرة . وكان سيما رئيس الساجيّة فارتاب بالقاهر وجمع أصحابه وأعطاهم السلاح ، وبعث إلى الحجريّة فجمعهم عنده وتحالفوا على خلع القاهر ، وزحفوا إلى الدور وهجموا عليه فقام من النوم ووجد الأبواب مشحونة بالرجال فهرب إلى السطح ، ودلّهم عليه خادم فجاؤه واستدعوه للنزول فأبى فتهدّدوه بالرشق بالسهام فنزل وجاؤا به إلى محبس طريف السيكري فحبسوه مكانه وأطلقوه حتى سمل بعد ذلك ، وذلك لسنة ونصف من خلافته . وهرب الحصيبي وزيره وسلامة حاجبه . وقد قيل في خلعه غير هذا وهو أنّ القاهر لمّا تمكن من الخلافة اشتدّ على الساجيّة والحجريّة واستهان بهم ، فتشاكوا ثم خافه حاجبه سلامة لأنه كان يطالبه بالأموال ووزيره الخصيبي كذلك ، وحفر المطامير في داره فارتابوا به كما ذكرنا . وأسر جماعة من القرامطة فحبسهم بتلك المطامير وأراد أن يستظهر بهم على الحجريّة والساجيّة فتنكروا ذلك وقالوا فيه للوزير وللحاجب ، فأخرجهم من الدار وسلّمهم لمحمد بن ياقوت صاحب الشرطة وأوصاه إليهم فازداد الساجيّة والحجريّة ريبة . ثم تنكّر لهم القاهر وصار يعلن بذمّهم وكراهتهم فاجتمعوا لخلعه كما ذكرنا . ولما قبض القاهر بحثوا عن أبي العبّاس بن المقتدر وكان محبوساً مع أمّه ، فأخرجوه وبايعوه في جمادي سنة إثنتين وعشرين ، وبايعه القوّاد والناس ، وأحضر عليّ بن عيسى وأخاه عبد الرحمن وصدر عن رأيهما ، وأراد عليّ ابن عيسى على الوزارة فامتنع واعتذر بالنكير ، وأشار بابن مقلة فأمّنه واستوزره . وبعث القضاة إلى القاهر ليخلع نفسه فأبى فسَمِل وأمّن ابن مقلة الخصيبي وولاّه وولى الفضل بن جعفر بن الفرات نائباً عنه عن أعمال الموصل وقردى وباريدى وماردين وديار الجزيرة وديار بكر وطريق الفرات والثغور الجزرية والشاميَّة وأجناد الشام وديار مصر يعزل ويولي من يراه في الخراج والمعادن والنفقات والبريد وغير ذلك . وولّى الراضي على الشرطة بدراً الحمامي وأرسل إلى محمد بن رائق يستدعيه ، وكان قد استولى على الأهواز ودفع عنها ابن ياقوت من تلك الولاية إلى السوس وجندي سابور ، وقد ولّي على أصبهان وهو يروم المسير إليها . فلما ولي الراضي استدعاه

للحجابة فسار إلى واسط ، وطلب محمد بن ياقوت الحجابة فأجيب إليها فسار في أثر ابن رائق ، وبلغ ابن رائق الخبر فسار من واسط مسابقاً لابن ياقوت بالمدائن توقيع الراضي بالحرب ، والمعادن في واسط مضافاً إلى ما بيده من البصرة والمعادن ، فعاد منحدراً في دجلة ولقيه ابن ياقوت مصعداً ودخل بغداد وولّى الحجبة وصارت إليه رياسة الجيش ونظر في أمر الدواوين وأمرهم بحضور مجلسه ، وأن لا ينفذوا توقيعاً في ولاية أو عزل أو اطلاق إلاّ بخطّه ، وصار نظر الوزير في الحقيقة له وابن مقلة مكابر مجلسه مع جملتهم ومتميز عنهم في الإيثار والمجلس فقط .

* (مقتل هرون) *

كان هرون بن غريب الحال على ماه الكوفة والديّنور وما سبذان وسائر الأعمال التي ولاّها القاهر إيّاه ، فلمّا خُلِع القاهر واستُخْلف الراضي رأى هرون أنه أحق بالدولة من غيره لأنه ابن خال المقتدر ، فكاتب القوّاد ووعدهم وسار من الديّنور إلى خافقين وشكا ابن مقلة وابن ياقوت والحجريّة والساجيّة إلى الراضي فأذن لهم في منعه ، فراسلوه أوّلاً بالممانعة . والزيادة على ما في يده من الأعمال ، فلم يلتفت إليهم وشرع في الجباية فقويت شوكته ، فسار إليه محمد بن ياقوت في العساكر وهرب عنه بعض أصحابه إلى هرون ، وكتب إلى هرون يستميله فلم يجب ، وقال : لا بدّ من دخول بغداد . ثم تزاحفوا لستٍ بَقِيْنَ من جمادي الآخرة سنة إثنتين وعشرين ، فانهزم أوّلاً أصحاب ابن ياقوت ونهب سوادهم وسار محمد حتى قطع قنطرة تبريز ، وسار هرون منفرداً لاعتراضه ، فدخل في بعض المياه وسقط عن فرسه ، ولحقه غلام لمحمد بن ياقوت فقطع رأسه وانهزم أصحابه وقتل قوّاده وأسر بعضهم ورجع ابن ياقوت إلى بغداد ظافراً .

* (نكبة ابن ياقوت) *

قد ذكرنا أنه كان نظر في أمر الدواوين وصيّر ابن مقلة كالعاطل ، فسعى به عند القاضي وأوهمه خلافه حتى أجمع القبض عليه في جمادى سنة ثلاثة وعشرين ، فجلس الخليفة على عادته وحضر الوزير وسائر الناس على طبقاتهم يريد تقليد جماعة من القوّاد للأعمال . واستدعى ابن ياقوت للخدمة في الحجبة على عادته ، فبادر وعدل به إلى حجرة فحبس فيها وخمّار . وبعث الوزير ابن مقلة إلى دار محمد من

يحفظها من النهب وأطلق يده في أمور الدولة واستبد بها وكان ياقوت مقيماً بواسط ، فلما بلغه القبض على إبنه انحدر إلى فارس لمحاربة ابن بويه ، وكتب يستعطف الراضي ويسألِه إبقاء ابنه ليساعده على شأنه . ولم يزل محمد محبوساً إلى أن هلك سنة أربع عشرة في محبسه .

* (خبر البريدى) *

كان أبو عبدالله البريدي أيام ابن ياقوت ضامناً للأهواز ، فلما استولى عليها مرداويج وانهزم ابن ياقوت كما مرّ رجع البريدي إلى البصرة وصار يتصرّف في أسافل الأهواز مع كنانة ياقوت . ثم سار إلى ياقوت فأقام معه بواسط ، فلما قبض على ابن ياقوت وكتب ابن مقلة إليه وإلى ياقوت يعتذر عن قبض ابن ياقوت ويأمرهما بالمسير لفتح فارس ، فسار ياقوت على السوس والبريدي على طريق الماء حتى انتهيا إلى الأهواز . وكان إلى أخويه أبي الحسن وأبي يوسف ضمان السوس وجندي سابور ، وادعيا أن دخْل البلاد أخذه مرداويج . وبعث ابن مقلة ثانياً لتحقّق ذلك ، فوافاهم وكتب بصدقهم ، فاستولى ابن البريدي ما بين ذلك على أربعة آلاف ألف دينار ، ثم أشار أبو عبدالله عليّ بن ياقوت بالمسير لفتح فارس ، وأقام هو لجباية الأموال فحصل منها بغيته . وسار ياقوت فلقيه ابن بويه على أرّجان فهزمه وسار إلى عسكر مَكْرَم . واتّبعه إبن بويه إلى رَامَـهُرْمُز وأقام بها إلى أن اصطلحا .

* (مقتل ياقوت) *

قد تقدّم لنا انهزام ياقوت من فارس أمام عماد الدولة ابن بويه إلى عسكر مكرم واستيلاء ابن بويه على فارس . وكان أبو عبدالله البريدي بالأهواز ضامناً كما تقدّم . وكان مع ذلك كاتباً لياقوت ، وكان ياقوت يستنيم إليه ويثق به ، وكان مُـغَـفَّلاً ضعيف السياسة فخادعه أبو عبدالله البريدي وأشار عليه بالمقام بعسكر مكرم وأن يبعث إليه بعض جنده الواصلين من بغداد تخفيفاً للمؤنة وتحذيراً من شغبهم . وبعث إليه أخاه بذلك أبا يوسف ودفع له من مال الأهواز خمسين ألف دينار . ثم قطع عنه فضاق الحال عليه وعلى جنده ، وكان قد نزع إليه من أصحاب ابن بويه طاهر الجمل وكاتبه أبو جعفر الصهيري ، ثم انصرف عنه لضيق حاله إلى غربي تُسْتُر ليتغلّب على ماه البصرة ، فكبسه ابن بويه وغنم معسكره وأسر الصهيري فشفع فيه وزيره وأطلقه ،

فلحق بكرمان واتصل بعد ذلك بمعزّ الدولة ابن بويه واستكتبه . ولما انصرف طاهر عن ياقوت كتب إلى البريدي يشكو ضعفه واستطالة أصحابه ، فأشار عليه بإرسالهم إلى الأهواز متعرّفين لقومهم . فلما وصلوا إليه انتقى خيارهم وردّ الباقين ، وأحسن إلى من عنده وبعث ياقوت إليه في طلب المعزّ فلم يبعث إليه ، فجاءه بنفسه فتلقّاه وترجّل إليه وقبّل يده ، وأنزله بداره وقام في خدمته أحسن مقام ، ووضْعُ الجند على الباب يشغبون ويرومون قتله ، فأشار إليه بالنجاة ، فعاد إلى عسكر مكرم فكتب إليه يحذّره اتباعهم ، وأنّ عسكر مكرم على ثمانية فراسخ من الأهواز ، وأرى أن تتأخّر بتُسْتُر فتتحصّن بها . وكتب له على عامل تُسْتُر بخمسين ألف دينار ، وعذله خادمه مؤنس في شأن ابن البريدي وأراه خديعته وأشار عليه باللحاق ببغداد ، وأنّه شيخ الحجريّة ، وقد كاتبوك فسر إلى رياسة بغداد وإلاّ فتعاجل إلى البريدي وتخريجه عن الأهواز ، فصمّ عن نصيحته وأبى من قبول السعاية فيه ، وتسايل أصحابه إلى ابن البريدي حتى لم يبق معه إلاّ نحو الثمانمائة . وجاءه إبنه المظفّر ناجياً من حبس الراضي بعد أسبوع ، فأطلقه وبعثه إلى أبيه فأشار عليه بالمسير إلى بغداد ، فإن حصل على ما يريد وإلاّ فإلى الموصل وديار ربيعة ويتملكها ، فأبى عليه أبوه ففارقه إلى ابن البريدي فأكرمه ووكّل به . ثم حذر ابن البريدي غائلة ياقوت فبعث إليه بأن الخليفة أمره بإزعاجه[1] من البلاد اما إلى بغداد وإما إلى بلاد الجبل ليولّيه بعض أعمالها ، فكتب يستمهله فأبى من المهلة وبعث العساكر من الأهواز. وسار ياقوت إلى عسكر مكرم ليكبس ابن البريدي هنالك فصبح البلد ولم يجده ، وجاءت عساكر ابن البريدي مع قائد أبي جعفر الجمّال ، فقاتله من أمامه وأكمن آخرين من خلفه فانهزم وافترق أصحابه ، وحسا إلى حائط متنكراً فمرّ به قوم ابن البريدي فكشفوا وجهه وعرفوه فقتلوه وحملوا رأسه إلى العسكر ، فدفنه الجمّال وبعث البريدي إلى تستر فحمل ما كان لياقوت هنالك ، وقبض على إبنه المظفّر وبعثه إلى بغداد واستبدّ بتلك الأعمال وذلك سنة اربع وعشرين .

---

(١) هكذا بالاصل ولعلها بإخراجه .

* (مسير ابن مقلة الى الموصل واستقرارها لابن حمدان) *

كان ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان عاملاً على الموصل فجاء عمه أبو العلاء سعيد فضمن الموصل وديار ربيعة سرّاً وسار إليها فظهر أنه في طلب المال من ابن أخيه . وشعر ناصر الدولة بذلك فخرج لتلقّيه ، فخالفه إلى بيته فبعث من قبله واهتم الراضي بذلك وأمر الوزير أبا عليّ بن مقلة بالمسير إلى الموصل فسار في العساكر من شعبان سنة ثلاث وعشرين ، فرحل عنها ناصر الدولة ودخل الزوران واتبعه الوزير إلى حمل السنّ . ثم عاد عنها إلى الموصل وأقام في جبايتها وبعث ناصر الدولة إلى بغداد بعشرة آلاف دينار لابن الوزير ليستحث أباه في القدوم ، فكتب إليه بما أزعجه ، فسار من الموصل واستخلف عليها عليّ بن خلف بن طبّاب وما ترد الدُيلميّ[2] من الساجيّة . ودخل بغداد منتصف شوّال ، وجمع ناصر الدولة ولقي ما ترد الديلمي على نصيبين فهزمه إلى الرقّة وانحدر منها إلى بغداد ولحقه ابن طباب ،واستولى ناصر الدولة حمدان على الموصل وكتب في الرضا وضمان البلاد فأجيب وتعذرت عليه .

* (نكبة ابن مقلة وخبر الوزارة) *

كان الوزير بن مقلة قد بعث سنة ثلاث وعشرين إلى محمد بن رائق بواسط يطالبه بارتفاع أعمال واسط والبصرة ، وكان قد قطع الجبل . فلما جاءه كتاب ابن مقلة ، كتب إليه جوابه يغالطه وكتب الى الراضي بالسعي في الوزارة ، وأنّه يقوم بنفقات الدار وأرزاق الجند ، فجهّز الوزير إبنه سنة أربع وعشرين لقصده ووري بالأهواز ، وأنفذ رسوله إلى ابن رائق بهذه التورية يؤنسه بها ، وباكر القصر لانفاذ الرسول فقبض عليه المظفّر بن ياقوت والحجرية وكان المظفّر قد أطلق من محبسه وأعيد إلى الحجبة ، فاستحسن الراضي فعلهم ، واختفى أبو الحسين ابن الوزير وسائر أولاده وحرمه وأصحابه ، وأشار إلى الحجرية والساجيّة بوزارة عليّ بن عيسى فامتنع وسار بأخيه عبد الرحمن فاستوزره الراضي وصادر ابن مقلة . ثم عجز عن تمشية الأمور وضاقت عليه الجباية فاستعفى من الوزارة ، فقبض عليه الراضي وعلى أخيه على ثلاثة أشهر من وزارته ، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم الكَرْخِيّ فصادر عليّ بن عيسى على

---

(٢) ماكرد الديلميّ : ابن الاثير ج ٨ ص ٣١٠ .

مائة ألف دينار ، ثم عجز عن الوزارة وضاقت الأموال وانقطعت . وطمع أهل الأعمال فيما بأيديهم ، فقطع ابن رائق حِمْل واسط والبصرة وقطع ابن البريدي حمْل الأهواز وأعمالها ، وانقطع حِمْل فارس لغلب ابن بويه عليها ، ولم يبق غير هذه الأعمال ونطاق الدولة قد تضايق إلى الغاية ، وأهل الدولة مستبدّون على الخلافة والأحوال متلاشية ، فتحيّر أبو جعفر وكثرت عليه المطالبات وذهبت هيبته ، فاختفى لثلاثة أشهر ونصف من وزارته واستوزر الراضي مكانه أبا القاسم سليمان بن الحسن ، فكان حاله مثل حال من قبله في قلّة المال ووقوف الحال .

* (استيلاء ابن رائق على الخليفة) *

ولما رأى الراضي وقوف الحال من الوزراء استدعى أبا بكر محمد بن رائِق مَن واسِط وكاتبه بأنه قد أجابه إلى ما عرض من السعي في الوزارة على القيام بالنفقات وأرزاق الجند ، فسرّ ابن رائق بذلك وشرع يتجهّز للمسير . ثم أنفذ إليه الراضي الساجيّة وقلّده إمارة الجيش ، وجعله أمير الأمراء ، وفوّض إليه الخراج والدواوين والمعادن في جميع البلاد ، وأمر بالخطبة له على المنابر ، وانحدر إليه الدواوين والكتّاب والحجّاب . ولما جاءه الساجيّة قبض عليهم بواسِط في ذي الحجة من سنة أربع وعشرين ، ونهب رجالهم ودوابهم ومتاعهم ليوفّر أرزاقهم على الحجرية ، فاستوحشوا لذلك وخيّموا بدار الخلافة ، وأصعد ابن رائق إلى بغداد وفوّض الخليفة إليه أمرهم . وأمر الحجريّة بتقويض خيامهم والرجوع إلى منازلهم ، وأبطل الدواوين وصيّر النظر إليه ، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الامور . وبقي ابن رائق وكتّابه ينظرون في جميع الأمور فبطلت الدواوين وبيوت الأموال من يومئذ وصارت لأمير الأمراء ، والأموال تحمل إلى خزانته ، ويتصرّف فيها كما يريد ، ويطلب من الخليفة ما يريد . وتغلّب أصحاب الأطراف وزال عنهم الطاعة . ولم يبق للخليفة إلاّ بغداد وأعمالها وابن رائق مستبد عليه . وأمّا باقي الأعمال فكانت البصرة في يد ابن رائق ، وخوزستان والأهواز في يد ابن البريدى ، وفارس في يد عماد الدولة ابن بويه ، وكرمان في يد عليّ بن الياس ، والري وأصبهان والجبل في يد ركن الدولة ابن بويه ، ووشمكير أخو مرداويج ينازعه في هذه الأعمال ، والموصل وديار بكر ومُضَر وربيعة في يد حمدان ، ومِصْر والشام في يد ابن طَغج ، والمغرب وأفريقية في يد العبيديين ، والأندلس في يد

عبد الرحمن بن الناصر من وُلْد عبد الرحمن الداخل وما وراء النهر في يد بني سامان ، وطبرستان في يد الديلم ، والبحرين واليمامة في يد أبي الطاهر القُرْمُطِيّ ، ولم يبق لنا من الأخبار إلاّ ما يتعلق بالخلافة فقط في نطاقها المتضايق أخيراً ، وإن كانت مغلبة وهي أخبار ابن رائق والبريدي ، وأمّا غير ذلك من الأعمال التي اقتطعت كما ذكرناه ، فنذكر أخبارها منفردة ونسوق المستبدّين دولاً كما شرطناه أوّل الكتاب ثم كتب ابن رائق عن الراضي إلى أبي الفضل بن جعفر بن الفرات وكان على الخراج بمصر والشام ، وظنّ أنه بوزارته تكون له تلك الجباية ، فوصل إلى بغداد ووَلِيَ وزارة الراضي وابن رائق جميعاً .

* (وصول بجكم مع ابن رائق) *

كان بجكم هذا من جملة مرداويج قائد الدَيْـلَم ببلاد الجبل ، وكان قبله في جملة ما كان بن كالي ومن مواليه ، وهبه له وزيره أبو عليّ الفارض ، ثم فارق ما كان مع من فارقه إلى مرداويج . وكان مرداويج قد ملك الريّ وأصبهان والأهواز ، وضخم ملكه وصنع كراسيّ من ذهب وفضةٍ للجلوس عليها هو وقوّاده ، ووضع على رأسه تاجاً تظنّه تاج كسرى . وأمر أن يُـخَاطَب بشاهنشاه واعتزم على قصد العراق والاستيلاء عليه ، وتجديد قصور كسرى بالمدائن . وكان في خدمته جماعة من الترك ومنهم بجكم . فأساء ملكهم وعسكرهم فقتلوه سنة ثلاث وعشرين بظاهر أصبهان كما نذكره في أخبارهم . واجتمع الدَيْـلَم والجبل بعده على أخيه وشمكير بن وزيار وهو والد قابوس ، ولما قتل مرداويج افترق الأتراك فرقتين ففرقة سارت إلى عماد الدولة بن بُـوَيْـه بفارس ، والأخرى وهي الأكثر سارت نحو الجبل عند بجكم ، فجبوا خراج الديّنور وغيرها . ثم ساروا إلى النَـهْـرَوَان وكاتبوا الراضي في المسير إليه ، فأذن لهم وارتاب الحجريّـة بهم ، فأمرهم الوزير بالرجوع إلى بلد الجبل فغضبوا واستدعاهم ابن رائق صاحب واسِط والبصرة فمضوا إليه وقدم عليهم بجكم وكان الأتراك والدَيْـلَم من أصحاب مرداويج فجاءته جماعة منهم فأحسن إليهم وإلى بجكم وسمّاه الرائقي نسبة إليه وأذن له أن يكتبه في مخاطباته .

* (مسير الراضي وابن رائق لحرب ابن البريدى) *

ثم اعتزم ابن رائق سنة خمس وعشرين على الراضي في المسير إلى واسِط لطلب ابن البريديّ في المال ليكون أقرب لمناجزته ، فانحدر في شهر محرّم وارتاب الحجريّة بفعله مع الساجيّة ، فتخلفوا ثم تبعوه فاعترضهم وأسقط أكثرهم من الديوان ، فاضطربوا وثاروا فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم جماعة ولجأ فلّهم إلى بغداد ، فأوقع بهم لؤلؤ صاحب الشرطة ونهبت دورهم وقطعت أرزاقهم وقُبِضَت أملاكهم ، وقتل ابن رائق من كان في حبسه من الساجيّة ، وسار هو والراضي نحو الأهواز لإجلاء ابن البريديّ منها . وقدّم إليه في طلب الاستقامة وتوعّده فجدّد ضمان الأهواز بألف دينار في كل شهر ، ويحمل في كل يوم قسطه[1] . وأجابه إلى تسليم الجيش لمن يسير إلى قتال ابن بُوَيْه لنفرتهم عن بغدادّ . وعرض ذلك على الراضي ، فأشار الحسين بن عليّ القونجي وزير إبن رائق بأن لا تقبل لأنه خِدَاع ومكر وأشار أبو بكر بن مقاتل بإجابته ، وعقد الضمان على ابن البريدي ، وعاد ابن رائق والراضي إلى بغداد فدخلاها أوّل صفر ، ولم يفِ ابن البريدي بحمل المال ، وأنفذ ابن رائِق جعفر بن ورقاء ليسير بالجيش إلى فارس ، ودسّ إليهم ابن البريدي أن يطلبوا منه المال ليتجهّزوا به ، فاعتذر فشتموه وتهدّدوه بالقتل . وأتى ابن البريدي فأشار عليه بالنجاء . ثم سعى ابن مقاتل لابن البريدي في وزارة ابن رائق عوضاً عن الحسين القونجي[2] وبذل عنه ثلاثين ألف دينار ، فاعتذر له بسوابق القونجي عنده وسعيه له ، وكان مريضاً فقال له ابن مقاتل : إنه هالك ! فقال ابن رائق : قد أعلمني الطبيب أنه ناقه ، فقال : الطبيب يراجيك فيه لقربه منك ، ولكن سل إبن أخيه عليّ بن حمدان . وكان القونجي قد استناب ابن أخيه في مرضه ، فأشار عليه ابن مقاتل أن يعرف الأمير إذا سأله بمهلكه ، وأشار عليه أن يستوزره . فلما سأله ابن رائق أيأسه منه فقال ابن رائق : عند ذلك لابن مقاتل : أكتب لابن البريدي يرسل من ينوب عنه في الوزارة ، فبعث أحمد بن الكوفي واستولى مع ابن مقاتل على ابن رائق ، وسعوا لإبن البريدي أبي يوسف في ضمان البصرة . وكان عامل البصرة من قِبَل ابن رائق محمد بن

(١) وفي الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٣٣٠ : « ... جدّد ضمان الأَهْوَاز كل سنة بثلاثمائة وستين ألف دينار يحمل كلّ شهر بقسطه .

(٢) الحسين بن علي النوبختي : المرجع السابق ص ٣٣١ .

يزداد وكان شديد الظلم والعسف بهم ، فخادعه ابن البريدي وأنفذ أبو عبدالله مولاه إقبالاً في ألفي رجل ، وأقاموا في حصن مهدي قريباً . فعلم ابن يزداد أنه يروم التغلّب على البصرة ، وأقاما على ذلك وأقام ابن رائق شأن هذا العسكر في حصن مهدي . وبلغه أيضاً أنه استخدم الحجرّيين الذين أذن لهم في الانسياح في الأرض ، وأنهم اتفقوا مع عسكره على قطع الحمل ، وكاتبه يطردهم عنه فلم يفعل . فأمر ابن الكوفي أن يكتب إلى ابن البريدي بالكتاب على ذلك . ويأمر بإعادة العسكر من حصن مهدي ، فأجاب باعدادهم للقرامطة وابن يزداد عاجز عن الحماية . وكان القرامطة قد وصلوا إلى الكوفة في ربيع الآخرْ وخرج ابن رائق في العساكر إلى حصن ابن هُبَيْرَة ولم يستقرّ بينهم أمر . وعاد القرمطي إلى بلده وسار ابن رائق إلى واسط . فكتب ابن البريدي إلى عسكره بحصن مهدي أن يدخلوا البصرة ويملكوها من يد ابن يزداد ، وأمدّهم جماعة من الحجريّة فقصدوا البصرة وقاتلوا ابن يزداد فهزموه ، ولحق بالكوفة ، وملك إقبال مولى ابن البريدي وأصحابه البصرة ، وكتب ابن رائق إلى البريدي يتهدّده ويأمره بإخراج أصحابه من البصرة فلم يفعل .

* (استيلاء بجكم[1] على الاهواز) *

ولما امتنع ابن البريدي من الإفراج عن البصرة بعث ابن رائق العساكر مع بدر الحريشي[2] وبجكم مولاه ، وأمرهم بالمقام بالجامدة فتقدّم بجكم عن بدر وسار إلى السوس ، وجاءته عساكر البريدي مع غلامه محمد الجمّال[3] في ثلاثة آلاف ومع بجكم مائتان وسبعون من الترك ، فهزمهم بجكم ورجع محمد بن الجمال إلى ابن البريدي فعاقبه على انهزامه ، وحشد له العسكر فسار في ستة آلاف ولقيهم بجكم عند نهر تستر فانهزموا من غير قتال ، وركب ابن البريدي السفن ومعه ثلثمائة ألف دينار ففرّق أصحابه وماله ونجا إلى البصرة ، وأقام بالأُبُـلَّـة وبعث غلامه إقبالاً فلقي جماعة من أصحاب ابن رائق فهزمهم ، وبعث ابن رائق مع جماعة من أهل البصرة يستعطفه فأبى ، فطلبوا البصرة فحلف لَيَحْرِقَـنَّها ويقتل كل من فيها ، فرجعوا مستبصرين في قتاله . وأقام ابن البريدي بالبصرة ، واستولى بجكم على الأهواز ثم

(١) بجكم : ابن الاثير ج ٨ ص ٣٣٤ .
(٢) بدر الخرشنيّ : المرجع السابق .
(٣) الحمّال بدل الجمّال : المرجع السابق .

بعث ابن رائق جيشه في البحر والبر فانهزم عسكر البر واستولى عسكر الماء على الكلا ، فهرب ابن البريدي في السفن إلى جزيرة أوال ، وترك أخاه أبا الحسين في عسكر بالبصرة فدفع عسكر ابن رائق عن الكلا فسار ابن رائق من واسِط ، واستولى بجكم على الأهواز ، وقاتلوا البصرة فامتنعت عليهم ، وسار أبو عبدالله بن البريدي من أوال إلى عماد الدولة بن بُوَيْه بفارس ، فاطعمه في العراق وبعث معه أخاه معزّ الدولة إلى الأهواز فسير إليها ابن رائق مولاه بجكم على أن يكون له الحرب والخراج ، وأقام ابن البريدي على البصرة وزحفت إليه عساكرهم فأعجلوه عن تقويض خيامه فأحرقها وسار إلى الأهواز مجرداً ، وسبقته عساكره إلى واسط وأقام عند بجكم أياماً وأشير عليه بحبسه فلم يفعل ورجع ابن رائق إلى واسِط .

* (استيلاء معز الدولة على الاهواز) *

لما سار ابو عبدالله بن البريدي من جزيرة أوال إلى عماد الدولة ابن بويه بفارس مستجيراً به من ابن رائق وبجكم ومستنجداً عليهم ، طمع عماد الدولة في الإستيلاء على العراق . فسيّر معه أخاه معز الدولة أحمد بن بويه في العسكر ، ورهن ابن البريدي عنده ولديه أبا الحسين محمداً وأبا جعفر الفيّاض . وسار بجكم للقائهم فلقيهم بأرجان فانهزم أمامهم وعاد إلى الأهواز ، وخلّف جيشاً بعسكر مكرم . فقاتلهم معزّ الدولة ثلاثة عشر يوماً ثم انفضوا ولحقوا بتستر ، وملك معزّ الدولة عسكر مكرم وذلك سنة ست وعشرين وسار بجكم من الأهواز إلى تستر ، وبلغ الخبر إلى ابن رائق بواسِط ، فسار إلى بغداد وجاء بجكم من تستر إلى واسِط . ولما استولى معزّ الدولة وابن البريدي على عسكر مكرم ، ولقيهم أهل الأهواز وساروا معهم إليها فأقاموا شهراً . ثم طلب معزّ الدولة من ابن البريديّ عسكره الذي بالبصرة ليسير بهم إلى أخيه ركن الدولة بأصبهان لحرب وشمكير ، فأحضر منهم أربعة آلاف . ثم طلب من عسكره الذين بحصن مهدي ليسير بهم في الماء إلى واسِط فارتاب ابن البريدي وهرب إلى البصرة . وبعث إلى عسكرها الذين ساروا إلى أصبهان وكانوا متوقفين بالسوس . فرجعوا إليه ، ثم كتب إلى معز الدولة أن يفرج له عن الأهواز ليتمكن من الجباية والوفاء بها لأخيه عماد الدولة ، وكان قد ضمن له الأهواز والبصرة بثمانية عشر ألف ألف درهم ، فرحل معز الدولة إلى عسكر مكرم وأنفذ ابن البريدي عامله إلى

الأهواز . ثم بعث إلى معزّ الدولة بأن يتأخر إلى السوس فأبى ، وعلم بحكم بحالهم فبعث جيشاً استولوا على السوس وجندي سابور ، وبقيت الأهواز بيد ابن البريدي ومعزّ الدولة بعسكر مكرم ، وقد ضاقت أحوال جنده . ثم بعث إليه أخوه عماد الدولة بالمدد فسار إلى الأهواز وملكها . ورجع ابن البريدي إلى البصرة ويحكم في ذلك مقيم بواسط ، وقد صرف همه إلى الإستيلاء على رتبة ابن رائق ببغداد . وقد أنفذ له ابن رائق عليّ بن خلف بن طبّاب ليسيروا إلى الأهواز ويخرجوا ابن بويه . ويكون بحكم على الحرب وابن خلف على الخراج ، فلم يلتفت بحكم لذلك واستوزر عليّ بن خلف ويحكم في أحوال واسِط . ولما رأى أبو الفتح الوزير ببغداد إدبار الأحوال أطمع ابن رائق في مِصْر والشام ، وقال : أنا أجبيهما لك ، وعقد بينه وبين ابن طَغْج صهراً . وسار أبو الفتح إلى الشام في ربيع الآخر وشعر ابن رائق بمحاولة بحكم عليه ، فبعث إلى ابن البريدي بالإتّفاق على بحكم على أن يضمن ابن البريدي واسِط بستمائة ألف ، فنهض بحكم إلى ابن البريدي قبل ابن رائق وسار إلى البصرة ، فبعث إليه ابن البريدي أبا جعفر الجمال في عشرة آلاف فهزمهم بحكم وارتاع ابن البريدي لذلك ، ولم يكن قصد بحكم إلا الإلفة فقط ، والتضرّع لابن رائق ، فبعث إليه بالمسالمة وأن يقلّده واسِط إذا تم أمره ، فاتفقا على ذلك وصرف نظره إلى أمر بغداد .

* (وزارة ابن مقلة ونكبته) *

ولما انصرف أبو الفتح بن الفرات إلى الشام استوزر الراضي أبا عليّ بن مقلة على سنن من قبله والأمر لابن رائق ، وابن مقلة كالعارية . وكتب له في أمواله وأملاكه فلم يردّها . فشرع في التدبير عليه ، فكتب إلى ابن رائق بواسِط ووشمكير بالريّ يطمع كلاًّ منهما في مكانه ، وكتب الراضي يشير بالقبض على ابن رائق وأصحابه ، واستدعى بحكم لمكانه وأنه يستخرج منهم ثلاثة آلاف ألف دينار ، فأطعمه الراضي على كره . فكتب هو إلى بحكم يستحثّه وطلب من الراضي أن ينتقل إلى دار الخلافة حتى يتم الأمر فأذن له وحضر متنكراً آخر ليلة من رمضان سنة ست وعشرين ، فأمر الراضي باعتقاله وأطلع ابن رائق من الغد على كتبه فشكر ذلك له ابن رائق ، وأمر بابن مقلة في منتصف شوال فقطع ثم عولج ، وبرىء وعاد إلى السعي في الوزارة والتظلّم من ابن رائق والدعاء عليه ، فأمر بقطع لسانه وحبسه إلى أن مات .

* (استيلاء بحكم على بغداد) *

لم يزل بحكم يظهر التبعية لابن رائق ويكتب على أعلامه وتراسه بحكم الرائقيّ إلى أن وصلته كتب ابن مقلة بأنّ الراضي قلّده إمرة الأمراء ، فطمع وكاشف ابن رائق ومحانسبه إليه من أعلامه وسلاحه . وسار من واسِط إلى بغداد في ذي القعدة سنة ست وعشرين . وكتب إليه الراضي بالرجوع فأبى ، ووصل إلى نهر دبالي وأصاب ابن رائق في غربيه فانهزموا وعبروا النهر سبحاً . وسار ابن رائق إلى عَكْبَرَا ، ودخل بحكم بغداد منتصف ذي القعدة ولقي الراضي من الغد ، وولّاه أمير الأمراء ، وكتب عن الراضي إلى القوّاد الذين مع ابن رائق بالرجوع عنه فرجعوا ، وعاد ابن رائق إلى بغداد فاختفى بها لسنة وأحد عشر شهراً من إمارته ، ونزل بحكم بدار مؤنس واستقر ببغداد متحكماً في الدولة مستبدًّا على الخليفة .

* (دخول اذربيجان في طاعة وشمكير) *

كان من عمّال وشمكير على أعمال الجبل السيكري[1] بن مردى ، وكان مجاوراً لأعمال أذربيجان وعليها يومئذ ديسم بن ابراهيم الكردي من أصحاب ابن أبي الساج ، فحدّثت السيكري نفسه بالتغلّب عليها ، فجمع وسار إليها . وخرج إليه ديسم فانهزم فاستولى على سائر بلاده إلاّ أردبيل وهي كرسي أذربيجان ، فحاصرها السيكري وضيّق حصارها ، فراسلوا ديسم بالمثلى لقتال السيكري من ورائه ففعل ، وجاءه يوم قتالهم من خلف ، فانهزم السيكري إلى موقان فأعانه أصْبَهْبَذها ابن دوالة وسار معه نحو ديسم ، فانهزم ديسم وقصد وشمكير بالريّ واستمدّه على أن يدخل في طاعته ويضمن له مالاً في كل سنة . فأجابه وبعث معه العسكر وبعث أصحاب السيكري إلى وشمكير بأنهم على الطاعة ، وشعر بذلك السيكري فسار في خاصته إلى أرمينية واكتسح في نواحيها . ثم سار إلى الزوزان من بلاد الأرمن ، فاعترضوه وقتلوه ومن معه ، ورجع فلّهم وقد ولّوا عليهم سان بن السيكري ، وقصدوا بلد طرم الأرمني ليثأروا منهم بأصحابهم ، فقاتلهم طرم وأثخن فيهم ، وساروا إلى ناصر الدولة بن حمدان وانحدر بعضهم إلى بغداد ، وكان على المعادن بأذربيجان

(١) السُّبكري وقد مرّ ذكره من قبل .

الحسين بن سعيد بن حمدان من قبل ابن عمّه ناصر الدولة ، فلما جاء إلى الموصل أصحاب السيكري مع ابنه بعثهم ابن عمّه بأذربيجان لقتال ديسم ، فلم تكن له به طاقة ورجع إلى الموصل واستولى ديسم على أذربيجان في طاعة وشمكير .

* (ظهور ابن رائق ومسيره الى الشام) *

وفي سنة سبع وعشرين وثلثمائة سار يحكم إلى الموصل وديار ربيعة بسبب أنّ ناصر الدولة بن حمدان أخّر المال الذي عليه من ضمان البلاد ، فأقام الراضي بتكريت وسار يحكم ، ولقيه ناصر الدولة على ستة فراسخ من الموصل ، فانهزم واتّبعه يحكم إلى نصيبين ثم الى آمد ، وكتب إلى الراضي بالفتح . فسار من تكريت في الماء إلى الموصل ، وفارقه جماعة من القَرَامِطَة كانوا في عسكره ، وكان ابن رائق يكاتبهم من مكان إكتفائه ، فلما وصلوا بغداد خرج ابن رائق إليهم واستولى ، وطار الخبر إلى الراضي فأصعد من الماء وسار إلى الموصل ، وكتب إلى يحكم بذلك . فرجع عن نصيبين بعد أن استولى عليها ، وشرع أهل العسكر يتسلّلون إلى بغداد فأهمّ ذلك يحكم . ثم جاءت رسالة ابن حمدان في الصلح وتعجيل خمسمائة ألف درهم ، فأجابوه وقرّره ورجعوا إلى بغداد ، ولقيهم أبو جعفر محمد بن يحيي بن شيرازاد رسولاً عن ابن رائق في الصلح على أن يقلّده الراضي طريق الفرات وديار مُضَر حرّان والرها وما جاورها جندي قِنَّسْرِين والعواصِم . فأجابه الراضي وقلّده وسار إلى ولايته في ربيع الآخِر . وكان يحكم قد استناب بعض قوّاد الأتراك على الأنبار وإسمه بالبان ، وطلب تقليد طريق الفرات فقلّد وسار إلى الرحبة . ثم انتقض وعاد لابن رائق وعصى على يحكم ، فسار إليه غازياً بالرحبة على حين غفلة لخمسة أيام من مسيره ، فظفر به وأدخله بغداد على جمل وحبسه وكان آخر العهد به .

* (وزارة ابن البريدي) *

قد تقدّم لنا مسير الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات إلى الشام ، ولمّا سار استناب بالحضرة عبدالله بن عليّ البصريّ ، وكان يحكم قد قبض على وزيره خلف ابن طبّاب ، واستوزر أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرازاد ، فسعى في وزارة ابن البريدي ليحكم حتى تمّ ذلك . ثم ضمن ابن البريدي أعمال واسِط بستمائة ألف دينار كل سنة . ثم جاء الخبر بموت ابي الفتح بن الفرات بالرَمْلَة ، فسعى أبو جعفر

ابن شيرزاد في وزارة أبي عبدالله للخليفة ، فعقد له الراضي بذلك واستخلف بالحضرة عبدالله بن عليّ البصري كما كان مع أبي الفتح .

* (مسير ركن الدولة الى واسط ورجوعه عنها) *

لما استقرّ ابن البريدي بواسط بعث جيشاً إلى السوس وبها أبو جعفر الظهيري وزير معزّ الدولة أحمد بن بويه ومعزّ الدولة بالأهواز . فتحصّن أبو جعفر بقلعة السوس ، وعاث الجيش في نواحيها وكتب معزّ الدولة إلى أخيه ركن الدولة وهو على أصْطَخْر قد جاء من أصبهان لمّا غلبه وشمكير عليها . فلمّا جاء كتاب أخيه معز الدولة سار محمد إلى السوس وقد رجع عنه جيش ابن البريدي . ثم سار إلى واسِط يحاول ملكها فنزل في جانبها الشرقي ، وابن البريدي في الجانب الغربي ، واضطرب عسكر ابن بويه واستأمن جماعة منهم إلى ابن البريدي . ثم سار الراضي وبحكم من بغداد إلى واسط للإمداد ، فرجع ركن الدولة إلى الأهواز ثم إلى رَامَهُرْمُز . وبلغه أن وشمكير قد أنفذ عسكره مدداً لِمَا كان بن كالي وأنّ أصبهان خالية ، فسار إليها من رَامَهُرْمُز وأخرج من بقي منها من أصحاب وشمكير وملكها فاستقرّ بها .

* (مسير بحكم الى بلد الجبل وعوده الى واسط واستيلاؤه عليها) *

كان بحكم قد أرسل ابن البريدي وصاهره واتفقا على أن يسير بحكم إلى بلاد الجبل لفتحها من يد وشمكير ، وأبو عبدالله بن البريدي إلى الأهواز لأخذها من يد معزّ الدولة ابن بويه ، فسار بحكم إلى حُلوان وبعث إليه ابن البريدي بخمسمائة رجل مدداً . وبعث بحكم بعض أصحابه إلى ابن البريدي يستحثّه إلى السوس والأهواز ، فأقام يماطله ويدافعه ويبيّن له أنّه يريد مخالفة بحكم إلى بغداد . فكتب إليه بذلك فرجع عن قصده إلى بغداد ، وعزل ابن البريدي من الوزارة ، وولّى مكانه أبا القاسم بن سليمان بن الحسين بن مخلّد ، وقبض على ابن شِيْرَزَاد الذي كان ساعياً له ، وتجهّز إلى واسِط وانحدر في الماء آخر ذي الحجّة سنة ثمان وعشرين . وبعث عسكراً في البرّ ، وبلغ الخبر ابن البريدي فسار عن واسِط إلى البصرة واستولى عليها بحكم وملكها .

* (استيلاء ابن رائق على الشام) *

قد تقدّم لنا مسير ابن رائق إلى ديار مضر وثغور قِنَّسْرِين والعواصِم فلما استقرّ بها حدّثته نفسه بملك الشام فسار إلى حمص فملكها ثم سار إلى دمشق وبها بدر بن عبد الله الأخشيدي ويلقّب بُدَيْر ، فملكها من يده . ثم سار إلى الرَمْلَة ومنها إلى عريش مِصْر يريد مُلْك الديار المصرية ، ولقيه الأخشيد محمد بن طُغْج وانهزم أوّلاً وملك أصحاب ابن رائق خيامه . ثم خرج كمين الأخشيد فانهزم ابن رائق إلى دمشق وبعث الأخشيد في أثره أخاه أبا نصر بن طُغْج ، وسار إليهم ابن رائق من دمشق فهزمهم وقتل أبو نصر ، فكفّنه ابن رائق وحمله مع إبنه مزاحم إلى أخيه الأخشيد بمِصْر. وكتب يعزّيه ويعتذر فأكرم الأخشيد مزاحماً ، واصطلح مع أبيه على أن تكون مصر للأخشيد من حدّ الرَمْلَة وما وراءها من الشام لابن رائق ويعطى الأخشيد عن الرَمْلَة في كل سنة مائة وأربعين ألف دينار .

* (الصوائف ايام الراضي) *

وفي سنة إثنتين وعشرين سار الدُمُسْتُق إلى سُمَيْسَاط في خمسين ألفاً من الروم ، ونآزل مَلَطية وحاصرها مدة طويلة حتى فتحها بالأمان ، وبعثهم إلى مأمنهم مع بطريق من بطارقته . وتنصّر الكثير منهم محبّة في أهليهم وأموالهم . ثم افتتحوا سُمَيْسَاط وخرّبوا أعمالها وأفحشوا في أسطوله في البحر . ففتحوا بلد جَنَوَة ومَرّوا بِسَرْدَانية فأوقعوا بأهلها ، ثم مروا بقرقيسيا من ساحل الشام فأحرقوا مراكبها ، وعادوا سالمين . وفي سنة ست وعشرين كان الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة على يد ابن ورقاء الشيباني البريدي في ستة آلاف وثلثمائة أسير .

* (الولايات أيام الراضي والقاهر قبله) *

قد تقدّم لنا أنه لم يبقَ من الأعمال في تصريف الخلافة لهذا العهد إلا أعمال الأهواز والبصرة وواسِط والجزيرة ، وذكرنا استيلاء بني بويه على فارس وأصبهان ، ووشمكير على بلاد الجبل ، وابن البريدي على البصرة ، وابن رائق على واسِط ، وأن عماد الدولة بن بويه على فارس ، وركن الدولة أخوه يتنازع مع وشمكير على أصبهان

وهمذان وقمّ وقاشان والكُـرْج والريّ وقزوين . واستولى معزّ الدولة أخوهما على الأهواز وعلى كَـرْمَان واستولى ابن البريدي على واسِط وسار ابن رائق إلى الشام فاستولى عليها . وفي سنة ثلاث وعشرين قلّد الراضي إبنيه أبا جعفر وأبا الفضل ناحية المشرق والمغرب . وفي سنة إحدى وعشرين ورد الخبر بوفاة تكين الخاصكي بمِصْـرَ وكان أميراً عليها ، وولّى القاهر مكانه إبنه محمداً وثار به الجند ، فظفر بهم . وفيها وقعت الفتنة بين بني ثعلب وبني أسد ومعهم طيء ، وركب ناصر الدولة الحسن بن عبدالله ابن حمدان ومعه أبو الأعز بن سعيد بن حمدان ليصلح بينهم ، فوقعت ملاحاة قتل فيها أبو الأعز على يد رجل من ثعلب ، فحمل عليهم ناصر الدولة واستباحهم إلى الحُـدَيْـثَـة . فلقيهم يانس غلام مؤنس والياً على الموصل ، فانضم إليه بنو ثعلب وبنو أسد وعادوا إلى ديار ربيعة . وفي سنة أربع وعشرين قلّد الراضي محمد بن طُغْج أعمال مِصْر مضافاً إلى ما بيده من الشام وعزل عنها أحمد بن كيغلغ .

* (وفاة الراضي وبيعة المتقي) *

وفي سنة تسع وعشرين وثلثمائة توفي الراضي أبو العبّاس أحمد بن المقتدر في ربيع الأوّل منها لسبع سنين غير شهر من خلافته . ولما مات أحضر بحكم ندماءه وجلساءه لينتفع بما عندهم من الحكمة فلم يفهم عنهم لعجمته . وكان آخر خليفة خطب على المنبر وان خطب غيره فنادر . وآخر خليفة جالس السَّمر وواصل الندماء . ودولته آخر دول الخلفاء في ترتيب النفقات والجوائز والجرايات والمطابخ والخدم والحجّاب ، وكان بحكم يوم وفاته غائباً بواسِط حين ملكها من يد ابن البريدي ، فانتظر في الأمور وصول مراسمه ، فورد كتابه مع كتابه أبي عبدالله الكوفيّ يأمر فيه باجتماع الوزراء وأصحاب الدواوين والقضاة والعلويّين والعبّاسيين ووجوه البلد عند الوزير أبي القاسم سليمان بن الحسن ، ويشاورهم الكوفيّ فيمن ينصّب للخلافة ممن يرتضي مذهبه وطريقه ، فاجتمعوا وذكروا إبراهيم بن المقتدر ، واتّفقوا عليه وأحضروه من الغد وبايعوا له آخر ربيع الأوّل من سنة تسع وعشرين . وعرضت عليه الألقاب فاختار المتقي لله وأقرّ سليمان على وزارته كما كان ، والتدبير كله للكوفيّ كاتب بحكم ، وولّى سلامة الطولوني على الحجبة .

* (مقتل بحكم) *

كان أبو عبدالله البريدي بعد هربه إلى البصرة من واسِط أنفذ جيشاً إلى المدار ، فبعث إلى لقائهم جيشاً من واسِط عليهم توزون انتخب له الكرة ، فظفر بجيش ابن البريدي ولقي بحكم خبره في الطريق فسرّ بذلك ، وذهب يتصيّد فبلغ نهر جور ، وعثر في طريقه ببعض الأكراد فَشَرِهَ[1] لغزوهم ، وقصدهم في خفّ من أصحابه وهربوا بين يديه وهو يرشقهم بسهامه ، وجاءه غلام منهم من خلفه فطعنه فقتله . واختلف عسكره فمضى الدَيْـلَم فكانوا ألفاً وخمسمائة إلى ابن البريدي ، وقد كان عزم على الهرب من البصرة ، فبعث لقدومهم وضاعف أرزاقهم وأدرّها عليهم ،وذهب الأتراك إلى واسط وأطلقوا بكتيك[2] من حبسه وولّوه عليهم ، فسار بهم إلى بغداد في خدمة المتقي وحصر ما كان في دار بحكم من الأموال والدواوين فكانت ألف ألف ومائة ألف دينار ومدّة إمارته سنتان وثمانية أشهر .

* (امارة البريدي ببغداد وعوده إلى واسط) *

لما قتل بحكم قدّم الدَيْـلَم عليهم بكشوار بن ملك بن مسافر[3] ومسافر هو ابن سلا وصاحب الطرم الذي ملك ولده بعده أذربيجان ، وقاتلهم الأتراك فقتلوه ، فقدّم الدَيْـلَم عليهم مكانه كورتين منهم . وقدّم الأتراك عليهم بكتيك مولى بحكم ، وانحدر الدَيْـلَم إلى أبي عبدالله بن البريدي فقوي بهم ، وأصعدوا إلى واسِط . وأرسل المتّقي إليهم مائة وخمسين ألف دينار على أن يرجعوا عنها . ثم قسّم في الأتراك في أجناد بغداد أربعمائة ألف دينار من مال بحكم . وقدّم عليهم سلامة الطولوني وبرز بهم المتّقي إلى نهر ديالي[4] آخر شعبان سنة ست وعشرين . وسار ابن البريدي من واسِط فأشفق أتراك بحكم ، ولحق بعضهم بابن البريدي ، وسار آخرون إلى الموصل منهم توزون وجَحْجَح . واختفى سلامة الطولوني .وأبو عبدالله الكوفيّ ، ودخل أبو عبدالله البريدي بغداد أوّل رمضان ونزل بالشفيعي ولقيه الوزير أبو الحسين بن ميمون

---

(١) الاصح : شرهت نفسه لغزوهم .
(٢) تكينك : ابن الاثير ج ٨ ص ٣٧١ .
(٣) بلسواز بن مالك بن مسافر المرجع السابق ص ٣٧٢ وفي تجارب الأمم بلسوار .
(٤) نهر ديالي : ابن الاثير ج ٨ ص ٣٧٣ .

والكتّاب والقضاة وأعيان الناس ، وبعث إليه المتّقي بالتهنئة والطعام ، وكان يُـخاطَب بالوزير . ثم قبض على الوزير أبي الحسين لشهرين من وزارته وحبسه بالبصرة وطلب من المتّقي خمسمائة ألف دينار للجند ، وهدّده بما وقع للمعتزّ والمستعين والمهتدي ، فبعث بها إليه ولم يلقه مدّة مقامه ببغداد . ولمّا وصله المال من المتّقي شغب الجند عليه في طلبه وجاء الدَيْـلَم إلى دارٍ لأخيه ابي الجسين ، ثم انضم إليهم الترك ، وقصدوا دار أبي عبدالله ، فقطع الجسر ووثب العامّة على أصحابه ، وهرب هو وأخوه وإبنه أبو القاسم وأصحابهم ، وانحدروا إلى واسِط وذلك سلخ رمضان لأربعة وعشرين يوماً من قدومه .

* (امارة كورتكين الديلمي) *

ولما هرب ابن البريدي استولى كورتكين على الأمور ببغداد ودخل إلى المتْقي ، فقلّده إمارة الأمراء ، وأحضر عليّ بن عيسى وأخاه عبد الرحمن فدبّر الأمور ولم يُسَمِّهما بوزارة واستوزر أبا إسحق محمد بن أحمد الإسكافي القراريطي ، وولّى على الحَـجَـبَـة بدراً الجواشيني . ثم قبض كورتكين على بكتيك مقدّم الأتراك خامس شوّال ، وغرّقه واقتتل الأتراك والدَيْـلَم وقتل بينهما خلق ، وانفرد كورتكين بالأمر وقبض على الوزير أبي إسحق القراريطي لشهرٍ ونصف من وزارته ، وولّى مكانه أبا جعفر محمد بن القاسم الكَرْخِيّ .

* (عود ابن رائق الى بغداد) *

قد تقدّم لنا أن جماعة من أتراك يحكم لما انفضوا عن المتّقي ساروا إلى الموصل . ثم ساروا منها إلى ابن رائق بالشام ، وكان من قوّادهم توزون وجحجح وكورتكين وصيقوان[1] فأطمعوه في بغداد . ثم جاءته كتب المتّقي يستدعيه ، فسار آخر رمضان واستخلف بالشام أبا الحسن أحمد بن عليّ بن مقاتل وتنحىّ ناصر الدولة بن حمدان على طريقه . ثم حمل إليه مائة ألف دينار وصالحه ، وبلغ الخبر إلى أبي عبدالله بن البريدي ، فبعث إخوته إلى واسِط وأخرج الدَيْـلَم عنها وخطبوا له بها . وخرج

(١) هناك بعض الاختلاف والتحريف في الاسماء وفي الكامل ج ٨ ص ٣٧٥ : « توزون وخجخج ونوشتكين وصيغون » .

كورتكين عن بغداد إلى عُكْبَرَا فقاتله ابن رائق أياماً ثم أسرى له ليلة عَرَفَة فأصبح ببغداد من الجانب الغربيّ ولقي الخليفة وركب معه في دجلة ، ووصل كورتكين آخر النهار فركب ابن رائق لقتاله وهو مرجل ، واعتزم على العود إلى الشام[1] ، ثم طائفة من عسكره ليعبروا دجلة ويأتوا من ورائهم ، وصاحت العامّة مع ابن رائق بكورتكين وأصحابه ورجموهم ، فانهزموا واستأمن منهم نحو أربعمائة فقتلوا وقتل قوّاده ، وخلع المتّقي على ابن رائق وولاّه أمير الأمراء ، وعزل الوزير أبا جعفر الكَرْخِيّ لشهر من ولايته ، وولّى مكانه أحمد الكوفيّ وظفر بكورتكين فحبسه بدار الخلافة .

* (وزارة ابن البريدي واستيلاؤه على بغداد وفرار المتقي الى الموصل) *

لما استقرّ ابن رائق في إمارة الأمراء بدمشق ببغداد أخّر ابن البريدي حمل المال من واسِط ، فانحدر إليه في العساكر في عاشوراء من سنة ثلاثين ، وهرب بنو البريدي إلى البَصْرَة . ثم سعى أبو عبدالله الكوفيّ بينهم وبين ابن رائق ، وضَمِن واسِط بستمائة ألف دينار وبقاياها بمائتي ألف . ورجع ابن رائق إلى بغداد فشغبت عليه الجند ، وفيهم توزون وأصحابه . ثم انفضوا آخر ربيع إلى أبي عبدالله بواسِط ، فقوي بهم وذهب ابن رائق إلى مداراته ، فكاتبه بالوزارة واستخلف عليها أبا عبدالله بن شيرزاد . ثم انتقض واعتزم على المسير إلى بغداد في جميع الأتراك والديلم . وعزم ابن رائق على التحصّن بدار الخلافة ، ونصب عليها المجانيق والعرّادات ، وجنّد العامّة ، فوقع الهرج ، وخرج بالمتّقي إلى نهر دبالي منتصف جمادى الآخرة . وأتاهم أبو الحسين في الماء والبرّ فهزمهم ودخل دار الخلافة ، وهرب المتّقي وابنه أبو منصور وابن رائق إلى الموصل لستةِ أشهر من إمارته . واختفى الوزير القراريطي ونهبت دار الخليفة ، ودور الحرم ، وعظم الهرج ، وأخذ كورتكين من محبسه فأنفذ إلى واسط ، ولم يتعرّضوا للقاهر . وكان نزل أبو الحسن بدار الخلافة وجعل توزون على الشرطة بالجانب الغربيّ ، وأخذ رهائن القوّاد توزون وغيره وبعث بنسائهم وأولادهم إلى

(١) يبدو هنا انه حذفت عبارة اثناء النسخ وفي الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٣٧٦ : « ثم انه عزم ان يناوشهم شيئا من قتال قبل مسيره فأمر طائفة من عسكره ان يعبروا دجلة ... »

أخيه عبدالله بواسِط . وعظُم النهب ببغداد وترك دورهم وفُرِضَت المكوس في الأسواق خمسة دنانير على الكرّ فغلت الأسعار ، وانتهى إلى ثلثمائة دينار الكرّ ، وجاءت ميرة من الكوفة وأخذت فقيل إنها لعامل الكوفة ، وأخذها عامل بغداد وكان معه جماعة من القَرَامِطَة فقاتلهم الأتراك وهزموهم ، ووقعت الحرب بين العامّة والدَيْلَم فقتل خلق من العامة ، واختفى العمّال لمطاولة الجند إلى الضواحي ينتهبون الزرع بسنبله عند حصاده ، وساءت أحوال بغداد وكثرت نقمات الله فيهم .

* (مقتل ابن رائق وولاية ابن حمدان مكانه) *

كان المتّقي قد بعث إلى ناصر الدولة بن حمدان يستمدّه على ابن البريدي عندما قصد بغداد ، فأمدّه بعسكر مع أخيه سيف الدولة ، فلقيه بتكْرِيت منهزماً ورجع معه إلى الموصل . وخرج ناصر الدولة عن الموصل حتى حلف له ابن رائق واتفقا ، فجاء وتركه شرقي دجلة وعبر إليه أبو منصور المتّقي وابن رائق فبالغ في تكرمتهما . فلما ركب ابن المتّقي قال لابن رائق : أقم نتحدّث في رأينا فذهبا إلى الإعتذار ، وألحّ عليه ناصر الدولة فاستراب وجذب يده وقصد الركوب ، فسقط فأمر ناصر الدولة بقتله وإلقائه في دجلة ، وبعث إلى المتّقي بالعذر وأحسن القول ، وركب إليه فولاّه أمير الأمراء ولقّبه ناصر الدولة وذلك مستهل شعبان من سنة ثلاثين ، وخلع على أخيه أبي الحسن ولقّبه بسيف الدولة ، فلمّا قتل ابن رائق سار الأخشيد من مِصْرَ إلى دمشق وبها محمد بن يزداد من قبل ابن رائق فاستأمن اليه وملك الاخشيد دمشق وأقر ابن يزداد عليها ثم نقله إلى شرطة مِصْرَ .

* (عود المتّقي إلى بغداد وفرار البريدي) *

لما استولى أبو الحسين البريدي على بغداد وأساء السيرة كما مرّ ، إمتلأت القلوب منه نفرة ، فلما قتل ابن رائق أخذ الجند في الفرار عنه والانتقاض عليه ، ففرّ جحجح إلى المتّقي واعتزم تورون وأنوش تكين والأتراك على كبس أبي الحسين البريدي . وزحف تورون لذلك في الدَيْلَم فخالفه أنوش تكين في الأتراك فذهب تورون إلى الموصل فقوي بهم ابن حمدان والمتّقي وانحدروا إلى بغداد ، وولّى ابن حمدان على أعمال الخراج والضياع بديار مضر ، وهي الرها وحرّان . ولقيا أبا الحسن أحمد بن عليّ بن

مقاتل ، فاقتتلوا وقتل ابن مقاتل واستولى ابن طبّاب عليها . ولمّا وصل المتّقي وابن حمدان إلى بغداد هرب أبو الحسين ابن البريدي منها إلى واسِط لثلاثة أشهر وعشرين يوماً من دخوله ، واضطربت العامّة وكثر النهب ودخل المتّقي وابن حمدان في العساكر في شوّال من السنة . وأعاد أبا إسحق القراريطي إلى الوزارة ، وولّى توزون على الشرطة . ثم سار إليهم أبو الحسين البريدي ، فخرج بنو حمدان للقائهم وانتهوا إلى المدائن ، فأقام بها ناصر الدولة ، وبعث أخاه سيف الدولة وابن عمّه أبا عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان ، فاقتتلوا عنده أياماً ، وانهزم سيف الدولة أوّلاً ، ثم أمدّهم ناصر الدولة بالقوّاد الذين كانوا معه وجحجح بالأتراك ، وعاودوا القتال فانهزم أبو الحسين إلى واسِط ، وأقصر سيف الدولة عن اتباعه لِـمَا أصاب أصحابه من الوهن والجراح . وعاد ناصر الدولة إلى بغداد منتصف ذي الحجة . ثم سار سيف الدولة إلى واسِط وهرب بنو البريدي عنها إلى البصرة فملكها وأقام بها .

* (استيلاء الديلم على أذربيجان) *

كانت أذربيجان بيد ديسم بن ابراهيم الكردي من أصحاب يوسف بن أبي الساج ، وكان أبوه من أصحاب هرون الشاري من الخوارج . ولما قتل هرون لحق بأذربيجان وشرّد في الأكراد فولد له ديسم هذا فكَبُر وخَـدَم ابن أبي الساج ، وتقدّم عنده إلى أن ملك بعدهم أذربيجان . وجاء السيكري خليفة وشمكير في الجبل سنة ست وعشرين وغلبه على أذربيجان . ثم سار هو إلى وشمكير وضَمِن له طاعة ومالاً ، واستمدّه فأمدّه بعسكر من الدَيْـلَم وساروا معه ، فغلب السيكري وطرده وملك البلاد ، وكان معظم جيشه الأكراد فتغلّبوا على بعض قلاعه فاستكثر من الدَيْـلَم وفيهم صعلوك بن محمد بن مسافر بن الفضل وغيرهما[1] . فاستظهر بهم وانتزع من الأكراد ما تغلّبوا عليه ، وقبض على جماعة من رؤسائهم . وكان وزيره أبو القاسم عليّ ابن جعفر قد ارتاب منه ، فهرب إلى الطرم وبها محمد بن مسافر من أمراء الدُيْـلَم وقد انتقض عليه إبناه وهشودان والمرزبان واستوليا على بعض قلاعه ، ثم قبض على أبيهما محمد وانتزعا أمواله وذخائره وتركاه في حِصْنِهِ سلبياً فريداً ، فقصد عليّ بن جعفر

(١) هكذا بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٣٨٦ : «وفيهم صعلوك بن محمد بن مسافر وعلي بن الفضل وغيرهما» .

المرزبان وأطمعه في أذربيجان ، فقلّده وزارته وكانت نحلتهما في التشيّع واحدة . لأنّ عليّ بن جعفر كان من الباطِنِيّة والمرزبان من الدَيْلَم وهم شيعة . وكاتب عليّ بن جعفر أصحاب دَيْسَم واستمالهم واستفسدهم عليه وخصوصا الدَيْلَم . ثم التفتوا للحرب وجاء الدَيْلَم إلى المرزبان واستأمن معهم كثير من الأكراد ، وهرب دَيْسَم في فلّ من أصحابه إلى أرمينية واستجار بجاحق بن الديوانيّ فأجاره وأكرمه . وندم على ما فرّط في إبعاد الأكراد وهم على مذهبه في الخارجيّة . وملك المرزبان أذربيجان واستولى عليها . ثم استوحش منه عليّ بن جعفر وزير دَيْسَم وتنكّر له أصحاب المرزبان ، فأطمعه المرزبان فأخذ أموالهم وحملهم على طاعة دَيْسَم ، وقتل الدَيْلَم عندهم من جند المرزبان ففعلوا . وجاء ديسم فملكها وفرّ إليه من كان عند المرزبان حتى اشتدّ عليه الحصار ، واستصلح أثناء ذلك الوزير عليّ بن جعفر ، ثم خرجوا من توزير[1] ، ولحق ديسم بأردبيل ، وجاء عليّ بن جعفر إلى المرزبان . ثم حاصر المرزبان أردبيل حتى نزل له ديسم على الأمان وملكها صلحاً . وملك توزير كذلك . ووفّى له ، ثم طلب ديسم أن يبعثه إلى قلعته بالطرم فبعثه بأهله وولده وأقام هنالك .

* (خبر سيف الدولة بواسط) *

لما فرّ بنو البريدي عن واسط إلى البصرة ونزل بها سيف الدولة أراد الإنحدار خلفهم لانتزاع البصرة منهم ، واستمدّ أخاه ناصر الدولة فأمدّه بمال مع أبي عبدالله الكوفيّ ، وكان تورون وجحجح يستطيلان عليه ، فأراد الاستئثار بالمال فردّه سيف الدولة مع الكوفيّ إلى أخيه ، وأذن لتورون في مال الجامدة ولجحجح في مال المدار . وكان من قبل يراسل الأتراك وملك الشام ومصر معه فلا يجيبونه . ثم ثاروا عليه في شعبان من سنة إحدى وثلاثين ، فهرب من معسكره ونهب سواده وقتل جماعة من أصحابه . وكان ناصر الدولة لما أخبره أبو عبدالله الكوفي بخبر أخيه في واسِط ، برز يسير إلى الموصل ، وركب إليه المتّقي يستمهله ، فوقف حتى عاد وأغذّ السير لثلاثة عشر شهراً من إمارته ، فثار الديلم والأتراك ونهبوا داره ، ودبّر الأمور أبو إسحق القراريطي من غير لقب الوزارة . وعزل أبو العبّاس الأصبهاني لأحد وخمسين يوماً من وزارته ، ثم تنازع الإمارة بواسِط بعد سيف الدولة تورون وجحجح ، واستقرّ الحال

(١) تبريز : ابن الاثير ج ٨ ص ٣٨٧ .

أن يكون تورون أميراً وجحجح صاحبَ الجيش . ثم طمع ابن البريدي في واسط وأصعد إليها وطلب من تورون أن يضمـنـه إيّاها ، فردّه ردّاً جميلاً . وكان قد سار جحجح لمدافعته فمرّ به الرسول في طريقه وحادثه طويلاً ، وسعى إلى تورون بأنه لحق بابن البريدي فأسرى إليه وكبسه منتصف رمضان ، فقبض عليه وجاء به إلى واسِط فسمله ، وبلغ الخبر إلى سيف الدولة وكان لحق بأخيه ، فعاد إلى بغداد منتصف رمضان ، وطلب المال من المتّقي لمدافعة تورون ، فبعث أربعمائة ألف درهم وفرّقها في أصحابه وظهر له من كان مستخفياً ببغداد وجاء تورون من واسِط بعد أن خلّف بها كيغلغ . فلمّا أحس به سيف الدولة رحل فيمن انضم إليه من أجناد واسِط وفيهم الحسن بن هرون ، وسار إلى الموصل ولم يعاود بنو حمدان بعدها بغداد .

* (امارة تورون ثم وحشته مع المتقي) *

لما سار سيفِ الدولة عن بغداد دخلها تورون آخر رمضان سنة إحدى وثلاثين ، فولاّه المتّقي أمير الأمراء ، وجعل النظر في الوزارة لأبي جعفر الكَرْخِيّ كما كان الكوفيّ . ولما سار تورون عن واسِط خالفه إليها البريدي فملكها . ثم انحدر تورون أوّل ذي القعدة لقتل البريدي ، وقد كان يوسف بن وجيه صاحب عُـمَان سار في المراكب إلى البَـصْـرَة ، وحارب ابن البريدي حتى أشرفوا على الهلاك . ثم احترقت مراكب عُـمَان بحيلة دبّرها بعض الملاّحين ونُهِبَ منها مالٌ عظيم . ورجع يوسف بن وجيه مهزوماً في المحرّم سنة إثنتين وثلاثين ، وهرب في هذه الفتنة أبو جعفر بن شيرزاد من تورون فاشتمل عليه ، وكان تورون عند إصعاده من بغداد اْستخلف مكانه محمد بن ينال الترجمان . ثم تنكّر فارتاب محمد ، وارتاب الوزير أبو الحسن بن مقلة بمكان ابن شيرزاد من تورون وخافا غائلته وخوّفا المتّقي كذلك ، وأوهماه أنّ البريدي ضَمِنَـه من تورون بخمسمائة ألف دينار التي أخذها من تركة بجكم ، وأنّ ابن شيرزاد جاء عن البريدي ليخلفه ويسلّمه ، فانزعج لذلك وعزم على المسير إلى ابن حمدان ، وكتبوا إليه أن ينفذ عسكراً يسير صحبته .

* (مسير المتقي إلى الموصل) *

ولما تمت سعاية ابن مقلة وابن ينال بتورون مع المتّقي اتّفق وصول ابن شيرزاد إلى بغداد أوّل إثنتين وثلاثين في ثلثمائة فارس ، وأقام بدست الأمر والنهي لا يعرج على

المتّقي في شيء . وكان المتّقي قد طلب من ناصر الدولة بن حمدان عسكراً يصحبه إلى الموصل ، فبعثهم ابن عمّه ابو عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان ، فلمّا وصلوا بغداد اختفى ابن شيرزاد وخرج المتّقي إليهم في حَرَمِهِ ووُلْدِهِ ، ومعه وزيره وأعيان دولته مثل سلامة الطولوني وأبي زكريا يحيى بن سعيد السوسي وأبي محمد الماردانى وأبي إسحق القراريطي وأبي عبدالله الموسوي وثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة الطبيب ، وأبي نصر بن محمد بن ينال الترجمان . وساروا إلى تكريت وظهر ابن شيرزاد في بغداد ، وظلم الناس وصادرهم ، وبعث إلى تورون في واسِط بخبر المتّقي ، فعقد ضمان واسِط على ابن البريدي ، وزوّجه إبنته ، وسار إلى بغداد . وجاء سيف الدولة إلى المتّقي بتكريت . ثم بعث المتّقي إلى ناصر الدولة يستحثّه ، فوصل إليه في ربيع الآخر ، وركب المتّقي من تكريت إلى الموصل ، وأقام هو بتكريت . وسار تورون لحربه فتقدّم إليه أخوه سيف الدولة فاقتتلوا أياماً . ثم انهزم سيف الدولة وغنم تورون سواده وسواد أخيه ، ولحقوا بالموصل وتورون في اتّباعهم . ثم ساروا عنها مع المتّقي إلى نصيبين ، ودخل تورون الموصل ولحق المتّقي بالرقّة ، وراسل توزون بأنّ وحشته لأجل ابن البريدي ، وأنّ رضاه في إصلاح بني حمدان ، فصالحها تورون وعقد الضمان لناصر الدولة على ما بيده من البلاد لثلاث سنين بثلاثة آلاف وستمائة ألف درهم لكل سنة ، وعاد توزون إلى بغداد وأقام المتّقي وبنو حمدان بالرقّة .

* (مسير ابن بويه الى واسط وعوده عنها ثم استيلاؤه عليها) *

كان معزّ الدولة بن بويه بالأهواز ، وكان ابن البريدي يطمعه في كل وقت في ملك العراق ، وكان قد وعده أن يمدّه واسِط . فلمّا أصعد توزون إلى الموصل خالفه معزّ الدولة إلى واسط وأخلف ابن البريدي وعده في المدد . وعاد توزون من الموصل إلى بغداد ، وانحدر منها للقاء معزّ الدولة منتصف ذي القعدة من سنة إثنتين وثلاثين ، واقتتلوا بقباب حميد بضعة عشر يوماً . ثم تأخر توزون إلى نهر ديالي فعبره ومنع الدَّيْلَم من عبوره بمن كان معه من المقاتلة في الماء ، وذهب ابن بُوَيْه ليصعد ويتمكن من الماء ، فبعث توزون بعض أصحابه فعبروا ديالي وكمنوا له حتى إذا صار مصعداً خرجوا عليه على غير أهبه ، فانهزم هو ووزيره الصهيري[1] وأسر منهم أربعة عشر

(١) الصيمري وقد مرّ ذكره من قبل راجع ابن الأثير ج ٨ ص ٤٠٨ .

قائداً واستأمن كثير من الدَيْـلَم إلى توزون ، ولحق ابن بويه والصهيري بالسوس . ثم عاد إلى واسط ثانية فملكها ولحق أصحاب بني البريدي بالبصرة .

* (قتل ابن البريدي أخاه ثم وفاته) *

كان أبو عبدالله بن البريدي قد استهلك أمواله في هذه النوائب التي تنوبه ، واستقرض من أخيه أبي يوسف مرّة بعد مرّة ، وكان أثرى منه ومال الجند إليه لثروته . وكان يعيب على أخيه تبذيره وسوء تدبيره . ثم نمي الخبر إليه أنه يريد المكر به ، والاستبداد بالأمر . وتنكّر كل واحد منهما للآخر ، ثم أكمن أبو عبدالله غلمانه في طريق أبي يوسف فقتلوه ، وشغب الجند لذلك فأراهم شلوه فافترقوا ، ودخل دار أخيه وأخذ ما فيها من الأموال ، وجواهر نفيسة كان باعها له بخمسين ألف درهم ، وكان أصلها ليحكم وهبها لبنته حين زوّجها له ، وأخذ بحكم من دار الخلافة ، فاحتاج إليها أبو عبدالله بعد فباعها له وبخسه أبو يوسف في قيمتها . وكان ذلك من دواعي العداوة بينهما . ثم هلك أبو عبدالله بعد مهلك أخيه بثمانية أشهر ، وقام بالأمر بعده بالبصرة أخوهما أبو الحسن ، فأساء السيرة في الجند فثاروا به ليقتلوه ، فهرب منهم إلى هَجَر مستجيراً بالقَرَامِطَة ، وولّوا عليهم بالبصرة أبا القاسم ابن أخيه أبي عبدالله ، وأمدّ أبو طاهر القُرْمُطِيّ أبا الحسن ، وبعث معه أخويه لحصار البصرة فامتنعت عليهم ، وأصلحوا بين أبي القاسم وعمّه ، ودخل البصرة وسار منها إلى تورون ببغداد . ثم طمع يأنس مولى أبي عبدالله في الرياسة وداخل بعض قوّاد الدَيْـلَم في الثورة بأبي القاسم ، واجتمع الدَيْـلَم إلى القائد وبعث أبو القاسم وليّه يأنس فهمّ به ليفرد بالأمر ، فهرب يأنس واختفى وتفرّق الدَيْـلَم واختفى القائد . ثم قبض عليه ونفاه وقبض على يأنس بعد أيام وصادره على مائة ألف دينار ، وقتله . ولما قدم أبو الحسين البريدي إلى بغداد مستأمناً إلى تورون فأمّنه وطلب الإمداد على ابن أخيه ، وبذل في ذلك أموالاً . ثم بعث ابن أخيه من البصرة بالأموال فأقرّه على عمله وشعر أبو الحسن بذلك فسعى عند ابن تورون في ابن شيرزاد إلى أن قبض عليه ، وضرب واستظهر أبو عبدالله بن أبي موسى الهاشمي بفتاوى الفقهاء والقضاة بإباحة دم أبي الحسين ، كانت عنده من أيام ناصر الدولة ، وأحضروا بدار المتّقي وسئلوا عن فتاويهم ، فاعترفوا بأنهم أفتوا بها ، فقتل وصلب ثم أحرق ونهب داره . وكان ذلك منتصف ذي الحجة من السنة ، وكان ذلك آخر أمر البريديين .

* (الصوائف أيام المتّقي) *

خرج الروم سنة ثلاثين أيّام المتّقي وانتهوا إلى قرب حلب فعاثوا في البلاد وبلغ سبيهم خمسة آلاف . وفيها دخل ثمل من ناحية طرسوس فعاث في بلاد الروم ، وامتلأت أيدي عسكره من الغنائم ، وأسر عدّة من بطارقتهم . وفي سنة إحدى وثلاثين بعث ملك الروم إلى المتّقي يطلب منه منديلاً في بيعة الرّها زعموا أنّ المسيح مسح به وجهه ، فارتسمت فيه صورته ، وأنه يطلق فيه عدداً كثيراً من أسرى المسلمين ، واختلف الفقهاء والقضاة في إسعافه بذلك ، وفيه غضاضة أو منعه ويبقى المسلمون بحال الأسر. فأشار عليه عليّ ابن عيسى بإسعافه لخلاص المسلمين ، فأمر المتّقي بتسليمه إليهم . وبعث إلى ملك الروم من يقوم بتسليم الأسرى . وفي سنة إثنتين وثلاثين خرجت طوارق من الروس[1] في البحر إلى نواحي أذربيجان ، ودخلوا في نهر اللكز إلى بردعة . وبها نائب المرزبان ابن محمد بن مسافر ملك الديلم بأذربيجان ، فخرج في جموع الدَّيْلَم والمطوعة فقتلوهم ، وقاتلوهم فهزموهم الروس وملكوا البلد ، وجاءت العساكر الإسلامية من كل ناحية لقتالهم فامتنعوا بها ، ورماهم بعض العامّة بالحجارة فأخرجوهم من البلد وقاتلوا من بقي ، وغنموا أموالهم واستبدّوا بأولادهم ونسائهم . واستنفر المرزبان الناس وزحف إليهم في ثلاثين ألفاً ، فقاتلوهم فامتنعوا عليه فأكمن لهم بعض الأيام فهزمهم وقتل أميرهم . ونجا الباقون إلى حصن البلد . وحاصرهم المرزبان وصابرهم . ثم جاءه الخبر بأنّ أبا عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان بلغ سلماس موجهاً إلى أذربيجان بعثه إليها ابن عمّه ناصر الدولة ليتملكها ، فجهّز عسكراً لحصار الروس في بردعة ، وسار إلى قتال ابن حمدان . فارتحل ابن حمدان راجعاً إلى ابن عمه باستدعائه بالإنحدار إلى بغداد . لما مات تورون وأقام العسكر على حصار الروس ببردعة ، حتى هربوا من البلد وحملوا ما قدروا عليه . وطهّر الله البلد منهم . وفيها ملك الروم رأس عين واستباحوها ثلاثاً وقاتلهم الأعراب ففارقوها .

---

(١) الروس وهم المسمون الان بالموسقو وهم عدد كثير (اهـ) من خط الشيخ العطار .

* (الولايات أيام المتقى) *

قد تقدّم لنا أنه لم يكن بقي في تصريف الخليفة إلاّ أعمال الأهواز والبصرة وواسِط والجزيرة والموصل لبني حمدان . واستولى معزّ الدولة على الأهواز ثم على واسِط ، وبقيت البصرة بيد أبي عبدالله بن البريدي واستولى على بغداد مع المتّقى يحكم ، ثم ابن البريدي ، ثم تورتكين الديلميّ ، ثم ابن رائق ثانية ، ثم ابن البريدي ثانية ، ثم حمدان ، ثم تورون . يختلفون على المتّقى واحداً بعد واحد ، وهو مغلب لهم والحلّ والعقد والإبرام والنقض بأيديهم ، ووزير الخليفة عامل من عمّالهم متصرّف تحت أحكامهم ، وآخر من دبّر الأمور أبو عبد الله الكوفيّ كاتب تورون ، وكان قبله كاتب ابن رائق ، وكان على الحَجَبَة بدر بن الجرسيّ ، فعزل عنها سنة ثلاثين وجعل مكانه سلامة الطولوني ووَلِيَ بدر طريق الفرات ففزع إلى الاخشيد واستأمن إليه فولاّه دمشق . وكان من المستبدّين في النواحي يوسف بن وجيه ، وكان صاحب الشرطة ببغداد أبا العبّاس الديلميّ .

* (خلع المتّقي وولاية المستكفي) *

لم يزل المتّقي عند بني حمدان من شهر ربيع الآخر سنة إثنتين وثلاثين إلى آخر السنة ، ثم آنس منهم الضَجَرَ واضطرّ لمراجعة تورون ، فأرسل إليه الحسن بن هرون وأبا عبدالله بن أبي موسى الهاشميّ في الصلح ، وكتب إلى الأخشيد محمد بن طُغْج صاحب مصر يستقدمه ، فجاءه وانتهى إلى حلب وبها أبو عبدالله بن سعيد بن حمدان من قبل إبن عمّه ناصر الدولة ، فارتحل عنها وتخلّف عنه ابن مقاتل ، وقد كان صادره ناصر الدولة على خمسين ألف دينار ، فاستقدم الأخشيد وولاّه خراج مِصْر . وسار الأخشيد من حلب ولقي المتّقي بالرقّة ، وأهدى إليه والي الوزير بن الحسين بن مقلة وسائر الحاشية ، واجتهد به أن يسير معه إلى مِصْرَ ليقيم خلافته هنالك فأبى ، فخوّفه من تورون فلم يقبل . وأشار على ابن مقلة أن يسير معه إلى مصر فيحكّمه في البلاد فأبى ، وكانوا ينتظرون عود رسلهم من تورون ، فبعثوا إليهم بيمين تورون والوزير ابن شيرزاد بمحضر القضاة والعدول والعبّاسيّين والعلويّين وغيرهم من طبقات الناس . وجاء الكتاب بخطوطهم بذلك وتأكيد اليمين ، ففارق المتّقي

الأخشيد وانحدر من الوقت في الفرات آخر المحرّم سنة ثلاث وثلاثين ، ولقيه توزون بالسندية فقبّل الأرض وقال : قد وفّيت بيميني ! ووكّل به وبأصحابه وأنزله في خيمته . ثم سمله لثلاثِ سنين ونصف من خلافته ، وأحضر أبا القاسم عبدالله بن المكتفي فبايعه الناس على طبقاتهم ، ولقّب المستكفي ، وجيء بالمتّقي فبايعه وأخذت منه البردة والقضيب واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السامريّ ، فكان له إسم الوزارة على سنن من قبله ، والأمور راجعة لابن شيرزاد كاتب تورون . ثم خلع المستكفي على توزون وتوّجه وحبس المتّقي ، وطلب أبا القاسم الفضل بن المقتدر الذي لقّب فيما بعد بالمطيع ، فاختفى سائر أيامه وهدمت داره .

* (وفاة توزون وامارة ابن شيرزاد) *

وفي المحرّم من سنة أربع وثلاثين وثلثمائة مات توزون ببغداد لستِ سنين وخمسة أشهر من إمارته ، وكان ابن شيرزاد كاتبه أيامه كلّها ، وبعثه قبل موته لاستخلاص الأموال من هيت . فلما بلغه خبر الوفاة عزم على عقد الإمارة لناصر الدولة بن حمدان ، فأبى الجند من ذلك واضطربوا وعقدوا له الرياسة عليهم ، واجتمعوا عليه وحلفوا ، وبعث إلى المستكفي ليحلف له ، فأجابه وحلف له بحضرة القضاة والعدول ، ودخل إليه ابن شيرزاد فولاّه أمير الأمراء ، وزاد في الارزاق زيادة متّسعة فضاقت عليه الأموال ، فبعث أبا عبدالله بن أبي موسى الهاشمّي إلى ابن حمدان يطالبه بالمال ويعده بإمارة الأمراء ، فأنفذ إليه خمسمائة ألف درهم وطعاماً . وفرّقها في الجند فلم تكفِ ففرض الأموال على العمّال والكتّاب والتجّار لأرزاق الجند ، ومدّت الأيدي إلى أموال الناس ، وفشا الظلم وظهرت اللصوص وكبسوا المنازل ، وأخذ الناس في الخلاص من بغداد . ثم استعمل على واسِط ينال كوشه ، وعلى تكريت الفتح السيكري ، فسار إلى ابن حمدان ودعا له شكراً فولاّه عليها من قبله .

* (استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد واندراج أحكام الخلافة في سلطانهم) *

قد تقدّم لنا استبداد أهل النواحي على الخلافة منذ أيام المتوكّل ، ولم يزل نطاق الدولة العبّاسية يتضايق شيئاً فشيئاً ، وأهل الدولة يستبدّون واحداً بعد واحد إلى أن

أحاطوا ببغداد وصاروا ولاة متعدّدة يفرد كل واحد منهم بالذكر وسياقة الخبر إلى آخرها . وكان من أقرب المستبدّين إلى مقر الخلافة بنوبويْـه بأصبهان وفارس ، ومعزّ الدولة منهم بالأهواز . وقد تغلّب على واسِط ، ثم انتزعت منه . وبنو حمدان بالموصل والجزيرة ، وقد تغلب على هيت وصارت تحت ملكهم ، ولم يبق للخلفاء إلاّ بغداد ونواحيها ما بين دجلة والفرات ، وأمراؤهم مع ذلك مستبدّون عليهم ، ويسمّون القائم بدولتهم أمير الأمراء كما مرّ في أخبارهم إلى أن انتهى ذلك إلى دولة المتّقي والقائم بها ابن شيرزاد . ووليَ على واسِط ينال كوشه كما قلنا فانحرف عن ابن شيرزاد وكاتب معزّ الدولة ، وقام بدعوته في واسِط واستدعاه للملك ببغداد . فزحف في عساكر الدَيْـلَم إليها ولقيه ابن شيرزاد والأتراك وهربوا إلى ابن حمدان بالموصل ، واختفى المستكفي وقدّم معزّ الدولة كاتبه الحسن بن محمد المهلبيّ إلى بغداد ، فدخلها وظهر الخليفة ، فظهر عنده المهلبيّ وجدّد له البيعة عن معزّ الدولة أحمد بن بويه ، وعن أخويه عماد الدولة عليّ وركن الدولة الحسن . وولاّهم المستكفي على أعمالهم ولقبهم بهذه الألقاب ورسمها على سِكّته . ثم جاءه معزّ الدولة إلى بغداد وملكها ، وصرف الخليفة في حكمه ، واختصّ باسم السلطان . فبقيت أخبار الدولة إنما تؤثر عنهم ، وإن كان منها ما يختص بالخليفة فقليل . فلذلك صارت أخبار هؤلاء الخلفاء منذ المستكفي إلى المتّقي مندرجة في أخبار بني بُـوَيْـه والسلجوقـيّة من بعدهم لعطلهم من التصرّف إلا قليلاً يختصّ بالخلفاء نحن ذاكروه ونرجىء بقية أخبارهم إلى أخبار الدَيْـلَم والسلجوقـيّة الغالبين على الدولة عندما نفرد دولتهم كما شرطناه .

* (الخبر عن الخلفاء من بني العباس المغلبين لدولة بني بويه من السلجوقية من بعدهم من لدن المستكفي إلى المتقي وما لهم من الأحوال الخاصة بهم ببغداد ونواحيها) *

لما دخل معزّ الدولة بن بُـوَيْـه إلى بغداد غلب على المستكفيّ وبقي في كفالته ، وكان المستكفي في سنة ثلاث وثلاثين قبلها قبض على كاتبه أبي عبدالله بن أبي سليمان ، وعلى أخيه ، واستكتب أبا أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي في خاص أمره ،

وكان قبله كاتباً لابن حمدان ، وكان يكتب للمستكفي قبل الخلافة . فلما نصّب للخلافة قدم من الموصل فاستكتبه المستكفي في هذه السنة على وزيره أبي الفرج لاثنتين وأربعين يوماً من وزارته ، وصادره على ثلثمائة ألف درهم . ولما استولى معز الدولة ببغداد على الأمر وبعث أبو القاسم البريدي صاحب البصرة ضَمِنَ واسط وأعمالها وعقد له عليها .

* (خلع المستكفي وبيعة المطيع) *

وأقام المستكفي بعد استيلاء معزّ الدولة على الأمر أشهراً قلائل ، ثم بلغ معزّ الدولة أنّ المستكفي يسعى في إقامة غيره ، فتنكّر له ، ثم أجلسه في يوم مشهود لحضور رسول من صاحب خراسان ، وحضر هو في قومه وعشيرته ، وأمر رجلين من نقباء الدَيْلَم جاءا ليقبّلا يد المستكفي ، ثم جذباه عن سريره وساقاه ماشياً . وركب معزّ الدولة وجاء به إلى داره فاعتقله بها ، واضطرب الناس وعَظُم النهب ونهب دار الخلافة . وقبض على أبي أحمد الشيرازي كاتب المستكفي ، وكان ذلك في جمادى الآخرة لسنة وأربعة أشهر من خلافته . ثم بويع أبو القاسم الفضل بن المقتدر ، وقد كان المستكفي طلبه حين وَلِيَ لاطلاعه على شأنه في طلب الخلافة ، فلم يظفر به واختفى . فلما جاء معز الدولة تحوّل إلى داره واختفى عنده ، فلما قُبِضَ على المستكفي بويع له ولقّب المطيع لله ، ثم أحضر المستكفي عنده فأشهد على نفسه بالخلع ، وسلّم عليه بالخلافة . ولم يبق للخليفة من الأمر شيء البتة منذ أيام معزّ الدولة . ونظر وزير الخليفة مقصور على أقطاعه ونفقات داره والوزارة منسوبة إلى معزّ الدولة وقومه من الدَيْلَم شيعة للعلويّة منذ إسلامهم على يد الأطروش ، فلم يكونوا من شيعة العبّاسية في شيء ولقد يقال بأنّ معزّ الدولة اعتزم على نقل الخلافة منهم إلى العلويّة ، فقال له بعض أصحابه : لا تولِّ أحداً يشركك قومك كلّهم في محبته والاشتمال عليه ، وربما يصير لهم دونك ، فأعرض عن ذلك وسلبهم الأمر والنهي ، وتسلّم عمّاله وجنده من الدَيْلَم وغيرهم أعمال العراق وسائر أراضيه . وصار الخليفة إنما يتناول منه ما يقطعه معزّ الدولة ومن بعده فما يسدّ بعض حاجاته . نعم إنهم كانوا يفردونهم بالسرير والمنبر والسكّة والختم على الرسائل والصكوك والجلوس للوفد وإجلالهم في التحية والخطاب ، وكل ذلك طوع القائم على الدولة ، وكان يفرد في كل دولة بني بويه والسلجوقية بلقب السلطان

مما لا يشاركه فيه أحد ، ومعنى الملك من تصريف القدرة وإظهار الأبهة والعزّ حاصل له دونِ الخليفة وغيره ، وكانت الخلافة حاصلة للعبّاسيّ المنصوب لفظاً مسلوبة معنى ، والله المدبّر للأمور لا إله غيره .

* (انقلاب حال الدولة بما تجدّد في الجباية والأقطاع) *

لما استولى معزّ الدولة طلب الجند أرزاقهم على عادتهم وأكثر لسبب ما تجدّد من الاستيلاء الذي لم يكن له ، فاضطرّ إلى ضرب المكوس وأخذ أموال الناس من غير وجهها ، وأقطع قوّاده وأصحابه من أهل عصبيته وغير المساهمين له في الأمر جميع القرى التي بجانب السلطان ، فارتفعت عنها أيدي العمّال وبطلت الدواوين واختلف حال القرى في العمارة عما كان في أيدي القوّاد والرؤساء ، حصل بهم لأهلها الرفق فزادت عمارتها وتوفّر دخلها . ولم تكن مناظرتهم في ذلك ولا تقديره عليهم ، وما كان بأيدي العامّة والأتباع عَظُم خرابه لما كان يعدم من الغلاء والنهب واختلاف الأيدي وما يزيد الآن من الظلم ومصادرات الرعايا والحيف في الجباية وإهمال النظر في تعديل القناطر والمشارب ، وقسّم المياه على الأرضين فإذا خربت قراهم ردّوها وطلبوا العوض عنها فيصير الآخر منها لما صار إليه الأوّل . ثم أمر معزّ الدولة قوّاده وأصحابه بحماية الأقطاع والضياع وولاتها ، وصارت الجبايات لنظرهم والتعويل في المرتفع على أخبارهم . فلا يقدر أهل الدواوين والحسابات على تحقيق ذلك عليهم ، ولم يقف عند ذلك على غاية . فبطلت الأموال وصار جمعها من المكوس والظلامات ، وعجز معزّ الدولة عن ذخيرة يعدّها لنوائب سلطانه . ثم استكثر من الموالي الأتراك ليجدع بهم من أنوف قومه ، وفرض لهم الأرزاق وزاد لهم الأقطاع ، فعظمت غيرة قومه من ذلك وآل الأمر إلى المنافرة كما هو الشأن في طبيعة الدول .

* (دولة بني حمدان) *

* (مسير ابن حمدان الى بغداد) *

ولما استولى معزّ الدولة على بغداد وخلع المستكفي ، بلغ الخبر إلى ناصر الدولة بن حمدان ، فشقّ ذلك عليه ، وسار من الموصل إلى بغداد وانتهى إلى سامرّا في شعبان سنة أربع . وكان معزّ الدولة حين سمع قدوم عساكره مع ينال كوشه وقائد آخر ،

فقتل القائد ولحق بناصر الدولة[1]. وجاء ناصر الدولة إلى بغداد فأقام بها وخالفه معزّ الدولة إلى تكريت فنهبها لأنها من أعماله. ثم عاد معزّ الدولة والمطيع فنزلوا بالجانب الغربي من بغداد، وقاتلوا ناصر الدولة بالجانب الشرقي وتقدّم ناصر الدولة إلى الأعراب بالجانب الغربي بقطع الميرة عن معزّ الدولة فغلت الأسعار وعزّت الأقوات، ومنع ناصر الدولة من الخطبة للمطيع والمعاملة بسكّته، ودعا للمتّقي وبيّت معز الدولة مراراً. وضاق الأمر به، واعتزم على ترك بغداد والعود إلى الأهواز. ثم أظهر الرحيل ذات ليلة وأمر وزيره أبا جعفر الصهيري[2] بالعبور في أكثر العساكر، وأقام بالكينة مكانه، وجاء ينال كوشه لقتاله فانهزم واضطرب عسكر ناصر الدولة وأجفلوا، وغنم الدَيْلَم أموالهم وأظهرهم. ثم أمّن معزّ الدولة الناس وعاد المطيع إلى داره في محرّم سنة خمس وثلاثين وقام التورونية عليه، فلمّا شعروا به نكروه وهمّوا بقتله، فأسرى هارباً ومعه ابن شيرزاد، وفرّ إلى الجانب الغربي. ثم لحق بالقرامطة فأجاروه وبعثوه إلى الموصل. ثم استقرّ الصلح بينه وبين الدولة كما طلب، ولما فرّ عن الأتراك اتفقوا على تكين الشيرازي فولّوه عليهم وقبضوا على من تخلّف من كتابه وأصحابه، وساروا في اتّباعه إلى نصيبين، ثم إلى سِنْجَار، ثم إلى الحُدَيْثَة، ثم إلى السن، ولحق هنالك عسكر معزّ الدولة مع وزيره أبي جعفر الصهيري، وقد كان استمدّه ناصر الدولة. وسار ناصر الدولة وابن الصهيري إلى الموصل، فنزلوا عليها وأخذ الصهيري من ناصر الدولة ابن شيرزاد وحمله إلى معزّ الدولة وذلك سنة خمس وثلاثين.

* (استيلاء معزّ الدولة على البصرة) *

وفي هذه السنة انتقض أبو القاسم البريدي بالبصرة، فجهّز معز الدولة الجيش جماعة أعيانهم إلى واسِط، ولقيهم جيش ابن البريدي في الماء على الظهر، فانهزموا إلى البصرة وأسروا من أعيانهم جماعة. ثم سار معزّ الدولة سنة ست وثلاثين إلى البصرة

(١) العبارة غير واضحة وفي الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٤٥٣ : «وفيها — ٣٣٤ — في رجب سيّر معزّ الدولة عسكراً فيهم موسى فيادة وينال كوشة الى الموصل في مقدّمته، فلما نزلوا عكبرا اوقع ينال كوشة بموسى فيادة ونهب سواده، ومضى هو ومن معه الى ناصر الدولة، وكان قد خرج من الموصل نحو العراق، ووصل ناصر الدولة الى سامرّا في شعبان، ووقعت الحرب بينه وبين أصحاب معزّ الدولة بعكبرا.»

(٢) الصميري: وقد مرّ ذكره قبل ذلك.

ومعه المطيع لاستنقاذها من يد أبي القاسم بن البريدي وسلكوا إليها البرية ، فبعث القرامطة يعذلون في ذلك معزّ الدولة فكتب يهدّدهم . ولما قارب البصرة استأمنت إليه عساكر أبي القاسم ، وهرب هو إلى القرامطة فأجاروه ، وملك معزّ الدولة البصرة . ثم سار منها إلى الأهواز لتلقي أخيه عماد الدولة ، وترك المطيع وأبا جعفر الصهيري بالبصرة . ولقي أخاه بأرّجان . ثم عاد إلى بغداد والمطيع معه وأراد السير إلى الموصل فأرسل إليه ناصر الدولة في الصلح وحمل المال فتركه . ثم انتقض سنة سبع وثلاثين فسار إليه معزّ الدولة ، وملك الموصل ، ولحق ناصر الدولة بنصيبين ، وأخذ معزّ الدولة في ظلم الرعايا وعسفهم . ثم بعث إليه أخوه ركن الدولة بأصبهان بأنّ عسكر خراسان قصدت جرجان والريّ ، واستمدّه فاضطرّ معزّ الدولة إلى صلح ناصر الدولة عن الموصل والجزيرة وما ملكه سيف الدولة من الشام ودمشق وحلب على ثمانية آلاف ألف ألف درهم ، ويخطب لعماد الدولة وركن الدولة ومعزّ الدولة بني بويه ، فاستقرّ الصلح على ذلك وعاد إلى بغداد .

* (ابتداء أمر بني شاهين بالبطيحة) *

كان عمران بن شاهين من أهل الجامدة ، وحصلت عنده جبايات ، فهرب إلى البطيحة خوفا من الحكّام ، وأقام بين القصب والآجام يقتات بصيد السمك والطير وكشف سابلة البطيحة . واجتمع عليه جماعة من الصيّادين واللصوص . ثم اشتدّ خوفه فاستأمن إلى أبي القاسم بن البريدي صاحب البصرة نقله جماعة الجامدة ونواحي البطائح . وجمع السلاح واتخذ مقاتل على تلال البطيحة وغلب على نواحيها ، وسرّح معزّ الدولة وزيره أبا جعفر الصهيري سنة ثمان وثلاثين فقاتله وهرب واستأمن أهله وعياله . ثم جاء الخبر إلى معزّ الدولة بموت أخيه عماد الدولة بفارس ، واضطراب أحواله بها . فكتب إلى الصهيري بالفرار إلى شيرزاد لإصلاح الأمور ، فسار إليها وعاد عمران بن شاهين إلى البطيحة ، واجتمع إليه أصحابه وقوي أمره . وبعث معزّ الدولة إلى قتاله روزبهان من أعيان عسكره ، فأطال حصاره في مضايق البطيحة . ثم ناجزه الحرب فهزمه عمران وهرب عسكره ، وصار أصحابه يطلبون البَذْرَقَة والخفارة من جند السلطان في السابلة ، وانقطع طريق البصرة إلاّ على الظهر . وكان الصهيري قد هلك وولّى مكانه المهلّبي ، فكتب معزّ الدولة إلى المهلّبي وهو بالبصرة ، فصعد إلى

واسِط وأمدّه بالقوّاد والسلاح ، وأطلق يده في الإنفاق . فزحف إلى البطيحة وضيّق على عمران فانتهى إلى مضايق خفيّة ، وأشار عليه روزبهان بمعاجلة القوم ، وكتب إلى معزّ الدولة يشكو المطاولة من المهلّبي ، فكتب إليه معزّ الدولة بالاستبطاء فبادر إلى المناجزة وتوغّل في تلك المضايق ، فانهزم وقتل من أصحابه وأسر ونجا هو سباحة في الماء ، وأسر عمران أكابر القوّاد حتى صالحه معزّ الدولة وقلّده البطائح وأطلق له أهله على أن يطلق القوّاد الذين في أسره فأطلقهم .

* (موت الصهيري ووزارة المهلبي) *

كان أبو جعفر محمد بن أحمد الصهيري وزيراً لمعزّ الدولة ، وكان قد سار لقتال عمران واستخلف مكانه أبا محمد الحسن بن محمد المهلّبي ، فعرفت كفايته وإصلاحه وأمانته ، وتوفي أبو جعفر الصهيري محاصراً لعمران ، فولّى معزّ الدولة مكانه أبا محمد المهلبيّ ، فأحسن السيرة وأزال المظالم وخصوصاً عن البصرة فكان فيها شِعَبٌ كثيرة من المظالم من أيام أبي البريدي ، وتنقّل في البلاد لكشف المظالم وتخليص الحقوق . فحسن أثره ونقم عليه معزّ الدولة بعض الأمور فنكبه سنة إحدى وأربعين وحبسه في داره ولم يعزله .

* (حصار البصرة) *

قد تقدّم لنا أنّ القَرَامِطَة أنكروا على معز الدولة مسيره إلى البصرة على بلادهم . وذكرنا ما دار بينهم في ذلك . ولمّا علم يوسف بن وجيه استيحاشهم بعث إليهم يطمعهم في النصرة ، واستمدّهم فأمدّوه . وسار في البحر سنة إحدى وأربعين . وبلغ الخبر إلى الوزير المهلبيّ ، وقد قدم من شأن الاهواز . فسار إلى البصرة وسبق إليها ابن وجيه وقاتله فهزمه وظفر بمراكبه .

* (استيلاء معز الدولة على الموصل وعوده) *

قد تقدّم لنا صلح معزّ الدولة مع ناصر الدولة على ألفي ألف درهم كل سنة . فلما كانت سنة سبع وأربعين أخرج حمل المال ، فسار معزّ الدولة إلى الموصل في جمادى ومعه وزيره المهلبيّ ، فاستولى على الموصل ولحق ناصر الدولة بنصيبين ومعه كتّابه وجميع أصحابه ، وحاشيته ، ومن يعرف وجوه المنافع ، وأنزلهم في قلعة كواشي وغيرها .

وأمر الأعراب بقطع الميرة عن الموصل فضاقت الأبواب على عسكر معزّ الدولة ، فسار عن الموصل إلى نصيبين واستخلف عليها سبكتكين الحاجب الكبير ، وبلغه في طريقه أنّ أولاد ناصر الدولة بسنجار في عسكر ، فبعث عسكراً فكبسوهم واشتغلوا بالنهب ، فعاد إليهم أولاد ناصر الدولة وهم غازون فاستلحموهم ، وسار ناصر الدولة عن نصيبين إلى ميافارقين . ورجع أصحابه إلى معزّ الدولة مستأمنين ، فسار هو إلى أخيه سيف الدولة بحلب فتلقّاه وأكرمه وتراسلوا في الصلح على ألفي ألف درهم وتسعمائة ألف درهم ، وإطلاق من أسر بسنجار وأن يكون ذلك في ضمان سيف الدولة فتمّ بينهما ، وعاد معزّ الدولة إلى العراق في محرّم سنة ثمان وأربعين .

* (بناء معز الدولة ببغداد) *

أصاب معزّ الدولة سنة خمسين مرض أشفي منه حتى وصّى ، واستوخم بغداد فارتحل إلى كلواذا لِيَسِرَ إلى الأهواز ، وأسف أصحابه لمفارقة بغداد ، فأشاروا عليه أن يبني لسكناه في أعاليها. فبنى داراً أنفق عليها ألف ألف دينار ، وصادر فيها جماعة من الناس .

* (ظهور الكتابة على المساجد) *

كان الدَيْـلَم كما تقدّم لنا شيعة لإسلامهم على يد الأطروش ، وقد ذكرنا ما منع بني بويه من تحويل الخلافة عن العبّاسية إليهم . فلما كان سنة إحدى وخمسين وثلثمائة أصبح مكتوباً على باب الجامع ببغداد : لعنٌ صريحٌ في معاوية ومن غصب فاطمة فدك ، ومن منع من دفن الحسن عند جدّه ومن نفى أباذرّ ، ومن أخرج العبّاس من الشورى ، ونسب ذلك إلى معزّ الدولة . ثم محي من الليلة القابلة ، فأراد معزّ الدولة إعادته ، فأشار المهلبيّ بأن يكتب مكان المحو : لعن معاوية فقط والظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلّم . وفي ثامن عشر ذي الحجة من هذه السنة أمر الناس بإظهار الزينة والفرح لعبد العزيز من أعيان الشيعة . وفي السنة بعدها أمر الناس في يوم عاشوراء أن يغلقوا دكاكينهم ويقعدوا عن البيع والشراء ويلبسوا المسوح ، ويعلنوا بالنياحة ، وتخرج النساء مسبّلات الشعور مسوّدات الوجوه قد شققن ثيابهنّ ولطمن خدودهنّ حزناً على الحسين ، ففعل الناس ذلك . ولم يقدر أهل السنّة على منعه لأنّ السلطان للشيعة وأعيد ذلك سنة ثلاث وخمسين فوقعت فتنة بين أهل السنة والشيعة ونهب الأموال .

* (استيلاء معز الدولة على عمان وحصاره البطائح) *

انحدر معز الدولة سنة خمس وخمسين إلى واسط لقتال عمران بن شاهين بالبطائح فأنفذ الجيش من هنالك مع أبي الفضل العبّاس بن الحسن ، وسار إلى الأُبُـلَّة فأنفذ الجيش إلى عُـمَان ، وكان القرامطة قد استولوا عليها وهرب عنها صاحبها نافع ، وبقي أمرها فوضى ، فاتفق قاضيها وأهل البلد أن ينصّبوا عليهم رجلاً منهم فنصّبوه ، ثم قتله بعضهم فولّوا آخر من قرابة القاضي يعرف بعبد الرحمن بن أحمد بن مروان ، واستكتب عليّ بن أحمد الذي كان وصل مع القرامطة كاتباً ، وحضر وقت العطاء ، فاختلف الزنج والبيض في الرضا بالمساواة وبعدمها واقتتلوا ، فغلب الزنج وأخرجوا عبد الوهاب واستقرّ علي بن أحمد أميراً . فلمّا جاء معزّ الدولة إلى واسِط هذه السنة ، قدم عليه نافع الأسود صاحب عُـمَـان مستنجداً به ، فانحدر به من الأُبُـلَّـة ، وجهّز له المراكب لحمل العساكر ، وعليهم أبو الفرج محمد بن العبّاس بن فساغس وهي مائة قطعة ، فساروا إلى عُـمَان وملكوها تاسع ذي الحجة من سنة خمس وخمسين ، وقتلوا من أهلها وأحرقوا مراكبها ، وكانت تسعة وثمانين ، وعاد معزّ الدولة إلى واسِط ، وحاصر عمران ، وأقام هنالك فاعتلّ وصالح عمران وانصرف عنه .

* (وفاة الوزير المهلبي) *

سار الوزير المهلبي في جمادى سنة إثنتين وخمسين إلى عُـمَـان ليفتحها فاعتلّ في طريقه ورجع إلى بغداد فمات في شعبان قبل وصوله ، وحمل فدفن بها لثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر من وزارته . وقبض معزّ الدولة أمواله وذخائره وصارت إليه وحواشيه ، ونظر في الأمور بعده أبو الفضل العبّاس بن الحسين الشيرازي وأبو الفرج محمد بن العبّاس بن فساغس ولم يلقّب أحد منهما بوزارة .

* (وفاة معز الدولة وولاية ابنه بختيار) *

ولما رجع معزّ الدولة إلى بغداد اشتدّ مرضه فعهد بالسلطنة إلى ابنه عزّ الدولة ، وتصدّق وأعتق . وتوفي في ربيع من سنة ست وخمسين لإثنتين وعشرين سنة من سلطنته ، وولّي إبنه عز الدولة بختيار وقد كان أوصاه بطاعة عمّه ركن الدولة ، وبطاعة ابنه عضد الدولة ، لأنه كان أكبر سناً ، وأخبر بالسياسة ووصّاه بحاجبه

سبكتكين وبكاتبيه أبي الفضل العبّاس وأبي الفرج ، فخالف وصاياه وعكف على اللهو وأوحش هؤلاء ، ونفى كبار الدَيْـلَم شرها في أقطاعاتهم . وشغب عليه الأصاعد فذادهم واقتدى بهم الأتراك ، وجاء أبو الفرج محمد بن العبّاس من عمان بعد أن سلّمها إلى نوّاب عضد الدولة الذين كانوا في أمداده ، وخشي أن يؤمر بالمقام بها وينفرد أبو الفضل صاحبه بالوزارة ببغداد ، فكان كما ظنّ . ثم انتقض بالبصرة حبشيّ بن معز الدولة على أخيه بختيار سنة ست وخمسين ، فبعث الوزير أبو الفضل العبّاس فسار مورّياً بالأهواز ونزل واسِط وكتب إلى حبشي بأنه جاء ليسلمه البصرة وطلب منه المعونة على أمره فأنفذ اليه مائتي ألف درهم وأرسل الوزير خلال ذلك إلى عسكر الأهواز أن يوافوه بالأُبـلّة لموعد ضربه لهم ، فوافوه وكبسوا حبشياً بالبصرة وحبسوه بِرَامَـهُـرْمُز ونهبوا أمواله ، وكان من جملة ما أخذ له عشرة آلاف مجلّد من الكتب وبعث ركن الدولة بتخليص حبشي ابن أخيه وجعله عند عضد الدولة فأقطعه إلى أن مات سنة سبع وستين .

* (عزل أبي الفضل ووزارة ابن بقية) *

لما ولي أبو الفضل وزارة بختيار كثر ظلمه وعسفه ، وكان محمد بن بقية من حاشية بختيار ، وكان يتولّى له المطبخ . فلما كثر شغب الناس من أبي الفضل عزله بختيار سنة إثنتين وستين وولّى مكانه محمد بن بقية ، فانتشر الظلم أكثر ، وخربت النواحي وظهرت العَيّارون ووقعت الفتن بين الأتراك وبختيار ، فأصلح ابن بقية بينهم وركب سبكتكين بالأتراك إلى بختيار ، ثم أفسد بينهم وتحرّك الديلم على سبكتكين وأصحابه فأرضاهم بختيار بالمال ورجعوا عن ذلك .[1] كان ناصر الدولة بن حمدان قد قبض عليه ابنه أبو ثعلب وحبسه سنة ست وخمسين وطمع في المسير إلى بغداد ، وجاء أخوه حمدان وابراهيم فازعين إلى بختيار ومستنجدين به فشغل عنهما بما كان فيه من شأن البطيحة وعمان ، حتى إذا قضى وطره من ذلك وعزل أبا الفضل

(١) بياض بالاصل وفي الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٦٣١ : «في هذه السنة — ٣٦٣ — في ربيع الاول سار بختيار الى الموصل ليستولي عليها وعلى اعمالها وما بيد ابي تغلب بن حمدان . وكان سبب ذلك ما ذكرناه من مسير حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان واخيه ابراهيم الى بختيار ، واستجارتهما به وشكواهما إليه من اخيهما أبي تغلب ، فوعدهما ان ينصرهما ويخلّص اعمالها واموالها منه ، وينتقم لهما ، واشتغل عن ذلك بما كان منه في البطيحة وغيرها» .

الوزير واستوزر ابن بقية حمله على ذلك وأغراه به . فسار إلى الموصل ونزلها في ربيع الآخر سنة ثلاث وستين . ولحق ابو ثعلب بسنجار بأصحابه وكتّابه ودواوينه . ثم سار إلى بغداد وبعث بختيار في أثره الوزير ابن بقية وسبكتكين فدخل ابن بقية بغداد وأقام سبكتكين يحاربه في ظاهرها . ووقعت الفتنة داخل بغداد في الجانب الغربي بين أهل السنّة والشيعة . واتّفق سبكتكين وأبو ثعلب على أن يقبضا على الخليفة والوزير وأهل بختيار ، ويعود سبكتكين إلى بغداد مستولياً وأبو ثعلب إلى الموصل . ثم أقصر سبكتكين عن ذلك وتوقّف ، وجاءه الوزير ابن بقية وأرسلوا إلى أبي ثعلب في الصلح . وأن يضمن البلاد ويردّ على أخيه حمدان أقطاعه وأملاكه إلاّ ماردين . وعاد أبو ثعلب إلى الموصل ورحل بختيار . وسار سبكتكين للقائه واجتمع بختيار وأبو ثعلب على الموصل ، وطلب أبو ثعلب زوجته إبنة بختيار وأن يحطّ عنه من الضمان ويلقّب لقباً سلطانياً فأجيب إلى ذلك خشية منه ، ورحل بختيار إلى بغداد . وسرّ أهل الموصل برحيله لما نالهم منه ، وبلغه في طريقه أنّ أبا ثعلب قتل قوماً من أصحابه . وكانوا استأمنوا البختيار وزحفوا لنقل أهلهم وأموالهم فاشتدّ ذلك عليه . وكتب إلى الوزير أبي طاهر بن بقية والحاجب ابن سبكتكين يستقدمها في العساكر . فجاؤا وعادوا إلى الموصل ، وعزم على طلبه حيث سار . فأرسل أبو ثعلب في الصلح . وجاء الشريف أبو أحمد الموسوي والد الشريف الرضي وحلف على العلم في قتل أولئك المستأمنة ، وعاد الصلح والاتفاق كما كان ، ورجع بختيار إلى بغداد وبعث إبنته إلى زوجها أبي ثعلب .

* (الفتنة بين بختيار وسبكتكين والاتراك) *

كان بختيار قد قلّت عنده الأموال وكثرت مطالب الجند وشغبهم ، فكان يحاول على جمع الأموال فتوجه إلى الموصل لذلك ، ثم رجع فتوجه إلى الأهواز ليجدّد ريعه إلى مصادرة عاملها ، وتخلّف عنه سبكتكين والأتراك الذين معه ، ووقعت فتنة بين الأتراك والدَيْلَم بالأهواز واقتتلوا ولجّ الأتراك في طلب ثأرهم ، وأشار عليه أصحاب الدَيْلَم بقبض رؤساء الأتراك وقوّادهم ففعل ، وكان من جملتهم عامل الأهواز وكاتبه ، ونهبت أموالهم وبيوتهم ، ونودي في البلد باستباحتهم ، وبلغ الخبر إلى سبكتكين وهو ببغداد فنقض طاعة بختيار وركب في الأتراك وحاصر داره يومين

وأحرقها وأخذ أخويه وأمّها فبعثهم إلى واسِط في ذي القعدة سنة ثلاث وستين ، وانحدر المطيع معهم فردّه وترك الأتراك في دور الدَيْلَم ونهبوها وثارت العامة مع سبكتكين لأنّ الدَيْلَم كانوا شيعة وسفكت الدماء وأحرق الكَرْخ وظهر أهل السنّة .

* (خلع المطيع وولاية الطائع) *

كان المطيع قد أصابه الفالج وعجز عن الحركة وكان يتستّر به وانكشف حاله بسبكتكين في هذه الواقعة ، فدعاه إلى أن يخلع نفسه ويسلّم الخلافة عبد الكريم ففعل ذلك منتصف ذي القعدة سنة ثلاث وستين لستٍ وعشرين سنة ونصف من خلافته ، وبويع ابنه عبد الكريم ولقب الطائع .

* (الصوائف) *

وعادت الصوائف منذ استبدّ ناصر الدولة بن حمدان بالموصل وأعمالها ، وملك سيف الدولة أخوه مدينتي حلب وحمص سنة ثلاث وثلاثين ، فصار أمر الصوائف إليه فنذكرها في أخبار دولتهم . فقد كان لسيف الدولة فيها آثار وكان للروم في أيامه جولات حسنت فيها مدافعته . وأمّا الولايات فانقطعت منذ استيلاء معزّ الدولة على العراق ، وانقسمت الدولة الاسلامية دولاً نذكر ولايات كلّ منها في أخبارها عند انفرادها على ما شرطناه .

* (فتنة سبكتكين وموته وامارة افتكين[1]) *

لما وقع بختيار في الأتراك بالأهواز ما وقع وانتقض سبكتكين ببغداد عمد بختيار إلى مَنْ حبسه من الأتراك فأطلقهم ، وولّى منهم على الأتراك زَادَوَيْه الذي كان عامل الأهواز ، وسار إلى واسط للقائه وأخويه ، وكتب إلى عمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة يستنجدهما ، وإلى أبي ثعلب بن حمدان في المدد بنفسه ، ويسقط عنه مال الأقطاع ، وإلى عمران بن شاهين بالبطيحة كذلك ، فجهّز إليه عمّه ركن الدولة العسكر مع وزيره أبي الفتح بن العميد ، وكتب إلى ابن عمّه عضد الدولة بالمسير معه فتثاقل وتربّص بختيار طمعاً في ملك العراق . وأمّا عمران بن شاهين فدافع واعتذر

(١) ألفتكين : ابن الاثير ج ٨ ص ٦٤٨ .

بأنّ عسكره لا يفتكون في الدَيْلَم لما كان بينهم ، وأمّا أبو ثعلب فبعث أخاه أبا عبدالله الحسين في عسكر إلى تكريت . فلما سار الأتراك عن بغداد إلى واسِط لقتال بختيار وجاء هو إليها ليقيم الحجة في سقوط الأقطاع عنه ، ووجد الفتنة حامية بين العيّارين فكفّ القسامة وانتظر ما يقع ببختيار فيدخل بغداد ويملكها . ولمّا سار الأتراك إلى واسِط حملوا معهم خليفتهم الطائع لله وأباه المطيع المخلوع ، وانتهوا إلى دير العاقول فهلك المطيع وسبكتكين معاً ، وولى الأتراك عليهم أفتكين من أكابر قوّادهم ومولى معزّ الدولة ، فانتظم أمرهم وساروا إلى واسِط وحاصروا بها بختيار خمسين يوماً حتى اشتدّ عليه الحصار وهو يستحثّ عضد الدولة .

* (نكبة بختيار على يد عضد الدولة ثم عوده الى ملكه) *

لما تتابعت كتب بختيار إلى عضد الدولة باستحثاثه سار في عساكر فارس ، وجاءه أبو القاسم بن العميد وزير أبيه إلى الأهواز في عساكر الريّ وساروا إلى واسِط ، وأجفل عنها أفتكين والأتراك إلى بغداد ورجع أبو ثعلب إلى الموصل . ولما جاء عضد الدولة إلى واسِط سار إلى بغداد في الجانب الشرقي ، وسار بختيار في الجانب الغربي وحاصروا الأتراك ببغداد من جميع الجهات . وأرسل بختيار إلى ضبّة بن محمد الأسدي من أهل عين التمر وإلى أبي سنان وأبي ثعلب بن حمدان بقطع الميرة والإغارة على النواحي فغلا السعر ببغداد وثار العيّارون ووقع النهب ، وكبس أفتكين المنازل في طلب الطعام فعظم الهرج ، وخرج أفتكين والأتراك للحرب فلقيهم عضد الدولة فهزمهم وقتل أكثرهم واستباحهم ، ولحقوا بتكريت وحملوا الخليفة معهم ، ودخل عضد الدولة إلى بغداد في جمادى سنة أربع وستين . وحاول في ردّ الخليفة الطائع فردّه وأنزله بداره وركب للقائهُ الماء في يوم مشهود . ثم وضع الجند على بختيار فشغبوا عليه في طلب أرزاقهم وأشار عليه بالغلظة عليهم ، والاستعفاء من الإمارة ، وأنّه عند ذلك يتوسّط في الإصلاح فأظهر بختيار التخلّي ، وصرف الكتّاب والحجّاب ثقة بعضد الدولة ، وتردّد السفراء بينهم ثلاثاً ثم قبض عضد الدولة على بختيار وإخوته ووكّل بهم ، وجمع الناس وأعلمهم بعجز بختيار ووعدهم بحسن النظر وقام بواجبات الخلافة . وكان المرزبان بن بختيار أميراً بالبصرة فامتنع فيها على عضد الدولة ، وكتب إلى ركن الدولة يشكو ما جرى على أبيه بختيار من إبنه عضد الدولة ووزيره ابن

العميد ، فأصابه من ذلك المقيم المقعد حتى لقد طرقه المرض الذي لم يستقل منه .
وكان ابن بقية وزير بختيار قد سار إلى عضد الدولة وضمّنه واسِط وأعمالها فانتقض عليه بها ، وداخل عمران بن شاهين في الخلافة فأجابه ، وكتب إلى مهل بن بشر وزير أفتكين بالأهواز وقد كان عضد الدولة ضمّنه إياها وبعثه إليها مع جيش بختيار فاستماله ابن بقية ، وخرجت إليه جيوش عضد الدولة فهزمهم ، وكاتب أباه ركن الدولة بالأحوال ، وأوعز ركن الدولة إليه وإلى المرزبان بالبصرة على المسير بالعراق لإعادة بختيار . واضطربت النواحي على عضد الدولة لإنكار أبيه ، وانقطع عن مدد فارس وطمع فيه الأعداء ، فبعث أبا الفتح بن العميد إلى أبيه يعتذر عمّا وقع ، وأنّ بختيار عجز ولا يقدر على المملكة وأنه يضمن أعمال العراق بثلاثين ألف ألف درهم ، ويبعث بختيار وإخوته إليه لينزله بأيّ الأعمال أحب ، ويخير أباه في نزوله العراق لتدبير الخلافةِ ويعود هو إلى فارس ، وتهدد أباه بقتل بختيار وإخوته وجميع شيعهم إن لم يوافق على واحدة من هذه . فخاف ابن العميد غائلة هذه الرسالة وأشار بإرسال غيره وأن يمضي هو بعدها كالمصلح فبعث عضد الدولة غيره . فلمّا ألقى الرسالة غضب ركن الدولة ووثب إلى الرسول ليقتله ، ثم ردّه بعد أن سكن غضبه ، وحمله إلى عضد الدولة من الشتم والتقريع على ما فعله وعلى ما يطلب منه من كل صعب من القول . وجاء ابن العميد على أثر ذلك فحجبه وتهدّده ، ثم لم يزل يسترضيه بجهده واعتذر بأن قبوله لهذه الرسالة حيلة على الوصول إليه والخلاص من عضد الدولة ، وضمن له إعادة عضد الدولة إلى فارس وتقرير بختيار بالعراق ، فأجاب عضد الدولة إلى ذلك وأفرج عن بختيار وردّه إلى السلطنة على أن يكون نائباً عنه ويخطب عنه ، ويجعل أخاه أبا اسحق أمير الجيش لعجز بختيار ، وردّ عليهم ما أخذ لهم وسار إلى فارس وأمر ابن العميد أن يلحق به بعد ثلاث فتشاغل مع بختيار باللذات ووعده أن يصير إلى وزارته بعد ركن الدولة . وأرسل بختيار عن ابن بقية فقام بأمر الدولة واحتجن الأموال فاذا طولب بها دسّ للجند فشغبوا حتى تنكّر له بختيار واستوحش هو .

* (خبر افتكين) *

ولما انهزم أفتكين من عضد الدولة بالمدائن لحق بالشام ونزل قريباً من حمص ، وقصد ظالم بن موهوب أمير بني عقيل العلويّة بالشام فلم يتمكن منه ، وسار أفتكين إلى

دمشق وأميرها ريّان خادم المعز لدين الله العلويّ وقد غلب عليه الأحداث فخرج إليه مشيخة البلد وسألوه أن يملكهم ويكفّ عنهم سرّ الأحداث وظُلْم العمّال ، واعتقاد الرافضة فاستحلفهم على ذلك ودخل دمشق وخطب فيها للطائع في شعبان سنة أربع وستين . ورجع أيدي العرب من ضواحيها وفتك فيهم وكثرت جموعه وأمواله وكاتب المعزّ بمصر يداريه بالإنقياد ، فكتب يشكره ويستدعيه ليولّيه من جهته ، فلم يثق إليه فتجهّز لقصده ، ومات في طريقه سنة خمس وستين كما نذكر بقية خبره في دولتهم .

* (ملك عضد الدولة بغداد وقتل بختيار) *

ولما انصرف عضد الدولة إلى فارس كما ذكرناه أقام بها قليلاً ثم مات أبوه ركن الدولة سنة ست وستين بعد أن رضي عنه وعهد له بالملك كما نذكره في خبره . فلمّا مات شرع بختيار ووزيره ابن بقية في استمالة أهل أعماله مثل أخيه فخر الدولة وحَسْنَوَيْه الكردي وطلب ابن حمدان وعمران بن شاهين في عدوانه فسار عضد الدولة لطلب العراق واستمدّ حَسْنَوَيْه وابن حمدان فواعداه ولم يبعداه فسار إلى الأهواز ، ثم سار إلى بغداد ، ولقيه بختيار فهزمه عضد الدولة واستولى على أمواله وأثقاله ولحق بواسِط ، وحمل إليه ابن شاهين أموالاً وهدايا ودخل إليه مؤكداً للاستجارة به . ثم صعد إلى واسط ، وبعث عضد الدولة عسكراً إلى البصرة فملكوها ، وكانت مصر شيعة له دون ربيعة . وجمع بختيار ما كان له ببغداد والبصرة في واسِط وقبض على ابن بقية وأرسل عضد الدولة في الصلح واختلفت الرسائل ، وجاءه عبد الرزاق وبدر إبنا حَسْنَوَيْه في ألف فارس مدداً فانتقض وسار إلى بغداد وسار عضد الدولة إلى واسِط ثم إلى البصرة فأصلح بين ربيعة ومُضَر بعد اختلافهم مائة وعشرين سنة . ثم دخلت سنة سبع وستين فقبض عضد الدولة على أبي الفتح بن العميدي وزير أبيه وجدع أنفه وسمل إحدى عينيه لما بلغه عنه في مقامه بالفرات عند بختيار . ولما اطلع عليه من مكاتبته إيّاه فبعث إلى أخيه فخر الدولة بالريّ بالقبض عليه وعلى أهله فقبض عليه وأخذ داره بما فيها . ثم سار عضد الدولة إلى بغداد سنة سبع وستين . وبعث إلى بختيار يخيّره في الأعمال فأجاب إلى طاعته ، وأمره بانفاذ ابن بقية إليه ففقأ عينيه وأنفذه . وخرج عن بغداد بقصد الشام ، ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له بها وضرب على بابه ثلاث توتات ولم يكن شيء من ذلك لمن قبله . وأمر

بابن بقية فرمي بين الفيلة فقتلته . ولما سار بختيار إلى الشام ومعه حمدان أخو أبي ثعلب وانتهوا إلى عُكْبَرا أحسن له حمدان وقصد الموصل . وكان عضد الدولة قد استحلفه أن لا يدخل ولاية أبي ثعلب فنكث وقصدها ، وجاءته رسل أبي ثعلب بتكريت في إسلام أخيه حمدان إليه فيمدّه بنفسه ، ويعيده إلى مُلْكِهِ فقبض على حمدان وبعثه مع نوّابه فحبسه وسار أبو ثعلب إليه في عشرين ألف مقاتل[1] ، وزحفوا إلى بغداد ولقيهما عضد الدولة فهزمهما وأمر ببختيار فقتل صبراً في عدّة من أصحابه لإحدى عشرة سنة من ملكه .

* (استيلاء عضد الدولة على ملك بني حمدان) *

ثم سار عضد الدولة بعد الهزيمة ومقتل بختيار إلى الموصل فملكها منتصف ذي القعدة من سنة سبع وستين ، وكان حمل معه الميرة والعلوفات فأقام في رغد ، وبثّ السراة في طلب أبي ثعلب ، وراسله في ضمان البلاد على عادته فلم يجبه ، فسار إلى نصيبين ومعه المرزبان بن بختيار وأبو اسحق وطاهر أخو بختيار وأمّهم ، فبعث عضد الدولة عسكراً إلى جزيرة ابن عمر مع حاجبه أبي عمر لحرب طغان[2] ، وعسكراً إلى نصيبين مع أبي الوفاء طاهر بن محمد ففارقها أبو ثعلب إلى ميافارقين واتّبعه أبو الوفاء إليها فامتنعت عليه . ولحق أبو ثعلب بأردن الروم ثم بالحسنيّة من أعمال الجزيرة ، وتتبّع أبو ثعلب قلاعه وأخذ أمواله في كواشي وغيرها ، وعاد إلى ميافارقين . ثم سار عضد الدولة إليه بنفسه واستأمن إليه كثير من أصحابه ، ورجع إلى الموصل وبعث العسكر في اتباعه فدخل بلاده فصاهره وردّ الرومي المملك عليهم في غير بيت الملك ليستعين به على أمره ، واتبعه عسكر عضد الدولة فهزمهم ونجا إلى بلاد الروم لمساعدة

(١) العبارة مشوشة وغير واضحة وفي الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٦٩١ : «فسار بختيار نحو الموصل ، وكان عضد الدولة قد حلّفه أنه لا يقصد ولاية أبي تغلب بن حمدان لمودّة ومكاتبة كانت بينهما ، فنكث وقصدها ، فلما صار الى تكريت اتته رسل أبي تغلب تسأله ان يقبض على أخيه حمدان ويسلّمه إليه ، واذا فعل سار بنفسه وعساكره اليه ، وقاتل معه عضد الدولة واعاده الى ملكه بغداد ، فقبض بختيار على حمدان وسلّمه الى نواب ابي تغلب ، وسارا جميعاً نحو العراق ، وكان مع ابي تغلب نحو من عشرين ألف مقاتل» والملاحظ ان ابن خلدون يذكر ابن تغلب ابن ثعلب والثعلبي بدل التغلبي وقد اشرنا الى هذا في مكان سابق من هذا الكتاب .

(٢) هكذا بالاصل وفي الكامل ج ٨ ص ٦٩٢ : «فسيّر عضد الدولة سرية عليها حاجبه ابو حرب طغان إلى جزيرة ابن عمر» .

وردعلى شأنه لما يؤمّل من نصرته إياه . واتفق أن ورداً انهزم فيئس منه أبو ثعلب وعاد إلى بلاد الإسلام ونزل بآمد شهرين ، حتى فتح عضد الدولة جميع بلاده كما يذكر في أخبار دولتهم ، واستخلف أبا الوفاء على الموصل وعاد إلى بغداد وانقطع ملك بني حمدان عن الموصل حيناً من الدهر .

* (وفاة عضد الدولة وولاية ابنه صمصام الدولة) *

ثم توفي عضد الدولة في شوّال سنة إثنتين وسبعين لخمس سنين ونصف من ملكه ، واجتمع القوّاد والأمراء على ولاية إبنه كاليجار المرزبان وبايعوه ولقّبوه صمصام الدولة . وجاءه الطائع معزياً في أبيه ، وبعث أخويه أبا الحسين أحمد وأبا طاهر فيروز شاه فانتقض أخوهم شرف الدولة بكرمان في فارس ، وسبق إليها أخويه وملكها وأقاما بالأهواز ، وقطع خطبة صمصام الدولة أخيه وخطب لنفسه ، وتلقّب تاج الدولة . وبعث إليه صمصام الدولة عسكراً صحبة علي بن دنقش حاجب أبيه ، وبعث شرف الدولة عسكره مع الأمير أبي الأغر دفليس بن عفيف الأسدي ، والتقيا عند قرقوب ، فانهزم ابن دنقش في ربيع سنة ثلاث وسبعين وأسر واستولى أبو الحسن على الأهواز ورَامَهُرْمُز ، وطمع في الملك . ثم إنّ أسفار بن كَرْدَوَيْه من أكابر الدَيْلَم قام بدعوة شرف الدولة ببغداد سنة خمس وسبعين ، واستمال كثيراً من العسكر ، واتّفقوا على ولاية أبي نصر بن عضد الدولة نائباً عن أخيه شرف الدولة ، وراسلهم صمصام الدولة في الرجوع عن ذلك فلم يزدهم إلا تمادياً . وأجابه فولاد بن مابدرار أنفة من متابعة أسفار وقاتله فهزمه . وأخذ أبا مضلّ أسيراً وأحضره عند أخيه صمصام الدولة ، واتّهم وزيره ابن سعدان بمداخلتهم فقتله ، ومضى أسفار إلى أبي الحسين بن عضد الدولة وباقي الديلم إلى شرف الدولة . وسار شرف الدولة إلى الأهواز فملكها من يد أخيه الحسين . ثم ملك البصرة من يد أخيه أبي طاهر وراسله صمصام الدولة في الصلح فاتفقوا على الخطبة لشرف الدولة بالعراق ، وبعث إليه بالخلع والألقاب من الطائع .

* (نكبة صمصام الدولة وولاية أخيه شرف الدولة) *

لما ملك شرف الدولة من يد أخيه أبي طاهر سار إلى واسط فملكها ، وعمد صمصام الدولة إلى أخيه أبي نصر وكان محبوساً عنده فأطلقه وبعثه إلى أخيه شرف الدولة

بواسط يستعطفه به ، فلم يلتفت إليه . وجزع صمصام الدولة واستشار أصحابه في طاعة أخيه شرف الدولة فخوّفوه عاقبته ، وأشار بعضهم بالصعود إلى عُكْبَرَا ثم منها إلى الموصل وبلاد الجبل حتى يحدث من أمر الله في فتنة بين الأتراك والدَيْلَم أو غير ذلك ما يسهل العود ، وأشار بعضهم بمكاتبة عمّه فخر الدولة والمسير على طريق أصبهان فيخالف شرف الدولة إلى فارس فربمّا يقع الصلح على ذلك . فأعرض صمصام الدولة عن ذلك كله وركب البحر إلى أخيه شرف الدولة فتلقاه وأكرمه . ثم قبض عليه لأربع سنين من إمارته ، وسار إلى بغداد في شهر رمضان من سنة ست وسبعين فوصلها وأخوه صمصام الدولة في اعتقاله . واستفحل ملكه واستطال الديلم على الأتراك بكثرتهم فإنهم بلغوا خمسة عشر ألفاً ، والأتراك ثلاثة آلاف . ثم كثرت المنازعات بينهم وعضّ الدَيْلَم وقتلوا منهم وغنموا أموالهم وسار بعضهم فذهب في الأرض ، ودخل الآخرون مع شرف الدولة إلى بغداد ، وخرج الطائع لتلقّيه وهنّأه وأصلح شرف الدولة بين الفريقين ، وبعث صمصام الدولة إلى فارس فاعتقل بها واستوزر شرف الدولة أبا منصور بن صالحان .

* (ابتداء دولة باد وبني مروان بالموصل) *

قد تقدّم لنا أنّ عضد الدولة استولى على ملك بني حمدان بالموصل سنة سبع وستين ، ثم استولى على ميافارقين وآمد وسائر ديار بكر من أعمالهم ، وعلى ديار مُضَر أيضاً من أعمالهم سنة ثمان وستين وولّى عليها أبا الوفاء من قوّاده ، وذهب مَلَكُ بني حمدان من هذه النواحي وكان في ثغور ديار بكر جماعة من الأكراد الحميدية مقدّمهم أبو عبدالله الحسين بن دوشتك ، ولقبه باد وكان كثير الغزو بتلك البلاد وإخافة سُبُلِهَا . وقال ابن الأثير حدّثني بعض أصدقائنا من الأكراد الحميدية أنّ إسمه باد وكنيته أبو شجاع وأنّ الحسين هو أخوه وأنّ أوّل أمره أنه ملك أرجيش من بلاد أرمينية فقوي اهـ. ولما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده وهمّ بقبضه ، ثم سأل عنه فافتقده وكفّ عن طلبه . فلما مات عضد الدولة استفحل أمره واستولى على ميافارقين ، وكثير من ديار بكر ، ثم على نصيبين . وقال ابن الأثير : سار من أرمينية إلى ديار بكر فملك ثم ميافارقين ، وبعث صمصام الدولة إليه العساكر مع أبي سعيد بهرام بن أردشير فهزمهم وأسر جماعة منهم ، فبعث عساكر أخرى مع أبي القاسم سعيد بن الحاجب فلقيهم في بلد كَوَاشَى وهزمهم ، وقتل منهم وأسر ، ثم قتل الأسرى صبراً .ونجا سعيد إلى الموصل وباد

في اتباعه فثاربه[1] أهل الموصل نفوراً من سوء سيرة الدَيْـلَم فهرب منها ودخل باد وملك الموصل. وحدّث نفسه بالمسير إلى صمصام الدولة ببغداد وانتزاع بغداد من يد الدَيْـلَم واحتفل فيه ولقيهم باد في صفر من سنة أربع وسبعين فهزموه وملكوا الموصل. ولحق باد بديار بكر وجمع عليه عساكر. وكان بنو سيف الدولة بن حمدان بحلب قد ملكها معهم سعد الدولة إبنه بعد مهلكه، فبعث إليه صمصام الدولة أن يكفيه أمر باد على أن يسلّم إليه ديار بكر، فبعث سعد الدولة إليه جيشاً فلم يكن لهم طاقة. وزحفوا إلى حلب فبعث سعد الدولة من اغتاله في مرقده بخيمته من البادية وضربه فاعتل واشفى على الموت، وبعث إلى سعد وزياد الأميرين بالموصل فصالحها على أن تكون ديار بكر والنصف من طور عبدين لباد، ورجع زياد إلى بغداد وهو الذي جاء بعساكر الدَيْـلَم وانهزم باد أمامه. ثم توفي سعد الحاجب بالموصل سنة سبع وسبعين فتجدّد لباد الطمع في ملكها، وبعث شرف الدولة على الموصل أبا نصر خواشاذه فدخل الموصل واستمدّ العساكر والأموال فأبطأت عنه فدعا العرب من بني عَقِيل وبني نُـمَيْر وأقطعهم البلاد ليدافعوا عنها. واستولى باد على طور عبدين وأقام بالجبل، وبعث أخاه في عسكر لقتال العرب فانهزم وقتل. وبينما خواشاذه يتجهّز لقتال باد جاءه الجند بموت شرف الدولة. ثم جاء أبو إبراهيم وأبو الحسين[2] إبنا ناصر الدولة بن حمدان أميرين على الموصل من قبل بهاء الدولة، وبقيت في ملكهما إلى سنة إحدى وثمانين، فبعث بهاء الدولة عسكراً مع أبي جعفر الحجّاج بن هرمز فملكها، وزحف إليه أبو الرواد محمد بن المسيّب أمير بني عقيل فقاتله وبالغ في مدافعته واستمدّ بهاء الدولة فبعث إليه الوزير أبا القاسم عليّ بن أحمد وسار أوّل سنة إثنتين وثمانين وكتب إلى أبي جعفر بالقبض عليه بسعاية ابن المعلم، وشعر الوزير بذلك فصالح أبا الرواد ورجع ووجد بهاء الدولة قد قبض على ابن المعلّم وقتله.

* (وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة) *

ثم توفي شرف الدولة أبو الفوارس شرزيك[3] بن عضد الدولة في جمادى سنة تسع وسبعين لسنتين وثمانية أشهر من إمارته ودفن بمشهد علي بعد أن طالت علّته

(١) الضمير يعود الى سعيد.
(٢) هكذا بالاصل وفي الكامل ج ٩ ص ٦٦ : «ابو طاهر ابراهيم وأبو عبدالله الحسين».
(٣) أبو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة : ابن الاثير ج ٩ ص ٦١.

بالإستسقاء ، وبعث وهو عليل إلى أخيه صمصام الدولة بفارس فشمله ، وبعث إبنه أبا علي إلى بلاد فارس ومعه الخزائن والعدد وجملة من الأتراك . وسئل شرف الدولة في العهد فملكه وأبى أن يعهد[1] واستخلف أخاه بهاء الدولة لحفظ الأمور في حياته . فلما مات قعد في المملكة وجاء الطائع للعزاء وخلع عليه للسلطنة فأقرّ أبا منصور بن صالحان على وزارته ، وبعث أبا طاهر إبراهيم وأبا عبدالله الحسين إبني ناصر الدولة بن حمدان إلى الموصل ، وكان في خدمته شرف الدولة فاستأذنا بهاء الدولة بعد موته في الإصعاد إلى الموصل فأذن لهما . ثم ندم على ما فرّط في أمرهما وكتب إلى خواشاذه بمدافعتهما فامتنعا وجاآ ونزلا بظاهر الموصل . وثار أهل الموصل بالدَيْلَم والأتراك وخرجوا إلى بني حمدان ، وقاتلوا الدَيْـلَم فهزموهم ، وقتل الدَيْـلَم كثيراً منهم واعتصم الباقون بدار الإمارة فأخرجوهم على الأمان ولحقوا ببغداد ، وملك بنو حمدان الموصل . وكان أبو علي بن شرف الدولة لما انصرف إلى فارس بلغه موت إبنه بالبصرة ، فبعث العيال والأموال في البحر إلى أرّجان وسار هو إليها . ثم سار إلى شيراز فوافاه بها عمّه صمصام الدولة وأخوه أبو طاهر قد أطلقهما الموكّلون بهما ومعهما قولاد ، وجاؤا إلى شيراز ، واجتمع عليهم الدَيْـلَم وخرج أبو علي إلى الأتراك فاجتمعوا عليه ، وقاتل صمصام الدولة والديلم أياماً . ثم سار إلى نسا[2] فملكها وقتل الدَيْلَم بها . ثم سار إلى أرّجان وبعث الأتراك إلى شيراز لقتال صمصام الدولة فنهبوا البلد وعادوا إليه بأرّجان . ثم بعث بهاء الدولة إلى علي ابن أخيه يستقدمه ، واستمال الأتراك سرّاً فحملوا أبا علي على المسير إليه فسار في جمادى سنة ثمانين فأكرمه ثم قبض عليه وقتله . ثم وقعت الفتنة ببغداد بين الأتراك والدَيْـلَم واقتتلوا خمسة أيام . ثم راسلهم بهاء الدولة في الصلح فلم يجيبوا وقتلوا رسله فظاهر الأتراك عليهم فغلبوهم ، واشتدّت شوكة الأتراك من يومئذ وضعف أمر الدَيْـلَم وصالح بينهم على ذلك وقبض على بعض الدَيْـلَم وافترقوا .

---

(١) المعنى غير واضح والجملة مرتبكة وفي الكامل ج ٩ ص ٦٢ : « فلما أيس أصحابه منه اجتمع إليه اعيانهم وسألوه ان يملّك أحداً . فقال : انا في شغل عمّا تدعونني اليه » .

(٢) فَسَا : المرجع السابق . ج ٦٣ .

* (خروج القادر الى البطيحة) *

كان اسحق بن المقتدر لما توفي ترك إبنه أبا العبّاس أحمد الذي لقّب بالقادر ، فجرت بينه وبين أخت له منازعة في ضيعة ، ومرض الطائع مرضاً مخوفا ثم أبلّ فسعت تلك الأخت بأخيها ، وأنه طلب الخلافة في مرض الطائع فأنفذ أبا الحسين بن حاجب النعمان في جماعة للقبض عليه ، وكان بالحريم الظاهري فغلبهم النساء عليه ، وخرج من داره متستراً ثم لحق بالبطيحة ونزل على مهذب الدولة فبالغ في خدمته إلى أن أتاه بشير الخلافة .

* (فتنة صمصام الدولة) *

لما تغلّب صمصام الدولة على بلاد فارس وجاء أبو علي شرف الدولة إلى عمّه بهاء الدولة فقتله كما ذكرنا ، سار بهاء الدولة من بغداد إلى خوزستان سنة ثمانين وثلثمائة قاصداً بلاد فارس . واستخلف أبا نصر خواشاذه على بغداد ، ولما بلغ خوزستان أتاه نعي أخيه أبي طاهر فجلس للعزاء به . ثم سار إلى أرّجان فملكها وأخذ ما فيها من الأموال وكان ألف ألف دينار وثمانية آلاف درهم ، وكثيراً من الثياب والجواهر ، وشغب الجند لذلك فأطلق تلك الأموال كلّها لهم ، ثم سارت مقدّمته وعليها أبو العلاء بن الفضل إلى النوبندجان ، وبها عسكر صمصام الدولة فانهزموا وثبت أبو العلاء بن الفضل في نواحي فارس . ثم بعث صمصام الدولة عسكره وعليهم قولاد بن مابدان فهزموا أبا العلاء وعاد إلى أرّجان ، وجاءه صمصام الدولة من شيراز إلى قولاد ، ثم وقع الصلح على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وأرّجان ولبهاء الدولة خوزستان وما وراءها من ملك العراق ، وأن يكون لكل واحد منهما أقطاع في بلد صاحبه ، وتعاقدا على ذلك ، ورجع بهاء الدولة إلى بغداد فوجد الفتنة بين أهل السنّة والشيعة بجانب بغداد ، وقد كثر القتل والنهب والتخريب فأصلح ذلك . وكان قبل سيره إلى خوزستان قبض على وزيره أبي منصور بن صالحان ، واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير ، وكان الحكم والتدبير في دولته لأبي الحسين بن المعلّم .

* (خلع الطائع وبيعة القادر) *

ثم إنّ بهاء الدولة قلّت عنده الأموال وكثر شغب الجند ومطالباتهم ، وقبض على

وزيره سابور فلم يغنِ عنه ، وامتدّت عيناه إلى أموال الطائع وهمّ بالقبض عليه ، وحسَّن له ذلك أبو الحسين بن المعلّم الغالب على هواه فتقدّم إلى الطائع بالجيوش لحضوره في خدمته فجلس وجلس بهاء الدولة على كرسيّ ، ثم جاء بعض الدَيْلَم يقبّل يد الطائع فجذ به عن سريره وأخرجه ، ونهب قصور الخلافة وفشا النهب في الناس ، وحمل الطائع إلى دار بهاء الدولة فأشهد عليه بالخلع سنة إحدى وثمانين لسبع عشرة سنة وثمانية أشهر من خلافته . وأرسل بهاء الدولة خواص أصحابه إلى البُطَيْحَة ليحضروا القادر بالله أبا العبّاس أحمد ابن إسحق بن المقتدر ليبايعوه ، فجاؤا به بعد أن بايع مهذّب الدولة صاحب البطيحة في خدمته وسار بهاء الدولة وأعيان الناس لتلقّيه فتلقوّه برحيل ، ودخل دار الخلافة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان ، وخطب له صبيحتها وكانت مدّة إقامته بالبطيحة ثلاث سنين غير شهر ، ولم يخطب له بخراسان وأقاموا على بيعة الطائع فأنزله بحجرة من قصره ، ووكّل عليه من يقوم بخدمته على أتمّ الوجوه ، وأجرى أحواله على ما كان عليه في الخلافة إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين فصلّى عليه ودفنه .

* (ملك صمصام الدولة الأهواز وعودها لبهاء الدولة ثم استيلاؤه ثانيا عليها) *

قد تقدّم لنا ما وقع بين بهاء الدولة وصمصام الدولة من الصلح على أن يكون له فارس ولبهاء الدولة خورستان وما وراءها ، وذلك سنة ثمان . ولما كانت سنة ثلاث وثمانين تحيّل بهاء الدولة فبعث أبا العلاء عبدالله بن الفضل إلى الأهواز على أن يبعث إليه الجيوش مفترقة ، فاذا اجتمعت كبس بلاد فارس على حين غفلة . وشعر صمصام الدولة بذلك قبل اجتماع العساكر ، فبعث عساكره إلى خورستان ، ثم جاءت عساكر العراق والتقوا فانهزم ابو العلاء ، وحمل إلى صمصام الدولة أسيراً فاعتقله ، وبعث بهاء الدولة وزيره أبا نصر بن سابور إلى واسط يحاول له جمع المال فهرب إلى مهذّب الدولة صاحب البطيحة . ثم كثر شغب الدَيْلَم على بهاء الدولة ونهبوا دار الوزير نصر بن سابور واستعفى واستوزر أبا القاسم عليّ بن أحمد . ثم هرب وعاد سابور إلى الوزارة وأصلح الدَيْلَم ، ثم أنفذ بهاء الدولة عسكره إلى الأهواز سنة أربع وثمانين وعليهم طغان التركي ، وانتهوا إلى السوس فارتحل عنها أصحاب

صمصام الدولة وملكها طغان ، وكان أكثر أصحابه الترك وأكثر أصحاب صمصام الدولة الدَيْـلَم ومعه تميم وأسد ، فزحف إلى طغان بالأهواز ، وأسرى من تستر ليكبس الأتراك الذين مع طغان فقتل في طريقه[1] وأصبح دونهم بمرأى منهم فركبوا لقتاله وأكمنوا له ثم قاتلوه فهزموه وفتكوا في الديلم بالقتل حرباً وصبراً . وجاء الخبر إلى بهاء الدولة بواسط فسار إلى الأهواز فترك بها طغان ، ورجع ولحق صمصام الدولة بفارس فاستلحم من وجد بها من الأتراك وهرب فلّهم إلى كرمان ، واستأذنوا ملك السّند في اللحاق بأرضه فأذن لهم ، ثم ركب لتلقّيهم فقتلهم عن آخرهم . ثم جهّز صمصام الدولة عساكره إلى الأهواز مع العلاء بن الحسن وكان أفتكين بِرَامَـهُرْمَز من قِبَل بهاء الدولة مكان أبي كاليجار المرزبان بن سفهيعون[2] وجاء بهاء الدولة إلى خورستان للعلاء قائد صمصام الدولة ، وكاتبه وكاتب أفتكين وابن مكرم إلى أن قرب منهم ، وملك البلد من أيديهم وأقاموا بظاهرها ، واستمدّوا بهاء الدولة فأمدّهم بثمانين من الأتراك فقتلوهم عن آخرهم ، وسار بهاء الدولة نحو الأهواز ، ثم عاد إلى البصرة وعاد ابن مكرم إلى عسكر مكرم والعلاء والديلم في اتبّاعه إلى أن جاوزوا تستر إليه فاقتتلوا طويلاً وأصحاب بهاء الدولة من تستر إلى رَامَـهُرْمُز وهم الأتراك وأصحاب صمصام لدولة من تستر إلى أرّجان فاقتتلوا ستة أشهر ورجعوا إلى الأهواز ثم رحل الأتراك إلى واسط واتبعهم العلاء قليلاً ثم رجع وأقام بعسكر مكرم .

* (ملك صمصام الدولة البصرة) *

لما رحل بهاء الدولة إلى البصرة استأمن كثير من الدَيْـلَم الذين معه إلى العلاء نحو من أربعمائة ، فبعثهم مع قائده السكرُستان[3] الى البصرة وقاتلوا أصحاب بهاء الدولة .

(١) الظاهر من المعنى ان صمصام الدولة هو الذي قتل ولكن المقصود غير ذلك وفي الكامل ج ٩ ص ١٠٤ : « وتوجه صمصام الدولة الى الاهواز ومعه عساكر الديلم وتميم وأسد . فلما بلغ تستر وصل ليلاً ليكبس الاتراك من عسكر بهاء الدولة . فضلّ الأولاّء في الطريق . فأصبح على بعد منهم ، ورأتهم طلائع الاتراك فعادوا بالخبر ،فحذروا واجتمعوا . واصطفوا وجعل مقدّمهم واسمه طغان كميناً . فلما التقوا واقتتلوا خرج الكمين على الديلم فكانت الهزيمة . وانهزم صمصام الدولة ومن معه من الديلم . وكانوا الوفاً كثيرة . واستأمن منهم اكثر من ألفي رجل . وغنم الأتراك من اثقالهم شيئاً كثيراً » .

(٢) ابي كاليجار المرزبان بن شهفيروز : ابن الاثير ج ٩ ص ١١٢ .

(٣) لشكرستان : ابن الاثير ج ٩ ص ١٢٣ .

ومال إليهم أهل البلد ومقدّمهم أبو الحسن بن أبي جعفر العلويّ وارتاب بهم بهاء الدولة فهرب الكثير منهم إلى السكرستان وحملوه في السفن فأدخلوه البصرة . وخرج بهاء الدولة وأصحابه فكتب إلى مهذّب الدولة صاحب البطيحة يغريه بالبصرة ، فبعث إليها جيشاً مع قائده عبدالله بن مرزوق فغلب عليها السكرستان ، وملكها المهذّب الدولة ، ثم عاد السكرستان وقاتلها وكاتب مهذب الدولة بالصلح والطاعة والخطبة له بالبصرة ، وأعطى إبنه رهينة على ذلك ، فأجابه وملك البصرة وعسف بهم ، وكان يظهر طاعة صمصام الدولة وبهاء الدولة ومهذّب الدولة . ثم إنّ العلاء ابن الحسن نائب صمصام الدولة بخورستان توفيّ بعسكر مكرم فبعث مكانه أبا علي إسمعيل بن أستاذهرمز وسار الى جنديسابور فدفع عنها أصحاب بهاء الدولة وأزاح الأتراك عن ثغر خراسان جملة وعادوا إلى واسط وكاتب جماعة منهم ففزعوا إليه ، ثم زحف إليهم أبو محمد مكرم ، والأتراك وجرت بينهم وقائع ، ثم انتقض أبو عليّ إسمعيل بن أستاذهرمز ورجع إلى طاعة بهاء الدولة وهو بواسط سنة ثمان وثمانين فاستوزره ودبّر أمره واستدعاه إلى مظاهرة قائده ابن مكرم بعسكر مكرم ، فسار إليه وكانت من إسمعيل خديعة تورّط فيها بهاء الدولة واستمدّ بدر بن حَسْنَوَيْه ، فأمدّه بعض الشيء وكاد يهلك ، ثم جاءه الفرج بقتل صمصام الدولة .

* (مقتل صمصام الدولة) *

كان صمصام الدولة بن عضد الدولة مستولياً على فارس كما ذكرناه ، وكان أبو القاسم وأبو نصر إبنا بختيار محبوسين ببعض قلاع فارس ، فجرّد الموكّلين بهما في القلعة وأخرجوا عنها واجتمع إليهما من الأكراد وكان جماعة من الدَيْلَم استوحشوا من صمصام الدولة لما أسقطهم من الديوان ، فلحقوا بابني بختيار وقصدوا أرّجان وتجهّز صمصام الدولة إليهم وكان أبو علي بن استاذهرمز مقيماً بنَسَا فثاربه الجند ، وحبسه إبنا بختيار ثم نجا . وقصد صمصام الدولة القلعة التي على شيراز ليتمنع فيها إلى أن يأتيه المدد ، فلم يمكنه أن يأتيها من ذلك ، وأشار عليه باللحاق بأبي علي بن أستاذهرمز أو بالأكراد ، وجاءته منهم طائفة فخرج معهم بأمواله فنهبوه وسار إلى الرودمان على مرحلتين من شيراز . وجاء أبو النصر بن بختيار إلى شيراز فقبض صاحب الرودمان على صمصام الدولة ، وأخذه منه أبو نصر وقتله في ذي الحجّة سنة ثمان وثمانين لتسع سنين من إمارته على فارس .

* (استيلاء بهاء الدولة على فارس) *

ولما قتل صمصام الدولة وملك إبنا بختيار بلاد فارس ، كتبا إلى أبي علي بن أستاذهرمز في الأهواز بأخذ الطاعة لهما من الدَيْلَم ، ومحاربة بهاء الدولة فخافهما أبو علي بما كان من قتله أخويهما ، وأغرى الديْـلَم بطاعة بهاء الدولة . وراسله واستحلفه لهم فحلف وضمن لهم غائلة الأتراك الذين معه ، وأغراهم بثأر أخيه من إبني بختيار فدخلوا في طاعته ، وجاءه وفد من أعيانهم فاستوثقوا منه وكتبوا إلى من كان بالسوس منهم بذلك . وركب بهاء الدولة إلى نائب السوس فقاتلوه أوّلاً ثم اجتمعوا عليه وساروا إلى الأهواز ثم إلى رَامَـهُرْمُز وأرّجان ، وملكوا سائر بلاد خوزستان . وسار أبو علي ابن إسمعيل إلى شيراز وقاتلهم وتسرّب إليه أصحاب إبني بختيار فاستولى على شيراز سنة تسع وثمانين ، ولحق أبو نصر بن بختيار ببلاد الديلم وأبو القاسم ببدر بن حَسْنَوَيْه ، ثم بالبطيحة ، وكتب أبو علي إلى بهاء الدولة بالفتح فجاءه وترك شيراز وأحرق قرية الرودمان حيث قتل أخوه صمصام الدولة ، واستأصل أهلها وبعث عسكراً مع أبيْ الفتح إلى جعفر بن أستاذهرمز إلى كرمان فملكها . ولما لحق أبو القاسم بن بختيار ببلاد الديْـلَم ، كاتب من هنالك الديلم الذين بكرمان وفارس تسلمهم فأجابوه وسار إلى بلاد فارس ، واجتمع عليه كثير من الزطّ والديْـلَم والأتراك . ثم سار إلى كرمان وبها أبو جعفر بن أستاذهرمز فهزمه إلى السرجان ، ومضى ابن بختيار إلى جِيَرفْت فملكها وأكثر كرمان ، وبعث بهاء الدولة الموفّق بن علي بن اسمعيل في العساكر إلى جيرفت فاستأمن إليه من كان بها من أصحاب بختيار ، وملكها ، وتجرّد في جماعة من شجعان أصحابه لاتباع ابن بختيار فلحقه بدارين ، وقاتله فغدر به بعض أصحابه فقتله وحمل رأسه إلى الموفّق ، واستولى على بلاد كرمان وإسمعيل عليها ، وعاد إلى بهاء الدولة فتلقّاه وعظّمه واستعفى الموفّق من الخدمة فلم يعفه، ولجّ الموفق في ذلك فقبض عليه بهاء الدولة ، وكتب إلى وزيره سابور بالقبض على ذويه ، ثم قتله سنة اربع وتسعين واستعمل بهاء الدولة أبا محمد مكرماً على عمان .

* (الخبر عن وزراء بهاء الدولة) *

قد ذكرنا أنّ بهاء الدولة كان استوزر أبا نصر بن سابور بن أردشير ببغداد وقبض على وزيره أبي منصور بن صالحان قبل مسيره إلى خوزستان ، وأنّ أبا الحسن بن المعلّم

كان يدّبر دولته وذلك منذ سنة ثمانين ، فاستولى ابن المعلّم على الأمور وانصرفت إليه الوجوه ، فأساء السيرة وسعى في أبي نصر خواشاده وأبي عبدالله بن طاهر فقبضهما بهاء الدولة مرجعه من خورستان ، وشغب الجند وطلبوا تسليمه إليهم ، ولاطفهم فلم يرجعوا فقبض عليه وسلّمه إليهم فقتلوه وذلك سنة إثنتين وثمانين . ثم قبض على وزيره أبي نصر بالأهواز سنة إحدى وثمانين ، واستوزر أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف ، ثم استوزر بعده أبا القاسم علي بن أحمد وقبض عليه سنة إثنتين وثمانين لاتّهامه بمداخلة الجند في أمر ابن المعلّم ، واستوزر أبا نصر بن سابور وأبا منصور بن صالحان جميعاً . وشغب الجند على أبي نصر ونهبوا داره سنة ثلاث وثمانين فاستعفى رفيقه ابن صالحان فاستوزر أبا القاسم علي بن أحمد ، ثم هرب وعاد أبو نصر إلى الوزارة بعد أن أصلح أمور الديْلَم فاستوزر مكانه الفاضل ، وقبض عليه سنة ست وثمانين واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير فبقي شهرين ، وفرّق أموال بهاء الدولة في القوّاد ثم هرب إلى البطيحة فاستوزر بهاء الدولة مكانه عيسى بن ماسرخس .

* (ولاية العراق) *

كان بهاء الدولة منذ استولى على فارس سنة تسع وثمانين أقام بها وولّى على خورستان والعراق أبا جعفر الحجّاج بن هُرْمُز فنزل بغداد ولقبه عميد الدولة فساءت سيرته وفسدت أموال البلاد وعظمت الفتنة ببغداد بين الشيعة وأهل السنّة وتطاول الدعّار والعيّارون فعزله بهاء الدولة سنة تسعين ، وولّى مكانه أبا علي الحسن بن أستاذهرمز ، ولقبه عميد الجيوش فأحسن السيرة وحسم الفتنة ، وحمل إلى بهاء الدولة أموالاً جليلة . ثم ولّى مكانه سنة إحدى وتسعين أبا نصر سابور ، وثاربه الأتراك ببغداد فهرب منهم ووقعت الفتنة بين أهل الكَرْخ والأتراك ، وكان أهل السنّة مع الأتراك ثم مشى الأعلام بينهم في الصلح فتهادنوا .

* (انقراض دول وابتداء أخرى في النواحي) *

وفي سنة ثمانين ابتدأت دولة بني مروان بديار بكر بعد مقتل خالهم باد ، وقد مرّ ذكره . وفي سنة إثنتين وثمانين انقرضت دولة بني حمدان بالموصل وابتدئت دولة بني المسيّب من عقيب كما نذكرها . وفي سنة أربع وثمانين انقرضت دولة بني سامان من

خراسان وابتدئت دولة بني سبكتكين فيها . وفي سنة تسع وثمانين انقرضت دولة بني سامان مما وراء النهر وانقسمت بنو سبكتكين وملك الخاقان ملك الترك . وفي سنة ثمان وثمانين ابتدئت دولة بني حَسْنَوَيْه الأكراد بخراسان . وفي سنة تسع وتسعين كان ابتداء دولة بني صالح بن مرداس من بني كلاب بحلب كما نستوفي سياقة أخبارهم في دولهم منفردة كما شرطناه .

* (ظهور بني مَزْيَد) *

وفي سنة سبع وثمانين خرج أبو الحسن عليّ بن مَزْيَد في قومه بني أسد ونقض طاعة بهاء الدولة ، فبعث إليه العساكر فهرب أمامهم وأبعد حتى امتنع عليهم . ثم بعث في الصلح والاستقامة ، وراجع الطاعة . ثم رجع إلى انتقاضه سنة إثنتين وتسعين . واجتمع مع قرواش بن المقلّد صاحب الموصل وقومه بني عقيل فحاصروا المدائن . ثم بعث إليهم أبو جعفر الحجّاج وهو نائب بغداد العساكر فدفعوهم عنها . وخرج الحجّاج واستنجد خفاجة فجاء من الشام وقاتل بني عقيل وبني أسد فهزموه . ثم خرج إليهم ولقيهم بنواحي الكوفة فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والأسر . واستباح ملك بني مَزْيَد وظهر في بغداد في مغيب أبي جعفر من الفتنة والفساد والقتل والنهب مالا يحصى فكان ذلك السبب في أن بعث بهاء الدولة أبا علي بن جعفر أستاذهرمز كما مرّ . ولقيه عميد الجيوش فسكن الفتنة وأمّن الناس . ولما عزل أبو جعفر أقام بنواحي الكوفة وارتاب به أبو عليّ فجمع الديْلَم والأتراك وخفاجة . وسار إليه واقتتلوا بالنعمانية وذلك سنة ثلاث وتسعين ، فانهزم أبو جعفر وسار أبو عليّ إلى خوزستان ، ثم إلى السوس ، فعاد أبو جعفر إلى الكوفة ورجع أبو علي في اتباعه فلم تزل الفتنة بينهما ، وكلّ واحد منهما يستنجد ببني عقيل وبني أسد وخفاجة ، حتى أرسل بهاء الدولة عن أبي علي وبعثه إلى البطيحة لفتنة بني واصل كما نذكره في دولتهم . ولما كانت سنة سبع وتسعين جمع أبو جعفر وسار لحصار بغداد وأمدّه ابن حَسْنَوَيْه أمير الأكراد ، وذلك أنّ عميد الجيوش ولّى على طريق خراسان أبا الفضل بن عنّان ، وكان عدوّا لبدر بن حسنويه فارتاب لذلك ، واستدعى أبا جعفر وجمع له جموعاً من أمراء الأكراد منهم هندي بن سعد وأبو عيسى شادي بن محمد ، ورزام بن محمد وكان أبو الحسن عليّ بن مزيد الأسدي انصرف عن بهاء الدولة مغاضباً له ، فسار معهم وكانوا

عشرة آلاف وحاصروا بغداد وبها أبو الفتح بن عنّان شهراً . ثم جاءهم الخبر بانهزام ابن واصل بالبطيحة الذي سار عميد الجيوش إليه فافترقوا ، وعاد ابن مَزْيَد إلى بلده وسار أبو جعفر إلى حُلْوَان وأرسل بهاء الدولة في الطاعة وحضر عنده بتستر فأعرض عنه رغباً لعميد الجيوش .

* (فتنة بني مزيد وبني دبيس) *

كان أبو الغنائم محمد بن مَزْيَد مقيماً عند أصهاره بني دبيس في جزيرتهم بخوزستان ، فقتل أبو الغنائم بعض رجالاتهم ولحق بأخيه أبي الحسن ، فانحدر أبو الحسن إليهم في ألفي فارس ، واستمدّ عميد الجيوش فأمدّه بعسكر من الدَيْلَم ولقيهم فانهزم أبو الحسن ، وقتل أخوه أبو الغنائم .

* (ظهور دعوة العلوية بالكوفة والموصل) *

وفي أوّل المائة الخامسة خطب قرواش بن المقلّد أمير بني عقيل لصاحب مصر الحاكم العلوي في جميع أعماله : وهي الموصل والأنبار والمدائن والكوفة ، فبعث القادر القاضي أبا بكر الباقلاني إلى بهاء الدولة يعرّفه فأكرمه ، وكتب إلى عميد الجيوش بمحاورة قرواش ، وأطلق له مائة ألف دينار يستعين بها . وسار عميد الجيوش لذلك فراجع قراوش الطاعة وقطع خطبة القلويين ، وكان ذلك داعياً في كتابه المحضر بالطعن في نسب العلويّة بمِصْر ، شهد فيه الرَضي والمُرْتَضَى وابن البطحاوي وابن الأزرق والزكي وأبو يعلى عمر بن محمد ، ومن العلماء والقضاة ابن الأكفاني وابن الجزري وأبو العبّاس الأبي وردي وأبو حامد الأسفرايني والكستلي والقدوري والصهيري وأبو عبدالله البيضاوي وأبو الفضل النَسَوِيّ وأبو عبدالله النعمان فقيه الشيعة . ثم كتب ببغداد محضر آخر بمثل ذلك سنة أربع وأربعين وزيد فيه انتسابهم إلى الديصانية من المجوس وبني القدّاح من اليهود ، وكتب فيه العلويّة والعبّاسيّة والفقهاء والقضاة وعملت به نسخ وبعث بها إلى البلاد .

* (وفاة عميد الجيوش وولاية فخر الملك) *

كان عميد الجيوش أبو علي بن أبي جعفر أستاذهرمز وكان أبو جعفر هذا من حجّاب عضد الدولة ، وجعل إبنه أبا عليّ في خدمة ابن صمصام الدولة ، فلما قتل رجع إلى

خدمة بهاء الدولة . ولما استولى الخراب على بغداد وظهر العيّارون بعثه بهاء الدولة عليها فأصلحها وقمع المفسدين . ومات لثمان سنين ونصف من ولايته إلى أوّل المائة الخامسة . وولّى بهاء الدولة مكانه بالعراق فخر الملك أبا غالب . فوصل بغداد وأحسن السياسة واستقامت الأمور به . واتفق لأوّل قدومه وفاة أبي الفتح محمد بن عنّان صاحب طريق خراسان بحُلوان لعشرين سنة من إمارته . وكان كثير الأجلاب على بغداد . فلما توفي ولّى ابنه أبو الشوك وقام مقامه فبعث فخر الملك العساكر لقتاله فهزموه إلى حُلوان . ثم راجع الطاعة وأصلح حاله .

* (مقتل فخر الملك وولاية ابن سهلان) *

كان فخر الملك أبو غالب من أعظم وزراء بني بويه . وولّيَ نيابة بغداد لسلطان الدولة خمس سنين وأربعة أشهر . ثم قبض عليه وقتله في ربيع سنة ست وأربعمائة . وولّى مكانه أبا محمد الحسن بن سهلان ولقبه عميد أصحاب الجيوش . وسار سنة تسع إلى بغداد وجرد من الطريق مع طراد بن دشير الأسديّ في طلب مهارش ومضر إبني دشير . وكان مُضَر قد قبض عليه قديماً بأمر فخر الملك . فأراد أن يأخذ جزيرة بني أسد منه ويوليّها طراداً . فساروا عن المدار واتّبعهم ولحق الحسن بن دبيس آخرهم فأوقع به واستباحه . ثم استأمن له مُضَر ومهارش فأمّنهما وأشرك معهما طراداً في الجزيرة . ورجع وأنكر عليه سلطان الدولة فعله . ووصل إلى واسط والفتنة قائمة فأصلحها . ثم بلغه اشتداد الفتن ببغداد فسار وأصلحها وكان أمر الدَيْلَم قد ضعف ببغداد وخرجوا إلى واسط .

* (الفتنة بين سلطان الدولة وأخيه أبي الفوارس) *

قد ذكرنا ان سلطان الدولة لما ملك بعد أبيه بهاء الدولة ولّى أخاه أبا الفوارس على كرمان . فلما سار إليها اجتمع إليه الدَيْلَم وحملوه على الانتقاض وانتزاع المُلْك من يد أخيه . فسار سنة ثمان إلى شيراز . ثم سار منها ولقيه سلطان الدولة فهزمه وعاد إلى كرْمَان . واتبعه سلطان الدولة فخرج هاربا من كرمان . ولحق محمود بن سبكتكين مستنجداً به فأكرمه وأمدّه بالعساكر . وعليهم أبو سعيد الطائي من أعيان قوّاده . فسار إلى كرمان وملكها . ثم إلى شيراز كذلك . وعاد سلطان الدولة لحربه فهزمه وأخرجه

من بلاد فارس إلى كَرْمَان ، وبعث الجيوش في أثره فانتزعوا كرمان منه . ولحق بشمس الدولة بن فخر الدولة بن بُوَيْه صاحب هَمَذَان ، وترك ابن سبكتكين لأنه أساء معاملة قائده أبي سعيد الطائي . ثم فارق شمس الدولة إلى مهذّب الدولة صاحب البطيحة فأكرمه ، وبعث إليه أخوه جلال الدولة من البصرة مالاً وثياباً وعرض عليه المسير إليه فأبى وأرسل أخاه سلطان الدولة في المراجعة وأعاده إلى ولاية كرمان ، وقبض سلطان الدولة سنة تسع على وزير بن فانجس وإخوته ، وولّى مكانه أبا غالب الحسن بن منصور.

* (خروج الترك من الصين) *

وفي سنة ثمان وأربعين خرجت من المفازة التي بين الصين وما وراء النهر أمّم عظيمة من الترك تزيد على ثلثمائة ألف خيمة ويسمّون الخيمة (جذكان) ، ويتخذّونها من الجلود . وكان معظمهم من الخطا قد ظهروا في ملك تركستان ، فمرض ملكها طغان فساروا إليها وعاثوا فيها . ثم أبلّ طغان واستنفر المسلمين من جميع النواحي وسار إليهم في مائة وعشرين ألفاً فهزموا أمامه واتّبعهم مسيرة ثلاثة أشهر ، ثم كبسهم فقتل منهم نحواً من مائتي ألف وأسر مائة ألف ، وغنم من الدواب والبيوت وأواني الذهب والفضّة من معمول الصين ما لا يعبّر عنه .

• (ملك مشرف الدولة وغلبه على سلطان الدولة) *

لم يزل سلطان الدولة ثابت القدم في ملكه بالعراق إلى سنة إحدى عشرة وأربعمائة فشغب عليه الجند ونادوا بشعار أخيه مشرف الدولة فأشير عليه بحبسه فعفّ عن ذلك وأراد الإنحدار إلى واسط فطلبه الجند في الاستخلاف فاستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق ، وسار إلى الأهواز ، فلمّا بلغ تستر استوزر سهْلان ، وقد كان اتفق مع أخيه/ مشرف الدولة الوزير ابن سهلان أن لا يستوزره ، فاستوحش لذلك مشرف الدولة ، وبعث سلطان الدولة الوزير ابن سهلان لِيُخْرِجه من العراق فجمع أتراك واسِط وأبا الأغر دبيس بن عليّ بن مَزْيَد ، ولقي ابن سهلان عند واسط فهزمه وحاصره بها حتى اشتدّ حصاره ، وجهده الحصار فصالحه ونزل عن واسِط فملكها في ذي الحجّة من سنة إحدى عشرة . وسار الدَيْلَم الذين بواسِط في خدمته ، وسار أخوه جلال الدولة أبو طاهر صاحب البصرة إلى وفاقه وخطب له ببغداد ، وقبض على ابن

سهلان وكحّله . وسار سلطان الدولة إلى أرّجان ثم رجع إلى الأهواز وثار عليه الأتراك الذين هنالك ، ودعوا بشعار مشرف الدولة ، وخرجوا إلى السابلة فأفسدوها ، وعاد مشرف الدولة إلى بغداد فخطب له بها سنة إثنتي عشرة ، وطلب منه الدَّيْلَم أن ينحدروا إلى بيوتهم بخوزستان فبعث معهم وزيره أبا غالب ، فلمّا وصلوا إلى الأهواز انتقضوا ونادوا بشعار سلطان الدولة ، وقتلوا أبا غالب لسنة ونصف من وزارته . ولحق الأتراك الذين كانوا معه بطراد بن دبيس بالجزيرة . وبلغ سلطان الدولة قتل أبي غالب وافتراق الديلم فأنفذ إبنه أبا كاليجار إلى الاهواز وملكها . ثم وقع الصلح بينهما على يد أبي محمد بن أبي مكرم ومؤيد الملك الرخّجِي على أن تكون العراق لمشرف الدولة وفارس وكرمان لسلطان الدولة واستوزر مشرف الدولة أبا الحسين بن الحسن الرخّجي ولقّبه مؤيد الملك بعد قتل أبي غالب ومصادرة إبنه أبي العبّاس . ثم قبض عليه سنة أربع عشرة بعد حول من وزارته بسعاية الأثير الخادم فيه واستوزر مكانه أبا القاسم الحسين بن عليّ بن الحسين المغربي ، كان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان ، وهرب إلى مِصْرَ وخدم الحاكم فقتله وهرب ابنه أبو القاسم هذا إلى الشام ، وحمل حسّان بن الفرج الجرّاح الطائي على نقض طاعة الحاكم والبيعة لأبي الفتوح الحسن بن جعفر العلويّ أمير مكة ، فاستقدمه إلى الرَمْلَة وبايعه . ثم خلفه وعاد إلى مكة وقصد أبو القاسم العراق ، واتصل بالوزير فخر الملك وأمره القادر بإبعاده ، فلحق بقرواش أمير الموصل ، وكتب له ثم عاد إلى العراق وتنقّلت به الحال إلى أن وزر بعد مؤيد الملك الرخّجي ، وكان خبيثاً محتالاً حسوداً . ثم قدم مشرف الدولة إلى بغداد سنة أربع عشرة ولقيه القادر ولم يلق أحداً قبله .

* (الخبر عن وحشة الأكراد وفتنة الكوفة) *

كان الأثير عنبر الخادم مستولياً في دولة مشرف الدولة الوزير أبي القاسم المغربي عديله في حملهما فنقم الأتراك عليهما ، وطلب من مشرف الدولة الخراج [١] من بغداد خوفاً على أنفسهما ، فخرج معهما غضباً على الأتراك ، ونزلوا على قرواش بالسِّنْدِيَّة . واستعظم الأتراك ذلك ، وبعثوا بالإعتذار والرغبة . وقال أبو

(١) مقتضى السياق : الخروج من بغداد .

القاسم المغربي دَخَل بغداد إنما هو أربعمائة ألف وخرجها ستمائة فاتركوا مائة واحتمل مائة فأجابوه إلى ذلك خداعاً . وشعر بوصولهم فهرب لعشرة أشهر من وزارته . ثم كانت فتنة بالكوفة بين العلويّة والعبّاسيّة . وكان لأبي القاسم المغربي صهر وصداقة في العلويّة فاستعدى العبّاسيون المغربيّ عليهم فلم يُعِدْهُم[1] لمكان المغربي . وأمرهم بالصلح فرجعوا إلى الكوفة . واستمدّ كلّ واحدٍ منهم خفاجة فأمدوهم وافترقوا عليهم . واقتتل العلويّة والعبّاسيّة فغلبهم العلويّة ولحقوا ببغداد . ومنعوا الخطبة يوم الجمعة . وقتلوا بعض قرابة العلويّة الذين بالكوفة . فعهد القادر للمرتضى أن يصرف أبا الحسن عليّ بن أبي طالب إبنُ عمر عن نقابة الكوفة . ويردّها إلى المختار صاحب العبّاسيّة . وبلغ ذلك المغربيّ عند قرواش بسرّ من رأى فشرع في إرغام القادر . وبعث القادر إلى قرواش يطرده فلحق بابن مروان في ديار بكر .

* (وفاة مشرف الدولة وولاية أخيه جلال الدولة) *

ثم توفي مشرف الدولة أبو عليّ بن بهاء الدولة سنة ست عشرة في ربيع لخمس سنين من ملكه ، وولّى مكانه بالعراق أخوه أبو طاهر جلال الدولة صاحب البصرة ، وخطب له ببغداد ، واستقدم فبلغ واسِط ثم عاد إلى البصرة فقطعت خطبته ، وخطب ببغداد في شوّال لإبن أخيه أبي كاليجار بن سلطان الدولة ، وهو بخوزستان يحارب عمّه أبا الفوارس صاحب كرمان . وسمع جلال الدولة بذلك فبادر إلى بغداد ومعه وزيره أبو سعد ابن ماكولا . ولقيه عسكرها فردّوه أقبح ردّ ونهبوا خزائنه فعاد إلى البصرة ، واستحثوا أبا كاليجار فتباطأ لشغله بحرب عمّه ، وسار إلى كَرْمَان لقتال عمّه فملكها واعتصم عمّه بالجبال . ثم تراسلا واصطلحا على أن تبقى كَرْمَان لأبي الفوارس وتكون بلاد فارس لأبي كاليجار .

* (قدوم جلال الدولة إلى بغداد) *

ولما رأى الأتراك اختلال الأحوال وضعف الدولة بفتنة العامّة وتسلط العرب والأكراد بحصار بغداد ، وطمعهم فيها وأنّهم بقوا فوضى ، وندموا على ما كان منهم في ردّ جلال الدولة ، اجتمعوا إلى الخليفة يرغبون إلى ان يحضر جلال الدولة من البصرة

---

(١) أي لم يغيثهم

ليقيم أمر الدولة فبعث إليه القاضي أبا جعفر السمناني بالعهد عليه . وعلى القوّاد فسار جلال الدولة إلى بغداد في جمادى من سنة ثمان عشرة . وركب الخليفة في الطيار لتلقّيه فدخل ونزل التجيبي وأمر بضرب الطبل في أوقات الصلوات . ومنعه الخليفة من ذلك فقطعه مغاضباً . ثم أذن له الخليفة فيه فأعاده . وأرسل مؤيد الملك أبا علي الرخّجي إلى الأثير عنبر الخادم عند قرواش يستدعيه يعتذر عن الأتراك . ثم شغب الأتراك عليه سنة تسع عشرة وحاصروه بداره وطلبوا من الوزير أبي علي بن ماكولا أرزاقهم . ونهبوا دوره ودور الكتّاب والحواشي . وبعث القادر من أصلح بينهم وبينه فسكن شغبهم . ثم خالفوا أبا كاليجار بن سلطان الدولة إلى البصرة فملكها . ثم ملك كرْمَان بعد وفاة صاحبها قوام الدولة أبي الفوارس بن بهاء الدولة كما نذكر في أخبارهم في دولتهم عند إفرادها بالذكر فنستوفي أخبارهم ودول سائر بني بويه وبني وشمكير وبني المرزبان وغيرهم من الديلم في النواحي .

* (مسير جلال الدولة إلى الاهواز) *

كان نور الدولة دبيس بن عليّ بن مَزْيَد صاحب الحلّة ، ولم تكن الحلّة يومئذ بمدينة ، قد خطب لأبي كاليجار لمضايقة المقلّد بن أبي الأغر الحسَن بن مَزْيَد وجمع عليه منيعاً أمير بني خفاجة وعساكر بغداد ، فخطب هو لأبي كاليجار واستدعاه لمُلْك واسط وبها الملك العزيز ابن جلال الدولة فلحق بالنعمانية وتركها. وضيّق عليه نور الدولة من كل جهّة فتفرق ناس من أصحابه وهلك الكثير من أثقاله واستولى أبو كاليجار على واسط ثم خطب له في البطيحة وأرسل إلى قرواش صاحب الموصل وعنده الأثير عنبر يستدعيهما إلى بغداد ، فانحدر عنبر إلى الكحيل ومات به . وقعد قرواش وجمع جلال الدولة عساكره ببغداد ، واستمدّ أبا الشوك وغيره ، وانحدر إلى واسط وأقام هنالك من غير قتال ، وضاقت عليه الأحوال . واعتزم أبو كاليجار على مخالفتهَ إلى بغداد ، وجاءه كتاب أبي الشوك بزحف عساكر محمود بن سبكتكين إلى العراق ،ويشير بالصلح والاجتماع لمدافعتهم ، فأنفذ أبو كاليجار الكتاب لجلال الدولة فلم ينته عن قصده ، ودخل الأهواز فنهبها ، وأخذ من دار الإمارة مائتي ألف دينار ، واستباح العرب والأكراد سائر البلد وحمل حريم كاليجار إلى بغداد سبياً فماتت أمه في الطريق . وسار أبو كاليجار لاعتراض جلال الدولة وتخلّف عنه دبيس

لدفع خفاجة عن أصحابه . واقتتلوا في ربيع سنة إحدى وعشرين ثلاثة أيام فانهزم أبو كاليجار . وقتل من أصحابه ألفان . ودبيس لما فارق أبا كاليجار وصل الى بلده وجمع إليه جماعة من قومه . وكانوا منتقضين عليه بالجامعين فأوقع بهم وحبس منهم وردّهم إلى وفاقه . ثم لقي المقلّد بن أبي الأغر وعساكر جلال الدولة فانهزم أمامهم وأسر جماعة من أصحابه . وسار منهزماً إلى أبي سنان غريب بن مكين فأصلح حاله مع جلال الدولة وأعاده إلى ولايته على ضمان عشرة آلاف دينار . وسمع بذلك المقلّد فجمع خفاجة ونهبوا النيل وسورا وأحرقوا منازلها . ثم عبر المقلّد إلى أبي الشوك فأصلح أمره مع جلال الدولة . ثم بعث جلال الدولة سنة إحدى وعشرين عسكره إلى المدار فملكها من يد أصحاب أبي كاليجار . واستباحوها . وبعث أبو كاليجار عسكره لمدافعتهم فهزموهم وثار أهل البلد بهم فقتلوهم . ولحق من نجا منهم بواسط وعادت المدار إلى أبي كاليجار .

* (استيلاء جلال الدولة على البصرة ثانيا وانتزاعها منه) *

لما استولى جلال الدولة على واسط نزل بها ولده وبعث وزيره أبا عليّ بن ماكولا إلى البطائح فملكها . ثم بعثه إلى البصرة وبها أبو منصور بختيار بن عليّ من قبل أبي كاليجار . فسار في السفن وعليهم أبو عبدالله الشرابي صاحب البطيحة فلقى بختيار وهزمه . ثم سار الوزير أبو عليّ في أثره في السفن فهزمه بختيار . وسيق إليه أسيراً فأكرمه وبعثه إلى أبي كاليجار فأقام عنده . وقتله غلمانه خوفاً منه لقبيح منهم اطلع عليه . وكان قد أحدث في ولايته رسوماً جائرة ومكوساً فاضحة . ولما أصيب الوزير أبو علي بعث جلال الدولة من كان عنده من جند البصرة فقاتلوا عسكر أبي كاليجار ، وهزموهم وملكوا البصرة ونجا من كان بها إلى أبي منصور بختيار بالأُبلّة . وبعث السفن لقتال مَنْ بالبصرة فظفر بهم أصحاب جلال الدولة فسار بختيار بنفسه وقاتلهم ، وانهزم وقتل وأخذ كثير من السفهاء . وعزم الأتراك بالبصرة على المسير إلى الأُبلّة وطلبوا المال من العامل فاختلفوا وتنازعوا وافترقوا ، ورجع صاحب البطيحة . واستأمن آخرون إلى أبي الفرج ابن مسافجس وزير أبي كليجار . وجاء إلى البصرة فملكها . ثم توفي بختيار نائب الملك أبي **كاليجار** في البصرة ، وقام بعده صهره أبو القاسم بطاعة أبي كاليجار في البصرة . ثم استوحش وانتقض وبعث بالطاعة لجلال

الدولة وخطب له ، وبعث إلى ابنه العزيز بواسط يستدعيه فسار إليه وأخرج عساكر أبي كاليجار وأقام معه إلى سنة خمس وعشرين والحكم لأبي القاسم . ثم أغراه الدَيْلَم به وأنه يتغلّب عليهم ، فأخرجه العزيز وامتنع بالأُبـلّة وحاربهم أياماً ، وأخرج العزيز عن البصرة ، ولحق بواسط وعاد أبو القاسم إلى طاعة أبي كاليجار .

* (وفاة القادر ونصب القائم) *

ثم توفي القادر بالله سنة إثنتين وعشرين وأربعمائة لإحدى وعشرين سنة وأربعة أشهر من خلافته ، وكانت الخلافة قبلها قد ذهب رونقها بجسارة الدَيْلَم والأتراك عليها ، فأعاد إليها أبهتها وجدّد ناموسها ، وكان له في قلوب الناس هيبة . ولما توفي نصّب للخلافة ابنه أبو جعفر عبدالله ، وقد كان أبوه بايع له بالعهد في السنة قبلها لمرض طرقه وأرجف الناس بموته ، فبويع الآن واستقرّت له الخلافة ولقّب القائم بأمر الله . وأوّل من بايعه الشريف المرتضى . وبعث القاضي أبا الحسن الماوردي إلى أبي كاليجار ليأخذ عليه البيعة ويخطب له في بلاده . فأجاب وبعث بالهدايا . ووقعت لأوّل بيعته فتنة بين أهل السنّة والشيعة ، وعَظُم الهرج والنهب والقتل وخربت فيها أسواق وقتل كثير من جباة المكوس . وأصيب أهل الكَرْخ وتطرّق الدعّار إلى كبس المنازل ليلاً ، وتنادى الجند بكراهية جلال الدولة وقطع خطبته . ولم يجبهم القائم إلى ذلك وفرّق جلال الدولة فيهم الأموال فسكنوا ، وقعد في بيته وأخرج دوابه من الأصطبل وأطلقها بغير سائس ولا حافظ لقلّة العلف . وطلب الأتراك منه أن يحملهم في كل وقت فأطلقها ، وكانت خمسة عشر وفقد الجاري فطرد الطواشي والحواشي والأتباع وأغلق باب داره والفتنة تتزايد إلى آخر السنة .

* (وثوب الجند بجلال الدولة وخروجه من بغداد) *

ثم جاء الأتراك سنة ست وعشرين إلى جلال الدولة فنهبوا داره وكتبه ودواوينه ، وطلبوا الوزير أبا إسحق السِهَيْليّ فهرب إلى حلّة غريب بن مكين ، وخرج جلال الدولة إلى عُكَبَراً وخطبوا ببغداد لأبي كاليجار وهو بالاهواز واستقدموه فأشار عليه بعض أصحابه بالامتناع فاعتذر إليهم فأعادوا لجلال الدولة . وساروا إليه معتذرين وأعادوه بعد ثلاثة وأربعين يوماً واستوزر أبا القاسم بن ماكولا ، ثم عزله واستوزر

عميد الملك أبا سعيد عبد الرحيم . ثم أمره بمصادرة أبي المعمّر بن الحسين البساسيري فاعتقله في داره ، وجاء الأتراك لمنعه فضربوا الوزير ومزّقوا ثيابه وأدموه . وركب جلال الدولة فأطفأ الفتنة وأخذ من البساسيري ألف دينار وأطلقه ، واختفى الوزير .
ثم شغب الجند ثانياً في رمضان وأنكروا تقديم الوزير أبي القاسم من غير علمهم وأنه يريد التعرّض لأموالهم فوثبوا به ونهبوا داره وأخرجوه إلى مسجد هنالك فوكّلوا به فوثب العامّة مع بعض القوّاد من أصحابه فأطلقوه وأعادوه إلى داره . وذهب هو في الليل إلى الكُرُخ بحرمه ووزيره أبو القاسم معه . واختلف الجند في أمره وأرسلوا إليه بأن يملّكوا بعض أولاده الأصاغر ، وينحدر هو إلى واسط ، وهو في خلال ذلك يستميلهم حتى فرّق جماعتهم ، وجاء الكثير إليه فأعادوه إلى داره ، واستخلف البساسيري في جماعة للجانب الغربي سنة خمس وعشرين لاشتداد أمر العيّارين ببغداد ، وكثرة الهرج وكفايته هو ونهضته[1] . ثم عاد أمر الخلافة والسلطنة إلى أن اضمحل وتلاشى ، وخرج بعض الجند إلى قرية فلقيهم أكراد وأخذوا دوابهم وجاؤا إلى بستان القائم فتعلّلوا على عمّاله بأنهم لم يدفعوا عنهم ، ونهبوا ثمرة البستان ، وعجز جلال الدولة عن عتاب الأكراد وعقاب الجند ، وسخط القائم أمره وتقدّم إلى القضاة والشهود والفقهاء بتعطيل المراتب الدينية ، فرغب جلال الدولة من الجند أن يحملهم إلى ديوان الخلافة فحملوا وأطلقوا ، وعَظُم أمر العيّارين وصاروا في حماية الجند وانتشر العرب في النواحي فنهبوها وأفسدوا السابلة ، وبلغوا جامع المنصور من البلد ، وسلبوا النساء في المقبرة .
ولحق الوزير أبو سعيد وزير جلال الدولة بابي الشّوك مفارقاً للوزارة ، ووزر بعده أبا القاسم فكثرت مطالبات الجند عليه فهرب وأخذه الجند وجاؤوا به الى دار الملك حاسراً عارياً إلاّ من قميص خَلِق ، وذلك لشهرين من وزارته ، وعاد سعيد بن عبد الرحيم إلى الوزارة . ثم ثار الجند سنة سبع وعشرين بجلال الدولة وأخرجوه من بغداد بعد ان استمهلهم ثلاثاً فأبوا ورموه بالحجارة فأصابوه ، ومضى الى دار المرتضى بالكرخ . وسار منها إلى رافع بن الحسين بن مكن بتكريت ، ونهب الأتراك داره ، وقلعوا أبوابها ، ثم أصلح القائم شأنه مع الجند ، وأعاده وقبض على وزيره أبي سعيد

(١) هكذا بالأصل والعبارة غير واضحة وغير مفهومة وفي الكامل لابن الاثير ج ٩ ص ٤٣٧ : « وفيها استخلف البساسيري في حماية الجانب الغربي ببغداد لأن العيارين اشتد امرهم وعظم فسادهم ، وعجز عنهم نواب السلطان ، فاستعملوا البساسيري لكفايته ونهضته . »

ابن عبد الرحيم ، وهي وزارته السادسة . وفي هذه السنة نهى القائم عن التعامل بالدنانير المُعِزِّيَّة ، وتقدّم إلى الشهود أن لا يذكروها في كتب التعامل .

* (الصلح بين جلال الدولة وأبي كاليجار) *

ترددت الرسل سنة ثمان وعشرين بين جلال الدولة وابن أخيه أبي كاليجار حتى انعقد بينهما الصلح على يد القاضي أبي الحسن الماوردي وأبي عبدالله المردوسي ، واستحلف كل واحد منهما للآخر ، وأظهر جلال الدولة سنة تسع وعشرين من القائم الخطاب بملك الملوك فردّ ذلك الى الفتيا ، وأجازه القاضي أبو الطيّب الطَبَرِيّ ، والقاضي أبو عبدالله الصهيري ، والقاضي ابن البيضاوي وأبو القاسم الكرخي ، ومنع منه القاضي أبو الحسن الماوردي وردّ عليهم فأخذ بفتواهم ، وخطب له بملك الملوك . وكان الماوردي من أخصّ الناس بجلال الدولة ، وكان يتردّد إليه . ثم انقطع عنه بهذه الفتيا ، ولزم بيته من رمضان الى النحر فاستدعاه جلال الدولة وحضر خائفاً ، وشكره على القول بالحق ، وعدم المحاباة ، وقد عدت إلى ما تحب فشكره ودعا له ، وأذن للحاضرين بالانصراف معه ، وكان الاذن لهم تبعاً له .

* (استيلاء ابي كاليجار على البصرة) *

وفي سنة إحدى وثلاثين بعث ابو كاليجار عساكره الى البصرة مع العادل أبي منصور ابن مافنّة ، وكانت في ولاية الظهير أبي القاسم بن [1] وليها بعد بختيار ، انتقض عليه مرّة ثم عاد ، وكان يحمل إلى أبي كاليجار كل سنة سبعين ألف دينار ، وكثرت أمواله ودامت دولته . ثم تعرّض ملا الحسين بن ابي القاسم بن مكرم صاحب عُمان فكاتب ابا كاليجار وضمن البصرة بزيادة ثلاثين ألف دينار ، وبعث ابو كاليجار العساكر مع ابن مسافيه[2] كما ذكرنا . وجاء المدد من عمان إلى البصرة ، وملكوها وقبض على الظهير أبي القاسم ، وأُخذت أمواله وصُودر على مائتي ألف دينار فأعطاها ، وجاء الملك أبو كاليجار البصرة فأقام بها أياماً وولّى فيها ابنه عزّ الملوك ومعه الوزير أبو الفرج بن فسانجس ، ثم عاد الى الاهواز وحمل معه الظهير .

---

(١) بياض بالاصل وهو ابو القاسم بن مكرم .
(٢) هذا وقد ورد اسمه خطأ : ابن ما فنّه .

* (شغب الاتراك على جلال الدولة) *

ثم شغب الأتراك على جلال الدولة سنة إثنتين وثلاثين وخيّموا بظاهر البلد ونهبوا منها مواضع . وخيّم جلال الدولة بالجانب الغربي وأراد الرحيل عن بغداد فمنعه أصحابه فاستمد دبيس بن مَزْيَد وقرواشاً صاحب الموصل فأمدّوه بالعساكر . ثم صلحت الأحوال بينهم وعاد إلى داره وطمع الأتراك وكثر نهبهم وتعدّيهم وفسدت الأمور بالكلية .

* (ابتداء دولة السلجوقية) *

قد تقدّم لنا أنّ أمم الترك في الربع الشرقي الشمالي من المعمور ، ما بين الصين إلى تركستان إلى خوارزم والشاش وفرغانة ، وما وراء النهر بخارى وسمرقند وترمذ ، وأن المسلمين أزاحوهم أوّل الملّة عن بلاد ما وراء النهر وغلبوهم عليها ، وبقيت تركستان وكاشغر والشاش وفرغانة بأيديهم يؤدّون عليها الجزاء[1] . ثم أسلموا عليها فكان لهم بتركستان مُلْكٌ ودولة ، نذكرها فيما بعد ، فإنّ استفحالها كان في دولة بني سامان جيرانهم فيما وراء النهر . وكان في المفازة بين تركستان وبلاد الصين أمم من الترك لا يحصيهم إلاّ خالقهم لاتساع هذه المفازة وبعد أقطارها فإنها فيما يقال مسيرة شهر من كل جهة ، فكان هنالك أحياء بادون منتجعون رجالة غذاؤهم اللحوم والألبان والذرة في بعض الأحيان ومراكبهم الخيل ، ومنها كسبهم وعليها قيامهم وعلى الشاء والبقر من بين الأنعام ، فلم يزالوا بتلك القفار مذودين عن العمران بالحامية ، المالكين له في كل جهة . وكان من أممهم الغز والخطا والتتر وقد تقدّم ذكر هؤلاء الشعوب . فلما انتهت دولة ملوك تركستان وكان شغر[2] إلى غايتها ، وأخذت في الاضمحلال والتلاشي كما هو شأن الدول وطبيعتها . تقدّم هؤلاء إلى بلاد تركستان فأجلبوا عليها بما كان غالب معاشهم في تخطّف الناس من السبل ، وتناول الرزق بالرماح شأن أهل القفر البادين ، وأقاموا بمفازة بخارى . ثم انقرضت دولة بني سامان ودولة أهل تركستان . واستولى محمود بن سبكتكين من قوّاد بني سامان وصنائعهم على ذلك كله . وعبر بعض الأيام إلى بخارى فحضر عنده أرسلان بن سلجوق فقبض عليه ،

(١) جمع جزية .
(٢) شغر الناس تفرقوا .

وبعث به إلى بلاد الهند فحبسه ، وسار إلى أحيائه فاستباحها ، ولحق بخراسان ؛ وسارت العساكر في اتّباعهم فلحقوا بأصبهان وهَمّ صاحبها علاء الدولة بن كَالَوَيْه بالغدر بهم ، وشعروا بذلك فقاتلوه بأصبهان فغلبهم ، فانصرفوا إلى أذربيجان فقاتلهم صاحبها وهشودان من بني المَرْزُبَان . وكانوا لمّا قصدوا أصبهان بقي فلّهم بنواحي خوارزم فعاثوا في البلاد ، وخرج إليهم صاحب طوس وقاتلهم . وجاء محمود بن سبكتكين فسار في اتّباعهم من رستاق إلى جرجان ، ورجع عنهم ، ثم استأمنوا فاستخدمهم وتقدّمهم يغمر ، وأنزل ابنه بالريّ . ثم مات محمود ووَلِيَ أخوه مسعود ، وشغل بحروب الهند فانتقضوا وبعث إليهم قائداً في العساكر ، وكانوا يسمّون العراقية وأمراؤهم يومئذ كوكاش ومرقا وكول ويغمر وباصعكي ، ووصلوا إلى الدامغان فاستباحوها ، ثم سمنان ، ثم عاثوا في أعمال الريّ واجتمع صاحب طبرستان وصاحب الريّ مع قائد مسعود وقاتلوهم فهزمهم الغزّ وفتكوا فيهم وقصدوا الريّ فملكوه ، وهرب صاحبه إلى بعض قلاعه فتحصّن بها ، وذلك سنة ست وعشرين وأربعمائة . واستألفهم علاء الدولة بن كَالَوَيْه ليدافع بهم ابن سبكتكين فأجابوه أوّلاً ، ثم انتقضوا . وأمّا الذين قصدوا أذربيجان منهم ، ومقدّموهم بوقاوكوكباش[1] ومنصور ودانا فاستألفهم وهشودان ليستظهر بهم ، فلم يحصل على بغيته من ذلك . وساروا إلى مَرَاغَة سنة تسع وعشرين فاستباحوها ، ونالوا من الأكراد الهديانيّة فحاربوهم وغلبوهم وافترقوا فرقتين ، فرجع بوقا إلى أصحابهم الذين بالريّ ، وسار منصور وكوكباش إلى همذان ، وبها أبو كاليجار بن علاء الدولة بن كالويه فظاهرهم على حصاره متى خسرو بن مجد الدولة فلمّا جهده الحصار لحق بأصبهان وترك البلد فدخلوها واستباحوها ، وفعلوا في الكَرْخ مثل ذلك ، وحاصروا قزوين حتى أطاعوهم وبذلوا لهم سبعة آلاف دينار . وسار طائفة منهم إلى بلد الأرمن فاستباحوها وأثخنوا فيها ورجعوا إلى أرمينية . ثم رجعوا من الريّ إلى حصار همذان فتركها أبو كاليجار وملكوها سنة ثلاثين ومعهم متى خسرو المذكور فاستباحوا تلك النواحي إلى أستراباذ . وقاتلهم أبو الفتح بن أبي الشوك صاحب الدّينور فهزمهم وأسر منهم وصالحوه على إطلاق أسراهم . ثم مكروا بأبي كاليجار أن يكون معهم ويدبّر أمرهم . وغدروا به ونهبوه . وخرج علاء الدولة من أصبهان فلقي طائفة منهم فأوقع بهم وأثخن فيهم وأوقع وهشودان بمن كان منهم في أذربيجان وظفر بهم الأكراد وأثخنوا فيهم . وفرّقوا

---

(1) وفي الكامل ج ٩ ص ٣٧٩ : كوكتاش .

جماعتهم . ثم توفي كول أمير الفِرَق الذين بالريّ ، وكانوا لما أجازوا من وراء النهر إلى خراسان بقي بمواطنهم الأولى هنالك طغرلبك بن ميكاييل بن سلجوق وإخوته داود وسعدان وينال وهمغري فخرجوا إلى خراسان من بعدهم . وكانوا اشدّ منهم شوكة وأقوى عليهم سلطاناً فسار ينال أخو طغرلبك إلى الريّ فهربوا إلى أذربيجاِن ثم إلى جزيرة ابن عمر وديار بكر . ومكر سليمان بن نصير الدولة بن مروان صاحب الجزيرة بمنصور بن غزّ علي منهم فحبسه وافترق أصحابه ، وبعث قرواش صاحب الموصل إليهم جيشه فطردهم وافترقت جموعهم ، ولحق الغزّ بديار بكر وأثخنوا فيها ، وأطلق نصير الدولة أميرهم منصوراً من يد إبنه فلم ينتفع منهم بذلك . وقاتلهم صاحب الموصل فحاصروه ثم ركب في السفين ونجا إلى السنّد وملكوا البلد وعاثوا فيها . وبعث قرواش إلى الملك جلال الدولة يستنجده ، وإلى دبيس بن مَزْيَد وأمراء العرب . وفرض الغزّ على أهل الموصل عشرين ألف دينار فثار الناس بهم ، وكان كوكباش قد فارق الموصل فرجع ودخلها عنوة في رجب سنة خمس وثلاثين ، وأفحش في القتل والنهب . وكانوا يخطبون للخليفة ولطغرلبك بعده ، فكتب الملك جلاَل الدولة إلى طغرلبك يشكو له بأحوالهم ، فكتب إليه أنّ هؤلاء الغز كانوا في خدمتنا وطاعتنا حتى حدث بيننا وبين محمود بن سبكتكين ما علمتم ، ونهضنا إليه ، وساروا في خدمتنا في نواحي خراسان فتجاوزوا حدود الطاعة وملكة الهيبة ، ولا بدّ من إنزال العقوبة بهم . وبعث إلى نصير الدولة بعده يكفّهم عنه . وسار دبيس بن مَزْيَد وبنو عقيل إلى قرواش حاجب الموصل وقعد جلال الدولة عن إنجاده لما نزل به من الأتراك . وسمع الغزّ بجموع قرواش فبعثوا إلى من كان بديار بكر منهم واجتمعوا إليهم ، واقتتل الفريقان فانهزم العرب أوّل النهار ، ثم أتيحت لهم الكرّة على الغزّ فهزموهم واستباحوهم وأثخنوا فيهم قتلاً وأسراً ، واتّبعهم قرواش إلى نصيبين ورجع عنهم فساروا إلى ديار بكر وبلاد الأرمن والروم ، وكثر عيثهم فيها وكان طغرلبك وإخوته لما جاؤا إلى خراسان طالت الحروب بينهم وبين عساكر بني سبكتكين حتى غلبوهم وحصل لهم الظفر ، وهزموا سياوشي حاجب مسعود آخر هزائمهم ، وملكوا هَرَاة فهرب عنها سياوشي الحاجب ولحق بغزنة ، وزحف إليهم مسعود ودخلوا البرية ، ولم يزل في اتّباعهم ثلاث سنين . ثم انتهزوا فيه الفرصة باختلاف عسكره يوماً على الماء فانهزموا وغنموا عسكره وسار طغرلبك إلى نيسابور سنة إحدى وثلاثين فملكها وسكن

السادياج ، وخطب له بالسلطان الأعظم العمّال في النواحي . وكان الدعّار قد اشتدّ ضررهم بنيسابور فسدّ أمرهم وحسم عللهم ، واستولى السلجوقية على جميع البلاد . وسار بيقو إلى هَرَاة فملكها وسار داود إلى بلخ وبها القوتباق حاجب مسعود فحاصره ، وعجز مسعود عن إمداده فسلّم البلد لداود ، واستقلّ السلجوقيّة بملك البلاد أجمع . ثم ملك طغرلبك طبرستان وجرجان من يد أنو شروان بن متوجهر قابوس ، وضمنها أنو شروان بثلاثين ألف دينار ، وولّى على جرجان مرداويج من أصحابه بخمسين ألف دينار ، وبعث القائم القاضي أبا الحسن الماوردي إلى طغرلبك فقرّر الصلح بينه وبين جلال الدولة القائم بدولته ورجع بطاعته .

* (فتنة قرواش مع جلال الدولة) *

كان قرواش قد أنفذ عسكره سنة إحدى وثلاثين لحصار خميس بن ثعلب بتكريت ، واستغاث بجلال الدولة ، وأمر قرواشاً بالكفّ عنه فلم يفعل وسار لحصاره بنفسه . وبعث إلى الأتراك ببغداد يستفسدهم على جلال الدولة فاطلع على ذلك فبعث أبا الحرث أرسلان البساسيري في صفر سنة إثنتين وثلاثين للقبض على نائب قرواش بالسُنْدُسِيّة ، واعترضه العرب فمنعوه ورجع وأقاموا بين صَرْصَر وبغداد يفسدون السابلة ، وجمع جلال الدولة العساكر وخرج إلى الأنبار وبها قرواش فحاصرها . ثم اختلفت عقيل على قرواش فرجع إلى مصالحة جلال الدولة .

* (وفاة جلال الدولة وملك أبي كاليجار) *

لمّا قلّت الجبايات ببغداد مدّ جلال الدولة يده إلى الجوالي فأخذها وكانت خاصة بالخليفة . ثم توفي جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة في شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة لسبع عشرة من ملكه . ولما مات خاف حاشيته من الأتراك والعامّة فانتقل الوزير كمال الملك بن عبد الرحيم وأصحابه الأكابر إلى حرم دار الخلافة ، واجتمع القوّاد للمدافعة عنهم وكاتبوا الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة في واسِط بالطاعة واستقدموه وطلبوا حتى البيعَة فراوضهم فيها ، فكاتبهم أبو كاليجار عنها فعدلوا إليه . وجاء العزيز من واسِط وانتهى إلى النُعْمَانِيّة فغدر به عسكره ، ورجعوا إلى واسِط وخطبوا لأبي كاليجار . وسار العزيز إلى دبيس بن مَزْيَد ، ثم إلى

قرواش بن المقلّد ، ثم فارقه إلى أبي الشوك فغدر به فسار إلى ينال أخي طغرلبك فأقام عنده مدّة . ثم قصد بغداد مختفياً فظهر على بعض أصحابه فقتله ، ولحق هو بنصير الدولة بن مروان فتوفي عنده بميافارقين سنة إحدى وأربعين . وأمّا أبو كاليجار فخطب له ببغداد في صفر سنة ست وثلاثين . وبعث إلى الخليفة بعشرة آلاف دينار وبأموال أخرى فُرِّقَت إلى الجند ولقّبه القائم بمحي الدين ، وخطب له أبو الشوك ودبيس بن مَزْيَد ونصير الدولة بن مروان بأعمالهم . وسار إلى بغداد ومعه وزيره أبو الفَرَج محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس . وهمّ القائم لاستقباله فاستعفى من ذلك ، وخلع على أرباب الجيوش ، وهم البساسيري والنساوري والهمّام أبو اللقاء . وأخرج عميد الدولة أبا سعيد من بغداد فمضى إلى تكريت ، وعاد أبو منصور بن علاء الدولة بن كَاكَوَيْه صاحب أصبهان إلى طاعته ، وخطب له على منبره انحرافاً عن طغرلبك . ثم راجعه بعد الحصار واصطلحا على مال يحمله ، وبعث أبو كاليجار إلى السلطان طغرلبك في الصلح وزوّجه إبنته فأجاب وتمّ بينهما سنة تسع وثلاثين .

* (وفاة أبي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم) *

كان أبو كاليجار والمرزبان بن سلطان الدولة قد سارا سنة أربعين إلى نواحي كرمان ، وكان صاحبها بهرام بن لشكرستان من وجوه الدَيْلَم قد منع الحمل فتنكّر له أبو كاليجار ، وبعث إلى أبي كاليجار يحتمي به ، وهو بقلعة برد شير فملكها من يده ، وقتل بهرام بعض الجند الذين ظهر منهم على الميل لأبي كاليجار فسار إليه ومرض في طريقه ، ومات بمدينة جنايا في سنة أربعين لأربع سنين وثلاثة أشهر من ملكه . ولمّا توفي نهب الأتراك معسكره وانتقل ولده أبو منصور فلاستون إلى مخيم الوزير أبي منصور ، وأرادوا نهبه فمنعهم الدَيْلَم ، وساروا إلى شيراز فملكها أبو منصور واستوحش الوزير منه فلحق ببعض قلاعه ، وامتنع بها ، ووصل خبر وفاة أبي كاليجار إلى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خسر وفيروز فبايع له الجند وبعث إلى الخليفة في الخطبة والتلقّب بالملك الرحيم فأجابه إلى ما سأل إلاّ اللقب بالرحيم للمانع الشرعي من ذلك . واستقرّ ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة ، وكان بها أخوه أبو علي ، واستولى أخوه أبو منصور كما ذكرنا على شيراز فبعث الملك الرحيم أخاه أبا سعد في العساكر فملكها ، وقبض على أخيه أبي منصور ، وسار العزيز جلال الدولة من

عند قرواش إلى البصرة فدافعه أبو علي بن كاليجار عنها . ثم سار الملك الرحيم إلى خوزستان . وأطاعه من بها من الجند وكثرت الفتنة ببغداد بين أهل السنّة والشيعة .

* (مسير الملك الرحيم الى فارس) *

ثم سار الملك الرحيم من الأهواز إلى فارس سنة إحدى وأربعين . وخيّم بظاهر شيراز . ووقعت فتنة بين أتراك شيراز وبغداد فرحل أتراك بغداد إلى العراق . وتبعهم الملك الرحيم لانحرافه عن أتراك شيراز . وكان أيضاً منحرفاً عن الديلم بفارس لميلهم إلى أخيه فلاستون بأصطخر ، وانتهى إلى الأهواز فأقام بها واستخلف بأرّجان أخويه أبا سعد وأبا طالب فزحف إليهما أخوهما فلاستون . وخرج الملك الرحيم من الأهواز إلى رَامَهُرْمُز للقائهم فلقيهم وانهزم إلى البصرة . ثم إلى واسِط . وسارت عساكر فارس إلى الأهواز فملكوها وخيّموا بظاهرها . ثم شغبوا على أبي منصور . وجاء بعضهم إلى الملك الرحيم فبعث إلى بغداد واستقرّ الجند الذين بها . وسار إلى الأهواز فملكها وأقام ينتظر عسكر بغداد . ثم سار إلى عسكر مكرم فملكها سنة إثنتين وأربعين . ثم تقدّم سنة ثلاث وأربعين ومعه دبيس بن مَزْيَد والبساسيري وغيرهما . وسار هزار شب بن تنكير ومنصور بن الحسين الأسدي فيمن معهما من الدَيْلَم والأكراد من أرَّجان إلى تستر فسبقهم الملك الرحيم إليها وغلبهم عليها . ثم زحف في عسكر هزارشب فوافاه أميره أبو منصور بمدينة شيراز فاضطربوا ورجعوا . ولحق منهم جماعة بالملك الرحيم فبعث عساكر إلى رَامَهُرْمُز وبها أصحاب أبي منصور فحاصرها وملكها في ربيع سنة ثلاث وأربعين . ثم بعث أخاه أبا سعد في العساكر إلى بلاد فارس لأنّ أخاه أبا نصر خسرو كان بأصطخر ، ضجر من تغلّبِ هزارشب بن تنكير صاحب أخيه أبي منصور فكتب إلى أخيه الملك الرحيم بالطاعة فبعث إليه أخاه أبا سعد فأدخله أصطخر وملّكه . ثم اجتمع أبو منصور فلا ستون وهزارشب ومنصور بن الحسين الأسدي ، وساروا للقاء الملك الرحيم بالأهواز ، واستمدّوا السلطان طغرلبك وأبوا طاعته ، فبعث إليهم عسكراً ، وكان قد ملك أصبهان واستطال وافترق كثير من أصحاب الملك الرحيم عنه ، مثل البساسيري ودبيس بن مَزْيَد والعرب والأكراد وبقي في الديلم الأهوازية وبعض الأتراك من بغداد ورأى أن يعود من عسكر مكرم إلى الأهواز ليتحصّن بها وينتظر عسكر بغداد . ثم بعث أخاه أبا سعد إلى فارس كما ذكرنا ليشغل أبا منصور

وهزارشب ومن معهما عن قصده فلم يعرجوا على ذلك . وساروا إليه بالأهواز وقاتلهم فانهزم إلى واسط ونهب الأهواز وفقد في الواقعة الوزير كمال الملك أبو المعالي عبد الرحيم فلم يوقف له على خبر. وسار أبو منصور وأصحابه إلى شيراز لأجل أبي سعد وأصحابه فلقيهم قريباً منها ، وهزمهم مرّات واستأمن إليه الكثير منهم ، واعتصم أبو منصور ببعض القلاع واعيدت الخطبة بالأهواز للملك الرحيم ، واستدعاه الجند بها وعظمت الفتنة ببغداد بين أهل السنّة والشيعة في غيبة الملك الرحيم واقتتلوا ، وبعث القائم نقيب العلويين ونقيب العبّاسيّين لكشف الأمر بينهما فلم يوقف على يقين في ذلك . وزاد الأمر وأحرقت مشاهد العظماء من أهل البيت ، وبلغ الخبر إلى دبيس ابن مَزْيَد فاتّهم القائم بالمداهنة في ذلك فقطع الخطبة له ثم عوتب فاستعتب وعاد إلى حاله .

* (مهادنة طغرلبك للقائم) *

قد تقدّم لنا شأن الغزّ واستيلائهم على خراسان من يد بني سبكتكين عام إثنتين وثلاثين ، ثم استيلاء طغرلبك على أصبهان من يد ابن كَالَوَيْـه سنة إثنتين وأربعين . ثم بعث السلطان طغرلبك أرسلان بن أخيه داود إلى بلاد فارس فافتتحها سنة إثنتين وأربعين ، واستلحم من كان بها من الدَيْلَم ، ونزل مدينة نسا وبعث إليه القائم بأمر الله بالخلع والألقاب ، وولّاه على ما غلب عليه فبعث إليه طغرلبك بعشرة آلاف دينار ، وأعلاق نفيسة من الجواهر والثياب والطيب ، وإلى الحاشية بخمسة آلاف دينار ، وللوزير رئيس الرؤساء بألفين ، وحضروا العيد في سنة ثلاث وأربعين ببغداد فأمر الخليفة بالاحتفال في الزينة والمراكب والسلاح . ثم سار الغزّ سنة أربع وأربعين إلى شيراز وبها الأمير أبو سعد أخو الملك الرحيم فقاتلهم وهزمهم كما نذكر في أخبارهم .

* (استيلاء الملك الرحيم على البصرة من يد أخيه) *

ثم بعث الملك الرحيم سنة أربع وأربعين جيوشه إلى البصرة مع بصيرة البساسيري فحاصروا بها أخاه أبا عليّ وقاتلوا عسكره في السفن فهزموهم وملكوا عليهم دجلة والأنهر . وجاء الملك الرحيم بالعسكر في البرّ واستأمن إليه قبائل ربيعة ومضر فأمّنهم وملك البصرة ، وجاءته رسل الدَيْـلَم بخوزستان بطاعتهم . ومضى أخوه أبو علي إلى

شطّ عمان وتحصّن به فسار إليه الملك الرحيم ، وملك عليه شط عمان ولحق بعبادان ، وسار منها إلى أرّجان . ثم لحق بالسلطان طغرلبك بأصبهان فأكرمه وأصهر إليه ، وأقطع له وأنزله بقلعة من أعمال جرباذقان . وولّى الملك الرحيم وزيره البساسيري على البصرة ، وسار إلى الأهواز وأرسل منصور بن الحسين وهزارشب في تسليم أرّجان وتستر فتسلمها واصطلحا . وكان المقدّم على أرّجان فولاذ بن خسرو من الدَيْـلَم فرجع إلى طاعة الملك الرحيم سنة خمس وأربعين .

* (فتنة ابن أبي الشوك ثم طاعته) *

كان سعدي بن أبي الشوك قد أعطى طاعته للسلطان طغرلبك بنواحي الريّ ، وسار في خدمته ، وبعثه سنة أربع وأربعين في العساكر إلى نواحي العراق فبلغ النُعْـمَـانِـيّـة وكثر عيثه ، وراسله ملد[1] من بني عقيل قرابة قريش بن بدران في الاستظهار له على قريش ومهلهل أخي أبي الشوك فوعدهم ، فسار إليهم مهلهل وأوقع بهم على عكبرا فساروا الى سعدى وشكوا اليه وهو على سامرا فسار وأوقع بعمّه مهلهل وأسره وعاد إلى حُلوان وهمّ الملك الرحيم بتجهيز العساكر إليه بحُلوان واستقدم دبيس بن مَـزْيَد لذلك . ثم عظمت الفتنة سنة خمس وأربعين ببغداد من أهل الكرخ وأهل السنّـة ، ودخلها طوائف من الأتراك ، وعمّ الشرّ واطرحت مراقبة السلطان ، وركب القوّاد لحسم العلّة فقتلوا علوياً من أهل الكرخ فنادت نساؤه بالويل فقاتلهم العامّـة ، وأضرم النار في الكرخ بعض الأتراك فاحترق جميعه . ثم بعث القائم وسكن الأمر ، وكان مهلهل لما أسِرَ سار ابنه بدر إلى طغرلبك وابن سعدي كان عنده رهينة ، وبعث إلى سعدي بإطلاق مهلهل عند ذلك ، فامتنع سعدي من ذلك وانتقض على طغرلبك ، وسار من همذان إلى حُلوان وقاتلها فامتنعت عليه ، فكاتب الملك الرحيم بالطاعة ولحقه عساكر طغرلبك فهزموه ، ولحق ببعض القلاع هنالك وسار بدر في اتباعه إلى شهرزور ، ثم جاءه الخبر بأنّ جمعاً من الأكراد والأتراك قد أفسدوا السابلة وأكثروا العيث ، فخرج إليهم البساسيري واتبعهم إلى البواريج وأوقع بالطوائف منهم واستباحهم وعبروا الزاب فلم يمكنه العود إليهم ونجوا .

(١) هكذا بالاصل وفي الكامل ج ٩ ص ٥٩٠ : «فأرسل إليه ولده مع اولاد الزّرير ومطر يشكون إليه ما عاملهم به عمّه مُهَلْهِل وقريش بن بدران» .

* (فتنة الاتراك) *

وفي سنة ست وأربعين شغب الأتراك على وزير الملك الرحيم في مطالبة أرزاقهم واستعدوه عليه فلم يعدهم فشكوا من الديوان وانصرفوا مغضبين ، وباكروا من الغد لحصار دار الخليفة ، وحضر البساسيري واستكشف حال الوزير فلم يقف له على خبر . وكبست الدور في طلبه فكان ذلك وسيلة للأتراك في نهب دور الناس . واجتمع أهل المحال لمنعهم ، ونهاهم الخليفة فلم ينتهوا فهمّ بالرحلة عن بغداد . ثم ظهر الوزير وأنصفهم في أرزاقهم فتمادوا على بغيهم وعسفهم ، واشتدّ عيث الأكراد والأعراب في النواحي فخربت البلاد ، وتفرّق أهلها ، وأغار أصحاب ابن بدران بالبرد وكبسوا حلل كامل بن محمد بن المسيّب ونهبوها ، ونهبوا في جملتها ظهراً وأنعاماً للبساسيري وانحل أمر الملك والسلطنة بالكلية .

* (استيلاء طغرلبك على أذربيجان وعلى أرمينية والموصل) *

سار طغرلبك سنة أربعين إلى أذربيجان فأطاعه صاحب قبرير أبو منصور وشهودان ابن محمد[1] وخطب له ورهن ولده عنده . ثم أطاعه صاحب جنده[2] أبو الأسوار ثم تبايع سائر النواحي على الطاعة وأخذ رهنهم ، وسار إلى أرمينية فحاصر ملاذكرد[3] وامتنعت عليه فخرّب ما جاورها من البلاد . وبعث إليه نصير الدولة بن مروان بالهدايا وقد كان دخل في طاعته من قبل وسار السلطان طغرلبك لغزو بلاد الروم واكتسحها الى أن أردن الروم ، ورجع إلى أذربيجان ثم إلى الريّ ، وخطب له قريش بن بدران صاحب الموصل في جميع أعماله وزحف إلى الأنبار ففتحها ونهب ما فيها البساسيري فانتقض لذلك وسار في العساكر إلى الأنبار فاستعاده من يده .

---

(١) بياض بالأصل والاسماء محرفة وفي الكامل ج ٩ ص ٥٩٨ : « في هذه السنة — ٤٤٥ — سار طغرلبك الى اذربيجان ، فقصد تبريز وصاحبها الأمير أبو منصور وهسوذان بن محمد الروادي ، فأطاعه وخطب له وحمل اليه ما أرضاه به . »

(٢) جنزة : المرجع السابق .

(٣) ملازكرد : المرجع السابق ص ٥٩٩ .

* (وحشة البساسيري) *

كان أبو الغنائم وأبو سعد إبنا المحلبان صاحبي قريش بن بدران وبعثهما إلى القائم سرًّا من البساسيري بما فعل بالأنبار فانتقض البساسيري لذلك ، واستوحش من القائم ومن رئيس الرؤساء ، وأسقط مشاهراتهم ومشاهرة حواشيهم ، وهمّ بهدم منازل بني المحلبان . ثم أقسر وسار إلى الأنبار وبها أبو القاسم بن المحلبان ، وجاءه دبيس بن مَزْيَد ممدًّا له فحاصر الأنبار وفتحها عنوة ونهبها وأسر من أهلها خمسمائة ، ومائة من بني خفاجة وأسر أبا الغنائم وجاء به إلى بغداد فأدخله على جمل ، وشفع دبيس بن مَزْيَد في قتله ، وجاء إلى مقابل التاج من دار الخليفة فقبل الأرض وعاد إلى منزله .

* (وصول الغز الى الدسكرة ونواحي بغداد) *

وفي شوّال من سنة ست وأربعين وصل صاحب حلوان من الغزّ وهو إبراهيم بن إسحق إلى الدسكرة فافتتحها ونهبها وصادر النساء . ثم سار إلى رسغباد[1] وقلعة البَرَدَان وهي لسعدي ابن أبي الشوك ، وبها أمواله فامتنعت عليه فخرّب ما حولها من القرى ونهبها . وقوي طمع الغزّ في البلاد وضعف أمر الديلم والأتراك . ثم بعث طغرلبك أبا عليّ بن أبي كاليجار الذي كان بالبصرة في جيش من الغز إلى خوزستان فاستولى على الأهواز وملكها ونهب الغزّ الذين معه أموال الناس ولقوا منهم عناء .

* (استيلاء الملك الرحيم على شيراز) *

وفي سنة سبع وأربعين سار فولاذ الذي كان بقلعة أصطخر من الدَيْلَم . وقد ذكرناه إلى شيراز فملكها من يد أبي منصور فولاستون بن أبي كاليجار . وكان خطب بها للسلطان طغرلبك فخطب فولاذ بها للملك الرحيم ولأخيه أبي سعد يخادعهما بذلك . وكان أبو سعد بأرّجان فاجتمع هو وأخوه أبو منصور على حصار شيراز في طاعة أخيهما الملك واشتدّ الحصار على فولاذ وعدمت الأقوات فهرب عنها إلى قلعة أصطخر وملك الأخوان شيراز وخطبا لأخيهما الملك الرحيم .

(١) روشنقباذ : ابن الاثير ج ٩ ص ٦٠٣ .

* (وثوب الاتراك ببغداد بالبساسيري) *

قد ذكرنا تأكد الوحشة بين البساسيري ورئيس الرؤساء . ثم تأكدت سنة سبع وأربعين وعظمت الفتنة بالجانب الشرقي بين العامّة وبين أهل السنّة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحضروا الديوان حتى أذن لهم في ذلك وتعرّضوا لبعض سفن البساسيري منحدرة إليه بواسط ، وكشفوا فيها عن جرار خمر ، فجاؤا إلى أصحاب الديوان الذين أمروا بمساعدتهم واستدعوهم لكسرها فكسروها ، واستوحش لذلك البساسيري ونسبه إلى رئيس الرؤساء . واستفتى الفقهاء في أنّ ذلك تعدّ على سفينته فأفتاه الحنفية بذلك . ووضع رئيس الرؤساء الأعيان على البساسيري بإذن من دار الخلافة ، وأظهر معايبه . وبالغوا في ذلك ، ثم قصدوا في رمضان دور البساسيري بإذن من دار الخلافة فنهبوها وأحرقوها ، ووكّلوا بحرمه وحاشيته وأعلن رئيس الرؤساء بذمّ البساسيري وأنه يكاتب المستنصر صاحب مِصْر فبعث القائم إلى الملك الرحيم فأمره بإبعاده فأبعده .

* (استيلاء السلطان طغرلبك على بغداد والخلعة والخطبة له) *

قد ذكرنا من قبل رجوع السلطان طغرلبك من غزو الروم إلى الريّ ، ثم رجع إلى همذان ، ثم سار إلى حُلْوَان عازماً على الحجّ والاجتياز بالشام لإزالته من يد العلوية . وأجفل الناس إلى غربيّ بغداد ، وعظم الأرجاف ببغداد ونواحيها ، وخيّم الأتراك بظاهر البلد . وجاء الملك الرحيم من واسِط بعد أن طرد البساسيري عنه كما أمره القائم فسار إلى بلد دبيس بن مزيَد لصهر بينهما . وبعث طغرلبك إلى لقائهما بالطاعة وإلى الأتراك بالمقاربة والوعد فلم يقبلوا ، وطلبوا من القائم إعادة البساسيري لأنه كبيرهم . ولما وصل الملك الرحيم سأل من الخليفة إصلاح أمره مع السلطان طغرلبك فأشار القائم بأن يقوّض الأجناد خيامهم ويخيّموا بالحريم الخلافي ، ويبعثوا جميعاً إلى طغرلبك بالطاعة ، فقبلوا إشارته وبعثوا إلى طغرلبك بذلك فأجاب بالقبول والإحسان . وأمر القائم بالخطبة لطغرلبك على منابر بغداد فخطب آخر رمضان من سنة سبع وأربعين ، واستأذن في لقاء الخليفة وخرج إليه رؤساء الناس في موكب من القضاة

والفقهاء والأشراف وأعيان الدَيْـلَم . وبعث طغرلبك للقائم وزيره أبا نصر الكندريّ وأبلغه رسالة القائم واستخلفه له وللملك الرحيم وأمراء الأجناد . ودخل طغرلبك بغداد ونزل بباب الشـمّاسيّة لخمس بقين من رمضان ، وجاء هنالك قريش بن بدران صاحب الموصل وكان من قبل في طاعته .

* (القبض على الملك الرحيم وانقراض دولة بني بويه) *

ولما نزل طغرلبك بغداد وافترق أهل عسكره في البلد يقضون بعض حاجاتهم ، فوقعت بينهم وبين بعض العامّـة منازعة فصاحوا بهم ورجموهم ، وظنّ الناس أنّ الملك الرحيم قد اعتزم على قتال طغرلبك فتواثبوا بالغزّ من كل جهة . إلاّ أهل الكَـرْخ فانهم سألوا[1] من وقع إليهم من الغز . وأرسل عميد الملك وزير طغرلبك عن عدنان ابن الرضي نقيب العلويّين ، وكان مسكنه بالكرخ فشكره عن السلطان طغرلبك . ودخل أعيان الدَيْـلَم وأصحاب الملك الرحيم إلى دار الخلافة نفياً للتهمة عنهم . وركب أصحاب طغرلبك فقاتلوا العامّـة وهزموهم وقتلوا منهم خلقاً ونهبوا سائر الدروب ودور رئيس الرؤساء وأصحابه والرصافة ، ودور الخلفاء ، وكان بها أموال الناس نقلت إليها للحرمة فنهب الجميع ، واشتدّ البلاء وعظم الخوفُ وأرسل طغرلبك إلى القائم بالعتاب ونسبة ما وقع إلى الملك الرحيم والدَيْـلَم ، وأنهم انحرفوا ، وكانوا برآء من ذلك . وتقدّم إليهم الخليفة بالحضور عند طغرلبك مع رسوله ، فلمّا وصلوا إلى الخيام نهبها الغزّ ونهبوا رسل القائم معهم ، ثم قبض طغرلبك على الملك الرحيم ومن معه ، وبعث بالملك الرحيم إلى قلعة السيروان فحبس بها وكان ذلك لستِ سنين من ملكه . ونهب في تلك الهيعة قريش بن بدران صاحب الموصل ، ومن معه من العرب ، ونجا سليباً إلى خيمة بدر بن المهلهل ، واتصل بطغرلبك خبره فأرسل إليه وخلع عليه وأعاده الى مخيّمه ، وبعث القائم إلى طغرلبك بإنكار ما وقع في إخفار ذمّـته في الملك الرحيم وأصحابه ، وأنه يتحوّل عن بغداد فأطلق له بعضهم

(١) هكذا بالاصل وفي الكامل ج ٩ ص ٦١١ : «وأقبلوا من كل حدب ينسلون يقتلون من الغزّ من وُجد في محالّ بغداد ، إلا أهل الكرخ فإنهم لم يتعرّضوا الى الغزّ ، بل جمعوهم وحفظوهم .» .

بلكسكسالريه[1] وأنزع الاقطاعات من يد أصحابه الملك الرحيم فلحقوا بالبساسيري وكثر جمعه ، وبعث طغرلبك إلى دَبيس بالطاعة وإنفاذ البساسيري فخطب له في بلاده ، وطرد البساسيري فسار إلى رحبة ملك ، وكاتب المستنصر العلويّ صاحب مِصْـرَ وأمر طغرلبك بأخذ أموال الأتراك الجند وأهملهم وانتشر الغزّ السلجوقية في سواد بغداد فنهبوا الجانب الغربي من تكريت إلى النيل ، والجانب الشرقيّ إلى النهر وأنات[2] وخرّب السواد وانجلى أهله وضمن السلطان طغرلبك البصرة والأهواز من هزارشب بن شكر بن عياض[3] بثلثمائة وستين ألف دينار ، وأقطعه أرّجان ، وأمره أن يخطب لنفسه بالأهواز دون ما سواها . وأقطع أبا علي بن كاليجارويسين[4] وأعمالها وأمر أهل الكَـرْخ بزيادة الصلاة خير من النوم في نداء الصبح ، وأمر بعمارة دار المملكة وانتقل إليها في شوّال . وتوفي ذخيرة الدين أبو العباس محمّد بن القائم بالله في ذي القعدة من هذه السنة . ثم انكح السلطان طغرلبك من القائم بالله خديجة بنت أخيه داود وإسمها أرسلان خاتون ، وحضر للعقد عميد الملك الكندي وزير طغرلبك وأبو علي بن أبي كاليجار وهزارشب بن شكر بن عياض الكُـرْدِيّ وابن أبي الشوك وغيرهم من أمراء الأتراك من عسكر طغرلبك . وخطب رئيس الرؤساء وولي العقد وقبل الخليفة بنفسه . وحضر نقيب النقباء أبو علي بن أبي تمّام ، ونقيب العلويّـين عدنان ابن الرضي[5] والقاضي أبو الحسن الماوردي وغيرهم .

* (انتقاض أبي الغنائم بواسط) *

كان رئيس الرؤساء سعى لأبي الغنائم بن المحلبان في ولاية واسِط وأعمالها ، فوليها وصادر أعيانها ، وجنّد جماعة وتقوّى بأهل البطيحة ، وخندق على واسِط ، وخطب

(١) هكذا بالاصل وفي الكامل ج ٩ ص ٦١٣ : «وارسل الخليفة إلى السلطان ينكر ما جرى من قبض الرحيم وأصحابه ونهْب بغداد ، ويقول : إنهم إنما خرجوا إليك بأمري وأماني ، فإن أطلقتهم ، وإلا فأنا افارق بغداد ، فاني إنما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً مني أنّ تعظيم الاوامر الشريفة يزداد ، وحرمة الحريم تعظم ، وأرى الأمر بالضد ، فأطلق بعضهم ، واخذ جميع إقطاعات عسكر الرحيم ، وأمرهم بالسعي في ارزاق يحصّلونها لأنفسهم . فتوجه كثير منهم الى البساسيري ولزموه ، فكثر جمعه ونفق سوقه .»

(٢) ومن الشرقي الى النهروان : المرجع السابق .

(٣) هزارسب بن بنكير بن عياض : المرجع السابق .

(٤) قرميسين : المرجع السابق ص ٦١٤ .

(٥) وهو عدنان بن الشريف الرضي .

للمستنصر العلويّ بمصر فسار أبو نصر عميد العراق لحربه فهزمه وأسر من أصحابه. ووصل إلى السور فحاصره حتى تسلّم البلد. ومرّ أبو الغنائم ومعه الوزير بن فساجس ورجع عميد العراق إلى بغداد بعد أن ولّى على واسِط منصور بن الحسين فعاد ابن فسانجس إلى واسط وأعاد خطبة العلويّ وقتل من وجده من الغزّ. ومضى منصور بن الحسين إلى المدار وبعث يطلب المدد فكتب إليه عميد العراق ورئيس الرؤساء بحصار واسِط فحاصرها. وقاتله ابن فسانجس فهزمه وضيّق حصاره. واستأمن إليه جماعة من أهل واسِط فملكها وهرب فسانجس واتبعوه فأدركوه وحمل إلى بغداد في صفر سنة ست وأربعين فشُهِّرَ وقُتِل.

* (الوقعة بين البساسيري وقطلمش) *

وفي سلخ شوّال من سنة ثمان وأربعين سار قطلمش وهو ابن عم السلطان طغرلبك وجدّ بني قليج أرسلان ملوك بلاد الروم. فسار ومعه قريش بن بدران صاحب الموصل لقتال البساسيري ودبيس. وسار بهم إلى الموصل وخطبوا بها للمستنصر العلويّ صاحب مِصْرَ وبعث إليهم بالخِلَع. وكان معهم جابر بن ناشِب وأبو الحسن وعبد الرحيم[(١)] وأبو الفتح ابن ورائر[(٢)] ونصر بن عمر ومحمد بن حمّاد.

* (مسير طغرلبك إلى الموصل) *

لما كان السلطان طغرلبك قد ثقلت وطأته على العامّة ببغداد. وفشا الضرر والأذى فيهم من معسكره فكاتبه القائم يعظه ويذكّره. ويصف له ما الناس فيه فأجابه السلطان بالاعتذار بكثرة العساكر. ثم رأى رؤيا في ليلته كانّ النبيّ صلى الله عليه وسلم يوبّخه على ذلك، فبعث وزيره عميد الملك إلى القائم بطاعة أمره فيما أمر. وأخرج الجند من وراء العامّة ورفع المصادرات. ثم بلغه خبر وقعة قطلمش مع البساسيري وانحراف قريش صاحب الموصل إلى العلويّة، فتجهز وسار عن بغداد ثلاثة عشر شهراً من نزوله عليها، ونهبت عساكره أوانا وعُكبُرَا، وحاصر تكريت حتى رجع صاحبها نصر بن عيسى إلى الدعوة العبّاسيّة، وقتله السلطان، ورجع

---

(١) هو أبو الحسن بن عبد الرحيم.

(٢) ابو الفتح بن ورّام: ابن الأثير ج ٩ ص ٦٢٦.

عنه إلى البواريج فتوفي نصر وخافت أمّه غريبة بنت غريب بن حكن[1] أن يملك البلد أخوه أبو الغِشَّام ، فاستخلفت أبا الغنائم بن المحلبان ولحقت بالموصل ، ونزلت على دبيس بن مَزْيَد . وأرسل أبو الغنائم رئيس الرؤساء فأصلح حاله ورجع إلى بغداد وسلّم له تكريت ، وأقام السلطان بالبواريخ[2] إلى سنة تسع وأربعين ، وجاءه أخوه ياقوتي في العساكر فسار إلى الموصل ، وأقطع مدينة بَلَد هزارشب بن شكر الكردي ، وأراد العسكر نهبها فمنعهم السلطان . ثم أذن لهم في اللحاق إلى الموصل ، وتوجه إلى نصيبين ، وبعث هزارشب إلى البرّيّة في ألف فارس ليصيب من العرب ، فسار حتى قارب رحالهم ، وأكمن الكمائن ، وقاتلهم ساعة . ثم استطرهم واتّبعوه فخرجت عليهم الكمائن فانهزموا وأثخن فيهم الغزّ بالقتل والأسر . وكان فيهم جماعة من بني نُمَيْر أصحاب حرّان والرقّة ، وحمل الأسرى إلى السلطان فقتلهم أجمعين . ثم بعث دبيس وقريش إلى هزارشب يستعطف لهم السلطان فقبل السلطان ذلك منهما ، وورد أمر البساسيري إلى الخليفة ومعه الأتراك البغداديون ، وقتل ابن المقلّد وجماعة من عقيل إلى الرحبة ، وأرسل السلطان إليهما أبا الفتح بن ورّام يستخبرهما فجاء بطاعتهما ، وبمسير هزارشب إليهما فأذن له السلطان في المسير ، وجاء إليهما واستحلفهما وحثّهما على الحضور فخافا . وأرسل قريش أبا السيد هبة الله بن جعفر ، ودبيس إبنه منصوراً فأكرمهما السلطان ، وكتب لهما بأعمالهما . وكان لقريش نهر الملك وباذوربا والأنبار وهيت ودُجَيْل ونهر بيطر وعُكْبَرَا وأُوَانَا وتكريت والموصِل ونَصِيبين . ثم سار السلطان إلى ديار بكر فحاصر جزيرة ابن عمر ، وبعث إليه يستعطفه ويبذل له المال ، وجاء إبراهيم ينال أخو السلطان وهو محاصر ، ولقيه الأمراء والناس ، وبعث هزارشب إلى دبيس وقريش يحذرهما فانحدر دبيس إلى بلده بالعراق . وأقام قريش عند البساسيري بالرحبة ومعه إبنه مسلم ، وشكا قطلمش ما أصاب أهل سِنجار منه عند هزيمته أمام قريش ودبيس ، فبعث العساكر إليها ، وحاصرها ففتحها عنوة واستباحها ، وقتل أميرها عليّ ابن مرجى[3] وشفع ابراهيم في الباقين فتركها وسلّمها الله وسلّم معها الموصِل وأعمالها ورجع إلى بغداد في سنة تسع وأربعين فخرج رئيس

---

(١) اميرة بنت غريب بن مقن : ابن الاثير ج ٩ ص ٦٢٧ .

(٢) تردد هذا الاسم في محلات عديدة البواريخ وهي البوازيج كما عند ابن الاثير ج ٩ ص ٦٢٧ .

(٣) مجلى بن مرجا : ابن الاثير ج ٩ ص ٦٣١ .

الرؤساء للقائه عن القائم ، وبلغه سلامه وهديته ، وهي جام من ذهب فيه جواهر ، وألبسه لباس الخليفة وعمامته فقبل السلطان ذلك بالشكر والخضوع والدعاء ، وطلب لقاء الخليفة ، فأسعف وجلس له جلوساً فخماً . وجاء السلطان في البحر فقرّب له لما نزل من السهيرية من مراكب الخليفة ، والقائم على سرير علّوه سبعة أذرع متوشحاً البردة وبيده القضيب ، وقبالته كرسيّ لجلوس السلطان فقبّل الأرض وجلس على الكرسي ، وقال له رئيس الرؤساء عن القائم : أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك ، وولاّك ما ولاّه الله من بلاده ، وردّ إليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاّك واعرف نعمته عليك ، واجتهد في نشر العدل وكفّ الظلم وإصلاح الرعيّة ، فقبّل الأرض ، وأفيضت عليه الخِلَع وخوطب بملك المشرق والمغرب ، وقبّل يد الخليفة ووضعها على عينيه ودفع إليه كتاب العهد ، وخرج فبعث إلى القائم خمسين ألف دينار وخمسين مملوكاً من الأتراك منتقين بخيولهم وسلاحهم ، إلى ما في معنى ذلك من الثياب والطيب وغيرهما .

* (فتنة ينال مع أخيه طغرلبك ومقتله) *

كان ابراهيم ينال قد ملك بلاد الجبل وهمذان واستولى على الجهات من نواحيها إلى حُلوان أعوام سنة سبع وثلاثين . ثم استوحش من السلطان طغرلبك بما طلب منه أن يسلّم إليه مدينة همذان والقلاع فأبى من ذلك ينال ، وجمع جموعا وتلاقيا فانهزم ينال وتحصّن بقلعة سرماج فملكها عليه بعد الحصار ، واستنزله منها ، وذلك سنة إحدى وأربعين . وأحسن إليه طغرلبك وخيّره بين المقام معه أو اقطاع الأعمال فاختار المقام . ثم لمّا ملك طغرلبك بغداد وخطب له بها سنة سبع وأربعين ، أخرج إليه البساسيري مع قريش بن بدران صاحب الموصِل ودبيس بن مَزْيَد صاحب الحلّة ، وسار طغرلبك إليهم من بغداد ، ولحقه أخوه إبراهيم ينال فلمّا ملك الموصل سلّمها إليه وجعلها لنظره مع سِنْجار والرحبة وسائر تلك الأعمال التي لقريش ، ورجع إلى بغداد سنة تسع وأربعين . ثم بلغه سنة خمسين بعدها أنّه سار إلى بلاد الجبل فاستراب به وبعث إليه يستقدمه بكتابه وكتاب القائم مع العهد الكندي فقدم معه . وفي خلال ذلك قصد البساسيري وقريش بن بدران الموصِل فملكاها جفلوا عنها فاتبعهم إلى نصيبين ، وخالفه أخوه إبراهيم ينال إلى همذان في رمضان سنة خمسين . يقال إنّ

العلويّ صاحب مِصْر والبساسيري كاتبوه واستمالوه وأطمعوه في السلطنة ، فسار السلطان في اتباعه من نصيبين ، وردّ وزيره عميد الملك الكندي وزوجته خاتون إلى بغداد ، ووصل إلى همذان ولحق به من كان ببغداد من الأتراك فحاصر همذان في قلعة من العسكر ، واجتمع لأخيه خلق كثير من الترك وحلف لهم أن لا يصالح طغرلبك ولا يدخل بهم العراق لكثرة نفقاته . وجاءه محمد وأحمد إبنا أخيه أرباش بأمداد من الغزّ فقوي بهم ، ووهن طغرلبك فأفرج عنه إلى الريّ ، وكاتب إلى أرسلان ابن أخيه داود ، وقد كان ملك خراسان بعد أبيه سنة إحدى وخمسين كما يذكر في أخبارهم ، فزحف إليه في العساكر ومعه أخواه ياقوت وقاروت بك ، ولقيهم إبراهيم فيمن معه فانهزم ، وجيء به وبابني أخيه محمد وأحمد أسرى إلى طغرلبك فقتلهم جميعاً ورجع إلى بغداد لاسترجاع القائم .

* (دخول البساسيرى بغداد وخلع القائم ثم عوده) *

قد ذكرنا أنّ طغرلبك سار إلى همذان لقتال أخيه وترك وزيره عميد الملك الكندي ببغداد مع الخليفة ، وكان البساسيري وقريش بن بدران فارقا الموصِل عند زحف السلطان طغرلبك إليهما ، فلما سار عن بغداد لقتال أخيه بهمذان خالفه البساسيري وقريش إلى بغداد فكثر الأرجاف بذلك ، وبعث عن دبيس بن مَزْيَد حاجبه ببغداد ونزلوا بالجانب الشرقي ، وطلب من القائم الخروج معه إلى إحيائه ، واستدعى هزارشب من واسِط للمدافعة ، واستمهل في ذلك فقال العرب : لا نشير فأشيروا بنظركم ، وجاء البساسيري ثامن ذي القعدة سنة خمسين في أربعمائة غلام على غاية من سوء الحال ومعه أبو الحسين بن عبد الرحيم ، وجاء حسين بن بدران في مائة فارس وخيّموا مفترقين عن البلد ، واجتمع العسكر والقوم إلى عميد العراق ، وأقاموا ازاء البساسيري وخطب البساسيري ببغداد للمستنصر العلوي صاحب مصر بجامع المنصور ، ثم بالرصافة ، وأمر بالأذان بحيّ على خير العمل ، وخيّم بالزاهر ، وكان هوى البساسيري لمذاهب الشيعة ، وترك أهل السنّة للإنحراف عن الأتراك فرأى الكندي المطاولة لانتظار السلطان ، ورأى رئيس الرؤساء المناجزة وكان غير بصير بالحرب ، فخرج لقتالهم في غفلة من الكنديّ ، فانهزم وقتل من أصحابه خلق ، ونهب باب الازج وهو باب الخلافة .

وهرب أهل الحريم الخلافي فاستدعى القائم العميد الكندي للمدافعة عن دار الخلافة فلم يرعهم إلاّ اقتحام العدوّ عليهم من الباب النوبي ، فركب الخليفة ولبس السواد ، والنهب قد وصل باب الفردوس ، والعميد الكندي قد استأمن الى قريش فرجع ونادى بقريش من السور فاستأمن إليه على لسان رئيس الرؤساء ، واستأمن هو ايضاً معه . وخرجا إليه وسارا معه ونكر البساسيري على قريش نقضه لما تعاهدا عليه ، فقال : إنما تعاهدنا على الشركة فيما يستولي عليه ، وهذا رئيس الرؤساء لك والخليفة لي .

ولما حضر رئيس الرؤساء عند البساسيري وبّخه وسأله العفو فأبى منه ، وحمل قريش القائم الى معسكره على هيئته ، ووضع خاتون بنت أخي السلطان طغرلبك في يد بعض الثقات من خواصّه وأمره بخدمتها ، وبعث القائم ابن عمّه مهارش فسار به إلى بلده حُدَيْثَةَ خان وانزله بها . وأقام البساسيري ببغداد وصلّى عيد النحر بالألوية المصريّة وأحسن إلى الناس وأجرى أرزاق الفقهاء ولم يتعصّب المذهب . وأنزل أمّ القائم بدارها وسهّل جرايتها ، وولى محمود بن الأفرم على الكوفة . وسعى الفرات وأخرج رئيس الرؤساء من محبسه آخر ذي الحجة فصلبه عند التجيبيّ لخمسين سنة من تردّده في الوزارة . وكان ابن ماكولا قد قبل شهادته سنة أربع عشرة . وبعث البساسيري الى المستنصر العلويّ بالفتح والخطبة له بالعراق . وكان هنالك أبو الفرج ابن أخي ابي القائم المغربي ،فاستهان بفعله وخوّفه عاقبته . وأبطأت أجوبته مدّة . ثم جاءت بغير ما أمل ، وسار البساسيري من بغداد إلى واسط والبصرة فملكها . وأراد قصر الأهواز فبعث صاحبها هزارشب بن شكر فأصلح أمره على مال يحمله . ورجع البساسيري إلى واسط في شعبان سنة إحدى وخمسين . وفارقه صدقة بن منصور بن الحسين الأسدي إلى هزارشب . وقد كان ولّى بغداد أباه على ما يذكر . ثم جاء الخبر إلى البساسيري بظفر طغرلبك بأخيه . وبعث إليه والي قريش في إعادة الخليفة إلى داره . ويقيم طغرلبك . وتكون الخطبة والسكّة له فأبى البساسيري من ذلك . فسار طغرلبك إلى العراق . وانتهى إلى قصر شيرين . وأجفل الناس بين يديه . ورحل أهل الكرخ بأهليهم وأولادهم برّاً وبحراً . وكثر عيث بني شيبان في الناس . وارتحل البساسيري بأهله وولده ساوس ذي القعدة سنة إحدى وخمسين لحول كامل من دخوله وكثر الهرج في المدينة والنهب والإحراق . ورحل طغرلبك إلى بغداد بعد أن

أرسل من طريقه الأستاذ أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك إلى قريش بن بدران بالشكر على فعله في القائم وفي خاتون بنت أخيه زوجة القائم ، وأنّ أبا بكر بن فورك جاء بإحضارهما والقيام بخدمتهما ، وقد كان قريش بعث إلى مهارش بأن يدخل معهم إلى البريّـة بالخليفة ليصدّ ذلك طغرلبك عن العراق ، ويتحكّم عليه بما يريد فأبى مهارش لنقض البساسيري عهوده ، واعتذر بأنه قد عاهد الخليفة القائم بما لا يمكن نقضه ورحل بالخليفة إلى العراق ، وجعل طريقه على بدران بن مهلهل . وجاء أبو فورك إلى بدر فحمله معه إلى الخليفة وأبلغه رسالة طغرلبك وهداياه ، وبعث طغرلبك للقائه وزيره الكندريّ والأمراء والحجّاب بالخيام والسُرادقات والمقرّبات بالمراكب الذهبيّـة فلقوه في بلد بدر . ثم خرج السلطان فلقيه بالنهروان واعتذر عن تأخّره بوفاة أخيه داود بخراسان وعصيان إبراهيم بهمذان ، وأنه قتله على عصيان . وأقام حتى رتّب أولاد داود في مملكته وقال إنه يسير إلى الشام في اتّباع البساسيري . وطلب صاحب مِصْر فقلّده القائم سيفه إذ لم يجد سواه ، وأبدى وجهه للأمراء فحيّوه وانصرفوا . وتقدّم طغرلبك إلى بغداد فجلس في الباب النوبي مكان الحاجب ، وجاء القائم فأخذ طغرلبك بلجام بغلته إلى باب داره وذلك لخمس بقين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وسار السلطان إلى معسكره وأخذ في تدبير أموره .

مقتل البساسيري

ثم أرسل السلطان طغرلبك خمارتكين في ألفين إلى الكوفة ، واستقرّ معه سرايا بن منيع في بني خفاجة ، وسار السلطان طغرلبك في أثرهم فلم يشعر دبيس وقريش والبساسيري ـــ وقد كانوا نهبوا الكوفة ـــ إلاّ والعساكر قد طلعت عليهم من طريق الكوفة ، فأجفلوا نحو البطيحة . وسار دبيس ليردّ العرب إلى القتال فلم يرجعوا ، ومضى معهم ، ووقف البساسيري وقريش فقتل من أصحابهما جماعة وأسر أبو الفتح ابن ورّام ومنصور بن بدران وحمّاد بن دبيس ، وأصاب البساسيري سهم فسقط عن فرسه ، وأخذ رأسه لمتنكيرز[1] وأتى العميد الكندريّ وحمله إلى السلطان ، وغنم العسكر جميع أموالهم وأهليهم ، وحمل رأس البساسيري إلى دار الخلافة فعلّق قبالة

(١) كمشتكين : ابن الاثير ج ٩ ص ٦٤٩ .

النوبي في منتصف ذي الحجة . ولحق دبيس بالبطيحة ومعه زعيم الملك أبو الحسن عبد الرحيم ، وكان هذا البساسيري من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة إسمه أرسلان وكنيته أبو الحرث ونسبه في الترك . وهذه النسبة المعروفة له نسبة إلى مدينة بفارس حرفها الأوّل متوسّط بين الفاء والباء ، والنسبة إليها فسوي ، ومنها أبو علي الفارسيّ صاحب الإيضاح . وكان أوّلا ينسب إليها فلذلك قيل فيه هو بساسيري (١) .

* (مسير السلطان الى واسط وطاعة دبيس) *

ثم انحدر السلطان الى واسط اول سنة اثنتين وخمسين وحضر عنده هزارشب بن شكر من الأهواز ، وأصلح حال دبيس بن مَزْيَد وصَدَقَة بن منصور بن الحسين ، أحضرهما عند السلطان وضمِن واسِط أبو علي بن فضلان بمائتي ألف دينار ، وضمن البصرة الأغر أبو سعد سابور بن المظفّر ، وأصعدَ السلطان إلى بغداد ، واجتمع بالخليفة ، ثم سار إلى بلد الجبل في ربيع سنة إثنتين وخمسين . وأنزل ببغداد الأمير برسو شحنة ، وضمن أبو الفتح المظفّر بن الحسين في ثلاث سنين بأربعمائة ألف دينار ، وردّ إلى محمود الأخرم إمارة بني خفاجة ، وولاّه الكوفة وسقى الفرات وخواصّ السلطان بأربعة آلاف دينار في كل سنة .

* (وزارة القائم) *

ولما عاد القائم إلى بغداد ولّى أبا تراب الأشيري على الأنهار وحضور المراكب ، ولقّبه حاجب الحجّاب ، وكان خدمه بالحُدَيْثَة ثم سعى الشيخ أبو منصور في وزارة أبي الفتح بن أحمد بن دارست على أن يحمل مالاً فأجيب وأحضرمن الأهواز في منتصف ربيع من سنة ثلاث وخمسين فاستوزره وكان من قبل تاجراً لأبي كاليجار ، ثم ظهر عجزه في استيفاء الأموال فعزله ، وعاد إلى الأهواز . وقدّم أثر ذلك أبو نصر بن جُهَيْر وزير نَصِير الدولة بن مروان نازعاً منه إلى الخليفة القائم فقَبِلَه واستوزره ، ولقّبه فخر الدولة .

(١) عبارة ابي الفداء بسا ، وهي بالعربية فسا من اللباب . بفتح الباء الموحدة والسين المهملة ، ثم ألف . ومدينة فسا عن ابن حوقل اكبر مدينة في كورة دار ابجرد ، وتقارب في الكبر شيراز . وفي اللباب ينسب إليها بالعربية فسوي ، وأهل فارس ينسبون اليها البساسيري ، وسيد أرسلان التركي من فسافنسب الغلام اليه ، واشتهر بالبساسيري ، والبساسيري المذكور له ذكر مشهور في التواريخ وهو الذي خطب لخلفاء مصر في بغداد ، وطرد القائم العباسي عن بغداد . اهـ . باختصار .

* (عقد طغرلبك على ابنه الخليفة) *

كان السلطان طغرلبك قد خطب من القائم إبنته على يد أبي سعد قاضي الريّ سنة ثلاث وخمسين ، فاستنكف من ذلك . ثم بعث أبا محمد التميمي في الاستعفاء من ذلك وإلاّ فيشترط ثلثمائة ألف دينار وواسِط وأعمالها . فلما ذكر التميمي ذلك للوزير عميد الملك بنى الأمر على الإجابة قال : ولا يحسن الاستعفاء ، ولا يليق بالخليفة طلب المال ، وأخبر السلطان بذلك فسرّ به وأشاعه في الناس ولقّب وزيره عميد الملك وأتى أرسلان خاتون زوجة القائم ومعه مائة ألف ألف دينار وما يناسبها من الجواهر والجوار ، وبعث معهم قرامرد بن كاكويه[1] وغيره من أمراء الريّ ، فلمّا وصلوا إلى القائم استشاط وهمّ بالخروج من بغداد . وقال له العميد : ما جمع لك في الأوّل بين الامتناع والاقتراح وخرج مغضباً إلى النهروان فاستوقفه قاضي القضاة والشيخ أبو منصور بن يوسف . وكتب من الديوان إلى خمارتكين من أصحاب السلطان بالشكوى من عميد الملك وجاءه الجواب بالرفق . ولم يزل عميد الملك يريّض الخليفة وهو يتمنّع إلى أن رحل في جمادى من سنة أربع وخمسين . ورجع إلى السلطان وعرّفه بالحال ، ونسب القضية إلى خمارتكين فتنكر له السلطان وهرب ، واتّبعه أولاد ينال فقتلوه بثأر أبيهم ، وجعل مكانه سارتكين[2] وبعث للوزير بشأنه . وكتب السلطان إلى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن يوسف بالعتب ، وطلب بنت أخي زوجة القائم فأجاب الخليفة حينئذ إلى الإصهار ، وفوّض إلى الوزير عميد الكندريّ عقد النكاح على إبنته للسلطان ، وكتب بذلك إلى أبي الغنائم المجلبان فعقد عليها في شعبان من تلك السنة بظاهر تبريز . وحمل السلطان للخليفة أموالاً كثيرة وجواهر لوليّ العهد وللمخطوبة ، وأقطع ما كان بالعراق لزوجته خاتون المتوفاة للسيدة بنت الخليفة . وتوجّه السلطان في المحرم سنة خمس وخمسين من أرمينية إلى بغداد ومعه من الأمراء أبو علي بن أبي كاليجار وسرخاب بن بدر وهزار وأبو منصور بن قرامرد بن كاكويه ، وخرج الوزير ابن جُهَيْر فتلقّاه ، وترك عسكره بالجانب الغربي ، ونادى الناس بهم . وجاء الوزير ابن العميد لطلب المخطوبة فأفرد له القائم دوراً لسكناه وسكنى

---

(١) فرامرز بن كاكويه : ابن الاثير ج ١٠ ص ٢١ .
(٢) ساوتكين : ابن الاثير ج ١٠ ص ٢٢ .

حاشيته ، وانتقلت المخطوبة إليها وجلست على سرير ملبّس بالذهب . ودخل السلطان فقبّل الأرض . وحمل لها مالاً كثيراً من الجواهر وأولم أياماً . وخلع على جميع أمرائه وأصحابه . وعقد ضمان بغداد على أبي سعد الفارسي بمائة وخمسين ألف دينار ، وأعاد ما كان أطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس . وقبض على الأعرابي سعد ضامن البصرة . وعقد ضمان واسِط على أبي جعفر بن فضلان بمائتي ألف .

* (وفاة السلطان طغرلبك وملك ابن أخيه داود) *

ثم سار السلطان طغرلبك من بغداد في ربيع الآخر إلى بلد الجبل . فلمّا وصل الريّ أصابه المرض وتوفي ثامن رمضان من سنة خمس وخمسين . وبلغ خبر وفاته إلى بغداد فاضطربت ، واستقدم القائم مسلم بن قريش صاحب الموصِل ودبيس بن مَزْيَد وهزارشب صاحب الأهواز وبني ورّام وبدر بن مهلهل فقدموا . وأقام أبو سعد الفارسيّ ضامن بغداد سوراً على قصر عيسى . وجمع الغلال . وخرج مسلم بن قريش من بغداد فنهب النواحي ، وسار دبيس بن مَزْيَد وبنو خفاجة وبنو ورّام والأكراد لقتاله . ثم استتيب ورجع إلى الطاعة وتوفي أبو الفتح بن ورّام مقدّم الأكراد والجاوانيّة ، وحمل العامّة السلاح لقتال الأعراب فكانت سبباً لكثرة الذعّار . ولما مات طغرلبك بايع عميد الدولة الكندريّ بالسلطنة لسليمان بن داود . وجعفر بك ، وكان ربيب السلطان طغرلبك خلّف أخاه جعفر بك داود على أمّه . وعهد إليه بالملك ، فلما خطب له اختلف عليه الأمر وسار باغي سيان وأردم إلى قزوين فخطب لأخيه ألب أرسلان وهو محمد بن داود ، وهو يومئذ صاحب خراسان ووزيره نظام الملك سار إلى المذكور ، وسأل الناس إليه وشعر الكندري باختلال أمره فخطب بالريّ للسلطان ألب أرسلان وبعده لأخيه سليمان . وزحف ألب أرسلان في العساكر من خراسان إلى الريّ فلقيه الناس جميعاً ودخلوا في طاعته ، وجاء عميد الملك الكندريّ إلى وزيره نظام الملك فخدمه وهاداه فلم يغن عنه ، وخشي السلطان غائلته فقبض عليه سنة ست وخمسين وحبسه بمرو الروذ . ثم بعث بعد سنة من محبسه بقتله في ذي الحجة من سنة سبع وخمسين ، وكان من أهل نيسابور كاتباً بليغاً . فلمّا ملك طغرلبك نيسابور ، وطلب كاتباً فدلّه عليه الموفّق والد أبي سهل فاستكتبه

واستخلصه ، وكان خصيًّا يقال إنّ طغرلبك خصاه لأنه تزوّج بامرأة خطبها له . وغطّيَ عليه فظفر به فحاصره وأقرّه على خدمته . وقيل أشاع عند أعدائه أنه تزوّجها ولم يكن ذلك فخصى نفسه ليأمن من غائلته ، وكان شديد التعصّب على الشافعيّة والأشعريّة . واستأذن السلطان في لعن الرافِضَة على منابر خراسان ، ثم أضاف إليهم الأشعرية فاستعظم ذلك أئمة السنّة . وفارق خراسان أبو القاسم القشيري ثم أبو المعالي إلى مكّة فأقام أربعة سنين يتردّد بين الحرمين يدرّس ويفتي حتى لقّب إمام الحرمين . فلمّا جاء دولة ألب أرسلان أحضرهم نظام الملك وزيره فأحسن إليهم وأعاد السلطان ألب أرسلان السيدة بنت الخليفة التي كانت زوجة طغرلبك إلى بغداد ، وبعث في خدمتها الأمير أيتكين السلماني ، وولّاه شحنة ببغداد ، وبعث معها أيضاً أبا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفّق لطلب الخطبة ببغداد فمات في طريقه ، وكان من رؤساء الشافعيّة بنيسابور . وبعث السلطان مكانه العميد أبا الفتح المظفّر بن الحسين فمات أيضاً في طريقه ، فبعث وزيره نظام الملك ، وخرج عميد الملك ابن الوزير فخر الدولة بن جُهَيّر لتلقّيهم ، وجلس لهم القائم جلوساً فخماً في جمادى الأولى من سنة ست وخمسين ، وساق الرسل بتقليد ألب أرسلان السلطنة . وسلّمت إليهم الخلَع بمشهد من الناس ، ولقّب ضياء الدولة ، وأمر بالخطبة له على منابر بغداد ، وأن يخاطب بالولد المؤيد حسب اقتراحه ، فأرسل إلى الديوان لأخذ البيعة النقيب طراد الزينبّي ، فأرسل إليه بِنَقْجُوَان من أذربيجان ، وبايع وانتقض على السلطان ألب أرسلان من السلجوقية صاحب هَرَاة وصغانيان ، فسار إليهم وظفر بهم كما نذكر في أخبارهم ودولتهم عند إفرادها بالذكر انتهى .

* (فتنة قطلمش والجهاد بعدها) *

كان قطلمش هذا من كبار السلجوقية وأقربهم نسباً إلى السلطان طغرلبك ، ومن أهل بيته . وكان قد استولى على قومة واقصراي[1] وملطية ، وهو الذي بعثه السلطان طغرلبك أوّل ما ملك بغداد سنة تسع وأربعين لقتال البساسيري وقريش بن بدران صاحب الموصِل ، ولقيهم على سِنْجار الريّ . فجهّز ألب أرسلان العساكر من نيسابور في المحرّم من سنة سبع وخمسين ، وساروا على المفارقة فسبقوا قطلمش إلى

(١) قونية وأقصرا : ابن الأثير ج ١٠ ص ٣٦ .

الريّ ، وجاء كتاب السلطان إليه ولقيه فلم يثبت ومضى منهزما واستباح السلطان عسكره قتلاً وأسراً وأجلت الواقعة عنه قتيلاً ، فحزن له السلطان ودفنه . ثم سار إلى بلاد الروم معتزماً على الجهاد ، ومرّ بأذربيجان ولقيه طغرتكين[1] من أمراء التركمان في عشيرة ، وكان ممارساً للجهاد فحثّه على قصده ، وسلك دليلاً بين يديه فوصل إلى نَـجْـرَان على نهر أَرَس وأمر بعمل السفن لعبوره ، وبعث عساكر لقتال خُـوَيّ وسَلَـمَاس من حصون أذربيجان ، وسار هو في العساكر فدخل بلاد الكَـرْخ وفتح قلاعها واحدة بعد واحدة كما نذكر في أخبارهم . ودوّخ بلادهم وأحرق مدنهم وحصونهم ، وسار إلى مدينة آي من بلاد الدَيْـلَـم فافتتحها وأثخن فيها وبعث بالبشائر إلى بغداد وصالحه ملك الكرخ على الجزية ورجع إلى أصبهان . ثم سار منها إلى كرمان فأطاعه أخوه قاروت بن داود جعفر بك . ثم سار إلى مَـرْو وأصهر إليه خاقان ملك ما وراء النهر بإبنته لابنه ملكشاه ، وصاحب غَـزْنَـة بابنته لابنه الآخر انتهى .

* (العهد بالسلطنة لملكشاه بن الب ارسلان) *

وفي سنة ثمان وخمسين عهد ألب أرسلان بالسلطنة لإبنه ملكشاه ، واستخلف له الأمراء وخلع عليهم وأمر بالخطبة له في سائر أعماله ، وأقطع بَـلْـخ لأخيه سليمان وخوارزم لأخيه ازعزا . ومرو لابنه أرسلان شاه ، وصغانيان وطخارستان لأخيه إلياس ومَازَنْـدَارَانَ للأمير ابتايخ وبيغوا[3] وجعل ولاية نقشوان[4] ونواحيها لمسعود بن ازناس[5] وكان وزيره نظام الملك قد ابتدأ سنة سبع وخمسين بناء المدرسة النظاميّة ببغداد ، وتمّت عمارتها في ذي القعدة سنة تسع وخمسين ، وعيّن للتدريس بها الشيخ إسحق الشيرازي ، واجتمع الناس لحضور درسه ، وتخلّف لأنه سمع أن في مكانها غصباً . وبقي الناس في انتظاره حتى يئسوا منه ، فقال الشيخ أبو منصور : لا ينفصل هذا الجمع إلا عن تدريس ، وكان أبو منصور الصبّاغ حاضراً فدرّس وأقام مُدَرِّساً عشرين يوماً حتى سمع أبو إسحق الشيرازي بالتدريس فاستقرّ بها .

---

(١) طغركين : ابن الاثيرج ١٠ ص ٣٧ .
(٢) هكذا بالأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٥٠ : « وخوارزم لأخيه أرسلان ارغو . »
(٣) إينانج تيغـو : ابن الاثيرج ١٠ ص ٥٠ .
(٤) ولاية بَـغـشور : ابن الاثيرج ١٠ ص ٥٠ .
(٥) مسعود بن أرتاش .

* (وزراء الخليفة) *

كان فخر الدولة بن جُهَيْر وزير القائم كما ذكرناه ، ثم عزله سنة ستين وأربعمائة فلحق بنور الدولة دبيس بن مَزْيَد بالقلوجة ، وبعث القائم عن أبي يعلى والد الوزير أبي شُجَاع ، وكان يكتب لهزارشب بن عوض صاحب الأهواز فاستقدمه ليولّيه الوزارة ، فقدم ومات في طريقه ، ونفع دبيس بن مَزْيَد في فخر الدولة بن جُهَيّر فأعيد إلى وزارته سنة إحدى وستين في صفر .

* (الخطبة بمكة) *

وفي سنة إثنتين وستين خطب محمد بن أبي هاشم بمكّة للقائم وللسلطان ألب أرسلان ، وأسقط خطبة العلويّ صاحب مِصْر وترك حيّ على خير العمل من الأذان ، وبعث إبنه وافداً على السلطان بذلك فأعطاه ثلاثين ألف دينار ، وخلعاً نفيسة ورتّب كل سنة عشرة آلاف دينار .

* (طاعة دبيس ومسلم بن قريش) *

كان مسلم بن قريش منتقضاً على السلطان ، وكان هزارشب بن شكر بن عوض قد أغرى السلطان بدبيس بن مَزْيَد ليأخذ بلاده فانتقض . ثم هلك هزارشب سنة إثنتين وستين بأصبهان منصرفاً من وفادته على السلطان بخراسان ، فوفد دبيس على السلطان ومعه مشرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصِل ، وخرج نظام الملك لتلقّيهما وأكرمهما السلطان ورجعا إلى الطاعة .

* (الخطبة العباسية بحلب واستيلاء السلطان عليها) *

كان محمود بن صالح بن مراد قد استولى هو وقومه على مدينة حلب ، وكانت للعلويّ صاحب مِصْرَ . فلمّا رأى إقبال دولة ألب أرسلان وقوّتها خافه على بلده فحملهم على الدخول في دعوة القائم ، وخطب له على منابر حلب سنة ثلاث وستين ، وكتب بذلك إلى القائم ، فبعث إليه نقيب النقباء طراد بن محمد الزَيْنَبيّ بالخِلَع ، ثم سار السلطان ألب أرسلان إلى حلب ومرّ بديار بكر فخرج إليه صاحبها ابن مروان ، وخدمه بمائة ألف دينار . ومرّ بآمد فامتنعت عليه وبالرها كذلك . ثم نزل على حلب

وبعث إليه صاحبها محمود مع نقيب النقباء طراد بالاستعفاء من الحضور فألحّ في ذلك ، وحاصره فلما اشتدّ عليه الحصار خرج ليلاً إلى السلطان ، ومعه أمّه منيعة بنت رتاب النميري ملقياً بنفسه فأكرمه السلطان وخلع عليه وأعاده إلى بلده فقام بطاعته .

* (واقعة السلطان مع ملك الروم وأسره) *

كان ملك الروم في القسطنطينية وهو أرمانوس قد خرج سنة إثنتين وستين إلى بلاد الشام في عساكر كثيفة ، ونزل على مَنْبِج ونهبها وقتل أهلها ، وزحف إليه محمود بن صالح بن مرداس وابن حسّان الطائي في بني كلاب وطيء ومن إليهم من جموع العرب فهزمهم ، وطال عليه المقام على منبج وعزّت الأقوات فرجع إلى بلاده . واحتشد وسار في مائتي ألف من الزنج والروم والروس والكَرْخ ، وخرج في احتفال إلى أعمال خلاط ووصل الى ملازجرد . وكان السلطان ألب أرسلان بمدينة خُوَيّ من أذربيجان عند عوده من حلب فتشوّق إلى الجهاد ، ولم يتمكن من الاحتشاد . فبعث أثقاله وزوجته مع نظام الملك إلى همذان وسار فيمن حضره مِنَ العساكر . وكانوا خمسة عشر ألفاً ووطّن نفسه على الاستماتة ، فلقيت مقدّمته عند خلاط جموع الروسية في عشرة آلاف فانهزموا وجيء بملكهم إلى السلطان فحبسه ، وبعث بالأسلاب إلى نظام الملك ليرسلها إلى بغداد . ثم تقارب العسكران وجنح السلطان للمهادنة فأبى ملك الروم فاعتزم السلطان وزحف وأكثر من الدعاء والبكاء ، وعفّر وجهه بالتراب . ثم حمل عليهم فهزمهم وامتلأت الأرض بأشلائهم وأسر الملك أرمانوس ، جاء به بعض الغلمان أسيراً فضربه السلطان على رأسه ثلاثاً ووبّخه . ثم فاداه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار ، وعلى أن يطلق كل أسير عنده ، وأن تكون عساكر الروم مدداً للسلطان متى يطلبها . وتمّ الصلح على ذلك لمدّة خمسين سنة . وأعطاه السلطان عشرة آلاف دينار وخلع عليه وأطلقه ، ووثب ميخاييل على الروم فملك عليهم مكان أرمانوس فجمع ما عنده من الأموال فكان مائتي ألف دينار ، وجيء بطبق مملوء بجواهر قيمته تسعون ألفاً . ثم استولى أرمانوس بعد ذلك على أعمال الأرمن وبلادهم .

* (شحنة بغداد) *

قد ذكرنا أنّ السلطان ألب أرسلان ولّى لأوّل ملكه إيتكين السليماني شحنة ببغداد سنة ست وخمسين فأقام فيها مدّة ، ثم سار إلى السلطان في بعض مهمّاته ، واستخلف إبنه مكانه فأساء السيرة ، وقتل بعض المماليك الداريّة فأنفذ قميصه من الديوان إلىَ السلطان ، وخوطب بعزله . وكان نظام الملك يعنى به فكتب فيه بالشفاعة ، وورد سنة أربع وستين فقصد دار الخلافة وسأل العفو فلم يجب ، وبُعِث إلى تكريت ليسوغها[1] بإقطاع السلطان فبرز المرسوم من ديوان الخلافة بمنع ذلك . ولما رأى السلطان ونظام الملك إصرار القائم على عزله ، بعث السلطان مكانه سعد الدولة كوهرابين[2] اتباعا لمرضاة الخليفة . ولما ورد بغداد خرج الناس للقائه وجلس له القائم واستقرّ شحنة .

* (مقتل السلطان ألب أرسلان وملك ابنه ملكشاه) *

سار السلطان ألب أرسلان محمد إلى ما وراء النهر ، وصاحبه شمس الملك تكين ، وذلك سنة خمس وستين ، وعبر على جسر عقده على جيحون في نيّف وعشرين يوماً ، وعسكره تزيد على مائتي ألف . وجيء له بمستحفظ القلاع ، ويعرف بيوسف الخوارزمي فأمر بعقابه على ارتكابه فأفحش في سبّ السلطان فغضب وأمر بإطلاقه ، ورماه بسهم فأخطأه ، فسيّر إليه يوسف ، وقام السلطان عن سريره فعثر ووقع فضربه بسكينة ، وضرب سعد الدولة ، ودخل السلطان خيمته جريحاً . وقتل الأتراك يوسف هذا ، ومات السلطان من جراحته عاشر ربيع سنة خمس وستين لتسع سنين ونصف من ملكه ، ودفن بمرو عند أبيه . وكان كريماً عادلاً كثير الشكر لنعمة الله والصدقة ، واتّسع ملكه حتى قيل فيه سلطان العالم . ولما مات وقد أوصى بالملك لإبنه ملكشاه فجلس للملك ، وأخذ له البيعة وزيره نظام الملك ، وأرسل إلى بغداد فخطب له على منابرها . وكان ألب أرسلان اوصى أن يعطي أخوه قاروت بك أعمال فارس وكَرْمان وشيئاً عيّنه من المال ، وكان بكرمان . وأن يعطي إبنه أياس بن ألب أرسلان

---

(١) هكذا بالاصل ويسوغ بمعنى يسهل ولا يلتئم . وفي الكامل ج ١٠ ص ٧٠ : «وكان نظام الملك يعنى بالسليماني فاضاف الى إقطاعه تكريت ، فكوتب واليها من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها . »

(٢) كوهرائين : المرجع السابق .

ما كان لأبيه داود ، وهو خمسمائة ألف دينار ، وعهد بقتال من لم يقضِ بوصيّته .
وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر فعبر الجسر في ثلاثة أيام ، وزاد الجند في أرزاقهم سبعمائة ألف دينار ، ونزل نيسابور وأرسل إلى ملوك الأطراف بالطاعة والخطبة فأجابوا . وأنزل أخاه أياس بن ألب أرسلان ببَلْخ وسار إلى الريّ . ثم فوّض إلى نظام الملك وأقطعه مدينة طوس التي هي منشؤه وغيرها ، ولقّبه ألقاباً منها أتابك ومعناها الأمير الوالد ، فحمل الدولة بصرامة وكفاية وحسن سيرة ، وبعث كوهرابين الشحنة إلى بغداد سنة ست وستين لاقتضاء العهد ، فجلس له القائم وعلى رأسه حافده ووليّ عهده المقتدي بأمر الله ، وسلم الى سعد الدولة كوهرابين عهد السلطان ملكشاه بعد ان قرأ الوزير أوّله في المحفل وعقد له اللواء بيده ودفعه إليه .

* (وفاة القائم ونصب المقتدي للخلافة) *

ثم توفي القائم بأمر الله أبو جعفر بن القادر افْتُصِد منتصف شعبان من سنة سبع وستين ونام فانفجر فصاده ، وسقطت قوّته . ولما أيقن بالموت أحضر حافده أبا القاسم عبدالله إبن إبنه ذخيرة الدين محمد ، وأحضر الوزير ابن جُهَيْر والنقباء والقضاة وغيرهم ، وعهد له بالخلافة . ثم مات لخمس وأربعين سنة من خلافته . وصلّى عليه المقتدي ، وبويع بعهد جده ، وحضر بيعته مؤيد الملك بن نظام الملك ، والوزير فخر الدولة بن جُهَيْر وابنه عميد الدولة ، وأبو إسحق الشيرازي وأبو نصر بن الصبّاغ ، ونقيب النقباء طراد ، والنقيب الطاهر المعمر بن محمد ، وقاضي القضاة أبو عبدالله الدامغاني ، وغيرهم من الأعيان والأماثل . ولما فرغوا من البيعة صلّى بهم العصر ولم يكن للقائم عقب ذكر غيره لأنّ ابنه ذخيرة الدين أبا العبّاس محمدا توفي في حياته ولم يكن له غيره فاعتمد القائم لذلك . ثم جاءت جاريته أرجوان بعد موته لستة أشهر بولد ذكر فعظم سرور القائم به ، ولما كانت حادثة البساسيري حمله أبو الغنائم بن المحلبان إلى حرّان وهو ابن أربع سنين ، وأعاده عند عود القائم الى داره . فلما بلغ الحلم عهد له القائم بالخلافة ولما تمت بيعته لقّب المقتدي وأقرّ فخر الدولة بن جُهَيْر على وزارته بوصية جدّه القائم بذلك . وبعث إبن عميد الدولة إلى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة في رمضان من سنة سبع وستين ، وبعث معه من الهدايا ما يجلّ عن الوصف . وقدم سعد الدولة كوهرابين سنة ثمان وستين إلى بغداد شحنة ، ومعه

العميد أبو نصر ناظراً في أعمال بغداد ، وقدم مؤيد الملك بن نظام الملك سنة سبعين للإقامة ببغداد ، ونزل بالدار التي بجوار مدرستهم .

* (عزل الوزير ابن جُهَيْر ووزارة أبي شجاع) *

كان أبو نصر بن الأستاذ أبي القاسم القُشَيْرِيّ قد حجّ سنة تسع وستين ، فورد بغداد منصرفاً من الحجّ ، ووعظ الناس بالنظاميّة ، وفي رباط شيخ الشيوخ ، ونصر مذهب الأشعريّ فأنكر عليه الحنابلة ، وكثر التعصّب من الجانبين ، وحدثت الفتنة والنهب عند المدرسة النِظَامِيّة ، فأرسل مؤيد الملك إلى العميد والشحنة فحضروا في الجند ، وعظمت الفتنة ونسب ذلك إلى الوزير فخر الدولة بن جُهَيْر ، وعظم ذلك على عضد الدولة فأعاد كوهرابين إلى الشحنة ببغداد وأوصاه المقتدي بعزل فخر الدولة من الوزارة ، وأمر كوهرابين بالقبض على أصحابه ونمي الخبر إلى بني جُهَيْر فبادر عميد الدولة ابن الوزير إلى نظام الملك يستعطفه . ولما بلغ كوهرابين رسالة الملك إلى المقتدى أمر فخر الدولة بلزوم منزله . ثم جاء إبنه عميد الدولة ، وقد استصلح نظام الملك في الشفاعة لهم ، فأعيد عميد الملك إلى الوزارة دون أبيه فخر الدولة وذلك في صفر سنة إثنتين وسبعين .

* (استيلاء تتش بن ألب أرسلان على دمشق وابتداء دولته ودولة نفيه فيها) *

كان أتسز بهمزة وسين وزاي بن أبق[1] الخوارزمي من أمراء السلطان ملك شاه وقد سار سنة ثلاث وستين إلى فلسطين من الشام ففتح مدينة الرَمْلَة ، ثم حاصر بيت المقدس وفتحها من يد العلويّين أصحاب مصر ، وملك ما يجاورها ما عدا عسقلان . ثم حاصر دمشق حتى جهدها الحصار فرجع وبقي يردّد الغزوات إليها كل سنة . ثم حاصرها سنة سبع وستين وبها المعلّى بن حمدرة[2] من قبل المنتصر العبيدي

(١) أتسز بن اوق الخوارزمي : ابن الاثير ج ١٠ ص ٦٨ .
(٢) المعلّى بن حيدرة : ابن الاثير ج ١٠ ص ٩٩ .

فأقام عليها شهراً . ثم أقلع ديار أهل دمشق [١] بالمعلّى لسوء سيرته فهرب إلى بانياس ثم إلى صور ، ثم أخذ إلى مصر وجلس بها ومات محبوساً واجتمع المصامدة بعد هربه من دمشق وولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودي ولقّبوه زين الدولة . ثم اختلفوا عليه ووقعت الفتنة ، وغلت الأسعار ورجع أتسز إلى حصارها فنزل له عنها انتصار على الأمان ، وعوّضه عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ، وخطب فيها أتسز للمقتدي العبّاسي في ذي القعدة سنة ثمان وستين . وتغلّب على أكثر الشام ومنع من الأذان بحيّ على خير العمل . ثم سار سنة تسع وستين إلى مصر وحاصرها حتى أشرف على أخذها . ثم انهزم من غير قتال ورجع إلى دمشق وقد انتقض عليه أكثر بلاد الشام ، فشكر لأهل دمشق صونهم لمخلّفه وأمواله ، ورفع عنهم خراج سنة وبلغه أنّ أهل القدس وثبوا بأصحابه ومخلفه وحصروهم في محراب داود عليه السلام ، فسار إليهم وقاتلهم فملكهم عنوة وقتلهم في كل مكان إلاّ من كان عند الصخرة . ثم إنّ السلطان ملك شاه أقطع أخاه تاج الدولة تتش سنة سبعين وأربعمائة بلاد الشام وما يفتحه من نواحيها ، فسار إلى حلب سنة إحدى وسبعين وحاصرها وضيّق عليها . وكانت معه جموع كثيرة من التركمان . وكان صاحب مصر قد بعث عساكره مع قائده نصير الدولة لحصار دمشق فأحاطوا بها ، وبعث أتسز إلى تتش وهو على حلب يستمدّه فسار إليه ، وأجفلت العساكر المصرية عن دمشق ، وجاء إليها تتش فخرج أتسز للقائه بظاهر البلد فتجنى عليه حيث لم يستعد للقائه ، وقبض عليه وقتله لوقته . وملك البلد وأحسن السيرة فيها وذلك سنة إحدى وسبعين فيما قال الهمذاني . وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر إنّ ذلك كان سنة إثنتين وسبعين . وقال ابن الأثير والشاميّون في هذا الإسم افسلس والصحيح أنه أتسز وهو إسم تركي [٢] .

---

(١) هكذا بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٩٩ : « فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار الى دمشق فحصرها وأميرها المعلّى بن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر . فلم يقدر عليها . فانصرف عنها في شوال . فهرب أميرها المعلّى في ذي الحجة . وكان سبب هربه أنه أساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم ، فكثر الدعاء عليه . وثار به العسكر . واعانهم العامة فهرب منها الى بانياس ، ثم منها الى صور . ثم أخذ الى مصر فحبس بها فمات محبوسا » .

(٢) هكذا بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ١٠٣ : « هكذا يذكر الشاميون هذا الاسم أقسيس والصحيح أنه أتسز وهو اسم تركي » .

* (سفارة الشيخ أبي اسحق الشيرازي عن الخليفة) *

كان عميد العراق أبو الفتح بن أبي الليث قد أساء السيرة وأساء إلى الرعيّة وعسفهم ، واطرح جانب الخليفة المقتدي وحواشيه فاستدعى المقتدي الشيخ أبا إسحق الشيرازي وبعثه إلى السلطان ملك شاه والوزير نظام الملك بالشكوى من ابن العميد ، فسار لذلك ومعه جماعة من أعيان الشافعيّة منهم أبو بكر الشاشي وغيره ، وذلك سنة خمس وخمسين . وتنافس أهل البلاد في لقائه والتمسّح بأطرافه والتماس البركة في ملبوسه ومركوبه ، وكان أهل البلاد إذا مرّ بهم يتسايلون إليه ويزدحمون على ركابه ، وينشدون على موكبه كل أحد ما يناسب ذلك ، وصدر الأمر بإهانة ابن العميد ورفع يده عما يتعلق بحواشي المقتدي ، وجرى بينه وبين إمام الحرمين مناظرة بحضرة نظام الملك ذكرها الناس في كتبهم انتهى .

* (عزل ابن جهير عن الوزارة وامارته على ديار بكر) *

ثم إنّ عميد الدولة بن فخر الدولة بن جُـهَـيْر عزله الخليفة المقتدي عن الوزارة ووصل يوم عزل رسول من قبل السلطان ونظام الملك يطلب بني جهير فأذن لهم وساروا بأهلهم إلى السلطان فلقّاهم كرامة وبِرّا ، وعقد لفخر الدولة على ديار بكر وكان بني مروان وبعث معه العساكر سنة وأعطاه الآلة وأذن له أن يخطب فيها لنفسه ، ويكتب إسمه في السكّة فسار لذلك سنة ست وسبعين ثم بعث إليه السلطان سنة سبع وسبعين بمدد العساكر مع الأمير أُرْتُق بن اكسب جلّ أصحاب ماردين لهذا العهد ، وكان ابن مروان قد استمدّ فخر الدولة بن جُـهَـيْر بنواحيها ، وكان معه جماعة من التركمان فتقدّموا إلى قتل مشرف الدولة ، وانهزم أمامهم وغنم التركمان من كان معه من أحياء العرب ، ودخل آمد فحصره بها فخر الدولة وأُرْتُق ، فراسل أُرْتُق وبذل له مالاً على الخروج من ناحيته ، فأذن له وخرج . ورجع ابن جُهَيْر الى ميافارقين ومعه بهاء الدولة منصور بن مَزْيَد صاحب الحلّة والنيل والجامعين وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه إلى العراق ، وسار هو إلى خلاط . وكان السلطان لما بلغه انهزام مشرف الدولة وحصاره بآمد بعث عميد الدولة بنِ فخر الدولة بن جُـهَـيْر في عسكره إلى الموصل ومعه قسيم الدولة أقسنقر جدّ نور الدين العادل ، وكاتب أمراء التركمان بطاعته وساروا

إلى الموصل فملكوها . وسار السلطان بنفسه إليها وقارن ذلك خلوص مشرف الدولة من حصار آمد فراسل مؤيد الدولة بن نظام الملك وهو على الرحبة ، وأهدى له فسعى له عند السلطان وأحضره وأهدى للسلطان سوابق خيله وصالحه وأقرّه على بلاده ، وعاد إلى خراسان . ولم يزل فخر الدولة بن جُهَيْر في طلب ديار بكر حتى ملكها . فأنفذ إليه زعيم الرؤساء القاسم سنة ثمان وسبعين ، وحاصرها وضيّق عليها حتى غدر بها بعض أهل العسكر من خارج وملكها . وعمد أهل البلد إلى بيوت النصارى بينهم فنهبوها بما[1] كانوا عمّال بني مروان ، وكان لهم جور على الناس . وكان فخر الدولة مقيماً على ميافارقين محاصراً لها ، وجاءه سعد الدولة كوهرابين في العسكر مدداً من عند السلطان فخرج في حصارهما وسقط بعض الأيام جانب من سورها فدهش أهل البلد وتنادوا بشعار السلطان ملك شاه ، واقتحم فخر الدولة البلد واستولى على ما كان لبني مروان ، وبعث بأموالهم إلى السلطان مع إبنه زعيم الرؤساء فلحقه بأصبهان سنة ثمان وسبعين . ثم بعث فخر الدولة أيضاً عَسكراً إلى جزيرة ابن عمر وحاصروها حتى جهدهم الحصار ، فوثب طائفة من أهل البلد بعاملها ، وفتحوا الباب ، ودخل مقدّم العسكر فملك البلد ودخل سنة ثمان وسبعين . وانقرضت دولة بني مروان من ديار بكر واستولى عليها فخر الدولة بن جُهَيْر ، ثم أخذها السلطان من يده وسار إلى الموصل فتوفي بها ، وكان مولده بها واستخدم لبرلة بن مقلة[2] وسفر عنه إلى ملك الروم . ثم سار إلى حلب ووزر لمعزّ الدولة أبي هال بن صالح . ثم مضى إلى مَلَطْيَة ثم إلى مروان بديار بكر ، فوزر له ولولده . ثم سار إلى بغداد ووزر للخليفة كما مرّ في آخر ما ذكرنا ، وتوفي سنة ثلاث وثمانين انتهى .

* (خبر الوزارة) *

لما عزل الخليفة المقتدي عميد الدولة عن الوزارة سنة ست وسبعين رتّب في الديوان أبا الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء . ثم استوزر أبا شجاع محمد بن الحسين فلم يزل في الوزارة إلى سنة أربع وثمانين فتعرّض لأبي سعد بن سمحاء اليهودي كان وكيلاً للسلطان ، ونظام الملك ، وسار كوهرابين الشحنة إلى السلطان بأصبهان ، فمضى

(١) مقتضى السياق لأنهم كانوا .
(٢) بركة بن المقلد : ابن الاثير ج ١٠ ص ١٨٢ .

اليهودي في ركابه ، وسمع المقتدي بذلك فخرج توقيعه بإلزام أهل الذمة بالغيار فأسلم بعضهم وهرب بعضهم . وكان ممن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وقرابته ، ولما وصل كوهرابين وأبو سعد إلى السلطان وعَـظُـمَت سعايتهما في الوزير أبي شجاع فكتب السلطان ونظام الملك إلى المقتدي في عزله فعزله ، وأمره بلزوم بيته ، وولّى مكانه أبا سعد بن موصلايا الكاتب ، وبعث المقتدي اليهما في عميد الدولة بن جُـهَـيْر فبعثا به إليه واستوزره سنة أربع وثمانين ، وركب إليه نظام الدولة فهنّـأه بالوزارة في بيته ، وتوفي الوزير أبو شجاع سنة ثمان وثمانين .

* (استيلاء السلطان على حلب) *

قد ذكرنا من قبل استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب ، وخطبة صاحبها محمود ابن صالح بن مرداس على منابره بإسمه سنة ثلاث وستين . ثم عاد بعد ذلك إلى طاعة العَـلَوِيّـة بمصر . ثم انتقضت دولة بني مرداس بها ، وعادت رياستها شورى في مشيختها ، وطاعتهم لمسلم بن قريش صاحب الموصِل ، وكبيرهم ابن الحتيتي . واستقرّ ملك سليمان بن قطلمش ببلاد الروم ، وملك أنطاكية سنة سبع وسبعين . وتنازع مع مشرف الدولة ابن قريش ملك حلب وتزاحفا فقتل سليمان بن قطلمش مسلم بن قريش سنة تسع وسبعين . وكتب إلى أهل حلب يستدعيهم إلى طاعته فاستمهلوه إلى أن يكاتبوا السلطان ملك شاه . فإنّ الكل كانوا في طاعته وكتبوا إلى تُـتُش أخي السلطان وهو بدمشق أن يملّـكوه فسار إليهم ومعه أرتق بن أكسب ، كان قد لحق به عندما جاء السلطان إلى الموصِل وفتحها خشية مما فعله في خلاص مسلم بن قريش من حصار آمد فأقطعه تتش بيت المقدس . فلما جاء تتش إلى حلب وحاصر القلعة ، وبها سالم بن مالك بن بدران ابن عمّ مشرف الدولة مسلم بن قريش ، وكان ابن الحتيتي وأهل حلب قد كاتبوا السلطان ملك شاه أن يسلّموا إليه البلد ، فسار من أصبهان في جمادى سنة تسع وستين ، ومرّ بالموصل ثم بحرّان فتسلّمها وأقطعها محمد بن مسلم بن قريش ، ثم بالرها فملكها من يد الروم ، ثم بقلعة جعفر فحاصرها وملكها من يد بعض بني قشير ، ثم بمَـنْـبِج فملكها ثم عبر الفرات إلى حلب فأجفل أخوه تُـتُش إلى البريّـة ومعه أرتق . ثم عاد إلى دمشق وكان سالم بن مالك ممتنعاً بالقلعة فاستنزله منها وأقطعه قلعة جُـعْـبُر فلم تزل بيده ويد بنيه حتى ملكها منهم نور الدين العادل ، وبعث إلى

السلطان بالطاعة على شيراز ، وولّى السلطان على حلب قسيم الدولة صاحب شيراز نصر بن عليّ بن منقذ الكناني وسلّم إليه اللاذقية وكفرطاب وفامية ، فأقرّ على شيراز ، وولّى السلطان على حلب قسيم الدولة أقسنقر جدّ نور الدين العادل ، ورحل إلى العراق وطلب أهل حلب أن يعفيهم من ابن الحثيثي فحمله معه وأنزله بديار بكر فتوفي فيها بحلل أملاق . ودخل السلطان بغداد في ذي الحجة من سنة تسع وسبعين وأهدى إلى المقتدي وخلع عليه الخليفة ، وقد جلس له في مجلس حفل ونظام الملك قائم يقدّم أمراء السلطان واحداً بعد واحد آخر للسلام للخليفة ، ويعرّف بأسمائهم وأنسابهم ومراتبهم . ثم فوّض الخليفة المقتدي إلى السلطان أمور الدولة ، وقبّل يده وانصرف . ودخل نظام الملك إلى مدرسته فجلس في خزانة الكتب وأَسْمَعَ جُزء حديث وأَمْلى آخر . وأقام السلطان ببغداد شهراً ورحل في صفر من سنة ثمانين إلى أصبهان وجاء إلى بغداد مرّة أخرى في رمضان من سنة أربع وثمانين ونزل بدار الملك وقدّم عليه أخوه تاج الدولة تُتُش وقسيم الدولة أقسنقر من حلب ، وغيرهما من أمراء النواحي . وعمل ليلة الميعاد من سنة خمس وثمانين ، لم ير أهل بغداد مثله وأخذ الأمراء في بناء الدور ببغداد لسكناهم عند قدومهم فلم تمهلهم الأيام لذلك .

* (فتنة بغداد) *

كانت مدينة بغداد قد احتفلت في كثرة العمران بما لم تنته إليه مدينة في العالم منذ مبدء الخليفة فيما علمناه ، واضطربت آخر الدولة العبّاسيّة بالفتن ، وكثر فيها المفسدون والدعّار والعيارون من الرّها ، وأعيا على الحكّام أمرهم ، وربما أركبوا العساكر لقتالهم ويثخنون فيهم فلم يحسم ذلك من عللهم شيئاً وربْما حدثت الفتن من أهل المذاهب ومن أهل السنّة والشيعة من الخلاف في الإمامة ومذاهبها ، وبين الحنابلة والشافعيّة وغيرهم من تصريح الحنابلة بالتشبية في الذات والصفات ، ونسبتهم ذلك إلى الإمام أحمد ، وحاشاه منه ، فيقع الجدال والنكير ثم يفضي إلى الفتنة بين العوام . وتكرّر ذلك منذ حجر الخلفاء . ولم يقدر بنو بُوَيْه ولا السلجوقيّة على حسم ذلك منها لسكنى أولئك بفارس ، وهؤلاء بأصبهان ، وبعدهم عن بغداد والشوكة التي تكون بها حسم العلل لاتفاقهم . وإنما تكون ببغداد شحنة تحسم ما خفّ من العلّل ما لم ينته إلى عموم الفتنة ، ولم يحصل من ملوكهم إهتمام لحسم ذلك

لاشتغالهم بما هو أعظم منه في الدولة والنواحي . وعامة بغداد أهون عليهم من أن يصرفوا همتهم عن العظائم إليهم فاستمرّت هذه العلّة ببغداد ، ولم يقلع عنها إلى أن اختلفت جدّتها وتلاشى عمرانها ، وبقي طراز في ردائها لم تذهبه الأيام .

* (مقتل نظام الملك وأخباره) *

كان من أبناء الدهاقين بطوس أبو علي الحسين بن عليّ بن إسحق ، فشبّ وقرأ بها وسمع الحديث الكبير وتعلّق بالأحكام السلطانية وظهرت فيها كفايته ، وكان يعرف بحسن الطوسي . وكان أميره الذي يستخدمه يصادره كل سنة فهرب منه إلى داود وحفري بك ، وطلبه مخدومه الأمير فمنعه ، وخدم أبا علي بن شادان متولّي الأعمال ببَلْخ لحفري بك أخي السلطان طغرلبك ، وهو والد السلطان ألب أرسلان . ولما مات أبو علي وقد عرف نظام الملك هذا بالكفاية والأمانة أوصى به ألب أرسلان فأقام بأمور دولته ودولة إبنه ملك شاه من بعده ، وبلغ المبالغ كما مرّ واستولى على الدولة . وولّى أولاده الأعمال وكان فيمن ولاّه منهم إبن إبنه عثمان جمال . وولّى على مرو ، وبعث السلطان إليها شحنة من أعظم أمرائه ، وقع بينه وبين عثمان نزاع فحملته الحداثة والإدلال بجاهه على أن قبض على الأمير وعاقبه ، فانطلق إلى السلطان مستغيثاً ، وامتعض لها السلطان وبعث إلى نظام الملك بالنكير مع خواصه وثقاته فحملته الدالة على تحقيق تعديد حقوقه على السلطان ، وإطلاق القول في العتاب والتهديد بطوارق الزمن . وأرادوا طي ذلك عن السلطان فوشى به بعضهم . فلما كان رمضان من سنة خمس وثمانين ، والسلطان على نَـهَـاوَنْـد عائداً من أصبهان إلى بغداد ، وقد انصرف الملك يومه ذلك من خيمة السلطان إلى خيمته ، فاعترضه صبيّ قيل إنه من الباطنة في صورة مستغيث فطعنه بسكينة فمات ، وهرب الصبي فأُدرك وقتل ، وجاء السلطان إلى خيمة نظام الملك يومه ، وسكن أصحابه وعسكره ، وذلك لثلاثين سنة من وزارته سوى ما وزر لأبيه ألب أرسلان أيام إمارته بخراسان .

* (وفاة السلطان ملك شاه وملك ابنه محمود) *

لما قتل نظام الملك على نَـهَـاوَنْـد كما ذكرناه سار السلطان لوجهه ، ودخل بغداد آخر رمضان من سنته ، ولقيه الوزير عميد الدولة بن جُـهَـيْر واعتزم السلطان أن يولّي

وزارته تاج الملك وهو الذي سعى بنظام الملك ، وكانت قد ظهرت كفايته . فلما صلّى السلطان العيد عاد إلى بيته وقد طرقه المرض ، وتوفي منتصف شوّال ، فكتمت زوجته تركمان خاتون موته وأنزلت أموالها وأموال أهل الدولة بحريم دار الخلافة ، وارتحلت إلى أصبهان . وسلّوا السلطان معها في تابوته وقد بذلت الأموال للأمراء على طاعة إبنها محمود والبيعة له فبايعوه ، وقدمت من طريق قوام الدولة كربوقا الذي ملك الموصِل من بعد ذلك ، فسار بخاتم السلطان لنائب القلعة وتسلّمها . ولما بايعت لولدها محمود وعمره يومئذ أربع سنين بعثت إلى الخليفة المقتدي في الخطبة له فأجابها على شرط أن يكون أَنز من أمراء أبيه هو القائم بتدبير الملك ، وأن يصدر عن رأي الوزير تاج الملك ، ويكون له ترتيب العمّال وجباية الأموال فأبت أوّلاً من قبول هذا الشرط ، حتى جاءها الإمام أبو حامد الغزالي وأخبرها أنّ الشرع لا يجير تصرفاته فأذعنت لذلك ، فخطب لإبنها آخر شوّال من السنة ، ولقّب ناصر الدولة والدين ، وكتب إلى الحرمين الشريفين فخطب له بهما .

* (ثورة بركيارق بملك شاه) *

كانت تركمان خاتون عند موت السلطان ملك شاه قد كتمت موته وبايعت لإبنها محمود كما قلناه ، وبعثت إلى أصبهان سرًّا في القبض على بركيارق ابن السلطانَ ملك شاه خوفاً من أن ينازع إبنها محموداً فحبس . فلما ظهر موت ملك شاه وثب مماليك بركيارق ونظام الملك على سلاح كان له بأصبهان وثاروا في البلد وأخرجوا بركيارق في محبسه وبايعوه وخطبوا له بأصبهان. وكانت أمّه زبيدة بنت عم ملك شاه وهو ياقولي خائفة على ولدها من خاتون أمّ محمود ، وكان تاج الملك قد تقدّم إلى أصبهان وطالبه العسكر بالأموال فطلع إلى بعض القلاع لينزل منها المال وامتنع منها خوفاً من مماليك نظام الملك . ولما وصلت تركمان خاتون إلى أصبهان جاءها فقبلت عذره . وكان بركيارق لما أقامت خاتون إبنها محموداً بأصبهان خرج فيمن معه من النظامية إلى الريّ واجتمع معه بعض أمراء أبيه وبعثت خاتون العساكر إلى قتاله ، وفيهم أمراء ملك شاه . فلما تراءى الجمعان هرب كثير من الأمراء إلى بركيارق واشتدّ القتال فانهزم عسكر محمود وخاتون ، وعادوا إلى أصبهان وسار بركيارق في أثرهم فحاصرهم بها .

* (مقتل تاج الملك) *

كان الوزير تاج الملك قد حضر مع عسكر خاتون وشهد وقعة بركيارق . فلما انهزموا سار إلى قلعة يزدجرد فحبس في طريقه ، وحمل إلى بركيارق وهو محاصر أصبهان ، وكان يعرف كفايته فأجمع أن يستوزره ، وأصلح هو النظاميّة وبذل لهم مائتي ألف دينار واسترضاهم بها . ونمي ذلك إلى عثمان نائب نظام الملك فوضع الغلمان الأصاغر عليه الطالبين ثأر سيدهم وأغراهم فقتلوه وقطعوه قطعاً[1] وذلك في المحرّم سنة ست وثمانين . ثم خرج إلى بركيارق من أصبهان وهو محاصر لها عزّ الملك أبو عبدالله بن الحسين بن نظام الملك وكان على خوارزم ، ووفد على السلطان ملك شاه قبل مقتل أبيه . ثم كان ملكها فأقام هو بأصبهان وخرج إلى بركيارق وهو يحاصرها فاستوزره وفوّض إليه أمر دولته انتهى .

* (الخطبة لبركيارق ببغداد) *

ثم قدم بركيارق بغداد سنة ست وثمانين ، وطلب من المقتدي الخطبة فخطب له على منابرها ولقّب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جُهَيْر إليه الخلع فلبسها وتوفي المقتدي وهو مقيم ببغداد .

* (وفاة المقتدي ونصب المستظهر للخلافة) *

ثم توفي المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبدالله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله في منتصف محرّم سنة سبع وثمانين ، وكان موته فجأة ، أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم عليه فقرأه ووضعه . ثم قدّم إليه طعام فأكل منه ثم غشي عليه فمات ، وحضر الوزير فجهزوا جنازته وصلّى عليه إبنه أبو العبّاس أحمد ودفن وذلك لتسع عشرة سنة وثمانية أشهر من خلافته . وكانت له قوّة وهمّة لولا أنه كان مغلباً ، وعظمت عمارة بغداد في أيامه ، وأظنّ ذلك لاستفحال دولة بني طغرلبك . ولما توفي المقتدي وحضر الوزير أحضر إبنه أبا العباس أحمد الحاشية فبايعوه ولقّبوه المستظهر ، وركب الوزير إلى بركيارق وأخذ بيعته للمستظهر . ثم حضر بركيارق لثالثة من وفاته ومعه وزيره عزّ الملك بن نظام الملك وأخوه بهاء الملك ، وأمر السلطان بأرباب

(١) هكذا بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٢١٦ : « فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه ، فوضع الغلمان الأصاغر على الاستغاثة وان لا يقنعوا إلا بقتل قاتل صاحبهم ، ففعلوا وفصّلوه أجزاء » .

المناصب فجمعوا وحضر النقيبان طراد العبّاسي والمُعَمّر العلويّ ، وقاضي القضاة أبو عبدالله الدامغاني والغزالي والشاشي وغيرهم فحبسوا في العراء وبايعوا .

* (أخبار تتش وانتقاضه وحروبه ومقتله) *

قد ذكرنا فيما تقدّم أنّ تتش بن السلطان ألب أرسلان استقل بمُلْك دمشق وأعمالها . وأنه وفد على السلطان ملك شاه ببغداد قبل موته وانصرف ، وبلغه خبر وفاته بهيت فملكها وسار إلى دمشق فجمع العساكر ، وزحف إلى حلب فأطاعه صاحبها قسيم الدولة أقسنقر . وسار معه ، وكتب إلى ناعيسان صاحب أنطاكية وإلى برار صاحب الرها وحرّان يشير عليهما بطاعة تُتُش حتى يصلح حال أولاد ملك شاه فقبلوا منه . وخطبوا له في بلادهم وساروا معه فحضرَ الرحبة وملكها في المحرّم سنة ست وثمانين . وخطب فيها لنفسه . ثم فتح نصيبين عنوة وعاث فيها وسلّمها لمحمد بن مشرف الدولة وسار يريد الموصل ولقيه الكافي فخر الدولة بن جُهَيْر وكان في جزيرة ابن عمر فاستوزره وبعث إلى إبراهيم بن مشرف الدولة مسلم بن قريش وهو يومئذ ملك الموصل يأمره بالخطبة له ، وتسهيل طريقه إلى بغداد فأبى من ذلك وزحف إليه تُتُش وهو في عشرة آلاف وأقسنقر على ميمنته وتوزران[1] على ميسرته،وإبراهيم في ستين ألفاً والتقوا فانهزم إبراهيم وأخذ أسيراً وقتل جماعة من أمراء العرب صبراً ، وملك تاج الدولة تُتُش الموصِل ، وولّى عليها عليّ بن مشرف الدولة . وفوّض إليه أمر صفيّة عمة تُتُش وبعث إلى بغداد يطلب مساعدة كوهرابين الشحنة فجاء العذر بانتظار الرسل من العسكر ، فسار إلى ديار بكر وملكها ، ثم إلى أذربيجان ، وبلغ خبره إلى بركيارق ، وقد استولى على همذان والريّ فسار لمدافعته ، فلمّا التقى العسكران جنح أقسنقر إلى بركيارق وفاوض توران في ذلك ، وأنهما إنّما اتّبعا تُتُش حتى يظهر أمر أولاد ملكشاه ، فوافقه على ذلك ، وسارا معاً إلى بركيارق فانهزم تُتُش وعاد إلى دمشق ، واستفحل بركيارق وجاءه كوهرابين يعتذر من مساعدته لتُتُش في الخطبة فلم يقبله ، وعزله وولّى الأمير نكبرد شحنة بغداد مكانه . ثم خطب لبركيارق ببغداد كما قدّمناه . ومات المقتدي ونصب المستظهر ، ولما عاد تُتُش من أذربيجان إلى الشام جمع العساكر وسار إلى حلب لقتال أقسنقر ، وبعث بركيارق كربوقا الذي صار أمير الموصِل مدداً لأقسنقر ، ولقيهم تُتُش قريباً من حلب فهزمهم وأسر أقسنقر فقتله صبراً . ولحق

(١) توزون : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٣٠١ ووردت ايضاً توران .

توران وكربوقا بحلب، وحاصرهما تُتُش فملكها وأخذهما أسيرين، وبعث إلى حرّان والرّها في الطاعة، وكانتا لتوران فامتنعوا، فبعث برأسه إليهم وأطاعوه، وحبس كربوقا في حمص إلى أن أطاعه رضوان بعد قتل أبيه تُتُش. ثم سار تُتُش إلى الجزيرة فملكها، ثم ديار بكر ثم خلاط وأرمينية، ثم أذربيجان. ثم سار إلى همذان فملكها، وكان بها فخر الدولة نظام الملك، سار من حرّان لخدمة بركيارق فلقيه الأمير تاج من عسكر محمود بن ملكشاه بأصبهان، فنهب ماله ونجا بنفسه إلى همذان، وصادف بها تُتُش وشفع فيه باغِسيان وأشار بوزارته فاستوزره، وأرسل إلى بغداد يطلب الخطبة من المستظهر، وبعث يوسف بن أبق التركماني شحنته إلى بغداد في جمع من التركمان فمنع من دخولها. وكان بركيارق قد سار إلى نصيبين وعبر دجلة فوق الموصِل إلى أربل، ثم إلى بلد سرخاب بن بدر حتى إذا كان بينه وبين عمّه تسعة فراسخ، وهو في ألف رجل وعمّه في خمسين ألفاً، فبيّته بعض الأمراء من عسكر عمّه فانهزم إلى أصبهانِ، وبها محمود ابن أخيه، وقد ماتت أمّه تركمان خاتون فأدخله أمراء محمود، واحتاطوا عليه. ثم مات محمود سلخ شوّال من سنة سبع وثمانين، واستولى بركيارق على الأمر، وقصده مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره في ذي الحجّة، واستمال الأمراء فرجعوا إليه وكثر جمعه. وكان تُتُش بعد هزيمة بركيارق قد اختلف عليه الأمراء وراسل أمراء أصبهان يدعوهم إلى طاعته فواعدوه انتظار بركيارق، وكان قد أصابه الجدري، فلمّا أبلّ نبذوا إليه عهده، وساروا مع بركيارق من أصبهان، وأقبلت إليهم العساكر من كل مكان وانتهوا إلى ثلاثين ألفاً والتقوا قريباً من الريّ فانهزم تُتُش وقتله بعض أصحاب أقسنقر، وكان قد حبس وزيره فخر الملك بن نظام الملك فأطلق ذلك اليوم، واستفحل أمر بركيارق وخطب له ببغداد.

* (ظهور السلطان ملكشاه والخطبة له ببغداد) *

كان السلطان بركيارق قد ولّى على خراسان وأعمالها أخاه لأبيه سنجر فاستقل بأعمال خراسان كما يذكر في أخبار دولتهم عند انفرادها بالذكر. وإنما نذكر هنا من أخبارهم ما يتعلّق بالخلافة والخطبة لهم ببغداد، لأنّ مساق الكلام هنا إنما هو عن أخبار دولة بني العبّاس، ومن وزر لهم أو تغلّب خاصة. وكان لسنجر بن ملكشاه أخ شقيق إسمه محمد، ولمّا هلك السلطان ملكشاه سار مع أخيه محمود وتركمان خاتون إلى

أصبهان . فلمّا حاصرهم بركيارق لحق به أخوه محمد هذا وسار معه إلى بغداد سنة ست وثمانين ، وأقطعه دجلة وأعمالها وبعث معه قَطْلَغ تكين أتابك . فلمّا استوى على أمره قتله أنفة من حجره . ثم لحق به مؤيد الملك بن عبيدالله بن نظام الملك ، كان مع الأمير أنز وداخله في الخلاف على السلطان بركيارق . فلما قتل أنز كما نذكر في أخبارهم لحق مؤيد الملك بمحمد بن السلطان ملك شاه ، وأشار عليه ففعل وخطب لنفسه . واستوزر مؤيد الملك ، وقارن ذلك أنّ السلطان بركيارق قتل خاله مجد الملك البارسلاني فاستوحش منه أُمراؤه ، ولحقوا بأخيه محمد وسار بركيارق إلى الريّ واجتمع له بها عساكر وجاء عزّ الملك منصور بن نظام الملك في عساكر ، وبينما هو في الريّ إذ بلغه مسير أخيه محمد إليه فأجفل راجعاً إلى أصبهان فمنعه أهلها الدخول ، فسار إلى خوزستان . وجاء السلطان محمد إلى الريّ أوّل ذي القعدة من سنة إثنتين وتسعين ، ووجد أم بركيارق بها وهي زبيدة خاتون فحبسها مؤيد الملك وقتلها ، واستفحل ملك محمد ، وجاءه سعد الدولة كوهرابين شحنة بغداد وكان مستوحشاً من بركيارق ، وجاء معه كربوقا صاحب الموصل وجَكَرْمَش صاحب جزيرة ابن عمر ، وسرخاب ابن بدر صاحب كركور فلقوه جميعاً بقمّ وسار كربوقا وجكرمش معه إلى أصبهان ، وردّ كوهرابين إلى بغداد في طلب الخطبة من الخليفة ، وأن يكون شحنة[1] بها فأجابه المستظهر إلى ذلك وخطب له منتصف ذي الحجة سنة إثنتين وتسعين ولقب غياث الدنيا والدين .

* (اعادة الخطبة لبركيارق) *

لما سار بركيارق مجفلاً من الريّ إلى خوزستان أمام أخيه محمد ، وأمير عسكره يومئذ ينال بن أنوش تكين الحسامي ، ومعه جماعة من الأمراء ، أجمع المسير إلى العراق ، فسار إلى واسِط ، وجاءه صدقة بن مزيد صاحب الحلّة . ثم سار إلى بغداد فخطب له بها منتصف صفر من سنة ثلاث وتسعين . ولحق سعد الدولة كوهرابين ببعض الحصون هنالك ومعه أبو الغازي بن أرتق وغيره من الأمراء ، وأرسل إلى السلطان محمد ووزيره مؤيد الملك يستحثّهما في الوصول ، فبعث إليه كربوقا صاحب

(١) الشحنة : الحامية وقد استعملها ابن خلدون بمعنى القائد او رئيس الشرطة وفي لسان العرب : وبالبلد شحنة من الخيل اي رابطة. قال ابن بري : وقول العامة في الشحنة إنه الأمير غلط . وقال الأزهري شحنة الكورة من فيهم الكفاية لضبطها من اولياء السلطان .

الموصل وجكرمش صاحب الجزيرة فلم يرضه . وطلب جكرمش العود إلى بلده فأطلقه . ثم نزع كوهرابين ومن معه من الأمراء إلى بركيارق باغراء كربوقا صاحب الموصِل ، وكاتبوه فخرج إليهم ودخلوا معه بغداد واستوزره الأغرّ ابو المحاسن عبد الجليل بن عليّ بن محمد الدَهِسْتَاني ، وقبض على عميد الدولة ابن جُهَير وزير الخليفة وطالبه بأموال ديار بكر والموصل في ولايته وولاية أبيه ، وصادره على مائة وستين ألف دينار فحملها إليه وخلع المستظهر على السلطان بركيارق واستقرّ أمره .

* (المصاف الأوّل بين بركيارق ومحمد وقتل كوهرابين والخطبة لمحمد) *

ثم سار بركيارق من بغداد إلى شهرزور لقتال أخيه محمد ، واجتمع إليه عسكر عظيم من التركمان . وكاتبه رئيس همذان بالمسير إليه فعدا عنه ، ولقي أخاه محمداً على فراسخ من همذان ومحمد في عشرين ألف مقاتل ، ومعه الأمير سرخو شحنة أصبهان وعلى ميمنته أمير آخر وإبنه أياز . وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية . ومع بركيارق في القلب وزيره أبو المحاسن . وفي ميمنته كوهرابين وصدقة بن مَزْيَد وسرخاب بن بدر . وفي ميسرته كربوقا وغيره من الأمراء . فحمل كوهرابين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد فانهزموا حتى نهبت خيامهم . ثم حملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت ، وحمل محمد معهم فانهزم بركيارق ، ورجع كوهرابين للمنهزمين فكبا به فرسه وقتل ، وافترقت عساكر بركيارق وأسر وزيره أبو المحاسن فأكرمه مؤيد الملك، وأنزله وأعاده إلى بغداد ليخاطب المستظهر في إعادة الخطبة للسلطان محمد ففعل ، وخطب له ببغداد منتصف رجب سنة ثلاث وتسعين . وابتداء أمر كوهرابين أنه كان لامرأة بخوزستان وصار خادماً للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة . وحَظِيَ عنده وكان يستعرض حوائج تلك المرأة وأصاب أهلها منه خيراً . وأرسله أبو كاليجار مع ولده أبي نصر إلى بغداد ، فلمّا قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه إلى محبسه بقلعة طبرك . ولمّا مات أبو نصر سار إلى خدمة السلطان ألب أرسلان فحظِيَ عنده وأقطعه واسِط وجعله شِحْنَة بغداد ، وكان حاضراً معه يوم قتله يوسف الخوارزمي ووقّاه بنفسه . ثم بعثه إبنه ملك شاه إلى بغداد لإحضار الخِلَع والتقليد ، واستقرّ

شِحْنة ببغداد إلى أن قتل ، ورأى ما لم يره خادم قبله من نفوذ الكلمة وكمال القدرة وخدمة الأمراء والأعيان وطاعتهم انتهى .

* (مصاف بركيارق مع أخيه سنجر) *

ولما انهزم السلطان بركيارق من أخيه محمد لحق بالريّ واستدعى شيعته وأنصاره من الأمراء فلحقوا به . ثم ساروا إلى أسفراين وكاتب الامير داود حبشر بن التونطاق يستدعيه وهو صاحب خراسان وطبرستان ومنزله بالدامغان ، فأشار عليه باللحاق بنيسابور حتى يأتيه . فدخل نيسابور وقبض على رؤسائها ، ثم أطلقهم وأساء التصرّف . ثم أعاد الكتاب إلى داود حبشي بالاستدعاء فاعتذر بأنّ السلطان سِنْجِر زحف إليه في عساكر بَلْخ . ثم سأل منه المدد فسار بركيارق إليه في ألف فارس وهو في عشرين ألفاً والتقوا بسنجر عند النوشَجان وفي ميمنة سنجر الأمير برغش وفي ميسرته كوكر ، ومعه في القلب رستم . فحمل بركيارق على رستم فقتله وانهزم أصحابه ونهب عسكرهم ، وكادت الهزيمة تتم عليهم . ثم حمل برغش وكوكر على عسكر بركيـــاق وهم مشتغلون بـــالنهب فـــانهزموا ، وانهزمْ بركيـــارق . وجـــاء بعض التركمان بالأمير داود حبشي أسيراً إلى برغش فقتله ولحق بركيارق بجرجان ثم بالدامغان ، وقطع البريّـة إلى أصبهان بمراسلة أهلها فسبقه أخوه محمد إليها فعاد أسيرهم انتهى .

* (عزل الوزير عميد الدولة بن جهير ووفاته) *

قد ذكرنا أنّ وزير السلطان بركيارق وهو الأغر أبو المحاسن أسر في المصاف الأوّل بين بركيارق ومحمد ، وأنّ مؤيد الملك بن نظام الملك وزير محمد أطلقه واصطنعه وضمنه عمارة بغداد ، وحمله طلب الخطبة لمحمد ببغداد من المستظهر فخطب له ، وكان فيما حمله للمستظهر عزل وزيره عميد الدولة بن جُهَيْر . وبلغ ذلك عميد الدولة فأرسل من يعترض الأغر ويقتله فامتنع بعقر باب. ثم صالحه ذلك الذي اعترضه وطلب لقاءه فلقيه ، ودسّ الأغر إلى ابي الغازي بن أرتق ، وكان وصل معه وسبقه إلى بغداد ، فرجع إليه ليلاً ويئس منه ذلك الذي اعترضه ، ووصل الأغرّ بغداد ، وبلغ إلى المستظهر رسالة مؤيد الدولة في عزل عميد الدولة فقبض عليه في رمضان من سنة

ثلاث وتسعين ، وعلى إخوته ، وصودر على خمسة وعشرين ألف دينار ، وبقي محبوساً بدار الخلافة إلى أن هلك في محبسه .

* (المصاف الثاني بين بركيارق وأخيه محمد ومقتل مؤيد الملك والخطبة لبركيارق) *

قد ذكرنا أنّ بركيارق لمّا انهزم أمام أخيه محمد في المصاف الأوّل سار إلى أصبهان ، ولم يدخلها فمضى إلى عسكر مكرم إلى خوزستان وجاءه الاميران زنكي وألبكي إبنا برسق . ثم سار إلى همذان فكاتبه أياز من كبار أمراء محمد بما كان استوحش منه فجاءه في خمسة آلاف فارس وأغراه باللقاء فارتحل لذلك . ثم استأمن إليه سرخاب ابن كنخسرو صاحب آوة فاجتمع له خمسون ألفاً من المقاتلة ، وبقي أخوه في خمسة عشر ألفاً. ثم اقتتلوا أول جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين، وأصحاب محمد يغدون على محمد شيئاً فشيئاً مستأمنين. ثم انهزم آخر النهار وأسر وزيره مؤيد الملك، وأحضره عند بركيارق غلام لمجد الملك البارسلاني ثار منه مولاه، فلمّا حضر وبّخه بركيارق وقتله وبعث الوزير أبو المحاسن من يسلْم إليه أمواله ، وصادر عليها قرابته ، في بغداد وفي غير بغداد من بلاد العجم . ويقال كان فيما أخذ له قطعة من البلخش زنة إحدى وأربعين مثقالاً . ثم سار بركيارق إلى الريّ ولقيه هناك كربوقا صاحب الموصل ، ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مَزْيَد ، واجتمعت إليه نحو من مائة ألف فارس حتى ضاقت بهم البلاد ففرق العساكر . وعاد دبيس إلى أبيه وسار كربوقا إلى أذربيجان لقتال مودود بن إسمعيل بن ياقوتا ، كان خرج على السلطان هنالك وسار أياز إلى همذان ليقضي الصوم عند أهله ويعود ، فبقي بركيارق في خفّ من الجنود . وكان محمد أخوه لما انهزم لجهات همذان سار إلى شقيقه بخراسان فانتهى إلى جرجان ، وبعث يطلب منه المدد فأمدّه بالمال أوّلاً . ثم سار إليه بنفسه إلى جرجان وسار معه إلى الدامغان وخرّب عسكر خراسان ما مروا به من البلاد ، وانتهوا إلى الريّ ، واجتمعت إليهم النظامية وبلغهم افتراق العساكر عن بركيارق فأغذّوا إليه السير فرحل إلى همذان فبلغه أن أياز راسل محمداً ، فقصد خوزستان وانتهى إلى تُسْتُر ، واستدعى بني برسق فقعدوا عنه لما بلغهم مراسلة أياز للسلطان ، فسار بركيارق نحو العراق ، وكان أياز راسل محمداً في الكون معه فلم يقبله فسار من همذان ، ولحق بركيارق إلى حُلْوَان

وساروا جميعاً إلى بغداد . واستولى محمد على مخلّف أياز بهمذان وحُلْوَان وكان شيئاً مما لا يعبّر عنه . وصادر جماعة من أصحاب أياز من أهل همذان ، ووصل بركيارق إلى بغداد منتصف ذي القعدة سنة أربع وتسعين ، وبعث المستظهر لتلقّيه أمين الدولة بن موصلايا في المراكب ، وكان بركيارق مريضاً فلزم بيته ، وبعث المستظهر في عيد الأضحى إلى داره منبراً خطب عليه بإسمه ، وتخلّف بركيارق عن شهود العيد لمرضه ، وضاقت عليه الأموال فطلب الإعانة من المستظهر ، وحمل إليه خمسين ألف دينار بعد المراجعات ، ومد يده إلى أموال الناس وصادرهم فضجّوا ، وارتكب خطيئةً شنعاء في قاضي جبلة وهو أبو محمد عبدالله بن منصور. وكان من خبره أنّ أباه منصوراً كان قاضياً بجبلة في ملكة الروم ، فلما ملكها المسلمون وصارت في يد أبي الحسن عليّ بن عمّار صاحب طرابلس أقرّه على القضاء بها . وتوفي فقام إبنه أبو محمد هذا مقامه ولبس شعار الجنديّة وكان شهماً ، فهمّ ابن عمّار بالقبض عليه ، وشعر فانتقض وخطب للخلفاء العبّاسية . وكان ابن عمّار يخطب للعلويّة بمِصْرَ ، وطالت منازلة الفرنج بحصن جبلة إلى أن ضجر أبو محمد هذا ، وبعث إلى صاحب دمشق وهو يومئذ طغتكين الأتابك أن يسلّم إليه البلد ، فبعث إبنه تاج الملوك موري وتسلّم منه البلد ، وجاء به إلى دمشق وبذل لهم فيه ابن عمّار ثلاثين ألف دينار دون أمواله ، فلم يرضوا بإخفار ذمتهم وسار عنهم إلى بغداد، ولقي بها بركيارق فأحضره الوزير أبو المحاسن وطلبه في ثلاثين ألف دينار، فأجاب وأحالهم على منزله بالأنبار، فبعث الوزير من أتاه بجميع ما فيه ، وكان لا يعبّر فكانت من المنكرات التي أتاها بركيارق . ثم بعث الوزير إلى صدقة بن منصور بن دبيس بن مَزْيَد صاحب حلب يطلب منه ألف ألف دينار متخلّفة من مال الجباية ، وتهدّده عليها فغضب وانتقض وخطب لمحمد ، وبعث إليه بركيارق الأمير أياز يستقدمه فلم يجب ، وبعث إلى الكوفة وطرد عنها نائب بركيارق واستضافها إليه .

* (استيلاء محمد على بغداد) *

قد ذكرنا استيلاء محمد على همذان في آخر ذي الحجة من سنة أربع وتسعين ، ومعه أخوه سنجر . وذهب بركيارق إلى بغداد فاستولى عليها وأساء السيرة بها ، وبلغ الخبر إلى محمد فسار من همذان في عشرة آلاف فارس ، ولقيه بحُلْوَان أبو الغازي بن أرتق شِحنته ببغداد في عساكره وأتباعه . وكان بركيارق في شدّة من المرض ، قد أشرف

على الهلاك فاضطرب أصحابه وعبروا به إلى الجانب الغربي حتى إذا وصل محمد بغداد وتراءى الجمعان من عُدْوَتَيْ دجلة ذهب بركيارق وأصحابه إلى واسِط ودخل محمد بغداد ، وجاءه توقيع المستظهر بالانتقاض مما وقع به بركيارق ، وخطب له على منابر بغداد ، وجاءه صدقة بن منصور صاحب الحِلّة فأخرج الناس للقائه ونزل سنجر بدار كوهرابين ، واستوزر محمد بعد مؤيد الملك خطيب الملك أبا منصور محمد بن الحسين ، فقدم إليه في المحرم سنة خمس وتسعين انتهى .

* (المصاف الثالث والرابع وما تخلل بينهما من الصلح ولم يتم) *

ثم ارتحل السلطان وأخوه سِنجر عن بغداد منتصف المحرّم من سنة خمس وتسعين ، وقصد سنجر خراسان ومحمد همذان ، فاعترض بركيارق خاص الخليفة المستظهر ، وأبلغه القبيح فاستدعى المستظهر محمداً لقتال بركيارق فجاء إليه وقال : انا أكفيكه . ورتّب أبا المعالي شِحنةً ببغداد ، وكان بركيارق بواسِط كما قلنا ، فلما أبلّ من مرضه عبر إلى الجانب الشرقي بعد جهد وصعوبة لفرار الناس من واسِط لسوء سيرتهم . ثم سار إلى بلاد بني برسق حتى أطاعوا واستقاموا وساروا معه فاتبع أخاه محمداً إلى نَـهَاوَنْـد وتصافوا يومين ومنعهما شدّة البرد من القتال . ثم اجتمع أياز والوزير الأغر من عسكر بركيارق وبلد أجي وغيرهم من الأمراء من عسكر محمد . تفاوضوا في شكوى ما نزل بهم من هذه الفتنة ، ثم اتفقوا على أن تكون السلطنة بالعراق لبركيارق ويكون لمحمد من البلاد الحيرة وأعمالها وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل على أن يمدّه بركيارق بالعسكر متى احتاج إليه على من يمتنع عليه منها . وتحالفا على ذلك وافترقا في ربيع الأوّل سنة خمس وتسعين ، ثم سار بركيارق إلى ساوة ومحمد إلى قزوين ، وبدا له في الصلح واتّهم الأمراء الذين سعوا فيه ، وأسرّ إلى رئيس قزوين أن يدعوهم إلى صنيع عنده ، وغدر بهم محمد فقتل بعضاً وسمل بعضاً وأظهر الفتنة . وكان الأمير ينال بن أنوش تكين قد فارق بركيارق ، وأقام مجاهداً للباطنية في الجبال والقلاع فلقي محمداً وسار معه إلى الريّ ، وبلغ الخبر إلى بركيارق فأغذّ إليه السير في ثمان ليال واصطفّوا في التاسع وكلا الفريقين في عشرة آلاف مقاتل . وحمل سرخاب بن

كنجْسر والديلمي صاحب آوة[١] ومن أصحاب بركيارق على ينال بن أنوش تكين فهزمه ، وانهزم معه عسكر محمد ، وافترقوا فلحق فريق بطبرستان وآخر بقزوين . ولحق محمد بأصبهان في سبعين فارساً ، واتّبعه أياز وألبكي بن بُرْسُق فنجا إلى البلد وبها نوّابه ، فَلَمَّ ما تشعَّثَ من السور ، وكان من بناء علاء الدين بن كاكَوَيْه سنة تسع وعشرين لقتال طغرلبك وحفر الخنادق وأبعد مهواها وأجرى فيها المياه ، ونصب المجانيق ، واستعدّ للحصار . وجاء بركيارق في جمادي ومعه خمسة عشر ألف فارس ومائة ألف من الرجل والأتْباع . فحاصرها حتى جُهدهم الحصار وعدمت الأقوات والعلوفة ، فخرج محمد عن البلد في عيد الأضحى من سنته في مائة وخمسين فارساً ، ومعه ينال ، ونزل في الأمراء ، وبعث بركيارق في اتباعه الأمير أياز . وكانت خيل محمد ضامرة من الجوع ، فالتفت إلى أياز يذكّره العهود فرجع عنه بعد أن نهب منه خيلاً ومالاً ، وأخذ علمه وجنده وعاد إلى بركيارق . ثم شدّ بركيارق في حصار أصبهان ، وزحف بالسلاليم والذبابات ، وجمع الأيدي على الخندق فطمّه ، وتعلّق الناس بالسور فاستمات أهل البلد ودفعوهم . وعلم بركيارق امتناعها فرحل عنها ثامن عشر ذي الحجّة . وجمرّ عسكراً مع إبنه ملكشاه وترشك الصوالي على البلد القديم الذي يسمّى شهرستان ، وسار إلى همذان بعد أن كان قتل على أصبهان وزيره الأغر أبو المحاسن عبد الجليل الدهستاني ، اعترضه في ركوبه من خيمته إلى خدمة السلطان متظلم فطعنه وأشواه ، ورجع إلى خيمته فمات ، وذهب للتجّار الذين كانوا يعاملونه أموال عظيمة لأنّ الجباية كانت ضاقت بالفِتَن ، فاحتاج إلى الاستدانة ، ونفر منه التجّار لذلك . ثم عامله بعضهم فذهب ما لهم بموته ، وكان أخوه العميد المهذّب أبو محمد قد سار إلى بغداد لينوب عنه حين عقد الأمراء الصلح بين بركيارق ومحمد ، فقبض عليه الشِحْنَة ببغداد أبو الغازي بن أرتق وكان على طاعة محمد .

* (الشحنة ببغداد والخطبة لبركيارق) *

كان أبو الغازي[٢] بن أرتق شحنة ببغداد وولّاه عليها السلطان محمد عند استيلائه في المصاف الأوّل ، وكان طريق خراسان إليه فعاد بعض الأيام منها إلى بغداد ، وضرب

(١) سرخاب بن كيخسرو الديلمي صاحب أبة : ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٣٢ .
(٢) إيلغازي : ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٣٧ .

فارس من أصحابه بعض الملاّحين بسهم في ملاحاة وقعت بينهم عند العبور فقتله فثارت بهم العامة وأمسكوا القاتل ، وجاؤا به إلى باب النوبة في دار الخلافة ولقيهم ولد أبي الغازي فاستنقذه من أيديهم فرجموه ، وجاء إلى أبيه مستغيثاً وركب إلى محلة الملاّحين فنهبها وعطف عليه العيّارون فقتلوا من أصحابه ، وركبوا السفين للنجاة فهرب الملاّحون وتركوهم فغرقوا ، وجمع أبو الغازي التركماني لنهب الجانب الغربي ، فبعث إليه المستظهر قاضي القضاة والكيا الهرّاسي مدرّس النظامية بالامتناع من ذلك فاقتصر ابو الغازي أثناء ذلك متمسكاً بطاعة السلطان محمد . فلمّا انهزم محمد وانطلق من حصار أصبهان واستولى بركيارق على الريّ بعث في منتصف ربيع الأوّل من سنة ست وتسعين من همذان كمستكين القيصراني شِحْنَةً إلى بغداد . فلما سمع أبو الغازي بعث إلى أخيه سُقْمَان بحصن كيفا يستدعيه للدفاع . وجاءه سُقْمَان ومرّ بتكريت فنهبها ، ووصل كمستكين ولقيه شيعة بركيارق وأشاروا عليه بالمعاجلة ، ووصل إلى بغداد منتصف ربيع . وخرج ابو الغازي وأخوه سُقمان إلى دجيل ونهبا بعض قراها ، واتبعهما طائفة من عسكر كمستكين . ثم رجعوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد وبعث كمستكين إلى سيف الدولة صدقة بالحِلّة عنه وعن المستظهر بطاعة بركيارق فلم يجب ، وكشف القناع وسار إلى جسر صَرْصَر فقطعت الخطبة على منابر بغداد فلم يذكر أحد عليها من السلاطين ، واقتصر على الخليفة فقط . وبعث سيف الدولة صدقة إلى أبي الغازي وسُقمان بأنه جاء لنصرتهما فعادوا إلى دجيل وعاثوا في البلاد ، واجتمع لذلك حشد العرب والأكراد مع سيف الدولة ، وبعث إليه المستظهر في الإصلاح ، وخيّموا جميعاً بالرَمْلَة وقاتلهم العامّة وبعث الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني وتاج رؤساء الرياسة ابن الموصلايا إلى سيف الدولة بكفّ الأيدي عن الفساد ، فاشترطوا خروج كمستكين القيصراني شحنة بركيارق وإعادة الخطبة للسلطان محمد ، فتم الأمر على ذلك ، وعاد سيف الدولة إلى الحِلّة وعاد القيصراني إلى واسِط ، وخطب بها لبركيارق فسار إليه صدقة وأبو الغازي . وفارقها القيصراني فاتّبعه سيف الدولة . ثم استأمن ورجع إليه فأكرمه وخطب للسلطان محمد بواسِط ، وبعده لسيف الدولة وأبي الغازي واستناب كل واحد ولده ، ورجع ابو الغازي إلى بغداد وسيف الدولة إلى الحِلّة ، وبعث ولده منصورا إلى المستظهر يخطب رضاه بما كان منه في هذه الحادثة فأجيب إلى ذلك .

* (استيلاء ينال على الريّ بدعوة السلطان محمد ومسيره إلى العراق) *

كانت الخطبة بالريّ للسلطان بركيارق ، فلما خرج السلطان محمد من الحصار بأصبهان ، بعث ينال بن أنوش تكين الحسامي إلى الريّ ليقيم الخطبة له بها فسار ومعه أخوه عليّ ، وعسف الرعايا . ثم بعث السلطان بركيارق إليه بُرْسُق بن بُرْسُق في العساكر فقاتله على الريّ ، وانهزم ينال وأخوه منتصف ربيع من سنة ست وتسعين ، وذهب عليّ إلى قزوين وسلك ينال على الجبال إلى بغداد وتقطّع أصحابه في الأوعار وقتلوا ، ووصل إلى بغداد في سبعمائة رجل ، وأكرمه المستظهر واجتمع هو وأبو الغازي وسُقمان إبنا أرتق بمشهد أبي حنيفة ، فاستحلفوه على طاعة السلطان محمد ، وساروا إلى سيف الدولة صَدَقَة واستحلفوه على ذلك . واستقرّ ينال ببغداد في طاعة السلطان محمد ، وتزوّج أخت أبي الغازي كانت تحت تاج الدولة تُتُش . وعسف بالناس وصادر العمّال واستطال أصحابه على العامّة بالضرب والقتل . وبعث إليه المستظهر مع القاضي الدامغاني بالنهي عن ذلك وتقبيح فعله ، ثم مع إيلغازي فأجاب وحلف على كفّ أصحابه ومنعهم . واستمرّ على قبح السيرة فبعث المستظهر إلى سيف الدولة صَدَاقَة يستدعيه لكفّ عدوانه ، فجاء إلى بغداد في شوّال من سنة ست وتسعين ، وخيّم بالمنجمي ودعا ينالاً للرحلة عن العراق على أن يدفع إليه . وعاد إلى الحِلّة وسار ينال مستهل ذي القعدة إلى أوانا ففعل من النهب والعسف أقبح مما فعل ببغداد ، فبعث المستظهر إلى صَدَقَة في ذلك ، فأرسل ألف فارس ، وساروا إليه مع جماعة من أصحاب المستظهر وأبي الغازي الشِحنة ، وذهب ينال أمامهم إلى أذربيجان قاصداً إلى السلطان محمد ورجع أبو الغازي والعساكر عنه .

* (المصاف الخامس بين السلطانين) *

كانت كنجة وبلاد أرزن[1] للسلطان محمد وعسكره مقيم بها مع الأمير عز علي[2] ، فلما طال حصاره بأصبهان جاؤا لنصرته ، ومعهم منصور بن نظام المُلْك ومحمد بن

(١) كنجة وبلاد ارّان : ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٥٩ .
(٢) غزغلي : المرجع السابق .

أخيه مؤيد الملك ، ووصلوا إلى الريّ آخر ذي الحجّة سنة خمس وتسعين ، وفارقه عسكر بركيارق . ثم خرج محمد من أصبهان فساروا إليه ولقوه بهمذان ، ومعه ينال وعلي إبنا أنوش تكين فاجتمعوا في ستة آلاف فارس . وسار ينال وأخوه على الريّ وأزعجتهم عنها عساكر بركيارق كما مرّ . ثم جاءهم الخبر في همذان بزحف بركيارق إليهم ، فسار محمد إلى بلاد شروان . ولما انتهى إلى أردبيل بعث إليه مودود بن إسمعيل ابن ياقوتي ، وكان أميراً على بيلقان من أذربيجان ، وكان أبوه إسمعيل خال بركيارق ، وانتقض عليه أوّل أمره فقتله فكان مودود يطالبه بثأر أبيه ، وكانت أخته تحت محمد فبعث إليه وجاءه الى بيلقان . وتوفي مودود اثر قدومه منتصف ربيع من سنة ست وتسعين ، فاجتمع عسكره على الطاعة لمحمد وفيهم سُقْمَان القطبي[1] صاحب خلاط وأرمينية ومحمد بن غاغيسا . كان أبوه صاحب أنطاكية . وكان ألب أرسلان ابن السبع الأحمر . ولما بلغ بركيارق إجتماعهم لحربه أغذّ السير إليهم فوصل وقاتلهم على باب خُوَي من أذربيجان من المغرب إلى العشاء . ثم حمل أياز من أصحاب بركيارق على عسكر محمد فانهزموا ، وسار إلى خلاط ومعه سُقْمان القطبي ولقيه الأمير عليّ صاحب أرْزَن الروم ، ثم سار إلى[2] وبها منوجهر أخو فضلون الروادي . ثم سار إلى تبريز ولحق محمد بن مؤيد الملك بديار بكر ، وسار منها إلى بغداد وكان من خبره أنه كان مقيماً ببغداد مجاوراً للمدرسة النظامية فشكا الجيران منه إلى أبيه ، فكتب إلى كوهرابين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة . ثم سار سنة إثنتين وتسعين إلى محمد الملك الباسلاني[3] وأبوه حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل أن يدعو لنفسه . ثم سار بعد أن قتل محمد الملك إلى والده مؤيد الملك ، وهو وزير السلطان محمد . ثم قتل أبوه واتصل هو بالسلطان ، وحضر هذه الحروب كما ذكرنا . وأمّا السلطان بركيارق بعد هزيمة محمد فإنه نزل جبلاً بين مراغة وتبريز وأقام به حولاً ، وكان خليفة المستظهر سديد الملك أبو المعالى كما ذكرناه . ثم قبض عليه منتصف رجب سنة ست وتسعين وحبس بدار الخليفة مع أهله كانوا قد وردوا عليه من أصبهان . وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة لأنه كان يتصرّف

---

(١) سكمان القبطي : ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٦١ .

(٢) هكذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٦١ : «وتوجه الى آني ، وصاحبها منوجهر اخو فضلون الروادي .»

(٣) مجد الملك البلاساني : ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٦١ .

في أعمال السلاطين ، وليست فيها هذه القوانين . ولما قبض عاد أمين الدولة أبو سعد ابن الموصلايا إلى النظر في الديوان وبعث المستظهر عن زعيم الرؤساء أبي القاسم بن جُهَيْر من الحِلّة ، وكان ذهب إليها في السنة قبلها مستجيراً بسيف الدولة صَدَقَة لأنّ خاله أمين الدولة أبا سعد بن الموصلايا كان الوزير الأعز وزير بركيارق يشيع عنه أنه الذي يحمل المستظهر على موالاة السلطان محمد ، والخطبة له دون بركيارق ، فاعتزل أمين الدولة الديوان وسار ابن أخته هذا أبو القاسم بن جُهَيْر مستجيراً بصاحب الحِلّة فاستقدمه الخليفة الآن . وخرج أرباب الدولة لاستقباله ، وخلع عليه للوزارة ولقبه قوام الدولة ، ثم عزله على رأس المائة الخامسة . واستجار سيف الدولة صَدَقَة بن منصور ببغداد فأجاره وبعث عنه إلى الحِلّة وذلك لثلاث سنين ونصف من وزارته ، وناب في مكانه القاضي أبو الحسن بن الدامغاني أياماً . ثم استوزر مكانه أبا المعالي بن محمد بن المطّلب في المحرّم سنة إحدى وخمسمائة ، ثم عزله سنة إثنتين بإشارة السلطان محمد ، وأعاده بإذنه على شرطية العدل وحسن السيرة ، وأن لا يستعمل أحداً من أهل الذمّة . ثم عزل في رجب من سنة إثنتين وخمسين ، واستوزر أبا القاسم بن جُهَيْر سنة تسع وخمسين ، واستوزر بعده الربيع أبا منصور بن الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين وزير السلطان .

* (الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد) *

ولما تطاولت الفتنة بين السلطانين ، وكثر النهب والهرج وخربت القرى ، واستطال الأمر عليهم وكان السلطان بركيارق بالريّ والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين ، وكان السلطان محمد بأذربيجان والخطبة له بها وببلاد أرّان وأرمينية وأصبهان والعراق جميعه إلاّ تكريت . وأما البطائح فبعضها لهذا وبعضها لهذا ، والخطبة بالبصرة لهما جميعاً وأمّا خراسان من جرجان إلى ما وراء النهر ، فكان يخطب فيها لسنجر بعد أخيه السلطان محمد . فلمّا استبصر بركيارق في ذلك ، ورأى تحكّم الأمراء عليه ، وقلّة المال ، جنح إلى الصلح وبعث القاضي أبا المظفّر الجرجاني الحنفيّ وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفّار الهمذاني ، المعروف بصاحب قراتكين إلى أخيه محمد في الصلح ، فوصلا إليه بمَرَاغَة وذكراه ووعظاه فأجاب إلى الصلح على أنّ السلطان لبركيارق ، ولا يمنع محمداً من اتخاذ

الآلة ، ولا يذكر أحد منهما مع صاحبه في الخطبة في البلاد التي صارت إليه وتكون المكاتبة من وزيريهما في الشؤن لا يكاتب أحدهما الآخر ، ولا يعارض أحد من العسكر في الذهاب إلى أيهما شاء ، ويكون للسلطان محمد من نهر استبدرو إلى الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ، وأن يدخل سيف الدولة صَدَقَة بأعماله في خلفه وبلاده والسلطنة كلّها ، وبقية الأعمال والبلاد كلها للسلطان بركيارق .

وبعث محمد إلى أصحابه بأصبهان بالإفراج عنها لأصحاب أخيه ، وجاؤا بحريم محمد إليه بعد أن دعاهم السلطان بركيارق إلى خدمته فامتنعوا فأكرمهم ، وحمل حريم أخيه وزوّدهم بالأموال ، وبعث العساكر في خدمتهم . ثم بعث السلطان بركيارق إلى المستظهر بما استقرّ عليه الحال في الصلح بينهم ، وحضر أبو الغازي بالديوان وهو شِحْنَة محمد وشيعته ، إلا أنه وقف مع الصلح ، فسأل الخطبة لبركيارق فأمر بها المستظهر ، وخطب له على منابر بغداد وواسِط في جمادى سنة سبع وتسعين ، ونكر الأمير صدقة صاحب الحِلّة الخطبة لبركيارق وكان شيعة لمحمد . وكتب إلى الخليفة بالنكير على أبي الغازي وأنه سائر لإخراجه عن بغداد ، فجمع أبو الغازي التركمان ، وفارق بغداد الى عقرقوبا[1] وجاء سيف الدولة صدقة ونزل مقابل التاج وقبّل الأرض وخيّم بالجانب الغربي . وأرسل إليه أبو الغازي يعتذر عن طاعة بركيارق بالصلح الواقِع ، وأنّ إقطاعه بحُلوان في جملة بلاده التي وقع الصلح عليها وبغداد التي هو شِحْنَه فيها قد صارت له فقبل ورضي ، وعاد إلى الحِلّة وبعث المستظهر في ذي القعدة من سنة سبع وتسعين الخلع للسلطان بركيارق والأمير أياز والخطير وزير بركيارق ، وبعث معهما العهد له بالسلطنة واستحلفه الرسل على طاعة المستظهر ورجعوا .

* (وفاة السلطان بركيارق وملك ابنه ملك شاه) *

كان السلطان بركيارق بعد الصلح وانعقاده أقام بأصبهان أشهراً وطرقه المرض فسار إلى بغداد ، فلمّا بلغ بلد يزدجرد اشتدّ مرضه وأقام بها أربعين يوماً حتى أشفى على الموت ، فأحضر ولده ملك شاه وجماعة الأمراء ، وولاّه عهده في السلطنة ، وهو ابن خمس سنين وجعل الأمير أياز أتابكه ، وأوصاهم بالطاعة لهما واستحلفهم على ذلك ، وأمرهم بالمسير إلى بغداد وتخلّف عنهم ليعود إلى أصبهان فتوفي في شهر ربيع

(١) يعقوبا : ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٧٢ .

الآخر سنة ثمان وتسعين . وبلغ الخبر إلى ابنه ملك شاه والأمير أياز على إثني عشر فرسخاً من بلد يزدجرد[1] فرجعوا ، وحضروا لتجهيزه وبعثوا به إلى أصبهان للدفن بها في تربة أعدّها ، وأحضر أياز السرادقات والخيام والخفر والشمسة ، وجميع آلات السلطنة فجعلها الملك شاه . وكان أبو الغازي شحنة ببغداد وقد حضر عند السلطان بركيارق بأصبهان في المحرّم وحثّه على المسير إلى بغداد ، فلما مات بركيارق سار مع إبنه ملك شاه والأمير أياز ووصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر في خمسة آلاف فارس ، وركب الوزير أبو القاسم عليّ بن جُهَيْر لتلقّيهم فلقيهم بديالى ، وأحضر أبو الغازي والأمير طما يدل[2] بالديوان وطلبوا الخطبة لملك شاه بن بركيارق فأجاب المستظهر إلى ذلك وخطب له ولقّب بألقاب جدّه ملك شاه ونثرت الدنانير عند الخطبة .

* (وصول السلطان محمد الى بغداد واستبداده بالسلطنة والخطبة ومقتل أياز) *

كان محمد بعد صلحه مع أخيه بركيارق قد اعتزم على المسير الى الموصل ليتناولها من يد جكرمش لما كانت من البلاد التي عقد عليها وكان بتبريز ينتظر وصول أصحابه من أذربيجان ، فلمّا وصلوا استوزر سعد الملك أبا المحاسن لحسن أثره في حفظ أصبهان . ثم رحل في صفر سنة ثمان وتسعين يريد الموصل وسمع جكرمش فاستعدّ للحصار وأمر أهل السواد بدخول البلد . وجاء محمد فحاصره وبعث إليه كتب أخيه بأنّ الموصل والجزيرة من قسمته ، وأراه إيمانه بذلك ، ووعده بأن يقرّه على ولايتها فقال جكرمش : قد جاءتني كتب بركيارق بعد الصلح بخلاف هذا فاشتدّ محمد في حصاره ، وقتل بين الفريقين خلق ، ونقب السور ليلة فأصبحوا وأعادوه ، ووصل الخبر إلى جكرمش بوفاة بركيارق عاشر جمادى فاستشار أصحابه ورأى المصلحة في طاعة السلطان محمد فأرسل إليه بالطاعة ، وأن يدخل إليه وزيره بعد الملك فدخل ، وأشار عليه بالحضور عند السلطان فحضر ، وأقبل السلطان عليه وردّه لجيشه لما توقع من ارتياب أهل البلد بخروجه ، وأكثر من الهدايا والتحف للسلطان ولوزيره . ولما بلغ وفاة أخيه بركيارق سار إلى بغداد ومعه سُقْمان القطبي نسبة إلى قطب الدولة

---

(١) بَرُوجِرْدَ : ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٨٠ وقد مرّ ذكرها من قبل .
(٢) طغايرك : ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٨٢ .

إسمعيل بن ياقوتا بن داود ، وداود هو حقربيك وأبو ألب أرسلان ، وسار معه جكرمش وصاحب الموصل وغيرهما من الأمراء . وكان سيف الدولة صاحب الحلة قد جمع عسكراً خمسة عشر ألفاً من الفرسان وعشرة آلاف رجل ، وبعث ولديه بدران ودبيس إلى السلطان محمد يستحثّه على بغداد . ولمّا سمع الأمير أياز بقدومه ، خرج هو وعسكره وخيّموا خارج بغداد واستشار أصحابه فصمّموا على الحرب ، وأشار وزيره أبو المحاسن بطاعة السلطان محمد وخوّفه عاقبة خلافه وسفّه آراءهم في حربه ، وأطمعه في زيادة الأقطاع ، وتردّد أياز في أمره وجمع السفن عنده ، وضبط المثار ووصل السلطان محمد آخر جمادى من سنة ثمان وتسعين ، ونزل بالجانب الغربي وخطب له هنالك ، ولملك شاه بالجانب الشرقي . واقتصر خطيب جامع المنصور على الدعاء للمستظهر ولسلطان العالم فقط . وجمع أياز أصحابه لليمين فأبوا من المعاودة وقالوا لا فائدة فيها والوفاء إنما يكون بواحدة فارتاب أياز بهم ، وبعث وزيره المصفى أبا المحاسن إلى السلطان محمد في الصلح ، وتسليم الأمر فلقي أوّلاً وزيره سعد الملك أبا المحاسن سعد بن محمد وأخبر فأحضره عند السلطان محمد وأدى رسالة أياز والعذر عما كان منه أيام بركيارق فقبله السلطان وأعتبه ، وأجابه إلى اليمين وحضر من الغد القاضي والنقيبان واستحلف الكيا الهرّاسي مدرّس النظامية بمحضر القاضي وزير أياز بمحضرهم لملك شاه ولأياز وللأمراء الذين معه ، فقال : أمّا ملك شاه فهو إبني وأمّا أياز والأمراء فأحلف لهم إلاّ ينال بن أنوش ، وسار واستحلفه الكيا الهرّاسي مدرّس النظامية بمحضر القاضي والنقيبين . ثم حضر أياز من الغد ووصل سيف الدولة صدقة وركب السلطان للقائهما وأحسن إليهما ، وعمل أياز دعوة في داره وهي دار كوهرابين وحضر عنده السلطان وأتحفه بأشياء كثيرة منها حبل البلخش الذي كان أخذه من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك . وحضر مع السلطان سيف الدولة صَدَقَة بن مَزْيَد . وكان أياز قد تقدّم إلى غلمانه بلبس السلاح ليعرضهم على السلطان ، وحضر عندهم بعض الصفاعين فأخذوا معه في السخرية وألبسوه درعاً تحت قميصه ، وجعلوا يتناولونه بأيديهم فهرب منهم إلى خواص السلطان ، ورآه السلطان متسلحاً فأمر بعض غلمانه فالتمسوه وقد وجدوا السلاح فارتاب ونهض من دار أياز . ثم استدعاه بعد أيام ومعه جكرمش وسائر الأمراء فلما حضر وقف عليهم بعض قوّاده وقال لهم أن قليج أرسلان ابن سليمان بن قطلمش قصد ديار بكر ليملكها فأشيروا بمن نسيّر لقتاله ، فأشاروا جميعاً

بالأمير أياز ، وطلب هو مسير سيف الدولة صدقة معه فاستدعى أياز وصدقة ليفاوضهم في ذلك فنهضوا إليه ، وقد أعدّ جماعة من خواصه لقتل أياز فلما دخلوا ضرب أياز فقطع رأسه ولف شلوه في مشلح وألقي على الطريق . وركب عسكره فنهبوا داره وأرسل السلطان لحمايتها فافترقوا واختفى وزيره . ثم حمل إلى دار الوزير سعد الملك وقتل في رمضان من سنته . وكان من بيت رياسة بهمذان وكان أياز من مماليك السلطان ملك شاه ، وصار بعد موته في جملة أمير آخر فاتخذه ولداً ، وكان شجاعاً حسن الرأي في الحرب واستبدّ السلطان محمد بالسلطنة وأحسن السيرة ، ورفع الضرائب ، وكتب بها الألواح ونصبت في الأسواق وعَظُم فساد التركمان بطريق خراسان ، وهي من أعمال العراق فبعث أبو الغازي بن أرتق شحنة بغداد بدل إبن أخيه بهرام بن أرتق على ذلك البلد فحماه وكفّ الفساد منه . وسار إلى حصن من أعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه . ثم ولّى السلطان محمد سنقر البرسقي شحنة بالعراق وكان معه في حروبه وأقطع الأمير قاياز الكوفة وأمر صدقة صاحب الحِلّة أن يحمي أصحابه من خفاجة . ولما كان شهر رمضان من سنة ثمانية وتسعين عاد السلطان محمد إلى أصبهان وأحسن فيهم السيرة وكفّ عنهم الأيدي العادية .

* (الشحنة ببغداد) *

كان السلطان قد قبض سنة إثنتين وخمسين على أبي القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن ، وعلي بن الفرج ابن رئيس الرؤساء واعتقلها وصادرهما على مال يحملانه ، وأرسل مجاهد الدين لقبض المال ، وأمره بعمارة دار الملك فاضطلع بعمارتها ، وأحسن السيرة في الناس وقدم السلطان أثر ذلك إلى بغداد فشكر سيرته ، وولّاه شحنة بالعراق وعاد إلى أصبهان .

* (وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود) *

ثم توفي السلطان محمد بن ملك شاه آخر ذي الحجة من سنة إحدى وخمسمائة ، وقد كان عهد لولده محمود وهو يومئذ غلام محتلم ، وأمره بالجلوس على التخت بالتاج والسوارين وذلك لإثنتي عشرة سنة ونصف من استبداده بالملك واجتماع الناس عليه بعد أخيه . وولي بعده إبنه محمود وبايعه أمراء السلجوقية ، ودبّر دولته الوزير الرسب

أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين وزير أبيه ، وبعث إلى المستظهر في الخطبة فخطب له على منابر بغداد منتصف المحرّم سنة إثنتي عشرة ، وكان أقسنقر البرسقي مقيماً بالرحبة استخلف بها إبنه مسعوداً ، وسار إلى السلطان محمد يطلب الزيادة في الأقطاع والولاية ولقيه خبر وفاته قريباً من بغداد فمنعه بهروز الشحنة من دخولها ، وسار إلى أصبهان فلقيه بحُلوان توقيع السلطان محمود بأن يكون شحنة بغداد لسعي الأمراء له في ذلك تعصباً على مجاهد الدين بهروز وغيره منه لمكانه عند السلطان محمد . ولما رجع أقسنقر إلى بغداد هرب مجاهد الدين بهروز إلى تكريت وكانت من أعماله . ثم عزل السلطان محمود أقسنقر وولّى شحنة بغداد الأمير منكبرس حاكماً في دولته بأصبهان ، فبعث نائباً عنه ببغداد والعراق الأمير حسين بن أروبك أحد أمراء الأتراك . ورغب البرسقي من المستظهر بالعدة فلم يتوقّف فسار أقسنقر إليه وقاتله ، وانهزم الأمير حسين وقتل أخوه وعاد إلى عسكر السلطان وذلك في ربيع الأوّل من سنة إثنتي عشرة .

* (وفاة المستظهر وخلافة المسترشد) *

ثم توفي المستظهر بالله أبو العبّاس أحمد بن المقتدي بالله أبو القاسم عبدالله بن القائم بالله في منتصف ربيع الآخر سنة إثنتي عشرة وخمسمائة لأربعٍ وعشرين سنة وثلاثة أشهر من خلافته ، وبويع بعده إبنه المسترشد بالله الفضل ، وكان ولي عهده منذ ثلاث وعشرين سنة وبايعه أخوه عبدالله محمد وهو المقتدي ، وأبو طالب العبّاس وعمومته بنو المقتدي وغيرهم من الأمراء والقضاة والأئمة والأعيان . وتولى أخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغاني ، وكان نائباً عن الوزارة فأقرّه المسترشد عليها ، ولم يأخذ البيعة قاضٍ غير هذا للمسترشد ، وأحمد بن أبي داود[1] للواثق والقاضي أبو علي إسمعيل بن اسحق للمعتضد . ثم عزل المسترشد قاضي القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر أبا شجاع محمد بن الرسب أبي منصور ، خاطبه أبوه وزير السلطان محمود وإبنه محمد في شأنه فاستوزره ، ثم عزله سنة عشر واستوزر مكانه جلال الدين عميد الدولة أبا علي بن صدقة ، وهو عمّ جلال الدين أبي الرضى بن صدقة وزير الراشد .

(١) احمد بن ابي دؤاد : وهو اياد ، وكان ذو نفوذ وجاه في دولتي المعتصم والواثق (البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ١٩٠) .

ولما شغل الناس ببيعة المسترشد ركب أخوه الأمير أبو الحسن في السفن مع ثلاثة نفر وانحدر إلى المدائن ، ومنها إلى الحِلّة فأكرمه دبيس ، وأهمّ ذلك المسترشد وبعث إلى دبيس في إعادته مع النقيب علي بن طراد الزيني فاعتذر بالذمام ، وأنه لا يكرهه فخطب النقيب أبا الحسن أخا الخليفة في الرجوع فاعتذر بالخوف ، وطلب الأمان . ثم حدث من البرسقي ودبيس ما نذكره فتأخر ذلك إلى صفر من سنته وهي سنة ثلاث عشرة ، فسار أبو الحسن بن المستظهر إلى واسِط وملكها ، فبادر المسترشد إلى ولاية العهد لابنه جعفر المنصور إبن إثنتي عشر سنة ، فخطب له وكتب إلى البلاد بذلك ، وكتب إلى دبيس بمعاجلة أخيه أبي الحسن فإنه فارق ذمامه فبعث دبيس العساكر إلى واسِط فهرب منها ، وصادفوه عند الصبح فنهبوا أثقاله وهرب الأكراد والأتراك عنه ، وقبض عليه بعض الفرق وجاؤا به إلى دبيس فأكرمه المسترشد وأمّنه وأنزله أحسن نزل .

* (انتقاض الملك مسعود على أخيه السلطان محمود ثم مصالحته واستقرار جكرمش شحنة ببغداد) *

كان السلطان محمد قد أنزل إبنه مسعوداً بالحِلّة وجعل معه حيوس بك أتابك ، فلما ملك السلطان محمود بعده وفاة أبيه ، ثم وليَ المسترشد الخلافة بعد أبيه ، وكان دبيس صاحب الحلة ممرضاً في طاعته ، وكان أقسنقر البرسقي شِحْنَة بالعراق كما ذكرناه ، أراد قصد الحلّة وأخلى دبيس عنها ، وجمع لذلك جموعاً من العرب والأكراد ، وبرز من بغداد في جمادى سنة إثنتي عشرة ، وبلغ الخبر إلى الملك مسعود بالموصل وأنّ العراق خال من الحامية ، فأشار عليه أصحابه بقصد العراق للسلطنة فلا مانع دونها . فسار في جيوش كثيرة ومعه وزيره فخر الملك أبو علي بن عمّار صاحب طرابلس ، وسيأتي خبره ، وقسيم الدولة زنكي بن أقسنقر ابن الملك العادل ، وصاحب سنجار ، وأبو الهيجاء صاحب اربل ، وكرباذي بن خراسان التركماني صاحب البوازيج . ولما قربوا من العراق خافهم أقسنقر البرسقي بمكان حيوس بك من الملك المسعود ، وأمّا هو فقد كان أبوه محمد جعله أتابك لابنه مسعود فسار البرسقي لقتالهم ، وبعثوا إليه الأمير كرباذي في الصلح ، وأنهم إنما جاؤا بحدّة له على دبيس فقبل ، وتعاهدوا ورجعوا إلى بغداد كما مرّ خبره ، وسار البرسقي لقتاله فاجتمع مع

دبيس بن صدقة واتفقا على المعاضدة ، وسار الملك مسعود ومن معه إلى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس . ثم بلغهم كثرة جموعهما فعاد الملك مسعود والبرسقي وحيوس بك ، وعبروا نهر صَرْصَر وحفظ المخاضات وأفحش الطائفتان في نهب السواد واستباحته بنهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى ودجيل . وبعث المسترشد إلى الملك مسعود والبرسقي بالنكير عليهم فأنكر البرسقي وقوع شيء من ذلك ، واعتزم على العود إلى بغداد ، وبلغه أنّ دبيس ومنكبرس قد جهّز العساكر إليها مع منصور أخي دبيس وحسن بن أوربك ربيب منكبرس فأغذّ السير وخلّف إبنه عز الدين مسعوداً على العسكر بصرصر ، واستصحب عماد الدين زنكي بن أقسنقر . وجاؤا بغداد ليلاً فمنعوا عساكر منكبرس ودبيس من العبور . ثم انعقد الصلح بين منكبرس والملك مسعود وكان سببه أنّ حيوس بك كاتب السلطان محمود وهو بالموصل في طلب الزيادة له وللملك مسعود . فجاء كتاب الرسول بأنه أقطعهم أذربيجان . ثم بلغه قصدهم بغداد فاتهمهم بالانتقاض وجهّز العساكر إلى الموصل وسقط الكتاب بيد منكبرس ، وكان على أمّ الملك مسعود فبعث به إلى حيوس بك ، وداخله في الصلح والرجوع عمّا هم فيه فاصطلحوا واتفقوا . وبلغ الخبر إلى البرسقي فجاء إلى الملك مسعود وأخذ ماله وتركه . وعاد إلى بغداد فخيّم بجانب منها ، وجاء الملك مسعود وحيوس بك فخيّما في جانب آخر . وأصعد دبيس ومنكبرس فخيّما كذلك ، وتفرّق على البرسقي أصحابه وجموعه وسار عن العراق إلى الملك مسعود فأقام معه ، واستقرّ منكبرس شحنة ببغداد وعاد دبيس إلى الحلّة ، وأساء منكبرس السيرة في بغداد بالظلم والعسف ، وانطلاق أيدي أصحابه بالفساد حتى ضجر الناس ، وبعث عنه السلطان محمود فسار إليه وكفى الناس شرّه .

* (انتقاض الملك طغرل على أخيه السلطان محمود) *

كان الملك طغرل قد أقطعه أبوه السلطان محمد سنة أربع وخمسين وخمسمائة ساوة وآوة وزَنْجَان ، وجعل أتابكه الأمير شركير ، وكان قد افتتح كثيراً من قلاع الإسماعيلية فاتسع ملك طغرل بها ، ولما مات السلطان محمد بعث السلطان محمود الأمير كتبغري أتابك طغرل ، وأمره أن يحمله إليه ، وحسن له المخالفة فانتقض سنة ثلاث عشرة ، فبعث إليه السلطان بثلاثين ألف دينار وتحف وودّعه بإقطاع كثيرة ،

وطلبه في الوصول فمنعه كتبغري وأجاب بأننا في الطاعة ، ومعنا العساكر وإلى أيّ جهة أراد السلطان قصدنا . فاعتزم السلطان على السير إليهم وسار من همذان في جمادى سنة ثلاث عشرة في عشرة آلاف غازياً وجاء النذير إلى كتبغري بمسيره ، فأجفل هو وطغرل إلى قلعة سرجهان ، وجاء السلطان إلى العسكر بزنجان فنهبه وأخذ من خزانة طغرل ثلثمائة ألف دينار ، وأقام بزنجان وتوجّه منها إلى الريّ وكتبغري من سرجهان بكنجة ، وقصده أصحابه وقويت شوكته وتأكدت الوحشة بينه وبين أخيه السلطان محمود .

* (الفتنة بين السلطان محمود وعمه سنجر صاحب خراسان والخطبة ببغداد لسنجر) *

كان الملك سنجر أميراً على خراسان وما وراء النهر منذ أيام شقيقة السلطان محمد الأولى مع بركيارق . ولما توفي السلطان محمد جزع له جزعاً شديداً حتى أغلق البلد للعزاء ، وتقدّم للخطبة بذكر آثاره ومحاسن سيره من قتال الباطنية وإطلاق المكوس وغير ذلك . وبلغه ملك ابنه محمود مكانه وتغلب الأمراء عليه ، فنكر ذلك واعتزم على قصد بلد الجبل والعراق ، وأتى له محمود ابن أخيه ، وكان يلقّب بناصر الدين فتلقب بمعز الدين لقب أبيه ملك شاه . وبعث إليه السلطان محمود بالهدايا والتحف مع شرف الدولة أنو شروان بن خالد ، وفخر الدولة طغايرك بن أَكْفَرْبَن وبذل عن مازندان مائتي ألف دينار كل سنة فتجهز لذلك ، ونكر على محمود تغلّب وزيره أبي منصور وأمير حاجب عليّ بن عمر عليه ، وسار وعلى مقدّمته الأمير أنز ، وجهّز السلطان محمود عليّ بن عمر حاجبه وحاجب أبيه في عشرة آلاف فارس ، وأقام هو بالريّ . فلما قارب الحاجب مقدّمة سنجر مع الأمير أنز بجرجان راسله باللين والخشونة ، وأنّ السلطان محمد أوصانا بتعظيم أخيه سنجر واستحلفنا على ذلك إلا أنّا لا نقضي على زوال ملكنا . ثم تهدّده بكثرة العساكر وقوّتها فرجع أنز عن جرجان ، واتبعه بعض العساكر فنالوا منه . وعاد عليّ بن عمر إلى السلطان محمود فشكره ، وأشار عليه أصحابه بالمقام بالريّ فلم يقبل . ثم ضجر وسار إلى حرقان [1] وتوافت إليه الأمداد من العراق ، منكبرس شحنة بغداد في عشرة آلاف فارس ، ومنصور أخو دبيس وأمراء

(١) جرجان : ابن الاثيرج ١٠ ص ٥٥١ .

البلخية[1] وغيرهم . وسار إلى همذان فأقام بها وتوفي بها وزيره الربيب ، واستوزر مكانه أبا طالب السميري[2] . ثم جاء السلطان سنجر إلى الريّ في عشرين ألفاً وثمانية عشر فيلاً ومعه ابن الأمير أبي الفضل صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد ، والأمير أنز والأمير قماج ، واتصل به علاء الدولة كرساسفا بن قرامرد بن كاكويه[3] صاحب يزد وكان صهر محمد وسنجر على أختهما . واختص بمحمد ودعاه محمود فتأخر عنه فأقطع بلده لقراجا الساقي الذي وَلِيَ بعد ذلك فارس . وسار علاء الدولة إلى سنجر وعرفه حال السلطان محمود واختلاف أصحابه ، وفساد بلاده فزحف إليه السلطان محمود من همذان في ثلاثين ألفاً ، ومعه علي بن عمر أمير حاجب ومنكبرس وأتابكه غـزغـلي وبنو برسق وسنجق البخاري[4] وقراجا الساقي ومعه تسعمائة حِمْل مِنَ السلاح والتقيا على ساوة في جمادى سنة ثلاث عشرة فانهزمت عساكر السلطان سنجر أولاً وثبت هو بين الفيلة والسلطان محمود ، واجتمع أصحابه إليه وبلغ الخبر إلى بغداد فأرسل دبيس بن صدقة إلى المسترشد في الخطبة للسلطان سنجر فخطب له آخر جمادى ، وقطعت خطبة محمود بعد الهزيمة إلى أصبهان ومعه وزيره أبو طالب السميري والأمير علي بن عمر وقراجا ، واجتمعت عليه العساكر وقوي أمره . وسار السلطان سنجر من همذان ورأى قلّة عساكره فراسل ابن أخيه في الصلح ، وكانت والدته وهي جدّة محمود تحرّضه على ذلك فأجاب إليه . ثم وصل إليه أقسنقر البرسقي الذي كان شحنة ببغداد ، وكان عند الملك مسعود من يوم انصرافه عنها ، وجاء رسوله من عند السلطان محمود بأنّ الصلح إنما يوافق عليه الأمراء بعد عود السلطان سنجر إلى خراسان ، فأنف من ذلك وسار من همذان الى الكرج ، وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح وأن يكون وليّ عهده فأجاب إلى ذلك ، وتحالفا عليه وجاء السلطان محمود إلى عمّه سنجر ونزل في بيت والدته وهي جدّة محمود ، وحمل إليه هدية حفلة . وكتب السلطان سنجر إلى أعماله بخراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات بأن يخطب للسلطان محمود ، وكتب إلى بغداد بمثل ذلك ،

---

(١) البكجية : ابن الاثيرج ١٠ ص ٥٥١ .
(٢) السميرمي : المرجع السابق .
(٣) علاء الدولة كرشاسف بن فرامرز بن كاكويه : ابن الاثيرج ١٠ ص ٥٥١ .
(٤) سنقر البخاري : ابن الاثيرج ١٠ ص ٥٥٢ .

وأعاد عليه جميع البلاد سوى الريّ لئلا تحدّث محموداً نفسه بالانتقاض . ثم قتل السلطان محمود الأمير منكبرس شحنة بغداد لأنه لما انهزم محمود وسار إلى بغداد ليدخلها منعه دبيس فعاد في البلاد ، ورجع وقد استقرّ في الصلح فقصد السلطان مستجيراً به فأبى من اجارته ومؤاخذته ، وبعثه إلى السلطان محمود فقتله صبراً لما كان يستبد عليه بالأمور . وسار شحنة إلى بغداد على زعمه فحقد له ذلك ، وأمر السلطان سنجر بإعادة مجاهد الدين بهر وزشحنة بالعراق ، وكان بها نائب دبيس بن صدقة فعزل به . ثم قتل السلطان محمود حاجبه علي بن عمر وكان قد استخلفه ورفع منزلته فكثرت السعاية فيه فهرب إلى قلعة عند الكرج ، كان بها أهله وماله . ثم لحق بخوزستان وكان بيد بني برسق فاقتضى عهودهم وسار إليهم . فلما كان على تستر بعثوا من يقبض عليه فقاتلهم فلم يقرّ عنه وأسروه واستأذنوا السلطان محموداً في أمره فأمر بقتله وحمل رأسه إليه .

* (انتقاض الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والفتنة بينهما) *

كان الملك مسعود قد استقرّ بالموصل وأذربيجان منذ صالحه السلطان محمود عليها بأوّل ملكه ، وكان أقسنقر البرسقي مع الملك مسعود منذ فارق شحنة بغداد ، وأقطعه مراغة مضافة إلى الرحبة وكان دبيس يكاتب حيوس بك[1] الأتابك في القبض عليه وبعثه الى مولاه السلطان محمود ، ويبذل لهم المال على ذلك . وشعر البرسقي ففارقه إلى السلطان محمود ، وعاد إلى جميل رأيه فيه . وكان دبيس مع ذلك يغري الأتابك حيوس بك بالخلاف على السلطان محمود ، ويعدهم من نفسه المناصرة لينال باختلافهم في تمهيد سلطانه ما ناله أبوه باختلاف بركيارق ومحمد. وكان أبو المؤيد محمد بن أبي إسمعيل الحسين بن علي الأصبهاني يكتب للملك محمود ، ويرسم الطغري وهي العلامة على مراسيمه ، ومنها هباته . وجاء والده أبو اسمعيل من أصبهان فعزل الملك مسعود وزيره أبا علي بن عمار صاحب طرابلس ، واستوزره مكانه سنة ثلاث عشرة فحسن له الخلاف الذي كان دبيس يكاتبهم فيه ويحسّنه لهم . وبلغ السلطان محموداً

(١) جيوش بك : ابن الاثير ج ١٠ ص ٥٦٢ .

خبرهم فكتب يحذّرهم فلم يقبلوا وخلعوا ، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس ، وذلك سنة أربع عشرة . وكانت عساكر السلطان محمود مفترقة فبادروا إليه والتقوا في عقبة استراباذ منتصف ربيع الأوّل ، والبرسقي في مقدمة محمود ، وأبلى يومئذ ، واقتتلوا يوماً كاملاً وانهزمت عساكر مسعود في عشيته وأسر جماعة منهم ، وفيهم الوزير الأستاذ أبو إسمعيل الطُّغرائي ، فأمر السلطان بقتله لسنة من وزارته ، وقال هو فاسد العقيدة ، وكان حسن الكتابة والشعر وله تصانيف في الكيمياء . وقصد الملك مسعود بعد الهزيمة جبلاً على إثني عشر فرسخاً من مكان الوقعة فاختفى فيه ، وبعث يطلب الأمان من أخيه فبعث إليه البرسقي يؤمّنه ويحضره . وكان بعض الأمراء قد لحق به في الجبل وأشار عليه باللحاق بالموصل، واستمدّ دبيساً فسار لذلك وأدركه البرسقي على ثلاثين فرسخا من مكانه وأمّنه عن أخيه، وأعاده إليه فأريب العساكر للقائه وبالغ في إكرامه وخلطه بنفسه . وأمّا أتابكه حيوس بك فلما افتقد السلطان مسعود سار إلى الموصل وجمع العساكر ، وبلغه فعل السلطان مع أخيه فسار إلى الزاب . ثم جاء السلطان بهمذان فأمّنه وأحسن إليه . وأمّا دبيس فلما بلغه خبر الهزيمة عاث في البلاد وأخربها وبعث إليه المسترشد بالنكير فلم يقبل ، فكتب بشأنه إلى السلطان محمود وخاطبه السلطان في ذلك فلم يقبل ، وسار إلى بغداد وخيّم إزاء المسترشد وأظهر أنه يثأر منهم بأبيه . ثم عاد عن بغداد ووصل السلطان في رجب ، فبعث دبيس إليه زوجته بنت عميد الدولة بن جُهَيْر بمال وهدايا نفيسة وأجيب إلى الصلح على شروط امتنع منها فسار إليه السلطان في شوّال ومعه ألف سفينة . ثم استأمن إلى السلطان فأمّنه وأرسل نساءه إلى البطيحة . وسار إلى أبي الغازي مستجيراً به ، ودخل السلطان الحِلّة وعاد عنها ولم يزل دبيس عند أبي الغازي. وبعث أخاه منصوراً إلى أصحابه من أمراء النواحي ليصلح حاله مع السلطان فلم يتمّ ذلك . وبعث إليه أخوه منصور يستدعيه إلى العراق ، فسار من قلعة جعبر إلى الحِلّة سنة خمس عشرة وملكها ، وأرسل إلى الخليفة والسلطان بالاعتذار والوعد بالطاعة ، فلم يقبل منه ، وسارت إليه العساكر مع سعد الدولة بن تتش ففارق الحِلّة ودخلها سعد وأنزل بالحِلّة عسكراً وبالكوفة آخر. ثم راجع دبيس الطاعة على أن يرسل أخاه منصوراً رهينة فقبل ، ورجع العسكر إلى بغداد سنة ست عشرة .

* (اقطاع الموصل للبرسقي وميافارقين لابي الغازي) *

ثم أقطع السلطان محمود الموصل وأعمالها ، والجزيرة وسنجار وما يضاف إلى ذلك للأمير أقسنقر البرسقي شحنة بغداد ، وذلك أنه كان ملازماً للسلطان في حروبه ناصحا له وهو الذي حمل السلطان مسعودا على طاعة أخيه محمود وأحضره عنده ، فلما حضر حيوس بك وزيره عند السلطان محمود من الموصل بقيت بدون أمير ، فولّى عليها البرسقي سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وأمره بمجاهدة الفرنج فأقام في إمارتها دهراً هو وبنوه كما يأتي في أخبارهم . ثم بعث الأمير أبو الغازي بن أرتق ابنه حسام الدين تمرتاش شافعاً في دُبَيْس بن صدقة ، وأن يضمن الحِلّة بألف دينار وفرس في كل يوم ، ولم يتمّ ذلك. فلمّا انصرف عن السلطان أقطع أباه أبا الغازي مدينة ميافارقين وتسلّمها من يد سُقمان صاحب **خلاط سنة خمس عشرة** ، وبقيت في يده ويد بنيه إلى أن ملكها منهم صلاح الدين بن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة كما يذكر في أخبارهم .

* (طاعة طغرل لأخيه السلطان محمود) *

قد تقدّم ذكر انتقاض الملك طغرل بساوة وزَنْجان على أخيه السلطان محمود بمداخلة أتابكه كتبغري[1] ، وأنّ السلطان محمود المشار إليه أزعجه إلى كنجة ، وسار إلى أذربيجان يحاول ملكها . ثم توفي أتابكه كتبغري في شوّال سنة خمس عشرة ، وكان أقسنقر الأحمديلي صاحب مَـرَاغَـة فطمع في رتبة كتبغري ، وسار إلى طغرل واستدعاه إلى مَرَاغَة وقصدوا أردبيل فامتنعت عليهم ، فجاؤا إلى تبريز ، وبلغهم أنّ السلطان أقطع أذربيجان لحيوس بك ، وبعثه في العساكر وأنه سبقهم إلى مَـرَاغَة فعدلوا عنها وكافؤا صاحب زَنْجان فأجابهم وسار معهم إلى أبهر ، فلم يتمّ لهم مرادهم ، وراسلوا السلطان في الطاعة واستقرّ حالهم . وأمّا حيوس بك فوقعت بينه وبين الأمراء من عسكره منافرة ، فسعوا به عند السلطان فقتله بتبريز في رمضان من سنته ، وكان تركياً من مماليك السلطان محمد ، وكان حسن السيرة مضطلعاً بالولاية . ولمّا وليَ الموصل والجزيرة كان الأكراد قد عاثوا في نواحيها ، وأخافوا سبلها فأوقع بهم وحصر قلاعهم ، وفتح الكثير منها ببلد الهَكّارِيّـة وبلد الزّوْزان وبلد النسوية[2] وبلد النحسة ، حتى خاف الأكراد واطمأن الناس وأمنت السبل .

---

(١) كنتغدي : ابن الاثيرج ١٠ ص ٥٩٧ .

(٢) البشنوية : ابن الاثير : ج ١٠ ص ٦٠٤ .

* (أخبار دبيس مع المسترشد) *

قد ذكرنا مسير العساكر إلى دُبَيْس مع بُرسُق الكركوي[١] سنة أربع عشرة وكيف وقع الاتفاق وبعث دبيس أخاه منصورا رهينة فجاء برتقش به بغداد سنة ست عشرة ، ولم يرض المسترشد ذلك ، وكتب إلى السلطان محمود بأنّ دبيس لا يصلحه شيء لأنه مطالب بثأر أبيه ، وأشار بأن يبعث عن البرسقي من الموصل لتشديد دبيس ويكون شحنة ببغداد فبعث اليه السلطان وأنزله شحنة ببغداد ، وأمره بقتال دبيس ، فأقام عشرين شهراً ودبيس معمل في الخلافة . ثم أمره المسترشد بالمسير إليه وإخراجه من الحِلّة ، فاستقدم البرسقي عساكره من الموصل ، وسار إلى الحِلّة ، ولقيه دبيس فهزم عساكره ورجع إلى بغداد في ربيع من سنة ست عشرة ، وكان معه في العسكر مُضَر[٢] بن النفيس بن مهذّب الدولة أحمد بن أبي الخير عامل البطيحة ، فغدا عليه عمّه المظفّر بن عماد بن أبي الخير فقتله في انهزامهم . وسار إلى البطيحة فتغلّب عليها ، وكاتب دبيس في الطاعة ، وأرسل دبيس إلى المسترشد بطاعته ، وأن يبعث عمّاله لقرى الخاص يقبضون دَخْلَها على أن يقبض المسترشد على وزيره جلال الدين أبي عليّ بن صدقة فتمّ بينهما ذلك ، وقبض المسترشد على وزيره ، وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضى إلى الموصل ، وبلغ الخبر بالهزيمة إلى السلطان محمود فقبض على منصور أخي دبيس وحبسه ، وأذن دبيس لأصحاب الإقطاع بواسِط في المسير إلى إقطاعهم ، فمنعهم الأتراك بها ، فجهّز إليهم عسكراً مع مهلهل بن أبي العسكر وأمر مظفر بن أبي الخير عامل البطيحة بمساعدته وبعث البرسقي المدد إلى أهل واسِط فلقيهم مهلهل بن أبي المظفّر فهزموه وأسروه وجماعة من عسكره واستلحموا كثيراً منهم . وجاء المظفّر أبو الخير على أثره ، وأكثر النهب والعيث ، وبلغه خبر الهزيمة فرجع وبعث أهل واسِط بتذكرة وجدوها مع مهلهل بخطّ دبيس فأمره بالقبض على المظفّر فمال إليهم وانحرف عن دبيس ، ثم بلغ دبيس أنّ السلطان محموداً سمل أخاه منصوراً ، فانتقض ونهب ما كان للخليفة بأعماله ، وسار أهل واسِط إلى

(١) يرنقش الزكوي : ابن الاثيرج ١٠ ص ٥٩٨ .
(٢) نصر بن النفيس : ابن الاثيرج ١٠ ص ٥٩٩ .

النُّعْمَانِيّة فأجلوا عنها أصحاب دبيس . وتقدّم المسترشد إلى البرسقي بالمسير لحرب دبيس فسار لذلك كما نذكر . ثم أقطع السلطان محمود مدينة واسِط للبرسقي مضافة إلى ولاية الموصل فبعث عماد الدين زنكي بن أقسنقر ولد نور الدين العادل .

* (نكبة الوزير ابن صدقة وولاية نظام الملك) *

قد ذكرنا آنفاً أنّ دُبَيْس اشترط على المُسْتَرْشِد في صلحه معه القبض على وزيره جلال الدين أبي علي بن صدقة ، فقبض عليه في جمادى سنة ست عشرة ، وأقام في نيابة الوزارة شرف الدين عليّ بن طراد الزينبيّ . وهرب جلال الدين أبو الرضي ابن أخي الوزير إلى الموصل . وبعث السلطان محمود إلى المسترشد في أن يستوزر نظام الدولة أبا نصر أحمد بن نظام الملك ، وكان السلطان محمود قد استوزر أخاه شمس الملك عثمان عندما قلّ الباطنية بهمذان[1] وزيره الكمال أبا طالب السميري فقبل المسترشد إشارته ، واستوزر نظام الملك ، وقد كان وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ، ثم عزل ولزم داره ببغداد . فلما وزر وعلم ابن صدقة أنه يخرجه طلب من المسترشد أن يسير إلى سليمان بن مهارش بحديثة غانة ، فأذن له ، فسار ونهب في طريقه وأسر ، ثم خلص إلى مأمنه في واقعة عجيبة . ثم قتل السلطان محمود وزيره شمس الملك فعزل المسترشد أخاه نظام الدين أحمد عن وزارته ، وأعاد جلال الدين أبا علي بن صدقة إلى مكانه .

* (واقعة المسترشد مع دبيس) *

كان دبيس في واقعته مع البرسقي قد أسر عفيفاً الخادم ، ثم أطلقه سنة سبع عشرة ، وحمله إلى المسترشد رسالة بخروج البرسقي للقتال يتهدده بذلك على ما بلغه من سمل أخيه ، وحلف لينهبنّ بغداد ، فاستطار المسترشد غضباً وأمر البرسقي بالمسير لحربه ، فسار في رمضان من سنته . ثم تجهّز للخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فجاءه سليمان بن مهارش صاحب الحديثة في بني عقيل ، وقرواش بن مسلم وغيرهما . ونهب

---

(١) هكذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٦٠٢ : «فأرسل السلطان إلى المسترشد بالله في معنى وزارة نظام الملك ، وكان أخاشمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود . فأجيب الى ذلك واستوزر في شعبان .

دبيس نهر الملك من خاص الخليفة ونودي في بغداد بالنفير فلم يتخلّف أحد ، وفرّقت فيهم الأموال والسلاح وعسكر المسترشد خارج بغداد في عشر ذي الحجة ، وبرز لأربع بعدها وعبر دجلة وعليه قباء أسود وعمامة سوداء ، وعلى كتفه البردة وفي يده القضيب وفي وسطه منطقة حديد صيني ، ووزيره معه نظام الدين ونقيب الطالبيّين ونقيب النقباء علي بن طراد ، وشيخ الشيوخ صدر الدين إسمعيل وغيرهم . فنزل بخيمة ، وبلغ البرسقي خروجه فعاد بعسكره إليه . ونزل المسترشد بالحديثة بنهر الملك واستحلف البرسقي والأمراء على المناصحة ، وسار فنزل المباركة ، وعبّى البرسقي أصحابه للحرب ووقف المسترشد وراء العسكر في خاصته ، وعبّى دبيس أصحابه صفًّا واحداً وبين يديهم الإماء تعزف وأصحاب الملاهي ، وعسكر الخليفة تتجاذب القراءة والتسبيح مع جنباته ، ومع أعلامه كرباوي بن خراسان وفي الساقة سلمان بن مُهارش وفي ميمنة البرسقي أبو بكر بن إلياس مع الأمراء البلخية ، فحمل عنتر بن أبي العسكر من عسكر دبيس على ميمنة البرسقي فدحرجها وقتل ابن أخي أبي بكر . ثم حمل ثانية كذلك فحمل عماد الدين زنكي بن أقسنقر في عسكر واسِط على عنتر بن أبي العسكر فأسره ومن معه . وكان من عسكر المسترشد كمين متوار ، فلما التحم الناس خرج الكمين واشتدّ الحرب وجرّد المسترشد سيفه وكبّر وتقدّم فانهزمت عساكر دبيس ، وجيء بالأسرى فقتلوا بين يدي الخليفة وسُبِيَ نساؤهم ، ورجع الخليفة إلى بغداد في عاشوراء من سنة سبع عشرة . وذهب دبيس وخفي أثره قصد غزية من العرب فأبوا من ذلك إيثاراً لرضا المسترشد والسلطان ، فسار إلى المشقر من البحرين فأجابوه وسار بهم إلى البصرة فنهبوها وقتلوا أميرها ، وتقدّم المسترشد للبرسقي بالانحدار إليه بعد أن عنّفه على غفلته عنه ، وسمع دبيس ففارق البصرة ، وبعث البرسقي عليها زنكي بن أقسنقر فأحسن حمايتها وطرد العرب عن نواحيها ، ولحق دبيس بالفرنج في جُعْبُر وحاصر معهم حلب فلم يظفروا وأقلعوا عنها سنة ثمان عشرة ، فلحق دبيس بطغرل ابن السلطان محمد وأغراه بالمسترشد وبملك العراق كما نذكر .

* (ولاية برتقش شحنة بغداد) *

ثم إنّ المسترشد وقعت بينه وبين البرسقي منافرة فكتب إلى السلطان محمود في عزله عن العراق ، وإبعاده إلى الموصل فأجابه إلى ذلك ، وأرسل إلى البرسقي بالمسير إلى الموصل لجهاد الإفرنج ، وبعث إليه بابن صغير من اولاده يكون معه وولّى على شحنة بغداد برتقش

الزكوي ، وجاء نائبه إلى بغداد فسلّم إليه البرسقي العمل وسار إلى الموصل بابن السلطان ، وبعث إلى عماد الدين زنكي أن يلحق به فسار إلى السلطان ، وقدم عليه بالموصل فأكرمه وأقطعه البصرة وأعاده إليها .

* (وصول الملك طغرل ودبيس إلى العراق) *

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة من الشام إلى الملك طغرل فأحسن إليه ورتبه في خاص أمرائه ، وجعل دبيس يغريه بالعراق ويضمن له ملكه ، فسار لذلك سنة تسع عشرة ، ووصلوا دقوقا ، فكتب مجاهد الدين مهروز من تكريت إلى المسترشد بخبرهما ، فتجهّز إلى دفاعهما وسار إليهما . وأمر برتقش الزكوي الشحنة أن يستنفر ويستبعد فبلغت عدّة العسكر إثني عشر ألفاً سوى أهل بغداد ، وبرز خامس صفر سنة تسع عشرة ، وسار فنزل الخالص ، وعدل طغرل إلى طريق خراسان ، وأكثرت عساكره النهب ، ونزل رباط جلولاء وسار إليه الوزير جلال الدين بن صدقة في العساكر ، فنزل الدسكرة وجاء المسترشد فنزل معه ، وتوجّه طغرل ودبيس فنزلا الهارونية ، واتفقا أن يقطعا جسر النهروان فيقيم دبيس على المعابر ، ويخالفهم طغرل إلى بغداد ، ثم عاقتهم جميعاً عوائق المطر وأصابت طغرل الحمّى ، وجاء دبيس إلى النهروان ليعبر وقد لحقهم الجوع ، فصادف أحمالاً من البرّ ، والأطعمة جاءت من بغداد للمسترشد فنهبها ، وأرجف في معسكر المسترشد أنّ دبيس مَلَكَ بغداد فأجفلوا من الدسكرة إلى النهروان وتركوا أثقالهم . ولما حلوا بالنهروان وجدوا دبيس وأصحابه نياماً فاستيقظ وقبلّ الأرض بين يدي المسترشد وتذلّل[1] فهمّ بصلحه ووصل الوزير ابن صدقة فثناه عن ذلك ثم مدّ المسترشد الجسر وعبر ودخل بغداد لفتنة خمسة وعشرين يوماً[2] . وسار دبيس إلى طغرل ثم اعتزموا على المسير إلى السلطان سنجر ، ومرّوا بهمذان فعاثوا في أعمالها وصادروا ، واتبعهم السلطان فانهزموا بين يديه ولحقوا بالسلطان سنجر شاكين من المسترشد والشحنة برتقش .

(١) هكذا بالاصل والعبارة غير واضحة وفي الكامل ج ١٠ ص ٦٢٧ : «ووصلت رايات الخليفة ودبيس وأصحابه نيام ، وتقدم الخليفة وأشرف على دَيَالَى ودبيس نازل غرب النهروان . والجسر ممدود شرقي النهروان فلما أبصر دبيس شمسة الخليفة قبّل الارض بين يدي الخليفة وقال : انا العبد المطرود ، فليعفُ أمير المؤمنين عن عبده .»

(٢) هكذا بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٦٢٨ : «وسيّر الخليفة عسكراً مع الوزير في أثره . وعاد إلى بغداد فدخلها . وكانت غيبته خمسة وعشرون يوماً .»

* (الفتنة بين المسترشد والسلطان محمود) *

ثم وقعت بين برتقش الزكوي وبين نواب المسترشد نبوة فبعث إليه المسترشد يتهدّده فخافه على نفسه ، وسار إلى السلطان محمود في رجب سنة عشرين فحذر منه ، وأنه ثاور العساكر ولقي الحروب وقويت نفسه ، وأشار بمعاجلته قبل أن يستفحل أمره ، ويمتنع عليه فسار السلطان نحو العراق ، فبعث إليه المسترشد بالرجوع عن البلاد لما فيها من الغلاء من فتنة دبيس ، وبذل له المال ، وأن يسير إلى العراق مرّة أخرى ، فارتاب السلطان وصدّق ما ظنّه برتقش وأغذّ السير فعبر المسترشد إلى الجانب الغربي مغضباً يظهر الرحيل عن بغداد اذ قصدها السلطان . وصانعه السلطان بالاستعطاف وسؤاله في العود فأبى فغضب السلطان ودخل نحو بغداد . وأقام المسترشد بالجانب الغربي وبعث عفيفاً الخادم من خواصه في عسكر إلى واسط ليمنع عنها نواب السلطان ، فأرسل السلطان إليه عماد الدين زنكي بن أقنسقر وكان على البصرة كما ذكرناه ، فسار إليه وهزمه وقتل من عسكره ، ونجا عفيف إلى المسترشد برأسه فجمع المسترشد السفن وسدّ أبواب دار الخلافة إلاّ باب النوبى ، ووصل السلطان في عشر ذي الحجة من سنة عشرين ، ونزل باب الشماسية ، ومنع العسكر عن دور الناس . وراسل المسترشد في العود والصلح فأبى ، ونجا جماعة من عسكر السلطان فنهبوا التاج في أوّل المحرّم سنة إحدى وعشرين فضج العامّة لذلك ، واجتمعوا ، وخرج المسترشد والشماسية على رأسه والوزير بين يديه ، وأمر بضرب الطبول ونفخ الأبواق ، ونادى بأعلى صوته ياهاشم ! ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة . وكان في الدار رجال مختفون في السراديب فخرجوا على العسكر وهم مشتغلون في نهب الدار فأسروا جماعة منهم ونهب العامّة دور أصحاب السلطان وعبر المسترشد إلى الجانب الشرقي في ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد ، وأمر بحفر الخنادق فحفرت ليلاً ، ومنعوا بغداد عنهم ، واعتزموا على كبس السلطان محمود . وجاء عماد الدين زنكي من البصرة في حشود عظيمة ملأت البرّ والبحر فاعتزم السلطان على قتال بغداد ، وأذعن المسترشد إلى الصلح فاصطلحوا وأقام السلطان ببغداد إلى ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين ، ومرض فأشير عليه بمفارقة بغداد فارتحل إلى همذان ونظر فيمن يولّيه شحنة العراق مضافاً إلى ما بيده ، ويثق به في سدّ تلك الخلّة . وحمل إليه الخليفة عند رحيله

الهدايا والتحف والألطاف فقبل جميعها . ولما أبعد السلطان عن بغداد قبض على وزيره أبي القاسم عليّ بن الناصر النشاباذي لاتهامه بممالأة المسترشد ، واستوزر مكانه شرف الدين أنو شروان بن خالد ، وكان مقيماً ببغداد فاستدعاه وأهدى إليه الناس حتى الخليفة . وسار من بغداد في شعبان فوصل إلى السلطان بأصبهان وخلع عليه ، ثم استعفى لعشرة أشهر وعاد إلى بغداد ولم يزل الوزير أبو القاسم محبوساً إلى أن جاء السلطان سنجر إلى الريّ في السنة بعدها فأطلقه وأعاده إلى وزارة السلطان .

* (أخبار دبيس مع السلطان سنجر) *

لما وصل دبيس إلى السلطان سنجر ومعه طغرل أغرياه بالمسترشد والسلطان محمود ، وأنهما عاصيان عليه ، وسهّلا عليه أمر العراق فسار إلى الريّ واستدعى السلطان محموداً يختبر طاعته بذلك فبادر للقائه . ولما وصل أمر سنجر العساكر فتلقّوه وأجلسه معه على سريره ، وأقام عنده مدّة وأوصاه بدبيس أن يعيده إلى بلده ، ورجع سنجر إلى خراسان منتصف ذي الحجة ورجع محمود إلى همذان ودبيس معه . ثم سار إلى بغداد فقدمها في تاسوعاء سنة ثلاث وعشرين واسترضى المسترشد لدبيس فرضي عنه ، على شريطة أن يولّيه غير الحِلّة فبذل فيَ الموصل مائة ألف دينار . وشعر بذلك زنكي فجاء بنفسه إلى السلطان وهجم على الستر متذمما ، وحمل الهدايا وبذل مائة ألف فأعاده السلطان إلى الموصل ، وأعاد بهروز شحنة على بغداد ، وجعلت الحِلّة لنظره . وسار السلطان إلى همذان في جمادى سنة ثلاث وعشرين ، ثم مرض السلطان فلحق دُبَيْس بالعراق ، وحشد المسترشد لمدافعته ، وهرب بهروز من الحِلّة فدخلها دبيس في رمضان من سنة ثلاث وعشرين . وبعث السلطان في أثره الأميرين اللذين ضمناه له ، وهما كزل والأحمديلي ، فلما سمع دبيس بهما أرسل إلى المسترشد يستعطفه ، وتردّد الرسل وهو يجمع الأموال والرجال حتى بلغ عسكره عشرة آلاف ، ووصل الأحمديلي بغداد في شوّال وسار في أثر دبيس . ثم جاء السلطان إلى العراق فبعث إليه دبيس بالهدايا وبذل الأموال على الرضا فأبى ، ووصل إلى بغداد ، ودخل دُبَيْس البرية ، وقصد البصرة فأخذ ما كان فيها للخليفة والسلطان ، وجاءت العساكر في اتّباعه فدخل البرية انتهى .

* (وفاة السلطان محمود وملك إبنه داود ثم منازعته عمومه واستقلال مسعود) *

ثم توفي السلطان محمود في شوّال من سنة خمس وعشرين لثلاث عشرة سنة من ملكه ، واتفق وزيره أبو القاسم النشاباذي وأتابكه أقسنقر الأحمديلي على ولاية ابنه داود مكانه وخطب له في جميع بلاد الجبل وأذربيجان ، ووقعت الفتنة بهمذان ونواحيها ثم سكنت ، فسار الوزير بأمواله إلى الريّ ليأمن في إيالة السلطان سنجر . ثم إنّ الملك داود سار في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين من همذان إلى ربكان ، وبعث إلى المسترشد ببغداد في الخطبة ، وأتاه الخبر بأنّ عمه مسعوداً سار من جرجان إلى تبريز ، وملكها فسار إليه وحصره في تبريز إلى سلخ المحرّم من سنة ست وعشرين ، ثم اصطلحا وأفرج داود عن تبريز ، وخرج السلطان مسعود منها ، واجتمعت عليه العساكر فانتقض وسار إلى همذان . وأرسل الى المسترشد في الخطبة فأجابهم جميعاً بأنّ الخطبة للسلطان سنجر صاحب خراسان ، ويعين بعده من يراه . وبعث إلى سنجر بأنّ الخطبة للسلطان سنجر صاحب خراسان ، ويعين بعده من يراه . وبعث إلى سنجر بأنّ الخطبة إنما ينبغي أن تكون لك وحدك فوقع ذلك منه أحسن موقع ، وكاتب السلطان مسعود عماد الدين زنكي صاحب الموصل فأجابه وسار إليه وانتهى إلى المعشوق . وبينما هم في ذلك إذ سار قراجا الساقي صاحب فارس وخوزستان بالملك سلجوق شاه ابن السلطان محمد ، وكان أتابكه فدخل بغداد في عسكر كبير ، ونزل دار السلطان واستخلفه المسترشد لنفسه ، ووصل مسعود إلى عباسة فبرزوا للقائه ، وجاءهم خبر عماد الدين زنكي فعبر قراجا إلى الجانب الغربي للقائه ، وواقعه فهزمه ، وسار منهزماً إلى تكريت وبها يومئذ نجم الدين أيوب أبو السلطان صلاح الدين ، فهيّأ له الجسر للعبور ، وعبر فأمِن وسار لوجهه . وجاء السلطان مسعود من العبّاسة للقاء أخيه سلجوق ومن معه مدلاً بمكان زنكي وعسكره من ورائهم ، وبلغه خبر انهزامهم فنكص على عقبه ، وراسل المسترشد بأنّ السلطان سنجر وصل إلي الريّ وطلب الاتفاق من المسترشد وأخيه سلجوق شاه وقراجا على قتال سنجر ، على أن يكون العراق للمسترشد يتصرّف فيه نوابه ، والسلطنة لمسعود وسلجوق شاه ولي عهده فأجابوه إلى ذلك وجاء بغداد في جمادى الأولى سنة ست وعشرين ، وتعاهدوا على ذلك .

* (واقعة مسعود مع سنجر وهزيمته وسلطنة طغرل) *

لما توفي السلطان محمود ووليَ ابنه داود مكانه ، نكر ذلك عمّه السلطان سنجر عليهم ، وسار إلى بلاد الجبل ومعه طغرل ابن أخيه السلطان محمد ، كان عنده منذ وصوله مع دُبَيْس فوصل إلى الريّ ، ثم إلى همذان ، وسار السلطان مسعود وأخوه سلجوق وقراجا الساقي أتابك سلجوق للقائه . وكان المسترشد قد عاهدهم على الخروج وألزموه ذلك . ثم إنّ السلطان سنجر بعث إلى دبيس وأقطعه الحِلّة وأمره بالمسير إلى بغداد ، وبعث إلى عماد الدين زنكي بولاية شِحْنَكِيّة بغداد ، والسير إليها فبلغ المسترشد خبر مسيرهما فرجع لمدافعتهما . وسار السلطان مسعود وأصحابه للقاء السلطان سنجر ، ونزل استراباذ في مائة ألف من العسكر فخاموا عن لقائه ، ورجعوا أربع مراحل فاتبعهم سنجر ، وتراءى الجمعان عند الدّينور ثَامِن رجب ، فاقتتلوا وعلى ميمنة مسعود قراجا الساقي وكُزل ، وعلى ميسرته برتقش باردار ، ويوسف حاروس [١] فحمل قراجا الساقي في عشرة آلاف على السلطان سنجر ، حتى تورّط في مصافه فانعطفوا عليه من الجانبين ، وأخذ أسيراً بعد جراحات . وانهزم مسعود وأصحابه ، وقتل بعضهم ، وفيهم يومئذ يوسف حاروس ، وأسر آخرون فيهم قراجا فأحضر عند السلطان سنجر فوبّخه ، ثم أمر بقتله . وجاء السلطان مسعود إليه فأكرمه وعاتبه على مخالفته وأعاده أميراً إلى كنجة . وولّى الملك طغرل ابن أخيه محمداً في السلطنة وجعل وزيره أبا القاسم النشاباذي وزير السلطان محمود ، وعاد إلى خراسان ووصل نيسابور في عاشر رمضان من سنته . وأمّا الخليفة فرجع إلى بغداد كما قلناه لمدافعة دبيس وزنكي ، وبلغه الخبر بهزيمة السلطان مسعود ، فعبر إلى الجانب الغربي وسار إلى العبّاسة [٢] ، ولقيهما بحصن البرامكة آخر رجب . وكان في ميمنته جمال الدولة إقبال ، وفي ميسرته مطر الخادم فانهزم اقبال لحملة زنكي ، وحمل الخليفة ومطر على دبيس فانهزم ، وتبعه زنكي فاستمرّت الهزيمة عليهم وافترقوا ، ومضى دبيس إلى الحِلّة وكانت بيد إقبال ، وجاءه المدد من بغداد فلقي دبيس وهزمه ، ثم تخلّص بعد

(١) هكذا بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٦٧٧ : «وعلى ميمنته قراجة الساقي والأمير قزل ، وعلى ميسرته يرنقش بازدار ، ويوسف جاووش ، وغيرهما ، وكان قزل قد واطأ سنجر على الانهزام» .

(٢) العباسية : ابن الاثير ج ١٠ ص ٦٧٨ .

الجهد ، وقصد واسط وأطاعه عسكرها إلى أن خلت سنة سبع وعشرين ، فجاءهم إقبال وبرتقش باردار ، وزحفوا في العساكر برًّا وبحراً فانهزمت أهل واسِط . ولمّا استقرّ طغرل بالسلطنة وعاد عمّه سنجر إلى خراسان لخلاف أحمد خان صاحب ما وراء النهر عليهِ ، وكان داود ببلاد أذربيجان وكنجة فانتقض وجمع العساكر وسار إلى همذان وبرز إليه طغرل وفي ميمنته ابن برسق وفي ميسرته كزل وفي مقدّمته أقسنقر . وسار إليه داود في ميمنته برتقش الزكويّ والتقيا في رمضان سنة ست وعشرين فأمسك برتقش عن القتال ، واستراب التركمان منه فنهبوا خيمته ، واضطرب عسكر داود لذلك فهرب أتابكه أقسنقر الأحمديلي ، واستمرّت الهزيمة عليهم وأسر برتقش الزكوي ، ومضى داود ثم قدم بغداد ومعه أتابكه أقسنقر الأحمديلي فأنزله الخليفة بدار السلطان وأكرمه . ولمّا بلغ السلطان مسعوداً هزيمة داود ووصوله الى بغداد قدم إليها وخرج داود لتلقيه ، وترجّل له عن فرسه ، ونزل مسعود بدار السلطنة في صفر سنة سبع وعشرين ، وخطب له على منابر بغداد ولداود بعده ، واتفقا مع المسترشد بالسير إلى أذربيجان وأن يمدّهما ، وسارا لذلك ، وملك مسعود سائر بلاد أذربيجان ، وحاصر جماعة من الأمراء بأردبيل ثم هزمهم وقتل منهم ، وسار إلى همذان وبرز أخو طغرل للقائه فانهزم ، واستولى مسعود على همذان وقتل أقسنقر ، قتله الباطنية ويقال بدسيسة السلطان محمود . ولما انهزم طغرل قصد الريّ وبلغ قمّ ، ثم عاد إلى أصبهان ليمتنع بها وسار أخوه مسعود للحصار فارتاب طغرل بأهل أصبهان ، وسار إلى بلاد فارس فاتبعه مسعود ، واستأمن إليه بعض أمراء طغرل فارتاب بالباقين ، وانهزم إلى الريّ في رمضان من سنته ، واتّبعه مسعود فلحقه بالريّ ، وقاتله فانهزم طغرل وأسر جماعة من أمرائه . وعاد مسعود إلى همذان ظافراً ، وعندما قصد طغرل الريّ من فارس قتل في طريقه وزيره أبا القاسم النشاباذي في شوّال من سنته لموجدة وجدها عليه .

* (مسير المسترشد لحصار الموصل) *

لما انهزم عماد الدين زنكي أمام المسترشد كما قلنا لحق بالموصل ، وشغل سلاطين السلجوقية في همذان بالخلف الواقع بينهم ، وجماعة من أمراء السلجوقية إلى بغداد فراراً من الفتنة فقوي بهم المسترشد ، وبعث إلى عماد الدين زنكي بعض شيوخ

الصوفيّة من حضرته فأغلظ له في الموعظة فأهانه زنكي وحبسه ، فاعتزم المسترشد على حصار الموصل وبعث بذلك إلى السلطان مسعود ، وسار من بغداد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين في ثلاثين ألف مقاتل . ولما قارب الموصل فارقها زنكي ونزل بها نائبه نصير الدين حقر ، ولحق بسنجر وأقام يقطع المدد والميرة عن عسكر المسترشد حتى ضاقت بهم الأمور ، وحاصرها المسترشد ثلاثة أشهر فامتنعت عليه ورحل عائداً إلى بغداد ، فوصل يوم عرفة من سنته . يقال إن مطراً الخادم جاء من عسكر السلطان مسعود لأنه قاصد العراق فارتحل لذلك .

* (مصاف طغرل ومسعود وانهزام مسعود) *

ولما عاد مسعود الى همذان بعد انهزام أخيه طغرل ، بلغه انتقاض داود ابن أخيه محمود بأذربيجان فسار إليه وحصره ببعض قلاعها ، فخالفه طغرل إلى بلاد الجبل ، واجتمعت عليه العساكر ففتح كثيراً من البلاد ، وقصد مسعوداً وانتهى إلى قزوين فسار مسعود للقائه ، وهرب من عسكره جماعة كان طغرل قد داخلهم واستمالهم ، فولّى مسعود منهزماً آخر رمضان سنة ثمان وعشرين ، واستأذن المسترشد في دخول بغداد وكان نائبه بأصبهان البقش السلاميّ ، ومعه أخوه سلجوق شاه ، فلمّا بلغهم خبر الهزيمة لحقوا ببغداد ، ونزل سلجوق بدار السلطان ، وبعث إليه الخليفة بعشرة آلاف دينار . ثم قدم مسعود بعدهم ولقي في طريقه شدة وأصحابه بين راجلين وركاب فبعث إليهم المسترشد بالمقام والخيام والأموال والثياب والآلات ، وقرّب إليهم المنازل ، ونزل مسعود بدار السلطنة ببغداد منتصف شوّال سنة ثمان ، وأقام طغرل بهمذان .

* (وفاة طغرل واستيلاء السلطان مسعود) *

ولمّا وصل مسعود إلى بغداد أكرمه المسترشد ، ووعده بالمسير معه لقتال أخيه طغرل ، وأزاح علل عسكره واستحثه لذلك ، وكان جماعة من أمراء السلجوقية قد ضجروا من الفتنة ، ولحقوا بالمسترشد فساروا معه ودسّ إليهم طغرل بالمواعيد فارتاب المسترشد ببعضهم ، واطلع على كتاب طغرل إليه ، وقبض عليه ونهب ماله ، فلحق الباقون بالسلطان ، وبعث فيهم المسترشد فمنعهم السلطان فحدثت بينهم الوحشة لذلك ،

وبعث السلطان إلى الخليفة يلزمه المسير معه[1]، وبينما هما على ذلك إذ جاءه الخبر بوفاة طغرل ، في المحرّم من سنة تسع وعشرين ، فسار السلطان مسعود إلى همذان وأقبلت إليه العساكر فاستولى عليها ، وأطاعه أهل البلاد ، واستوزر شرف الدين أنـوشروان خالداً ، وكان قد سار معه بأهله .

* (فتنة السلطان مسعود مع المسترشد) *

لما استولى السلطان مسعود على همذان استوحش منه جماعة من أعيان الأمراء ، منهم برتقش وكزل وسنقر والي همذان ، وعبد الرحمن بن طغرلبك ، ففارقوه ودُبَيْس بن صدقة معهم ، واستأمنوا إلى الخليفة ولحقوا بخوزستان وتعاهدوا مع برسق على طاعة المسترشد ، وحذّر المسترشد من دبيس وبعث شديد الدولة إبن الأنباري بالأمان للأمراء دون دبيس ، ورجع دبيس إلى السلطان مسعود . وسار الأمراء إلى بغداد فأكرمهم المسترشد ، واشتدّت وحشة السلطان مسعود لذلك ، ومنافرته للمسترشد فاعتزم المسترشد على قتاله ، وبرز من بغداد في عاشر[2] رجب وأقام بالشفيع وعصي عليه صاحب البصرة فلم يجبه ، وأمراء السلجوقية الذين بقوا معه يحرّضونه على المسير فبعث مقدّمته إلى حُلوان . ثم سار من شعبان واستخلف على العراق إقبالاً خادمه في ثلاثة آلاف فارس ولحقه برسق بن برسق فبلغ عسكره سبعة آلاف فارس ، وكان أصحاب الأعراب يكاتبون المسترشد بالطاعة فاستصلحهم مسعود ، ولحقوا به ، وبلغ عسكره خمسة عشر ألفاً ، وتسلّل إليه كثير من عسكر المسترشد حتى بقي في خمسة آلاف ، وبعث إليه داود ابن السلطان محمود من أذربيجان بأن يقصد الدّينور ليلقاه بها بعسكره فجفل للقاء السلطان مسعود ، وسار وفي ميمنته برتقش باردار وكور

(١) هكذا بالاصل والظاهر ان العبارة سقط منها فقره اثناء النسخ او الطبع وفي الكامل ج ١١ ص ١٩ : «وكان قد اتّصل الأمير البقش السلاحيّ وغيره من الامراء بالخليفة ، وطلبوا خدمته ، فاستخدمهم واتّفق معهم . واتّفق أن انساناً اخذ فوجد معه ملطّفات من طغرل الى هؤلاء الأمراء وخاتمه بالإقطاع لهم ، فلما رأى الخليفة ذلك قبض على أمير منهم اسمه أغلبك ونهب ماله ، فاستشعر غيره من الأمراء الذين مع الخليفة ، فهربوا الى عسكر السلطان مسعود ، فارسل الخليفة الى مسعود في اعادتهم اليه ، فلم يفعل واحتجّ بأشياء ، فعظم ذلك على الخليفة وحدث بينهما وحشة أوجبت تأخره عن المسير معه ، وارسل اليه يلزمه بالمسير معاً أمراً جزماً ، فبا الأمراء على هذا ، اذ جاءه الخبر بوفاة طغرل» .

(٢) في العشرين من رجب : ابن الاثير ج ١١ ص ٢٥ .

الدولة سنقر[١] وكزل وبرسق بن برسق ، وفي ميسرته جاولي برسقي وسراب سلار[٢] وأغلبك الذي كان قبض عليه من أمراء السلجوقية بموافقتهم السلطان وكان ذلك عاشر رمضان سنة تسع وعشرين . وانحازت ميسرة المسترشد إليه وانطبقت عساكره عليه ، وانهزم أصحاب المسترشد وأخذ هو أسيراً بموكبه ، وفيهم الوزير شرف الدين عليّ بن طراد الزينبي ، وقاضي القضاة والخطباء والفقهاء والشهود وغيرهم . وأنزل المسترشد في خيمة ، وحبس الباقون بقلعة سرحاب ، وعاد السلطان إلى همذان وبعث الأمير بك آي المحمدي[٣] إلى بغداد شحنة ، فوصل سلخ رمضان ، ومعه عميد[٤] فقبضوا أملاك الخليفة وأخذوا غلاّته ، وضج الناس ببغداد وبكوا على خليفتهم ، وأعول النساء ثم عمد العامّة إلى المنبر فكسروه ومنعوا من الخطبة وتعاقبوا في الأسواق يحثون التراب على رؤسهم ، وقاتلوا أصحاب الشحنة فأثخن فيهم بالقتل وهرب الوالي والحاجب وعظمت الفتنة ، ثم بلغ السلطان في شوّال أن داود ابن أخيه محمود عصي عليه بالمراغة ، فسار لقتاله والمسترشد معه وتردّد الرسل بينهما في الصلح .

* (مقتل المسترشد وخلافة الراشد) *

قد ذكرنا مسير المسترشد مع السلطان مسعود إلى مراغة وهو في خيمة موكل به . وتردّدت الرسل بينهما وتقرّر الصلح على أن يحمل مالاً للسلطان ولا يجمع العساكر لحرب ولا فتنة ، ولا يخرج من داره فانعقد على ذلك بينهما ، وركب المسترشد وحملت الغاشية بين يديه وهو على العود إلى بغداد فوصل الخبر بموافاة رسول من السلطان سنجر فتأخّر مسيره لذلك ، وركب السلطان مسعود للقاء الرسول ، وكانت خيمة المسترشد منفردة العسكر فدخل عليه عشرون رجلاً أو يزيدون من الباطنيّة فقتلوه وجدعوه وصلبوه ، وذلك سابع عشر ذي القعدة من سنة تسع وعشرين ، لسبع عشرة ونصف من خلافته . وقتل الرجال الذين قتلوه وبويع إبنه أبو جعفر بعهد أبيه اليه بذلك فجددت له البيعة ببغداد في ملأ من الناس ، وكان إقبال خادم المسترشد في بغداد ، فلمّا وقعت هذه الحادثة عبر إلى الجانب الغربي وأصعد إلى تكريت ،

(١) نور الدولة سنقر : ابن الاثير ج ١١ ص ٢٥ .
(٢) جاولي وبرسق شراب سلار : المرجع السابق .
(٣) الأمير بك أبه المحمودي : ابن الاثير ج ١١ ص ٢٦ .
(٤) ليس لها معنى ولعلها عبيد .

ونزل على مجاهد الدين بهروز . ثم بعد مقتل المسترشد بأيام قتل دبيس بن صَدَقَة على باب سرادقه بظاهر مدينة خويّ ، أمر السلطان مسعود غلاماً أرمنياً بقتله فوقف على رأسه فضربه ، وأسقط رأسه ، واجتمع إلى أبيه صدقة بالحِلّة عساكره ومماليكه واستأمن إليه قطلغ تكين ، وأمر السلطان مسعود بك آي شحنة بغداد فأخذ الحِلّة من يد صدقة فبعث بعض عسكره إلى المدائن ، وخام عن لقائه حتى قدم السلطان إلى بغداد سنة إحدى وثلاثين فقصده وصالحه ولزم بابه .

* (الفتنة بين الراشد والسلطان مسعود ولحاقه بالموصل وخلعه) *

وبعد بيعة الراشد واستقراره في الخلافة وصل برتقش الزكويّ من عند السلطان محمود يطلب من الراشد ما استقرّ على أبيه من المال أيام كونه عندهم ، وهو أربعمائة ألف دينار فأجابه بأنه لم يخلف شيئاً وأنّ ماله كان معه فنهب . ثم نمي إلى الراشد أنّ برتقش تهجّم على دار الخلافة ، وفتّش المال فجمع الراشد العساكر وأصلح السور ، ثم ركب برتقش ومعه الأمراء البَلْخِيّة وجاؤا لهجم الدار ، وقاتلهم عسكر الخليفة والعامّة فساروا إلى طريق خراسان وانحدر بك آي إلى خراسان ، وسار برتقش إلى البند هجين ، ونهبت العامّة دار السلطان واشتدّت الوحشة بين السلطان والراشد ، وانحرف الناس عن طاعة السلطان إلى الخليفة ، وسار داود ابن السلطان في عسكر أذربيجان إلى بغداد ، ونزل بدار السلطان في صفر من سنة ثلاثين ، ووصل عماد الدين زنكي من الموصل ، ووصل برتقش باردار صاحب قزوين ، والبقش الكبير صاحب أَصْبَهَان ، وصدقة بن دبيس صاحب الحِلّة ، وابن برسق وابن الأحمديلي وجفل الملك داود برتقش باردار شحنة ببغداد ، وقبض الراشد على ناصح الدولة أبي عبدالله الحسن بن جُهَيْر استادار ، وعلى جمال الدين إقبال . وكان قدم إليه من تكريت فتنكّر له أصحابه وخانوه ، وشفع زنكي في إقبال الخادم فأطلقه وصار عنده ، وخرج الوزير جلال الدين أبو الرضا بن صدقة لتلقي زنكي فأقام عنده . ثم شفع فيه وأعاده إلى وزارته ولحق قاضي القضاة الزينبي بزنكي أيضاً ، وسار معه إلى الموصل ، ووصل سلجوق شاه إلى واسِط وقبض بها بك آي ونهب ماله فانحدر زنكي إليه وصالحه ورجع إلى بغداد . ثم سار السلطان داود نحو طريق خراسان

ومعه زنكي لقتال السلطان مسعود ، وبرز الراشد أوّل رمضان وسار إلى طريق خراسان ورجع بعد ثلاث وأرسل إلى داود والأمراء بالعود ، وقتال مسعود من وراء السور ، وراسلهم مسعود بالطاعة والموافقة فأبوا ، وتبعهم الخليفة في ذلك . وجاء مسعود فنزل على بغداد وحصرهم فيها ، وثار العيّارون وكثر الهرج وأقاموا كذلك نيفاً وخمسين ، وامتنعوا وأقلع السلطان عنهم . ثم وصله طرنطاني صاحب واسِط بالسفن فعاد وعبر إلى الجانب الغربي فاضطرب الراشد وأصحابه ، وعاد داود إلى بلاده ، وكان زنكي بالجانب الغربي فعبر إليه الراشد وسار معه إلى الموصل ، ودخل السلطان مسعود بغداد منتصف ذي القعدة سنة ثلاثين ، وأمّن الناس . واستدعى القضاة والفقهاء والشهود وعرض عليهم يمين الراشد بخطّه : إني متى جنّدت جنداً ، وخرجت ولقيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الأمر فأفتوا بخلعه . ووافقهم على ذلك أصحاب المناصِب والولايات ، واتفقوا على ذمّه فتقدّم السلطان لخلعه ، وقطعت خطبته ببغداد وسائر البلاد في ذي القعدة من سنة ثلاثين لسنة من خلافته .

* (خلافة المقتفي) *

ولما قطعت خطبة الراشد استشار السلطان مسعود أعيان بغداد فيمن يولّيه ، فأشاروا بمحمد بن المستظهر فقدم إليهم بعمل محضر في خلع الراشد ، وذكروا ما ارتكبه من أخذ الأموال ومن الأفعال القادحة في الإمامة ، وختموا آخر المحضر بأن مَنْ هذه صفته لا يصلح أن يكونَ إماماً . وحضر القاضي أبو طاهر بن الكرخي فشهدوا عنده بذلك وحكم بخلعه ، ونفّذه القضاة الآخرون وكان قاضي القضاة غائباً عند زنكي بالموصل ، وحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبي وصاحب المخزن ابن العسقلاني ، وأحضر أبو عبدالله بن المستظهر فدخل إليه السلطان والوزير واستخلفاه . ثم أدخلوا الأمراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء فبايعوه ثامن عشر ذي الحِجّة ولقّبوه المقتفي . واستوزر شرف الدين عليّ بن طراد الزينبي وبعث كتاب الحكم بخلع الراشد إلى الآفاق ، وأحضر قاضي القضاة أبا القاسم عليّ بن الحسين فأعاده إلى منصبه ، وكمال الدين حمزة بن طلحة صاحب المخزن كذلك .

* (فتنة السلطان مسعود مع داود واجتماع داود للراشد للحرب ومقتل الراشد) *

ولما بويع للمقتفي والسلطان مسعود ببغداد ، وبعث عساكره بطلب الملك داود فلقيه عند مراغة فانهزم داود وملك قراسنقر أذربيجان . ثم قصد داود خوزستان ، واجتمع عليه من عساكر التركمان وغيرهم نحو عشرة آلاف مقاتل ، وحاصر تستر وكان السلطان سلجوق شاه بواسِط بعث إلى أخيه مسعود يستنجده فأنجده بالعساكر وسار إلى تستر فقاتله داود وهزمه . وكان السلطان مسعود مقيماً ببغداد مخافة أن يقصد الراشد العراق من الموصل ، وكان قد بعث لزنكي فخطب للمقتفي في رجب سنة إحدى وثلاثين ، وسار الراشد من الموصل ، فلما بلغ خبر مسيره إلى السلطان مسعود أذن للعسكر في العود إلى بلادهم ، وانصرف صدقة بن دُبَيْس صاحب الحِلّة بعد أن زوّجه إبنته . ثم قدم على السلطان مسعود جماعة الأمراء الذين كانوا مع الملك داود مثل البقش السلامي وبرسق بن برسق صاحب تستر وسنقر خمارتكين شحنة همذان ، فرضي عنهم ووَلِيّ البقش شحنة ببغداد فظلم الناس وعسفهم . ولما فارق الراشد زنكي من الموصل سار إلى أذربيجان وانتهى إلى مراغة ، وكان بوزابة وعبد الرحمن طغرلبك[1] صاحب خلخال ، والملك داود ابن السلطان محمود خائفين من السلطان مسعود فاجتمعوا الى منكبرس صاحب فارس وتعاهدوا على بيعة داود ، وأن يردّوا الراشد إلى الخلافة فأجابهم الراشد إلى ذلك ، وبلغ الخبر إلى السلطان فسار من بغداد في شعبان سنة إثنتين وثلاثين ، وبلغهم قبل وصوله وصول الراشد إليهم فقاتلهم بخوزستان فانهزموا وأسر منكبرس صاحب فارس[2] فقتله السلطان مسعود صبراً ، وافترقت عساكره للنهب وفي طلب المنهزمين ، ورآه بوزابة وعبد الرحمن طغرلبك في قلّ من الجنود فحملوا عليه ، وقتل بوزابة جماعة من الأمراء منهم صدقة بن دُبَيْس وابن قراسُنقر الأتابك صاحب أذربيجان وعنتر بن أبي العسكر وغيرهم كان قبض عليهم لأوّل الهزيمة وأمسكهم عنده ، فلّما بلغه قتل منكبرس قتلهم جميعاً وانصرف

---

(١) طغايرك : ابن الاثير ج ١١ ص ٦٠ .

(٢) هكذا بالاصل وفي الكامل ج ١١ ص ٦٠ : «ووصل الخبر إلى السلطان مسعود وهو ببغداد باجتماعهم ، فسار عنها في شعبان نحوهم ، فالتقوا ببنجن كشت ، فاقتتلوا فهزمهم السلطان مسعود وأخذ الأمير منكبرس أسيراً» .

العسكران منهزمين ، وقصد مسعود أذربيجان وداود همذان . وجاء إليه الراشد بعد الوقعة وأشار بوزابة وكان كبير القوم بمسيرهم ، فسار بهم إلى فارس فملكها وأضافها إلى خوزستان . وسار سلجوق شاه ابن السلطان مسعود ليملكها فدافعه عنها البقش الشحنة ومطر الخادم أمير الحاج ، وثار العيّارون أيام تلك الحرب ، وعظم الهرج ببغداد ، ورحل الناس عنها إلى البلاد . فلمّا انصرف سلجوق شاه واستقرّ البقش الشحنة فتك فيهم بالقتل والصلب . ولما قتل صدقة بن دبيس ولّى السلطان على الحِلّة محمداً أخاه وجعل معه مُهَلْهِلاً أخا عنتر بن أبي العسكر يدبره . ولما وصل الراشد والملك داود إلى خوزستان مع الأمراء على ما ذكرناه ، وملكوا فارس ، ساروا إلى العراق ومعهم خوارزم شاه . فلما قاربوا الجزيرة خرج السلطان مسعود لمدافعتهم فافترقوا ، ومضى الملك داود إلى فارس وخوارزم شاه إلى بلاده ، وبقي الراشد وحده ، فسار إلى أصبهان فوثب عليه في طريقه نفر من الخراسانيّة الذين كانوا في خدمته فقتلوه في القيلولة خامس عشر رمضان سنة إثنتين وثلاثين ، ودفن بشهرستان ظاهر أصبهان . وعظم أمر هذه الفتنة واختلفت الأحوال والمواسم وانقطعت كسوة الكعبة في هذه السنة من دار الخلافة من قبل السلاطين ، حتى قام بكسوتها تاجر فارسيّ من المتردّدين إلى الهند ، أنفق فيها ثمانية عشر ألف دينار مصرية ، وكثر الهرج من العيّارين حتى ركب زعماؤهم الخيول وجمعوا الجموع ، وتستّر الوالي ببغداد بلباس ابن أخيه سراويل الفتوّة عن زعيمهم ليدخل في جملتهم ، وحتى همّ زعيمهم بنقش إسمه في سكة بانبار فحاول الشحنة والوزير على قتله فقتل ، ونسب أمر العيّارين إلى البقش الشحنة لما أحدث من الظلم والعسف فقبض عليه السلطان مسعود وحبسه بتكريت عند مجاهد الدين بهروز ، ثم أمر بقتله فقتل . ثم قدم السلطان مسعود في ربيع سنة ثلاث وثلاثين في الشتاء ، وكان يشتي بالعراق ويصيّف بالجبال . فلما قدم أزال المكوس وكتب بذلك في الألواح فنصبت في الأسواق وعلى أبواب الجامع ورفع عن العامّة نزول الجند عليهم فكثر الدعاء له والثناء عليه .

* (وزارة الخليفة) *

وفي سنة أربع وثلاثين وقع بين المقتفي ووزيره عليّ بن طراد الزينبي وحشة بما كان يعترض على المقتفي في أمره ، فخاف واستجار بالسلطان مسعود فأجاره ، وشفع إلى

المقتفي في إعادته فامتنع وأسقط إسمه من الكتب ، واستناب المقتفي ابن عمه قاضي القضاة والزينبي ، ثم عزله واستناب شديد الدولة الأنباري . ثم وصل السلطان إلى بغداد سنة ست وثلاثين فوجد الوزير شرف الدين الزينبي في داره فبعث وزيره إلى المقتفي شفيعاً في إطلاق سبيله إلى بيته فأذن له انتهى .

* (الشحنة ببغداد) *

وفي سنة ست وثلاثين عزل مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد ، وولّى كزل أمير آخر من مماليك السلطان محمود ، فكان على البصرة فأضيف إليه شحنكية بغداد ، ولمّا وصل السلطان مسعود إلى بغداد ورأى تبسط العيارين وفسادهم أعاد بهروز شحنة ، ولم ينتفع الناس بذلك لأنّ العيارين كانوا يتمسّكون بالجاه من أهل الدول فلا يقدر بهروز على منعهم ، وكان ابن الوزير وابن قاروت صهر السلطان يقاسمانهم فيما يأخذون من النهب . واتفق سنة ثمان وثمانين أنّ السلطان أرسل نائب الشحنكية ووبّخه على فساد العيّارين فأخبره بشأن صهره وابن وزيره فأقسم ليصلبنه إن لم يصلبهما فأخذ خاتمه على ذلك ، وقبض على صهره ابن قاروت فصلبه وهرب إبن الوزير ، وقبض على أكثر العيّارين وافترقوا وكفى الناس شرّهم .

* (انتقاض الاعياص واستبداد الامراء على الامير مسعود وقتله اياهم) *

وفي سنة أربعين سار بوزابة صاحب فارس وخوزستان وعساكره إلى قاشان ومعه الملك محمد ابن السلطان محمود ، واتصل بهم الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد ، ولقي بوزابة الأمير عبّاس صاحب الريّ وتآمرا في الانتقاض على السلطان مسعود ، وملكا كثيراً من بلاده فسار السلطان مسعود عن بغداد ، ونزل بها الأمير مهلهل والخادم مطر وجماعة من غلمان بهروز . وسار معه الأمير عبد الرحمن طغرلبك ، وكان حاجبه ومتحكماً في دولته ، وكان هواه مع ذينك الملكين ، فسار السلطان وعبد الرحمن حتى تقارب العسكران ، فلقي سليمان شاه أخاه مسعوداً فحنق عليه ، وجرى عبد الرحمن في الصلح بين الفريقين ، وأضيفت وظيفة أذربيجان وأرمينية الى ما بيده . وسار أبو الفتح ابن هزارشب وزير السلطان مسعود ومعه وزير بوزابة فاستبدّوا على السلطان وحجروه

عن التصرّف فيما يريده ، وكان بك أرسلان بن بلنكري المعروف بخاص بك خالصة صاحب خلخال وبعض أذربيجان ، فلمّا عظم تحكّمه أسرّ السلطان إلى خاص بك بقتل عبد الرحمن ، فدسّ ذلك الى جماعة من الأمراء وقتلوه في موكبه ، ضربه بعضهم بمقرعة فسقط إلى الارض ميتاً وبلغ إلى السلطان مسعود ببغداد ومعه عبّاس صاحب الريّ في عسكر أكثر من عسكره فامتعض لذلك فتلطّف له السلطان ، واستدعاه إلى داره ، فلما انفرد عن غلمانه أمر به فقتل . وكان عبّاس من غلمان السلطان محمود ووَلِيَ الريّ ، وجاهد الباطنية وحسنت آثاره فيهم . وكان مقتله في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين . ثم حبس السلطان مسعود أخاه سليمان شاه بقلعة تكريت ، وبلغ مقتل عبّاس إلى بوزابة فجمع عساكره من فارس وخوزستان : وسار إلى أصبهان فحاصرها ، ثم سار إلى السلطان مسعود والتقيا بمرج قراتكين فقتل بوزابة قيل بسهم أصابه وقيل أخذ أسيراً وقتل صبراً ، وانهزمت عساكره إلى همذان وخراسان .

* (انتقاض الامراء ثانية على السلطان) *

ولما قتل السلطان من قتل من أمرائه استخلص الأمير خاص بك وأنفذ كلمته في الدولة ، ورفع منزلته فحسده كثير من الأمراء وخافوا غائلته وساروا نحو العراق وهم : إيلدكز المسعودي صاحب كنجة وأرّانية ، وقيصر والبقش كون صاحب أعمال الجبل . وقتل الحاجب وطرنطاي المحمودي شحنة واسط وابن طغابرك . ولما بلغوا حُلوان خاف الناس بأعمال العراق وعني المقتفي بإصلاح السور ، وبعث إليهم بالنهي عن القدوم فلم ينتهوا ووصلوا في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين ، والملك محمد ابن السلطان محمود معهم ، ونزلوا بالجانب الشرقي ، وفارق مسعود جلال الشحنة ببغداد إلى تكريت . ووصل إليهم عليّ بن دبيس صاحب الحِلّة ، ونزل بالجانب الغربي وجنّد المقتفي أجناداً وقتلوهم مع العامّة فكانوا يستطردون للعامّة والجند حتى يبعدوا ، ثم يكرّون عليهم فيثخنوا فيهم . ثم كثر عيثهم ونهبهم . ثم اجتمعوا مقابل التاج وقبّلوا الأرض واعتذروا ، وتردّدت الرسل ورحلوا إلى النّهروان . وعاد مسعود جلال الشحنة من تكريت إلى بغداد ، وافترق هؤلاء الأمراء وفارقوا العراق ، والسلطان مع ذلك مقيم ببلد الجبل . وأرسل عمه سنجر إلى الريّ سنة أربع وأربعين فبادر إليه مسعود وترضّاه

فأعتبه وقبل عذره . ثم جاءت سنة أربع وأربعين جماعة أخرى من الأمراء وهم البقش كون والطرنطاي وابن دبيس وملك شاه ابن السلطان محمود فراسلوا المقتفي في الخطبة لملك شاه فلم يجبهم ، وجمع العساكر وحصّن بغداد وكاتب السلطان مسعودا بالوصول الى بغداد فشغله عمه سنجر إلى الريّ ، ولمّا علم البقش مراسلة المقتفي إلى مسعود نهب النهروان ، وقبض على عليّ بن دبيس وهرب الطرنطاي إلى النعمانية ، ووصل السلطان مسعود إلى بغداد منتصف شوّال ، ورحل البقش كون من النهروان وأطلق ابن دبيس .

* (وزارة المقتفي) *

وفي سنة أربع وأربعين استوزر المقتفي يحيى بن هبيرة وكان صاحب ديوان الزمام وظهرت منه كفاية في حصار بغداد فاستوزره المقتفي .

* (وفاة السلطان مسعود وملك ملك شاه ابن أخيه محمود) *

ثم توفي السلطان مسعود أوّل رجب سنة سبع وأربعين وخمسمائة لإحدى وعشرين سنة من بيعته ، وعشرين من عوده بعد منازعة إخوته . وكان خاص بك بن سلمكري [1] متغلّباً على دولته ، فبايع لملك شاه ابن أخيه السلطان محمود ، وخطب له بالسلطنة في همذان ، وكان هذا السلطان مسعود آخر ملوك السلجوقية عن بغداد . وبعث السلطان ملك شاه الأمير شكاركرد [2] في عسكر إلى الحِلّة فدخلها ، وسار إليه مسعود جلال [3] الشحنة ، وأظهر له الاتفاق . ثم قبض عليه وغرّقه واستبدّ بالحِلّة وأظهر المقتفي إليه العساكر مع الوزير عون الدولة والدين بن هبيرة فعبر الشحنة إليهم الفرات ، وقاتلهم فانهزموا وثار أهل الحِلّة بدعوة المقتفي ومنعوا الشحنة من الدخول فعاد إلى تكريت ودخل ابن هُبَيْرَة الحِلّة وبعث العساكر إلى الكوفة وواسِط فملكوها ، وجاءت عساكر السلطان إلى واسط فغلبوا عليها عسكر المقتفي فتجهّز بنفسه ، وانتزعها من أيديهم ، وسار منها إلى الحِلّة . ثم عاد إلى بغداد في عشر ذي

(١) خاصّ بك بن بلنكري : ابن الاثير ج ١١ ص ١٦١ .
(٢) سَلاركرد : ابن الاثير ج ١١ ص ١٦٢ .
(٣) مسعود بلال : المرجع السابق .

القعدة . ثم إنّ خاص بك المتغلّب على السلطان ملك شاه استوحش وتنكّر وأراد الاستبداد فبعث عن الملك محمد ابن السلطان محمد بخوزستان سنة ثمان وأربعين فبايعه أوّل صفر وأهدى إليه وهو مضمر الفتك ، فسبقه السلطان محمد لذلك وقتله ثاني يوم البيعة إيد غدي التركماني المعروف بشملة من أصحاب خاص بك ونهاه عن الدخوله إلى السلطان محمد ، فلم يقبل . فلما قتل خاص بك نهب شملة عسكره ولحق بخوزستان وكان خاص بك صبيًّا من التركمان اتصل بالسلطان مسعود واستخلصه وقدّمه على سائر الأمراء .

* (حروب المقتفي مع أهل الخلاف وحصار البلاد) *

ثم بعث المقتفي عساكره لحصار تكريت مع ابن الوزير عون الدين والأمير ترشك من خواصه وغيرهما ، ووقع بينه وبين ابن الوزير منافرة خشي لها ترشك على نفسه فصالح الشحنة صاحب تكريت ، وقبض على ابن الوزير والأمراء ، وحبسهم صاحب تكريت وغرق كثير منهم ، وسار ترشك والشحنة إلى طريق خراسان فعاثوا فيها وخرج المقتفي في اتباعهم فهربا بين يديه ، ووصل تكريت وحاصرها أياماً . ثم رجع إلى بغداد وبعث سنة تسع وأربعين بتكريت في ابن الوزير وغيره من المأسورين ، فقبض على الرسول فبعث إليهم عسكراً فامتنعوا عليه ، فسار المقتفي بنفسه في صفر من سنته وملك تكريت ، وامتنعت عليه القلعة فحاصرها ، ورجع في ربيع . ثم بعث الوزير عون الدين في العساكر لحصارها واستكثر من الآلات وضيق عليها . ثم بلغه الخبر بأنّ شحنة مسعود وترشك وصلافي العساكر ومعهم الأمير البقش كون وأنهما استحثّا الملك محمداً لقصد العراق ، فلم يتهيأ له فبعث هذا العسكر معهم ، وانضاف إليهم خلق كثير من التركمان ، فسار المقتفي للقائهم ، وبعث الشحنة مسعود عن أرسلان ابن السلطان طغرل بن محمد وكان محبوساً بتكريت فأحضره عنده ليقاتل به المقتفي ، والتقوا عند عقر بابل فتنازلوا ثمانية عشر يوماً ، ثم تناجزوا آخر رجب فانهزمت ميمنة المقتفي إلى بغداد ، ونهبت خزائنه وثبت هو واشتد القتال وانهزمت عساكر العجم وظفر المقتفي بهم ، وغنم أموال التركمان وسبى نساءهم وأولادهم . ولحق البقش كون ببلد المحلو وقلعة المهاكين وأرسلان بن طغرل ، ورجع المقتفي إلى بغداد أوّل شعبان . وقصد مسعود الشحنة وترشك بلد واسِط للعيث فيها ، فبعث المقتفي الوزير ابن هبيرة

في العساكر فهزمهم . ثم عاد فلقيه المقتفي سلطان العراق وأرسلان بن طغرل ، وبعث إليه السلطان محمد في إحضاره عنده . ومات البقش في رمضان من سنته وبقي أرسلان مع ابن البقش ، وحسن الخازندار فحملاه إلى الجبل ثم سارا به إلى الركن زوج أمّه ، وهو أبو البهلوان وأرسلان وطغرل الذي قتله خوارزم شاه ، وكان آخر السلجوقيّة ثلاثتهم إخوة لأمّ . ثم سار المقتفي سنة خمسين إلى دقوقا فحاصرها أياماً ، ثم رجع عنها لأنه بلغه أنّ عسكر الموصل تجهّز لمدافعته عنها فرحل .

* (استيلاء شمله على خوزستان) *

قد ذكرنا من قبل شأن شملة وأنه من التركمان وإسمه إيد غدي وأنه كان من أصحاب خاصّ بك التركماني ، وهرب يوم قتل السلطان محمد صاحبه خاص بك بعد أن حذّره منه فلم يقبل ، ونجا من الواقعة فجمع جموعاً وسار يريد خوزستان وصاحبها يومئذ ملك شاه ابن السلطان محمود بن محمد . وبعث المقتفي عساكره لذلك فلقيهم شملة في رجب وهزمهم وأسر وجوههم . ثم أطلقهم وبعث إلى الخليفة يعتذر فقبل عذره ، وسار إلى خوزستان فملكها من يد ملك شاه ابن السلطان محمود .

* (إشارة إلى بعض أخبار السلطان سنجر بخوزستان ومبدأ دولة بني خوارزم شاه) *

كان السلطان سنجر من ولد السلطان ملك شاه لصلبه ، ولما استولى بركيارق بن ملك شاه على خوزستان سنة تسعين وأربعمائة من يد عمه أرسلان أرغون ، كما نذكر في أخبارهم عند تفردها مستوفى ، ولّى عليها أخاه سنجر ، وولّى على خوارزم محمد بن أنوش تكين من قبل الأمير داود حبشي بن أليوساق . ثم لما ظهر السلطان محمد ونازع بركيارق وتعاقبا في الملك ، وكان سنجر شقيقاً لمحمد فولّاه على خراسان ، ولم يزل عليها . ولما اختلف أولاد محمد من بعده كان عقيد أمرهم وصاحب شوراهم إذا خلّف له ببغداد مقدّماً إسمه على إسم سلطان العراق منهم سنة[1] ثم خرجت أمم الخطا من الترك من مفازة الصين وملكوا ما وراء النهر من يد الجابية ملوك تركستان سنة ست وثلاثين كما نذكر في أخبارهم . وسار سنجر لمدافعتهم فهزموه فوهن

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٥٤٨ يذكر ابن الاثير أخبار سنجر سنة ٥١٣ .

لذلك فاستبدّ عليه خوارزم شاه بعض الشيء . وكان الخلفاء لما ملكوا بلاد تركستان أزعجوا الغز عنها إلى خراسان وهم بقية السلجوقية هناك . وأجاز السلجوقية لأول دولتهم إلى خراسان فملكوها ، وبقي هؤلاء الغز بنواحي تركستان فأجازوا أمام الخطا إلى خراسان ، وأقاموا السلطان بها حتى عتوا ونموا . ثم كثر عيثهم وفسادهم وسار إليهم السلطان سنجر سنة ثمان وأربعين فهزموه واستولوا عليه وأسروه ، وملكوا بلاد خراسان وافترق أمراؤه على النواحي . ثم ملكوه وهو أسير في أيديهم ذريعة لنهب البلاد واستولوا به على كثير منها ، وهرب من أيديهم سنة إحدى وخمسين ولم يقدر على مدافعتهم . ثم توفي سنة إثنتين وخمسين وافترقت بلاد خراسان على أمرائه كما يذكر في أخبارهم . ثم تغلب بنو خوارزم شاه عليها كلها وعلى أصبهان والريّ من ورائها وعلى أعمال غزنة من يد بني سبكتكين وشاركهم فيها النور[1] بعض الشيعة وقام بنو خوارزم شاه مقام السلجوقية إلى أن انقرضت دولتهم على يد جنكزخان ملك التتر من أمم الترك في أوائل المائة السابعة كما يذكر ذلك كله في أخبار كل منهم عندما نفردها بالذكر إن شاء الله تعالى .

* (الخطبة ببغداد لسليمان شاه ابن السلطان محمد وحروبه مع السلطان محمد بن محمود) *

كان سليمان بن محمد عند عمّه سنجر بخراسان منذ أعوام وقد جعله وليّ عهده ، وخطب له بخراسان فلما غلب الغزّ على سنجر وأسروه تقدّم سليمان شاه على العساكر ، ثم غلبتهم الغز فلحق بخوارزم شاه فصاهره أوّلاً بابنة أخيه ، ثم تنكّر فسار إلى أصبهان فمنعه شحنتها من الدخول فسار إلى قاشان ، فبعث إليه السلطان محمد شاه بن محمود فقصد اللحف ، ونزل على السيد محسن ، وبعث إلى المقتفي ليستأذنه في القدوم ، وبعث زوجته وولده رهناً على الطاعة والمناصحة فأذن له ، وقدم في خفّ من العساكر ثلثمائة أو نحوها ، وأخرج الوزير عون الدين بن هُـبَـيْـرَة ولده لتلقيه ومعه قاضي القضاة والنقباء ، ودخل وعلى رأسه الشمسية ، وخلع عليه . ولما كان المحرّم من سنة إحدى وخمسين حضر عند المقتفي بمحضر قاضي القضاة وأعيان العبّاسيين

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ١١ ص ٢٢٢ : العسكر الفوري ، واما قوله بعض الشيعة فهم الاسماعيلية وقد أورد ذكرهم ابن الاثير في حوادث ٥٥٣ .

واستحلفه على الطاعة ، وأن لا يتعرّض للعراق . ثم خطب له ببغداد وبلقب أبيه السلطان محمد ، وبعث عسكراً نحو ثلاثة آلاف واستقدم داود صاحب الحِلّة فجعل له أمر الحجابة ، وسار نحو الجبل في ربيع . وسار المقتفي إلى حُلوان وسار إلى ملك شاه بن محمود أخي سليمان صاحب خوزستان فاستحلفه لسليمان شاه وجعله وليّ عهده ، وأمدّهما بالمال والأسلحة ، وساروا إلى همذان وأصبهان ، وجاءهم المذكر صاحب بلاد أرّان فكثر جمعهم وبلغ خبرهم السلطان محمد بن محمود فبعث إلى قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل ، ونائبه زين الدين ليستنجدهما فأجاباه ، وسار للقاء سليمان شاه وأصحابه فالتقوا في جمادى ، وانهزم سليمان شاه وافترقت عساكره . وسار المذكر إلى بلاده ، وسار سليمان شاه إلى بغداد وسلك على شهرزور فاعترضه زين الدين علي كوجك نائب قطب الدين بالموصل ، وكان مقطع شهرزور الأمير بران من جهة زين الدين فاعترضاه وأخذاه أسيراً ، وحمل زين الدين إلى الموصل فحبسه بقلعتها ، وبعث إلى السلطان محمد بالخبر .

* (حصار السلطان محمد بغداد) *

كان السلطان محمد قد بعث إلى المقتفي في الخطبة له ببغداد فامتنع من إجابته ، ثم بايع لعمّه سليمان وخطب له وكان ما قدّمناه من أمره معه . ثم سار السلطان محمد من همذان في العساكر نحو العراق ، فقدم في ذي الحجّة سنة إحدى وخمسين ، وجاءته عساكر الموصل مدداً من قبل قطب الدين ونائبه زين الدين ، واضطربت الناس ببغداد ، وأرسل المقتفي عن فضلو بواش[1] صاحب واسِط فجاء عسكره . وملك مهلهل الحِلّة فاهتمّ ابن هبيرة بأمر الحصار وجمع السفن تحت الناحي[2] ، وقطع الجسر ، وأجفل الناس من الجانب الغربي ، ونقلت الأموال إلى حريم دار الخلافة ، وفرّق المقتفي السلاح في الجند والعامّة ، ومكثوا أياماً يقتتلون ، ومدّ السلطان جسراً على دجلة فعبر على الجانب الشرقي حتى كان القتال في الجانبين . ونفدت الأقوات في العسكر واشتدّ القتال والحصار على أهل بغداد لانقطاع الميرة والظهر[3] من عسكر الموصل لأنّ نور

(١) هكذا بالاصل وفي الكامل ج ١١ ص ٢١٢ : «واضطرب الناس ببغداد وارسل الخليفة يجمع العساكر فأقبل خطلبرس من واسط وعصى أرغش صاحب البصرة ، واخذ واسط ...»
(٢) تحت التاج : المرجع السابق ص ٢١٣ .
(٣) الظهر : الركاب التي تحمل الاثقال .

الدين محمود بن زنكي وهو أخو قطب الدين الأكبر بعث إلى زين الدين يلومه على قتال الخليفة . ثم بلغ السلطان محمداً أنّ أخاه ملك شاه والمذكر صاحب بلاد أرّان ، وأرسلان ابن الملك طغرل بن محمد ساروا إلى همذان وملكوها فارتحل عن بغداد في آخر ربيع سنة إثنتين وخمسين . وسار إلى همذان وعاد زين الدين كوجك إلى الموصل . ولما قصد السلطان محمد همذان صار ملك شاه والمذكر[١] ومن معهما إلى الريّ فقاتلهم شحنتها آبنايخ[٢] وهزموه ، وأمدّه السلطان محمد بالأمير سُقمان بن قيمار[٣] فسار لذلك ولقيهما منصرفين عن الريّ قاصدين بغداد فقاتلهما ، وانهزم أمامهما فسار السلطان في أثرهما إلى خوزستان ، فلما انتهى إلى حُلوان جاءه الخبر بأنّ المذكر بالدّينور وبعث إليه آبنايخ بأنه استولى على همذان وأعاد خطبته فيها ، فافترقت جموع ملك شاه والمذكر وفارقهم شملةُ صاحب خوزستان ، فعادوا هاربين إلى بلادهم وعاد السلطان محمد إلى همذان .

* (حروب المقتفي مع أهل النواحي) *

كان سُنْقُر الهمذاني صاحب اللَحف ، وكان في هذه الفتنة قد نهب سواد بغداد وطريق خراسان ، فسار المقتفي لحربه في جمادى سنة ثلاث وخمسين وضمن له الأمير خلطوا براس[٤] إصلاحه ، فسار إليه خاله على أن يشرك المقتفي معه في بلد اللحف الأمير أزغش المسترشدي فأقطعها لهما جميعاً ورجع ثم عاد سُنْقُر على أزغش وأخرجه ، وانفرد ببلده وخطب للسلطان محمد فسار إليه خلطوا براس من بغداد في العساكر وهزمه ، وملك اللحف وسار سنقر إلى قلعة الماهكي للأمير قايماز العميدي ونزلها في أربعمائة ألف فارس . ثم سار إليه سُنقر سنة أربع وخمسين فهزمه ورجع إلى بغداد فخرج المقتفي إلى النُعمانية وبعث العساكر مع ترشك فهرب سُنقر في الجبال ونهب ترشك مخلفه وحاصر قلعة الماهكي ، ثم عاد إلى البَنْدَنِجين وبعث بالخبر إلى بغداد . ولحق سُنْقُر بملك شاه فأمدّه بخمسمائة فارس وبعث ترشك إلى المقتفي في المدد فأمدّه ، وبعث إليه سُنْقُر في الإصلاح فحبس رسوله ، وسار إليه فهزمه

(١) ايلدكز : ابن الاثير ج ١١ ص ٢١٥ .
(٢) اينانج : المرجع السابق .
(٣) سقمس بن قيماز الحراميّ : المرجع السابق .
(٤) خطلبرس : (وقد مرّ معنا من قبل) ابن الاثير ج ١١ ص ٢٢٩ .

واستباح عسكره ونجا سُنْقُر جريحاً إلى بلاد العجم فأقام بها . ثم جاء بها سنة أربع وخمسين إلى بغداد ، وألقى نفسه تحت التاج فرضي عنه المقتفي ، وأذن له في دخول دار الخلافة . ثم زحف إلى قايماز السلطان في ناحية بادرايا سنة ثلاث وخمسين فهزمه وقتله وبعث المقتفي عساكره لقتال شملة فلحق بملك شاه .

* (وفاة السلطان محمد بن محمود وملك عمه سليمان شاه ثم ارسلان بن طغرل) *

ثم إنّ السلطان محمد بن محمود بن ملك شاه لما رجع عن حصار بغداد أصابه مرض السل وطال به ، وتوفي بهمذان في ذي الحجّة سنة أربع وخمسين لسبع سنين ونصف من ملكه ، وكان له والد فيئس من طاعة الناس له ، ودفعه لأقُسُنقر الأحمديليّ وأوصاه عليه فرحل به إلى مراغة . ولما مات السلطان محمد اختلف الأمر فيمن يولّونه ، ومال الأكثر إلى سليمان شاه عمّه ، وطائفة إلى ملك شاه أخيه ، وطائفة إلى أرسلان بن السلطان طغرل الذي مع إلدكز ببلاد أرّان . وبادر ملكشاه أخوه فسار من خوزستان ومعه شملة التركماني ودكلا صاحب فارس ، ورحل إلى أصبهان فأطاعه ابن الخُجَنْدِيّ ، وأنفق عليه الأموال وبعث إلى عساكر همذان في الطاعة فلم يجيبوه ، وأرسل أكابر الأمراء من همذان إلى قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل في سليمان شاه المحبوس عنده ليولّوه عليهم ، وذلك أوّل سنة خمس وخمسين فأطلقه على أن يكون أتابكاً له وجمال الدين وزيره وزيراً وجهّزه بجهاز السلطنة وبعث معه نائبه زين الدين عليّ كوجك في عسكر الموصل . فلما قاربوا بلاد الجبل وأقبلت العساكر من كل جهة على السلطان سليمان فارتاب كوجك لذلك ، وعاد إلى الموصل فلم ينتظم أمر سليمان ، ودخل همذان وبايعوا له وخطب له ببغداد . وكثرت جموع ملك شاه بأصبهان وبعث إلى بغداد في الخطبة ، وأن يقطع خطبة عمّه ويراجع القواعد بالعراق إلى ما كانت فوضع عليه الوزير عون الدين بن هُبَيْرَة جارية بعث بها إليه فسمّته ، فمات سنة خمس وخمسين ، فأخرج أهل أصبهان أصحابه وخطبوا لسليمان شاه . وعاد شَمْلَةُ إلى خراسان فملك كل ما كان ملك شاه تغلّب عليه منها . واستقرّ سليمان شاه بتلك البلاد ، وشغل باللهو والسكر ومنادمة الصفّاعين ، وفوّض الأمور إلى شرف الدين دوا داره من مشايخ السلجوقيّة ، كان ذا دين وعقل وحسن تربية ، فشكا

الأمراء إليه فدخل عليه وعذله وهو سكران فأمر الصفّاعين بالردّ عليه ، وخرج مغضباً . وصحا سليمان فاستدرك أمره بالاعتذار فأظهر القبول ، واجتنب الحضور عنده وبعث سليمان إلى ابنايخ صاحب الريّ يستقدمه فاعتذر بالمرض إلى أن يفيق ونمي الخبر إلى كربازه الخادم فعمل دعوة عظيمة حضرها السلطان والأمراء وقبض عليه وعلى وزيره أبي القاسم محمود بن عبد العزيز الحامدي وعلى أصحابه في شوّال من سنة ست وخمسين فقتل وزيره وخواصّه وحبسه أياماً . وخرج ابنايخ صاحب الريّ ونهب البلاد وحاصر همذان وبعث كردباز إلى إلدكز يستدعيه ليبايع لربيبه أرسلان شاه بن طغرل فسار في عشرين ألف فارس ، ودخل همذان وخطب لربيبه أرسلان شاه بن طغرل بالسلطنة وجعل إلدكز أتابكاً له ، وأخاه من أمّه البهلول بن إلدكز حاجباً . وبعث إلى المقتفي في الخطبة ، وأن تعاد الأمور إلى ما كانت عليه أيام السلطان مسعود فطرد رسوله وعاد إليه على أقبح حالة . وبعث إلى ابنايخ صاحب الريّ فحالفه على الاتفاق ، وصاهره في إبنته على البهلول وجاءت إليه بهمذان وكان إلدكز من مماليك السلطان مسعود ، وأقطعه أرّان وبعض أذربيجان ولم يحضر شيئاً من الفتنة ، وتزوّج أم أرسلان شاه وزوّجه طغرل فولدت له محمداً البهلوان ، وعثمان كزل أرسلان[1] . ثم بعث إلدكز إلى آقسنقر الأحمديليّ صاحب مَرَاغة في الطاعة لأرسلان شاه ربيبه ، فامتنع وهدّدهم بالبيعة للطفل الذي عنده محمود بن ملك شاه . وقد كان الوزير ابن هُبَيْرة أطمعه في الخطبة لذلك الطفل فيما بينهم ، فجهز إلدكز العساكر مع إبنه البهلوان وسار إلى مَرَاغة ، واستمد آقسنقر ساهـرمز صاحب خلاط فأمدّه بالعساكر ، والتقى آقسنقر والبهلوان فانهزم البهلوان وعاد إلى همذان . وعاد آقسنقر إلى مراغة ظافراً . وكان ملك شاه بن محمود لما مات بأصبهان مسموماً كما ذكرنا لحق طائفة من أصحابه ببلاد فارس ، ومعه إبنه محمود . فقبض عليه صاحب فارس زنكي بن دكلا السلغري بقلعة إصطَخْر ، ولما بعث إلدكز إلى بغداد في الخطبة لربيبه أرسلان وشرع الوزير عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة في التصريف بينهم بعث ابن دكلا وأطمعه في الخطبة لمحمود بن ملك شاه الذي عنده إن ظفر بإلدكز فأطلقه ابن دكلا وبايع له ، وضرب الطبل على بابه خمس نوب . وبعث إلى ابنايخ[2] صاحب الريّ فوافقه وسار إليه في عشرة آلاف . وبعث إليه

(١) البهلوان محمد وقزل أرسلان عثمان : ابن الاثير ج ١١ ص ٢٦٨ .
(٢) إينانج : المرجع السابق ص ٢٦٩ .

آقسنقر الأحمديليّ ، وجمع إلدكز العساكر ، وسار إلى أصبهان يريد **بلاد فارس**، وبعث إلى صاحبها زنكي بن دكلا في الطاعة لربيبه أرسلان فأبى ، وقال : إنّ المقتفي أقطعني بلاده وأنا سائر إليه . واستمد المقتفي وابن هُبَيْرَة فواعدوه وكاتبوا الأمراء الذين مع إلدكز بالتوبيخ على طاعته والانحراف عنه إلى زنكي بن دكلا صاحب فارس ، وابنايخ صاحب الريّ ، وبدأ إلدكز بقصد ابنايخ . ثم بلغه أنّ زنكي بن دكلا نهب سميرم ونواحيها ، فبعث عسكراً نحواً من عشرة آلاف فارس لحفظها فلقيهم زنكي فهزمهم ، فبعث إلدكز إلى عساكر أذربيجان فجاء بها إبنه كزل إرسلان . وبعث زنكي بن دكلا العساكر إلى ابنايخ ولم يحضر بنفسه خوفاً على بلاد شملة صاحب خوزستان . ثم التقى إلدكز وابنايخ في شعبان سنة ست وخمسين فانهزم ابنايخ واستبيح عسكره وحاصره إلدكز ثم صالحه ورجع إلى همذان .

* (وفاة المقتفي وخلافة المستنجد وهو أوّل الخلفاء المستبدّين على أمرهم من بني العبّاس عند تراجع الدولة وضيق نطاقها ما بين الموصل وواسِط والبصرة وحلوان) *

ثم توفي المقتفي لأمر الله أبو عبدالله محمد بن المستظهر في ربيع الأوّل سنة خمس وخمسين لأربع وعشرين سنة وأربعة أشهر من خلافته ، وهو أول من استبدّ بالعراق منفرداً عن سلطان يكون معه من أوّل أيام الدَيْلَم ، فحكم على عسكره وأصحابه فيما بقي لمملكتهم من البلدان بعد استبداد الملوك في الأعمال والنواحي . ولما اشتدّ مرضه تطاول كل من أم ولده إلى ولاية إبنها . وكانت أم المستنجد تخاف عليه ، وأمّ أخيه عليّ تروم ولاية إبنها ، واعتزمت على قتل المستنجد واستدعته لزيارة أبيه وقد جمعت جواريها وآتت كل واحدة منهنّ سكيناً لقتله وأمسكت هي وإبنها سيفين ، وبلغ الخبر إلى يوسف المستنجد فأحضر أستاذ دار أبيه ، وجماعة من الفرّاشين وأفرغ السلاح ودخل معهم الدار ، وثار به الجواري فضرب إحداهنّ وأمكنها فهربوا وقبض على أخيه عليّ وأمّه فحبسها وقسم الجواري بين القتل والتغريق حتى إذا توفي المقتفي جلس للبيعة فبايعه أقاربه وأوّلهم عمّه أبو طالب ، ثم الوزير عون الدين بن هُبَيْرَة وقاضي

القضاة وأرباب الدولة والعلماء وخطب له . وأقر ابن هُبَيْرَة على الوزارة وأصحاب الولايات على ولايتهم ، وأزال المكوس والضرائب ، وقرّب رئيس الرؤساء، وكان أستاذ دار فرفع منزلته عبد الواحد المقتني ، وبعث عن الأمير ترشك سنة ست وخمسين من بلد اللَحف وكان مقتطعاً بها فاستدعاه لقتال جمع من التركمان أفسدوا في نواحي البَندنيجين فامتنع من المجيء وقال : يأتيني العسكر وأنا أقاتل بهم ، فبعث إليه المستنجد العساكر مع جماعة من الأمراء فقتلوه وبعثوا برأسه إلى بغداد . ثم استولى بعد ذلك على قلعة الماهكي من يد مولى سُنقر الهمذانيّ ولآه عليها سُنقر وضعف عن مقاومة التركمان والأكراد حولها فاستنزله المستنجد عنها بخمسة عشر ألف دينار ، وأقام ببغداد . وكانت هذه القلعة أيام المقتدر بأيدي التركمان والأكراد .

* (فتنة خفاجة) *

اجتمعت خفاجة سنة ست وخمسين إلى الحِلّة والكوفة . وطالبوا برسومهم من الطعام والتمر ، وكان مقطع الكوفة أرغش وشحنة الحِلّة قيصر ، وهما من مماليك المستنجد فمنعوهما ، فعاثوا في تلك البلاد والنواحي فخرجوا إليهم في أثرهم ، واتّبعوهم إلى الرَحْبَة ، فطلبوا الصلح فلم يجبهم أرغش ولا قيصر ، فقاتلوهم فانهزمت العساكر . وقتل قيصر وخرج أرغش ودخل الرحبة ، فاستأمن له شِحْنَتُها وبعثوه إلى بغداد . ومات أكثر الناس عطشاً في البرّية وتجهّز عون الدين بن هُبَيْرَة في العساكر لطلب خفاجة فدخلوا البرية ورجع ، وانتهت خفاجة إلى البصرة وبعثوا بالعدوّ وسألوا الصلح فأجيبوا .

* (إجلاء بني أسد من العراق) *

كان في نفس المستنجد بالله من بني أسد أهل الحِلّة لفسادهم ومساعدتهم السلطان محمد في الحصار ، فأمر يزدن بن قماج بإجلائهم من البلاد ، وكانوا منبسطين في البطائح ، فجمع العساكر وأرسل إلى إبن معروف فقدّم السفن ، وهو بأرض البصرة فجاءه في جموع وحاصرهم وطاولهم ، فبعث المستنجد يعاتبه ويتّهمه بالتشيّع . فجهّز هو وابن معروف في قتالهم ، وسدّ مسالكهم في الماء فاستسلموا ، وقتل منهم أربعة آلاف ونودي عليهم بالملا من الحِلّة فتفرّقوا في البلاد ، ولم يبق بالعراق منهم أحد وسلّمت بطائحهم وبلادهم إلى إبن معروف .

* (الفتنة بواسِط وما جرت إليه) *

كان مقطع البصرة منكبرس من موالي المستنجد ، وقتله سنة تسع وخمسين ، وولّى مكانه كَمَسْتَكِين ، وكان إبن سنكاه ابن أخي شَمْلَة صاحب خوزستان ، فانتهز الفرصة في البصرة ونهب قراها ، وأمر كمستكين بقتاله فعجز عن إقامة العسكر وأصعد ابن سنكاه إلى واسِط ونهب سوادها وكان مقتطعها خلطوا برس [١] فجمع الجموع وخرج لقتاله ، واستمال ابن سنكاه الأمراء الذين معه فخذلوه ، وانهزم وقتله ابن سنكاه سنة إحدى وستين ثم قصد البصرة سنة إثنتين وستين ونهب جهتها الشرقية وخرج إليه كمستكين وواقعه ، وسار ابن سنكاه إلى واسِط وخافه الناس ولم يصل إليها .

* (مسير شملِة الى العراق) *

سار شملة صاحب خوزستان إلى العراق سنة إثنتين وستين وانتهى إلى قلعة الماهكيّ وطلب من المستنجد إقطاع البلاد ، واشتط في الطلب فبعث المستنجد العساكر لمنعه ، وكتب إليه يحذّره عاقبة الخلاف فاعتذر بأنّ إلدكز وربيبه السلطان أرسلان شاه أقطعا الملك الذي عنده ، وهو ابن ملك شاه بلاده البصرة وواسِط والحِلّة ، وعرض التوقيع بذلك ، وقال انا أقنع بالثلث منه فأمر المستنجد حينئذ بلعنه ، وأنه من الخوارج ، وتعبَّت العساكر إلى أرغمش المسترشدي بالنُعمانية والى شرف الدين أبي جعفر البلدي ناظر واسِط ليجتمعا على قتال شَمْلَة ، وكان شملة أرسل مليح إبن أخيه في عسكر لقتال بعض الأكراد فركب إليه أرغمش وأسره وبعض أصحابه ، وبُعِثَ إلى بغداد ، وطلب شملة الصلح فلم يجب إليه . ثم مات أرغمش من سقطة سقطها عن فرسه وبقي العسكر مقيماً ورجع شملة إلى بلاده لأربعة أشهر من سفره .

* (وفاة الوزير يحيى) *

ثم توفي الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن المظفّر بن هُبَيْرَة سنة ستين وخمسمائة في جمادى الأولى ، وقبض المستنجد على أولاده وأهله وأقامت الوزارة بالنيابة . ثم استوزر المستنجد سنة ثلاث وستين شرف الدين ، أبا جعفر أحمد بن محمد بن سعيد

(١) هو خطلبرس وقد مرّ ذكره معنا من قبل .

المعروف بابن البلديّ ناظِرِ واسِط وكان عضد الدين أبو الفرج بن دبيس قد تحكم في الدولة فأمّره المستنجد بكفّ يده وأيدي أصحابه ، وطالب الوزير أخاه تاج الدين بحساب عمله بنهر الملك من أيام المقتفي ، وكذلك فعل بغيره ، فخافه العمّال وأهل الدولة وحصّل بذلك أموالاً جمّة .

* (وفاة المستنجد وخلافة المستضيء) *

كان الخليفة المستنجد قد غلب على دولته استاذ دار عضد الدين ابوالفرج ابن رئيس الرؤساء ، وكان أكبر الأمراء ببغداد ، وكان يرادفه قطب الدين قايماز المظفري [١] ولما ولّى المستنجد أبا جعفر البلدي على وزارته غضّ من استاذ دار وعارضه في أحكامه فاستحكمت بينهما العداوة ، وتنكّر المستنجد لأستاذ دار وصاحبه قطب الدين ، فكانا يتّهمان بأنّ ذلك بسعاية الوزير . ومرض المستنجد سنة ست وستين وخمسمائة واشتدّ مرضه فتحيّلا في إهلاكه ، يقال إنّهما واضعا [٢] عليه الطبيب ، وعلم أنّ هلاكه في الحمام فأشار عليه بدخوله فدخله ، وأغلقوا عليه بابه فمات . وقيل كتب المستنجد إلى الوزير ابن البلدي بالقبض على أستاذ دار وقايماز وقتلها ، وأطلعها الوزير على كتابه فاستدعيا يَزدن وأخاه يتامش [٣] وفاوضاهما وعرضا عليهما كتابه ، واتفقوا على قتله فحملوه إلى الحمّام وأغلقوا عليه الباب وهو يصيح إلى أن مات تاسع ربيع من سنة ست وستين لإحدى عشرة سنة من خلافته . ولما أرجف بموته قبل أن يقبض ركب الأمراء والأجناد متسلّحين ، وغشيتهم العامّة واحتفت بهم ، وبعث إليه أستاذ دار بأنه إنما كان غشياً عرضاً ، وقد أفاق أمير المؤمنين وخفّ ما به ، فخشي الوزير من دخول الجند إلى دار الخلافة ، فعاد إلى داره وافترق الناس . فعند ذلك أغلق أستاذ دار وقايماز أبواب الدار وأحضرا ابن المستنجد أبا محمد الحسن وبايعاه بالخلافة ولقباه المستضيء بأمر الله ، وشرطا عليه أن يكون عضد الدين وزيراً وإبنه كمال الدين أستاذ داروقطب الدين قايماز أمير العسكر ، فأجابهم إلى ذلك ، وبايعه أهل بيته البيعة الخاصة . ثم توفي المستنجد وبايعه الناس من الغد في التاج البيعة العامّة ، وأظهر

---

(١) قطب الدين قايماز المقتفوي : ابن الاثير ج ١١ ص ٣٦٠ .

(٢) واضعه في الأمير : وافقه فيه ، تقول : «هلم اواضعك الرأي» اي اطلعك على رايي وتطلعني على رأيك . وفي الكامل ج ١١ ص ٣٦٠ «ووضعا الطبيب» .

(٣) تنامش : المرجع السابق .

العدل وبذل الأموال وسقط في يد الوزير وندم على ما فرّط ، واستدعي للبيعة ، فلما دخل قتلوه وقبض المستضيء على القاضي ابن مزاحم وكان ظلوماً جائراً واستصفاه وردّ الظلامات منه على أربابها ، وولّى أبا بكر بن نصر بن العطّار صاحب المخزن ولقّبه ظهير الدين .

* (انقراض الدولة العلوية بمصر وعود الدعوة العبّاسية إليها) *

ولأوّل خلافة المستضيء كان انقراض الدولة العلويّة بمصر ، والخطبة بها للمستضيء من بني العبّاس في شهر المحرّم فاتح سنة سبع وستين وخمسمائة قبل عاشوراء ، وكان آخر الخلفاء العبيديّين بها العاضد لدين الله من أعقاب الحافظ لدين الله عبد المجيد ، وخافوا المستضيء معه ثامن خلفائهم ، وكان مغلباً لوزارته . واستولى شاور منهم وثقلت وطأته عليهم فاستقدم ابن شوار من أهل الدولة من الإسكندرية . وفرّ شاور إلى الشام مستنجداً بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي من آقسنقر ، وكان من مماليك السلجوقية وأمرائهم المقيمين للدعوة العبّاسية . وكان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن (١) الكردي هو وأبوه نجم الدين أيوب وعمّه أسد الدين شيركوه في جماعة من الأكراد في خدمة نور الدين محمود بالشام ، فلما جاء شاور مستنجداً بعث معه هؤلاء الأمراء الأيّوبيّة وكبيرهم أسد فأعاده إلى وزارته ، وقتل الضرغام ، ولم يوف له شاور بما ضَمِنَ له عند مسيره من الشام في نجدته . وكان الفرنج قد ملكوا سواحل مصر والشام وزاحموا ما يليها من الأعمال ، وضيّقوا على مصر والقاهرة إلى أن ملكوا بلبيس وأيلة عند العقبة . واستولوا على الدولة العلويّة في الضرائب والطلبات وأصبحوا مأوى لمن ينحني عن الدولة . وداخلهم شاور في مثل ذلك فارتاب به العاضد وبعث عزّ الدين مستصرخاً به على الفرنج في ظاهر أمره ، ويسرحون في ارتعاء (٢) من إبادة شاور والتمكّن منه فوصل لذلك ، وولاّه العاضد وزارته وقلّده ما وراء بابه ، فقتل الوزير شاور وحسم داءه وكان مهلكه قريباً من وزارته يقال لسنة ويقال لخمسين يوماً فاستوزر العاضِد مكانه صلاح الدين ابن أخيه

---

(١) كذا بياض بالاصل : وهو صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي ابن الاثير ج ١١ ص ٣٦٨ .
(٢) العبارة غير واضحة ولم نهتد الى تصويبها في المراجع التي بين ايدينا .

نجم الدين فقام بالأمر وأخذ في إصلاح الأحوال وهو يعدّ نفسه وعمّه من قبله نائباً عن نور الدين محمود بن زنكي الذي بعثه وعمّه للقيام بذلك . ولما ثبت قدمه بمصر وأزال المخالفين ضعف أمر العاضِد وتحكّم صلاح الدين في أموره وأقام خادمه قراقوش للولاية عليه في قصره والتحكّم عليه ، فبعث إليه نور الدين محمود الملك العادل بالشام أن يقطع الخطبة للعاضِد ويخطب للمتستضيء ففعل ذلك على توقّع النكير من أهل مِصْرَ . فلما وقع ذلك ظهر منه الاغتباط وانمحت آثار الدولة العلويّـة ، وتمكنت الدولة العبّاسية فكان ذلك مبدأ الدولة لبني أيوب بمِصْرَ ثم ملكوا من بعدها أعمال نور الدين بالشام واستضافوا اليمن وطرابلس الغرب واتسع ملكهم كما يذكر في أخبارهم . ولما خطب للمستضيء بمصر كتب له نور الدين محمود من دمشق مبشراً بذلك فضربت البشائر ببغداد ، وبعث بالخلع إلى نور الدين وصلاح الدين مع عماد الدين صندل من خوّاص المقتفوية ، وهو أستاذ دار المستضيء فجاء إلى نور الدين بدمشق ، وبعث الخلع إلى صلاح الدين وللخطباء بمصر وبإسلام السواد . واستقرّت الدعوة العبّاسية بمصر إلى هذا العهد والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . ثم بعث نور الدين محمود إلى المستضيء رسوله القاضي كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبدالله الشهرزوري قاضي بلاده يطلب التقليد لما بيده من الأعمال ، وهي مصر والشام والجزيرة والموصِل ، وبما هو في طاعته كديار بكر وخلاط وبلاد الروم التي لقليج أرسلان وأن يُـقْـطَع صريعين ودرب هارون من بلاد سواد العراق كما كانتا لأبيه ، فأكرمه الرسول وزاد في الإحسان إليه وكتب له بذلك .

* (خبر يزدن من أمراء المستضيء) *

كان يزدن قد ولاّه المستضيء الحِلّة فكانت في أعماله ، وكانت حمايتها لخَـفَـاجَـة وبني حَزْن منهم فجعلها يزدن لبني كعب منهم ، وأمرهم الغضبان فغضب بنو حَزْن وأغاروا عليهم على السواد ، وخرج يزدن في العسكر لقتالهم ، ومعه الغضبان وعشيرة بنو كعب فبينـما هم ليلة يسيرون رُمِيَ الغضبان بسهم فمات ، فعادت العساكر إلى بغداد ، وأعيدت حفاظة السواد إلى بني حزن . ثم مات يزدن سنة ثمان وستين ، وكانت واسط من أقطاعه فاقتطعت لأخيه إيتامش ولقّب علاء الدين .

* (مقتل سنكاه بن أحمد اخى شملة) *

قد ذكرنا في دولة المستنجد فتنة سِنكاه هذا وعمّه شَمْلَة صاحب خوزستان . ثم جاء ابن سنكاه إلى قلعة الماهكيّ فبنى بإزائها قلعة ليتمكّن بها من تلك الأعمال ، فبعث المستضيء العسكر من بغداد لمنعه فقاتلهم واشتدّ قتاله . ثم انهزم وقتل وعلّق رأسه ببغداد وهدمت القلعة .

* (وفاة قايماز وهربه) *

قد ذكرنا شأن قطب الدين قايماز وأنه الذي بايع للمستضيء وجعله أمير العسكر وجعله عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء وزيراً . ثم استفحل أمر قايماز وغلب على الدولة وحمل المستضيء على عزل عضد الدين أبي الفرج من الوزارة ، فلم يمكّنه مخالفته ، وعزله سنة سبع وستين فأقام معزولاً . وأراد الخليفة سنة تسع وتسعين أن يعيده إلى الوزارة فمنعه قطب الدين من ذلك ، وركب فأغلق المستضيء أبواب داره مما يلي بغداد ، وبعث إلى قايماز ولاطفه بالرجوع فيما هم به من وزارة عضد الدين فقال : لا بدّ من إخراجه من بغداد ! فاستجار برباط شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسمعيل فأجاره ، واستطال قايماز على الدولة وأصهر على علاء الدين يتامش في أخته فزوّجها منه وحملوا الدولة جميعاً . ثم سخط قايماز ظهير الدين ابن العطّار صاحب المخزن وكان خاصًّا بالخليفة ، وطلبه فهرب فأحرق داره ، وجمع الأمراء فاستحلفهم على المظاهرة وأن يقصدوا دار المستضيء ليخرجوا منها إبن العطّار ، فقصد المستضيء على سطح داره وخدّامه يستغيثون ، ونادى ليخرجوا منها إبن العطّار ، فقصد المستضيء على سطح داره وخدّامه يستغيثون ، ونادى في العامّة بطلب قايماز ونهب داره فهرب من ظهر بيته ، ونهبت داره وأخذ منها ما لا يحصى من الأموال واقتتل العامّة على[1] ولحق قايماز بالحِلّة وتبعه الأمراء ، وبعث إليه المستضيء شيخ الشيوخ عبد الرحيم ليسير عن الحِلّة إلى الموصل تخوّفاً من عوده إلى بغداد فيعود استيلاؤه لمحبّة العامة فيه ، وطاعتهم له ، فسار إلى الموصل

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ١١ ص ٤٣٤ : «فقصد الخلق كلّهم دار قطب الدين للنهب ، فلم يمكنه المقام لضيق الشوارع وغلبة العامّة ، فهرب من داره من باب فتحه في ظهرها لكثرة الخلق على بابها ، وخرج من بغداد ونهبت داره .»

وأصابه ومن معه في الطريق عطش فهلك الكثير منهم ، وذلك في ذي الحجة من سنة سبعين . وأقام صهره علاء الدين يتامش بالموصل . ثم استأذن الخليفة في القدوم إلى بغداد فقدم وأقام بها عاطلاً بغير إقطاع ، وهو الذي حمل قايماز على ما كان منه ، وولّى الخليفة أستاذ داره سنجر المقتفوي ، ثم عزله سنة إحدى وسبعين وولّى مكانه أبا الفضل هبة الله بن علي ابن الصاحب .

* (فتنة صاحب خوزستان) *

قد ذكرنا أنّ ملك شاه بن محمود ابن السلطان محمد إستقرّ بخوزستان وذكرنا فتنة شملة مع الخلفاء . ثم مات شملة سنة سبعين وملك إبنه مكانه . ثم مات ملك شاه ابن محمود وبقي إبنه بخوزستان فجاء سنة إثنتين وسبعين إلى العراق ، وخرج إلى البندنجين ، وعاث في الناس وخرج الوزير عضد الدين أبو الفرج في العساكر ووصل عسكر الحِلّة وواسِط مع طاش تكين أمير الحاج وغز علي ، وساروا للقاء العدّو وكان معه جموع من التركمان فأجفلوا ونهبتهم عساكر بغداد . ثم ردّهم الملك ابن ملك شاه وأوقعوا بالعسكر أياماً ثم مضى الملك إلى مكانه وعادت العساكر إلى بغداد .

* (مقتل الوزير) *

قد ذكرنا أخبار الوزير عضد الدين أبي الفرج محمد بن عبدالله بن هِبَة الله بن المظفّر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة ، كان أبوه أستاذ دار المقتفي . ولما مات ولي ابنه مكانه . ولما مات المقتفي أقّره المستنجد ورفع قدره ، ثم استوزره المستضيء وكان بينه وبين قايماز ما قدّمناه ، وأعاده المستضيء للوزارة فلما كانت سنة ثلاث وسبعين إستأذن المستضيء في الحجّ فأذن له وعبر دجلة فسافر في موكب عظيم من أرباب المناصب ، واعترضه متظلّم ينادي بظلامته ، ثم طعنه فسقط وجاء ابن المعوز صاحب الباب ليكشف خبره فطعن الآخر وحملا إلى بيتهما فماتا . ووَلِيَ الوزير ظهير الدين أبو منصور بن نصر ويعرف بابن العطّار فاستولى على الدولة وتحكّم فيها .

* (وفاة المستضيء وخلافة الناصر) *

ثم توفي المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد في ذي القعدة سنة خمس وسبعين لتسع سنين ونصف من خلافته ، وقام ظهير الدين العطّار في البيعة

لإبنه أبي العبّاس أحمد ولقّبه الناصر لدين الله فقام بخلافته ، وقبض على ظهير الدين بن العطّار وحبسه واستصفاه . ثم أخرجه من عشر ذي القعدة من محبسه ميتاً وفطن به العامّة . فتناوله العامّة وبعثوا به ، وتحكّم في الدولة أستاذ دار مجد الدين أبو الفضل بن الصاحب ، وكان تولّى أخذ البيعة للناصر مع ابن العطّار ، وبعث الرسل إلى الآفاق لأخذ البيعة . وسار صدر الدين شيخ الشيوخ إلى البهلوان صاحب همذان وأصبهان والريّ فامتنع من البيعة فأغلظ له صدر الدين في القول . وحرّض أصحابه على نقض طاعته إن لم يبايع ! فاضطرّ إلى البيعة والخطبة . ثم قبض سنة ثلاث وثمانين على أستاذ دار أبي الفضل ابن الصاحب وقتله من أجل تحكّمه ، وأخذ له أموالاً عظيمة . وكان الساعي فيه عند الناصر عبيدالله بن يونس من أصحابه وصنائعه ، فلم يزل يسعى فيه عند الناصر حتى أمر بقتله ، واستوزر إبن يونس هذا ولقبه جلال الدين وكنيته أبو المظفّر ومشى أرباب الدولة في خدمته حتى قاضي القضاة .

* (هدم دار السلطنة ببغداد وانقراض ملوك السلجوقية) *

قد ذكرنا فيما تقدّم ملك أرسلان شاه بن طغرل ربيب إلْدِكْز ، واستيلاء إلدكز عليه وحروبه مع ابنايخ صاحب الريّ . ثم قتله سنة أربع وستين واستولى على الريّ . ثم توفي إلدكز الأتابك بهمذان سنة ثمان وستين ، وقام مكانه إبنه محمد البهلوان ، وبقي أخوه السلطان أرسلان بن طغرل في كفالته . ثم مات سنة ثلاث وستين ونصّب البهلوان مكانه إبنه طغرل . ثم توفي البهلوان سنة إثنتين وثمانين وفي مملكته همذان والريّ وأصبهان وأذربيجان وأرّانيه وغيرها ، وفي كفالته السلطان طغرل بن أرسلان . ولما مات البهلوان قام مكانه أخوه كزل أرسلان ويسمّى عثمان ، فاستبدّ طغرل وخرج عن الكفالة ولحق به جماعة من الأمراء والجند ، واستولى على بعض البلاد ووقعت بينه وبين كزل حروب . ثم قوي أمر طغرل وكثر جمعه وبعث كزل إلى الناصر يحذره من طغرل ويستنجده ويبذل الطاعة على ما يختاره المستضيء رسوله ، فأمر بعمارة دار السلطنة ليسكنها . وكانت ولايتهم ببغداد والعراق قد انقطعت منذ أيام المقتفي فأكرم رسول كزل ووعده بالنجدة ، وانصرف رسول طغرل بغير حراب وأمر الناصر بهدم دار السلطنة ببغداد فمحى أثرها . ثم بعث الناصر وزيره جلال الدين أبا المظفّر عبيدالله بن

يونس في العساكر لإنجاد كزل ومدافعة طغرل عن البلاد ، فسار لذلك في صفر لسنة أربع وثمانين ، واعترضهم طغرل على همذان قبل اجتماعهم بكزل ، واقتتلوا ثامن ربيع ، وانهزمت عساكر بغداد وأسروا الوزير . ثم استولى كزل على طغرل وحبسه ببعض القلاع ، ودانت له البلاد وخطب لنفسه بالسلطنة وضرب النوب الخمس . ثم قتل على فراشه سنة سبع وثمانين ولم يعلم قاتله .

* (استيلاء الناصر على النواحي) *

توفي الأمير عيسى صاحب تكريت سنة خمس وثمانين قتله إخوته ، فبعث الناصر العساكر فحصروها حتى فتحوها على الأمان وجاؤا بإخوة عيسى إلى بغداد فسكنوها وأقطع لهم السلطان . ثم بعث سنة خمس وثمانين عساكره إلى مدينة غانة فحاصروها مدّة وقاتلوها طويلاً ثم جهدهم الحصار فنزلوا عنها على الأمان وإقطاع عيونها ووفّى لهم الناصر بذلك .

* (نهب العرب البصرة) *

كانت البصرة في ولاية طغرل مملوك الناصر ، كان مُقْطِعُها واستناب بها محمد بن إسمعيل ، واجتمع بنو عامر بن صَعْصَعَة سنة ثمان وثمانين ، وأميرهم عُمَيْرَة وقصدوا البصرة للنهب والعيث . وخرج إليهم محمد بن إسمعيل في صفر فقاتلهم سائر يومه . ثم ثلموا في الليل ثلماً في السور ودخلوا البلد وعاثوا فيها قتلاً ونهباً . ثم بلغ بني عامر أنّ خُفَاجَة والمُشْفِق ساروا لقتالهم ، فرحلوا إليهم وقاتلوهم فهزموهم ، وغنموا أموالهم وعادوا إلى البصرة ، وقد جمع الأمير أهل السواد فلم يقوموا للعرب وانهزموا ، ودخل العرب البصرة فنهبوها ورحلوا عنها .

* (استيلاء النـــاصر على خوزستـــان ثم أصبهان والريّ وهمذان) *

كان الناصر قد استناب في الوزارة بعد أسر ابن يونس مؤيد الدين أبا عبدالله محمد بن علي المعروف بابن القصّاب ، وكان قد ولي الأعمال في خوزستان وغيرها ، وله فيها الأصحاب . ولما توفي صاحبها شملة واختلف أولاده راسله بعضهم في ذلك ، فطلب

من الناصر أن يرسل معه العساكر ليملكها فأجابه وخرج في العساكر سنة إحدى وتسعين ، وحارب أهل خوزستان فملك أوّلا مدينة تستر ثم ملك سائر الحصون والقلاع وأخذ بني شملة ملوكها فبعث بهم إلى بغداد ، وولّى الناصر على خوزستان طاش تكين مجير الدين أمير الحاج . ثم سار الوزير إلى جهات الريّ سنة إحدى وتسعين ، وجَاءه قطلغ ابنايخ بن البهلوان وقد غلبه خوارزم شاه وهزمه عند زَنْجَان ، وملك الريّ من يده . وجاء قطلغ إلى الوزير مؤيد ورحل معه إلى همذان وبها ابن خوارزم شاه في العساكر فـأجفـل عنهـا إلى الريّ ، وملك الـوزير همذان ورحـل في اتبـاعهم وملك كـل بلد مرّوا بها إلى الري ، وأجفل عسكر خوارزم إلى دامِغان وبَسْطام وجَرْجَان . ورجع الوزير إلى الريّ فأقام بها . ثم انتقض قطلغ بن البهلوان وطمع في الملك فامتنع بالريّ وحاصره الوزير فخرج عنها إلى مدينة آوه فمنعهم الوزير منها ورحل الوزير في أثرهم من الريّ إلى همذان ، وبلغه أنّ قطلغ قصد مدينة الكرج فسار إليه وقاتله وهزمه ، ورجع إلى همذان فجاءه رسول خوارزم شاه محمد تكش بالنكير على الوزير في أخذ البلاد ، ويطلب إعادتها فلم يجبه الوزير إلى ذلك ، فسار خوارزم شاه إلى همذان وقد توفي الوزير ابن القصّاب خلال ذلك في شعبان سنة إثنتين وتسعين ، فقاتل العساكر التي كانت معه بهمذان وهزمهم ، وملك همذان وترك ولده بأصبهان ، وكانوا يبغضون الخَوَارِزمِيَّة فبعث صدر الدين الخُجَنْدِيّ رئيس الشَافِعِيّة إلى الديوان ببغداد يستدعي العساكر لملكها ، فجهّز الناصر العساكر مع سيف الدين طغرل يقطع بلد اللَحف[1] من العراق ، وسار فوصل أصبهان ، ونزل ظاهر البلد وفارقها عسكر الخوارزميّة فملكها طغرل وأقام فيها الناصر وكان من مماليك البهلوان . ولما رجع خوارزم شاه إلى خراسان ، واجتمعوا واستولوا على الريّ وقدّموا عليهم كركجه من أعيانهم ، وساروا إلى أصبهان فوجدوا بها عسكر الناصر وقد فارقها عسكر الخوارزميّة فملكوا أصبهان ، وبعث كركجه إلى بغداد بالطاعة ، وأن يكون له الريّ وساوة وقمّ وقاشان . ويكون للناصر أصبهان وهمذان وزَنْجَان وقَزْوِين فكتب له بما طلب وقوي أمره . ثم وصل إلى بغداد أبو الهيجاء السمين من أكابر أمراء بني أيوب وكان في إقطاعه بيت المقدس وأعماله ، فلما ملك العزيز والعادل مدينة دمشق من الأفضل بن صلاح الدين عزلوا أبا الهيجاء عن القدس ، فسار إلى بغداد فأكرمه

(١) هي بلدة تقع على حدود فارس وقد مرّ ذكرها معنا من قبل .

الناصر وبعثه بالعساكر إلى همذان سنة ثلاث وتسعين فلقي بها أزبك بن البهلوان وأمير علم وإبنه قطلمش ، وقد كاتبوا الناصر بالطاعة فداخل أمير علم وقبض على أزبك وابن قطلمش بموافقته ، وأنكر الناصر ذلك على أبي الهيجاء وأمره بإطلاقهم . وبعث إليهم بالخلع فلم يأمنوا ، وفارقوا أبا الهيجاء فخشي من الناصر ودخل إلى إربل لأنه كان من أكرادها ، ومات قبل وصوله إليها . وأقام كَركَجَه ببلاد الجبل واصطنع رفيقه إيدغمش ، واستخلصه ووثق به فاصطنع إيدغمش المماليك وانتقض عليه آخر المائة السادسة ، وحاربه فقتله واستولى على البلاد ونصب أزبك بن البهلوان للملك وكفله . ثم توفي طاش تكين أمير خوزستان سنة إثنتين وستمائة وولّى الناصر مكانه صهره سنجر وهو من مواليه ، وسار سنجر سنة ثلاث وستمائة إلى جبال تركستان جبال منيعة بين فارس وعُمَان وأصبهان وخُوزِسْتان وكان صاحب هذه الجبال يعرف بأبي طاهر وكان للناصر مولى إسمه قشتمر من أكابر مواليه ساءه وزير الدولة ببعض الأحوال فلحق بأبي طاهر صاحب تركستان فأكرمه وزوّجه بإبنته . ثم مات أبو طاهر فأطاع أهل تلك الولاية قشتمر وملك عليهم ، وبعث الناصر إلى سنجر صاحب خوزستان يعضده في العساكر فسار إليه وبذل له الطاعة على البعد . فلم يقبل منه فلقيه وقاتله فانهزم سنجر ، وقوي قشتمر على أمره وأرسل إلى ابن دكلا صاحب فارس ، وإلى إيدغمش صاحب الجبل فاتفق معهما على الإمتناع على الناصر واستمرّ حاله .

* (عزل الوزير نصير الدين) *

كان نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي من أهل الريّ من بيت إمارة ، وقدم إلى بغداد عندما ملك الوزير ابن القصّاب الريّ فأقبل عليه الخليفة ، وجعله نائب الوزارة . ثم استوزره وجعل إبنه صاحب المخزن فتحكّم في الدولة ، وأساء إلى أكابر موالي الناصر ، فلما حجّ مظفّر الدين سُنقر المعروف بوجه السبع سنة ثلاث وستمائة وكان أميراً ففارق الحاج ومضى إلى الشام ، وبعث إلى الناصر أنّ الوزير ينفي عليك مواليك ويريد أن يدّعي الخلافة فعزله الناصر وألزمه بيته . وبعث من كل شيء ملكه ، ويطلب الإقامة بالمشهد فأجابه الناصر بالأمان والإتّفاق ، وانّ المعزلة[1] لم

---

(١) اي العزل من الخدمة .

تكن لذنب وإنما أَكْثَرَ الأعداءُ المقالات فوقع ذلك . واحتز لنفسه موضعاً ينتقل إليه موقراً محترماً فاختار أيالة الناصر ، خوفاً أن يذهب الأعداء بنفسه . ولما عزل عاد سُنقر أمير الحاج ، وعاد أيضاً قشتمر ، وأقيم نائباً في الوزارة فخر الدين أبو البدر محمد بن أحمد بن اسمينا الواسطيّ ، ولم يكن له ذلك التحكّم ، وقارن ذلك وفاة صاحب المخزن ببغداد أبو فراس نصر بن ناصر بن مكي المدائني فولّى مكانه أبو الفتوح المبارك بن عضد الدين أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء ، وأعلى محله ، وذلك في المحرّم سنة خمس وستمائة . ثم عزل آخر السنة لعجزه ، ثم عزل في ربيع من سنة ست وستمائة فخر الدين بن اسمينا ، ونقل إلى المخزن وولّي نيابة الوزارة مكانه مكين الدين محمد ابن محمد بن محمد بن بدر القمر كاتب الإنشاء ولقّب مؤيد الدين .

* (انتقاض سنجر بخوزستان) *

قد ذكرنا ولاية سنجر مولى الناصر على خوزستان بعد طاش تكين أمير الحاج ثم استوحش سنة ست وستمائة واستقدمه الناصر فاعتذر فبعث إليه العساكر مع مؤيد الدين نائب الوزارة ، وعزّ الدين بن نجاح الشرابيّ من خواصّ الخليفة . فلمّا قاربته العساكر لحق بصاحب فارس أتابك سعد بن دكلا فأكرمه ومنعه ، ووصلت عساكر الخليفة خوزستان في ربيع من سنته وبعثوا إلى سنجر في الرجوع إلى الطاعة فأبى وساروا إلى أرجان لقصد ابن دكلا بشيراز ، والرسل تتردّد بينهم . ثم رحلوا في شوّال يريدون شيراز فبعث ابن دكلا إلى الوزير والشرابي بالشفاعة في سنجر واقتضاء الأمان له فأجابوه إلى ذلك ، وأعادوا سنجر إلى بغداد في المحرّم سنة ثمان وستمائة ، ودخلوا به مقيّداً . وولّى الناصر مولاه ياقوتاً أمير الحاج على خوزستان . ثم أطلق الناصر سنجر في صفر من سنة ثمان وستمائة وخلع عليه .

* (استيلاء منكلى على بلاد الجبل واصبهان وهرب ايدغمش ثم مقتله ومقتل منكلى وولاية اغلمش) *

قد ذكرنا استيلاء إيدغمش من أمراء البهلوانية على بلاد الجبل همذان وأصبهان والريّ وما إليها فاستفحل فيها وعظم شأنه وتخطّى إلى أذربيجان وأرانيه فحاصر صاحبها أزبك بن البهلوان . ثم خرج سنة ثمان وستمائة منكلى من البهلوانيّة ، ونازعه الملك

وأطاعه البهلوانيّة ، فاستولى على سائر تلك الأعمال وهرب شمس الدين إيدغمش إلى بغداد ، وأمر النّاصر بتلقيه ، فكان يوماً مشهوداً وخشي منكلى من اتّصاله فأوفد إبنه محمداً في جماعة من العسكر ، وتلقّاه الناس على طبقاتهم وقد كان الناصر شرع في إمداد إيدغمش ، فأمدّه وسار إلى همذان في جمادى من سنة عشر ، ووصل إلى بلاد ابن بَرْجَم من التركمان الأيوبِيَّة ، وكان الناصر عزله عن إمارة قومِهِ وولّى أخاه الأصغر ، فبعث إلى منكلى بخبر إيدغمشْ ، فبعث العساكر بطلبه فقتلوه وافترق جمعه ، وبعث الناصر إلى أزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان وأرانية يغريه به وكان مستوحشاً منه وأرسل أيضاً إلى جلال الدين صاحب قلعة الموت وغيرها من قلاع الإسماعيليّة من بلاد العجم بمعاضدة أزبك على أن يقتسموا بلاد الجبل . وجمع الخليفة العساكر من الموصِل والجزيرة وبغداد وقَدِم على عسكر بغداد مملوكه مظفّر الدين وجه السبع واستقدم مظفّر الدين كوكبري بن زين الدين كوجك وهو على إربل وشهرزور وأعمالها ، وجعله مقدّم العساكر جميعاً وساروا إلى همذان فهرب منكلى إلى جبل قريب الكَرْج وأقاموا عليه يحاصرونه ونزل منكلي في بعض الأيام فقاتل أزبك وهزمه إلى مخيمه . ثم جاء من الغد وقد طمع فيهم فاشتدّوا في قتاله وهزموه فهرب عن البلاد أجمع ، وافترقت عساكره واستولت العساكر على البلاد ، وأخذ جلال الدين ملك الإسماعيلية منها ما عينته القسمة وولّى أزبك بن البهلوان على بقية البلاد أغلمش مملوك أخيه وعادت العساكر إلى بلادها ومضى منكلى منهزماً إلى مدينة ساوة فقبض عليه الشِحْنَةُ بها وقتله وبعث أزبك برأسه إلى بغداد وذلك في جمادى سنة إثنتي عشرة .

* (ولاية حافد الناصر على خوزستان) *

كان للناصر ولد صغير إسمه عليّ وكنيته أبو الحسن قد رشّحه لولاية العهد وعزل عنها إبنه الأكبر ، وكان هذا أحبّ وُلْدِهِ إليه فمات في ذي القعدة سنة عشر فتفجّع له وحزن عليه حزناً لم يسمع بمثله . وشمل الأسف عليه الخاصّ والعام . وكان ترك ولدين لقبهما المؤيد والموفّق فبعثهما الناصر إلى تستر من خوزستان بالعساكر في المحرّم سنة ثلاث عشرة وبعث معهما مؤيد الدين نائب الوزارة ، وعزل مؤيد الدين الشرابي فأقاما بها أياماً . ثم أعاد الموفق مع الوزير والشرابي إلى بغداد في شهر ربيع وأقام المؤيد بتستر .

* (استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل وطلب الخطبة له ببغداد) *

كان أغلمش قد استولى على بلاد الجبل كما ذكرناه واستفحل أمره وقوي ملكه فيها . ثم قتله الباطنيّة سنة أربع عشرة وستمائة . وكان علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه وارث ملك السلجوقيّة قد استولى على خراسان وما وراء النهر فطمع في إضافة هذه البلاد إليه فسار في عساكره واعترضه صاحب بلاد فارس أتابك سعد بن دكلا على أصبهان وقد ساقه من الطمع في البلاد مثل الذي ساقه فقاتله وهزمه خوارزم وأخذه أسيراً . ثم سار إلى ساوة فملكها ثم قزوين وزَنْجان وأَبهر ، ثم همذان ثم أصبهان وقمّ وقاشان . وخطب له صاحب أذربيجان وأرانية وكان يبعث في الخطبة إلى بغداد ولا يجاب ، فاعتزم الآن على المسير إليها وقدّم أميراً في خمسة عشر ألف فارس وأقطعه حُلوان فنزلها . ثم أتبعه بأمير آخر ، فلما سار عن همذان سقط عليهم الثلج وكادوا يهلكون ، وتخطّف بقيتهم بنو برجم من التركمان وبنو عكا من الأكراد . واعتزم خوارزم شاه على الرجوع إلى خراسان ، وولّى على همذان طابسين وجعل إمارة البلاد كلّها لابنه ركن الدين وأنزل معه عماد الملك المساوي متولياً أمور دَوْلَتِهِ ، وعاد إلى خراسان سنة خمس عشرة وأزال الخطبة للناصر من جميع أعماله .

* (إجلاء بني معروف عن البطائح) *

كان بنو معروف هؤلاء من ربيعة ومقدّمهم معلّىً ، وكانت رحالهم غربيّ الفرات قرب البطائح ، فكثر عيثهم وإفسادهم السابلة ، وارتفعت شكوى أهل البلاد إلى الديوان منهم ، فرسم للشريف سعد متولّي واسِط وأعمالها أن يسير إلى قتالهم وإجلائهم ، فجمع العساكر من تكريت وهيت والحَدِيثَة والأنبار والحِلّة والكُوفة وواسِط والبصرة فهزمهم واستباحهم ، وتقسّموا بين القتل والأسر والغرق ، وحملت الرؤوس إلى بغداد في ذي القعدة سنة عشر .

* (ظهور التتر) *

ظهرت هذه الأمّة من أجناس الترك سنة ست عشرة وستمائة وكانت جبال طمغاج من أرض الصين بينها وبين بلاد تركستان ما يزيد على ستة أشهر وكان ملكهم يسمى

جنكزخان ، من قبيلة يعرفون نوحى[1] فسار إلى بلاد تركستان وما وراء النهر وملكها من أيدي الخطا ، ثم حارب خوارزم شاه إلى أن غلبه على ما في يده من خراسان وبلاد الجبل ، ثم تخطى أرّانيه فملكها . ثم ساروا إلى بلاد شروان وبلد اللاّن واللكز فاستولوا على الأمم المختلفة بتلك الأصقاع . ثم ملكوا بلاد قُفْجَاق وسارت طائفة أخرى إلى غَـزْنَـة وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان فملكوا ذلك كله في سنة أو نحوها ، وفعلوا من العيث والقتل والنهب ما لم يسمع بمثله في غابر الأزمان . وهزموا خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش فلحق بجزيرة في بحر طبرستان فامتنع بها إلى أن مات سنة سبع عشر وستمائة لإحدى إحدى وعشرين سنة من ملكه . ثم هزموا إبنه جلال الدين بغزنة واتبعه جنكزخان إلى نهر السّند فعبر إلى بلاد الهند ، وخلص منهم وأقام هنالك مدّة ثم رجع سنة إثنتين وعشرين إلى خوزستان والعراق . ثم ملك أذربيجان وأرمينية إلى أن قتله المظفّر حسبما نذكر ذلك كلّه مقسّماً بين دولتهم ودولة بني خوارزم شاه أو مكرّراً فيهما . فهناك تفصيل هذا المحلّ من أخبارهم والله الموفق بمنّه وكَـرَمِهِ .

* (وفاة الناصر وخلافة الظاهر ابنه) *

ثم توفي أبو العبّاس أحمد الناصر بن المستضيء في آخر شهر رمضان سنة إثنتين وعشرين سنة وستمائة لسبع وأربعين سنة من خلافته بعد أن عجز عن الحركة ثلاث سنين من آخر عمره وذهبت إحدى عينيه وضعف بصر الأخرى . وكانت حاله مختلفة في الجدّ واللعب وكان متفنّناً في العلوم وله تآليف في فنون منها متعدّدة ، ويقال إنه الذي أطمع التتر في ملك العراق لما كانت بينه وبين خوارزم شاه من الفتنة ، وكان مع ذلك كثيراً ما يشتغل برمي البندق واللعب بالحمام المناسيب[2] ويلبس سراويل الفتوّة شأن العيّارين من أهل بغداد . وكان له فيها سند إلى زعمائها يقتصه على من يلبسه إياها ، وكان ذلك كلّه دليلاً على هرم الدولة وذهاب الملك عن أهلها بذهاب ملاكها منهم . ولما توفي بويع إبنه أبو نصر محمّد ولقّب الظاهر . وكان ولّي عهده عهد له أوّلاً سنة خمس وثمانين وخمسمائة ثم خلعه من العهد وعهد لأخيه الصغير عليّ لميله

(١) هكذا بالأصل وفي الكامل لابن الاثير ج ١٢ ص ٣٦١ : «وكان السبب في ظهورهم ان ملكهم ويسمى بجنكزخان المعروف بتموجين. كان قد فارق بلاده وسار الى نواحي تركستان» .

(٢) بمعنى المختارة او المأصّلة وهي كلمة عاميّة .

إليه . وتوفي سنة إثنتي عشرة فاضطرّ إلى إعادة هذا ، فلما بويع بعد أبيه أظهر من العدل والإحسان ما حمد منه ويقال إنه فرّق في العلماء ليلة الفطر التي بويع فيها مائة ألف دينار.

* (وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر) *

ثم توفي الظاهر أبو نصر محمد في منتصف رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة لتسعة أشهر ونصف من ولايته وكانت طريقته مستقيمة وأخباره في العدل مأثورة . ويقال إنه قبل وفاة كتب بخطّه إلى الوزير توقيعاً يقرؤه على أهل الدولة فجاء الرسول به ، وقال : أمير المؤمنين يقول ليس غرضنا أن يقال برز مرسوم وأنفذ مثال ، ثم لا يتبيّن له أثر ، بل أنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال ، ثم تناولوا الكتاب وقرأوه فإذا فيه بعد البسملة أنه ليس إمهالنا اهمالا ولا إغضاؤنا إغفالاً ، ولكن لنبلوكم أيّكم أحسن عملاً وقد غفرنا لكم ما سلف من إخراب البلاد ، وتشريد الرعايا وتقبيح السنّة ، وإظهار الباطل الجليّ في صورة الحق الخفيّ حيلة ومكيدة ، وتسمية الإستئصال والإجتياح إستيفاءً واستدراكاً للأغراض ، انتهزتم فرصتها مختلسةً من براثن ليثٍ باسلٍ وأنياب أسد مهيب ، تنطقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد ، وأنتم أمناؤه وثقاته فتميلون رأيه إلى هواكم ، ما طلتم بحقّه فيطيعكم وأنتم له عاصون ويوافقكم وأنتم له مخالفون ، والآن فقد بدّل الله سبحانه بخوفكم أمناً وفقركم غنىً وباطلكم حقاً ورزقكم سلطاناً يقيل العثرة ولا يؤاخذ إلاّ من أصر ، ولا ينتقم إلاّ ممن استمرّ ، يأمركم بالعدل وهو يريده منكم ، وينهاكم عن الجور وهو يكرهه يخاف الله فيخوّفكم مكره ، ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته ، فان سلكتم مسالك نواب خلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقع وإلاّ هلكتم والسلام . ولما توفي بويع إبنه أبو جعفر المستنصر وسلك مسالك أبيه ، إلاّ أنه وجد الدولة اختلفت والأعمال قد انتقضت والجباية قد انتقصت أو عدمت ، فضاقت عن أرزاق الجند وأعطياتهم فأسقط كثيراً من الجند . واختلفت الأحوال . وهو الذي أعادله محمد بن يوسف بن هود دعوة العبّاسية بالأندلس آخر دولة الموحّدين بالمغرب فولاّه عليها ، وذلك سنة تسع وعشرين وستمائة كما يذكر في أخبارهم . ولآخر دولته ملك التتر بلاد الروم من يد غيّاث الدين كنجسر وآخر ملوك بني قليج أرسلان ، ثم تخطّوها إلى بلاد أرمينية فملكوها . ثم استأمن إليهم غيّاث الدين فولّوه من قبلهم وفي طاعتهم كما يذكر في أخبارهم إن شاء الله تعالى انتهى .

* (وفـاة المستنصر وخلافـة المستعصم آخر بني العبـاس ببغداد) *

لم يزل هذا الخليفة المستنصر ببغداد في النطاق الذي بقي لهم بعد استبداد أهل النواحي كما قدّمنا . ثم انحل أمرهم من هذا النطاق عروة ، وتملك التتر سائر البلاد ، وتغلّبوا على ملوك النواحي ودولهم أجمعين ، ثم زاحموهم في هذا النطاق وملكوا أكثره ؛ ثم توفي المستنصر سنة إحدى وأربعين لست سنة من خلافته ، وبويع بالخلافة إبنه عبدالله ولقّب المستعصم ، وكان فقيهاً محدّثاً . وكان وزيره ابن العلقمي رافضيًّا ، وكانت الفتنة ببغداد لا تزال متّصلة بين الشيعة وأهل السنّة ، وبين الحنابلة وسائر أهل المذاهب ، وبين العيّارين والدعّار والمفسدين مبدأ الأمراء الأول . فلا تتجدّد فتنة بين الملوك وأهل الدول ، إلاّ ويحدث فيها بين هؤلاء ما يعني أهل الدولة خاصّة زيادة لما يحدث منهم أيام سكون الدول واستقامتها ، وضاقت الأحوال على المستعصم فأسقط أهل الجند وفرض أرزاق الباقين على البياعات والأسواق وفي المعايش ، فاضطرب الناس وضاقت الأحوال وعظم الهرج ببغداد ووقعت الفتن بين الشيعة وأهل السنّة ، وكان مسكن الشيعة بالكرخ في الجانب الغربي . وكان الوزير ابن العلقمي منهم فسطوا بأهل السنّة ، وأنفذ المستعصم ابنه أبا بكر وركن الدين الدوادار ، وأمرهم بنهب بيوتهم بالكرخ ، ولم يراع فيه ذمّة الوزير فآسفه ذلك . وتربّص بالدولة وأسقط معظم الجند يموّه بأنه يدافع التتر بما يتوفّر من أرزاقهم في الدولة . وزحف هلاكو ملك التتر سنة إثنتين وخمسين إلى العراق وقد فتح الريّ وأصبهان وهمذان وتتبّع قلاع الإسماعيلية ، ثم قصد قلعة الموت سنة خمس وخمسين فبلغه في طريقه كتاب ابن الموصلايا صاحب إربل وفيه وصية من ابن العلقمي وزير المستعصم الى هلاكو يستحثه لقصد بغداد ، ويهوّن عليه أمرها . فرجع عن بلاد الإسماعيلية وسار إلى بغداد واستدعى أمراء التتر فجاءه بنحو مقدّم العسكر ببلاد الروم . وقد كانوا ملكوها . ولما قاربوا بغداد برز للقائهم أيبك الدوادار في العساكر فانكشف التتر أوّلاً وتذامروا فانهزم المسلمون واعترضتهم دون بغداد أو حال مياه من بثوق انتفثت من دجلة . فتبعهم التتر دونها وقتل الدوادار وأسر الأمراء الذين معه . ونزل هلاكو بغداد وخرج إليه الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فاستأمن لنفسه ورجع

بالأمان إلى المستعصم ، وأنه يبقيه على خلافته كما فعل بملك بلاد الروم . فخرج المستعصم ومعه الفقهاء والأعيان فقبض عليه لوقته ، وقتل جميع من كان معه . ثم قتل المستعصم شدخاً بالعمد ووطأً بالأقدام لتجافيه بزعمه عن دماء أهل البيت ، وذلك سنة ست وخمسين . وركب إلى بغداد فاستباحها واتصل العيث بها أياماً وخرج النساء والصبيان وعلى رؤسهم المصاحف والألواح فداستهم العساكر وماتوا أجمعين . ويقال إنّ الذي أحصى ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وستمائة ألف ، واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعدّ ، وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعها في دجلة ، وكانت شيئاً لا يعبّر عنه مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لأوّل الفتح في كتب الفرس وعلومهم . واعتزم هلاكو على إضرام بيوتها ناراً فلم يوافقه أهل مملكته . ثم بعث العساكر إلى ميافارقين فحاصروها سنين ، ثم جهدهم الحصار واقتحموها عنوة وقتل حاميتها جميعاً وأميرهم من بني أيوب ، وهو الملك ناصر الدين محمد بن شهاب الدين غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب وبايع له صاحب الموصل ، وبعث بالهدية والطاعة وولاّه على عمله ثم بعث بالعساكر إلى إربل فحاصرها وامتنعت فرحل العساكر عنها ، ثم وصل إليه صاحبها ابن الموصلايا فقتله واستولى على الجزيرة وديار بكر وديار ربيعة كلّها ، وتاخم الشام جميع جهاته حتى زحف إليه بعد كما يذكر ، وانقرض أمر الخلافة الإسلامية لبني العبّاس ببغداد وأعادها ملوك الترك رسماً جديداً في خلفاء نصّبوهم هنالك من أعقاب الخلفاء الأوّلين ، ولم يزل متصلاً لها العهد على ما نذكر الآن . ومن العجب أنّ يعقوب بن إسحق الكندي فيلسوف العرب في ذكر ملاحمه وكلامه على القرآن الذي دلّ على ظهور الملّة الإسلامية العربية أنّ انقراض أمر العرب يكون أعوام الستين والستمائة ، فكان كذلك ، وكانت دولة بني العبّاس من يوم بويع للسفّاح سنة إثنتين وثلاثين ومائة إلى أن قتل المستعصم سنة خمس وستمائة ، وخمسمائة سنة وأربعاً وعشرين وعدد خلفائهم ببغداد سبعة وثلاثون خليفة . والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

* (الخبر عن الخلفاء العباسيين المنصوبين بمصر من بعد انقراض الخلافة ببغداد ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم) *

لما هلك المستعصم ببغداد واستولى التتر على سائر الممالك الإسلامية فافترق شمل الجماعة وانتثر سِلْكُ الخلافة وهرب القرابة المرشّحون وغير المرشحين من قصور بغداد فذهبوا في الأرض طولاً وعرضاً ، ولحق بمصر كبيرهم يومئذ أحمد إبن الخليفة الظاهر ، وهو عمّ المستعصم وأخو المستنصر ، وكان سلطانها يومئذ الملك الظاهر بيبرس ثالث ملوك الترك بعد بني أيوب بمصر والقاهرة ، فقام على قدم التعظيم وركب لتلقّيه وسرّ بقدومه ، وكان وصوله له سنة تسع وخمسين فجمع الناس على طبقاتهم بمجلس الملك بالقلعة ، وحضر القاضي يومئذ تاج ابن بنت الأعز فاثبت نسبه في بيت الخلفاء بشهادة العرب الواصلين معه بالاستفاضة ، ولم يكن شخصه خفيًّا ، وبايع له الظاهر وسائر الناس ونصّبه للخلافة الإسلامية ولقّبوه المستنصر ، وخطب له على المنابر ورسم إسمه في السكّة . وصدرت المراسم السلطانية بأخذ البيعة له في سائر أعمال السلطان ، وفوّض هو للسلطان الملك الظاهر سائر أعماله ، وكتب تقليده بذلك وركب السلطان ثاني يومه إلى خارج البلد ، ونصب خيمة يجتمع الناس فيها فاجتمعوا وقرأ كتاب التقليد . وقام السلطان بأمر هذا الخليفة ورتّب له أرباب الوظائف والمناصب الخلافية من كل طبقة ، وأجرى الأرزاق السنيّة ، وأقام له الفسطاط والآلة . ويقال أنفق عليه في معسكره ذلك ألف ألف دينار من الذهب العين ، واعتزم على بعثه إلى بلاد العراق لاسترجاعه ممالك الإسلام من يد أهل الكفر . وقد كان وصل على أثر الخليفة صاحب الموصل وهو إسمعيل الصالح بن لؤلؤ أخرجه التتر من ملكه بعد مهلك أبيه فأمتعض له الملك الظاهر ، ووعده باسترجاع ملكه وخرج آخر هذه السنة مشيّعاً للخليفة ولصالح بن لؤلؤ ، ووصل بهما إلى دمشق فبالغ هناك في تكرمتهما وبعث معهما أميرين من أمرائه مدداً لهما ، وأمرهما أن ينتهيا معهما إلى الفرات . فلمّا وصلوا الفرات بادر الخليفة بالعبور وقصد الصالح بن لؤلؤ الموصل ، واتصل الخبر بالتتر فجردوا العساكر للقائه والتقى الجمعان بعانة ، وصدموه هنالك فصادمهم قليلاً . ثم تكاثروا عليه فلم يكن له بهم طاقة وأبلى في جهادهم طويلاً ثم استشهد

رحمه الله . وسارت عساكر التتر إلى الموصل فحاصروا الصالح إسمعيل سبعة أشهر . وملكوها عليه عنوة ، وقتل رحمه الله . وتطلّب السلطان بمصر الملك الظاهر بعده آخر من أهل هذا البيت يقيم برسم الخلافة الإسلامية ، وبينما هو يسائل الركبان عن ذلك ، اذ وصل رجل من بغداد ينسب إلى الراشد بن المسترشد . قال صاحب حماة في تاريخه عن نسّابة مصر : إنه أحمد بن حسن بن أبي بكر ابن الأمير أبي عليّ ابن الأمير حسن بن الراشد . وعند العبّاسيين السلمانيين في درج نسبهم الثابت أنه أحمد بن أبي بكر بن عليّ بن أحمد بن الإمام المسترشد . انتهى كلام صاحب حماة . ولم يكن في آبائه خليفة فيما بينه وبين الراشد . وبايع له بالخلافة الإسلامية ولقبه الحاكم ، وفوّض هو إليه الأمور العامّة والخاصة ، وخرج هو له عن العهدة وقام حافظاً لسياج الدين بإقامة رسم الخلافة . وعمرت بذكره المنابر وزيّنت بإسمه السكّة ، ولم يزل على هذا الحال أيام الظاهر بيبرس وولديه بعده . ثم أيام الصالح قلاون وإبنه الأشرف ، وطائفة من دولة إبنه الملك الناصر محمد بن قلاون إلى أن هلك سنة إحدى وسبعمائة ، ونصّب إبنه أبو الربيع سليمان للخلافة بعده ولقبه المستكفي . وحفظ به الرسم وحضر مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون للقاء التتر في النوبتين اللتين لقيهم فيها ، فاستوحش منه السلطان بعض أيامه وأنزله بالقلعة ، وقطعه عن لقاء الناس عاماً أو نحوه . ثم أذن له في النزول إلى بيته ولقائه الناس إذا شاء ، وكان ذلك سنة ست وثلاثين . ثم تجدّدت له الوحشة وغرّبه إلى قوص سنة ثمان وثلاثين ، ثم هلك الخليفة أبو الربيع سنة أربعين قبل مهلك الملك الناصر رحمهما الله تعالى . وكان عـهَـد بالخلافة لإبنه أحمد فبويع له ولقّب الحاكم . ثم بدا للسلطان في إمضاء عهد أبيه بذلك فعزله . واستبدل منه بأخيه إبراهيم ولقبه الواثق . وكان مهلك الناصر لأشهر قريبة من ذلك ، فأعادوا أحمد الحاكم وليّ عهد أبيه سنة إحدى وأربعين ، وأقام في الخلافة إلى سنة ثلاث وخمسين . وهلك رحمه الله فوليَ من بعده أخوه بكر ولقّب المعتضد ، ولم يزل مقيماً لرسم الخلافة إلى أن هلك لعشرة أعوام من خلافته سنة ثلاث وستين ، ونصّب بعده ابنه محمد ولقّب المتوكّل فأقام برسم الخلافة ، وحضر مع السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر عام انتقض عليه الترك في طريقه إلى الحجّ . وفسد أمره ورجع الفلّ إلى مِصْرَ ، وطلبه أمراء الترك في البيعة له بالسلطنة مع الخلافة فامتنع من ذلك . ثم

خلعه أيبك من أمراء الترك المستبدّين أيام سلطانه بالقاهرة سنة تسع وتسعين لمغاضبة وقعت بينهما . ونصّب للخلافة زكريا ابن عمّه إبراهيم الواثق فلم يطل ذلك . وعزل زكريا لأيامٍ قليلة . وأعاده إلى منصبه إلى أن كانت واقعة قرط التركماني من أمراء العساكر بمِصْرَ ومداخلته للمفسدين في الثورة بالسلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق سنة خمس وثمانين ، وسعى عند السلطان بأنه ممن داخله قرط هذا فاستراب به وحبسه بالقلعة سنة ستين ، وأدال منه بعمر ابن عمّه الواثِق إبراهيم ولقبه[1] فأقام ثلاثاً أو نحوها ثم هلك.رحمه الله آخر عام ثمانية وثلاثين . ونصّب السلطان عوضه آخاه زكريا الذي كان أيبك نصّبه كما قدّمنا ذكره . ثم حدثت فتنة بليقا الناصريّ صاحب حلب سنة إحدى وتسعين وسبعمائة . وتعالى على السلطان بحبسه الخليفة ، وأطال النكير في ذلك فأطلق السلطان الخليفة محمد المتوكل من محبسه بالقلعة وأعاده إلى الخلافة على رسمه الأوّل . وبالغ في تكرمته وجرت فيما بين ذلك خطوب نذكر أخبارها مستوفاة في دولة الترك المقيمين لرسم هؤلاء الخلفاء بمصر . وإنما ذكرنا هنا من أخبارهم ما يتعلق بالخلافة فقط دون أخبار الدولة والسلطان . وهذا الخليفة المتوكّل المنصوب الآن لرسم الخلافة والمعيّن لإقامة المناصب الدينية على مقتضى الشريعة ، والمبرك بذكره على منابر هذه الإيالة تعظيماً لأبيهم الظاهر ، وجريا على سنن التبرك بسلفهم ، ولكمال الإيمان في محبتهم وتوفية لشروط الإمامة بينهم وما زال ملوك الهند وغيرهم من ملوك الإسلام بالنواحي يطلبون التقليد منه ومن سلفه بمِصْرَ ويكاتبون في ذلك ملوك الترك بها من بني قلاون وغيره فيجيبونهم إلى ذلك ، ويبعثون إليهم بالتقليد والخلع والأبهة ، ويمدّون القائمين بأمورهم بمواد التأييد والإعانة بمنّ الله وفضله .

---

(١) كذا بياض بالاصل ، ولم نهتد الى لقبه في المراجع التي بين أيدينا .

* (خلفاء العباسيين بمصر بعد بغداد) *

ـــ أحمد المستنصر

المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي

أول من بويع بمصر من العباسيين

محمد المتوكل بن أبي بكر المعتضد بن سليمان المستكفي بن أحمد الحاكم بن أبي بكر بن أحمد المسترشد بن المستظهر

ـــ عمر بن ابراهيم الواقف

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع
أوّله أخبار الدولة العلويّة

* (فهرسة الجزء الثالث من تاريخ الامام ابن خلدون) *